جرجي زيدان

مؤسس الهلال

يصعب على الهلال وايم الحق ان ينشر ترجمة مؤسسه في المكان الذي كان ينشر فيه تراجم اعاظم الرجال ولكن

حكم المنية في البرية جار   ما هذه الدنيا بدار قرار

فلقد طويت حياة فقيدنا في احشاء التاريخ بعد ان كان التاريخ طي صدره . فسبحان القادر على كل شيء

اسرته

جاء في مذكرات للفقيد (١) عن اصل اسرته ما يأتي :

« حدثني والدي وانا غلام عن اصل عائلتنا فقال ان اباه كان يسمى زيدان مطر (او زيدان يوسف مطر) وكان خولياً عند الست حبوس والدة الامير مصطفى ارسلان وكانت تحكم عين عنوب وما يليها في اوائل القرن الماضي اي كان وكيلا على املاكها واشغالها فلما حمل ابراهيم باشا على سوريا وفتح عكا واراد الاستيلاء على الجبل كانت الست حبوس من جملة الذين لا يريدونه وخافت سطوته فحدثتها نفسها بالفرار من وجهه فعزمت على ذلك وطلبت الى جدي زيدان ان يرافقها في هذا الفرار فابى لانه رأى بعين البصيرة ان الدولة المصرية غالبة لا محالة وله اطفال وعائلة لا يطاوعه قلبه على فراقهم ولا على حملهم وهو هارب . فالحت عليه بمرافقتها فاعتذر بما تقدم فتركته وقد وجدت عليه وسافرت . فدخل ابراهيم باشا الجبل بمساعدة الامير بشير سنة ١٨٣٢ م وظلت الست حبوس مختفية الى ان ضعف امر ابراهيم فرجعت الى بلدها عين عنوب وقد حقدت على زيدان وصادرته باملاكه وامواله وتعمدت الحط من شأنه . فشق ذلك عليه واثر في صحته فمات قبل اوانه وترك امرأة واثنين وصبيين احدهما واكبرهما والدي ولم يكن سنه تجاوز العاشرة من العمر وهو كبير العائلة . ولم تقدر والدته على البقاء في عين عنوب فنزلت باولادها الى بيروت وليس لهم معين الا ابي . وبيروت يومئذ صغيرة لا مرتزق فيها

(١) للفقيد مذكرات كتبها بخط يده تحوي فوائد جمة سننشرها قريباً ان شاء الله

غير الاتجار وصنع ضروريات الحياة كالاطعمة والالبسة ونحوها او خدمة الحكومة في الكتابة او الجندية »

وجاء في مكان آخر منها :

« اما اصل عائلتنا فليس له خبر مدون لان والدي بارح بيت ابيه مع سائر العائلة اشبه بالهاربين وهو طفل لا يعرف شيئاً فلا ندري اذا كان لها خبر مدون في عين عنوب وربي هو في بيروت امياً فقيراً وشغل باعالة العائلة فلم يهتم بالبحث عن اصل ارومتنا . فلما شبيت واردت البحث عن ذلك كاتبت بعض اهل عين عنوب عما يعلمونه عن عائلة مطر هناك واصلها فجاءني جواب على لسان شيخ من اهلها انه يذكر ان بضعة من آل مطر اتوا عين عنوب غرباء اشداء لا يعلم اصلهم وان احدهم زيدان تقدم في خدمة الست حبوس

«وسمعت من رجل آخر ان عائلة والدي توالى منها في عين عنوب بضعة اعقاب وقال آخر غير ذلك . ويغلب على ظني ان اصل عائلتنا من حوران مثل اكثر عائلات الطائفة الارثوذكسية في الشوف وقد هاجرت موطنها الاصلي على اثر الضنك والفقر والاضطهاد مما كان يلاقيه عرب تلك البلاد . والغالب في اعتقادي ان اكثر اهل جنوبي لبنان الروم من عرب حوران ولعلهم من الغساسنة »

تاريخ حياته

نشأته في بيروت

ولد الفقيد في مدينة بيروت في ١٤ دسمبر (ك ١) سنة ١٨٦١ وتلقى مبادىء العلوم في بعض مدارسها الابتدائية حتى قضت عليه الاحوال بترك المدرسة صغيراً ومساعدة والده في اشغاله وهو لم يبلغ الثانية عشرة من عمره . غير أن ميله الغريزي الى العلم والادب جعله ان لا يدع فرصة لا يستفيد منها اما بمطالعة ما تصل اليه يده من الكتب أو بتقربه من رجال العلم . وقد كان مولعاً في أثناء ذلك بالرسم والتصوير حتى تكاد لا تجد كتاباً من كتبه الا عليه شيء من رسمه فكان كلما تعب من الدرس يتشاغل بمثل ذلك حرصاً على وقته ان يضيع بلا عمل

ودرس اللغة الانكليزية في مدرسة ليلية في مدة لا تتجاوز خمسة أشهر مع ممارسة شغله طول نهاره وبعض ليله وكانت اكثر اوقات دروسه في اواخر الليل وهو لا يعرف التعب ولا يكل من العمل وكثيرا ما كان يصل ليله بنهاره

ثم انتظم في سلك جمعية شمس البر في بيروت وهي جمعية ادبية اكثر اعضائها من تلاميذ المدرسة الكلية الاميركانية فكان وجوده في هذه الجمعية باعثاً على تضاعف رغبته

لما آنسه من ارتياح اعضائها الى صحبته والرغبة في محاضراته وكثيراً ما كانوا يدعونه لحضور الاحتفالات السنوية للمدرسة الكلية الاميركانية وسماع الخطب والمباحث . فكان اذا حضر احتفالاً وسمع ما يتلى فيه من الخطب والمباحث العلمية والادبية خرج حزيناً يكاد يتقد قلبه غيرة وحمية



جرجي زيدان في الثامنة عشرة

جرجي زيدان في الحادية والعشرين

وفي سنة ١٨٨١ صمم على ترك شغله وطلب العلم فلاح له ان الطب خير وسيلة تقربه من العلم وتساعده على الكسب . فاستشار بعض اصدقائه من تلاميذ المدرسة الكلية فاشاروا عليه بالعدول عن هذا المسلك الصعب لانه يقتضي وقتاً طويلاً لدرس العلوم الاعدادية لا يقصر عن سنتين فضلاً عن اربع سنوات اخرى لدرس الطب . لكن ذلك لم يكن ليوهن عزمه فدرس العلوم الاعدادية كلها على احد اصدقائه بنحو شهرين ونصف حتى آن افتتاح المدرسة فتقدم للامتحان وجازه

وقد كان في السنة الاولى من الطب مثال الاجتهاد مكباً على دروسه برغبة ولذة عظيمتين ونال في الامتحان السنوي شهادات الامتياز على تلاميذ صفه مع انه كان يتعاطى اشغالاً خاصة تساعده على النفقات . ومع ما حازه من الفوز على اقرانه لم ير منهم ما يشاهد عادة بين الاقران من الغيرة والحسد بل كانوا يسرون انجاحه ويتخذونه مثالاً للذكاء والاجتهاد لما يؤانسونه به من دماثة الاخلاق ولين المعاشرة والاخلاص في صداقتهم

ولما كانت السنة الثانية عاد الى المدرسة ولم يمض شهران حتى كان الاختلال المشهور في داخلية المدرسة الكلية الذي أجلى عن خروج معظم تلاميذها وكان صاحب الترجمة في جملتهم . وقدم بعد خروجه امتحاناً بالعلوم الصيدلية مع بعض رفاقه امام لجنة من اشهر اطباء سوريا في جملتهم الكولونيل مراد بك حكيمباشي العسكر والمرحوم الدكتور فانديك وغيرهما فنال الشهادة بالعلوم الآتية وهي اللغة اللاتينية والطبيعيات والحيوان والنبات والجيولوجيا والكيمياء العضوية والمعدنية والتحليل الكيمي والمواد الطبية والاقرباذين العلمي والعملي

سفره الى مصر والسودان وانكلترا

وشخص على أثر ذلك الى الديار المصرية عقب الحوادث العرابية لتكملة الطب في مدرسة قصر العيني غير ان طول المدة لنيل الشهادة الطبية حوّل عزمه عن صناعة الطب فاشتغل بالعلم وتولى تحرير جريدة الزمان — وهي حينئذ الجريدة اليومية الوحيدة في القاهرة — مدة سنة أو تزيد حتى كانت الحملة النيلية الى السودان سنة ١٨٨٤ لانقاذ غردون باشا فسار برفقتها مترجماً بقلم المخابرات وترك صناعة القلم موقتاً رغبة في استطلاع احوال تلك البلاد . فقضى فيها نحو عشرة اشهر شهد في اثنائها اعظم الوقائع الحربية مثل واقعتي طلبح والمتمة وغيرهما . ولا تسل عما قاساه من الاهوال في تلك السفرة فقد رأى مواقع الحرب رأي العين تحت اطلاق المدافع وصفير القنابل وشاهد القتلى مئات والوفاً الى أن عاد بعود الحملة بعد مضي عشرة اشهر فنال ثلاثة اوسمة مكافأة له على خدمته وشجاعته

لكن ميله الى العلم كان يزداد مع الايام فلم يستقر في الديار المصرية بعد عودته من الحملة بل سافر توًا الى بيروت سنة ١٨٨٥ وبعد وصوله اليها بقليل انتدبه المجمع العلمي الشرقي ليكون عضواً عاملاً فيه . فمكث في بيروت حوالي عشرة أشهر يطالع اللغات الشرقية فدرس العبرانية والسريانية واخواتهما ووضع على أثر ذلك كتابه في الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية

وفي أثناء ذلك الف أحد معارفه رواية دعاها رواية « البطلين » جعل صاحب الترجمة أحد بطليها والجنرال غردون باشا البطل الثاني وقد بين المؤلف في سرد حوادث الرواية نتيجة الاجتهاد والمواظبة مع المحافظة على الآداب كما هو شأن صاحب الترجمة

وفي صيف سنة ١٨٨٦ زار عاصمة بلاد الانكليز وكان في أثناء اقامته هناك يتردد على أندية العلم ومجتمعات الآثار ولا سيما المتحف البريطاني الشهير . ثم عاد في الشتاء الى مصر فطلبت اليه مجلة المقتطف أن يتولى ادارة اشغالها ففعل حتى اوائل سنة ١٨٨٨

فاستقال وانصرف الى الكتابة والتأليف فألف تاريخ مصر الحديث في مجلدين كبيرين وقد عانى في تأليفه صعوبات جمة . وفي سنة ١٨٨٩ الف تاريخ الماسونية العام وهو اول



جرجي زيدان
في الرابعة والعشرين



جرجي زيدان
في الثامنة والعشرين

كتاب كتب في العربية من هذا النوع ثم الف التاريخ العام وهو مختصر تاريخ ممالك آسيا وافريقيا القديمة والحديثة



جرجي زيدان — حوالي الاربعين

وفي اواخر سنة ١٨٨٩ انتدبته المدرسة العبيدية الكبرى لطائفة الروم الارثوذكس بمصر ليتولى ادارة التدريس العربي فيها فتولاها سنتين وفي اثناء ذلك الف رواية المملوك الشارد وهي اول رواياته فصادفت اقبالا غريباً حتى طبعت غير مرة . وكان صاحب الترجمة قد استحضر بعض الادوات المطبعية فتنحى عن التدريس وثابر على الكتابة والتأليف فاصدر الهلال في اواخر سنة ١٨٩٢ وكان في اول نشأته يتولى كل اموره بنفسه من ادارة وتحرير ومكاتبات وغير ذلك مما لا يستطيعه اقل من بضعة رجال ولكنه كان يواصل العمل بلا ملل ولا اهمال توصلا لنجاح مشروعه حتى اذا اتسع نطاق المجلة عهد بادارتها الى شقيقه واستخدم آخرين للاشغال الاخرى وانقطع هو الى التأليف والتحرير فكتب بعد نشأة الهلال مؤلفات عديدة سنأتي على بيانها . وقام في اثناء عطلات الهلال الصيفية بعدة رحلات اهمها رحلته الى الاستانة على اثر الدستور والى اوربا منذ سنتين ورحلته في الصيف الماضي الى فلسطين

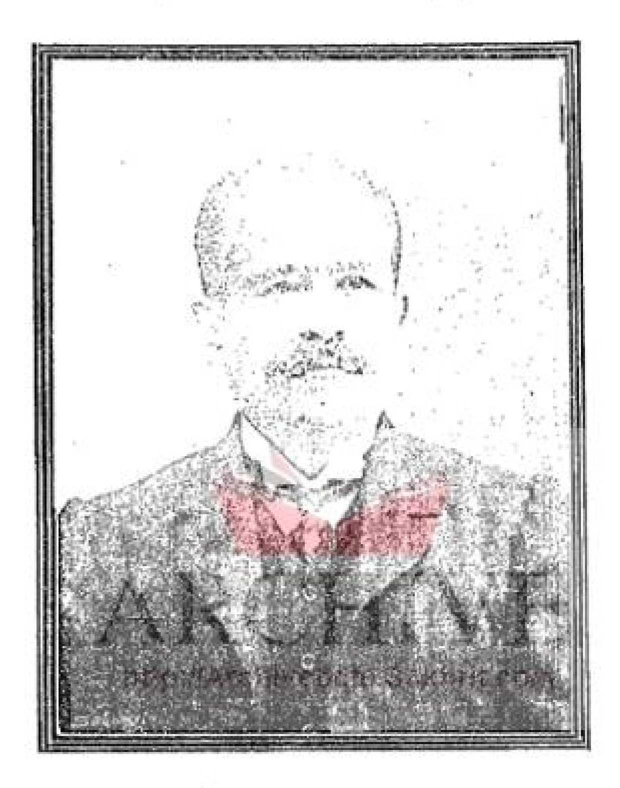
وفاته

في مساء الثلاثاء في ٢١ اغسطس سنة ١٩١٤ حوالي الساعة الحادية عشرة — لا كان ذلك الليل ولا كانت تلك الساعة — وافت المنية فقيدنا بغتة ولم يكن يشكو علة ولا اصيب بمرض . وما هي الا دقيقة شهق فيها الفقيد شهقة اقامت اهل بيته مذعورين حتى فاضت روحه الى خالقها وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء . وكان الى آخر ساعة من حياته على تمام الصحة يشتغل كاربعة رجال من غير ان يعرف الكلل او الملل

وما ذاع نعيه حتى عم الاسف لفقده واقبل الاصدقاء والفضلاء والاعيان والعلماء والادباء على منزله في القاهرة وتقاطرت الرسائل البرقية والبريدية من محبيه في جميع الجهات يشاطرون اهله الاسى ويذكرون آثاره ومناقبه الحميدة وخدمه الجليلة للعلم والادب والتاريخ

واحتفل بتشييع جنازته احتفالا يليق بقدره فسار موكب الجنازة من منزله في شارع الظاهر يتقدمه رجال البوليس الفرسان والمشاة وحملة الاكاليل الكثيرة التي بعث بها الاصدقاء ولفيف الكهنة الارثوذكس وبساطا الرحمة يحملهما ثمانية من الوجهاء ومركبة النعش يجرها ستة من الجياد ثم نجلا الفقيد واخوته واصدقاؤه وجمهور المشيعين يتقدمهم صاحب السعادة احمد حشمت باشا وساروا على هذا النمط الى ساحة الاوبرا حيث ركبوا المركبات وساروا الى المدفن في مصر العتيقة . وبعد ان اقيمت صلاة الجنازة في الكنيسة لحظ اهله ان هيئة الموت لم تبد على وجه الفقيد بل صارت علامات الحياة اظهر فيه مما

كانت في الصباح فحصه الاطباء فقالوا ان كل الدلائل تدل على حدوث الموت . لكن اهله ظلوا مرتابين فعدلوا عن دفنه واقروا على ابقائه الى الصباح . ولما كان الصباح خاب املهم الضعيف فدفنوا فقيدهم وهم يتمنون لو يفدونه بارواحهم



جرجي زيدان في الثانية والخمسين

ولما بلغ نعي الفقيد عطوفة حسين رشدي باشا القائمقام الخديوي في الاسكندرية أنفذ من قبله سعادة وكيل محافظ مصر الى منزل الفقيد لتعزية أهله وابلاغهم مشاركة عطوفته لهم في حزنهم

الرجل واخلاقه

كان الفقيد ربعة ممتلئ الجسم اسمر اللون متوقد العينين تظهر عليه ملامح الصحة والنشاط . وكان رحمه الله بسيطاً في جميع اعماله ثابتاً صادقاً لطيف الحديث قريباً الى الناس لا يأنف من مجالسة من هم دونه ولا يلقى الا والبشاشة تملأ وجهه

واعل الصفة الغالبة في اخلاقه كبر النفس . ولله در المطران حيث قال « ما عرفت رجلا اجمع منه للنقيضين ـ الكبر والاتضاع » فقد كان متساهلا في جميع اموره لا يعبأ

بالصغائر ولا يلتفت الى ما يقال عنه في معرض الذم . وكثيراً ما كانت تنشر الانتقادات المرة على مؤلفاته فلا يجيب عليها في الغالب او اذا فعل كان رده مختصراً مفيداً يشف عن نفس كبيرة وخلق رضي . من ذلك ما نشر في المجلد العشرين من الهلال في صفحة ٥٦٢ رداً على سؤال قارىء عن الباعث على الانتقادات المنشورة في بعض الصحف على مؤلفاته فاجاب : « ولا جواب عندنا على المطاعن غير المواظبة على العمل الذي وقفنا له حياتنا بما يطمئن له ضميرنا في الخطة التي رسمناها انفسنا منذ وضعنا يدنا على المحراث لا يهمنا الا خدمة جمهور القراء ورضى نخبة الادباء وخاصة العلماء وهذا ميسور حاصل والحمد لله فحسبنا ذلك »

ومن امثلة ذلك ايضاً ما كتبه في المجلد ١٩ من الهلال صفحة ١٧٧ تحت عنوان « نحن والجامعة المصرية » على اثر الضجة التي حصلت عند تعيينه استاذاً لتاريخ الامم الاسلامية فيها ثم عدولها عنه فكان جوابه بسيطاً واضحاً شرح فيه كيف طلبت اليه الجامعة ان يلقي تلك الدروس فيها وهو انما قبل حباً بخدمة ابناء العربية وقد وقف حياته لهذا الغرض . وبالاجمال فان مقالته هذه تنم عن اخلاقه الراقية ونفسه الكبيرة

وقد كان مخلصاً في عمله نزيهاً عن الاغراض لا يهمه الا الوقوف على الحقيقة والتمسك باذيالها . ومن اقواله المأثورة « لا يصح الا الصحيح ولا يبقى الا الانسب » وتجد اخلاصه هذا واضحاً في كل عمل شرع فيه وفي كل حرف خطه قلمه

وكان رحمه الله يعرف اللغات العربية والانكليزية والفرنساوية والسريانية والعبرانية مع المام بسائر اللغات الشرقية وغيرها . واكثر ما عرفه انما عرفه باجتهاده الشخصي ودرسه على نفسه بالثبات وصدق العزيمة فكان اذا رأى الحاجة الى علم او لغة اكب عليها حتى ينالها كما فعل منذ عشر سنوات لما اخذ في درس المواد الشرقية فرأى حاجة الى الاطلاع على ما الفه الالمانيون في آثار العرب وآدابهم من نتائج مباحثهم وتنقيبهم فدرس هذه اللغة بنفسه وبعد بضعة اشهر اصبح قادراً على فهم ما يقرأه منها وقس على ذلك

وكانت له منزلة كبيرة عند العلماء المستشرقين في اوربا فكان يعرف كثيرين منهم شخصيا وكان يكاتبهم جميعاً . فضلاً عن منزلته في الشرق فقد كان له احباء ومريدون كثيرون وقراؤه يعدون بالآلاف وكلهم معجب بما يكتبه مولع بمطالعته . ولذلك انتشر هلاله ومؤلفاته ورواياته انتشاراً عظيماً لم يبلغه غيرها في هذه البلاد . وكان رحمه الله يتحاشى مواقف المدح . ولما كان في الصيف الماضي سائحاً في جهات فلسطين لم يقبل ان تقام له الاحتفالات لكن اهل القدس واهل نابلس اصرّوا على الاحتفال به بدون تعريفه علماً

منهم برفضه اذا خير فدعوه بعد ان اعدت المعدات فلم يسعه الاَّ القبول

وكان الفقيد عضواً في عدة جمعيات علمية وشرقية نخص منها الجمعيات الاسيوية الايتالية والانكليزية والفرنساوية . واهدى اليه باي تونس نيشان الافتخار من الدرجة الاولى فضلاً عن اوسمة حرب السودان وهي المدالية الانكليزية والنجمة المصرية والعروة المختصة بواقعة ابي طليح . وانعم عليه الجناب العالي الخديوي برتبة المتمايز الرفيعة اعترافاً بفضله على اللغة العربية وآدابها . وقررت عمدة الكلية السورية الاميركية في بيروت قبل وفاته ببضعة اشهر منحه لقب شرف من القابها العلمية

آثاره

جاء مستشرق مرة لزيارة الفقيد فلما رآه سأله « أأنت جرجي زيدان ؟ » فاجاب « نعم » فقال « ما ابعد صورة شخصك المرسومة في مخيلتي عن شخصك الحقيقي .



جرجي زيدان على مكتبه

فاني كنت انتظر ان ارى رجلاً شيخاً ذا لحية بيضاء لان من يطلع على مؤلفاتك لا يقدر عمرك باقل من ثمانين سنة ! » . فقدكان الفقيد رحمه الله مجتهداً لدرجة التفاني مثابراً منظماً في اعماله ولولا هذه الصفات ما قدر على انتاج تلك المؤلفات الضخمة والقيام بمشاريعه العظيمة

١ — الهلال

ومحور آثاره كلها « الهلال » الذي لم يكد يتم سنته الثانية والعشرين حتى فوجىء بوفاة منشئه . وهو منتشر انتشاراً عظيماً في اربعة اقطار الارض يمتد انتشاره شرقاً الى الشام والعراق وفارس والهند واليابان وغرباً الى تونس والجزائر ومراكش وغربي افريقيا الى اميركا الشمالية والجنوبية وجزائر الهند الغربية وجنوباً الى جزائر الهند الشرقية واستراليا وزيلاندا واواسط السودان وجنوبيه وشرقيه وغربيه في زنجبار والترنسفال وشمالاً الى اكثر مدائن اوربا . والخلاصة انك لا تجد بلداً في احدى القارات الخمس فيها قوم يقرأون العربية الا كان الهلال في جملة ما يطالعونه . والسبب في سعة انتشاره ان مواضيعه قريبة من حاجة القراء على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم وانه يتوخى العبارة السهلة في كل ما يكتبه مع توضيحه بالصور والخرائط العديدة

٢ — مؤلفاته التاريخية واللغوية والعلمية

كتب الفقيد في مواضيع مختلفة لكنه حاز شهرته الواسعة في الشرق والغرب بصفة كونه مؤرخاً مدققاً لا سيما وانه طرق مواضيع هامة جديدة لم يسبقه اليها كاتب مع قلة المصادر التي يرجع اليها وافتقار اللغة العربية الى مثلها

واليك اهم مؤلفاته في التاريخ واللغة وغيرهما

تاريخ مصر الحديث جزآن — طبع مرتين

« التمدن الاسلامي ٥ اجزاء — اعيد طبع الجزء الاول

تاريخ العرب قبل الاسلام

تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر جزءان طبع مرتين

تاريخ آداب اللغة العربية ٤ اجزاء

الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية — طبع مرتين

تاريخ الماسونية العام

« اللغة العربية

انساب العرب القدماء

علم الفراسة الحديث

طبقات الامم

عجائب الخلق

وقد نقل تاريخ التمدن الاسلامي الى خمس لغات : الاوردية أو الهندستانية والتركية والانكليزية والفرنساوية والفارسية . وترجم كتاب الفلسفة اللغوية الى التركية

٣ — رواياته

كان غرض الفقيد الاول تحبيب المواضيع الشرقية والتاريخية الى جمهور القراء

فرأى أفضل سبيل لذلك ان يجعل التاريخ بشكل روايات من غير ان يشوه الحوادث التاريخية . وقد نجح في مشروعه هذا نجاحاً كبيراً فاعيد طبع رواياته مثنى وثلاث وترجمت الى عدة لغات شرقية وغربية بما لم يسبق له مثيل في هذه البلاد

وقد جعل رواياته التاريخية متسلسلة منذ ظهور الاسلام تتناول كل واحدة منها عصراً تاريخياً فتصف رجاله وعاداته وحوادثه مع المحافظة على الاصل بقدر الامكان . ورواياته تختلف من هذا القبيل عن روايات اسكندر دوماس فالفقيد كان يكتب الروايات للترغيب في التاريخ اما الثاني فكان يستعير الحوادث التاريخية ترويجاً لروايته . وقد ظهر من سلسلة روايات تاريخ الاسلام ١٨ حلقة اليك اسماءها وعدد طبعاتها

١	فتاة غسان (جزآن)	طبعة ٣	١٠	العباسة اخت الرشيد	طبعة ٢
٢	أرمانوسة المصرية	« ٣	١١	الامين والمأمون	« «
٣	عذراء قريش	« ٣	١٢	عروس فرغانة	« «
٤	١٧ رمضان	« ٢	١٣	احمد بن طولون	« «
٥	غادة كربلاء	« ٣	١٤	عبد الرحمن الناصر	« «
٦	الحجاج بن يوسف	« ٢	١٥	فتاة القيروان	
٧	فتح الاندلس	« «	١٦	صلاح الدين ومكايد الحشاشين	
٨	شارل وعبد الرحمن	« «	١٧	شجرة الدر	
٩	ابو مسلم الخراساني	« «	١٨	الانقلاب العثماني	

وله أربع روايات خارجة عن السلسلة وهي

المملوك الشارد	طبعة ٣	استبداد المماليك	طبعة ٢
اسير المتمهدي	« «	جهاد المحبين	« «

وقد نقلت هذه الروايات الى اهم اللغات الشرقية وبعض اللغات الاوربية . وعلى الاجمال فاللغات التي نقلت اليها حتى الآن بعضها اوكلها هي اللغة الاوردية (الهندستانية) والفارسية والدرويدية والتركية الاذربيجانية والتركية العثمانية والفرنساوية والانكليزية والروسية والبورتغالية

ان سرد اسماء هذه الكتب وعدد طبعاتها واللغات التي ترجمت اليها ابلغ من كل ما يقال في بيان مكانة الفقيد وخسارة اللغة العربية بفقده رحمه الله بقدر ما افاد الناس

وسنأتي في العدد التالي على آراء بعض الكتاب في الفقيد وآثاره ثم نجمع كل ما كتب أو قيل عنه في كتاب على حدة يرسل مجاناً الى الذين يرغبون في الحصول عليه

سنة الدم والحديد

الحرب الاوربية الكبرى

مقدماتها التاريخية وأسبابها الحقيقية

يتعذر على القارئ فهم الحوادث الجارية ما لم يتحرَّ اسبابها الى اصولها ويطلع على ما وراء ظواهرها من البواعث والاسباب الخفية . وأول حقيقة يجب ان لا تبرح من ذهنه هي ان المحرك الاول للدول انما هو المصلحة فهي التي تجمع بين امتين متعاديتين اذا اتفقتا على غاية تعود عليهما بالنفع . وهي التي تفرق بين دولتين متآخيتين اذا تحاكت مطامعهما . وما الحرب الحاضرة الا برهاناً جديداً على هذه الحقيقة الساطعة — وان كنا ننكرها احياناً — وهي ان الانسان حيوان قبل كل شيء

ومن الغريب ان تكون هذه الحرب نتيجة معاهدات واتفاقات بين الدول الاوربية كان اجدر بها ان تحفظ السلم والراحة بينها . فانقسام اوربا الى اتفاق ثلاثي وتحالف ثلاثي كان السبب في توسيع نطاق الحرب وجعلها كما هي الآن وكفى بذلك وصفاً — فلنرجع الى نشوء هذين القسمين وتكونهما :

التحالف الثلاثي

التحالف الثلاثي اقدم عهدا من الاتفاق الثلاثي وهو نتيجة الحاق مقاطعتي الزاس ولورين بالمانيا بعد حرب السبعين . وكان بسمارك يعلم أنه بعمله هذا قد جرح قلوب الفرنسويين جرحاً يتعذر التحامه . وقد قال في منشور أصدره عقب الحرب : « يجب ان نستعد لحرب ثانية مع فرنسا لانها لن تقبل بحالتها الحاضرة وعلينا أن نعتبر السلم الان هدنة تحفز فيها فرنسا للأخذ بثأرها اما وحدها او بمؤازرة دول أخرى »

ان الحرب السبعينية جعلت المانيا من الدول الاوربية الكبرى بل اكبر دولة برية فيها . وما برحت المانيا منذ ذلك الحين تستعمل نفوذها لحفظ الحالة الاوربية كما هي وهو الستاتوكو Statu quo وهذا طبعاً من صالحها لانه يضمن لها فتوحاتها

خوف بسمارك من اتحاد فرنسا وروسيا

وكان بسمارك يختشى اتفاق فرنسا مع دولة أخرى حتى ان احد الساسة قال عنه « انه يرى دائماً شبح تحالف الدول ضد المانيا نصب عينيه » . وقد بذل الجزء الاخير من حياته السياسية لمنع اتفاق فرنسا مع غيرها من الدول لا سيا بعد ما رآه من نهوضها

وكان يظن أنه قد سحقها الى الابد . فكان يتهمها بالتأهب للثأر من المانيا ويحرض الدول الاوربية عليها زاعماً ان وجودها خطر على السلم الاوربي

وظل في تخوفه وتحريضه الى سنة ١٨٧٥ اذ أعلن في الجرائد عزمه على سحق فرنسا فقامت قيامة الدول الاوربية — وكانت قد شعرت بخطأها سنة ١٨٧٠ لالتزامها الحياد واخلائها سبيل السيادة الاوربية لالمانيا — واكد قيصر روسيا لفرنسا انه يجانبها اذا تعدت عليها المانيا . فرجع بسمارك عن عزمه ورأى ان يسعى لغايته عن طريق الاتفاق مع الدول الاخرى على فرنسا والدول الموالية لها

وكان بسمارك قد سعى قبل ذلك في انشاء محالفة سميت محالفة الامبراطرة الثلاثة (روسيا والمانيا والنمسا) لكنها لم تدم لا سيما بعد ما اظهرته روسيا من الميل الى فرنسا خوفاً من حليفتها المانيا فضلاً عن تناقض سياستي النمسا وروسيا في البلقان واحتكاك مصالحهما فيها . شعر بسمارك بذلك فسعى جهده لحفظ العلائق الودية مع روسيا ومنعها عن الاتفاق مع فرنسا . ولكن مساعيه هبطت بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ اذ اضطرت المانيا ان تؤازر صديقتها النمسا في سياستها البلقانية . فالنمسا تطمح من قديم الزمن الى سالونيك وروسيا تعد نفسها وصية شرعية على الامم البلقانية

اتحاد المانيا والنمسا

عند ذلك رأى بسمارك ان أضمن طريق أمامه هو أن توثق عرى الصداقة بين المانيا والنمسا لان كلاً منهما كانت محتاجة الى الاخرى : الاولى لمساعدتها على فرنسا والثانية لمقاومة روسيا . ففي ١٧ اكتوبر سنة ١٨٧٩ ابرم الاتفاق بينهما على الصورة الآتية ولم ينشر الا سنة ١٨٨٨

بما ان جلالة امبراطور النمسا وملك المجر وجلالة امبراطور المانيا وملك بروسيا يعتبران من الواجب عليهما ان يسهرا على سلامة مملكتيهما وراحة رعيتيهما

وبما انه يتيسر لجلالتيهما الوصول الى غايتهما هذه بواسطة اتفاق يبرم بينهما

وبما ان اتفاقاً كهذا بين النمسا والمانيا لا يهدد احداً وانما يوطد اركان السلم الاوربي على الاساس الذي وضع له في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨

فقد قر رأي جلالة الامبراطورين على ابرام اتفاق يضمن السلام والامان لمملكتيهما متعاهدين ان لا يستخدما اتفاقهما لتهديد الدول الاخرى او الاستيلاء على املاكها

ولهذه الغاية عينا مندوبين واعطياهما السلطة التامة لعقد الاتفاق وهما : بالنيابة عن امبراطور النمسا وملك المجر الكونت اندراسي مستشاره الخاص وناظر البيت الامبراطوري ونظارة الخارجية وبالنيابة عن امبراطور المانيا البرنس هنري روس السابع سفيره غير الاعتيادي . وقد اجتمعا اليوم في فينا وبعد المداولة قررا ما يأتي :

بند اول : اذا هاجمت روسيا احد الفريقين المتعاهدين (وهذا ما لا يتوقع الفريقان حصوله

بل يتجنبانه بكل اخلاص) يتعهد الفريقان ان يتعاونا بكل ما لديهما من القوة وان لا يبرم احدهما الصلح الا برضى الاخر

بند ثان : اذا هاجمت دولة سوى روسيا احد الفريقين فيتعهد الفريق الاخر فضلاً عن عدم اتحاده مع الدولة المهاجمة ان يلزم حياداً حبياً نحو الدولة المدافعة . لكن اذا كانت روسيا تساعد تلك الدولة اما فعلا او باتخاذ تدابير حربية تهدد الدولة المدافعة فان البند الاول يسري على الفريقين اي انهما يجب ان يتعاونا بكل ما لديهما من القوة

بند ثالث : خوفاً من تأويل الدول لهذه المعاهدة السلمية فقد تعهد الفريقان ان يكتما امرها وان لا يطلعا دولة أخرى عليها الا باتفاق رسمي بينهما

ثم انه نظراً لما اظهره امبراطور روسيا في مقابلة الكسندروفو فيؤمل الفريقان ان التأهبات الروسية ليست موجهة الى احد الفريقين ولذا فلا داعي لمفاوضة الحكومة الروسية بهذا الشأن ولكن اذا خاب الامل فيتعهد الفريقان ان يخبرا امبراطور روسيا على الاقل سراً ان كل حرب تشهر على احد الفريقين تشهر عليهما معاً

ولتثبيت ما تقدم امضى النائبان هذه المعاهدة بايديهما ووضعا عليها ختميهما

حرر في فينا في ١٧ اكتوبر سنة ١٨٧٩ اندراسي

البرنس هنري روس

فيتبين من مطالعة هذه المعاهدة اولاً انها موجهة الى روسيا اكثر منها الى فرنسا وثانياً انها معاهدة دفاعية فقط

ايتاليا وفرنسا

لم يكتف بسمارك باتفاقه مع النمسا بل سعى في ضم ايتاليا اليهما وكانت ايتاليا حينئذٍ في نفور من فرنسا مع ان فرنسا ساعدتها لنيل استقلالها وتكوين وحدتها . ولكن الايتاليين كانوا يطمعون بنيل حريتهم بقوتهم دون مساعدة دولة اخرى . يدلك على ذلك قولهم Italia fara da se اي ان ايتاليا تصنع نفسها وتستغني عن مساعدة سواها

ثم ان مطامع ايتاليا وفرنسا في البحر المتوسط على طرفي نقيض . فالايتاليون يطمحون الى احراز السيادة فيه معتبرين انفسهم ورثة الدولة الرومانية العظيمة وسياستهم تتلخص بكلمتين Mare Nostrum اي « البحر لنا » واليك قطعة من كتاب ارسله وزيرهم الكبير مازيني الى بسمارك سنة ١٨٦٦ قال « يتعذر اتفاق ايتاليا وفرنسا في البحر المتوسط لان هذا البحر هبة طبيعية لايتاليا وشواطئها فيه تزيد على ضعفي شواطىء فرنسا ومطمح ايتاليا الوحيد انما هو احراز السيادة فيه » . هذه هي افكار ساسة ايتاليا فانهم يعدون كل شبر من شواطىء البحر المتوسط تستولي عليه دولة اخرى سرقة وهضماً لحقوقها

زد على ذلك ان فرنسا على عهد نابوليون الثالث كانت تمانع في ضم رومية وهي مقر كرسي البابا الى المملكة الايتالية الحديثة العهد فنشأ عن ذلك حزازات بين الدولتين .

لكن ايتاليا اغتنمت سقوط فرنسا في الحرب السبعينية فضمت رومية اليها واعتبرتها عاصمتها

دخول ايتاليا في المحالفة الالمانية النمساوية

فلهذه الاسباب دخلت ايتاليا في المحالفة الالمانية النمساوية لا سيما بعد البعثة الفرنساوية الى تونس . ففي سنة ١٨٨١ ذهب الملك همبرت الى فينا واتفق مبدئياً على الاتحاد مع المانيا والنمسا وابرم الاتفاق رسمياً في ٢٠ مايو سنة ١٨٨٢ لمدة خمس سنوات فاصبحت المحالفة ثلاثية . ولا تزال صورة المعاهدة سرية وانما يعرف الساسة انها جددت لاول مرة سنة ١٨٨٧ ثم في سنة ١٨٩١ فسنة ١٩٠٢ واخيراً في ٥ دسمبر سنة ١٩١٢

الاتفاق الثلاثي

كما ان التحالف الثلاثي كان في اول امره تحالفاً بين دولتين فكذلك الاتفاق الثلاثي نشأ عن اتفاق بين فرنسا وروسيا

الاتفاق الروسي الفرنسوي

بدأت العلائق الودية بين الدولتين بعد حرب سنة ١٨٧٠ وكان بينهما نفور قبل تلك الحرب بسبب مسألتي بولونيا والقرم . ولكن بعد انكسار فرنسا شعرت روسيا بان مصلحتها تقضي ان تبقى فرنسا دولة قوية امام المانيا . ولما حصلت ازمة سنة ١٨٧٥ وشاع ان في نية بسمارك سحق فرنسا سحقاً تاماً خوفاً منها ان تقوم وتأخذ بثأرها وقامت قيامة الجرائد الالمانية ضد فرنسا جاء قيصر روسيا الى برلين وتفاوض مع ذوي الشأن فسكت في الحال تلك الضجة البسماركية . وبعد قدومه برلين بيومين قابل سفير فرنسا فيها وقال له :

« ان السلم ضروري للعالم ولكل دولة من المشاكل الداخلية ما يشغلها عن الاهتمام بشؤون الدول الاخرى . فتأكدوا ولائي وكونوا مطمئنين . ثم اني ارجو ان تبلغ المارشال ماك ماهون (رئيس الجمهورية حينئذ) احترامي لشخصه واملي بتوطيد اركان حكومته ولي ملء الامل ان عرى الصداقة تتوثق بيننا فان مصالحنا متفقة كل الاتفاق »

فكانت هذه المجاملة الحبية تمهيداً للاتفاق الروسي الفرنسوي . وعند انعقاد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ زاد الخلاف بين روسيا والنمسا على المسائل الشرقية وكانت المانيا بالطبع تساعد حليفتها النمسا فكان ذلك باعثاً على تجسيم النفور بين روسيا وجارتيها وتقربها من فرنسا

وحصلت بعد ذلك مسائل مختلفة اظهرت فيها فرنسا ميلها الى روسيا ومؤازرتها لها

ولا سيا سنة ١٨٨٥ عند ضم ولاية الروملي الى بلغاريا بالرغم من اعتراض روسيا . فقابلت روسيا ذلك بتقربها من فرنسا وكانت سياستها ملخصة في هذه الجملة « يجب ان لا تضعف فرنسا »

وفي سنة ١٨٨٨ نشر بسمارك صورة الاتفاق بين المانيا والنمسا وكان لا يزال سرياً على قصد تهديد روسيا . فلم يكن ذلك الا ليقوي صداقتها لفرنسا وتظاهرت الدولتان بولائهما المتبادل في غير موقف . من ذلك ان الاسطول الفرنسوي زار روسيا وقوبل باحتفال كبير في كرونشتاد حضره القيصر وامر في اثنائه ان تضرب الموسيقى المارسيليز فسمعها وهو واقف ثم ارسل تلغرافاً الى رئيس الجمهورية ذكر فيه « المودة المتينة التي تربط فرنسا وروسيا » ونحو هذه المظاهرات التي آلت الى ابرام اتفاق سري بين الدولتين في ٢٢ اغسطس سنة ١٨٩١ . ومما زاد الاتفاق قوة القروض المالية التي اقرضتها فرنسا لروسيا ومجموعها يقرب من ٥٠٠ مليون جنيه

الاتفاق الفرنسوي الانكليزي

لا شك ان اتفاق فرنسا وانكلترا لم يكن يتوقعه احد اولاً لما بينهما من الضغائن القديمة . ثانياً لمحافظة انكلترا منذ القدم على استقلالها عن القارة الاوربية . ثالثاً لحصوله على اثر ازمة شديدة بين الدولتين كادت تفضي الى الحرب نعني مسألة فاشودا الشهيرة

ولكن المصلحة تجمع الد الاعداء اذا احدق بهم الخطر . فقد شعرت انكلترا في المدة الاخيرة بمنافسة المانيا لتجارتها ومسابقتها على السيادة البحرية . ومعلوم ان حياة انكلترا معلقة بقوتها البحرية فضلاً عن كون مصلحتها تقضي بان يحفظ التوازن الدولي على القارة الاوربية حتى تلهى الدول عن تكدير راحتها

وكان الساعي الى هذا الاتفاق الودي الملك ادوار السابع . فاتى باريس سنة ١٩٠٣ فرد له الزيارة المسيو لوبه (رئيس الجمهورية) بعد شهرين برفقة المسيو دلكاسه وبدأت المفاوضات الرسمية من ذلك الحين وآلت الى اتفاق ٨ افريل سنة ١٩٠٤ الذي حسم اوجه الخلاف بين الدولتين لاسيا فيا يختص بمصر ومراكش فاطلق يد انكلترا في مصر وأذن لفرنسا ان تستعمر مراكش. ولكن فرنسا لم تحسب حساب المانيا في ذلك فنشأت مشاكل كادت تفضي الى الحرب لو لم يتداركها رجال السياسة بالتي هي احسن

الاتفاق الانكليزي الروسي

وشعرت انكلترا انه يحسن بها ان تتفق مع روسيا كما اتفقت مع فرنسا لحسم اوجه لاحتكاك بينهما ففعلت وعقدت اتفاقاً امضي في بطرسبورج في ٣١ اغسطس سنة ١٩٠٧

وهو يتناول افغانستان والتيبت وبلاد الفرس وخليج فارس وبه تم الاتفاق الثلاثي. وهذا الاتفاق لا يربط الدول التي عقدته ربطاً متيناً كارتباط دول التحالف الثلاثي. لكن لا شك ان المصالح المشتركة هي اقوى الروابط. وهي التي حدت دول الاتفاق الثلاثي الى الاتحاد على المانيا والنمسا. وبعكس ذلك فالتزام ايتاليا الحياد مع كونها داخلة في التحالف الثلاثي انما هو نتيجة تنافر مصالحها مع مصالح النمسا والمانيا

اسباب الحرب الحقيقية

اولاً: المسألة الشرقية

روسيا تطمح بابصارها منذ القدم الى البحر المطلق وهو ضروري لنموها لاننا اذا وضعنا جانباً البحر القطبي الشمالي فليس لشواطىء روسيا منفذ حر في كلا البحرين البلطيق والاسود فانهما مقفلان. ولا يخفى ما ينشأ عن ذلك من الاضرار لا سيما في وقت الحرب. وما برحت روسيا منذ تكونها تسعى في الوصول الى بحر مطلق وقد وصلت الى فلاديفستوك في طابه. ولو استولت على الاستانة لاصبح لها من النفوذ والمكانة ما ليس لدولة اخرى. وما وصايتها على امم البلقان ودفاعها عن حقوقهم الا سلم ترقى فيه الى غايتها القصوى. لكنها كلما خطت خطوة في هذا السبيل زاحمتها جارتها النمسا التي لها من المطامع مثل ما لروسيا. لان ميناء تريستا وهو ميناؤها الوحيد الذي يستحق الذكر لا يكفيها فضلا عن كون موقعه في آخر بحر الادرياتيك يسهل على الدول حصره فيما اذا نشبت حرب بحرية فسياستها تدفعها نحو الشرق وهم يعبرون عن هذه السياسة بقولهم Drang nach osten أي المسير نحو الشرق

وبعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ اعلنت النمسا ضم ولايتي البوسنه والهرسك الى مملكتها فقضت بذلك على مطامع مملكة الصرب التي ما برحت منذ نشأتها تحلم بضم هاتين الولايتين اليها وكادت تنشب الحرب بين روسيا والنمسا من جراء ذلك لولا تساهل الاتفاق الثلاثي. ومن ثم الضغائن بين النمسا والصرب التي آلت الى مقتل الارشيدوق ولي العهد منذ بضعة اشهر ثم الى الحرب الاوربية الحاضرة

ثم ان الحرب البلقانية اسفرت عن عكس ما كانت تأمله دول التحالف الثلاثي. فكأن الحرب الحاضرة هي نتيجة تلك الحرب. وقد قال المستشار الامبراطوري عند عرضه قانون زيادة الميزانية الحربية في العام الماضي ان السبب الرئيسي لهذه الزيادة ان التوازن الاوربي قد اختل بعد الحرب البلقانية ورجحت كفة الاتفاق الثلاثي

وتفصيل ذلك انه نشأ في البلقان دول سلافية قوية — وان تكن صغيرة — تميل الى روسيا مربيتها والوصية عليها بينما ضعف نفوذ تركيا في اوربا . وكلا الامرين موافقان لمصلحة روسيا حليفة فرنسا ومعاكسان لمصلحة النمسا . ففضلاً عن كون تلك الدول الصغيرة حالت دونها ودون سالونيك مطمح ابصارها فانهـا اصبحت مجبرة على حفظ قسم من جيشها على الحدود البلقانية . فانقسام قوتها على هذه الصورة يضعفها ويضعف المانيا حليفتها في الوقت نفسه

وقد حصل مثل ذلك لايطاليا ايضاً فان احتلالها طرابلس الغرب قسم قوة جيشها . فضلا عن ان مصالحها بعد هذا الاحتلال اصبحت اقرب الى مصالح فرنسا وانكلترا منها الى مصالح المانيا والنمسا

فلهذه الاسباب رأت المانيا من الصواب زيادة جيشها تلك الزيادة التي قامت لها قيامة الدول في السنة الماضية

ثانياً : ثأر فرنسا

لا شك في ان اصل الاضطراب الاوربي يرجع الى معاهدة فرنكفورت التي قضت بضم مقاطعتي الزاس ولورين لالمانيا بدون استشارة اهاليها كما هو المتبع بين الدول المتمدنة فكانت جرحاً في فؤاد فرنسا لم يلتئم مع السنين . ويؤثر عن جامبتا انه قال « لنذكر ذلك ولا نفه به » وما زالت المانيـا منذ ذلك الحين تحسب حساب فرنسا وتخشى قيامها عليهـا . وقد آلت هذه الحالة الى ازدياد التسليح بين الدول الاوربيـة وهو ما يسمونه السلم المسلح الذي يذهب بنحو ثلث دخل الدول الاوربية

وما برحت المانيا في اثناء الاربعة والاربعين سنة بعد الحرب السبعينية تزيد ميزانيتها الحربيـة وكلما زادتها اعلن سياسيوها ان الداعي الى ذلك خوفهم من هجوم فرنسا . ففي سنة ١٨٨٧ عرض بسمارك مشروع زيادة الجيش ومما قاله للريشستاغ :

« ان بين المانيا وفرنسا قضية تاريخية تتعلق بالحدود الفاصلة بينهما ولم يبت الحكم في هذه القضية الى اليوم . ان موضوع الخلاف اعني الزاس في يدنا الان فليس هنالك ما يدفعنا لمحاربة فرنسا لـكن لا يقدر احد ان يقنعنا ان فرنسا لا تطمع في الاستيلاء عليها والاخذ بثأرها منا »

وفي السنة الماضية اي بعد خطاب بسمارك السابق بست وعشرين سنة قام المستشار الامبراطوري المسيو دي بتمن هولويج وكرر كلام بسمارك على مسامع المجلس فقال انه اذا كان الفرنسويون يخشون مهاجمة المانيا فان السلم الاوربي في أمان

لكن فرنسا اظهرت في جميع المشاكل التي وقعت فيها مع المانيا أنها كانت تفضل السلم الاوربي على الاخذ بثأرها . يدلك على ذلك أنها بقيت الى آخر دقيقة قبل نشوب الحرب تسعى في السلم مع رفيقتها انكلترا

ثالثاً : المنافسة البحرية بين انكلترا والمانيا

في مدينة همبرج بالمانيا بناء نقش على بابه جملة ترجمتها « مجالنا العالم » هي كنه الخلاف بين انكلترا والمانيا . وفي سنة ١٨٨٥ اجتمعت لجنة انكليزية للبحث عن اسباب هبوط التجارة الانكليزية فكان الجواب واحداً : المانيا

وقد تكررت هذه النغمة في تقارير التجار والقناصل الانكليز في العقدين الاخيرين وكلها تردد المعنى نفسه :. ان المانيا آخذة في فتح العالم فتحاً اقتصادياً . هذا هو السبب الاول لتلك العداوة بين الدولتين . لكن هناك سبب اهم منه : لم تكتف المانيا بالتضييق على التجارة الانكليزية وسد ابواب الرزق في وجه الانكليز فان الامبراطور غليوم الحالي ما عتم منذ ارتقى العرش وهو يسعى في انشاء اسطول يضاهي الاسطول الانكليزي ومن قوله كلمته المأثورة : « مستقبل المانيا على البحر » وقد نحى في هذا السبيل بكل مرتخص وغال وسعى سعياً متواصلا بالخطب والمنشورات لتعميم فكرته هذه بين جميع الطبقات واقناع الامة ان التجارة الالمانية لا تأمن ما لم يحمها اسطول عظيم

وكانت جرائد انكلترا في بادىء الامر تهزأ بخطط الامبراطور وتسمي اسطوله « لعب الامبراطور » لكنها ما لبثت ان رأت نموها العظيم فانقلب استهزاؤها الى تخوف وظلت تنشر المقالات الطويلة للمقابلة بين الاسطولين وتحريض انكلترا على زيادة اسطولها . لان الانكليز يفهمون تماماً ان قوتهم البحرية هي كل شيء لهم لا سيما وان ليس عندهم جيش بري قوي . فكان انشاء الاسطول الالماني كان يهدد حياة انكلترا نفسها

الا ان انكلترا سعت مراراً في الاتفاق مع المانيا لتحديد زيادات البحرية وتخفيض نفقاتها لكنها لم تفلح في تسكين تيار المطامع الالمانية

هذه هي الاسباب الحقيقية للحرب الحاضرة وكان ينقصها شعلة لتضرم النار فيها فكانت هذه الشعلة مقتل الارشيدوق فرنسوا فرديناند الذي آل الى الحرب النمساوية الصربية فالحرب الاوربية الكبرى

السياسة الالمانية الخارجية

على عهد غليوم الثاني

من تتبع مجرى السياسة الالمانية في خلال النصف القرن الماضي أو على الاقل في خلال الاربع والاربعين سنة الاخيرة تجلت له فيها آثار السياسة المطلقة أو الحكم الاستبدادي . فقد امتزجت فيها عواطف الاسرة المالكة بمصالح المملكة امتزاجاً يندر نظيره في الممالك الدستورية التي تدور فيها السياسة على محور المصالح الوطنية

خرجت المانيا من حرب السبعين ظافرة غانمة بفضل السياسة التي جرى عليها بسمارك . وكان هذا الوزير لا يغفل طرفة عين عن مراقبة ما يجري حوله من الحوادث خوفاً من ان تؤخذ المانيا على حين غرة . فكان محور سياسته المحافظة على المقام الذي بلغته المانيا بعد انتصارها على فرنسا ودرء كل خطر عن المملكة سواء كان من جانب فرنسا أو غيرها من الدول الاخرى . ولتحقيق هذه الامنية كان بسمارك يسعى لتعزيز المانيا وجعلها في مأمن من كل غزوة أو مفاجئة . فضلاً عن انه كان ينظر الى جارته فرنسا نظرة الحذر المحترز ويسعى لعزلها عن سائر دول اوربا

على ان هذه الامنية لم تتحقق له قط فانه لم يكد الامبراطور غليوم الحالي يرقى الى العرش حتى نسجت خيوط المحالفة الروسية الفرنسوية . ذلك لان كلاً من فرنسا وروسيا وجدتا نفسيهما مهددتين من الخارج فخشيتا ان تؤخذا على حين غرة فينهدم ما بنته الآباء والاجداد لسبب خرق سياستهما لا سيا وان المعاهدات السالفة كانت قد اجحفت بحقوق كل من الحليفتين . فمعاهدة فرنكفورت كانت مجحفة بحقوق فرنسا ومعاهدة برلين بحقوق روسيا

ومنذ سنة ١٨٨٩ اصبحت المحالفة الروسية الفرنسوية قذى في عيني بسمارك وخلفائه على كرسي السياسة الالمانية فكانوا ينظرون اليها بعين الحذر وصدورهم موغرة حقداً على الذين تمكنوا من عقدها . ومما يدلك على تخوف الساسة الالمان من هذه المحالفة انه في ١٤ مايو من سنة ١٨٩١ وقف المارشال فون مولتكي في مجلس الريشستاغ الالماني وعرض مشروعاً حربياً جديداً سببه على ما ادعى تغير التوازن الاوربي بسبب المحالفة الروسية الفرنسوية ومما جاء في خطبته قوله : « ان جيراننا شرقاً وغرباً يؤكدون لنا انهم لا يضمرون لنا شرًا ولكن سلامة المانيا قائمة بتعزيز قواها واظهار سطوتها »

وفي ١٥ يوليو سنة ١٨٩١ زار الاسطول الفرنسوي ميناء كرونشتاد فقوبل مقابلة

ودية كان من نتائجها تعزيز روابط المحالفة الروسية الفرنسوية الامر الذي زاد في قلق المانيا وهواجسها لأنها كانت حتى تلك الساعة تسعى لتفكيك ربط تلك المحالفة . فلما فشلت نهض ساستها نهضة واحدة وطلبوا اموالاً جديدة لتعزيز الجيش وتقوية الاسطول وفي مقدمتهم المستشار دي كابريفي

ثم مرت الايام والمحالفة تقوى وتشتد حتى رأى الامبراطور غليوم ان من العبث مقاومتها أو السعي في حلها . فانقلب الى سياسة اللين والمسالمة ولاسيما اذ ادرك ان المحالفة التي كانت كابوس المانيا لم تكن هجومية بل دفاعية وان غرضها لم يكن الاجحاف بحقوق المانيا بل المحافظة على الحالة السياسية في اوربا وهي المعبر عنها بلفظة « ستاتوكو » . وقد كان ذلك في الحقيقة في صالح المانيا نفسها لانه كان في صالح السلام العام . فرسخت اقدام المانيا في سائر مستعمراتها واملاكها ولم تعد تخشى غزوة مفاجىء لا سيما وان القيصر نقولا الثاني قد كان اشد ميلاً للمحافظة على السلام من سلفه القيصر اسكندر الثالث ومن سبقه من قياصرة الروس

ورأى غليوم منذ ذلك الحين ان يتبع سياسة المسالمة مع فرنسا او على الاقل ان يتظاهر بها وقد سنحت له فرص عديدة لاظهار ذلك نورد هنا منها بعض الامثلة :

فمن ذلك انه جرت عادة الامبراطور غليوم عند احتفاله بذكرى حرب السبعين ان يشير الى جيش فرنسا بقوله انه جيش شجاع يذود عن حياض أمة لها مواقف مجيدة في تاريخ التمدين . ومنه انه عند ما قتل كارنو رئيس جمهورية فرنسا أرسل الامبراطور يعزي ارملته تعزية خاصة . وفي تلك السنة عينها اطلق سراح ضابطين من ضباط البحرية الفرنسوية كان قد القي عليهما القبض في المانيا بتهمة التجسس وقد فعل الامبراطور ذلك على رغم تيار الرأي العام في المانيا

وكذلك اظهر تلطفاً عظيماً على اثر موت المارشال كانروبرت في سنة ١٨٩٦ وموت جول سيمون في سنة ١٨٩٧ واحتراق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ وغرق الباخرة بورغونيه في سنة ١٨٩٨ وموت فيلكس فور في سنة ١٨٩٩ . فكان في كل من هذه الحوادث يظهر ميلا الى فرنسا ويفرغ جهده لاظهار ضروب المودة والمسالمة

واتفق في ٦ يوليو سنة ١٨٩٩ ان الامبراطور كان يتجول في مياه نروج فزار السفينة « افيجني » الفرنسوية وهي سفينة مدرسية فلما بارح السفينة ارسل الى المسيو لوبه رئيس جمهورية فرنسا رسالة برقية بشكره فيها على مالقي في السفينة المذكورة من ضروب الاحتفاء والاكرام ويهنئ البحرية الفرنسوية على ما وصلت اليه من المنعة والقوة

وفي سنة ١٩٠٠ سعى الامبراطور ان يجعل نصيب المانيا في معرض باريس العام مما تفتخر به امام الدول . وتم له ذلك فكان سعيه مثالاً آخر من سياسة المسالمة التي وجد نفسه مضطراً لاتباعها

ونختم هذه الامثلة بحادثين صغيرين في حد ذاتهما كبيرين في مغزاها (وأولهما) ان الامبراطور دعا الجنرال بونال الافرنسي لحضور مناورات الجيش الالماني في سنة ١٩٠١ وأظهر له كل دعة ومودة (وثانيهما) انه بعث الى فرنسا برسائل التعزية على أثر كارثة المارتنيك المشؤومة فظهر بذلك مظهر الصديق الودود

جميع الامثلة التي ضربناها كانت صادرة عن عواطف الامبراطور الشخصية . على ان هنالك أمثلة صادرة رأساً عن السياسة الالمانية عامة لا بأس من ايراد بعضها تكملة للفائدة :

فمن ذلك انضمام المانيا الى فرنسا وروسيا لحرمان اليابان التمتع بثمرة انتصارها على الصين

ومنه ايضاً اظهار المودة للاسطولين الفرنسوي والروسي عند فتح قناة كيال ومعاملتهما معاملة كادت تكون ممتازة

ومنه ايضاً ان الموسيو مورافيف وزير خارجية روسيا زار باريس في سنة ١٨٩٧ وعند عودته منها عرّج على برلين فلقي فيها كل ترحيب واكرام

ولا ننسَ حادثي فاشوده ودريفوس الشهيرتين فان المانيا وقفت فيهما (أو على الاقل تظاهرت بالوقوف) موقف الصديق لفرنسا

ولما وقعت الاضطرابات في الصين في سنة ١٩٠٠ عين المارشال ولدرسي الافرنسي قائداً عاماً للقوات الدولية في الصين فسار الافرنسيون جنباً الى جنب مع الالمان وتناسوا احقاد متز وسيدان حتى قال مستشار الامبراطورية الالمانية يومئذ انه لم يبق بين فرنسا والمانيا خلاف البتة فان صفحة الشقاق قد أُطوت

على أنه مما يؤسف له ان سياسة المسالمة انتهت بانتهاء سنة ١٩٠١ وبدأت على أثرها سياسة الانقلاب . وبلغ التوتر اشده في سنة ١٩٠٥ بسبب المسألة المراكشية فظهر ما كمن من الاحقاد وتمثلت المانيا لفرنسا خاصة واوربا عامة بثوبها الحقيقي

ومما افضى الى اظهار المانيا بمظهرها الحقيقي اتفاق فرنسا وانكلترا وتوقيعهما على معاهدة سنة ١٩٠٤ الشهيرة وهي المعروفة باتفاق ٨ ابريل الذي وضعت به انكلترا اساس اتفاقها مع جارتها فرنسا رامية بذلك الى عزل المانيا وايقافها موقف الوحدة . وعقب ذلك اتفاق

آخر بين فرنسا واسبانيا فتم عزل المانيا ووجدت هذه نفسها امام قوة لا يسعها مقاومتها . وكانت نتيجة هذين الاتفاقين اطلاق يد فرنسا في مراكش فضلا عن ان فرنسا ضمنت لنفسها استقلالاً تاماً في غرب اوربا رفع شأنها وقوّى شوكتها

ومما يستحق الاعتبار انه في هذا الزمن سمعت اوربا شيئاً من التذمر بين صفوف المحالفة الثلاثية . وقد كان العالم حتى ذلك اليوم يعتقد أن تلك المحالفة متينة العرى غير قابلة للانفصام . ولكن وقع يومئذٍ ما جعل كلتا النمسا وايطاليا تشمئزان من سياسة المانيا ففقدت هذه بعض ما كان لها من النفوذ في بلاط رومية وعلى رغم الزيارات السياسية التي تبودلت بين الالمان والايطاليان لحظ رجال السياسة بعض الفتور في جانب الايطاليين حتى انه في سنة ١٩٠٤ عندما زار كل من غليوم الثاني والمسيو لوبه مدينة رومية كانت الخطب والانخاب التي تبودلت مع رئيس جمهورية فرنسا أدلّ على الولاء والاخلاص من التي تبودلت مع الامبرطور غليوم

واتفق ان اشتدت المزاحمة بين انكلترا والمانيا ولم تكن سيدة البحار قد نسيت عبارة الامبراطور غليوم في اوائل عهد حكمه وهي قوله ان مستقبل المانيا على البحار . فكانت كأنه هذه لا تزال ترن في مسامع ساسة الانكليز وهم لا يغمضون جفناً عن تتبع نشؤ البحرية الالمانية . وزاد الطين بلة انه كان بين الامبرطور غليوم وخاله الملك ادوار شيء من النفور يرجع الى زمن التلغراف المشهور الذي ارسله الامبرطور غليوم الى كروجر في ايام حرب الترنسفال وما عقب ذلك من استياء ساسة الانكليز حتى تنبه غليوم ورجاله الى تلك الغلطة الفظيعة التي كانت بعيدة عن الآداب الدولية والمجاملات التي يقتضيها حسن الذوق . فاخذت المانيا منذ ذلك اليوم تحسب حساباً لاتفاق فرنسا وانكلترا وظل ذلك الهاجس يقلق راحتها الى ان تحقق الاتفاق بين عدوتيها فهاج سخط الرأي العام في المانيا على المسيو فون بلوف مستشار الامبراطورية واتهموه بان سياسته افضت الى عزل المانيا حتى عن حليفتها ايطاليا فدافع المستشار عن خطته كل المدافعة ونفى الخطر المزعوم من حصول تقرب بين فرنسا وايطاليا أو بين فرنسا وانكلترا

ثم مرت السنون والمانيا صارفة كل قواها لتعزيز جيشها وقوآتها البحرية الى ان كانت حادثة اغادير فانكشف ستار آخر عن مطامع المانيا وكادت تتحقق أمانيها لولا وقوف روسيا وانكلترا الى جانب فرنسا وقفة الصديق الحميم

وكانت روسيا قد ارسلت اوامرها الى سفيرها في برلين بمعاونة زميله السفير الفرنسوي حتى النهاية . فحنق الالمان على الروس ايما حنق وظهر سخطهم في مواقف

كثيرة حتى ان الصحافة الالمانية اخذت ترشق روسيا بسهام حارة وتوجه اليها اقوالاً دالة على سخط وهياج عظيمين . والارجح ان استعفاء الكونت لمسدورف (سفير روسيا) كان ناتجاً يومئذ عن هياج الشعب الالماني على روسيا . على ان استعفاءه لم يقلل من اهمية الخدمة التي ادتها روسيا لحليفتها فرنسا في حادثة اغادير

اما العلاقات بين المانيا وانكلترا فلم تكن اقل توتراً منها بين المانيا وفرنسا او بين تلك وروسيا وان كانت في الظاهر مما يدل على الهدوء والسلام . على ان فرنسا لم تنس انه في سنة ١٩٠٥ ذهب البرنس هنكل دونر سمارك الى باريس والقى فيها خطبة شهيرة قال فيها مخاطباً رجال الحكومة الفرنسوية « انكم لا تستطيعون ان تحافظوا على الصلات الودية مع برلين ولندن في آن واحد بل يجب ان تختاروا احدى الاثنتين ! »

ولكن فات هذا الامير انه لا شيء يقوي عرى الاتحاد بين مملكتين كوقوفهما امام خطر عام . لذلك وقفت انكلترا في حادثة اغادير مع فرنسا كتفاً الى كتف . وكان ذلك الوقوف سبباً في تقوية ربط الاتفاق الودي بين انكلترا وفرنسا

ولم تنحصر فائدة الاتفاق المذكور بين الجارتين فقط بل ان نفس ايطاليا بدأت تشعر بفائدة تقربها من الجارتين المتفقتين . وكذلك اسبانيا ايضاً فانها رأت في الانضمام الى الاتفاق الودي (وهو انضمام في العواطف فقط) ضماناً لها من الخطر الالماني . كل ذلك وهواجس المانيا تزداد شدة مع ان ساسة الالمان كانوا يخادعون انفسهم بان الاتفاق بين انكلترا وفرنسا لم يكن طبيعياً فلا يمكن ان يدوم طويلا . وممن صرحوا بهذا الاعتقاد المسيو فون بيلوف مستشار الامبراطورية السابق وقد اظهرت الايام فساد زعمه

وفضلاً عما تقدم فان الاتفاق بين فرنسا وانكلترا افضى الى تقرب بين هذه وروسيا ايضاً . وكان من نتيجة ذلك شبه محالفة عرفت فيما بعد بالاتفاق الثلاثي وغايته موازنة المحالفة الثلاثية التي تربط المانيا والنمسا وايطاليا . فترى أن سياسة المانيا ومطامعها جعلت معظم دول اوربا غير المحالفة لها تتخوف من سياستها وتسعى ان تدرأ عن نفسها كل خطر من جهة المانيا . حتى ان نفس الولايات المتحدة الاميركية اصبحت تشعر بثقل وطأة السياسة الالمانية وادركت انه اذا قدر للنسر ان ينشب مخالبه باوربا فلا يمر زمن طويل حتى يولي جناحيه شطر اميركا

ولم ينحصر هذا الخوف في الممالك القوية فقط بل تعداه الى الممالك الصغيرة ايضاً كهولندا والبرتوغال وغيرهما فبينما كانت لا تخشى جانب الدول الاخرى الكبيرة كانكلترا وفرنسا لانها لم تكن تطمع بالغزو والتوسع في الملك كانت تخشى بأس المانيا لما ثبت لها من مطامعها الاشعبية

فالدول اجمع اذاً — ما عدا النمسا — كانت ولا تزال تنظر الى المانيا بعين الحذر حتى أن نفس ايطاليا حليفتها اظهرت لها شيئاً من الجفاء في مؤتمر الجزيرة . فادركت المانيا منذ تلك الدقيقة انها لا تستطيع التحكم بدول اوربا كما تشاء حتى ولا التحكم بادارة سياسة المحالفة الثلاثية

ومما يدل على أن رجال السياسة الالمان ادركوا حرج موقفهم ما وقع لهم في مجلس الريشستاغ من المناقشات في شؤون السياسة الخارجية . ولا ادلّ على ارآئهم من خطبة شهيرة القاها المسيو بسرمان في مجلس الريشستاغ وهذا بعض ما قاله : —

« لقد دخلنا في طور كثر فيه تبادل الزيارات والخطب والمراسلات السياسية فلم يعد للمحالفة الثلاثية فائدة عملية . فكلتا الصحافة والامة الايطالية تظهر ميلا وانعطافاً نحو فرنسا . والنمسا ترفض ان تعد نفسها في درجة أقل أهمية من المانيا حالة أن المعاهدة الروسية الفرنسوية تزداد قوة ورسوخاً . أما الخطب الودية التي تبودلت بين امبراطورنا وملك انكلترا فلا تمنع انكلترا من متابعة سياستها القديمة التي غرضها عزل المانيا عن بقية دول اوربا ... والاتفاق الانكليزي الروسي يهدد مصالح المانيا وقد كان بسمرك يخشى الاتفاقات الدولية ويسعى الى هدمها ... وأما نحن فقد فشلنا في هذه السياسة »

ولما وجدت المانيا نفسها في هذا الموقف الذي أوصلها اليه بعد نظر الساسة الانكليز والفرنسويين (ولا سيما المسيو دلكاسه) رأت أن تستسلم الى القضاء وتبدل سياستها القديمة بسياسة جديدة تداهن بها جميع دول أوربا على حد سواء . على ان دول أوربا لا يمكنها أن تغتر بما تضمره لها المانيا من المطامع الاشعبية

هذا جل ما يقال في بسط السياسة الالمانية الخارجية . أما ما يتعلق منها بتركيا فالمجال أضيق من أن يسع الكلام عنه لا سيما وأن معظم القراء يعلمون ما بين الدولتين الالمانية والعثمانية من الارتباط والاتفاقات والمستقبل خير كفيل باظهار فائدتها أو ضررها والسلام

لظريف في نصرانية توقع على قيثارة

ونصرانية ضربت مساء على الاوتار أغنية المسيح

وللصفصاف أجنحة عليها تذكرنا الهوى من عهد نوح

وقفت أمامها لا الفكر سال ولا القلب الكليم بمستريح

فقالت رح بربك من أمامي فقلت لها بربك أنت روحي

س . ع .

الآداب الدولية

بحث ادبي اجتماعي للدكتور جوستاف لبون

فوضى الآداب الدولية

ويل للضعيف!

ان درس ادب الدول وتصرفها بعضها مع بعض من الذ المواضيع وأفيدها لكن الفلاسفة قلما اعاروه التفاتهم . ويتبين من هذا الدرس ما هو الاساس الحقيقي الذي تبني عليه الدول علاقاتها الواحدة مع الاخرى واوهام بعض المفكرين الذين يرجون نفعاً من قوانين ومعاهدات دولية ليس لها مرجع عال يثبتها ويعاقب مخالفيها

ان الناظر الى الحالة الدولية اليوم نظر المحقق يرى انه ليس في العلاقات المتبادلة بين الحكومات ادنى قاعدة ثابتة لسلوكها — ما عدا المعاهدات التجارية فانها تحافظ عليها في الغالب — فالدول لا تعرف الا سنة واحدة وهي الحق للقوة

وهذه القاعدة تصح اليوم كما كانت تصح منذ آلاف السنين فانك اذا تصفحت التاريخ تجد الدولة القوية لا تتردد في الاستيلاء على جارتها الضعيفة . ولم تبلغ رومية عظمتها الا بهذه الوسيلة . وافضل ما كتب في هذا المعنى كتاب الامير لمكيافلي ورأيه فيه ان ليس للدول آداب سلوك كما للافراد وانما غايتها الوحيدة الفوز مهما كانت سبله

لكن الدول الحاضرة لا تجاهر بحق القوة في فتوحاتها فاذا استعمرت شعباً من الشعوب المنحطة تذرعت بواجب الدول المتمدنة نحو الامم الهمجية حتى لا تحرم منافع المدنية . فكأن القوة في نظرهم تستعمل في خدمة الانسانية

لكن مثل هذا الكلام لا يغر احداً والحقيقة يعرفها الكبير والصغير وهي ان الاستعمار السياسي والاقتصادي من اهم اسباب الخلاف بين الدول الكبرى والباعث الاول على تفانيها الهائلة في سبيل التسليح الذي يذهب باكثر من ثلث دخلها . ويكفي القارىء أن يلقي نظرة الى التاريخ الحديث ليتيقن ان الدول الكبرى لا تزال تكتسح الشعوب الضعيفة كلما سنحت لها الفرصة لتستولي على اموالها بدون حق سوى حق القوة وبلا داع سوى داعي الطمع والكبرياء — لا تفعل ذلك فقط ازاء متوحشي افريقيا بل مع شعوب متمدنة هادئة آمنة

الدولة التي تملك مدافع كثيرة تقدر ان تحفظ كيانها وتأمن شر جيرانها . أما الشعوب الضعيفة فلا حق لها لان ليس عندها قوة تردع بها مغتصبيها . خذ مثلا زنوج افريقيا فان

سادتهم مع حضارتهم وارتقائهم لا يترددون في استعبادهم وابتزاز اموالهم وسيرهم بالسياط

هذه حقائق يكفي ان يفتح الانسان عينيه ليراها ومن الخطأ ان نتعامى عنها . وقد بدأ الاوربيون يرونها كما هي وترى بعضهم يجاهرون علنا بحق القوة لا سيا طبقة من كتاب الالمان يرون التوسع المادي من واجبات الامة حتى أنهم في مؤتمر عقد في مدينة كارلسروه سنة ١٩١٠ جاهر الخطباء انه نظراً لنكاثر الالمان قد اصبح الواجب على الحكومة ان تستولي على الدول الصغيرة المجاورة لها كهولندا والبلجيك . وباحثت مؤخراً الجرائد الالمانية فيما اذا كان الاوفق لالمانيا ان تستولي على الكونغو البلجيكي بالقوة او ان تشتريه بالمال وسبب ترددها هذا انما كان خوفها من انحياز انكلترا الى البلجيك

واذا كان الساسة يحترمون المعاهدات والسلم على الورق فانهم لا يفعلون ذلك في الواقع . انظر الى الحرب البلقانية وكيف تعهد الساسة الاوربيون في بادىء الامر ان يحافظوا على حالة البلقان كما كانت اياً كان الغالب فانهم الغوا كلامهم هذا بعد ان رأوا انتصار البلغار وسلموا بحق القوة

ان المعاهدات الدولية تصبح ملغاة عند الضرورة [1] فالنمسا خرقت معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ عند ضمها البوسنه والهرسك الى أملاكها . واليابان استولت على كوريا بالرغم عن المعاهدات التي ضمنت استقلالها وروسيا وانكلترا اصبحتا تقتسمان بلاد الفرس بعد ان تعهدتا بحفظ كيانها . ولا يردع الدولة عن الاسترسال في التوسع والاستعمار الا خوفها من العواقب الوخيمة . فان النمسا لم تتنازل عن البانيا التي طالما حلمت بالاستيلاء عليها الا بعد ان خافت قيام الدول عليها . فمتى تيقنت الدولة انه لا يخشى عليها خطر فانها لا تعمل الا بمقتضى مصلحتها

لا يربط الدول بعضها مع بعض الا المصلحة ويدوم ارتباطها ما زالت المصالح مشتركة . فالاتفاق الودي بين انكلترا وفرنسا انما كان خوفاً من عدوهما المشترك المانيا . ولا شك انه اذا تصادمت مصالح الدولتين في المستقبل فانهما تتعاديان كما اتفقتا اليوم . ففي الحرب البلقانية اتفق البلغار والصرب في بادىء الامر لكنهما ما لبثا ان تباينت مصالحهما فاشتبكتا في الحرب البلقانية الثانية التي لم تقدر اوربا على ملافاتها

يظهر من الامثلة المتقدمة ان الآداب الدولية لم تتغير منذ أقدم الازمنة الى اليوم حالة ان آداب الافراد وقواعد سلوكهم تقدمت تقدماً حسناً . فما هو السبب الذي يجعل

---

(١) قال المستشار الالماني للريشستاغ بالامس عندما اعلن الحرب على بلجكا مع اعترافه بحيادها « لا تعرف الضرورة قانوناً »

رجل السياسة ـ وقد يكون شريفاً أديباً في علاقاته الشخصية مع الناس ـ يأتي اعمالا قبيحة شنيعة في وظيفته ؟

الجواب بسيط يرجع الى فطرة الانسان . فان الطبيعة البشرية لا تخضع لقوانين ما لم تخشَ العقاب وليس فوق الدول سلطة تعاقبها أو تحاسبها الا الاعتقاد بخالق بعيد عن البشر يفسر كل فريق ارادته تفسيراً يوافقه . فأعمال الدول انما تمليها عليها مصالحها ومطامعها ولا يوقفها الا القوة . اما الافراد فانهم يحاسبون على اعمالهم ويجازون عليها بمقتضى شرائع تسنها الدول وتنفذها بالقوة . وهذا ما يردعهم عن البغي والطغيان

قاعدة جديدة لسلوك الدول

للحروب اسباب عديدة سنسردها فيما بعد ولكن اهمها واعمها هو الاعتقاد الشائع الى اليوم انه ينتج عن الفتح والاستعمار منافع اقتصادية واجتماعية للدولة الفاتحة

فاذا تبين بالبرهان ان الحروب في المستقبل لن تجدي نفعاً بل تجر وبالا على الغالب والمغلوب بالسواء فقد زال سبب كبير من اسباب الحروب وانقرضت حروب الفتوحات عن وجه الارض كما انقرضت من قبلها الحروب الدينية وحروب الاسر المالكة

الافكار تقود العالم عاجلا أو آجلا . لكنها لا تقوده ما لم تتحول الى عواطف . وهذا التحول يستغرق وقتاً طويلا لا سيما اذا كانت الفكرة الجديدة مضادة لفكرة قديمة متوارثة كانت تصح في ما مضى . فالحروب اليوم لا تجدي نفعاً للمنتصر نظراً للروابط الصناعية والزراعية والمالية التي تزيد كل يوم بين الامم بحيث ان اقل خلل اقتصادي في احدى الدول العظمى يؤثر في الدول الاخرى . ولكنها كانت في الماضي باب ثروة عظيم

وقد اصبحت الدولة الواحدة في الجيل الاخير أي منذ نحو ٦٠ سنة كالتاجر الذي لا يقدر ان يضر زبائنه بدون ان يضر نفسه لان كل دولة من الدول الكبرى لها علاقات تجارية وادبية مع سائر الدول

وقد بيّن الكتاب الاجتماعيون الدرجة التي بلغها العالم من الارتباط المتبادل بحيث ان حرباً بين الدول العظمى تجر وبالاً على كل الدول المتحاربة سواء كانت منصورة أو مكسورة . واخص بالذكر بينهم المستر نورمن انجل صاحب كتاب « الوهم الاكبر » الذي كان لصدوره ضجة في عالمي السياسة والصحافة وما لبث مدة قصيرة حتى نشرت ترجماته دفعة واحدة في لغات الامم المتمدنة فقد أحدث هذا الكتاب انقلاباً عظيماً في المبادىء السياسية والقواعد الاقتصادية[1] . وغرض المؤلف الاولي منه هو ان يخطىء الرأي العام

(١) راجع مقالة الوهم الاكبر في العددين ٧ و٨ من السنة ٢١ للهلال . وقد نشرت ايضاً على حدة

الذي لا يزال يعتقد ان الحرب تجدي نفعاً للفاتح وان يبين ان لا علاقة اليوم بين اتساع المملكة وازدياد قوتها العسكرية وبين سعادة الامة — وان كان ذلك يصح في الاعصر القديمة فانه لا يصح اليوم وقد احكم ارتباط الامم بعضها ببعض فاصبحت كالجسم اذا تأثر عضو منه شعرت به سائر الاعضاء . وقد اصبحت الدولة اذا اكتسحت بلداً تعجز عن استعباد اهلها والاستيلاء على اموالهم واملاكهم لان العلاقات المالية والاقتصادية التي تربط الامم المتمدنة انما تقوم بالثقة التجارية ولا شيء يضعف هذه الثقة مثل الحرب فاذا اراد الفاتح ان يضع يده على تجارة المغلوب وامواله شعر هو وبلاده والعالم المتمدن باسره بنتائج هذا العمل

وضرب المؤلف مثلاً المنافسة بين انكلترا والمانيا فقال : لنفرض ان المانيا اكتسحت إنكلترا فلا شك ان ما يتبادر الى الذهن لاول وهلة أن ثروة الالمان زادت بذلك وتحسنت جميع احوالهم — ويكاد يكون ذلك من البديهيات . ولكن الظواهر تخدع وهذا الخداع يسهل اكتشافه . فان اكتساح البلاد ونزع ملكية اراضيها اصبح اليوم من المستحيلات . فلا ينتظر مطلقاً اذا اكتسحت المانيا انكلترا أن تستولي على التجارة الانكليزية لان التجارة تتوقف على الارض وما فيها من اسباب الثروة من جهة وعلى الناس من جهة أخرى فما زالت الارض في ايدي اهلها فالتجارة في ايديهم أيضاً ولو فرضنا ان المانيا ذبحت الانكليز صغيرهم وكبيرهم — وهو فرض مستحيل — فانها تخسر عدداً وافراً من عملائها وشاري بضائعها . فيكون عملها هذا بمثابة انتحار تجاري

ورب معترض يقول ان الافضل للمنتصر أن يفرض على المغلوب غرامة حربية كبيرة يستفيد منها . والغرامة في نظر الجمهور ربح صاف للظافر لا ريب فيه لانها ترى وتلمس . لكن الظواهر تخدع هنا ايضاً . فالغرامة تجر الى خسارة تفوق مقدارها لانها تذهب الى خزينة الحكومة فلا يستفيد منها احد فائدة حقيقية . اما الخسارة فانها تمس كل فرد من افراد الامة بسبب توقف التجارة واختلال الحالة الاقتصادية

ولنأخذ مثلاً غرامة فرنسا التي دفعتها لالمانيا سنة ١٨٧٠ . قال احد كتاب الانكليز سنة ١٨٧٢ أي بعد الحرب بقليل « ان فرنسا خسرت في هذه الحرب ١٧ مليار فرنك ونصف مليار أما المانيا فربحت ربحاً صافياً قدره خمسة مليارات فرنك » فحساب كهذا يكاد يقنع القارىء لاول وهلة ولكنه في الحقيقة يدل على جهل السنن الاقتصادية . فقد اهمل الكاتب ما تقدم تلك الحرب من الاستعداد وما تبعها من الضيق المالي . ففي سنة ١٨٨٠ أي بعد الحرب بعشر سنوات كانت الحالة الاقتصادية في فرنسا احسن منها

في المانيا . وكانت المانيا تسعى في اقتراض الاموال من فرنسا . وقد ادت هذه الحالة الى تعكير أيام بسمارك الاخيرة اذ رأى الدولة التي ظن انه قتلها شديدة قوية تفوق بلاده نعمة ورفاهية كأن انكسارها زادها قوة ونشاطاً . وقد قيل أن حرب السبعين اضرت بالمانيا وسائر الدول الاوربية أكثر مما اضرت بفرنسا نفسها

وما عدا الخسارة التي تنتج من توقف الحالة الاقتصادية بسبب ارتباط الامم وتشعب التجارة فللغرامة الحربية نتائج أخرى سيئة . لانها أما أن تبقى في البلاد التي ربحتها أو أن ترسل الى الخارج لتوريد البضائع . فاذا بقيت في الداخل ارتفعت اسعار الحاجيات لان ازدياد النقود يحط قيمتها فما كان يباع بدرهم اصبح يساوي درهماً ونصف درهم أو درهمين واذا ارسلت الى الخارج فالبضائع والمصنوعات التي تستورد مقابل النقود المرسلة لا بد أن تجاري البضائع والمصنوعات الوطنية فتضر بصناعة البلاد

ان الارتباط الدولي يزيد احكاماً في كل يوم لكن الجماهير لم تشعر بعد بقوة هذا الارتباط العظيم فتى شعرت به أهملت الحروب لبس عن عواطف رقيقة وشعور انساني — فمثل هذه العوامل الادبية اذا أثرت في بعض المتنورين فهي لا تقنع الرأي العام — بل لاسباب اقتصادية اذ يعلم الصغير والكبير انها تضره غالباً كان او مغلوباً . ان المصلحة الشخصية هي بلا جدال أقوى محرك للطبيعة البشرية

الحركة السلمية واسباب الحروب

هل يستنتج مما تقدم ان الحروب ستبطل وانه يجب على الدول ان تمتنع عن التأهب للحرب ؟ كلا . فما زالت الآراء السياسية كما هي اليوم اي ما دام الاعتقاد سائداً ان الفتح الحربي يجلب الثروة والسعادة للامة فلا يعقل أن تنقص الميزانيات الحربية بارة واحدة . ولا يزال بعض رجال السياسة يعتقدون بفوائد حروب الفتوحات وقد كلف انكلترا هذا الاختبار ٦ مليارات فرنك أنفقتها للاستيلاء على الترنسفال ولم تستفد منه بارة واحدة لا سيما بعد ان منحته الاستقلال الاداري التام . فاذا كانت هذه حالة رجال السياسة فكيف بالجماهير التي لا تقتنع بالمعقول وانما تقودها عواطفها . لكن متى استحالت هذه الفكرة الى عاطفة واصبحت غريزية عند الناس حينئذ يرجى ابطال حروب الفتوحات

ثم انه يبقى للحروب اسباب أخرى اليك أهمها :

١ — أسباب أخلاقية : من أهم أسباب الحروب فضلا عن الاسباب الاقتصادية الغرائز الطبيعية في الانسان كالمنافسة والكبرياء والحسد والاخذ بالثأر ونحوها من العواطف

الغريزية . وهذه الاسباب تقوى مع ازدياد سلطة الجماهير . فالجمهور تقوده عواطفه اكثر من الملوك الذين كانوا في كثير من الاحيان عقلاء قابلين للاخذ والرد

٢ — مصالح بعض طبقات الامة : في كل أمة طبقة من أعضائها ترتزق من وراء الحرب بقطع النظر عن الضباط والقواد كمعامل الاسلحة والسفن الحربية التي يشتغل فيها ألوف العمال ولها أرباح باهظة . نخص بالذكر منها معامل كروب الشهيرة في أسن وعندها وحدها اكثر من ٧٠٠٠٠ عامل لو توقفت المانيا عن التسليح أصبحوا بلا عمل والامبراطور غليوم اكبر مساهم في هذه الشركة . وقد ظهر مؤخراً أن هذه المعامل تسعى جهدها في تهييج الرأي العام بواسطة الجرائد التي تشتريها بالمال فتحمل الحملات الشنيعة ضد فرنسا وتجبر الحكومة على ازدياد التسليح والتأهب . وهذا طبعاً من صالح صانعي الاسلحة والسفن الحربية

٣ — تناسل بعض الشعوب وضيق بلادهم عنهم : هذا سبب مهم من أسباب الحروب في الماضي والحاضر فتناسل الشعوب الجرمانية ألجأها الى اكتساح الدولة الرومانية وتناسل اليابانيين جعلهم يستولون على كوريا وتناسل الايتاليان سبب حرب طرابلس الغرب بين الدولة وايتاليا ويخشى في المستقبل ان يسبب اكتساح الروس لاوربا . الا ان المهاجرة السلمية كما هي شائعة اليوم في أميركا أقل خطراً وأكثر فائدة

٤ — تسلسل الحوادث وارتباطها : الحوادث التاريخية مرتبطة بعضها مع بعض كل الارتباط . اعتبر الحروب التي حصلت في السنوات الثلاث الماضية تجدها نشأت الواحدة عن الاخرى : أولها الحرب الطرابلسية شهرتها ايتاليا لما رأت ما عليه تركيا من الضعف فاستولت على طرابلس . ولم تكد تنتهي هذه الحرب حتى بدأت الحرب البلقانية وسببها ان الامم البلقانية اغتنمت فرصة ضيق تركيا وتعبها من الحرب الطرابلسية فشهرت عليها الحرب . وهذه الحرب الاوربية جاءت تتمة للحرب البلقانية فقد اختل بعدها التوازن الاوربي ورجحت كفة الاتفاق الثلاثي اذ قويت دول البلقان السلافية وحالت دون مطامع النمسا فضلاً عن كون الجيش النمساوي أصبح مقسوماً لاضطراره ان يحفظ جزءاً منه على الحدود الجنوبية خوفاً من السرب فلما شعرت المانيا بذلك أوجست شراً فلم ترَ بداً من زيادة جيشها لتعويض ضعف جيش النمسا حليفتها

فرجال السياسة والمالية قلما ينظرون الى نتائج أعمالهم البعيدة بل هم معذورون لانه يتعذر التنبؤ عن الحوادث السياسية والحالة على ما هي من التعقيد والتركيب . خذ مثلاً القروض التي أقرضتها فرنسا لروسيا فانها لم تحلم دقيقة ان هذا المال سيذهب الى المانيا .

لـكن هكذا كان الواقع فان تجارة المانيا مع روسيا أصبحت ثلاثة أضعاف ما كانت

٥ — نفقات التسليح : ان المنافسة بين الدول من هذا القبيل عظيمة جداً والنفقات التي تذهب في هذا السبيل باهظة لا يحصرها التصور . ولا بد ان تبلغ هذه المنافسة درجـة تولد الفقر والبؤس بين الناس فيثورون فتلتزم حكومتهم ان تشهر الحرب على منازعها السيادة

هذه بعض أسباب الحروب وبالاجمال فقد رأينا ان الملاقات بين الدول أحط من حيث الادب منها عند الافراد لعدم وجود قانون ترجع اليه وسلطة تعاقب من يخالفه

السيف

لنفع ترتجى ام لرداء تهذبك الصياقل والقيون ؟
ارى حدًا ادق من الهباء واشراقاً تغض له الجفون
واعطافاً تلين مع الهواء وتقطع كل صلب لا يلين
ولم تخلق لاعمال البناء ولا الفن تنقش أو تزين
ولا للزرع تضرب في الفضاء فيخرج تحتك الكنز الدفين
جبينك فوقه قطرات ماء وما تعب به عرق الجبين
وقد خضبوك من شمس المساء رقيق الشفرتين فمن تكون

وأي مزية لك في المضاء ؟

انا السيف الذي للفتح يدعى وجودي شر آفات الوجود
تمد لي الملوك يداً فاسعى بقبضتها الى فتح اللحود
فتدفع بي الجنود الموت دفعاً وشغلي ضرب أعناق الجنود
ويهوي التاج من خديَّ لماً وكم لهواي من تاج شهيد
ولن أنفك بالاطماع أرعى حروب الناس من بيض وسود
فأروي ذا التراب دماً ودمعاً وأقطع زهرة النسل الجديد
الى ان تلبس الاجساد درعاً مناعتها أشد من الحديد
يحيك نسيجها « حق البقاء »

الدكتور نقولا فياض

الغرام في قصور الملوك

سجلات تاريخية مجهولة

كاترين الاولى امبراطورة روسيا

سننشر في هذا الجزء وما يليه من أجزاء الهلال صفحات مطوية من تاريخ الغرام في قصور الملوك . وهذه الفصول منقولة عن مصادر تاريخية مجهولة عند أكثر الناس ولكنها ذات طلاوة تروق للقارىء . ونبدأ اليوم بحديث عن كاترين الاولى زوجة بطرس الأكبر وامبراطورة الروس

قلما تجد في تواريخ أصحاب العروش سيرة أدعى الى الدهشة والاستغراب من سيرة هذه الامبراطورة الوضيعة الاصل . ويؤخذ من أقوال معاصريها من رجال البلاط الرومي وغيرهم انها لم تكن على شيء من الجمال ولكنها تمكنت بدهائها من استخدام ملامحها فاصطادت بشراك غرامها حاكم أكبر امبراطورية في ذلك الزمن

ويؤخذ من المصادر التاريخية ان اصل كاترين ليس معروفاً بالتدقيق حتى ولا يعلم لقبها أو تاريخ ميلادها أو مسقط رأسها . وغاية ما وصل اليه الباحثون انها ولدت على الارجح في قرية من قرى أسوج أو بولندا حوالي سنة ١٦٨٥ للميلاد من أبوين فقيرين وكان لها اخوة واخوات عدّة غلب عليهم لقب سكوفرونسكي . اما اسمها الذي عرفت به فيما بعد فقد منحها أياه بطرس الاكبر

ولما بلغت السابعة عشرة من عمرها دخلت في خدمة القس كاوك راعي كنيسة مارنبرج . فكانت تقوم بخدمته وتعتني باولاده وتنظف بيته وتغسل الثياب وتؤدي جميع الواجبات المطلوبة من خادمة مثلها . واتفق ان الجيوش الروسية كانت تحاصر يومئذ مدينة مارنبرج المذكورة ولم يعد في استطاعة قائد الحامية ان يدافع عنها فعزم ان ينسف حصونها قبل ان يسلمها الى الاعداء . وخيَّر الاهالي بين الموت داخل المدينة أو الموت بين الاعداء . فاختار القس كاوك الخروج من المدينة وانطلق هو وأهل بيته وخادمته مارتا (وهي كاترين صاحبة هذه الترجمة) الى معسكر الروس وطلبوا الرحمة من قائد الجيش المحاصر . فلما رأى القائد نضارة مارتا وملامحها الفتانة وقعت في نفسه موقعاً حسناً فارسل القس وأهل بيته أسرى الى موسكو واستبقى مارتا عنده

ولم تمر بضعة أيام حتى كسبت مارتا مودة جميع الضباط ورجال الجيش الذين كانت

بينهم . فكانوا يأنسون الى حديثها ويسرون بمسامرتها ويتسابقون الى اكتساب مرضاتها لدماثة اخلاقها وشدة دهائها

***

ومن ذلك الحين بدأ نجم سعدها بالصعود فلم يمر زمن طويل حتى كثر الحائمون حولها ومعظمهم من ضباط الجيش . فكانت تراضي جميعهم وتستميل قلوبهم ولا تدع لهم مجالاً للغيرة أو التحاسد . ويظهر انها أحبت واحداً منهم حباً مبرحاً وولعت به ولعاً شديداً . وكان هو ايضاً كلفاً بها في اول الامر ولكنه لم يلبث ان ضجر منها فهجرها ولم يعد يعبأ بها . أما هي فكظمت لوعتها وكتمت ما كان يختلج بفؤادها وقالت في نفسها ان الزمان هو الطبيب الشافي لي من هذا الحب فلعله لا تمر بضعة أيام حتى اتغلب على عواطفي

وبعد زمن قصير دخلت في خدمة منشيكوف صديق الامبراطور الحميم بصفة وصيفة له . ولكن وظيفتها لم تحل دون وقوع مولاها في شرك غرامها . فصار ملازماً لها في جميع حركاتها وسكناتها . واضطر مرة ان يسافر الى مدينة ويتسبك بمهمة سياسية فلم يكد يبعد عن مارتا قليلا حتى شعر بشوق اليها فكتب يستقدمها اليه فذهبت واقامت معه الى حين انقضاء مهمته

واتفق بعد عودته الى موسكو ان زاره الامبراطور بطرس الاكبر في منزله ودهش لما رآه من دلائل الترتيب والنظافة في بيته وسأله عن سر ذلك . فلم يجبه الوزير بشيء بل ازاح ستاراً ظهرت من ورائه مارتا لابسة صدرة (مريولا) وهي تمسح الغرفة الملاصقة وتنظف زجاج النوافذ . فأثر المشهد في نفس الامبراطور وطلب من صديقه أن يعرفه بوصيفته

ان القلم يعجز عن وصف المقابلة التي جرت بين الوصيفة والامبراطور في تلك الساعة . وقد حار بعض المؤرخين في تعليل ذلك التأثير لانهم انكروا ان مارتا (التي دعيت كاترين فيما بعد) كانت على شيء من الجمال المفرط . على ان عين الحب عمياء ومهما تكن ملامح مارتا بسيطة فانها أثرت في نفس بطرس الاكبر تأثيراً لم يمحه مرور الزمان بل لزمه حتى آخر دقيقة من حياته

ولا حاجة الى القول بان الامبراطور تمكن من اخذ كاترين من صديقه الوزير وجعلها في البلاط . وكان يتفانى في اظهار حبه لها اكتساباً لمرضاتها ويفعل كل ما يسرها ويغدق عليها المنح والهدايا . قيل انه دخل ذات يوم الى غرفتها فوجدها نائمة . وكان قد

جاءها بشيء كثير من الحلى والجواهر هدية لها . فلما استيقظت ورأت ما حولها من تلك المصوغات تظاهرت بقليل من الإباء وخاطبت الامبراطور بلهجة عتاب لطيف قائلة : « وهل تحتاج ان ترشوني لتنال حبي يا مولاي ؟ » فسر الامبراطور من كلامها وزاد قدرها في عينيه

ومما ساعدها على نيل المكانة الرفيعة التي بلغتها في بلاط الامبراطور انها كانت دمثة الخلق مع الجميع صبوحة الوجه تبش للكل ولا تتصنع في اعمالها واقوالها . وقد كانت هي وحدها القادرة أن تخفف حدة الامبراطور اذا انتابته سورة الغضب . فكانت تقترب منه وتلقي ذراعيها حول عنقه وتقبله فيهدأ تأثره وتنقلب عبوسته الى ابتسامة تدل على الرضى والسرور . ويظهر ان رنة صوتها كانت تؤثر في نفسه فكان يطرب لكل كلمة تقولها

هكذا كانت هذه المرأة تزداد رفعة ومقاماً في نظر الامبراطور وفي البلاط كله . فلم تعقد حفلة بدونها ولا كان الامبراطور يسر باجتماع لا تحضر فيه . والحق ان التاريخ يشهد لحكمتها ودهائها فانها كثيراً ما ابدت النصائح الثمينة لبطرس الاكبر مما كان له احسن تأثير في ادارة شؤون المملكة

ويؤخذ من اقوال بعض المؤرخين ان الامبراطور تزوجها سراً وكان يهتم بها كل الاهتمام . فلما خرج في سنة ١٧٠٨ من موسكو لينضم الى جيشه ترك وراءه وصية بخط يده جاء فيها : « اذا شاء الله ان اموت قبل ان اعود الى عاصمة مملكتي فانني اوصي لكاترين وابنتها بثلاثة الاف روبل » . وهذه الوصية تدل على ان كاترين كانت قد ولدت للامبراطور اولاداً وهو الواقع مع ان زواجهما لم يكن علناً . ومهما يكن فان الامبراطور عزم بعد رجوعه الى موسكو ان يتزوجها رسمياً ففعل ذلك في سنة ١٧١٢

ومنذ ذلك اليوم بدأت سلسلة حفلات وولائم قلما شهد البلاط الروسي افخم منها وابهى . ولم يكن لكاترين اعداء لا في البلاط ولا خارج البلاط لان اخلاقها الرضية وحسن معشرها وشدة دهائها كسبت لها مودة الجميع

وهكذا بلغت تلك الوصيفة مكانة من الشهرة والعظمة تحسدها عليها الملكات والاميرات مع انها كما ذكرنا لم تكن على شيء مفرط من الجمال . وفي قصور ملوك الروس صور عديدة تمثلها بهيئات مختلفة وهي في جميعها بسيطة الملامح لولا ذبول في عينيها يكسبها مسحة من الجمال

على انها وان لم تكن فائقة الجمال في عيون الناس فقد كانت كذلك في نظر زوجها

الامبراطور . وقد كان شديد التعلق بها يقرب حبه لها من العبادة . وسرى ذلك الحب الى الجيش كله فكان القواد الكبار والصغار يظهرون لها ودّاً واحتراماً عظيمين فقد كانت تستعرضهم بصحبة زوجها الامبراطور وتحضر في جميع ولائمهم وحفلاتهم وتصحبهم في خيامهم وتشاطرهم افراحهم ومشقاتهم . وكانت في جميع احوال حياتها لا يخلو ثغرها من ابتسامة ترفع مكانتها لدى الناظر اليها . ومما زادهم اعجاباً بها انها كانت تمتطي صهوة جوادها وتقف مع الجيش المحارب وقنابل الاعداء تتساقط حولها والقتلى تتكردس امامها وهي ثابتة على صهوة جوادها تبتسم ابتسامة الظافر المنتصر

وقد شهد جميع الذين رأوها وعرفوها انها لم يكن قط يبدو عليها شيء من دلائل الغرور فلم تكن تخجل من الاشارة الى ضعة اصلها ونسبها بل بالعكس تباهي بهما ولا تجد موضوعاً ألذ من الحديث عن اهلها وما كانوا عليه من ضعة النسب . وكثيراً ما كانت تذكّر زوجها الامبراطور بانها كانت وصيفة عند وزيره تغسل له ثيابه وتقوم بترتيب بيته فيضحك الامبراطور لكلامها ويطرب لرخامة صوتها

ولو شئنا ان نورد الرسائل الغرامية التي كان يتبادلها بطرس وكاترين لملأنا بها المجلدات الضخمة . ولم تنقطع تلك الرسائل بعد زواجهما بل ظلا يتراسلان كلما ابتعد احدهما عن الآخر يوماً او يومين . وكان بطرس يخاطبها بقوله «حبيبتي» و«معبودتي» و« ملاكي » و« حبة فؤادي» الى غير ذلك من الالقاب الدالة على تمكن حبها من قلبه . قيل انه فارقها مرة مدة أسبوع كان يراسلها في خلاله كل يوم . ولما لم يعد في وسعه الصبر على فراقها ارسل سفينته الخاصة (يخته) ليقلّها اليه وكتب يقول لها : « كيفما التفت حولي ارى العالم اشبه بفراغ عظيم لانكِ لستِ بقربي . وقد تملّكني الملل فكلما دخلت غرفة اجدها فارغة مقفرة فاشعر اذ ذاك بدافع يدفعني الى اللحاق بك اينما كنت وحيثما تقيمين . فلماذا انت بعيدة عني يا كاترين وانت تعلمين شدة ما اعانيه من لوعة الفراق ؟ هوذا الحياة كلها ملل وسامة بدونك ايتها الحبيبة »

وكان الامبراطور يبعث اليها مع كل رسالة بهدية فاخرة فمرة يرسل اليها ساعة واخرى حلية ثمينة . ولم يكن يبخل بشيء في سبيل مسرتها . وكانت هي ايضاً تهدي اليه هدايا متنوعة أثمنها في نظره خصل من شعرها وازهار يابسة وكانت ترسل مع الهدايا رسائل تشف عن دهاء واخلاص . وارسل اليها على اثر معاهدة نيشتاد يقول : « انني مضطر بحسب شروط هذه المعاهدة ان اعيد جميع الاسرى الليفونيين الى ملك اسوج . ولما كنت انت واحدة منهم فلا اعلم ماذا اصنع » فكتبت اليه تقول : « ألست خادمتك

الامينة ؟ اصنع بي ما يحسن في عينيك . أنما آمل ان لا تطردني من بيتك »

وظلت الامور تجري على هذا المنوال وربط الحب تقوى بين بطرس وكاترين التي لم تكن تدع فرصة تمر دون ان تظهر لزوجها دلائل الود والاخلاص . وكان رجال البلاط يسعون لاستمالتها الى التطفل على شؤون المملكة السياسية ولكنها كانت تمتنع عن تلك المداخلة الا اذا كان المقصود منها استصدار عفو عن مجرم أو ما اشبه . ولم يكن الامبراطور يرد لها طلباً من هذا القبيل ولكنها كانت شديدة الاحتراس فلا تغالي في مطالبها

ومع ان كاترين بلغت هذه الرفعة من المنزلة لدى الامبراطور لم تنس قط اهلها في ليفونيا . وكان احد اخوتها حوذياً (سائق مركبة) والآخر اسكافياً والاخر فلاحاً والآخر خادماً فاستقدمت جميعهم وقدمتهم الى زوجها فاغدق عليهم العطايا وفرض لهم جعلاً سنوياً يتقاضونه هم ونسلهم من بعدهم . واستقدمت اخواتها أيضاً وفسحت لهنَّ مقاصير في البلاط الروسي يقمن فيها مدى العمر واستحصلت لهن القاب شرف من زوجها تتفق مع مقامها في البلاط

واتفق في ذلك الزمن ان الامبراطور بطرس كان قد حكم على ولي عهده الكسيس بالموت لاسباب سياسية لا محل لبسطها هنا . ثم عفا عنه ولكن الكسيس مات في سجنه على ما هو معروف في التاريخ . فخلا الجو اذ ذاك لان كاترين فعينه بطرس الاكبر وارثاً للعرش . وهكذا تمت الحلقة الاخيرة من السلسلة التي كانت تربط بطرس بكاترين ولم يبق الا ان يوضع التاج على رأسها لتصبح امبراطورة بالاسم والفعل معاً . وقد تم لها ذلك في شهر مايو من سنة ١٧٢٩ . فاقيمت الاحتفالات الشائقة في موسكو ولم يذخر بطرس الاكبر وسعاً في سبيل جعل الحفلات فريدة في بابها . فامر بصنع تاج جديد لكاترين من افخم ما رأته عين . قيل انه انفق على صنعه مليوناً ونصفاً من الروبلات وعلى ثوب التتويج (الذي صنع في باريس) اربعة آلاف روبل . وكان الامبراطور قد امر ايضاً بصنع مركبة خاصة في باريس لهذه الحفلة . قيل انه عندما وضع بطرس التاج على رأس كاترين وقعت على قدميه تبكي من شدة الفرح

***

ولم يكد يمر ردح من الزمن على تتويج كاترين حتى حدث ما كاد يسقطها من شاهق مجدها ويذهب بمكانتها . ذلك أنها كانت محاطة بكثيرين من رجال البلاط الذين كانوا يتوددون اليها . ومنهم وليم مونس اخ المدموازيل مونس التي كانت سابقاً

مخيلة الامبراطور . قيل انه نشأت بين مونس وكاترين علاقات غرامية انتشر خبرها في البلاط ولم يكن أحد يجسر ان يطلع الامبراطور عليها خوفاً من غضبه . ولكن الامبراطور علم بها فيما بعد فانه باغت "عشيقين ذات ليلة تمشيان في الحديقة على نور القمر وقد احتضن أحدهما الآخر . وفي نفس تلك الليلة أمر الامبراطور بالقاء القبض على مونس والاتيان به اليه . فلما مثل بين يديه اعترف بذنبه . وللحال أمر الامبراطور بقتله . قيل انه قتل بينما كانت كاترين ترقص على وقع الآلات الموسيقية في احدى حفلات البلاط وعلى ثغرها ابتسامة على رغم ما في قلبها من الحزن . وفي الصباح التالي أركبها الامبراطور الى جانبه ومرّ معها بجثة عشيقها معلقة في أحد الميادين العمومية . فلم تبس كاترين بكلمة بل حوّلت نظرها عن ذلك المشهد الى وجه زوجها الامبراطور وهي تتكلف التبسم متجاهلة غرض الامبراطور من اختيار تلك النزهة الفظيعة . ولم يكتف الامبراطور بهذا الانتقام بل وضع رأس القتيل في زجاجة مملوءة بالكحول وجعل الزجاجة في غرفة كاترين . ولما رأى ان كاترين كانت تتجاهل أسباب ذلك كله اشتد غضبه ذات يوم فامسك بوعاء ثمين وقذف به على الارض فحطمه تحطيماً وقال لكاترين : « هكذا سأحطم اعدائي ! » فاجابته بكل هدوء : « لقد حطمت وعاء ثميناً كان يزين هذا القصر فهل تظن انك زدت بلاطك جمالاً ؟ »

وظل الامبراطور غضوباً على كاترين مدة من الزمن . ولكنها لم يصعب عليها ان تستعيد مقامها لديه . فغفر لها ما مضى وعاد الى اغداق نعمه عليها الى ان أدركته الوفاة ففارقها وهو لا يزال أميناً على حبها . الا انها لم ترع عهود وداده . فانها لم تكد تواريه في لحده حتى أخذت تتمتع بحريتها وتحيي الحفلات الراقصة . واندفعت في اللهو والخلاعة تاركة شؤون المملكة بيد منشيكوف الى ان أدركتها الوفاة بعد صيرورتها امبراطورة بسنة وأربعة أشهر

لاحمد بن محمد المقري في وصف روض :ـ

ورياض تخال منها غصون ... في برود من زهرها وعقودِ
فكأنّ الأدواح فيها غوان ... تتبارى زهواً بحسن القدودِ
وكأن الاطيار فيها قيان ... تتغنى في كل عود بعودِ
وكأن الازهار في حومة الرو ... ض سيوف تسل تحت بنودِ

الاسلحة النارية الحديثة

تتوقف نتائج الحروب على ثلاثة شروط مهمة وهي المال والرجال والسلاح . فكلما تفوقت أمة على غيرها بهذه العوامل في زمن الحرب كان فوزها أضمن ونجاحها أتم . ولعلّ المعول على الشرط الاخير أي السلاح أشد من المعول على الشرطين الاولين أي المال والرجال . يدلك على ذلك ان هذين العاملين لم يتغيرا عما كانا عليه في الحروب القديمة بخلاف السلاح فقد طرأ عليه تدرج في سلم النشوء زاد في أهميته حتى أفضى الى تغيير الخطط الحربية وقلبها رأساً على عقب . ولا مشاحة في ان كل تحسين تدخله الامم على السلاح يغير مجرى الحروب ويعدل خططها

كان الاقدمون يعولون في حروبهم على القسي والسلاح الابيض ثم تدرجوا الى اختراع المجانق لاجل الحصار . الا ان قوانين الحروب لم تتغير تغيراً محسوساً الا بعد اختراع البارود واستخدام الاسلحة النارية . ويدخل تحت هذا السلاح أنواع كثيرة من الادوات كالمدافع الضخمة والمدافع الصغيرة والمدافع الجبلية ومدافع الميدان ومدافع الحصار والمدافع الرشاشة والبنادق على أنواعها و « الطبنجات » والمفرقعات والآلات المدمرة المعروفة بالطوربيد الى غير ذلك من أدوات الهلاك

ويرجع استخدام الاسلحة النارية الى زمن قديم ولكنها كانت عند أول اختراعها ناقصة يعوزها الاتقان ولم تبلغ ما بلغته الا ن من الكمال الا بعد مرور عدة قرون نشأت في خلالها نشوءاً تدريجياً شأن سائر الاختراعات البشرية

ومن أهم التغييرات التي طرأت على المدافع الاخاديد اللولبية من داخل الانبوب بحيث تندفع القنبلة وهي تدور دوراناً لولبياً بدلاً من اندفاعها مستقيماً فان الدورة اللولبية تزيد في قوة القنبلة زيادة هائلة . على ان بعض الباحثين يذهب الى ان تخديد أنبوب المدفع من الداخل كان معروفاً عند ختام القرن الخامس عشر وان روتسبان الانكليزي سجل امتيازاً بذلك في سنة ١٦٣٥ . ولا نزال في متحف برلين مدفع يرجع تاريخه الى سنة ١٦٦٤ ولانبوبه ثلاثة عشر أخدوداً لولبياً . على ان أول من استعمل المدافع المخددة لويس نابوليون وذلك في حروبه مع ايطاليا في سنة ١٨٥٩ وبعد ذلك بسنتين استعملها الجنرال جيمس الاميركاني

أما المدافع ذوات « المخازن » فقد ظهرت أولا في أميركا في سنة ١٨٤٩ ثم ظهر نوع آخر منها في سنة ١٨٦٠ . على انها كانت في الحقيقة تقليدا للعيارات النارية (الطبنجات)

التي عم استعمالها من سنة ١٤٨٠ الى ١٥٠٠ . وفي برج لندن بارودة من هذا النوع ترجع الى القرن الخامس عشر وبارودة أخرى ترجع الى سنة ١٧١٨ ذات « مخزنين » أحدهما للرصاص الكروي والآخر للرصاص المكعب

المدافع الحديثة

أما المدافع الحديثة فنوعان — مدافع البحر ومدافع البر . وكل من هذين النوعين يشتمل على أنواع أخرى كثيرة . فاما مدافع البحر فمنها ما هو ضخم ويستعمل لنسف السفن المدرعة أو الحصون التي على السواحل . ويدخل تحت هذا النوع المدافع التي قطر فوهتها أثنا عشر قيراطاً (بوصه) فصاعداً وأضخمها المدفع الذي قطر فوهته خمسة عشر قيراطاً وهو نادر لا تجده الا في البوارج البريطانية التي من طرز « سوبر دردنوط » وفعله هائل لا يكاد يتصوره العقل . ويتراوح طول هذه المدافع ما بين خمسة عشر متراً وعشرين متراً . وهذا المدفع هو النوع المسلحة به قناة بناما . أما طريقة صنعه فشاقة متعبة

أما مدافع البحر الصغرى فيتراوح قطر فوهتها بين الثلاثة قراريط والعشرة وبعضها سريعة الطلقات وأكثر استعمالها في محاربة سفن الطوربيد والمدمرات التي ليس من الحكمة محاربتها بالمدافع الضخمة لما في ذلك من الاتلاف والتبذير

أما مدافع البر فاهمها مدافع الحصون وهي شبيهة بمدافع البحر لان مهمتها شبيهة بمهمة تلك . فالكبيرة منها هي لمحاربة السفن المهاجمة والصغيرة لمنع انزال الجنود الى البر

وهنالك مدافع الميدان ومعظمها صغيرة تسير على مركبات تسهيلاً لنقلها وهي تصحب المشاة غالباً . على ان منها ما تسير مع الفرسان وهي أصغر حجماً وأخف وزناً

بقيت المدافع الجبلية ومدافع الحصار . فالاولى خفيفة جداً يسهل نقلها على الجبال وهي تتألف من قطع صغيرة يمكن تفكيكها ونقلها في الاحادير والمرتفعات على ظهور الخيل وأما مدافع الحصار فهي اضخم من مدافع الميدان ولكن يمكن نقلها بسهولة وان لم يكن بسرعة وهي غالباً في مؤخرة الجيش وغرضها ان تحمي الجيش من نيران المهاجمين ومن هذا النوع المدفع الذي قطر فوهته ٤.٧ قيراط واول اشتهاره في حرب الترنسفال

وهنالك عدا ما ذكرناه مدافع اخرى يطول بنا شرحها ولكنها اقل اهمية من المدافع التي اشرنا اليها . واهمها « المدفع المتحرك بنفسه » او الميكانيكي وهو اذا عولج بطريقة معينة توالت طلقاته العديدة من تلقاء ذاتهـا . الا ان قنابله صغيرة الحجم تكاد تماثل رصاص البنادق

توجيه القنابل

اما توجيه القنابل فعلى اسلوبين : الاول اطلاقها على العدو افقياً . والثاني اطلاقها بحيث تتساقط على العدو من فوق

وهذا ما تفعله مدافع « الهونزر » وهي مدافع قصيرة ضخمة قلما تستعمل في السفن الحربية . والقنابل التي تقذفها تسير على خط متقوس الى ان تقع على الهدف . والتمرين على اطلاق هذه المدافع هو باطلاقها على اهداف افقية أو مربعات على الارض

اما القنابل العادية فتسير مبدئياً على خط مستقيم ولكنها كلما ابتعدت عن فوهة المدفع اخذت في الانحناء نحو الارض بسبب ناموس الجاذبية . والحقيقة ان سير القنبلة هو جهاد مستمر بينها من الجهة الواحدة وبين الهواء المحيط بها وقوة الجاذبية التي تجذبها من جهة اخرى . فهي تخرج من فوهة المدفع ولها سرعة عظيمة ولكنها لا تلبث ان تبتعد قليلاً حتى تقل سرعتها بالتدريج . وكلما زادت سرعتها كان اتجاهها اقل تقوساً واشد استقامة . ولذلك يجتهد صانع الاسلحة ان يجعل مسير القنبلة سريعاً جداً وهذا سر تفوّق بعض المدافع على غيرها

اما القوة التي تدفع بها القنبلة فتتوقف على اعتبارات شتى اهمها حجم القنبلة وشكلها باعتبار انبوب المدفع . فقد كان صانعو الاسلحة يجهلون اهمية هذا الاعتبار فلم تكن القنبلة تملأ انبوب المدفع بحيث تسده سدًّا محكماً بل كان محيطها أصغر من قطر الانبوب فكان جزء من البارود الذي يدفعها يفلت من حول القنبلة ويذهب ضياعاً . وبمرور الزمن ازداد صانعو الاسلحة خبرة فرأوا ان في ضياع جانب من البارود الدافع للقنبلة أضعافاً للقوة . فصاروا يصنعون القنبلة بحيث تسد الانبوب سدًّا محكماً ولا تدع شيئاً من البارود يفلت من جوانبها ويذهب ضياعاً

ثم ان المواد التي كانت تُصنع منها المدافع قديماً لم تكن صلبة فكان يخشى من حدوث انفجار في المدفع عند انطلاق القنبلة . ولم تصنع المدافع من الحديد المشغول الا في ايام حرب القرم . ثم جاء السر هنري بسيمر فاخترع نوعاً من الصلب (الفولاذ) المشغول لصنع المدافع وتوالت الاكتشافات بعده وظل المخترعون يحسنون طريقة صنع المدافع والمواد التي تستعمل منها حتى بلغت حالتها الحاضرة

وكانت القنابل قديماً كروية أو مكعبة وأما اليوم فانها في الغالب مستطيلة بشكل اسطوانات مخروطة الطرف الواحد وسبب ذلك انها في اندفاعها تكون أشد فتكاً بالهدف

هذا أهم ما يقال في صناعة المدفع ومعظمه يصدق على صناعة البندقيات أيضاً

شذرات عن الحرب الحاضرة

مجموعة من ادق المصادر واصحها

يتشوق الناس اليوم للوقوف على أخبار الحرب الناشبة والاطلاع على كل ما له علاقة بها . وقد توفقنا الى جمع الشذرات الآتية من أدق المصادر وأصحها

الدول المتحاربة
وغرض كل منها

هي المانيا والنمسا من جهة . وانكلترا وفرنسا وروسيا والبلجيك والجبل الاسود واليابان والسرب من جهة اخرى . وقد دخلت مصر ايضاً في هذه الحرب

ولكل دولة من الدول المتحاربة اليوم اغراض معينة هاك ملخصها : —

(١) غرض النمسا — معاقبة السرب من أجل المؤامرة المزعومة التي افضت الى قتل الارشيدوق فرنسوا فردينان . والرغبة في ضم السرب الى املاك النمسا والحصول على ميناء على بحر ايجه

(٢) غرض السرب — الدفاع عن كيانها . والسعي في ضم البوسنه والهرسك الى املاكها

(٣) غرض روسيا — الدفاع عن الشعوب السلافية في ولايات البلقان . والسعي في الوصول الى ميناء على البحر الابيض المتوسط

(٤) غرض المانيا — مساعدة حليفتها النمسا في حملتها على السرب . والوصول الى ميناء على بحر ايجه والبحر الابيض المتوسط عن طريق النمسا والسرب . والدفاع عن كيانها ضد روسيا وفرنسا

(٥) غرض البلجيك — الدفاع عن حيادها بعد ان انتهكت المانيا حرمته

(٦) غرض فرنسا — مساعدة البلجيك في دفاعها عن حريتها . والرغبة في استرداد ولايتي الالزاس واللورين اللتين اغتصبتهما المانيا منها في حرب السبعين

(٧) غرض انكلترا — الدفاع عن حياد البلجيك بناء على تعهد سابق منها بهذا الشأن . ومساعدة فرنسا في دفاعها الحق عن كيانها . والسعي في صد التيار الالماني الذي يتهدد التوازن الاوربي

(٨) غرض اليابان — اتمام شروط المعاهدة بينها وبين انكلترا . والانتقام من المانيا لتطفلها وحرمانها ثمرة انتصارها على الصين . ونشر سياستها في الشرق الاقصى وتوثيق عرى الصداقة بينها وبين روسيا عدوتها بالامس لترسيخ اقدامها في كوريا ومنشوريا واكتساب رضى الصين بارجاع مقاطعة كياوتشو اليها بعد اخذها من الالمان . والحصول على مركز سامٍ في الدوائر الدولية في العالم

(٩) غرض الجبل الاسود — مساعدة حليفته سربيا والانتقام من النمسا التي كانت السبب الاكبر في حرمانه ثمرة انتصاراته في الحرب البلقانية

اعلانات الحرب

اعلنت النمسا الحرب على سربيا في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٤ . واعلنتها المانيا على روسيا في ١ اغسطس وفي ٤ اغسطس اعلنتها على البلجيك وفرنسا . وفي منتصف ليل ٥ اغسطس اعلنت انكلترا الحرب على المانيا . وفي ٦ اغسطس اعلنتها النمسا على روسيا . وفي ٧ اغسطس اعلنها الجبل الاسود على النمسا . وفي ١٠ منه اعلنتها فرنسا على النمسا . وفي ١٢ منه اعلنتها انكلترا على النمسا . وفي ١٧ منه اعلنها الجبل الاسود على المانيا . وفي ٢٣ منه اعلنتها اليابان على المانيا . وفي ٢٦ منه اعلنتها النمسا على اليابان



مستر اسكويث رئيس الوزارة الانكليزية



البرت ملك البلجيك

النبوات عن هذه الحرب

هنالك عدة نبوات عن هذه الحرب نذكر أهمها : —

(النبوة الاولى . لعرافة فيانسبرج) في سنة ١٨٤٩ كان غليوم الاول (جد الامبراطور الحالي) ولي عهد بروسيا . فاتفق انه كان ذات يوم في قرية فيانسبرج [١] فقصد عرافة مشهورة فيها ليستشيرها وهو متنكر . فبشرته بانه سيكون يوماً ما امبراطوراً. فسألها متى ؟ فقالت نحن الآن في سنة ١٨٤٩ فاذا جمعت الى هذه السنة مجموع أرقامها (أي ١٨٤٩ + ٩ + ٤ + ٨ + ١) كان تلك السنة التي تحكم فيها أي ١٨٧١ وهي السنة التي توج فيها غليوم الاول امبراطوراً على المانيا . فقال لها وكم من الزمن أحكم ؟ فقالت له اجمع الى سنة ١٨٧١ مجموع ارقامها أي ١٧ فيكون تلك السنة التي تموت فيها أي ١٨٨٨ وقد كان الامر كذلك . فسألها والى متى تدوم مملكتي ؟ فقالت له اجمع الى سنة ١٨٨٨ مجموع أرقامها أي ٢٥ فيكون من ذلك سنة ١٩١٣ أي ان سقوط الامبراطورية الالمانية يكون فيما يلي سنة ١٩١٣

(النبوة الثانية . للدكتور انكوس) ظهرت هذه النبوة في مجلة « المرآة » ومجلة « الكوكب » الفرنسويتين في شهر ابريل من سنة ١٩١٣ بتوقيع بابوس وهو الدكتور انكوس المذكور وملخصها انه ستقع حرب هائلة في القريب العاجل تشترك فيها دول عديدة وتلزم ايطاليا الحياد . فتقضي الروسيا على النمسا وتقضي فرنسا وانكلترا وبقية الحلفاء على المانيا وترجع بروسيا الى ما كانت عليه قبل حرب السبعين ويشرق نجم اللاتين والصقالبة على العالم ولا تأسف المدنية على اضمحلال المدنية الجرمانية

(النبوة الثالثة . لادريان بلادان عن كتاب « ختام النبوات ») تنبأ ادريان بلادان في سنة ١٨٨٠ فقال انه لا يلبث ان يمر جيل (والجيل ٣٣ سنة) حتى تشب حرب طاحنة تشترك فيها معظم دول اوربا . فتزحف المانيا على فرنسا وتدخل بلادها ولكن جيوش فرنسا وأصدقائها توقف سيلها الجارف ثم توردها موارد الحتوف . والويل للطاغية وللمشير بالسوء ....

(النبوة الرابعة . للمدام ماريا شتيفل) لم نقف على تاريخ هذه النبوة بالتمام وهي لا تخرج فى ملخصها عن نبوة ادريان بلادان

(النبوة الخامسة . لاسقف آرس) سيزحف البروسيون على فرنسا فيدمرون ويقتلون وينهبون ولكن يثبت لهم محاربوهم فيضربونهم من خلفهم ويقطعون عنهم كل

(١) وفي رواية اخرى انه ذهب الى لندن لاستشارة عرافة فيها

مؤونة وذخيرة ثم يكرون عليهم فيجتاحون بلادهم ويستردون الالزاس واللورين ويغنمون ربحاً

(النبوة السادسة . نبوة المانيـة) هذه النبوة مأخوذة عن كتاب الماني عنوانه القديسة سيلا . ومؤداها ان المانيا تنمو وتكبر ويرتفع نجم سعدها الى حيث يهابها جميع الناس . ولـكن غطرستها تجعلها مكروهة عند الامم . ثم تظهر دولة في الشمال (روسيا) فتحاربها وتنتصر على الامبراطورية الجرمانية وتسلخ منها قسما من مملكتها

(النبوة السابعة . للكونتس كارولين) كان للكونتس كارولين من أميرات المجر ولد قتل في الحرب سنة ١٨٤٩ . فلفظت لعنة شديدة على الامبراطور فرنسوى جوزيف وهو يومئذ في أيام حداثته . وهاك لعنتها النبوية بنصها الحرفي : « لتحتم السماء وجهنم سعادته . لتنقرض اسرته . ليمت الله كل ذويه والاعزاء لديه . ليقطع خيط حياته وليعش أولاده بالذل والوبال » وقد تمت هذه اللعنة النبوية

(النبوة الثامنة . عن جريدة الديلي نيوز) هي نبوة مأخوذة عن أحد منجمي هذا العصر ادعى فيها انه لا ينقضي شهر اكتوبر حتى يقنع الامبراطور غليوم خصومه بالصلح. ويظهر أن هذه النبوة بعيدة عن الدلائل الحاضرة

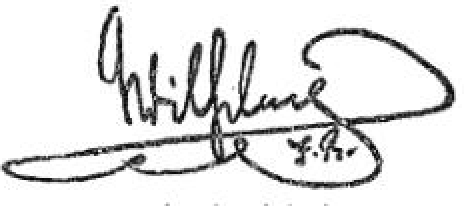
هذه أهم النبوات المتعلقة بهذه الحرب نشرناها لا جزماً بصحتها بل على سبيل الفكاهة . وقد وقفنا على نبوات أخرى كثيرة مثلها ضربنا عنها صفحاً لضيق المقام

نفقات قتل الجندي الواحد

أنفقت فرنسا في حرب السبعين مليارين فرنك على الاعمال الحربية ومليارا لمساعدة المنكوبين وخمسة مليارات غرامة حربية ومليارين فائدة الغرامة الحربية ومجموع ذلك كله عشرت مليارات من الفرنكات أو اربعمئة مليون جنيه . فاذا حسبنا عدد قتلى الالمان في تلك الحرب نحو مئة الف كانت فرنسا قد أنفقت على قتل الجندي الواحد من الاعداء نحو اربعة آلاف جنيه . وقد حسب بعض الاحصائيين ما « تكلفه » كل دولة على قتل الجندي الواحد في هذه الحرب فوجد ان المانيا والنمسا تتكلفان كل منهما نحو ستة الاف جنيه . و« تتكلف » كل من فرنسا وانكلترا وروسيا نحو ثلاثة آلاف واربعمئة جنيه

امضاءات ملوك اوربا

قرأنا مقالة عن امضاءات ملوك اوربا وما يستنتج منها عن اخلاق اصحابها فآثرنا نقل شيء منها . قال الكاتب : تدل كتابة الامبراطور غليوم ووقوفها وتعقيدها والخطوط المحيطة بامضائه الشبيهة بقبضة السيف على النشاط وقوة الارادة والانفة وحب الظهور .



امضاء امبراطور المانيا

اما ملك ايتاليا فامضاؤه متجه كله نحو اليمين أي انه ينظر الى المستقبل مطمح آماله ثم ان اتصال الاحرف بعضها مع بعض يدل على انه يحب توحيد اعماله وتكميلها لكن الخط المتكسر الذي هو نهاية الامضاء يدل على انه يغضب احياناً غضباً شديداً

امضاء ملك ايطاليا امضاء ملك الانجليز

ولعل امضاء الملك جورج الخامس ادل من سواه على التواضع فانه بسيط واضح ليس فيه الا الضروري من الحروف . اما امضاء امبرطور روسيا فمع كونه حاوياً خطوطاً زائدة فانه لا يدل على الكبرياء كامضاء الامبراطور غليوم بل يدل على اللطف وحسن السياسة

امضاء امبراطور النمسا امضاء قيصر روسيا

ويمتاز امضاء امبراطور النمسا بالبساطة يدلك على ذلك عدم استعماله الحروف الكبيرة Majuscule ويستدل من الشرطة السابقة لبدء اسمه انه لم ينس ماضيه ومصائبه الكثيرة

القوات البرية في ساحة القتال منذ شهر اغسطس

	عدد السكان	تحت السلاح	الاحتياطي المدرب	الاحتياطي غير المدرب
النمسا	٤٨٠٠٠٠٠٠	٤٧٢٠٠٠	١٣٤٧٠٠٠	٢٧٠٠٠٠٠
المانيا	٦٤٩٢٦٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٣٢٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠
المجموع	١١٢٩٢٦٠٠٠	١٢٧٢٠٠٠	٤٥٤٧٠٠٠	٥٧٠٠٠٠٠
انكلترا	٤٥٣٧٠٠٠٠	١٥٦٠٠٠	٤٧٦٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠
فرنسا	٣٩٦٠٠٠٠٠	٧٢٧٠٠٠	٣١٥١٠٠٠	١٦٢٢٠٠٠
روسيا	١٢٥٠٠٠٠٠٠	١٢٨٤٠٠٠	٤٦٧٨٠٠٠	٥٥٠٠٠٠٠
المجموع	٢٠٩٩٧٠٠٠٠	٢١٦٧٠٠٠	٨٣٠٥٠٠٠	١٠٦٢٢٠٠٠

مقابلة بين جيوش الدول

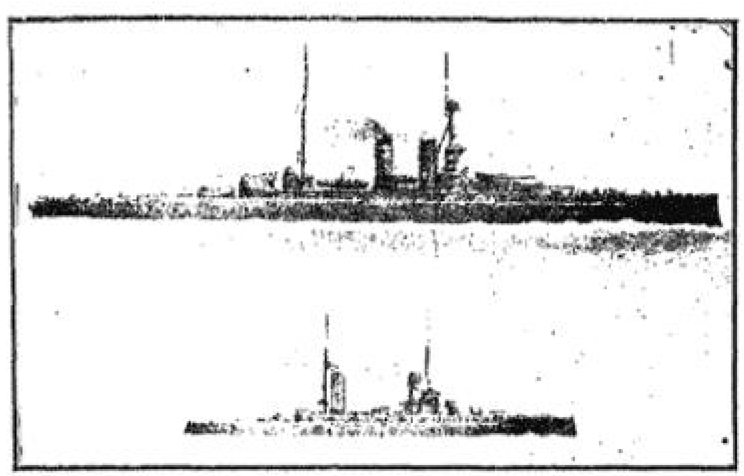


جبل اسود سرب بلجيك انكلترا ايتاليا النمسا فرنسا المانيا روسيا

القوات البحرية في ساحة القتال منذ شهر اغسطس

	عدد السفن الحربية من جميع الانواع	محمولها بالطن
النمسا والمانيا	٣٢٤	١١٥٠٢٣٩
انكلترا وفرنسا وروسيا	٩٦٥	٣١٦٨٠٥١

المقابلة بين اسطولي الفريقين المتحاربين



يمثل الرسم الاعلى اساطيل انكلترا وفرنسا وروسيا . والرسم الادنى اسطولي المانيا والنمسا

عدد المدافع البحرية حتى شهر اغسطس

النمسا والمانيا ٤١٤ مدفعاً

انكلترا وفرنسا وروسيا ١٢٠٦ مدافع

القوات الهوائية حتى شهر اغسطس

	مناطيد (بالونات)	طيارات
المانيا	٢٣	٥٠٠
النمسا	٣	٥٠
انكلترا	١٥	٢٥٠
فرنسا	١٨	٥٠٠
روسيا	٣	٥٠

الاموال المخصصة لاجل الحرب عند الدول

		جنيه ذهب	جنيه فضة
دول الاتفاق	انكلترا	٦٣ ٧٧٦ ٠٠٠	
	فرنسا	١٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٢ ٠٠٠ ٠٠٠
	روسيا	١٧٢ ٢٢٤ ٠٠٠	٨ ٠٠٠ ٠٠٠

المجموع ٤٢٦ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه

دول المحالفة	المانيا النمسا ايطاليا [1]	المجموع ٢١١٤٤٠٠٠٠ جنيه

الاموال المذخورة في المصارف (البنوك) الدولية

	جنيه	المجموع
انكلترا	٤٠٢٠٠٠٠٠٠	
فرنسا	١٨٩٧٠٠٠٠٠	٤٠٤٤٠٠٠٠٠
روسيا	١٧٤٥٠٠٠٠٠	
المانيا	٨٤٥٠٠٠٠٠	١٤٨٧٠٠٠٠٠
النمسا	٦٤٢٠٠٠٠٠	

ديون الدول الاهلية

	جنيه
انكلترا	٧٠٧٠٠٠٠٠٠
فرنسا	١٣١٥٠٠٠٠٠٠
روسيا	٩٠٠٠٠٠٠٠٠
المانيا	٧٤١٠٠٠٠٠٠
النمسا	٧٩٤٠٠٠٠٠٠

نفقات الحرب اليومية

وضع احدهم جدولاً يتضمن النفقات اليومية في الحرب الاوربية على اعتبار ان الدول المتحاربة جندت ٢١ مليون جندي كما يأتي بالجنيه :

٢٧٢٠٠٠٠	طعام الجنود وعلف الخيل
١٠٥٠٠٠٠	معاشات الجنود والفعلة
١٢٨٠٠٠٠	كلفة التنقل
٨٤٠٠٠٠	ثمن خرطوش على معدل ١٠ لكل جندي يومياً

(١) يعلم القراء ان ايطاليا لزمت الحياد في هذه الحرب فتكون الاموال المخصصة لالمانيا والنمسا اقل من العدد المذكور

٢٤٠٠٠٠	ثمن القنابل على معدل ١٠ طاقات لكل مدفع
٨٠٠٠٠	« القنابل للمدافع البحرية على معدل ٢ للواحد يومياً
٩٤٠٠٠٠	تجهيزات وتسليح
١٠٠٠٠٠	كلفة الجرحى والتمريض
١٠٠٠٠٠	نقص المحصول
١٣٦٠٠٠٠	اسعافات للفقراء والمصابين
٤٠٠٠٠٠	تقدير العطالة المسببة عن الحرب
٩٠١٠٠٠٠	المجموع

قواد الجيوش المتحاربة



الغرندوق نقولا قائد الجيش الروسي



الجنرال جوفر قائد الجيش الفرنسوي

وكل الناس مجنون ...

بحث تحليلي بسيكولوجي

لا بد من مسة جنون حتى
في عمل الحكيم . ارسطو

ما أصدق الشاعر العربي في قوله

وكل الناس مجنون ولكن على قدر الهوى اختلف الجنون

فكأنه تنبأ عن آراء العلماء بعده وسبقهم في قوله ان الجنون اكثر شيوعاً مما يظن الناس لاول وهلة وان الفرق بين الرجل الذي تنسب اليه الاختلال العقلي والرجل الذي نسميه سليماً اقل كثيراً مما يعتقد العامة . وكلما تقدم العلم خطوة في حل هذه المعضلة القديمة وفهم حقيقتها قرّب بين العاقل والمجنون . والغرض من هذه المقالة بيان حالة المجنون العقلية وأسباب الاختلال فيها . ومنها يظهر للقارىء أن العاقل مهما عقل لا يخلو في احيان كثيرة من الوقوع في نفس الاحوال التي يقع فيها المجنون ومن ثمَّ يسهل على كلٍّ منا فهم عقل المجنون (ان جاز استعمال هاتين الكلمتين المتنافرتين) بالقياس على أنفسنا فيقل استغرابنا لطرقه وحركاته لاننا نجد فينا جرثومة منها كلها

فعقل المجنون ليس ذلك الخواء الذي يتوهمه الناظر السطحي فان له قواعد وسنن وانما جهلنا يريه لنا خالياً من كل نظام . ولو دققنا النظر لوجدنا لكل عمل من اعمال المجنون بواعث واسباباً معينة ووجدنا أيضاً أن تلك البواعث والاسباب لا تختلف كثيراً عنها في الرجل السليم . ولندرس اولاً ظواهر الجنون ثم نسعَ في تعليلها

ظواهر الجنون

يتعذر درس ظواهر الجنون بالتفصيل لا سيما مع ما هي عليه من التعقيد والتركيب . ولكن يمكن ارجاعها الى قسمين كبيرين : الظواهر العامة والظواهر الخاصة

فالظواهر العامة هي التي تؤثر في قوة العقل على الاجمال كالتغير العام الذي يطرأ على قوى التفكير والذاكرة والاحساس وغيرها وعلى نشاطها وحق قيامها بوظيفتها . فبعض المجانين مثلاً يعجزون عن الشعور كأن عواطفهم خمدت والبعض الآخر بعكس ولئك تراهم في هياج دائم يهيجون لادنى باعث، وقس على ذلك

أما الظواهر الخاصة فتختلف حسب الحوادث وهي انواع كثيرة اليك اهمها :

(١) السومنمبولزم Somnambulism أي المشي أثناء النوم وما شاكله : واليك مثل واقعي يوضح هذا النوع :

كان لفتاة اسمها ارين والدة تحبها كثيراً توفيت على اثر مرض طويل لزمتها ابنتها في أثنائه فكان لوفاتها وقع عظيم في نفس ارين وادى بها الى حالة تشبه حالة الذين يمشون وهم نائمون . فبينا تكون احياناً آخذة في الخياطة او الحديث او في عمل آخر كنت تراها تترك ما بين يديها بغتة فتنقلب سحنتها وتمثل وفاة والدتها حركة حركة بكل حذاقة وهي لا تشعر في هذه الاثناء بكل ما يدور حولها . ثم انها لا تلبث مدة قصيرة حتى ترجع بغتة الى عملها العادي من غير ان تشعر بما ألمّ بها . فتستأنف حديثها او خياطتها كأن لم يطرأ عليها أدنى تغير . وكان يأتيها هذا العارض من مدة الى أخرى واذا سألتها بين المرة والثانية عن وفاة والدتها لا تتذكر شيئاً من ذلك مطلقاً حتى ان اقاربها كانوا يتهمونها بقلة الاحساس

(٢) الاوهام والتخيلات الكاذبة : كأن يتوهم الشخص انه يرى او يسمع اشياء لا وجود لها في الواقع . وكثيراً ما يسمع المجانين اصواتاً توبخهم او تهددهم او تلعنهم . او كأن يعتقد احدهم انه ملك او امبراطور او صاحب ثروة طائلة وان اعداءه يحيطون به والامثلة من هذا النوع كثيرة . وترى صاحب هذا الجنون لا يقنع مهما اتيت له بالبراهين العقلية

(٣) الافكار الثابتة (او الوسواس) Obsession : وهي تشبه النوع السابق ولكن بينهما اختلاف يجدر بنا ايضاحه : فصاحب الفكرة الثابتة يشكو فكرة لا يقدر ان يخلعها من عقله فكيفما تحرك رآها امامه مع تيقنه من وهن تلك الفكرة وعدم مطابقتها للحقيقة . كأن يتراءى له انه مصاب بداء السرطان او غيره وهو يعرف تماماً خطأ هذا الزعم لكنه يعجز عن ازالة تلك الفكرة من رأسه . اما صاحب النوع السابق فانه يعتقد صحة وهمه ويعلل كل ما يراه حسب تصوره الكاذب

(٤) التمثيل : اي ان المصاب بهذا النوع يمضي وقته في تصوير حركة مخصوصة او تكرار جملة معينة او تمثيل عمل من الاعمال بدون انقطاع

(٥) تقطيع الكلام : وهو شائع عند المجانين فالمجنون يعرف من كلامه اذ لا يدل في اغلب الاحيان على معنى وكثيراً ما يكون متقطعاً مشوهاً بلا صلة عملية تربط اجزاءه

هذا قليل من ظواهر الجنون نكتفي بها الآن فهل يمكن ترتيبها وتنظيمها ؟

الانحلال العقلي

اذا عكست نظرك على حالتك العقلية وجدت ان افكارك وشعورك واحساساتك وكل ما يدخل في حياتك العقلية يكوّن مجموعاً واحداً اتفق علماء النفس على تشبيهه بنهر تسير مياهه متتابعة بلا انقطاع . واذا دققنا النظر ايضاً وجدنا انه لا يمكننا ان نشغل عقلنا بغير فكرة واحدة في الدفعة الواحدة . وقد ينتقل الفكر سريعاً من فكرة الى أخرى ولا بد له حينئذ من واصل عقلي بينهما فالرجل العادي لا تجد في دماغه في اللحظة الواحدة غير فكرة واحدة تشغله . غير ان هذه القاعدة لا تصح دائماً لا سيما في المجنون فقلما تجد صلة عقلية في مجرى افكاره بل يتراءى لك انها عبارة عن اكوام متباينة لا علاقة بينها ولا غاية مشتركة تسعى اليها — هذا ما يسميه علماء النفس بالانحلال العقلي. وهو لا يختص فقط بمختلي الشعور بل تجد امثلة منه في حياتك اليومية :

افرض انك ماهر بلعب البيانو حتى اصبحت مع التكرار تلعب عليه بدون ان تعيره كل التفاتك . يمكنك حينئذ ان تشغل عقلك في الوقت نفسه بمسألة اخرى فكأن مجرى افكارك انقسم الى قسمين مستقلين القسم الذي يلعب على البيانو والقسم الذي يحل المسألة . ويمكننا ان نسرد عدة امثلة اعتيادية من هذا القبيل كالصانع الذي اصبح يقوم بحركات صنعته مع قليل من التفكر فانك تحادثه ويحادثك بدون ان ينفك عن عمله وقد يستدعي عمله هذا مهارة كبيرة وقس على هذا المثال انواعاً اخرى

ومن اوصاف هذا الانحلال عند المجنون خصوصاً ان صاحبه غالباً لا يشعر به ولا يقدر ان يمنعه فكأن كل قسم من افكاره محكم الانفصال عما بقي لا يقبل الاخذ والرد ولا يتغير بالبراهين مهما كانت مقنعة . واذا فحص كل واحد منا نفسه او من حواليه وجد انه يقع في شيء من ذلك . أليست اعتقاداتنا الدينية والسياسية التي توارثناها أباً عن جد من هذا النوع لاتقبل نقضاً او تغييراً في الغالب ، كأننا نضعها في احدى زوايا عقلنا ونحكم عليها القفل حتى نمنع صلتها مع باقي اجزائه . فالرجل العاقل هو الذي يوحد آراءه وأعماله ويوفق بينها بحيث لا يكون فيها تنافر أو تضادد

عقل المجنون وجنون العاقل

رأينا انه يمكن ارجاع انواع الجنون الى الانحلال العقلي ولكن لماذا هذا الانحلال ؟ لنفرض انك مغرم بالتصوير يهمك كل ما له علاقة به . فكل ما يختص بهذا الفن ينبه ذهنك اليه وقد لا يؤثر في غيرك . فوجود هذه الرغبة عندك توجه مجرى افكارك الى

جهة معلومة . كذلك العاشق فان كل ما يراه ويسمعه ينبه ذهنه الى حبيبته كأنها المخلوق الوحيد في العالم . ويطلق علماء النفس على العواطف والافكار المختصة برغبة معينة اسم « مجموع » complex فيقولون المجموع المختص بالتصوير او بالحب او نحو ذلك . ولو امعنا النظر في حياة كل واحد منا لوجدناها مكونة من مجاميع كهذه توجه اعمالنا الى الجهة الموافقة لها . وقد تقودنا الى اعمال واقوال ما كنا لنأتيها لولا ذلك الدافع الداخلي الذي يرينا الاشياء بعد ان يكسوها بثوب من الجمال أو الشناعة حسب ما تكون موافقة له او مخالفة

على هذا الاساس يمكننا ان نعلل اكثر اعمال الناس فانهم في اغلب الاحيان يدفعون اليها بدافع داخليّ ناشىء عن رغباتهم وشهواتهم الخفية وهم لا يشعرون بل تجدهم يدعون تجردهم عن كل غاية وسعيهم وراء الحقيقة الخالصة - يصح ذلك في العقائد الدينية والسياسية والادبية وغيرها . وفي كل هذه الاحوال يأتي الانسان اعماله مدفوعاً ثم يسعى ان يبرهن صحة ما أتى وكان الاجدر به ان يبحث اولاً عن صحة الباعث

وقد يظهر تأثير هذه المجاميع في حياة الانسان بطريقة غير صريحة واليك المثل الآتي قصه احدهم قال : كنت انا وصديق لي سائرين في قرية واذا بصديقي يقبح صوت اجراس الكنيسة وكلما ذكرت تلك الكنيسة اظهر اشمئزازه منها ومن بنائها مع انها كانت جميلة ولا سيما اجراسها فهي مشهورة برخامة صوتها . وبعد البحث وجدت ان بين صديقي وبين راعي تلك الكنيسة منافسة في الشعر فتبين لي ان اشمئزازه منها ومن اجراسها انما كان يعبر عن كرهه لراعيها وغيرته منه — وسنرى الآن كيف نطبق هذا التعليل على حوادث الجنون :

لنفرض انه وجد تنافر بين مجموع مخصوص وبين باقي العقل فينتج عن ذلك نزاع مستمر في الحياة العقلية والمثل الاتي يوضح المقصود تماماً : فلان من الناس رجل عاقل اديب لكنه وقع في هوى امرأة رجل آخر فحبه لتلك المرأة هو مجموع مضاد لآدابه ومبادئه ومن ثم نزاع مستمر في حياته العقلية . ولكن العقل البشري لا يقوى على احتمال هذا النزاع طويلاً ولا بد له من الوقوف على نتيجة نهائية . ويمكنه ان يصل اليها عن طرق مختلفة فاما ان يقمع احد الفريقين ويبقى الاخر او ان يغيّر المجموع ليجعله موافقاً لمشاربه أو ان يتركهما مستقلين ويفصل بينهما كما ذكرنا سابقاً في الانحلال العقلي وهذا النوع شائع كثيراً بين الاصحاء والمجانين

الا ان الفصل في كثير من الاحيان لا يكون تاماً اذ نرى صاحب هذا الانحلال يجهد نفسه ليجد مسوغاً ومعللاً لحالته المتناقضة وهذا طبيعي في الانسان فانه يسعى دائماً

لايجاد مسوغ لاعماله وتعليلها تعليلاً معقولاً . فالمجنون الذي يعتقد انه صاحب الملايين حالة كونه يطلب منك كسرة خبز يعلل ذلك بقوله ان اعداءه استولوا على امواله او نحو ذلك

وللانحلال العقلي سبب اخر غير التنافر اذ لا يقدر الانسان دائماً في حالة التنافر ان يفصل بين الفريقين كما تقدم فلا يرى بدًّا حينئذ من قمع احدهما . خذ مثلاً الرجل الذي اتى اعمالاً في حياته الماضية يستحي من ذكرها فان تنافر هذه التذكارات مع حالته الحاضرة يلجئه الى قمعها ليحصل على الراحة والنسيان وهذه الطريقة نستعملها كثيراً ونحن لا ندري

ولكن اذا تمكنا من نسيان هذه التذكارات فذلك لا يعني انها محيت من دماغنا فهي فيه وانما وضعنا بينها وبين مجرى افكارنا حاجزاً يمنعها عن الوصول اليه ولكنها احياناً تقوى على ذلك الحاجز وتظهر في الوجود . وهذه حادثة ارين المتقدمة افضل شاهد على ذلك فان تلك الفتاة توصلت الى نسيان موت والدتها فراراً من الالم العقلي الناتج عن تذكرها اياه ولكن صورته بقيت مخفية في ذهنها والدليل ما كان يطرأ عليها من العوارض التي وصفناها . ويمكننا ان نطبق هذا المبدأ على حادثة الرجل الذي اشمأز من صوت اجراس الكنيسة فان كرهه لراعي تلك الكنيسة وغيرته منه هي السبب الحقيقي لذلك الاشمئزاز ولكنه لم يرد ان يظهر تلك العواطف صريحاً حفظاً لكرامته فاظهرها بطريقة غير صريحة اعني اشمئزازه من الاجراس

ومثل ذلك كثيرون من المجانين الذين يتألمون من بعض اعمالهم الماضية فانهم ينسبونها الى غيرهم ويقبحونها ويطعنون في اصحابها حتى انهم في بعض الاحيان يخترعون شخصاً خيالياً ينسبون اليه تلك الصفات فراراً من ألم ضميرهم . ومن هذا النوع ايضاً السكران الذي يتهمك بالسكر والعربدة . وقس على ذلك

هذا قليل من كثير ولولا ضيق المقام لاسترسلنا في تشبيه طرق التفكير في العاقل والمجنون . وكثيراً ما نرى بين المجانين من يستعملون عقلهم استعمالاً صحيحاً في مسائل عادية وانما يكون جنونهم منحصراً في أمور معينة لا يتجاوزها . فما معنى ذلك ? ذلك ان الاختلال ليس في العقل بحد ذاته وانما هو عرضي يتعلق بطرق استعماله على الشكل الذي تقدم تفصيله . ولكل مظهر من مظاهر الجنون اسباب وبواعث معينة تلجيء صاحبه حتماً الى حالته التي هو فيها . وقد رأينا ان من العبث السعي في اقناعه بخطائه ووهن مزاعمه . فكم من آرائنا اليومية هي من هذا القبيل ايضاً لا تقبل البراهين المنطقية العقلية وكم من اعمالنا تشبه اعمال المجانين !

العائلة والمنزل

السعال الديكي

لكل داء مضاعفات قد يكون شرها اكثر من شره وفتكها أشد من فتكه ولا سيما اذا صادفها ظرف لاءم طبعها واسباب جاءت مطابقة لبث سمها وبث خطبها فيصبح المسبب لها على لا شيء في جنبها بالنسبة الى بطشها شأن داء الشهقة او السعال الديكي مع مضاعفاته . فانه مرض وافد سريع العدوى ثقيل الوطأة على الاطفال اذا دخل مدينة أقام بها على الرحب والسعة ويظل فيها الى ما شاء الله لا يحترم جانب الكبير ولا يلطف على الصغير يصيب الاثنين معاً على السواء انما يستفحل شره ويعظم بطشه بالاجساد الصغيرة فيقضي على خمسة وعشرين بالمائة منها بدون رحمة ولا شفقة . واهم مضاعفاته النزلة الشعبية الرئوية والتشنج والاسهال وهي أعظم الادواء خطراً على الاطفال يكاد لا يسلم من شرها بيت لا سيما في المدن الكبيرة وفي الطبقة الجاهلة من سكانها . على ان الاسباب المهيئة لظهور هذا الداء عديدة نقتصر على ذكر بعضها :

(أولاً) السن . يظهر من الاحصاآت التي وقفنا عليها ان نصف اصاباته تقع على ريب السنة الاولى والثانية نذكر منها ما جمعه الاستاذ سنذابو بمدة اربع وثلاثين سنة وقد بلغ عدد ما شاهده من الاصابات في هذه المدة ٤٥٩١ اصابة كان نصيب الاسنان منها كما يلي

دون السنة الاولى — ١٠٢٨	دون السنة الرابعة — ٩٠٤
دون السنة الثانية — ١٠٠٨	دون السنة السابعة — ٨٠٣
دون السنة الثالثة — ٦٥٩	فوق السنة السابعة — ١٨٩

وشاهد الاستاذ هولت حادثة طفل لم يتجاوز الاثني عشر يوماً كانت أمه تشهق والادلة على ان هذا الداء يصيب الاطفال اكثر من الاولاد عديدة لا فائدة من تدوينها في هذا المقام وما القصد من ذكر ما تقدم سوى لفت نظر الام وحثها على صرف أبلغ ما تصل اليه همتها في سبيل راحة طفلها

(ثانياً) انه يزداد انتشاراً في فصل الشتاء ولذلك كان الخوف من مضاعفاته اعظم منه في سائر فصول السنة وهو شديد العدوى في اول ادواره او قبل الشهقة وتقل عدواه في

الدور الثاني او الدور الذي فيه تظهر الشهقة ويحتمل انتقال العدوى في دور النقه او لمدة شهرين . والارجح ان العدوى تنتقل من المصاب مباشرة وبالنادر انتقالها بواسطة مثل ادوات المريض كغرفته او ثيابه . وقد انتقلت الى شخص ثالث وتعليل احتمال هذا الانتقال الغريب هو ان الشخص الملاصق بالمريض اقترب من شخص سليم من المرض قبل ان ينزع ثيابه التي كانت عليه وهو في غرفة المريض . اما دور الحضانة فانه يتراوح بين السبعة ايام والاربعة عشر يوماً واحياناً يتعذر تحديده . وبوادر الداء تظهر في الحنجرة والقصبة فالشعب والبلعوم فالمناخير . واعراضه الاولية التهاب الاغشية المخاطية للاعضاء المار ذكرها او بعضها . وهو لا يختلف بمظاهره الكلية والجزئية عن الزكام البسيط ويظل الطفل غالباً في هذا الدور بلا اعتناء مدة عشرة أيام او اربعة عشر يوماً وهو الدور الذي تكون العدوى فيه على اشد انتشارها حتى يدخل في الدور الثاني وهو التشنج او الشهقة. وليس من السهل تشخيص المرض في الدور الاول وربما استحال ذلك على اوسع الاطباء اختباراً الا اذا عول على طريقة بوردات وجانكو الحديثة وجرى بها على تعديل الفرد ووكز فانهما شخصا المرض في هذا الدور ونجحا في سبع واربعين اصابة ولم يفشلا الا في واحدة وهو نجاح كبير الفائدة اذ وفقا الى منع سير العدوى بين مئات من الاطفال

والذي تشاهده الأم على طفلها في دور التشنج اندفاعه في السعال المتلاحق بعضه ببعض لدرجة يمنع عليه نفسه ويصبح بحالة يرثى لها ولا يخرجه من هذا المأزق الاعجزه عن مداومة اطلاق السعال بسبب ما يخسره دمه من الاكسيجين ويحبس عنه تجديده فتتورد وجنتاه ويحتقن الدم باوردة وجهه وتبرز عيناه من حجاجيها كالمشرف على الموت خنقاً او غرقاً وييأس من النجاة واذ ذاك يتقيأ المواد المغذية التي يكون قد تناولها أو مفرزات الاغشية المخاطية . ويعقب التيء ادخال الهواء الى القصبة فيعترضه لسان المزمار ويحصل من هذا الاعتراض الصوت الذي نسمعه مماثل لصوت الديك عند صياحه . وكثيراً ما يحاول الطفل الهرب من هذا السعال الثقيل فيركض الى أمه او اقرب شيء يأنس اليه فيحتمي به ولكن بدون جدوى لان السعال يدركه ويداوم الكر عليه بمواعيد محكمة وعادة يكثر عليه السعال في الليل . ويكون الخوف على حياة المريض في العشرة الايام الاولى لهذا الدور بالنسبة لعمره فالاصغر سناً اقربه الى الخطر ويكاد لا يكون ثمت خطر يذكر على من بلغ الحول الرابع . واوجه الخطر من مضاعفاته ففي الشتاء نحذر النزلة الشعبية الرئوية وفي الصيف نخاف من الاسهال او التشنج وكل منها على حدة يكفي ليذهب بالاجساد النامية القوية فكيف لو كان المقاوم لها طفلاً لم يصلب

عوده بعد وكيف يكون حاله معها لو جاءت مجتمعة ؟ فحري بالام ان تعير طفلها جانب اهتمامها الاكبر اذا لحظت عليه تغيراً ما في مألوف حركاته سواء كان ذلك التغيير كبيراً او صغيراً فهو يستحق اكثر مما تجود عليه من العطف والعناية بل اكثر مما تملكه من قوة اللطف والاعتناء . واذا رأت انه عاف الرضاعة او الطعام يجب عليها ان تفتش عن السبب حتى تهتدي اليه ومتى ادركته صار من المحتم عليها ازالته ومعرفة طرق الوقاية منه ولا تقول ان ما به رشح خفيف يزول بيوم او يومين . فليكن كما قالت وزال ما ألم به من التوعك في بضعة ايام ولكن اهمالها في اتخاذ الاحتياط لمثل هذا الزكام الخفيف قد ينجم عنه احياناً أضرار جسيمة تذهب بنضارة ولدها وتأتي بقلبها جمرة الندم والاسف على ما مضى وفات وهيهات ان ينفع وقتئذ ما تبديه من التحسر والتوجع . وكم من زكام خفيف مضى بحياة المئات والالوف من الاطفال وكان السبب الوحيد في اضرام نار الحزن في قلوب امهاتهم . ليس من الحكمة في شيء ان نترك الطفل وشأنه ولو كان ما اصابه زكاماً خفيفاً بل علينا ان نساعده على الشفاء من هذا الزكام بالوسائل التي تفيده في مثل هذه الاحوال وفي استطاعتنا استعمالها . لنفرض ان طفلك مزكوم فما انت فاعلة له وقد عرفت ان هذا الزكام الخفيف هو بالحقيقة مفتاح لاشد الامراض وطأة واذرعها فتكاً ؟ ربما يتبادر الى ذهنك في اول الامر ان ثيابه التي عليه خفيفة لا تقيه من البرد فتبادرين الى استبدالها باحسن منها . وهو فكر لا يأتي باحسن منه الطبيب نفسه . ثم يخطر لك خاطر آخر وهو تجنب الجلوس به امام نافذة او في وسط مجرى لانه لا يخفى عليك ان مجرى الهواء يضر حتى الاصحاء . وثالثاً تضعين نصب عينيك طعامه وكيف يجب ان يكون لطيفاً واذا كان لا يزال في طور الرضاعة فطعامك يقتضي تعديلاً يوافق الحالة الحاضرة وتصنعين خيراً اذا اعتزلت واياه الى غرفة . واستشارة الطبيب اذا كانت في الامكان افضل بكثير من السكوت والاستسلام وخصوصاً اذا عرفت ان السعال الديكي متفش . واذا مضى الاسبوع ولم تستدعي طبيباً وسمعت بعد ايام قليلة صياح ابنك وشاهدت اندفاعه الشديد في السعال وكان صغيراً فيكثر عليه القيء ويكاد يتقيأ كل رضاعه فحالاً اعتزلي به مكاناً بعيداً عن الضوضاء والطبيب يساعدك كثيراً في تخفيف وطأة الشهقة ويرشدك الى ما هو افضل لك اجراؤه وما عليك الا العمل بموجب ارشاده . واذا لم يمكن الحصول على معلومات الطبيب اوجه نظرك الى الامور التالية : اذا كان الطقس صحواً وهواؤه لطيفاً فالخروج به الى الخلاء افضل علاج له مع مراعاة نظام ثيابه وطعامه والاقامة في مكان بعيد عن الضوضاء كما سبق ذكره تكسبين الثناء الطيب والجزاء الحسن

الدكتور شحاشيري

تاريخ الشهر

الحرب الدولية الكبرى

في اواخر شهر يوليو الماضي نشبت في اوربا حرب طاحنة لم يرو التاريخ مثلها ولا سمع العالم باهوال اشد منها . فقد اشترك فيها تسع دول من دول الارض وهي المانيا والنمسا من جهة وانكلترا وفرنسا وروسيا والبلجيك والصرب والجبل الاسود واليابان من الجهة الاخرى . وقد كان المظنون قبل نشوب الحرب ان تحاز ايطاليا الى حليفتيها المانيا والنمسا ولكنها فضلت البقاء على الحياد لاسباب سيظهر التاريخ حكمتها . وقد اصدرت حكومة بريطانيا العظمى سجلا مطولاً بسطت فيه المفاوضات التي دارت بين الدول قبيل الحرب والمساعي العظمى التي بذلها رجال السلم . ويؤخذ منها ان السر ادوارد جراي وانصاره بذلوا آخر سعي لابعاد شبح الحرب واحباط مريديه ولكنهم فشلوا

مصر والحرب

ولم تحصر الحرب في سهول اوربا فقط بل تطاير شررها الى امواج الاتلانتيك وسواحل الشرق الاقصى من الهند والصين واليابان الى اقصى انحاء افريقيا . فاتسع نطاق الشر وعم سائر انحاء المسكونة . وتطاير شرر الحرب الى مصر ايضاً فاتخذت الحكومة الاحتياطات اللازمة واضطرت الى اعلان الحرب على المانيا والنمسا وارغم الاحتلال البريطاني سفيري هاتين الدولتين على مبارحة القطر فخرجا وهما يحتجان الى الحكومة على عمل الاحتلال

ولما بلغت الاحوال هذا المبلغ نشأ عنها اضطراب في الامور المالية والاقتصادية . فاقفلت بعض المصارف (البنوك) موقتاً ثم عاد معظمها الى ممارسة اشغاله . واستغنت كثير من الشركات التجارية ومعامل الدخان عن جانب كبير من عمالها . فاشتد الضيق بهؤلاء وكثر عدد العمال العاطلي الاشغال وارتفعت شكواهم من تفاقم الحالة ووصولهم الى ما وصلوا اليه من شدة البؤس . وزاد الطين بلة ان اسعار الحاجات الغذائية كانت قد ارتفعت ارتفاعاً فاحشاً منذ اول الحرب حتى اضطرت الحكومة ان تهتم بالمسألة وتضع للحاجات الغذائية أسعاراً تحول دون استبداد التجار بالناس

على ان ذلك لم يمنع بعض الرعاع المتشردين من السعي لاحداث الشغب والضوضاء . فاستغنموا الفرصة واندسوا بين جماعة من العاطلي الاشغال وأخذوا يحرضونهم على الفتنة . ولكن سهر رجال الحكومة على الراحة العمومية ردكيدهم وضرب على ايدي العابثين بالسلام

وكانت الحكومة منذ أول الحرب قد أدركت انه لا بد من حدوث أزمة مالية اذا لم تتلافَ الامر وتأخذ الاحتياط اللازم . فاصدرت أمراً بمنع ارسال الاموال الى خارج القطر ثم أصدرت مقداراً من الاوراق المالية (البنك نوط) ومع ذلك شعر الناس بقلة النقود لان المصارف كانت منذ أوائل الحرب قد أقفلت خزائنها في وجوه عملائها حرصاً على ما لديها من الذهب . وزاد الموقف حرجاً ان القطن الذي هو اهم منابع الثروة في مصر بقي مخزوناً في البلاد . فارسلت الحكومة لجنة لمفاوضة اصحاب المعامل في انكلترا ويسرنا ان مساعيها كللت بالنجاح

وعلى رغم الضيق المالي المستحوذ على البلاد فان كرام المصريين لم يتوانوا عن اظهار اسمى العواطف واشرفها في هذا الموقف الحرج فتبرع كثيرون منهم بالاموال لمساعدة جرحى الجيش البريطاني وعرض غيرهم نفسه متطوعاً للخدمة في ساحة الحرب وسعى آخرون لانشاء جمعية من الصليب الاحمر للخدمة في ساحة الحرب . وقد قابلت الحكومة البريطانية هذه العواطف الشريفة بمزيد الشكر

الحالة في اوربا

اما في الخارج فالاخبار الواردة تدل على ان الازمة المالية في اوربا اشد وطأة مما هي في مصر لا سيما في المانيا والنمسا فان متاجر هاتين الدولتين قد بارت ومصانعها تعطلت لان الاسطول البريطاني يحاصر سواحلهما حصاراً شديداً من جهة البحر ويمنع نقل بضائعهما على البحار . وقد عزمت انكلترا على سحق التجارة الالمانية وضربها ضربة قاضية

ولم تقتصر الاضرار على خسارة الاموال فقط بل تعدتها الى خسارة اعظم وهي الرجال . فان الاحصاءات الاخيرة تدل على ان خسارة النمسا والمانيا حتى ساعة كتابة هذه السطور تقارب ثلاثة ارباع المليون من القتلى والجرحى والاسرى . ويظهر ان خسارة الحلفاء اقل من ذلك لانهم مدافعون والالمان والنمسويين مهاجمون . وعلى كل حال فان الاحصاءات الرسمية لم تظهر بعد ومتى ظهرت رأى العالم فظاعة الحروب وهول ويلاتها وما تنزله من الشرور والمصائب بكلا الغالب والمغلوب

ويسوءنا ان نشير هنا الى بعض الفظائع التي ارتكبها الالمان في حربهم هذه مما اسخط عليهم العالم اجمع حتى قامت الدول المتمدنة كاميركا وايطاليا وهولندا تحتج على تلك الفظائع . ونكتفي هنا بالاشارة الى تدمير مدن لوفان وتريمون ودينان ومالين وغيرها من معاهد العلم والصناعة مما لا يمكن تعويضه فيما بعد . وكذلك تدمير كنيسة ريمس الكاتدرائية الشهيرة وقد كانت من اعظم الآثار الفنيّة وافخمها في العالم . قيل انه بدىء بنائها في اوائل القرن الثالث عشر ولم تتم الا في اوائل القرن الرابع عشر اي ان بناءها استغرق اكثر من مئة عام حتى جاءت آية في اتقان الصناعة . وقد احتجت فرنسا لدى الحكومات المتمدنة على تدميرها وابلغت احتجاجها الحكومة المصرية ايضاً

اهم وقائع الحرب منذ بدئها

في ٣ اغسطس . اجتازت الجنود الالمانية حدود دوقية لكسمبرج ودخلت الى حدود فرنسا ثم خرقت حرمة حياد بلجيكا

في ٦ منه . زحف الالمان على لياج وهي من المدن المحصنة في البلجيك واخذوا يضربونها بالقنابل

في ٩ منه . احتل الفرنسويون ملهوز

في ١٣ منه . اشترت تركيا المدرعتين الالمانيتين جوبن وبرسلو

في ١٤ منه . دخل الروس ولاية غاليسيا

في ١٥ منه . منح قيصر روسيا الاستقلال الداخلي لبولونيا

في ١٦ منه . هجم الالمان على مدينة دينان

في ١٧ منه . انتقل قيصر روسيا الى موسكو

في ١٨ منه . انتصر الصرب على النمسويين انتصاراً باهراً في شاباتز وانزلت انجلترا جيشاً في فرنسا

في ٢٠ منه . سقطت مدينة بروكسل في يد الالمان

في ٢٢ منه . انتصر الصرب على النمسويين على ضفاف الدرينا

في ٢٥ منه . سقطت مدينة نامور في يد الالمان

في ٢٦ منه . اعلنت النمسا الحرب على اليابان . ودحر الحلفاء على حدود البلجيك وسلمت مستعمرة توجولند الالمانية الى الانكليز وانتصر الروس على النمسا في غاليسيا

في ٢٧ منه . غرق طرادان المانيان . والف المسيو فيفياني وزارة جديدة عرفت

بوزارة الدفاع الوطني جمعت نخبة رجال فرنسا من جميع الاحزاب [١]

في ٢٨ منه . حاصر الروس مدينة كونجسبرج وانتصر الفرنسويون في الفوج

في ٢٩ منه . انتصر الانكليز على الالمان بحراً قرب جزيرة هيلجولند . ومرد الالمان مدينة لوفان

في ٣٠ منه . انتصر الصرب والجبليون على النمسا

في ٣١ منه . انتصر الفرنسويون في جبز على الالمان

في أول سبتمبر . بدأ الالمان باخلاء البلجيك وانهزم جيش ولي عهد المانيا في لونجوي

في ٢ منه . انهزم الروس في اوستريدو ولكنهم انتصروا على النمسويين انتصاراً باهراً في لمبرج . وبدأ الالمان بالزحف على باريس . واحتلت اليابان مستعمرة كياوتشو الالمانية

في ٣ منه . انتصر الفرنسويون في سيزكورت على جيش ولي عهد المانيا وانتصر الانجليز على الالمان في كومبيان . والروس على النمسويين في زولوزوف

في ٤ منه . أخذ الروس مدينتي لمبرج وهاليز . وانتقلت الحكومة الفرنسوية من باريس الى بوردو

في ٥ منه . انتصر الحلفاء في فردون

في ٦ منه . انتصر الانجليز والفرنسويون على الالمان في سان كنتان

في ٧ منه . اتفقت انكلترا وفرنسا وروسيا على ان لا تعقد احداها صلحاً الا بموافقة سائر الحلفاء

في ٨ منه . انتصر الجبليون على النمسويين في بوغانيزا واحتلوا جانيزا

في ١٠ منه . بدأ الجناح الالماني الايمن بالتقهقر . وانتصر الروس على النمسويين في راورسكا

في ١١ منه . احتل الصربيون سملن

---

(١) وهذه اسماء اعضائها :

فيفياني رئيس الوزارة
بريان ناظر الحقانية
دلكاسه « الخارجية
مالفي « الداخلية
ميليران « الحربية
اوجانيور « البحرية
ريبو ناظر المالية
سارو « المعارف
سمبا « الاشغال العمومية
تومسن « التجارة
دافيد « الزراعة
مارتين « الاعمال
جسد عضو بلا نظارة

في ١٢ منه . انهزم الالمان انهزاماً تاماً واخلوا الالزاس العليا

في ١٣ منه . انتصر الروس في كراسنكا واسروا ٣٠٠٠٠ من النمسويين

في ١٤ منه . استمر الالمان في الانهزام فاخلوا اميان وفيتري لافرانسوا وسان ديه وبلغت خسارتهم في نانسي عشرين الفاً

في ١٧ منه . انتصر الصربيون على النمسويين وبدأوا بالزحف على بودابست

في ١٨ منه . انتصر الجبليون على النمسويين في كلوكوك

في ٢٢ منه . دمَّر الالمان كنيسة ريمس الشهيرة

في ٢٣ منه . غرقت ٣ طرادات انكليزية في بحر الشمال

الاعتداء على الجناب العالي

في الخامس والعشرين من شهر يوليه الماضي اعتدى احد المتهوسين على الجناب الخديوي وهو خارج من الباب العالي فاطلق عليه عشر رصاصات أصابه بعضها اصابات خفيفة وأصابت أيضاً صهره جلال الدين باشا . وفي الحال أطلق الياور الخديوي رصاصة على المعتدي فصرعه لساعته . وقد نقل الخديوي بعد الحادثة الى مستشفى الجيش حيث ضمدت جراحه ثم انتقل الى سراي جيبوقلي وقد تعافى تماماً والحمد لله

وما ذاع هذا الخبر في جميع الانحاء حتى عمَّ السخط على هذا الاعتداء الشنيع لا سيما في القطر المصري فتقاطرت الرسائل البرقية والبريدية مظهرة شعور الامة نحو مليكها المحبوب وابتهاجها لنجاته متوسلة الى الله ان يطيل حياته على رأس الامة المصرية

أما المعتدي فاسمه محمود مظهر وهو شاب عصبي المزاج متطرف في آرائه وأعماله وقد أظهر التحقيق ان ليس له شركاء في الجريمة

الغاء الامتيازات الاجنبية

في الدولة العثمانية

قرر الباب العالي الغاء الامتيازات الاجنبية في البلاد العثمانية من اول اكتوبر الحالي باعتبار أنها منحة من الدولة العثمانية لها الحق في العدول عنها في الوقت الذي تراه مناسباً . لكن الدول الاوربية احتجت جميعها بواسطة سفرائها بحجة ان تلك الامتيازات صارت داخلة في المعاهدات والاتفاقات المبرمة بين الباب العالي ودول اوربا فلا بد ان يتفق المتعاقدان على تنقيحها أو الغائها أو تعديلها وسنرى ماذا يتم

جرجي زيدان

آراء الكتاب في الرجل وآثاره

١ — من هو جرجي زيدان ؟

انما يقدر صنيع زيدان من التى نظرة على خزائن كتبه عالماً بانه قد قتل كلا من تلك الكتب التي يصعب عدُّها تقفياً وبحثاً وانه قد سود الحواشي والهوامش وما بين السطور بالرموز والاعلام التي خرجت منها تآليفه بنظامها العجيب وبما زينت به من حسن التبويب

ثم يقدر صنيع زيدان من شهد غاراته على دور المطالعة في الشرق والغرب ينهب فوائدها ويغنم فرائدها غير محدود له طمع ولا متهم بري أو شبع

ثم يقدر صنيع زيدان من رقب عيشته الجافية عيشة التفكير الدائم والاستقراء المستمرّ عيشة الزهد الا في تصفح الاسفار واستطلاع طلع القديم من الاخبار لا يكلّ ولا يملّ . مستعيناً بالمخطوط من سهل وممتنع أو راجعاً الى معاجم الاعاجم في استخراج بعض الكنوز الدفينة التي جمعوها وصانوها من بقايا العرب

هذا بوجه عام فاذا اجيل الطرف في المسألة من وجوه خاصة :

فانما يقدر صنيع زيدان في جانب التاريخ من قرأ السير التي تركها قدماؤنا فغاص في لجج تلك المطولات التي لا يحلى منها بطائل الا بعد شق النفس ونفاد الصبر وضياع نفيس الوقت أو راعه فراغ المختصرات من كل فائدة تطلب في مظنتها أو تحقيق يلتمس من بابه . فهو عندئذ يتبين جلال المحصل الذي حصله فقيدنا فانزله من تاريخ آبائنا واجدادنا منزلة المتحف من آثار المتقدمين يحشد اليه كل ما يعثر عليه من تلك الآثار في كل بقعة دانية أو نائية من بقاع الدنيا وتنظم فيه تلك البقايا محلولة عقدها جلية خفاياها مرتبة اشتاتها نيرة مظلماتها

وانما يقدر صنيع زيدان في جانب التأليف القصصي كل عارف انه لم يقم فينا الى الآن كاتب غيره قدر على وضع سيرة وأحسن تصنيف مشوقاتها وضبط سياق تفاريعها ومهر في الافضاء منها الى غايته المنشودة

وانما يقدر صنيع زيدان في جانب الاستقراء الراهن من استشفّ وهو يطالع

فصوله في الهلال ما ضمنته تلك الفصول من خبرة بقلوب الناس ومعرفة باخلاق الامم وتشبث بالحق حيث اعتقده وصفاء نفس من الاحقاد وثبات عزم على نصر الفضيلة أولئك دون سواهم يقدرون صنيع زيدان أحسن الله اليه بقدر ما كان له من الاحسان

خليل مطران

٢ — الفقيد رجلاً

عاشرت هذا الصديق الوفي طويلاً وعرفت فيه أخلاقاً عالية لا أرى الوصف بالنعوت كافياً لتصويرها فوددت ان أصفها بخواطر سانحة أراها تنطق بلسان حاله رحمه الله :

اذا عرفت قبل ان تمشي أين تصل وقبل ان تبتدىء كيف تنتهي فانت الرجل بل الرجل السعيد

لا تستطيع ان ترضي الناس كلهم ولكنك تستطيع ان ترضي ضميرك والشريعة

لا قيمة للقول تجاه عظمة الفعل

العمل وحده هو الذي يظهر قيمة العامل فكل مدح أو ذم يوصف به انسان ولا يسند الى عمله فهو من لغو القول

اتقن صنيعك فان اتقانه من أهم أركان نفعه وشهرته

انما الرتب والوسامات للدلالة على شرف الصدر الذي تزدان بها لا لتشريف ذلك الصدر . وان الصدر الذي يحمل الوسامات بغير استحقاق كاللوحة التي تحمل الحلى في مخزن الجواهر

اذا عاب الناس عملك الحسن فكأنهم نوهوا بمجده

انما يرد على الانتقاد ولكن القول الهجر لا رد عليه

خير لك ان تجتنب الوقوع في عادة من ان تضطر الى بذل الجهد في الخلاص منها

تأدية الواجب أهم من اقتضاء الحق

كن في الفضل دائماً دائناً لا مديناً

ضع في السرَّاء عيلتك قبل نفسك . وضع في الضرَّاء نفسك قبل عيلتك

ليكن ميراثك لبنيك الفضيلة فالعلم فالمال

كن بتربيتك نفسك خير مربٍ لاولادك

هكذا كانت أخلاق ذلك الرجل العظيم

ابراهيم جمال

٣ — الفقيد صديقاً

جلس مخارق — وهو المنشد الشهير — في مجلس هرون الرشيد وكان يتخير ابياتاً يطرب بها الخليفة فانشد

واني لمحتاج الى ظل صاحب يروق ويصفو ان كدرت عليه

فطرب الرشيد وقال : — يا مخارق جئني بهذا الصاحب ولك نصف الخلافة

ولو انني عاصرتُ الرشيد لأ خذت نصف خلافتهِ . اذ أقدم اليه جرجي زيدان . فقد كان ضالة الامير . كان صديقاً كاملاً في صداقته . كما كان كاملاً في جميع أخلاقه . عرفناه أيام كان طالب علم في المدرسة الكلية . الى ثورة عقلاء الطلبة . الى قدومه القاهرة . ففي جميع أدوار حياته كان صديقاً « يروق ويصفو » ان كدرالناس عليه . وعرفته الامة العربية في مشارق الارض ومغاربها نزيه القلم عفيف اللسان في ٢٥ سنة قضاها بين المحابر والاوراق كان فيها جميعها بشهادة مجلات الهلال الضخمة ومباحثه الوعرة مثلاً صالحاً للمبدأ الشريف « مناظرك نظيرك » . كان رحمه الله صادقاً في صداقته لذويه وأصدقائه ومعارفه فهو على الاطلاق الصحافي الوحيد الذي عاش في شرقنا وليس له عدو . بدليل واضح لا حاجة الى سواه : انك لا تجد بين جميع الذين وقفوا الى صداقته من انقلب عليه . وأعلم علم اليقين انه كان مستشاراً لعشرات من الذين كانت مشورانه الصادقة سبباً لنجاحهم المالي في التجارة والصحافة . على انه أخطأ من جهة واحدة فقط هي انه كان صديقاً للجميع ثم كان عدواً لنفسه فلم يشفق على جسمه ولا رحم قواه فظلم نفسه وذهب شهيد العمل الشاق اذ حكم على نفسه بالاشغال الشاقة ولكنها أشغال استفاد منها العالم العربي رحمه الله عداد حسناته

سليم سركيس

٤ — الفقيد اباً

قيل « كل فتاة بابيها معجبة » فانا لا انكر اعجابي بوالدي رحمه الله ولكن ذلك الاعجاب ليس صادراً فقط عما يربطني به من العواطف البنوية بل هو اعجاب رجل عرف الفقيد حق المعرفة ودرس اخلاقه ادق درس

يعرف الناس الفقيد كاتباً ومؤرخاً وروائياً لكنه كان قبل كل ذلك اباً بتمام معنى الكلمة — وقليلون هم الآباء الذين يستحقون هذا الاسم

لا تنتظر مني ايها القارىء ان اسرد عليك نعوتاً مبتذلة وصفاً لابوة الفقيد فلست بقائل مثلاً انه كان محباً حنوناً شفوقاً مضحياً بنفسه ونحو ذلك من الصفات التي لعلك قرأتها من العنوان وحده

كلا . فاني اغنيك عن سماع المبتذل بذكر بعض اطواره ولعلها ابلغ من كل ما يقال في هذا المعنى :

كلما فكرت في اخلاق والدي رحمه الله تمثلت سعة صدره قبل سائر صفاته . فقد كان صبوراً لا يفوته شيء من واجباته صغيراً كان أو كبيراً وطالما سمعته يردد القول المعروف : أعقل الناس اعذرهم للناس

وكانت تربيته لاولاده تربية استقلالية فاني ما زلت منذ الثانية عشرة اشعر انه يعاملني معاملة الرجال فكان لي صديقاً واباً في آن واحد لم استحي قط ان افتح له صدري في ساعة الضيق واشكو له متاعبي

وكان يصغي لاولاده بكل لذة ويظهر الاهتمام لآرائهم وان كان ما يقولونه خالياً من المعنى احياناً ولكن ذلك يزيد ثقتهم بانفسهم . وقلما اعترضهم في سلوكهم ومعتقداتهم وآرائهم

وكان يباحثهم كانهم زملاء له ويناقشهم في سلوكهم ويظهر لهم الطريق الصحيح ولا اذكر انه لجأ مرة الى الكلام الخشن

واذا رأى احداً من ذويه في ضيق أو كرب اقبل عليه يرضيه ويخفف ما به باذلاً كل ما في وسعه لهذه الغاية

وكان يقلل من النصائح والارشادات مفضلاً ان يجعل سلوكه الشخصي مثالاً لاولاده — ونعم المثال

اميل زيدان

سننشر في العدد القادم بقية هذه الآراء وهي وصف الفقيد كاتباً وصحافياً ومؤرخاً وروائياً لنفر من افاضل الكتاب

احسن بيت قيل في السخاء :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

واحسن بيت قيل في الشجاعة :

اهزّ على الكتيبة لا ابالي أفيها كان حتفي ام سواها

فلسفة الحرب الحاضرة

للكاتب القانوني غرضان : ١ اثبات الحقائق ٢ تبيان فلسفتها

فالحقائق هي واقعات الحال من غير زيادة ولا نقصان . وفلسفتها هي الاسباب والعوامل التي انتجتها . ومتى اتمّ الكاتب الامرين كان كلامه المفيد بالوضع

نحن لدى مشهد فريد في التاريخ — ليس في نوعه فان الحروب كثيرة منذ فجر العمران — بل في اتساعه وملابساته . فان الغبراء لم تشهد حرباً كالتي تستعر نيرانها اليوم في اوربا

حرباً تثار على سطح الغبراء وعلى صفحات الماء وفي اعاميق الاجج وفي قبة الهواء

حرباً تخوض غمارها الدول العظمى جمعاء وتجند فيها زهاء العشرين مليوناً مستكملي العدد

حرباً ينقل البرق اخبار ملاحمها يوماً فيوماً وساعة فساعة الى سائر اطراف المعمور فيتلقاها الف وسبع مئة مليون بمزيد الشوق

حرب كهذه ليس من الفضول ان تشغل المجلات الراقية صفحاتها في تبيان فلسفتها . وارى ان فلسفة هذه الحرب مركبة وقيها

اولاً : مزاحمة السلاف للجرمان

في اوربا ثلاثة عناصر :

(١) اللاتين — وهم رجال امس وتمدنهم عابر (٢) التوتون — وهم رجال اليوم وتمدنهم حاضر (٣) السلاف — وهم رجال الغد وتمدنهم آت

يؤلف العنصر الاول دول اسبانيا وفرنسا وايطاليا وبعض النمسا . والثاني انكلترا وهولاندا والدنمارك واسوج ونروج والمانيا وسويسرا وبعض النمسا . والثالث روسيا وبلغاريا وسربيا والجبل الاسود وبعض النمسا

السلاف

برز العنصر السلافي الى مشهد التاريخ في الاجيال الوسطى في وادي فولكا . وجعل ينمو ويتسع حتى بلغ اطراف القارتين . ونمو هذا العنصر لا مثيل له في الاحصاءات . نأخذ مثالاً لذلك الدولة الروسية فقد كان عدد نفوسها سنة ١٨٠٠ نحو ٢٥٠٠٠٠٠٠

فصار سنة ١٨٥٠ نحو ٣٦٠٠٠٠٠٠ وسنة ١٨٧٠ نحو ٥٦٠٠٠٠٠٠ وسنة ١٨٩٠ نحو ١٠٠٠٠٠٠٠٠ واليوم ١٦٢٠٠٠٠٠٠ : ومتى كثرت المواليد مع توافر الرابطة القومية اتسع نطاق العنصر وهدّد مجاوريه

فلسفة العناصر

والعناصر كالافراد تتعاصر وتتعاقب . يرث خلفها السلف وفي ذلك التوارث الموت والحياة . يفني السلف جزءا من قوّته في ابراز الخلف وتنشئته . ويعاصره مدّة على ناموس « ينبغي ان ذاك يزيد وأني انا انقص » ثم ينسحب من المشهد ويخلي محله لخلفه فيستولي هذا على ازمة الامور والله وارث الارضين ومن عليها

هذا شأن التاريخ وشأن الطبيعة

١ : في التاريخ

نرى حلقات ذلك التعاقب في سلسلة الحوادث المترابطة كامواج اليم المتتابعة . فقد كانت الدولة المصرية منفردة في سيادة العالم المتمدن تشن الغارات على وادي الفرات وما يجاوره . حتى كان يوم غزا فيه القرأتيون ضفاف النيل . اولاً في ملوك اشور ثم في ملوك الفرس الذين استتب لهم الامر ورفعوا اعلامهم فوق ممفيس واون . وظلت فارس منفردة في السيادة حتى ظهر الاسكندر الكبير فثلّ قواعد عرشها وقوّض شامخات عزها وفخارها وشاد على انقاضها مملكة اليونان الشهيرة . ويعلم الداني والقاصي نهضة العرب وكيف اجتاحوا سورية ومصر والعراقين فاجهزوا على الفرس وزحزحوا اليونان . حتى ظهر الاتراك الذين زحزحوا العرب واجهزوا على اليونان

ولا يغفل متصفح التاريخ ما حدث لرومية العظمى سيدة الممالك القديمة كيف توالت عليها هجمات القبائل الجرمانية . وما زالوا يوالون الهجمات عليها حتى عجزت عن الدفاع فخلوها في سنة ٤٧٦ وحلوا محلها . ومن بقايا اولئك الفاتحين امبراطوريتا النمسا والمانيا اليوم

٢ : وفي الطبيعة

سل اوراق الخريف عما يحدث لها امام براعم الربيع المقبل التي تدفعها امامها بقوة الحياة الجديدة حتى تقطع أوصالها فيلوح عليها الموت بلونها الشاحب . ثم تسكت وتتساقط بذلة وانكسار الى الارض حيث تتحلل وتدخل في تركيب غيرها من الصور بل سل الاحافير الجيولوجية عن طوائف الاحياء التي شغلت الميدان في سالف

الحقب . ثم نشأت طوائف جديدة شرعت تنازعها الكيان وتلك تندحر امامها وهذه تشدد في مطاردتها حتى انقرضت تلك وانفردت هذه في الميدان حتى نشأ غيرها فعمل بها عملها بسلفها

تدرُّج الانقراض

تبين لنا مما سلف ان العناصر القديمة تنقرض امام الحديثة . على ان ذلك الانقراض لا يتم صفقة واحدة بل يحصل تدريجاً بالنسبة الى العوامل والملابسات التي تزيد في قوة المهاجم وضعف المدافع

هذا هو ناموس تنازع البقاء وبقاء الاصلح ولن تجد لسنة الله تبديلاً

قلنا ان السلاف قد ملأوا الارض على رحبها . فزحفوا غرباً وصدموا العنصر الجرماني وهو على ما نعلم من الحول والسطوة فهب للدفاع عن حياضه . وبالطبع لسنا نتوقع من الجرمان ان يتقهقروا أمام السلاف الا بعد معارك تشيب لهولها الولدان . وما نسمع به اليوم وما سيسمعه العالم بعدنا ليس الا ظواهر ذلك التزاحم الطبيعي بين العنصرين . وبما ان الشيخوخة أنشبت مخالبها في الامبراطورية النمسوية تسارع هذه للانحلال أمام هجمات السلاف . ونفوز المانيا بالبقاء مدة حتى يدركها « الوقت والعرض »

هذه هي فلسفة الحرب ولا ريب في نشوء آلاف من الاسباب والعوامل الثانوية في اضرام نيران الحرب كاختلاف الامتين في التقاليد والاصطلاحات والفلسفات . وكالآلام الناشئة عن الاحتكاك وتشعب التحيز في أفرادها وتوارث النعرة خلفاً عن سلف . على ان هذه الامور نفسها أسباب ثانوية متفرعة عن السبب الرئيسي وهو

التزاحم على موارد الحياة

وذلك التزاحم هو محور كل حركات الافراد في عالمي النبات والحيوان

ومن المضحكات صخب الصحف والخطباء تحيزاً لهذه الدولة أو تلك . فبعضهم يشدد النكير على الامبراطور وبعضهم على القيصر كأن مجاري الامور طوع ارادتهما . وذلك من الصبيانيات التي لم تتنزَّه عنها أمة الى اليوم

فهل القيصر هو المسؤول عن اضرام لظى الحرب ام الامبراطور ؟ وهل اللوم على الروس أم على الالمان ؟ وهل الفرنسيس هم الذين أوروا زنادها أم الانكليز ؟ — كل هذه المسائل لا تقدم ولا تؤخر في نشوب الضرام . فان تيار التنازع بين الامتين يجرف الملوك والسياسيين كما تجرف الرياح عصف البيدر

المنازعات القومية لا توجد بمساعي السياسيين بل هي توجد تلك المساعي . وانما تجري على قانونها الطبيعي . ومصيرها بعينه استعدادها الذاتي . ان هنبال لم يوجد حرب قرطاجنة ولكن الحرب أوجدته . وبسمارك لم ينشىء الامبراطورية ولكن الامبراطورية أنشأته

وكما ان الصدام لا بد منه في قطارين متقابلين اذا استمرا سائرين هكذا الحرب لا بد منها في أمتين متجاورتين متنازعتين

ثانيا : انقسام التوتون

التوتون رجال اليوم . هم العنصر السائد في العالم براً وبحراً وطوائفه هي الراقية المسيطرة علماً وسياسة ومالا يعدّ أفراده بنحو ٢٥٠ مليوناً منهم :

في انكلترا (عدا ارلندا)	٤٠٠٠٠٠٠٠	يسودون	٤٤٥٠٠٠٠٠٠
وفي المانيا	٦٥٠٠٠٠٠٠	«	٩٠٠٠٠٠٠٠
« الولايات المتحدة	٩٥٠٠٠٠٠٠	«	١١٠٠٠٠٠٠٠
« اسوج ونروج	٩٠٠٠٠٠٠	«	٩٠٠٠٠٠٠
« هولاندا	٦٠٠٠٠٠٠	«	٤٥٠٠٠٠٠٠
« النمسا	١٢٠٠٠٠٠٠		
« سويسرا	٣٠٠٠٠٠٠		
« اوستراليا وزيلاندا الجديدة ونواحيها	١٠٠٠٠٠٠٠		
« كندا	٦٠٠٠٠٠٠		
« أفريقيا (جنوبي أفريقيا)	١٠٠٠٠٠٠		
المجموع	٢٥٠٠٠٠٠٠٠	«	٦٩٩٠٠٠٠٠٠

فهم نحو سدس البشر ويسودون نصفهم

ولغات هذه الطوائف متقاربة وهم متشاركون في التقاليد والاخلاق والاصطلاحات

في اوربا منهم كما ترى دولتان قويتان وهما انكلترا والمانيا

وكانت انكلترا الزعيمة في الاجيال الحديثة وقد أثبتت سيادتها بعد معارك بينها وبين ممالك اللاتين شاب لها الولدان . وقد تولت الدفاع لما هبت روسيا زعيمة السلاف تنازعها السيادة . وكان لانكلترا الفوز في سائر الملاحم من عهدة قنارجي سنة ١٧٧٣ الى حرب منشوريا سنة ١٩٠٥

وقد برهنت انكلترا ان الوقت لم يحن لانسحاب التوتون من الميدان أمام السلاف . فرسخ في الاذهان صلاحهم للبقاء . واعترف لهم بذلك رجال الافكار في السياسة وفي الفلسفة الاجتماعية

وكان من مصلحة انكلترا انشاء الامبراطورية الالمانية بزعامة بروسيا لتشغل مركزها بين اللاتين والسلاف — رجال الامس ورجال الغد

وكانت المانيا في كل تاريخها متابعة انكلترا . على انه غب دخولها باريس سنة ١٨٧١ تغيرت الحال . اذ أخذت المانيا تتدرّج كما قال البرنس دي هنهولو من السيادة الاوربية الى السيادة الكونية

هنا بدأ التقاطع بين خطوط المسالك الالمانية والانكليزية

وهنا تتقاطع مسالك الاقلام . فبعضهم يذهب الى ان المانيا هي التي أخذت تزاحم انكلترا لتدفعها وتحل محلها وحجتهم في ذلك سياسة الاسطول . فقد قال الامبراطور وليم الحالي « ان مستقبل المانيا على صفحات البحار » . وقد طبق حركاته مدة ربع قرن على هذه النظرية حتى بلغت بحريته الدرجة الثانية مع انه ليس لالمانيا من الشواطىء ما يتطلب اسطولاً ضخماً . قالوا وكان نهوض الوزارة الانكليزية لمناظرته من باب الدفاع ليس الأ

وبعضهم يذهب الى ان انكلترا هي التي حسدت المانيا وساءها نجاحها السياسي والاقتصادي فجعلت تناصبها العداء بلا أثم ولا حرج . وان بحرية المانيا غير مقصود بها غزو انكلترا والامبراطورية الانكليزية الخ

ولسنا لندخل في تيار حرب قلمية نحسبها حشواً في فلسفة الحرب . فان السياسة وان لم تنفصل في رأينا عن المبدأ الادبي كما تجتهد انكلترا كثيراً في ذلك ولا سيا في هذه الحرب الا انها ليست مؤسسة على ذلك المبدأ ولا مرتبطة به وضعاً اللهم الا اذا كان ارتباطاً فلسفياً

انما السياسة مؤسسة اولاً على المصلحة وبها تنتهي مجاريها

والسياسة « الحكيمة » هي التي توجب اخذ الحيطة ليس حين انتفاء الصداقة بل حين امكان الضرر . وبحسبها يتحتم على الانكليز ان يهبوا لاخذ الحيطة ليس حين تصرم اواخي الصداقة بينهم وبين الالمان — تلك سياسة صبيانية عقيمة — بل حين تدرج الالمان في الاستعدادات تدرجاً يؤدي الى الاخلال بالموازنة . فليست المسألة هل تقصد المانيا الغدر بانكلترا . بل هل تقدر على ذلك فيما لو ارادت ؟

والقاعدة السياسية الاولى هي انه يلزم الممالك ان يكون لها في ذاتها قوة على حفظ كيانها ضامنة سلامتها والا كانت عرضة للانحلال . وبناء على ذلك كان من اللازم على انكلترا الحرص على السيادة البحرية لثلاثة أسباب مهمة :

الاول – سلامة الامبراطورية

الامبراطورية الانكليزية ليست قطعة واحدة متصلة كالامبراطوريات الاوربية — النمسا وروسيا والمانيا — بل هي عبارة عن ممالك متباعدة ومستعمرات منتشرة في اطراف الارض لا يصلها بعضها ببعض الا الاسطول . فمنها كندا وكيانا في اميركا . ومنها السودان وجنوبي افريقيا والصومال وشاطىء الذهب في افريقيا . ومنها هندستان وملقا وبورنيو وهنغ كنغ في آسيا . ومنها اوستراليا ونيوزيلاندا والارخبيلات العديدة في الباسفيك . ومنها انكلترا وارلندا وجبل طارق ومالطة في اوربا . فيوم ينحل الاسطول تنحل الامبراطورية لعدم الموصل بين اجزائها . وواضح انه لا يكفي لضمان الامبراطورية مجرد تفوق الاسطول الانكليزي على غيره . بل هناك مسائل اخرى اهم وهي توزيع الاسطول واجتماع اسطولين عليه

فيلزم ان تكون اقسام الاسطول الانكليزي قادرة ومستعدة في كل قسم من اقسام الامبراطورية لان امامها في آسيا اليابان وفي اميركا الولايات المتحدة وفي اوربا المانيا أو فرنسا مثلاً

فهل يستطيع الانكليز ان يدافعوا عن امبراطوريتهم في كل قسم من اقسامها ؟ ان مسئولية الانكليز سياسياً وبحرياً هي اعظم مسئولية القيت على عاتق البشر . والمحافظة على امبراطوريتهم تكاد تعد من رابع المستحيلات . والمسألة الخطيرة هي ان صاحب اسطول اصغر من اسطولها يستطيع ان يفضحها اذا كان مركز قوته في حلقة من حلقات اسطولها . ومتى قطع السلسلة أوقعها في الارتباك لان جمع الاساطيل من كل اقسام الدنيا ليس من المسائل البسيطة . ومتى وقعت عليها الضربة الاولى ينهض اتباعها وحسادها عليها لزوال هيبتها . فالحرب تكلف انكلترا ما لا تكلفه غيرها من سائر الممالك ولذلك اضطرت ان تحجز تسعة اعشار اسطولها في بحر الشمال امام الاسطول الالماني

الثاني – التجارة الانكليزية

تمتاز الدولة الانكليزية بسعة متاجرها . وقد قدرت صادراتها سنة ١٩١٢ بنحو ١٥٠٠ مليون جنيه والتجارة تفتقر طبعاً الى أسطول يحميها ولا سيما تجارة كهذه تشمل علاقاتها سائر الممالك . فلو فرضنا ان الانكليز عدلوا عن فكرة الامبراطورية وتركوا الهند

واوستراليا وكندا وافريقيا وسائر الجزائر . أفيمكنهم مع ذلك ان يتنازلوا عن السيادة البحرية ؟ وماذا يحمي تجارتهم ان هم رضوا ؟ فانه متى تفوق أسطول غيرهم على أسطولهم أصبحت تجارتهم في خطر السقوط وذلك مفهوم . ولهذا السبب كان الانكليز مضطرين لحفظ سيادتهم البحرية

الثالث — كيان الانكليز

لقد وصلنا الآن الى نقطة اشد خطورة في سياسة انكلترا ولا سيما في بحريتها . وهي النقطة التي عندها الحياة والموت . وهي : هل يمكن ضمان كيان الانكليز مع خسارتهم السيادة البحرية ؟

كيف يمكن ذلك واكثر من ثلاثة ارباع قوتهم يرد اليهم من خارج بلادهم . فان حاصلات انكلترا تؤلف ٢٣ جزءاً من مئة من طعامها و٧٧ ترد اليها من وراء البحار

فلنفرض ان انكلترا عدلت عن فكرة الامبراطورية ورضيت ببوار تجارتها الواسعة . أيمكنها مع ذلك ان تتنازل عن السيادة البحرية ؟

ان البحر يحيط بالانكليز من سائر الجهات . وقوتهم يرد اليهم من البحر . فالذي يحوز السيادة البحرية يمكنه ان يستعبدهم بدون حرب اذ يقطع عنهم المدد فيموتون جوعاً

هذا هو الامر الذي لا يختلف فيه اثنان من سياسيي الانكليز

انظر كيف عدلوا عن الخلافات الكبيرة بينهم واجتمعت كلمتهم . ولماذا ؟

لان الخصم وهو المانيا يهددهم بحرياً . يهدد كيانهم . ان مراكش تستطيع ضمان كيانها ولا قوة بحرية لها ولكن انكلترا لا تستطيع . فمسألة الاسطول اذا كانت كمالية في غير دولة فهي حيوية في انكلترا

فلما اجتاحت المانيا بلجيكا اصبح نهوض الانكليز لنضالها ضربة لازب

ليس غرض هذا القلم القاء التبعة على المانيا أو على انكلترا . كلا . انما تقرير حقائق يراها راهنة . فلولا انقسام التوتون ما كانت هذه الحرب

بقي من فروع هذه الحرب « المسألة الشرقية » وسنعود الى الكلام عنها في فرصة أخرى ان شاء الله

حنا الخباز

قال بعضهم : اخذ اسم الانسان من النسيان . واسم المرأة من المرارة . وقال غيره: بل اخذ اسم الانسان من الانس اي الطرب والحبور . واسم المرأة من المرّ وهو من احاسن العطور

تطوّر الامم

بحسب النواميس الطبيعية العامة

وما يكون من هذا التطوُّر بعد الحرب

الهيئة الاجتماعية في جميع حركاتها الحيوية خاضعة لنواميس طبيعية عامة تمشي على جميع عوالم المادة من حيوانية ونباتية وجمادية . فاذا تدبرنا هذه النواميس العامة وكيفية عملها في الاجسام تيسر لنا ان ننظر بمنظار البصيرة الى مستقبل الامم ومصيرها ولا سيما امم اوروبا بعد هذه الحرب الكبرى

﴿ تلون النواميس العامة في العوالم المختلفة ﴾ على ان كلاً من هذه النواميس يبدو لنا في كل عالم بصورة تختلف عن صورته في العوالم الاخرى . ولذلك تختلف اسماؤه باختلاف العوالم الخاضعة له . وهذا هو السر في اننا لا نفطن لوحدته في العوالم المختلفة لاول وهلة بل نظن ان لكل عالم نواميس خاصة مستقلة عن نواميس العالم الآخر . ولا ندرك ان العوالم مشتركة بنواميس عامة الا بعد اعنات الفكر وانعام النظر

خذ مثلاً لذلك ناموس الجذب أو التجاذب فهو بين الجواهر المفردة يسمى الفة كيمية . وبين دقائق المادة يسمى جاذبية الالتصاق أو الملاصقة . وبين الاجرام السماوية يسمى جاذبية عامة . وبين الحويصلات الحيوية لا تسمية خاصة له الى الآن وانما اتفق البيولوجيون على ان يسموا الاحياء الميكروبية ذوات الحويصلة الواحدة الحويصلات المفردة والاحياء المؤلفة من حويصلات متعددة الحويصلات المركبة . وبين الحيوانات الاجتماعية يسمى ائتلافاً أو تحالفاً . وبين جماعات الانسان جامعة أو ما يرادفها من الالفاظ التي يقتضيها التعبير عن أي حال من حالات الاجتماع . فاذا أنعمت النظر فيما يربط أفراد البشر في هيئة وأفراد النمل في جماعة وأفراد الحمام في سرب والحويصلات الحيوية في جسم حيواني أو نباتي ودقائق المادة الكيمية في حويصلات والجواهر الفردة في دقيقة كيماوية — وجدت ان ما يربط هذه الاجزاء في جماعات انما هو عامل واحد يطلق عليه لفظ الجذب أو التجاذب وهو لفظ عام ينطبق على جميع هذه الائتلافات

وانما تختلف فاعلية هذه العوامل كيفية وكمية باختلاف تلك العوالم . فمثله مثل أي عضو يختلف في الحيوانات بحسب اختلافها بعضها عن بعض كالاختلاف بين يد الانسان ويد الغزال وزعنفة السمك وأطراف العنكبوت ولكل هذه وظائف متماثلة

وأهم هذه النواميس التي تعمل معاً في تكوين عوالم الكون وترقيها : (١) التجاذب (٢) التنازع (٣) التحول

١ — ناموس التجاذب

رأيت فيما تقدم ان وظيفة هذا الناموس جمع الافراد في جماعات مفردة أو مركبة (أي جماعة تؤلف من جماعات) . فهو الذي جمع الجواهر المفردة في دقائق كيماوية . والدقائق في كتل او بلورات جمادية . والاجرام السماوية في أفلاك نظامية

وبموجب هذا الناموس تجمعت دقائق العناصر الآلية في حويصلة حيوية . وماحيوية هذه الحويصلة الا عمل الالفة الكيمية بين عناصرها والتجاذب بين دقائقها — سر يرى الى الآن تصوره مستحيلاً وان امكن تعليله نظريا

وعلى هذا النحو وبموجب هذا الناموس تجمعت الحويصلات في جسم واحد حيواني أو نباتي واشتركت في عمل الجسم كاشتراك دقائق المادة في عمل الحويصلة أو كاشتراك جواهرها الفردة في عمل الدقيقة المركبة . وكان من تركب تلك الحويصلات على طرق مختلفة لاختلاف البيئة والاحوال ان تنوعت الاحياء متفاوتة في رقيها وكان في رأسها الانسان

ومعنى الرقي تعدد التركب والتجمع . فكلما تعدد تركب الحي كان الحي أرقى

﴿ التجاذب في العوالم العليا ﴾ وعلى هذا النحو وبموجب ذلك الناموس أيضاً تجمعت الاحياء في جماعات تختلف في تجاذبها (أو بعبارة أخرى في ترابطها) بقدر اختلافها في رقيها كجماعات النحل والنمل واسراب القطا وجماعات الانسان

واذا بحثت عن سر تجمع أفراد الناس في أمة وترابطهم في جامعة وجدت جاذباً واحداً يجذبهم بعضهم الى بعض . وقد أجمع معظم الباحثين الاجتماعيين على تسمية هذا الجاذب بالمصلحة المشتركة . ومعنى المصلحة المشتركة يشمل كل ما اعتقد افراد الجماعة انه نافع لهم من احد الوجوه فتدخل في ذلك مبتغيات الانسان الدينية والاقتصادية والسياسية . وما المصلحة المشتركة الا صورة أو كيفية من كيفيات التجاذب . واذا توسعنا في معناها امكننا ان نطلقها على الجاذب الذي جمع بين جوهري الكلور والصودا لتأليف دقيقة ملح الطعام مثلاً . فهو ايضاً مصلحة مشتركة بينهما وهي توافق هذين الجوهرين في عدد اهتزازاتهما الامر الذي لم يتيسر لكل منهما مع جوهر فرد آخر من العناصر البسيطة الاخرى

﴿ تعدد الجماعات في جماعة واحدة لتعدد الجواذب ﴾ والجماعات تتعدد في جماعة واحدة لتعدد المصالح المختلفة أو الروابط التي دعوناها جواذب أيضاً لتعميم التسمية واشد المصالح مساساً بالجماعة اشدها جذباً لافراد الجماعة واوثقها رابطاً لهم . وهاك اهم الجواذب

﴿ ١ — العقيدة ﴾ وربما كانت العقيدة دينية أو علمية أو سياسية أو اقتصادية اهم جواذب الافراد في جماعة مفردة أو مركبة من جماعات . لانها تعد قالباً واحداً لارائهم وطباعهم واذواقهم واساساً لتفاهمهم وتوافق مشاربهم ومآربهم واشتراكهم في العادات . خذ لذلك مثلا اليهود فانهم بالرغم عن انتشارهم في جميع اقطار المسكونة يتشابهون في كثير من الاخلاق والاميال والعادات

﴿ ٢ — اللغة ﴾ اللغة تلي العقيدة في الاهمية وربما كانت تفوق عليها في كثير من الجماعات لانها آلة التفاهم ووسيلة لتبادل الاراء المشتركة . وربما كانت اللغة عاملاً كبيراً في تكييف العقايد والاخلاق وتعميم العادات . فاذا رأيت قوماً امتزجوا مع قوم آخرين وتخلقوا باخلاقهم واقتبسوا عاداتهم فاعلم ان الفضل في ذلك للغة هؤلاء التي اقتبسها اولئك فاشتركتهم بعاداتهم واخلاقهم . خذ لذلك مثلا الرومان واليونان الذين امتزجوا مع العرب في سوريا . فقد اشتركوا بكثير من عادات مواطنيهم الحاليين واخلاقهم وضعف كثير من اخلاقهم وعاداتهم القديمة . فضلا عن ان اللغة ربطتهم جميعاً في المصالح الوطنية والاقتصادية الخ

﴿ ٣ — السياسة ﴾ والسياسة بواسع معناها تعد رابطاً مهماً لما توجبه من العلائق الاجتماعية والاقتصادية الضرورية للحياة فقد كانت رابطاً متيناً لاهالي الولايات المتحدة حتى انهم انفصلوا عن ابناء عمهم الانكليز لكي يستقلوا بسياستهم واضطروا ان يحاربوهم ليطرحوا عنهم نير حكمهم . وكل مملكة يرتبط بنوها برابط السياسة أولاً

﴿ ٤ — الاقليم أو البيئة ﴾ وللاقليم (أو بعبارة أعم البيئة) الذي يكيف الامزجة والاخلاق المختلفة ويقربها بعضها من بعض حتى يجعلها متشابهة فعل كبير في ربط افراد الجماعة اذا كان بينهم بعض التباين من الوجوه الاخرى . فالزنوج الذين اخذوا من افريقيا الى اميركا اصبحوا ارقى من بني عمهم الذين لا يزالون في افريقيا وان كانوا لا يزالون احط من مواطنيهم البيض . والاسبانيون والبرتوغاليون الذين هاجروا الى اواسط اميركا اصبحوا في كثير من الاعتبارات احط من بني جنسهم في بلادهم لفعل البيئة فيهم

﴿ ٥ — الوراثة ﴾ ولا تغفل عن الوراثة الطبيعية التي تتسلسل بها الاخلاق والامزجة والاميال من جيل الى جيل فان لها فعلاً قوياً في ربط الافراد وذلك لانها

تجعل ابناء السلالة الواحدة في مستوى واحد يخالف مستوى ابناء السلالات الاخرى . فالزنوج الذين اخذوا الى اميركا لم يزالوا في طباعهم اقرب الى بني جنسهم منهم الى البيض بالرغم من امتزاجهم بهم وارتقائهم عن بني اعمامهم

﴿ تنازع الجواذب ﴾ فترى مما تقدم ان عدة جواذب او روابط تعمل معاً لربط الافراد في جماعات . وربما كانت هذه الروابط منافسة بعضها لبعض في العمل او منازعة فيه . وقد يكون بعضها منافياً لبعض احياناً كما ترى في الامة المتعددة العناصر . فبينا ترى الرابط السياسي يربطها معاً ترى الروابط الاخرى كاللغة والعقيدة والسلالة تعمل على تفكيك ذلك الرابط

وقد يكون أحد الروابط أقوى في جماعة واضعف في اخرى لاختلاف الاعتقاد في علة المنفعة . فرابط العقيدة الدينية أقوى في الشرق منه في الغرب . وبالعكس روابط اللغة والسياسة والعقيدة العلمية والسياسية في الغرب أقوى منها في الشرق

﴿ تداخل الجماعات ﴾ ولذلك ترى الجماعات متداخلة بعضها ببعض . فبينما ترى فئة من الناس منضمة مع فئة أخرى برابط السياسة مثلاً تراها منضمة مع فئة ثانية برابط العقيدة كأبناء الطائفة الدينية في ممالك متعددة ، وكأبناء الطوائف المتعددة في مملكة واحدة . وكفئة العمال في أوربا وأميركا فانهم يكادون يعدون أنفسهم جماعة واحدة

﴿ تفوق جاذب الديموقراطية ﴾ على ان الروابط التي تعمل على ترقية الجماعات وتوفير المنفعة الحقيقية لها ولافرادها تتفوّق على سائر الروابط وتستقوي عليها في تكوين الجماعات . ولهذا ترى العقيدة الديموقراطية قد أصبحت في العصر الحالي أقوى روابط الجماعات وأشدها فعلاً وتأثيراً . وأعني بها هنا الديموقراطية السياسية والديموقراطية الاقتصادية (أي الديموقراطية في دائرة الحكومة والديموقراطية في دائرة المعاملات والاعمال التي تحصل بها الارزاق) . ولما كانت الامم لم تزل مختلفة درجات الارتقاء فلم تزل الروابط الاخرى ذات تأثير عظيم وجدير بالاعتبار . ولا يمكن ان يملك رابط العقيدة الديموقراطية زمام السيادة والتأثير المطلق ما لم تصبح الامم المتنازعة في مستوى واحد من الارتقاء وتتشابه معظم التشابه في مدنياتها

﴿ علة اضطراب الامم ﴾ وحاصل ما تقدم ان السبب الاساسي لتفاوت الامم في الارتقاء وتباينها في كثير من الاعتبارات انما هو اختلاف رتبيات الروابط التي تربط أفرادها بعضهم ببعض . ولذلك لا ترى الامم على مستوى واحد ولا هي متشابهة المدنيات . وتعدد الجماعات المتداخلة فيما بينها وتباين هذه الجماعات في روابطها يجعلان

الامم في اضطراب وثوران . فهي كعناصر المادة المختلفة التي جمعها الكيماوي في اناء واحد فجعلت تثور باحثة بعضها عن بعض كما يبحث الالف عن الفه حتى متى ائتلف الفاؤها اطمأنت وهدأ ثائرها

﴿ التقاء الامم في مستوى واحد ﴾ ولا يمكن ان تطمئن الامم جل الاطمئنان أو كله ما لم يسبق ذلك توحد روابطها أو تماثلها وبلوغها جميعاً مستوى واحداً في المدنية والارتقاء . ولكي تبلغ ذلك لا بد ان تفرز جماعاتها المختلفة الروابط بعضها عن بعض وتسير كل جماعة وحدها في سبيل الارتقاء وتسبك نفسها في قالب المدنية العمومي الى ان تبلغ المستوى العام الأعلى . وحينئذٍ يسهل ائتلاف الامم وتوافقها . والرابط الديموقراطي القوي الذي يعمل في ترقية الجماعات جميعاً يكفل سبكها في قالب المدنية العمومي وابلاغها ذلك المستوى . ولكن ما دامت الجماعات المتباينة الروابط مرتبطة بروابط أخرى ترابطاً قهرياً تبقى ثائرة مضطربة لاحتكاكها بعضها ببعض مع شدة تباينها فيتعذر جداً سبكها في ذلك القالب لحيلولة النزاع والعناد وسوء الظن دون هذا الغرض

ولزيادة الايضاح نقول : كما انه يستحيل ان يبنى بيت بمجرد تكويم مقدار من الحجارة غير المنحوتة والرمل والاسمنت ما لم تفرز الحجارة من الرمل والاسمنت وتنحت نحتاً هندسياً متماثلاً متناسقاً ويصنع من الرمل والاسمنت الطين الذي هو الرابط لتلك الحجارة في حال تراصها كتنضيدها بعضها فوق بعض في شكل هندسي — هكذا لا يمكن توحيد شكل الامم أو بالاحرى توحيد الرابط الاقوى الذي يربط جماعاتها وتوحيد مدنياتها حتى تصير كأمة واحدة ذات مدنية واحدة متفاهمة ومتعاملة تحت نظام واحد يكفل مسالمتها والعدل بينها ونماءها — لا يمكن ان يتم ذلك ما لم تكن كل جماعة قائمة بنفسها وقد استتمت شكلها الموافق للبناء الاجتماعي العام

رأينا فيما تقدم ان العامل الذي كان يعمل في تكوين الجماعات البشرية هو ناموس التجاذب فهو الذي يجمع الافراد في جماعات ويقرب الجماعات المتشابهة في عقائدها ولغاتها وعاداتها وأخلاقها وأميالها بعضها من بعض لكي تعمل معاً متوافقة لغاية واحدة هي اسعاد المجموع كما جمع من قبلها الحويصلات الحيوية في جماعات أجهزة الجسم وجمع جماعات هذه الاجهزة في الجسم نفسه لتعمل معاً لاجل حيوية الجسم

بقي ان نبحث في ناموس آخر له وظيفة أخرى في تكوين الجماعات تمهيداً لتطورها وهو ناموس التنازع

٢ — ناموس التنازع

ان ما أعنيه في هذه النبذة يطلق عليه لفظ « التدافع » اكثر من لفظ « التنازع » لان اللفظ الثاني خاص بالحركات الحيوية . وانما عنونت النبذة به لشيوعه على الالسنة والاقلام

﴿ وظيفة ناموس التدافع ﴾ أما وظيفة هذا الناموس فهي فرز الافراد المتباينة والمتنافرة بعضها عن بعض توطئة لجمع الافراد المماثلة بعضها الى بعض . فناموس التجاذب والتدافع يعملان معاً متعاقبين. هذا يفرق المتنافرات المتمازجة وذاك يجمع المماثلات المتفرقة

نرى هذا الناموس بجلاء في تفاعلات الجواهر الفردة الكيمية التي تتم بعملين متعاقبين وهما الحل والتركيب . فاحتراق الخشبة مثلاً يمثل جواهر الكربون والهيدروجين تفترق بعضها عن بعض لتتحد مع جواهر الاوكسيجين ويتألف منها الماء وغاز الحامض الكربوني

وتراه يلعب أدواراً عجيبة في تكوين الحويصلة الحيوية . فهناك ترى المركبات الكربوهيدراتية كالمواد السكرية والنشائية والزلالية تحل وتتركب تركباً جديداً في مركبات كثيرة العدد كما هو مبسوط في الكيمياء الفسيولوجية

واذا انتقلنا الى الاقسام الحية نجد صورة أخرى من صور التدافع وهي ما نسميه تنازعاً . نرى أحياء تلتهم أحياء اخرى وقد تنقرض هذه اذا لم تقو على مقاومة تلك أو لم تستطع مدافعتها عن نفسها . فاذا وضعت ديداناً في بحيرة تنمو هذه الديدان فيها حتى تكاد تملأها . ثم اذا وضعت مع هذه الديدان سمكاً التهم السمك الديدان . فالسمك يتكاثر والديدان تنقرض . ومعنى ذلك ان الديدان تحولت الى سمك

واذا وضعت قططاً في منزل مملوء فيراناً وجرذاناً فلا تلبث القطط ان تغزو الفيران والجرذان وتأكلها حتى تقرضها ومعنى ذلك ان الفيران والجرذان تحولت الى قطط

ولا داعي للتمادي في سرد الامثلة على التنازع وقد أصبح من أمهات المباحث العلمية في هذا العصر بعد ان جلا العلامة الطبيعي دارون حقائقه وأبان ان الاحياء تتنازع البقاء وان أفضلها أبقاها وأضعفها ينقرض

وما نراه من فعل هذا الناموس بين الاحياء الدنيا نراه ايضاً بين البشر أفراداً وجماعات وهم وارثو كل ما في الطبيعة من الخواص والمزايا

﴿ الفرق بين تنازع البشر وتنازع العجماوات ﴾ على انّ بين الانسان والاعجم فرقاً كبيراً في التنازع (نجد مثله في الطبيعة أيضاً) وهو ان التنازع بين العجماوات أفراداً وجماعات مطلق بلا قيد أي ان القوي يسحق الضعيف وما من وازع

يزعه . ولكن التنازع بين افراد الانسان وجماعاته مقيد بقوانين وشرائع ونظامات مختلفة من سياسية وأدبية بحيث لا يسوغ منه الا ما عدّ متنافساً أي مالا يؤذي الآخرين . وأما ماكان منه تنازعاً حقيقياً كتنازع العجماوات بحيث تهضم به حقوق أفراد لنفع آخرين فانما هو تحايد للشرائع والقوانين بالحيلة والدهاء أو هو زيغان عنها بالاستبداد أو دوس لها بالقوة

وكلما ارتقى الانسان توسع في التشريع . وكلما ابتدأ نور الشرائع في نظام من نظامات الانسان تقلص ظل التنازع في ذاك النظام . ولهذا نرى الامم الراقية أوفر أمناً وعدالة وسلماً من الامم المنحطة

﴿ فعل التشريع ﴾ ولا يخفى انه لم يبلغ الجنس البشري هذا الحد أي حد تغلب الشرائع وتقلص التنازع الا لأن التجاذب والتدافع قد فعلا فيه أكثر مما فعلا في ما دونه من الاحياء . أي ان عملي فرز المتنافرات وجمع المتماثلات شديدان فيه جداً حتى تميزت جماعاته واستقل معظمها بعضها عن بعض . وما التشريع أو التقنين الا فعل من أفعال التجاذب التي تربط أجزاء الجماعة بعضها ببعض . فاذاً ما ندعوه قيداً للانسان انما هو تفوق له على الاعجم . وما ندعوه حرية للاعجم انما هو حطة له دون الانسان

وبناء على ما تقدم لا تعد جماعة من الجماعات في قمة ارتقائها حتى يتلاشى التنازع من بين أفرادها . ولا يتلاشى التنازع من بينهم حتى تصبح الشريعة خلقة فيهم يسيرون بموجبها من غير قوة منفذة . ومتى بلغت عدة جماعات أو أمم الى هذا الحد من الارتقاء أمكنها ان تنضم في جماعة واحدة كبرى

وأوضح مثل على تمام النظام في جماعة هو جماعات الحويصلات التي يؤلف منها الجسم الحيواني فانها كلها مؤتلفة تمام الائتلاف على النظام الاشتراكي العادل لانها تعمل معاً أعمالاً مختلفة متوافقة لغاية واحدة ولا تنازع بينها خلافاً للحويصلات الميكروبية المتفرقة التي لا نظام بينها ولا تآلف . فنسبة هذه الحويصلات الميكروبية المتفرقة الى الحويصلات التي تتألف منها الاجسام الحيوانية كنسبة العجماوات الى أفراد الهيئة الاجتماعية البشرية

بقي البحث في ناموس التحول وتطبيق أحوال الهيئة الاجتماعية على هذه النواميس واستخراج ما تفضي اليه نتائج الحرب الحاضرة . وموعدنا بذلك العدد القادم ان شاء الله

نقولا الحداد

وما جنيت على احد

هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد

ابو العلاء

. . . ما اعجب مرور الايام والسنين ! ابوك رفيق صباي فقد كنا معاً في كلية بيروت ثم ترك المدرسة قبل ان ينتهه فلم اره ولم اسمع عنه شيئاً منذ ذلك الحين

فاجاب الشاب وقد اغرورقت عيناه بالدموع : — لقد مات وأنا طفل في السنة الاولى من عمري فلا اذكره . وبالامس دخلت غرفة امي واذا بيدها صورة تنظر اليها والدموع الغزيرة تتدفق من عينيها . فوقفت بالباب لا اريد ان ادخل — وقفت وقوف ولد لا يريد أن يطلع على اسرار امه — لكنها انتبهت الي وقالت « ماذا تريد يا فؤاد ؟ » فاجبتها بصوت خافت « لمن هذه الصورة يا اماه ؟ » فقالت « هي رسم المرحوم والدك يا بني » . فوقفت شاخصاً الى الصورة وانا اكاد احسبها صورتي مكبرة . نعم سمعت الناس يقولون اني شديد الشبه بوالدي لكن امي كانت تنكر ذلك وقد علقت على حائط غرفتي صورة شاب عليه دلائل القوة والنشاط وقالت لي انها صورة ابي فاخذت الرسم من يدها وقلت لها « ما هذا يا امي ؟ اليس من شبه بين هذا الرسم والرسم الآخر الذي في غرفتي »

فنظرت الي بعينين مغرورقتين بالدموع ثم قالت : « ان هذه الصورة تمثل والدك قبيل وفاته وأما التي عندك فهي رسمه حين كان شاباً مملوءاً صحة وعافية »

فشعرت بارتباك في حديث امي وادركت ان في صدرها سراً تريد اخفاءه عني . فسكت ولم ارد ان ازعجها بسؤالاتي . وكأني بك الآن لا تريد ان تتركني قبل ان تعلم كل شيء عن حياة صديقك ورفيق صباك

كنت في الاسبوع الماضي افتش على من اتكل على احلاصه من اصدقاء ابي لاعرف منه ما اود معرفته ولم أتجاسر ان اسأل امي خشية ان تنتبه افكارها الى ذلك . واخيراً خطر ببالي الدكتور ... الرجل الذي احترمه كثيراً وتذكرت ما ذكرته لي امي عن صداقته القديمة مع والدي . فجئته ذات صباح الى عيادته فنهض لملاقاتي بابتسامة استأنست بها كثيراً ومد يده مصافحاً واجلسني الى جانبه

جلست وانا انظر في وجهه ثم قلت له اني جئتك مستفسراً عن كل ما تعلمه عن ابي لاني الان في العمر الذي يؤهلني لمعرفة كل شيء . ولم ارد ان اسأل امي لاني شعرت

ان في ذلك الحديث تذكارات تدمي قلبها وتوجع فؤادها واني مراعاة لاحساساتها حثت اليك لاسمع منك الحديث الذي لا تقل مرارة سرده على امي عن مرارات فراق زوجها فاستحلفك بالله ان تعيد عليّ تاريخه كما عرفته . وهل في الدنيا احق من الابن لمعرفة كل شيء عن حياة ابيه »

وكان الدكتور ... شهماً كريم الاخلاق طيب القلب فاخذ بيدي وقد مرّت سحابة انقباض على وجهه وقال « ماذا تريد ان تعرف مني يا صديقي ؟ اني عرفت والدك لاول مرة في القسم الاستعدادي من المدرسة الكلية . فاتخذته صديقاً وامتزجت به . وقد كان رحمه الله ولداً طيب الخلق لطيف المعشر محبوباً من الجميع

وظهر لي في اوائل السنة التالية ان والدك تغير تغيراً هائلاً . فاصبح عديم الاكتراث بالمدرسة غير مبال بدروسه حتى خيل لي ان ذكاءه قد تحول الى خمول . وكان قد انصرف بكليته الى مطالعة الروايات الغرامية والبحث فيما ليس له تعلق بمطاليبه المدرسية وهذا هو وجه الشكوى في حياة الكثيرين الذين يبسطون قوتهم على سطح متسع فيضعف تأثيرها

وطرقت باب غرفته يوماً ففتح لي وهو مبهوت ولكنه لما رآني قهقه ضاحكاً ثم اخرج من تحتة لفافة كان قد اخفاها خشية ان يكون الطارق احد الاساتذة والمدرسة تشدد في منع التدخين كما لا يخفى . ولعل التدخين كان اول درجة في سلم الفساد الذي صعد عليه ابوك . وفي خلال تلك السنة فعل اموراً كثيرة تنافي المبادىء الصحيحة فكان ينسل احياناً كثيرة من المدرسة الى المدينة دون رخصة الرئيس . ولا اخفي عليك يا ابني ان والدك في كل تلك السنة كان يطلب اللهو تحت استار العلم حتى ظهرت نتيجة ذلك في امتحان منتصف السنة اذ سقط في فرع الهندسة . وكأني بعزة نفسه التي اشتهر بها بين ارفاقه سوّلت له الابتعاد عن معاهد العلم فاشاع ان سقوطه نتج عن عزمه على ترك المدرسة في منتصف السنة . ووقع هذا الخبر وقعاً سيئاً عند الكثيرين من ارفاقه ومحبيه وهكذا خرج والدك من المدرسة دون أن ينظر الى الوراء فلم يشعر بالغلط الهائل الذي ارتكبه ولا بالفرصة التي أضاعها . ومنذ ذلك الحين اصبحت لا اراه الا اذا جاءنا زائراً والحقيقة أن المدرسة أسفت لخروجه كثيراً وسمعت مرة انه استخدم في محل تجاري وانه دخل في شركة جريدة أما الحقيقة فانه ظل يقتل الوقت مع بعض الارفاق الكسالى البطالين الموجودين في كل شارع وفي كل مدينة

ومرت اشهر عديدة لم أنظره فيها مطلقاً . وكان قد شاع بين ارفاقه التلاميذ ان خليل قد فسدت اخلاقه وانغمس في الملذات والملاهي وبات يعاقر الخمر ويتعاطى

القمار . واتفق انني رأيته مرة في ساحة الاتحاد فمشينا مسافة طويلة على طريق المنارة تحادثنا بها عن امور كثيرة ولم يخف عني شيئاً . فاسفت على صديقي — اسفت لاني رأيت الجمال الادبي قد زال منه تماماً . والنفس ترسم في العيون ما في الضمير وتخط على الجبين ما يفعله المرء من خير أو شر . فالافكار الراقية والاعمال الشريفة تترك على وجه الانسان جمالاً ادبياً يخجل عنده جمال الجسد وكل ما فيه من لون وجاذبية وسر

ورغبت ان تكون مسامرتي مع صديقي فيما يعود بالنفع عليه فاريته أن من العار على الشاب أن يكون عبداً لاهوائه واسيراً لشهواته . أما هو فظل سائراً لا يتكلم فاخذته بيده وشرحت له ان كلينا ونحن في ربيع الحياة معرضان لمساوىء كثيرة وآفات جمة ثم قلت له احترز ايها الصديق واعلم أن للجسم لذات لا تنكر ولكن الانسان في ايام شبابه ميال الى الافراط حالة كون للنفس والعقل لذات اعظم وان طريق الشر كالنهر الذي كل ما بعد من نبعه ازداد اتساعاً . فارسم لعينيك خطة الرذائل وانظر الى النقطة الاخيرة التي تجد فيها نفسك بعد زمن طويل . فالنشاط يا أخي هو الانسان الادبي فينا فاحذر من خمول الطبقة العليا وجهل الطبقة السفلى . ولا شك ان العلوم التي اقتبستها ستنجيك من آفة الجهل فاعيذك بالله من خمول الطبقة العليا — من الآفة التي سئمت الاجسام وصغرت بسببها العقول فاماتت العواطف وازالت الاحساس وافنت المروءة واني آسف ان ارى ذلك منتشراً في مدنية هذا العصر . لان الانسان في كل عصر هو الثمرة التي تنتجها القرون الخالية وتوصلها الى حالتها الحاضرة فكل عمل نعمله يستمر على حركته وينتقل الى سوانا

وكنت اتكلم وابوك سائر بجانبي وعيناه تدلان على ان فكره شارد في عالم الخيال . وشعرت انه تضايق من حديثي فغيرت الموضوع حتى اقتربنا من المدرسة فتركته وسار هو وحده الى المدينة

وفي مساء ذلك اليوم لم استطع الدرس لاني تحولت بافكاري الى ذلك الشاب الذي لو بقي معنا في المدرسة لكان في السنة الثالثة من القسم الطبي

ومرّ وقت طويل لم أر والدك في خلاله الا نادراً . ونلت شهادتي الطبية بعد تلك السنة وفتحت عيادتي هذه وكنت اسرّ كثيراً كلما حظيت بزيارة احد ارفاقي القدماء في المدرسة . وما اشد ما كان فرحي ذات يوم اذ زارني والدك فصافحته بقلب يطفح سروراً وجلسنا نتحادث عن السنوات القليلة التي لم أنظره في خلالها . ولا انكر عليك يا ابني اني لاحظت تغيراً قليلاً في صحة والدك فقد كان في رنة صوته العذب ما يدعو الى

الشك وفي اصفرار وجهه ما يحمل على الريب

ثم مرت سنة أخرى لم اشاهده في خلالها لقلة ترددي على اماكن اللهو والقهوات . وفي اواخر الربيع زارني مرة اخرى فاحزنني ضعفه خلته هارباً من القبر ثم اخذت يده فاجلسته بجانبي وقلت له : « ما الذي اصابك يا خليل ! هل أنت مريض ؟ اني لاحظت بده الضعف فيك منذ زيارتك الماضية لي فاصدقني الخبر ولا تخف عني شيئاً » وإذ غص في جوابه ادخلته الى الغرفة الداخلية وفحصته فوجدته مريضاً يتألم من مصابه . ولشدة حبي له ابيت أن املأ جوفه بالادوية والعقاقير التي قد لا تجديه نفعاً فقمت ويده بيدي وقلت له « هلم معي يا خليل الى الاستاذ ... فهو خير طبيب نستشيره في علتك »

ووصلت الى عيادة الاستاذ ... فلم يكد يفحص والدك حتى اظهر اسفه لتملك الداء فيه لان عيشة الخلاعة التي عاشها ابوك اكسبته مرضاً تعجز اطباء العالم كله عن شفائه

تركت والدك المرحوم وانا آسف اسفاً شديداً لمصيبته وزاد اسفي ان وجدت نفسي مغلول اليدين لا استطيع مساعدته لان مصيبته الجسدية كانت فوق قوى القدرة البشرية كما نعرفها نحن اليوم

بعد ذلك ببضعة اشهر اجتمعت بابيك ولم يكن تستره الخارجي ليخفي حقيقته عني لاني ابصرته يسير بخطوات واسعة الى القبر . وجلسنا نتجاذب الحديث فقال لي : « لقد تعبت ايها الصديق من عيشة الوحدة وسئمتها نفسي ولم يخطر ببالي الزواج ولكن بعض اصدقائي يلحون عليَّ ان اتزوج وانا لا اعرف كيف اتخلص من الحاحهم » فابنت له بلغة صريحة ان زواجه غلطة قد لا يرتكب افظع منها في حياته وافهمته من وجهة علمية طبية انه لا يصلح للزواج . أن والدك لم يكن ميالاً الى ذلك والمسئولية الكبرى تقع على جدك والد الارملة المسكينة التي تدعوها امك والغلطة التي ارتكبها ابوك هي خجله وعدم الصراحة في ما يجب ان يقوله . لاني اقنعته بعدم الزواج فلم يلبث الساعون في زواجه ان اقنعوه بعكس ذلك

وقرأت في الجرائد المحلية عقد خطبته فذهلت وسألته فسكت سكوت رجل ضعفت أعصابه ووهنت ارادته

وعلمت منه ان ميعاد الزواج ليس ببعيد . وكنت ذات مساء جالساً في عيادتي وانا أفكر بالمأساة التي سيكون بطل تمثيلها . وشعرت انني مسؤول أمام الله ومحكمة الضمير العليا عن صيانة الفتاة البريئة بل شعرت بأني أكبر المجرمين ان سكت عن السر الذي قد يكون سبب تعاسة عائلة باجمعها . ورأيت ان خير واسطة أخدم بها صديقي خدمة صالحة

هي ان أطلع أهل البنت على كل ما أعرفه

ركبت العربة فوجدت نفسي بعد بضع دقائق أمام البيت فدخلت . وقابلتني العائلة بترحاب وبشاشة نظراً للصداقة التي بيني وبينهم . وانفردت تلك الليلة بوالدي الفتاة ولم أخجل ان اكون شريفاً حراً في كل ما قلته لهما . أما الام فكانت تنظر الي نظرة الارتياب صاغية بسكوت الى حديثي . لكن الاب أهانني بكل ما وصل لسانه اليه من الالفاظ البذيئة حتى خرجت تلك الليلة مطروداً من تلك العائلة التي كانت من خيرة أصدقائي

خرجت من ذلك البيت وقد أغلق الباب ورائي بصوت مزعج . ووجدت نفسي واقفاً في الشارع والدموع تكاد تقطر من عينيّ أسفاً على المصيبة التي ثبت عندي وقوعها وعلمت بعد ذلك انهم منعوا والدك من الكلام معي بما لهم من السلطة عليه . أما أنا فبكيت صديقي حياً وأنا أعلم ان الملامة الكبرى ليست عليه بل على العائلة التي لم تكترث بنصحي

ألم أنطق بما أوحاه ضميري ؟ ألم أذع الحقيقة التي يجب ان تقال وتعلم ؟ اني لم أندم على ما فعلت لاني وان كنت قد حولت اصدقائي الى أعداء فقد شعرت براحة من جراء الحمل الثقيل الذي ألقيته عن عاتقي

وتزوج والدك كما علمت بعد ذلك . فانقطعت العلاقات الودية بيننا حتى الشهر الاخير من حياته اذ ذكرني رحمه الله وذكر اخلاصي له ونصائحي الودية فدعاني وهو على فراش الموت فذهبت اليه . ووجدته شديد الاسف كثير الندم . وكان كلما وقع نظره عليك أو ضمك الى صدره لاحت على وجهه غيمة سوداء . وقبل ان أتركه التفت اليّ وقال بصوت ضعيف « ان مدرسة العالم صارمة ولكنها شريفة جداً » وكانت هذه آخر كلمات سمعتها من فمه لانه مات في صباح اليوم التالي

هذه حياة والدك يا فؤاد اطلعتك عليها لان لك الحق التام وانت في هذه السن ان تعرف كل ما تريد من حياة والدك ولم ارضَ ان أحمل ضميري تبعة كتمان ذلك عنك وقد فارقك أبوك طفلاً وها أنت الآن شاب فتذكر انك أنت وحدك كل شيء في الدنيا لامك فكن خير معزٍّ لها . وها يدي ممدودة لاكون لك صديقاً ووالداً وتجدني شاكراً اذا اتكلت عليّ في كل مشاكلك واتعابك . فتشدد وكن رجلاً وداو ضعفك بالهواء النقي وحرارة الشمس فضعفك ورائي يا ابني ليس له في معمل الادوية دواء نافع »

خرجت من عيادة صديقي الدكتور بنفس مرّة وفي صدري من الهموم ما يكاد

تقتاني . ولم استنكف من ان أروي لك ما أعلمه لاني أجد في اخراجه من صدري افراجاً عني . واني لا انكر عليك اني وجدت بما عرفته عن والدي تعزية عظمى فاصبحت الان أعلم لماذا لا يحق لي وان كنت شاباً ان احب كما يحب كل الشبان الذين أعرفهم . اصبحت الآن ادري لماذا تنظر الي ماري ابنة جارنا نظرة شفقة ورحمة كلما نظرت اليها نظرة محبة وغرام . نعم ان جسدي ضعيف ولكن نفسي عظيمة وكبيرة في حبها اكثر من النفوس التي تحب وتهوى

***

وقفت أمام فؤاد والدموع الغزيرة تهطل من عيني حزناً على ذلك الشاب المسكين . وقبل ان أتمكن من محادثته اخذ يدي فودعني وتركني حائراً انظر اليه وهو يبتعد عني ورجلاه الضعيفتان لا تكادان تحملانه وهو يتلوى في سيره مسرعاً نحو البيت . وقفت أنظر الى ذلك الجسم الناحل وتلك النفس الحساسة فتمنيت لو ان مجموعة الشرائع البشرية الجائرة كانت بيدي لانقضها وأصلح ما بها من نقص . بل تمنيت لو ان الشريعة تضع حاجزاً منيعاً بين الزواج والشبان المرضى فلا تسمح لاحد منهم بالزواج قبل أن يبرز الشهادة الصحية الناطقة بخلو جسده من ميكروبات هذه الايام فتنجو بذلك الكثيرات من الفتيات البائسات الطاهرات من السقوط الى أسفل السافلين وراء زوج تاعس . بل لعنت الآباء المجرمين الذين يحسبون بناتهم ضيفات ثقيلات في بيوتهم فيسعون للتخاص منهن ولو بارسالهن الى جهنم هذه الدنيا . ورغبت من كل قلبي لو تفطن العائلات الى ذلك فتسن كل عائلة بمفردها قانوناً لا تسمح به لشاب ما على الاطلاق ان يتزوج منها قبل أن يقدم لها شهادة صحية من طبيب عاقل أمين

وكنت كأني لا أزال أنظر خيال ذلك الشاب منتصباً أمامي — ذلك الخيال الذي مع ضعفه الهائل ظهر لي كأنه يتهدد البشر أجمعهم بانحطاط النسل وقلة المواليد وانتشار الاسقام . ثم أسرعت الى غرفتي لاكتب هذه الحادثة كما سمعتها من ضحيتها المسكين

توفيق مفرّج

لاحمد بن محمد المقري : —

يا من يعز علينا ان نفارقهم   من بعدكم هدَّ ركن الصبر وانهدما
وان نأى الجسم كرهاً عن منازلكم   فالقلب ثاوٍ بها لم يصحب القدما
وما نسينا عهوداً للهوى كرمت   نعم قرعنا عليها سنّنا ندما

مذهب اللاشيء

فلسفة قديمة في اسلوب حديث

لم يتفرع علم من العلوم العقلية الى ما تفرعت اليه الفلسفة منذ أقدم عهدها حتى هذا اليوم فقد اتخذت في كل بلاد نبتت فيها شكلاً معينا وسيراً معلوما . وقد كانت في جميع أدوارها خاضعة لناموس النشؤ والارتقاء شأن سائر العلوم والنظامات . ولا شك ان كثيراً من الاعتبارات والعوامل الخارجية (حتى العوامل الجغرافية) أثرت في سير العلوم الفلسفية وبلوغها ما بلغته في هذا العصر من التقدم والارتقاء

وليس غرضنا الآن أن نبحث في نشؤ الفلسفة أو نبسط فروعها المتشعبة وانما نريد أن نقول كلمة على وجه الاختصار في الفلسفة الخيالية أو اللاشيئية

ما هي اللاشيئية ؟

اللاشيئية أو مذهب اللاشيئيين هو انكار وجود المادة . والقائلون اليوم بهذا المذهب قليلون لا يكادون يعدون على رؤوس الاصابع . وقد كانت فلسفتهم شائعة في العصور السالفة ولكن تقلص ظلها بمرور الزمن . وخلاصتها ان كل ما في هذا العالم هو خيال لا حقيقة له وان الحياة لا تفرق عن الظواهر التي يسميها الناس حلماً سوى في كونها اشد وضوحاً واكثر جلاء . وفيما عدا ذلك فهي حلم بكل معنى الكلمة . فاذا قلت لصاحب هذا الرأي انك تراه وتسمعه وتلمسه قال لك انك تفعل ذلك في حلم وان وجود الحواس ليس دليلاً على اليقظة أو الحقيقة . والحق أن اصحاب هذا الرأي متطرفون يصعب اقناعهم بالبرهان لانهم ينكرون كل شيء ويقولون أن نفس البرهان ليس سوى هذيان يهذيه الانسان في الحلم

والجواب الوحيد لهؤلاء القوم هو انه اذا كانوا لا يصدقون بوجود حقيقة في هذا العالم ويعتقدون أن كل ما في هذه الحياة هو حلم في حلم فكلامهم ايضاً داخل في حيز الاحلام وبناء عليه لا يمكننا ان نعتبره حقيقة فتسقط اذ ذاك دعواهم ولا تقوم لهم قائمة

على ان من هؤلاء فريقاً أقل تطرفاً منهم وهم الذين ينكرون وجود المادة ويقولون انه ليس في العالم حقيقة سوى الفكر . فالمحسوسات التي تقع تحت حواسنا ليس لها وجود الا نسبياً بمعنى انها توجد مع الفكر فاذا انتفى الفكر انتفت هي ايضاً . واشد انصار هذا الفريق العلامة بركلي الذي نبغ في القرن الثامن عشر ونشر آراءه بشكل محاورة

نسبها الى رجلين يدعى أحدهما هيلاس والآخر فيلونوس . وقد حاول ان يثبت بهذه المحاورة انه ليس في الوجود ما يسمونه مادة وان العالم انما يتألف من مجموعة أفكار

حقيقة المشكلة

لنفرض أن أمامنا مائدة خشبية سوداء اللون مستطيلة الشكل صقيلة الملمس صلبة المادة ذات أربع قوائم متساوية الارتفاع فكل من ينظر اليها يرى هذا الوصف منطبقاً عليها بحيث لا يكاد يختلف فيه اثنان . ولكن اذا دققنا النظر بدت لنا اوجه اختلافات شتى . فانه وان تكن المائدة سوداء اللون الا ان السواد ليس موزعاً على السواء في جميع أجزائها فان بعض تلك الاجزاء معرّض للنور اكثر من غيره فسواده اذاً أخف من سواد الاجزاء غير المعرّضة للنور . فاذا نظر عدة أشخاص الى المائدة في آن واحد كانت صور اللون الحاصلة في اذهانهم تختلف باختلاف بعدهم عن المائدة وموقفهم بإزاء النور وهلم جراً من الاعتبارات الاخرى . وليس ابرع من المصورين في ادراك هذه الاختلافات فانهم معتادون مشاهدتها ويمثلونها في رسومهم تمثيلاً يقربها من الحقيقة

وما يصدق على اللون يصدق ايضاً على شكل المائدة فانه يختلف باختلاف المركز الذي ينظر منه الناظر اليها . وهكذا قل في ارتفاعها وصلابتها ونعومة ملمسها وهلم جراً

فيتضح من ذلك ان اوصاف المائدة — وهي ما يعبر عنه الفلاسفة بلفظة « محسوسات » — انما هي اعتبارات نسبية تختلف باختلاف الاشخاص والاحوال . فلا يجوز اعتبار احدها حقيقياً والباقي وهمياً بل أن لكل من تلك الاعتبارات ما لغيره من الحق بان يكون الاعتبار الحقيقي . ولما كانت تلك الاعتبارات لا حد لها وهي تختلف بعضها عن بعض بل تكاد تكون متناقضة فقد ضاعت الحقيقة وصار اصحّ ان يقال انه ليس ولا لاعتبار من تلك الاعتبارات وجود حقيقي بل ان جميعها مجرد صور او اعراض حاصلة في الفكر . ولما لم يكن من الممكن تجريد الاعراض عن الجواهر وجب الحكم بانه ليس للجوهر حقيقة لان الجوهر والعرض متحدان متلازمان لا قيام لاحدهما بدون الآخر . فاذا كانت الاعراض أوهاماً كانت الجواهر ايضاً كذلك

وجه آخر للمشكلة

واذا ثبت ما قلناه تقرر ان جميع الاعراض (اي المحسوسات) والجواهر لا وجود لها الا في الفكر . فاذا نظرنا الى بناء مثلاً حكمنا بانه لا حقيقة له الا في الفكر بحيث لو انتفى الفكر انتفى معه البناء . وعلى هذا نبني القياس الآتي وهو ان كل موجود انما يوجد

لان الفكر يتناوله . وما ليس موجوداً انما لا يوجد لان الفكر لا يتناوله . فكل موجود اذاً يجب ان يكون في الفكر فان لم يكن في الفكر فهو غير موجود على الاطلاق

وايضاحاً لذلك نقول ان للشجرة مثلاً وجوداً لانها في فكر زيد . فاذا لم تكن في فكر زيد لم يكن لها وجود . واذا ثبت ان لها وجوداً فذلك لانهـا في فكر شخص آخر خلاف زيد . فاذا خلا كل فكر منها فلا وجود لها على الاطلاق

وقد ادرك بعض الفلاسفة ان في هذا المبدأ شيئاً من التطرف فتوسعوا في القياس وقالوا ان كل ما خلا منه فكر الله والانسان لا وجود له . وهو أقرب الى الصواب

الخطأ في النظرية

على ان هذه النظرية مبنية على خطأ سها عنه بركلي واتباعه وذلك انهم لم يميزوا بين وجود الشيء في الفكر مادياً ووجوده فيه نسبياً أو صورياً . فاذا قلنا ان الشجرة هي في فكر زيد فليس المعنى انها موجودة في فكره مادياً أي بجذورها وغصونها واوراقهـا بل المعنى ان صورتها متمثلة لفكر زيد . وبناء عليه فقد يجوز ان يكون للشيء وجود مادي بدون ان يكون في الفكر . نعم ان الاعتقاد الذي يحتم على المؤمن بوجود الله فانه لا شيء من الكائنات المادية يخرج عن فكر الله ولكن المقام هو مقام اثبات نظرية علمية

وهناك امر آخر حريٌ بالاعتبار وهو اننا قد ننكر الجواهر ولكننا لا نستطيع انكار الاعراض لان الاعراض هي محسوسات ندركها بواسطة الحواس واما الجواهر فيتعذر ادراكها بهذه الطريقة . فقد ينكر زيد وجود المائدة ولكنه لا يستطيع ان يتعامى عن الاعراض (اي المحسوسات) الملازمة لها من لون وشكل وارتفاع وصلابة وهلم جراً . نعم قد يكون واهماً في حقيقة تلك الاعراض ولكن نفس وجودها في الفكر دليل على حقيقة وجودها بصورة من الصور لان لا بد لكل معلول من علة . ولما لم يكن من الممكن ان تنشأ المحسوسات من لاشيء (اذ لا يمكن ان ينشأ شيء من لا شيء) فلا بد ان تكون صفات أو اعراضاً ملازمة لحقيقة لا نعلم ما هي وانما نعتقد اعتقاداً باطنياً انها المادة فلو فرضنا اننا وضعنا على المائدة غطاء يسترها عن الابصار فاعراضها تزول اذ ذاك . ولكن هل المائدة نفسها تزول ? لو كان الامر كذلك لبقي الغطاء معلقاً في الفضاء بطريقة عجيبة . وهو وهم واضح . وفي الفلسفة اوهام كثيرة

على ان هنالك وجوهاً اخرى لهذه المسئلة لا نستطيع الخوض فيها الان فنجتزىء بما بسطناه خوفاً من الملل

الدفاع عن المانيا

الحجج التي يتذرع بها الالمان للدفاع عن خطتهم

من الخطأ ان تلقى تبعة هذه الحرب على الشعب الالماني باسره ومن الظلم ان ننسب الى الالمان جميعاً الاثرة والهمجية . فمن دقق النظر وراض نفسه على السكون عند الحقائق رأى ان الشعب الالماني من ارقى الشعوب قاطبة. فالعالم مدين له بالعلم والفلسفة ففيه ظهر كنت وهيجل واوكن وفي الفنون الجميلة فقد انتج بيتهوفن ومندلسهن وفاجنر من اعاظم الموسيقيين وفي الادب والشعر فمن ابنائه هاين وغوته وشيلر وفي الصناعة فقد بلغوا شأواً لم تبلغه دولة اخرى

فمن هو المسئول اذن عن هذه الحرب ؟

ان في المانيا ستةً وستين مليوناً من الناس كان خمسة وستون مليوناً منهم لا يريدون الحرب لكن المليون الباقي كان يريدها وقد فاز ونال بغيته . . .

ذلك المليون هو حزب الحرب (Kriegspartei) الذي فيه كبار القواد والموظفين وفي مقدمتهم امبراطور المانيا وولي عهده . وليس لهذا الحزب كيان رسمي وانما نقصد به روحاً سرت في نفر من كبار الامة وضباط الجيش تطمح الى العظمة العسكرية والاثرة السياسية ونحو ذلك من الافكار التي هي اشبه بافكار اهل اجيال الفروسية في القرون المظلمة منها بروح العصر الحاضر — عصر الترابط المادي والادبي

ومن قادة هذه الحركة الاشعبية الجنرال فون برناردي وقد كتب في سنة ١٩١١ كتاباً سماه « المانيا والحرب القادمة » هو أفضل تعبير عن آراء تلك الطبقة وقد أظهرت الحرب الحاضرة صدق نبوات ذلك الكاتب وصحة ما جاء فيه عن مقاصد المانيا فلم نرَ أفضل من تلخيص ذلك الكتاب لافهام القراء حقيقة روح الحكومة الالمانية وغرضها من الحرب . قال المؤلف :

ظلت المانيا الى اليوم محبة للسلام فيلزمها صدمة قوية لتحيي شعورها الحربي وتظهر قوتها العسكرية لان دوام السلام يبعث على اخماد روح الشعب . فالحرب ضرورية لحياة الامم بل هي لازمة لتهذيب النفوس . وذلك لثلاثة أسباب :

أولاً — الحرب من الضروريات الحيوية . فهي مظهر من ظواهر سنة تنازع البقاء وبقاء الانسب . ولا ريب في انها توقف الحركة الصناعية وتعرقل الحياة الاقتصادية وتجر ويلات ومصائب لا تحصى لكنها مع كل ذلك ضرورية لحياة الامم . فالامم الحية تزيد

عدداً فتحتاج الى أراضٍ جديدة تسع اهلها المستجدين فتلجأ الى الفتح والاستعمار . ففي هذه الحالة يصبح الحق للقوة فينتصر القوي ويبيد الضعيف . وعلى هذه القاعدة يداوم العالم سيره نحو المدنية والكمال . وقد تأتي الحرب عن طريق التنافس الصناعي فاذا كانت مصنوعات الامة تزيد على حاجاتها فلا بد لها في البحث عن مصرف للزائد عنها وذلك تجده اما باستعمار البلاد البعيدة او باكتساح الاراضي المجاورة

ثانياً — الحرب من الضروريات الادبية . فهي تنمي الشجاعة والقوة والنشاط ونحوها من الصفات الادبية التي لولا الحرب لخمدت واندثرت . فالمطامع ضرورية للدولة كما هي ضرورية للافراد فانك تجد ارقى الشعوب واقربها الى الكمال اكثرها سعياً وراء الاتساع المادي والاقتصادي . اما اذا كانت الامة تهرب من أمام الحروب وتبتعد عنها فتصبح الامة ضعيفة وافرادها ماديين مخادعين محبين لانفسهم

ثالثاً — الحرب من ضروريات المسيحية . فانها تلجيء الافراد الى استعمال الثبات والرأفة والشجاعة ونكران الذات ونحوها من تعاليم الدين المسيحي ولا سيما حب الوطن. ففي الانجيل « أحبب قريبك كنفسك » ولا يمكن ان تعني هذه الجملة ان يحب الانسان غير وطنه لانه يقع حينئذ في حين متنافرين . فمن العبث ادعاء حب الانسانية ونحوها من الاقوال الخيالية التي لا يمكن تطبيقها على الواقع

ولهذه الاسباب فمعاهدات التحكيم مضادة لمصالح الشعوب القوية ومثلها كل الوسائل التي يتخذها رجال اليوم في سبيل السلم الدولي فانها جميعها جنونيـة ومنافية للآداب الصحيحة وغير لائقة بالجنس البشري لانها مناقضة لابسط السنن الطبيعية

واذا نظرنا الى المانيا على الخصوص وجدنا الحرب ضرورية لها اكثر منها لغيرهـا من الدول : اولاً لان الحرب تزيد ارتباط الاجزاء المكونة للامبراطورية الالمانية بعضها مع بعض . ثانياً لان الفتح يمنع مهاجرة الشعب الالماني الى بلاد غريبة . ثالثاً لوقاية الالمان من تيار الشعوب السلافية المتدفق على اطرافها

ويزيد هذه الضرورة قوةً منافسة فرنسا من حيث الاستعمار فان الدولة التي سحقتها المانيا سنة ١٨٧٠ هي اكبر دولة استعمارية بعد انكلترا ولم تكد المانيا تتكون وتقوى حتى كان العالم مقسوماً بين الدول العظمى فهي اذن مجبورة ان تلجأ الى الحرب لتوسيع املاكها

وليست الحرب نافعة فقط لالمانيا بل هي واجب عليها نحو العالم فانك لا تجد في العالم باسره شعباً روحه أقرب الى المدنية الصحيحة وآدابه انفع للهيئة الاجتماعية من الشعب الالماني . فانه اسرع من غيره في اتقان الصنائع والفنون وتطبيق المبادىء الصحيحة على الاعمال فن

الضروري أن يعم تأثير ذلك الشعب . ويتوقف ذلك على امرين : اولاً كم من الناس يتكلمون الالمانية وثانياً كم منهم تابعون للحكومة الالمانية



الامبراطور غليوم الثاني بلباسه المدني

فالمانيا اليوم امام طريقين : طريق السيادة وطريق السقوط . فيجب عليها والحالة هذه ان تتخذ خطة الهجوم والا تنتظر دولة أخرى تشهر عليها الحرب لئلاَّ تفوت الفرصة . فان الحرب لا بد منها عاجلاً أو آجلاً

ولا بد لالمانيا حينئذٍ من جلب سخط العالم عليها . فالدول تكرهها وتريد لها السوء نظراً لما هي عليه من الرقي المادي والادبي . وقد تنفصل ايطاليا عن المحالفة الثلاثية . ولا شك ان الدول العظمى تترقب الفرص لاضعاف المانيا فروسيا تخشى جارتها القوية وفرنسا تسعى في الاخذ بثأرها القديم وانكلترا تخاف منافستها لها على سيادة البحر . فعلى المانيا أن تسرع في واجبها المقدس

هذا مجمل رأي الطبقة العسكرية من الالمان . فالعالم المتمدن اليوم يرجو من قيام الدول على المانيا سحق هذه الروح فيها اكثر من سحق المانيا نفسها

الغرام في قصور الملوك

سجلات تاريخية مجهولة

الامير تشارلس ادوارد والاميرة لويزا ستولبورج

ليس في سجلات القصور رواية ابعث على الاسى من رواية الامير تشارلس ادوارد وعروسه الاميرة لويزا ابنة الامير غوستاف ادولف اوف ستولبورج

اشتهر البرنس ادوارد في التاريخ بجماله الفتان حتى قال فيه احد المؤرخين ان عينيه كانتا تفعلان بقلب كل امرأة ما لا يفعله السحر . ولقد كان وهو في حداثته موضوع اعجاب اسكتلندا ومحط آمال الاسرة المالكة (وهي اسرة ستيورت) ولم يشتهر بجماله فقط بل بشجاعته وحسن حديثه حتى كانت كل امرأة تمنى ان تجلس عند موطىء قدميه وتنظر الى محياه الجميل

على انه لم يتمتع بالسعد والهناء اللذين كان يحلم بهما في صباه ولم يزده كثرة تجواله في العالم الا حباً بالاهوال وشغفاً بالاندفاع مع تيار الاضطرابات

وكان كثير الادمان للخمرة حتى أفضت به الى شفاء عظيم . قال بعضهم انها أفضت به الى السجن في فرنسا ولكننا نشك في ذلك لان سجنه في فرنسا كان لاسباب أخرى لا موضع لبسطها الآن . وانما أجمع المؤرخون على ان تهتكه وانصبابه على الخمرة لم يبقيا عليه مسحة من الجمال

وأرادت فرنسا أن تستخدمه لمآربها السياسية فعرضت عليه عروساً جميلة وراتباً سنوياً لا يقل عن أربعين الف كورون . فقفز طرباً لهذه المساومة وهجر الكاس والطاس طمعاً بالعروس المعروضة عليه . على ان فرجة العمر التي كانت بينه وبينها لم يكن ليسدها فيض حبه لها فقد كان هو فوق الخمسين وهي دون العشرين

وكانت الاميرة لويزا مقيمة حتى ذلك الزمن في أحد الاديرة . فسير بها من هناك ليعقد لها على طالب يدها كغنمة تساق الى الذبح . قال عنها بعض الذين رأوها في ذلك اليوم ان جمالها الملكي كان مما لا يتحقق وجوده الا في المخيلة فقد كانت مائلة بشعرها الذهبي ووجنتيها المتوردتين وعينيها البراقتين وأجفانها الذابلة حتى قال كل من رآها ان هذا الا ملك كريم . والخلاصة ان الفرق بينها وبين عريسها كان عظيماً جداً

واتفق ان زواجها كان في يوم جمعة — وهو يوم يتشاءم منه الغربيون — فكان

الناس يشكون في امكان حصول الزوجين على سعادة وهناء . نعم ان الامير تشارلس هجر الزجاجة مدة واستعاض عنها بلذة الجلوس الى زوجة ذات جمال ساحر . ولكن عفته كانت الى أجل ولعله كان له عذر في ذلك فان الاميرة لم تخف عنه آراءها فيه بل كانت تسميه مهرّجاً مزّاحاً قد أشلت الخمرة أعصابه وحنت الايام ظهره . وأفهمته صريحاً انها لم ترض به بعلاً الا مجاراة لمقتضى السياسة وان في قصور الملوك كثيراً من الامراء الذين كانوا يودون ان يجلسوا عند موطىء قدمها ويتمتعوا بابتساماتها

وقد كان الواقع كذلك فان منزلها كان مثابة الامراء والعظماء الذين كانوا يتشوقون الى مجالستها والانصات الى صوتها الرخيم وسماع نكاتها الظريفة . وكانوا جميعهم يتفانون في سبيل مرضاتها واكتساب مودتها وبينهم الامير والسياسي والشاعر والكاتب والمصور ورجال شهرة من سائر الانحاء والا فاق

كذلك كانت تلك الاميرة تقضي أيامها . ولم يكن ملوك أوربا يعترفون بنسب زوجها ومع ذلك لم تكن تعبأ بهم . ولا شك انها كانت تستطيع ان تعيش بسعادة وهناء لولا يأسها من اصلاح حالة زوجها وارجاعه الى نخوته وتعقله

ولم ينقض زمن طويل حتى بدأ الامير يمل زوجته ويشعر بنفورها منه ورغبتها عن مجالسته الى مجالسة أصدقائها الذين كانوا أرفع منه منزلة في عينيها . ومنذ ذلك الحين رجع الى زجاجته وفي قلبه نار من الحسد والغيرة . ثم عمد الى مضايقة زوجته فصار يوصد عليها باب غرفتها ولا يأذن لها في مجالسة أحد من الاصدقاء

وكان يرافقها الى الملهى (التياترو) من آن الى آخر ومعه زجاجة الخمرة . ولم يكن الستار لينزل على الرواية حتى يستلقي على ظهره في مقصورته وهو يغط غطيطاً مزعجاً من شدة سكره فينقلونه الى بيته وهو أشبه بميت منه بحي

كل ذلك جرى قبل ان انقضى العام الاول على زواجهما . ولذلك كان للاميرة عذر ان تلتمس السعادة من طريق آخر . وكانت تقيم يومئذ مع زوجها في مدينة رومية حيث كانت الكثيرات من نساء الاشراف متهمات بمساكنة اخلّـة لهنّ سراً . على ان لويزا لم تشأ ان تقذف بنفسها في مثل تلك البالوعة بل رأت ان تلتمس راحة الفكر من طريق الدرس والمطالعة

وبعد قليل انتقلت مع زوجها من رومية الى مدينة فلورنسة . ولكن الامور سارت الى أردأ فلم يعد زوجها يسيء اليها بالكلام فقط بل تعداه الى التهديد فاصبحت تخشى على حياتها منه لا سيما وانه لم يعد يرى صاحياً قط . فكانت الآلام والمخاوف التي عانتها

الاميرة السيئة الحظ من اهول ما يتصوره الفكر . ولم ينقذها من تلك الوحدة الا ظهور ممثل جديد على مرسح حياتها وهو فكتور الفيري

كان فكتور الفيري من اجمل الشبان الذين عرفتهم أوربا لذلك العهد . وهو اكبر من الاميرة لويزا باربع سنوات وقد اجتمعت فيه جميع الصفات التي يتباهى بها الاشراف . وكان رحالة قد طاف بجميع عواصم أوربا حيث ترك وراءه تذكارات حسنة ولاسيما بين نساء القصور . وكان فضلاً عن ذلك شاعراً مجيداً ملماً بجميع صروف الحياة قد شرب كاسها حتى الثمالة ولم يكن يصعب عليه قط ان يأسر لب أي امرأة قذف بها الحظ في طريقه

هذا هو الشاب الذي بزغ نور محياه يومئذ على قلب الاميرة لويزا المظلم . وقد كتب الفيري عن تأثير أول مقابلة فقال « لقد وجدت اخيراً الامرأة التي استطيع ان احبها دون سائر النساء وقد شعرت منذ هذه الساعة بانها نفخت فيَّ حياة جديدة ومطامع أجدّ »

وعقب تلك المقابلة أيام سعادة وهناء كانت تخلو فيها الاميرة الى حبيبها تحت أجنحة الظلام وفي مظال الشجر فكانت نفساها تتناجيان وتتناشدان أناشيد الغرام بينما الامير تشارلس يغط في سكره ويخور كالثور

ومرت ثلاث سنوات على الاميرة وحبيبها وهما متمتعان بسعادة ما بعدها زيادة لمستزيد الى ان حدث ما لم يكن بالحسبان . ذلك ان الامير كان ذات يوم في سكر شديد وقد اكلت الغيرة قلبه فهجم على زوجته وحاول ان يخنقها . وكان ذلك منتهى الفظاعة فلم تعد الاميرة تطيق الاقامة معه يوماً واحداً بل دبرت في تلك الليلة ان تهرب في الصباح . فلما طلع الفجر أخذت رزمة من امتعتها وخرجت من البيت سراً وانطلقت الى دير مجاور . ولم يكد زوجها يصحو من نومه حتى ندم على ما فرط منه في الليلة الفائتة . وعلم ان زوجته ذهبت الى الدير فسار وراءها ولكنها لم تشأ ان تقابله على رغم تذلله وما اظهره من فرط الندامة . فظل يقرع باب الدير بعنف وشدة حتى خرجت الرئيسة وافهمته انه لن يستطيع الدخول وان زوجته لن تقابله فيما بعد . فعاد ادراجه وهو يندم على ما فات

وكان ذلك ختام الفصل الاول من هذه الرواية . وعاش الامير ثماني سنوات أخرى بعد ذلك لا رفيق له سوى الكاس حتى قادته الى القبر فاستراح وأراح زوجته

واذ ذاك اصبحت الاميرة لويزا حرة فصارت تتنقل هي وحبيبها الفيري من مدينة الى مدينة ومن عاصمة الى أخرى وكلاهما سعيدان لا يجدان في الحياة الا كل سرور وهناء . ويظهر انه لم يخطر ببالهما قط ان يتزوجا فبقيا مرتبطين برباط الحب الصافي تمر بهما السنون مرور الثواني

كيف نتعب ولماذا ؟

بحث تحليلي بسيكولوجي

نحن عائشون في عصر اشتد فيه التزاحم والتناظر الى درجة لم يعهدها العالم من قبل حتى اصبح طالب الرزق لا يرى بدأ من اجهاد قواه للحصول على معاشه والا قذفه تيار العالم جانباً ليحل مكانه من هو اصلح للمكافحة والجهاد

جل بنظرك في مسارح العالم ترى شبان اليوم وقد بدت على ملامحهم ظواهر الهزال والشيخوخة المبكرة لما يعانونه من المشاق في مناظرة مزاحميهم لا سيما اذا لم تعدّهم الطبيعة للكفاح والجهاد . وقد حدا ذلك المنظر بعض فلاسفة اليوم الى القول بان الجنس البشري آخذ في الانحطاط لان المدنية الحديثة تعمل على اضعاف الجسم من عدة وجوه والجسم هو اساس كل اعمال الانسان

فيحسن بنا والحالة هذه ان نلقي نظرة على هذا الموضوع الهام ولا ريب ان كلاً منا سأل نفسه مراراً نحو الاسئلة الآتية : لماذا نتعب بعد عمل شاق والآلة الميكانيكية لا تتعب ؟ ولماذا يتعب البعض بعد عمل قصير وغيرهم يجلدون طويلاً بلا ملل ؟ وما هي افضل طريقة للعمل باقل ما يمكن من التعب ؟ وما هو الفرق بين التعب العقلي والتعب العضلي ؟ فسنسعى في الجواب عليها ونبدأ اولاً بدرس

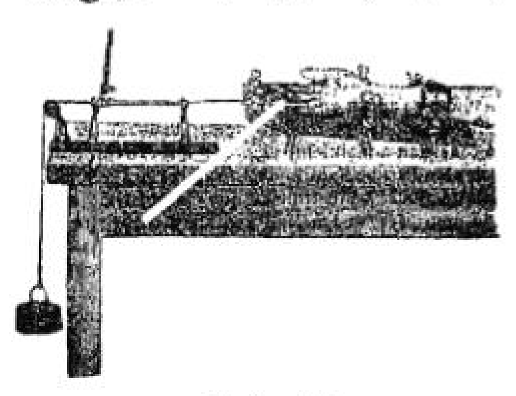
التعب العضلي

عضل الانسان مرن يتقلص عند الراحة وينتفخ عند العمل ويتخلل دقائق العضلة الواحدة اعصاب دقيقة جداً هي سبب ذلك التقلص والانتفاخ أو بالحري واسطته . فانك لما تريد تحريك يدك مثلاً يصدر الامر من مركز الحركة في دماغك الى العضو المقصود بواسطة الاعصاب فيتحرك . ولا يزال العلم يجهل حقيقة انتقال الاوامر العقلية من مراكزها الى اطراف الجسم . فلا نعرف اذا كان من نوع انتقال الحرارة في قطعة حديد . أو اذا كان اشبه بانتقال القوة الكهربائية أو غير ذلك . وانما تمكن العلماء من قياس سرعة هذا الانتقال بطرق لا محل لذكرها هنا فوجدوها نحو ٣٠ متراً في الثانية

والعلم الصحيح انما يقوم بالقياس الدقيق . ولم يتقدم العلم الا بتحويل الاستنتاجات المبهمة الى ارقام صريحة ثابتة . فاول ما يسعى فيه العالم في بحثه هو ايجاد طريقة لقياس الظواهر التي يبحث عنها . وقد تمكن احدهم من قياس التعب في العضلات قياساً علمياً

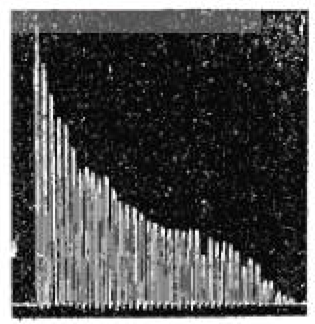
قياس التعب

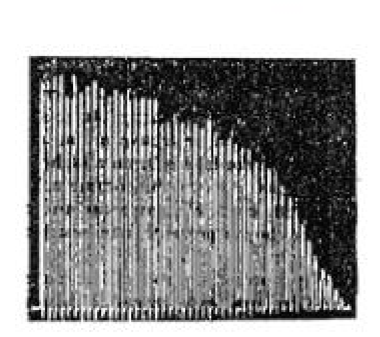
وذلك انه ابتكر آلة (انظر الشكل) فيها ثقل يرفع بقوة الاصبع فكلما قبض



آلة لقياس التعب

الاصبع قبضة رسم خطاً على لوحة بطول ارتفاع الثقل . فيبقى المختبر يقبض اصبعه ويبسطه في فترات قصيرة نحو ثانية او ثانيتين (والخطوط ترسم على اللوحة) الى ان يتعب ويعجز عن اعادة الكرة . فاذا نظرت الى اللوحة بعد ذلك وجدت عليها خطوطاً كالشكلين المرفقين





قياس التعب عند شخصين مختلفين

وهذه الخطوط يختلف شكلها حسب الاشخاص فمنهم من يكون التعب فيهم متدرجاً فتجد الخطوط المرسومة على اللوحة متدرجة في القصر ومنهم من تظل قوتهم مستمرة بارتفاع واحد ثم تهبط دفعة واحدة ونحو ذلك

فكل شخص يتعب بشكل مخصوص يختلف عن شكل غيره كما دلَّ القياس الدقيق المتقدم وقد يختلف الشكل للشخص الواحد حسب السن والاحوال

المواد التي تتولد في الجسم عند التعب

كلنا نعرف اننا نتعب اذا كررنا استعمال احد اعضائنا . فما هو سبب ذلك ؟ هل فقد نسيج العضل مرونته ؟ كلا ان العضل بحد ذاته لم تتغير خواصه وانما سبب عجزه ما تولد حوله من المواد السامة التي تمنعه عن العمل . فكأن التعب هو نوع من التسمم

وقد اجروا تجارب في هـذا المعنى على عضلات الحيوانات وخصوصاً الضفدع . فتأكدوا فعل تلك المواد السامة . لا سيا بعد تنظيف العضل منها بواسطة حقنة ماء مالحة تحت الجلد فان العضل بعد هذا الغسيل يرجع الى مرونته الاولى

وقد برهنت تجارب لافوازيه على ان العمل العضلي يزيد امتصاص الاكسيجين وتوليد الحامض الكاربونيك . ومن اهم المواد التي تتولد عند التعب ايضاً الحامض اللكتيك . فهذه المواد وغيرها يحرقهـا الاكسيجين ولـكن اذا كان تولدها سريعاً (اي اذا كان التعب شديداً) فتصبح كمية الاكسيجين الممتصة لا تكفي لحرقها . ومن ثم التعب . واذا كثرت المواد السامة في الجسم يمتصها الدم فتدور معه وتعم سائر الاعضاء وربما آل ذلك الى المرض

وقد دلت التجارب الحديثة على ان دم الحيوان التعب مسمم . فقد استخرج احدهم كمية منه وحقن بها حيواناً آخر فظهرت عليه علامات التعب

ناموس التعب

التعب لا يزداد بنسبة العمل اي انك اذا تعبت مقداراً معيناً في ساعة ففي ساعتين لا يكون تعبك مضاعفاً مرتين فقط بل يكون اكثر من ذلك . وكل من صعد جبلاً يعرف انه يجب عليه بذل قوة اعظم كلما صعد . فلا يمكن تشبيه الجسم بآلة ميكانيكية تعمل وقتاً معيناً لـكل كيلوجرام فحم يوقد فيها . فان جسم الانسان اذا تجاوز حداً مخصوصاً من التعب اصبح عرضة للتسمم فالمرض

وهناك سببان يقللان تأثرنا من التعب : (١) العادة (٢) ضعف الاحساس وهو يزيد كلما زاد التعب ومثل ذلك ان موظف البوسطة في اول نهاره يقدر ان يعرف بمجرد الحس اذا كان وزن الرسالة اكثر من الحد المعين له ولـكنه في المساء يصبح لا يميز بالدقة التي يميز بها في الصباح

التعب العقلي

تدل احدث المباحث والتجارب العلميـة على تشابه كلي بين التعب العقلي والتعب الجسدي فالقوانين المتقدمة التي تسري على تعب العضل تسري ايضاً على تعب القوى المفكرة

واذا تكلمنا عن تعب العقل فاننا انما نعني تعب قوة الانتباه . فالتعب اظهر فيها منه في سواها وقوة الانتباه هي بلا جدال اثمن قوة عند الانسان لانهــا واسطة رقية المادي والعقلي

ولا بد للباحث هنا من الوقوف امام معضلة العلم الـكبرى نعني علاقة العقل بالجسم. وليس هذا محل الخوض في هذا الموضوع الواسع ولـكن لا بد لنا من ان نقرر الآن متانة ارتباط العقل بالجسد . وقد اثبت العلمـاء اليوم ان التفكير يسبب تجمع الدم في الدماغ وسرعة التنفس وغير ذلك من الظواهر الفسيولوجية فضلاً عما يجري في خلايا الدماغ من التفاعل المجهول نوعه الى اليوم

وعند التعب يضعف النبض ويحمى الرأس وتحتقن العينـان وتبرد الرجـلان واذا تمادى الانسان فى التعب فقد يصاب بخفقان القلب والصداع الشديد ونحو ذلك

ومن اهم تلك الظواهر عسر الهضم وقد قال احد الاطباء « الرجـل الذي يفكر كثيراً يسوء هضمه كثيراً »

ومنها ايضاً تعب العيون فكثيرون معرضون له وبعض رجال العمل لا يتركون اشغالهم الا متى شعروا بتعب نظرهم وبالصداع المتسبب عنه

كل هذه الظواهر جسدية وللتعب العقلي ظواهر عقلية ايضاً فانه يمهد السبيل للاوهام والتخيلات الـكاذبة لاسيما عند عصبي المزاج ويجعل العقل حساساً يشعر باقل المؤثرات . فاكثر الناس اذا اجهدوا قواهم العقلية يصبحون صعبي المراس ينفرون ويغضبون لادنى باعث

هذا كلام اجمالي عن تعب العقل ولا شك ان للاستعداد تأثيراً كبيراً فالشخص الواحد يكون احياناً مستعدًّا للعمل لا يشعر بالـكلل الا بعد الوقت الطويل وقد يكون في احيان اخرى لا يميل الى العمل فلا يقوى على شيء

طرق العمل العقلي واهميتها

ييأس بعض الشبان احياناً في بادىء امرهم لما يرون من ضعفهم فيعتزلون العالم على اعتقاد ان نفوسهم اكبر من اجسامهم . لـكن تراجم الرجال العظام تدل على عكس ذلك فكثيرون من المشاهير كانوا نحفاء ضعفاء لـكنهم استعاضوا بالصبر وترتيب العمل عن البنية القوية

خذ مثلاً دارون . فانه كان ضعيف البنية ولـكنه مع ذلك ابقى آثاراً خالدة يرجع اليها العلماء في جميع مباحثهم . ومن نوعه كثيرون من الـكتاب والعلماء الذين انتجوا

بفضل مثابرتهم وترتيبهم ما لم ينتجه غيرهم من الذين اعدتهم الطبيعة للعمل الشاق

ومن العبث وضع قوانين عامة لطرق العمل فعلى كل فرد ان يدرس مزاجه ويوفق بينه وبين اشغاله

ولابد للرجل الذي يعمل بعقله من فترة عند ابتداء العمل يكسب فيها النشاط اللازم. وكل منا يشعر بذلك . فالخطوة الاولى اصعب من غيرها

والعادة عند الكتاب والرجال العظام ان يخصصوا الصباح للعمل الجدي ويجعلوا المساء والليل لمراجعة أعمالهم

الاجهاد العقلي

قال احد الكتاب عن حداثته : « لقد اتلف جسمي بتعب سبع سنوات أثناء نشأتي أي في السن التي كان يجب علي ان اكوّن فيها جسمي . . » ولا شك ان كثيرين من رجال اليوم يمكنهم ان يقولوا نحو ذلك . فطرق التربية القديمة اقتفت في تحميل الولد اكثر مما يحتمل . اما الآن فقد اصبح المعلمون والآباء يفهمون حقيقة معنى التربية ويسعون في حفظ التناسب بين تربية الجسد وتربية العقل والعواطف والارادة

وقد اجرى احدهم تجربة لمعرفة اهمية الرياضة واللعب للاطفال فقسم صفاً من الصفوف قسمين ترك احدهما يسير على الطرق القديمة من حيث تطويل وقت الدرس واجهاد قوى التلميذ . واتبع للآخر الطرق الحديثة ومحورها حفظ التناسب بين اوقات الدرس واوقات العمل فوجد في آخر السنة الفرق شاسعاً بين الفرقتين من حيث الصحة والاستفادة

من احسن ما قيل في الحرب

الحرب تترك بعدها ثلاثة جيوش : جيش من المشوهين وجيش من الباكين وجيش من اللصوص — مثل الماني

الحرب مجموع رذائل الجنس البشري يجتمع تحت رايتها الظلم والخداع والغش واللؤم والرداءة والطمع والقتل والسرقة والدناءة . ولو كانت نتيجتها قتل البشر فقط ما خفنا شرها لكنها تحول الانسان الى حيوان ضار فترجع به وبمدنيته درجات الى الوراء ـ شاتنج

اذا كان ثمت وجه شبه بين الارض وجهنم فانما يكون ذلك في الحرب ـ بارنس

ثق بكلامي وتأكد انك لو شهدت الحرب يوماً واحداً لتضرعت الى الله ان لا يريكها مرة ثانية ـ ولنجتن

الحرب تحت سطح الماء

الغواصات والطوربيد

١ — الغواصات

تشبه الغواصة سمكة هائلة ذات ظهر من الصلب وفم كفم الحوت تندفع منه قنابل الطوربيد الهائلة وزعانف وذنب لتسيير الغواصة . وقد كانت الغواصات عند اول اختراعها كثيرة الاخطار من الداخل ومن الخارج شأن سائر الاختراعات التي لا تزال في طور نشئها . ولكنها اليوم خالية من معظم تلك الاخطار . ولعل الغواصات البريطانية هي اكمل اتقاناً من غيرها واشد فعلاً مع ان الفضل في اختراع هذه السفن راجع الى الفرنسويين . وتأويل ذلك ان الانكليز لبثوا مدة ينتظرون نتيجة التجارب التي اجرتها نظارة البحرية الفرنسوية فلما ثبت لهم فائدة الغواصات اخذوا يعملون بهمة لا تعرف



منظر الغواصة وهي فوق سطح الماء

الملل فادخلوا عدة تحسينات على الغواصات وبنوا منها عدداً يتفق مع مقامهم البحري بين الدول الكبرى

ومما يستحق الاعتبار ان الغواصة لا يهمها هاج البحر ابداً فانها تستطيع ان تغوص

الى عمق تكون فيه بمأمن من الامواج المتلاطمة فلا تشعر بالاضطراب الذي تشعر به السفن التي فوق مستوى البحار . ولولا ذلك لضاعت مزية الغواصات لان اهم ما تقتضيه هو ثباتها في اوقات الزوابع وعند اشتداد الانوآء . وهذا الثبات راجع الى بعض الاختراعات التي توصل اليها بانو الغواصات . فمتى ارادت الغواصة ان تغوص تحت سطح البحر ملأت « خزّاناتها » ماء فاذا ارادت العودة الى فوق الماء افرغت تلك « الخزّانات » . ثم ان هنالك أثقالاً توضع في قاع الغواصة حفظاً لموازنتها عند اطلاقها الطوربيد على سفن الاعدآء . وفيها كذلك آلات عديدة مختلفة التركيب لكل منها وظيفة خاصة

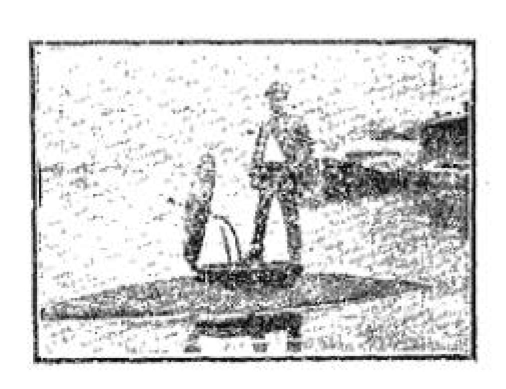
بدأت انكلترا بناء الغواصات منذ اربع عشرة سنة ولا تزال طريقة بنائها سراً مكتوماً فان جميع العمال الذين يشتغلون ببنائها ملزومون بالتكتم التام ولا يؤذن لاجنبي ان يزور غواصة بريطانية مع ان ذلك غير محظور في السفن الحربية الاخرى . وسبب ذلك ان الغواصات البريطانية تفوق ما سواها من غواصات الدول والحكومة تتكتم اشد التكتم في حفظها . والحق ان بعض الغواصات البريطانية الحديثة هي اشبه بالطرادات في حجمها وسرعتها وقوتها منها بالغواصات

تستطيع الغواصة ان تسير فوق سطح الماء وتحته . وفي كلتا الحالتين لا يستطيع المشاهد ان يرى نوتيتها الا نادراً . وقلما يتجاوز عدد أولئك النوتية الاثني عشر لكل منهم وظيفة خاصة . ويكونون غالباً في أسفل المركب ما عدا القائد ومساعده وقد يكون معهما واحد او اثنان من النوتية للقيام ببعض الاعمال المطلوبة . ولجميع هؤلاء النوتية ثياب مخصوصة لا يمتاز بها القائد عن غيره ولذلك تراهم اشبه بعائلة واحدة

تسير الغواصة فوق سطح الماء بسرعة عظيمة الى ان تبلغ نقطة يحكم القائد عندها بوجوب الغوص تحت سطح الماء . واذ ذاك ينزل الجميع الى بطن الغواصة ويأخذ كل مركزه ويبدأ بوظيفته

وقد كانت الغواصات عند اول نشأتها تسير بقوة الغازولين ولكنه اهمل فيما بعد لان الغازات التي تنبعث عنه سامة فيما لو حدث انفجار او رشح بخاره الى المحيط المجاور . ولما كان غاز الغازولين يصعب مشاهدته او الشعور به الا بعد ان يكون قد انفذ سمه كان النوتية في أوائل عهد الغواصات يضعون الفيران في أقفاص في الغواصة فاذا ظهر من الفيران علامة اضطراب أسرعت الغواصة في الصعود الى وجه الماء . أما اليوم فقد استبدل الغازولين بالكهرباء فزال كل خطر من هذا القبيل

ومتى ارادت الغواصة ان تغوص تحت الماء تفعل ذلك بالتدريج فيغوص مقدمها أولا



الغواصة قبل ان تغوص تحت الماء

ومتى تم غوصها لا يبقى منها فوق سطح الماء الا منظارها (ويسمى « بريسكوب ») وهي لا تستطيع ان ترى شيئاً بدونه . أما داخلها فمضاء بالكهرباء والنوتية لا يستطيعون ان يروا السفن التي فوق سطح الماء الا بواسطة البريسكوب

ولا تستطيع الغواصة ان تغوص الى عمق كبير لان ثقل الماء وضغطه يحولان دون صعودها الى السطح . واقصى عمق تستطيع السير فيه مئة وعشرون قدماً فاذا غاصت الى اعمق من ذلك تعذر عليها الصعود الى سطح الماء



الشبكة الواقية للسفن الحربية

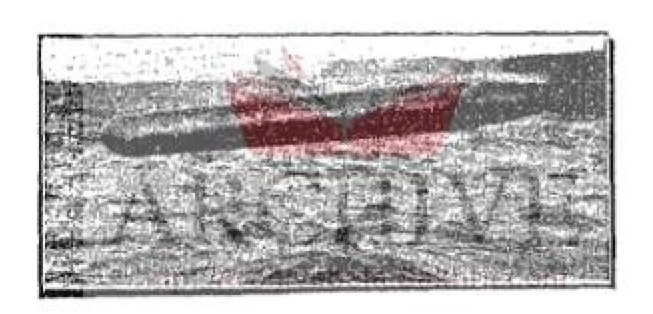
وأول واجب على الغواصة عند مهاجمتها سفينة العدو هو ان تختفي في عمق يجعلها في مأمن من الانظار ثم تقف بازاء العدو موقفاً يمكنها من قذف الطوربيد . فمتى وصلت الى مركز موافق فتحت انبوبها وأطلقت عليه طوربيد الهلاك . ولبعض الغواصات انبوبان او ثلاثة او اربعة . ولا أمل للسفينة المصوبة عليها هذه الطوربيدات بالنجاة فان

الشباك الواقية انما تقي من طوربيد المدمرات لا من طوربيد الغواصات . وسبب ذلك ان الشباك الواقية لا تكسو قاع السفينة بل جوانبها فقط

وتستطيع بعض الغواصات ان تسير نحو أربعة الاف ميل وان تظل ثماني واربعين ساعة تحت سطح الماء . وهي تحمل فضلاً عن الطوربيد مدافع صغيرة سريعة الانطلاق لاستعمالها فوق سطح الماء . وتحمل ايضاً عدة من التلغراف اللاسلكي

٢ — الطوربيد المتحرك

هذا اهم ما يقال في الغواصات . اما الطوربيد المتحرك فهو عبارة عن قنبلة من الصلب بشكل اسطوانة مخروطية طولها نحو عشرين او اثنين وعشرين قدماً وثقلها نحو الفي رطل (ليبرة) . وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام :



الطوربيد المتحرك

(القسم الاول) وهو طرف الطوربيد المقدم ويحتوي على نحو مئة وثلاثين رطلا أو اكثر من قطن البارود . وهذا القسم مصنوع من البرونز المطروق

(القسم الثاني) وسط الطوربيد وهو عبارة عن غرفة مملوءة بالهواء المضغوط لدفع الطوربيد . وهذا القسم يستطيع احتمال الضغط بمعدل ثلاثة آلاف رطل على القيراط المربع مع انه قلما يحتوي على هذا المقدار من الهواء المضغوط . وهذا القسم يشغل معظم الطوربيد وهو بمثابة مرجل السفينة

(القسم الثالث) اما القسم الثالث أو الذنب فيحتوي على آلات دقيقة تدفع الطوربيد وتوجهه بحسب الرغبة توجيهاً عجيباً . فكأن لتلك الآلات الدقيقة عقلا وادراكاً يمكنانها من تسيير الطوربيد . وتعمل هذه الالات على مبدإ الدوّامة (الجيروسكوب) فتدار بطريقة معينة لتوجيه الطوربيد في جهة معلومة فينطلق ولا يقف حتى يجد عدوّه فيمسه وينفجر كأن له عقلاً يدرك ويعلم اين يقف وكيف يسير

قوانين الحرب

حسب الاتفاقات والمعاهدات الدولية

بين كلمة قانون وكلمة حرب تنافر ظاهر . فليست الحرب الا نفي كل حق وقانون . وانما يوقف الدولة عن الاسترسال في الفظائع والمنكرات ما تخشاه من قيام الدول الاخرى عليها والاخذ بثأرها منها . فمن صالح الدول المتحاربة تعيين حدود تتفق عليها لا تتعداها. ومن التساهل استعمال كلمة قوانين للدلالة على القواعد المتفق عليها قديماً وحديثاً والمعاهدات الدولية المتعلقة بالحرب وتوابعها . فالقانون انما يقوم بسلطة تنفذه وتعاقب مخالفيه مما ليس له أثر بين الدول اليوم . ولكن لا بأس من درس تلك القوانين فانها تدل على مساعي الجنس البشري في تخفيف ويلات الحرب — وان يكن المتحاربون يتناسونها في كثير من الاحيان

وللقوانين والمعاهدات الدولية مبدأ أساسي يمكننا ان نضعه في قولنا : « للحرب ويلات ضرورية لا بد منها . فعلى المتحاربين ان يقتصروا على تلك الويلات الضرورية والا يتعدوها الى ما يمكن ملافاته والاستغناء عنه » فكل الاتفاقات المبرمة بين الدول ليست الا تطبيقاً لهذا المبدأ البسيط

قيل « الغاية تبرر الواسطة » فهذا القول صحيح في الحرب قبل سواها. فلا شك ان الغرض الرئيسي لكلا الفريقين المتحاربين احراز النصر مهما كانت سبله . ولذا نرى قواد الدول العظمى يدوسون تحت أقدامهم المعاهدات التي ابرمتها حكوماتهم بشأن الحرب . ومن هذا القبيل قول المستشار الالماني « الضرورة لا تعرف قانوناً »

خذ مثلاً اتفاق الدول على منع استعمال بعض انواع المفرقعات والقنابل فاننا نسمع في كل يوم الفريقين المتحاربين يتهمون بعضهم بعضاً باستعمالها

انظر ايضاً الى الطيارات فان مؤتمر لاهاي سنة ١٨٩٩ منع رمي القنابل من المناطيد والطيارات . لكن الطيران تقدم تقدماً سريعاً بعد ذلك فاصبحت الدولة السابقة في هذا المضمار لا تتردد في الاستفادة من تقدمها واستخدام الطيران للدفاع عن كيانها والنصر على اعدائها . فمن هذا القبيل ترى ان جميع الدول الاوربية قد نقضت المادة المتقدمة من معاهدة لاهاي . وقس على ذلك ضرب المدن غير المحصنة واحترام غير المتحاربين الخ . . .

واليك نتف من القوانين الدولية عن اهم المسائل التي يحتاج الى معرفتها القارىء :

﴿ املاك الاهالي اثناء الحرب ﴾ للدولة المحاربة حق التصرف المطلق بجميع الاملاك الخاصة سواء كانت لبنيها او لنزلاء اجانب وان تستخدم كل ما يقع ضمن حدودها لغرض الدفاع عن كيانها والنصر على اعدائها من غير ان تجبر شرعاً على دفع تعويض ولكن النزلاء يمكنهم ان يطلبوا تعويضاً عن طريق حكوماتهم . وبناء على هذا الحق المتفق عليه بين الدول استولت انكلترا عند بدء الحرب على اربع سفن حربية كانت تجهز في حياضها لتركيا وشيلي واستخدمت كل السكك الحديدية (وهي ملك شركات) لتعبئة الجيش ونقل المؤن . وهذا الحق يخول ايضاً كل دولة ان تمنع تصدير المواد الغذائية ونحوها

﴿ رعايا الدولة المعادية ﴾ المعروف بين الدول اليوم انه ما زال وجود الرعايا التابعين للدولة المعادية لا يضر بالامن العام فلا داع لاخراجهم . لكن للحكومة حق مراقبتهم والتضييق عليهم من بعض الوجوه مراعاة لسلامة الدولة . أما اذا كان يخشى من وجودهم خطر فللدولة حق اخراجهم من حدودها سواء كان الخطر ناشئاً عن شك في نيتهم أو خوف من تجسسهم أو كان من مقتضيات خطة الحرب وسيرها العام . وللدولة حق الحجز على الاجانب المطلوبين للخدمة العسكرية من الاحتياطيين ولكن لا يجوز اعتبارهم اسرى

﴿ المتحاربون ﴾ للعدو حقوق يجب ان يحترمها المحارب . من ذلك انه يجوز قتله ما زال مدافعاً ولكنه بعد تسليم سلاحه يجب اعتباره اسيراً ومعاملته معاملة حسنة . ولكي يعتبر الرجل محارباً ويعامل بمقتضى ذلك يجب ان يكون تحت سلطة ضابط أو قائد وان يتزيا بزي مخصوص ويحمل سلاحه ظاهراً ويتبع قوانين الحرب . ولكن يعتبر أيضاً « محاربون » بالمعنى الخاص أهل مقاطعة يتسلحون فجأة لصد هجمات العدو والدفاع عن وطنهم فلهم حقوق الجنود وان لم تجتمع فيهم الشروط المتقدمة

ويجوز رمي الاسرى بالرصاص اذا تمردوا على الموكلين بهم أو سعوا في الهرب ويجوز اطلاق سراحهم في بعض الاحيان بعد ان يقسموا بشرفهم ان لا يحملوا السلاح ثانية . وعلى الدولة الآسرة ان تقيد أسماء الاسرى وحالتهم . واذا مات أحدهم وجب عليها ان تقدم تقريراً باحوال الوفاة واسبابها

أما الذين يتبعون الجيش من صحافيين ومهندسين وبائعين ومقاولين وغيرهم فيجب ان يحملوا شهادة من القائد تخولهم حق اتباع الجيش وهم عرضة للاسر كالجنود

﴿الجواسيس﴾ التجسس جائز لكلا الفريقين المتحاربين لكن الجاسوس اذا قبض عليه يرمى عادة بالرصاص . وليس كل من سعى في اكتشاف أسرار العدو جاسوساً وانما يقصد بالجاسوس هنا من يستعمل الخداع والحيلة لهذه الغاية . فلا يجوز اعتبار الجندي اللابس زيه العسكري جاسوساً . ومثله الطيار

﴿المرضى والجرحى﴾ أبرمت الدول عدة اتفاقات بشأن الجرحى والمرضى كي لا يحرموا الاعتناء اللازم بقطع النظر عن الحكومة التي ينتسبون اليها . واذا اجبر احد الفريقين على ترك جرحاه في ساحة القتال فعليه ان يبقي بجانبهم جزءاً من أطبائه وممرضيه . أما اذا أسرهم الفريق الآخر فانهم يصبحون أسرى ويعاملون بمقتضى ذلك ولكن يجوز تسليمهم لاحدى الدول المتحايدة

﴿المتحايدون﴾ على الدول المتحايدة واجبات اذا لم تعمل بها جاز اعتبارها داخلة في الحرب . فلا يجوز لها مساعدة احد الفريقين بشكل من الاشكال . والدولة لا تعتبر متحايدة الا بعد أصدار اعلان تحايد رسمي . واذا خرق احد الفريقين حيادها فعليها حجز القوة التي خرقت الحياد سواء كانت برية او بحرية الى نهاية الحرب . ولا تعتبر في هذه الحال مدافعتهم عن حيادهم دخولاً في الحرب

﴿الحصار﴾ لا يجوز ضرب المدن غير المحصنة . واذا سلمت المدينة المحاصرة فلا يجوز الحاق الاضرار بها أو باهلها الا اذا كان ضرورياً للمحافظة على المدينة

﴿الحرب البحرية والسفن التجارية﴾ لا يجوز حجز السفن التجارية التي يخفق عليها علم احدى الدول المتحايدة ولكن يمكن تفتيشها وحجز كل المواد المهربة من احدى الدول المتحاربة واليها . واذا كانت المواد المهربة اكثر من نصف محمول السفينة فحينئذ يمكن اعتبار السفينة كلها تحت الحجز . أما المواد غير المهربة فيمكن ان تصل الى ميناء العدو بامان ما زالت تحت علم الدولة المحايدة وعلى شرط ان لا يكون الميناء محصوراً بحراً أي ما لم يكن الاسطول واقفاً أمام الشواطئ يمنع الخروج منها والدخول اليها . وتعتبر موادمهربة الاسلحة وكل ما يتعلق بها والآلات والمواد التي يرجى منها اسعاف الجيش بوجه من الوجوه

هذه بعض القوانين المتعلقة بالحرب وفي كل يوم نقرأ عن خرقها ونسمع كل فريق يتهم الفريق الآخر بذلك ولا يمكننا ان نعرف الحقيقة الا بعد نهاية الحرب ويا حبذا لو تتولى لجنة من المتحايدين البحث في حقيقة مزاعم الدول المتحاربة لان المسألة تهم العالم باسره

فالعالم اليوم يتشوق ان يعرف هل المعاهدات الدولية مجرد الا « قطع ورق » لا قيمة لها أم هي ذات قيمة اخرى

درس للقلوب

رسالة من فتاة الى شاب

مثال من بلاغة العرب

حبيبي رولاند

امضيت الليلة الفائتة وانا أتقلب على احر من الجمر . لم اكن اعلم قبلا ان النفس تستطيع ان تعاني ما عانيته من الآلام المبرحة . فقد طال بي الليل حتى ظننت ان ليس له صباح وكنت كيفما انقلب ارى حولي ظلمة دامسة واشباحاً مزعجة

لست اعلم ماذا اكتب اليك يا رولاند فان قلبي مفعم باحزان تنوء بها راسيات الجبال ولو كنت قريباً مني لشقفت لك هذه الحشاشة وأريتك ما بها من يأس وغرام . ولكن ما عسى ان يهمك يأس فتاة اقصاك عنها الزمان وسدل بينك وبينها حجاباً من النسيان ؟

لا تسؤك كلامي هذا يا رولاند فان اعباء الهموم التي انا رازحة تحتها تكاد تذهب بالبقية الباقية من هذا الفؤاد وتطوي آخر صفحة من الآمال التي كنت اتعلل بها حتى هذا اليوم . ولولا ذكرى ايامنا الماضية وما نعمنا به من احلام الغرام لكانت كل دقيقة من الدقائق التي اعيشها الآن ابدية مخيفة

واحدة وتنقضي يا رولاند . فان كان لك في البعد عني سعادة فاني اطيل بعادي عليك . فانعم بالا وقر عيناً وانس مواقف عهدنا القديم . لعد يؤلمك ذكر ذلك العهد بقدر ما اجد فيه سعادة وهناء . بل لعد اجد فيه انا ايضاً عذاباً وشفاء . أليس العصفور انعم بالاً لانه لا يذكر امسه ولا يخاف من غده ؟ أم ليست الآلام التي اعانيها اليوم نتيجة ذكرى الامس ؟

لتدم لك السعادة يا رولاند . انني افرح اذا رأيتك تبتسم ولو عن بعد . كلما طال بي الليل اتمثلك منبسط الاسرّة باسم الثغر واوهم نفسي بانني اسمع صوتك وانصت الى حديثك . هي اماني فتاة احبتك يا رولاند فلا تسخر منها في ظلمتها الدامسة بل تذكر تلك المواقف السالفة وما عقدناه فيها من عهود ووعود

اراك تحاول ان تكتم عني ما بك من الحزن الشديد فانت تبتسم عن بعد ولكن ما بين سطورك تشي بذلك الابتسام . ولو علمت ما اعانيه من الغم بسبب حزنك لعدت الى ابتساماتك القديمة فلكم كان فيها بلسم لجروح لا تقبل الاندمال

اهواك يا رولاند . لو استطعت ان اطير اليك لانطرحت على قدميك واسمعتك خفقان هذا الفؤاد الرازح تحت أثقال الهموم . او ما كنت تبتسم لمرغريت وهي راكعة عند قدميك تلتمس منك امراً ربما لا يفسح لها الاجل في الناس غيره وهو ان تنسى تلك الحادثة التي مزّقت احشائي قبل احشائك وكادت تقضي على البقية الباقية لي بين الضلوع؟ فاذكر انني لا أزال احبك حباً هو العبادة بعينها أو يتجاوزها الى حد الجنون . بل انا أحبك كل يوم « اكثر من الامس واقل من الغد »

ان الغد سينسيك الامس يا رولاند فتعود الى ابتساماتك العذبة وترجع الى عهدك القديم . وما الذي يضر الصيف أن تعترضه سحابة ثم تنقشع ؟ أليست الشمس تشرق والطبيعة تبتسم والازهار تملأ الفضاء برائحتها الشذية ؟ أليست الملائكة تبتسم للمحبين كما كانت تفعل منذ خلق الله عيوناً تبصر وصدوراً تعي وقلوباً تحب ؟

اتمثلني واقفة معك وقد القيت برأسي على صدرك وعيناي تنظران الى عينيك وكلانا ساكتان سكوتاً ابلغ من النطق . ترى هل يأتي يوم يتحقق فيه هذا الحلم المنيء فننسى ما نحن فيه الآن من يأس واحزان ؟

علامَ تطلب مني الصفح يا رولاند ؟ انا لا ادري لك زلة سوى كونك احببتني وانا دونك في كل شيء ما عدا الحب . نعم انني مقصرة عنك في كل شيء ما عدا هذه العاطفة الروحانيـة فانني افوقك فيهـا وهي نورٌ لي في ظلمتي الدامسة . بل لقد تحولت فيّ الى عبادة واجبة يا رولاند فكما يسكب المرء نفسه أمام خالقه هكذا أسكب نفسي أمام صورتك وانا راكعة كما يركع العابد أمام معبوده . واذا كان هذا مقدار حبي لك وانت بعيد عني فكيف يكون عند اللقاء ؟

بل انا اخشى ذلك اللقاء يا رولاند . اخشى ان انظر الى عينيك فيستولي عليَّ السكوت ولا اعود اعلم ماذا اقول سوى انني احبك حباً تغبطني عليـه الملائكة لانني اجد فيه كل سعادة وهناء . حقاً أن الملائكة ليست اسعد حالاً من مرغريت متى كانت تظللها اجنحة الغرام . واذا كان في السماء سعادة كما يقولون فذلك لانهـا منبع الحب الطاهر وملتقى المحبين

كلما جلست لاكتب اليك شعرت بسعادة لا توصف وهي السعادة الناشئة عن مناجاة نفسين متحابتين لا يستطيع الزمان ان يفصل بينهما . واذا كان لليـل حسنة تشفع في سواده فهي انني اخلو فيه الى مناجاتك واتنعم باحلام اود لو انها تطول . ولـكن ما لذة الحلم اذا اعقبته يقظة رائعة ؟ اجل يا رولاند . قد تكون للاوهام لذة تفوق لذات الحقائق

لان هذه تخضع لها النفس واما الاوهام فتتكيف كما تهوى النفس . لذلك كثيراً ما اغمض عيني في النهار لكي أتمتع بالاوهام التي تخترعها مخيلتي وهذا التمتع يجعل للحياة معنى لا يدركه الا الذين يعرفون لذة الاحلام

ان اقل ما أتمناه لك هو ان تعيش سعيداً يا رولاند . فان كان في حبنا سعادة لك فابشر بان سعادتك خالدة لان حبي لك ثابت على مدى الخلود . واذا كانت الحياة تمتد الى ما وراء الخلود فانتم بسعادتنا من سعادة ابدية . وان كان عالم الهيولى حائلاً دون اجتماعنا اليوم

اقرئك سلامي الى حين اللقاء يا رولاند . انني مقيمة على عهودك ما دام لي قلب ينبض

مرغريت



جائزتان

لقراء الهلال في سائر الانحاء

بدأت ترد علينا الجوابات على اقتراحنا في الهلال الاول وقد رأينا ان نكرره في هذا الجزء بشيء من الايضاح نظراً لما ورد علينا من الاستفهامات بشأنه

﴿ الموضوع ﴾ تمنح الجائزتان لافضل جوابين على السؤال الآتي :

ما هي حوادث التاريخ السبع العظمى منذ بدء الخليقة الى هذا اليوم ؟

﴿ الشروط ﴾ ١ : يجوز لكل قارىء من قراء الهلال الدخول في هذه المسابقة ٢ : يكفي ذكر الحوادث ونعني بها كل ما وقع في العالم من حروب واديان واختراعات واكتشافات وغير ذلك بدون شرح او تفصيل مرتبة بحسب أهميتها وليس بحسب ترتيبها الزمني ٣ : يجب ان تكون الاجوبة قد وصلت الى ادارة الهلال قبل ١٥ يناير سنة ١٩١٥

﴿ الجائزتان ﴾ الجائزة الاولى : اهداء مجلة الهلال عن سنة مع كتب من مطبوعات ادارة الهلال بقيمة مئة غرش مصري يختارها الفائز

الجائزة الثانية : اهداء مجلة الهلال عن سنة

﴿ الحكم ﴾ يكون الحكم في الجائزتين مبنياً على الحوادث السبع التي تحوز اغلبية اصوات القراء واذا اختلفت الاجوبة اختلافاً كلياً فلادارة الهلال الحق النهائي في الحكم

مبادىء الحرب الاولية

ما لا يستغني عنه القارىء لفهم خطط المتحاربين

ليس الغرض من هذه المقالة التوسع في فنون الحرب واصوله وانما الغرض ذكر ما لا يستغني عنه قارىء اخبار هذه الحرب — ومن ذا الذي لا يقرأها اليوم — بعبارة بسيطة لفهم خطط الفريقين المتحاربين وحركاتهم

يقسم الجيش الى ثلاثة اقسام كبرى : المشاة والفرسان والمدفعية ولكل منها وظيفة خاصة بها

فوظيفة الفرسان الاستكشاف والاستطلاع ولا بد من استخدامهم في كل موقعة قبل التحام الفريقين . وعلى المشاة تتوقف نتيجة الحرب فهم اكثر اقسام الجيش عدداً واعظمها اهمية . ووظيفة المدفعية مؤازرة المشاة في مهمتهم . وليفرض القارىء انه تابع لجيش من الجيوش المتحاربة فاليك ما يجد بالترتيب :

تذهب اولاً فرقة من الخيالة للبحث عن العدو واكتشاف مراكزه وقوته وطرق مواصلاته ونحو ذلك . وبما ان جيش العدو يفعل كذلك ايضاً فلا بد من التحام فرقتي الفرسان بعضهم ببعض . فالتحام الفرسان هو دائماً مقدمة لالتحام الجيشين . ويرافق كل فرقة من الفرسان عدد من المدافع التي تحمل على الخيل لمؤازرتها . وفي بعض الاحيان يرافقها فرقة صغيرة من ركاب الدراجات لحفظ الصلة بين الفرقة والجيش او بين اجزاء الفرقة اذا ابتعدت بعضها عن بعض . ثم ان فرقة الفرسان لا تستغني عن عدد من الرجال يحافظون على الخيل اذا نزل عنها اصحابها ولذلك تجد جزءاً منهم (نحو ربعهم) موكلون بهذه الوظيفة

ويقسم الفرسان الذاهبون للاستكشاف الى فرق صغيرة لا يتجاوز عدد الواحدة منها ١٦٠ نفراً ثم ترسل هذه الفرق الصغيرة فرقاً اصغر تتألف من نحو عشرة انفار عليهم ضابط ويلحقهم بضعة من ركاب الدراجات لحفظ المواصلات مع المركز وبين الاجزاء . فلما يجد قائد الفرسان انه قد اكتشف النقطة الضعيفة في فرسان العدو يهاجمها على امل اختراقها فاذا نجح مكنه ذلك من اكتشاف مراكز الجيش

هذه وظيفة الفرسان وهي عادة لا تتعداها اي انها لا تسعى في الالتحام مع المشاة والمدفعية الا اذا وجدت فرصة تتأكد فيها الفوز . ومتى انتهت من مهمتها وحصلت على ما يحتاج اليه الجيش من الاستعلامات تترك الساحة وترجع الى خلف الجيش او في جناحيه

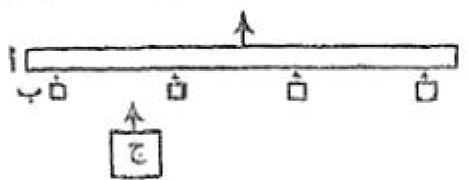
أصبح الجيشان الان متقابلين لا حاجز بينهما لكن بما ان جيشاً عدده ٢٠٠٠٠ نفر طوله من الامام الى الوراء نحو عشرين ميلا فلا بد من يوم يمضي على الاقل قبل الالتحام يقترب فيه الجيشان الواحد من الآخر . وفي مقدمة الجيش الكشافة يليهم الحرس الامامي

ففي اليوم الاول يشتبك الحرسان الاماميان ويسعى كل منهما في الحصول على أفضل المراكز الموجودة في ساحة القتال والتحصن فيها ولا يبرح عن ذهن القارىء انه يلزم رجلان أو ثلاثة على الاقل للاستيلاء على رجل واحد في خندق او مركز حسن

فاليوم الاول من المعركة هو عبارة عن تسابق للحصول على أفضل المراكز وأحصنها كالاستيلاء على مرتفع من الارض أو احتلال ضفة نهر أو نحو ذلك . وكلما شعر أحد الفريقين بضعف ارسل النجدات لاسعاف النقط الضعيفة وهلم جراً

ويخصّص اليوم الثاني على الارجح لاكتشاف النقط الضعيفة من جيش العدو فيلتحم الجيشان في نقط مختلفة ليختبر كل منهما قوة الآخر ويعيّن النقطة التي يراها أنسب من سواها لضربها الضربة القاضية عند حيان الفرصة . ولكن بما ان التكتم والخداع هما من أوليات الفن الحربي فكل من الفريقين يسعى جهده لغش الفريق الآخر من هذا القبيل

وعند نهاية اليوم الثاني يكون القائدان قد وقفا على ما يريدان معرفته . فيبحث حينئذ كل فريق عن الخطة التي يوافق اتخاذها في اليوم الثالث ولتعيين النقط المناسبة لتجمع الجيش ثم تبتدىء المعركة . وكل جيش مؤلف من ثلاثة أقسام متوالية :



اقسام الجيش : ا خط النار ب فرق الاحتياطي ج الاحتياطي العام

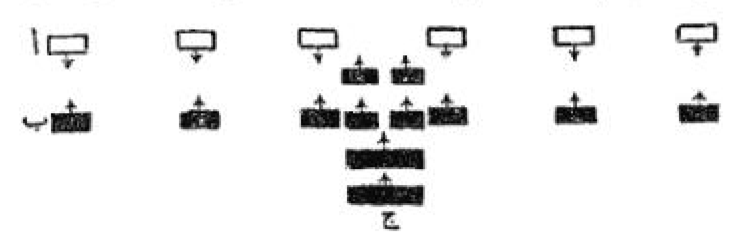
أولا — خط النار وهو يتكون من ثلاثة صفوف متتابعة من الجنود وبين الجندي والآخر في الصف الواحد نحو قدمين فقط . فهذه الصفوف الثلاثة يتبع الواحد منها الآخر كامواج الماء على صفحات البحر . فلما يعجز الصف الاول عن متابعة تقدمه نظراً لشدة نار العدو يأتي جنود الصف الثاني لمؤازرته فيملأون الفراغ الذي تركه الجرحى والقتلى في الصف الاول . وكذلك الصف الثالث حتى يتمكن الخط من التقدم

ثانياً — فرق احتياطية متفرقة وراء خط النار لاسعافه عند اللزوم

ثالثاً — ووراء هذه الفرق الاحتياطية المتفرقة الجيش الاحتياطي العام ووظيفته :

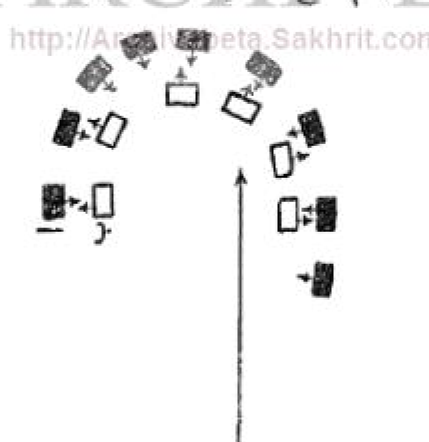
أولاً ان يهاجم الهجوم النهائي في النقطة الفاصلة
ثانياً ان يصد هجمات العدو متى كانت شديدة

ويختلف نظام الجيش الالماني عن الجيشين الانكليزي والفرنساوي بان الجنود متلاصقون في صفوفهم الواحد جنب الآخر والصفوف قريبة بعضها من بعض



ا و ب جيشان متقابلان وفي الشكل تجد ان ب جمع قوته في القلب لاختراق قلب العدو

وبما انه يصعب اخراج الجنود من خنادقها كما ذكرنا لانه يلزم ثلاثة اضعاف القوة الموجودة في الخنادق لاخراجها منها فان القائد يسعى جهده لمهاجمة العدو قبل حصوله على مراكزه وثباته فيها . وهذه كانت خطة نابليون في اكثر مواقعه وبها انتصر انتصاراته الشهيرة ولكنها لم تنجح معه في واقعة واترلو



ا و ب جيشان متقابلان وقد احاط ا بـ ب وقوس طرفيه فاصبح خط مواصلاته مهدداً (والسهم في الشكل يمثل هذا الخط)

هذا قليل عن الحرب من الوجهة الفنية ولا يبرح عن ذهن القارىء اهميـة القوة المعنوية . فقد قال نابليون « حتى في الحرب نجد نسبة القوة المعنوية للقوة الجسدية كنسبة ثلاثة الى واحد »

شذرات عن الحرب الحاضرة

مجموعة من ادق المصادر واصحها

الخدمة العسكرية في الدول المتحاربة

تختلف قوانين الخدمة العسكرية في الدول اختلافاً كبيراً من الخدمة الاختيارية المحضة الى الخدمة الاجبارية المحضة واليك قائمة بالدول المتحاربة وقوانينها في هذا الشأن :

انكلترا — الخدمة فيها اختيارية مبدئياً لكن للحكومة ان تلجأ الى تنفيذ قانون الاقتراع العسكري اذا اضطرتها الاحوال . ويجوز للانكليز الدخول في الجيش منذ الرابعة عشرة من عمرهم . ومدة الخدمة الاجمالية ١٢ سنة وتختلف مدة الخدمة الفعلية بين ان تكون ست سنوات أو سبعاً او ثماني حسب الفرقة التي يدخلها الطالب . وباقي السنين يبقى الرجل تحت الطلب

المانيا — الخدمة اجبارية لكل الماني يقدر على حمل السلاح ومدتها ٧ سنوات في الجيش النظامي تليها ٥ سنوات في الدور الاول من الاحتياطي . ثم يبقى الالماني الى التاسعة والثلاثين من عمره تحت الطلب للدور الثاني من الاحتياطي . والخدمة الفعلية ٣ سنوات للفرسان والمدفعية وسنتين لغيرهم

فرنسا — بمقتضى قانون خدمة الثلاث السنوات اصبحت المدة ثلاث سنوات خدمة فعلية و١٠ سنوات في الاحتياطي وهي اجبارية

النمسا والمجر — الخدمة اجبارية لكن لها قواعد تختلف باختلاف الشعوب المكونة للامبراطورية النمساوية فهنالك الجيش العادي وجيش اللاندفر وجيش الهنفود الهنغاري وجيش من الرديف . أما التمرن على الخدمة العسكرية فيختلف باختلاف المقاطعات التي تتألف منها الامبراطورية

اليابان — الخدمة العسكرية في اليابان اجبارية تسري على جميع الاشخاص الذين تتراوح اعمارهم بين السابعة عشرة والاربعين . أما الخدمة العاملة في جيش المشاة فسنتان . وفي الصفوف الاخرى ثلاث سنوات . وفي الجيش الاحتياطي الاول سبع سنوات وثلث . وفي الاحتياطي الثاني عشر سنوات . والباقي في الجيش الوطني

روسيا — ينقسم الجيش الروسي الى اربعة اقسام كبرى وهي الجيش الاوربي والجيش القوقازي والجيش التركستاني وجيش الآمور . ومع ان الخدمة اجبارية

لا يؤخذ للجيش العامل اكثر من ثلث المطلوبين . والخدمة مطلوبة من جميع الذين تتراوح اعمارهم بين الحادية والعشرين والثلاث والاربعين وهي اربع سنين في الجيش العامل وخمس عشرة في الاحتياطي والمدة الباقية في الملبشا . اما جيش القزاق فيختلف قليلاً في نظامه . فكل قوزاقي يتجاوز الثامنة عشرة يؤخذ للخدمة وعليه ان يجد حصانه وما يحتاج اليه . وينقسم القزاق الى ثلاثة فيالق احدها في الخدمة العاملة والآخران لا يطلبان الا عند اللزوم . اما مدة الاحتياطي فخمس سنوات

البلجيك — الخدمة العسكرية اجبارية وهي من ١٥ شهراً الى سنتين في الجيش العامل والذين لا يؤخذون للجيش العامل يضمون الى الحرس المدني لحفظ الامن العام

الصرب — الخدمة اجبارية من سن السابعة عشرة وتنتهي مدة التمرين الاجباري في الحادية والعشرين . وتستغرق الخدمة في الاحتياطي الاول عشر سنوات وفي الاحتياطي الثاني سبع سنوات وفي المليشا ست سنوات . على ان هذا النظام قد ادخل عليه بعض التعديل بعد حرب البلقان

النفقات الحربية

كانت الميزانية المقررة للانفاق على الجيوش والاساطيل المتحاربة اليوم (قبل دخولها الحرب) نحو ثلاثمئة واربعة وستين مليوناً من الجنيهات . منها مئة وواحد وثلاثون مليوناً للبحرية والباقي للبرية . واذا اضفنا الى هذا المبلغ ما كان في ميزانية الولايات المتحدة واليابان لتجاوزت ارقامه الخمسمائة مليون من الجنيهات

مقابلة

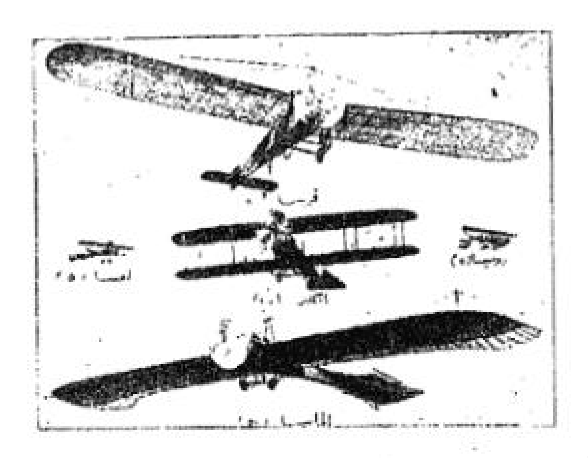
من خطاب للامبراطور غليوم الثاني في برلين : « سننتصر في كل مكان حتى اذا احاط بنا العدو من كل جانب وكان اكثر منا عدداً لان اعظم حليف لنا هو الله فانه ما برح منذ تأسست دولتنا في جانبنا »

وسئل ابراهيم لنكان رئيس جمهورية الولايات المتحدة في اثناء الحرب الداخلية الاميركية اذا كان الله بجانبه فاجاب : « لا اعلم اذا كان الله بجانبنا لاني لم افكر في ذلك لكن يهمني ان اعرف اذا كنا نحن بجانب الله »

للانسانية في كل زمان وفي كل مكان كمية معينة من الجنون والسخافة يجب ان تصرفها على شكل ما فهو رأسمال لا بد ان يثمر على وجه من الوجوه

اناتول فرانس

مقابلة بين طيارات ومناطيد الدول المتحاربة



مقابلة بين طيارات الدول المتحاربة وحجم كل طيارة بنسبة ما عند كل دولة من الطيارات



مقابلة بين مناطيد الدول المتحاربة وحجم كل منطاد بنسبة ما عند كل دولة من المناطيد المسيرة

حصون الدول المتحاربة

النمسا — لها ثلاثة حصون بحرية وهي كتارو وپولا وتريستا . اما الحصون البرية فاهمها حصون الالب (التيرول) وكراكو (بغاليسيا) وحدود التيرول والادرياتيك وحصون الدانوب . ولمبرج . وپرزمسيل . وسرايفو (عاصمة البوسنه) وحصون هنغاريا والدرينا

البلجيك — لها مدينة بحرية محصنة وهي انفرس . وحصون برية اهمها لياج ونامور

فرنسا — أهم حصونها البحرية برست . وشربورج . ولوريان . وروشفور . وطولون .

واهم حصونها البرية بلفور . وايبنال . وتول . وفردان . وبريانكون . وغرينوبل . وليون . وموبوج . ولافير . وريمس . ولانجر . وديجون . وبزانسون

المانيا — اهم حصونها البحرية برانسبتل على بحر الشمال عند مدخل كيال . وكوكسهافن عند مصب الالب . وفردريكسورت وجيشمند في كيال . وهليجولند . وكيال . وميمل . واوسترمور واربعة حصون اخرى عدا حصون كياوتشو في الشرق الاقصى . أما الحصون البرية فكثيرة ومهمة نذكر منها بوين . وكوبلنز . وكولون . ودانزيك . ومانز . ومتز . وبيلاو . وبوزن . وسباندو . ومجدبرج . وستراسبورج

روسيا — لها سبعة حصون بحرية اهمها كرونستاد . وليبو . وريفال . وسباستبول . وفلاديفستوك . ولها سبعة عشر حصناً برياً منها القرس . وبطوم . وكرش . وايفانجرود . ولوبلين . وسمولنسك . وتورن . ووارسو

انكلترا — لها حصون بحرية كثيرة جداً وبيدها اهم قلاع العالم على البحار بعضها في انكلترا والبعض الآخر في الاقطار المختلفة . واهمها عدن (مفتاح البحر الاحمر وترعة السويس) وكلكتا وسيلان (مفتاحا الهند) وجبل طارق (مفتاح البحر الابيض المتوسط) وهونكونغ وهو اكبر ميناء في العالم . ومالطه وهي قاعدة اسطول البحر المتوسط . وسدني وهي مركز الاسطول الاسترالي . وحصون أخرى عديدة

نقل الاخبار في الجيش

لنقل الاخبار في أثناء المعارك عدة طرق وهي البريد الحربي والرسل الفرسان والتلغراف والتلفون والرايات والهليوغراف (التخاطب باشعة الشمس) والبلونات والسفن الهوائية والحمام . ولكل جيش علامات سرية لاجل التخاطب . وعلى القائد معرفة الطرق الملائمة لكل حالة من الاحوال

على ان جميع الوسائل التي ذكرناها تكاد تكون اليوم قديمة نظراً لافضلية التلغراف اللاسلكي عليها ولا شك ان هذه الطريقة ستكون الطريقة الوحيدة للتخاطب في الحروب المستقبلة

مدى الاسلحة النارية

يتراوح اقصى مدى البندقية الحديثة بين الالفين والالفين والثماني مئة قدم . ومدى مدافع الميدان بين الخمسة عشر الفاً والعشرين الفاً . ومدى المدافع الضخمة بين العشرين والثلاثين الف قدم . على ان تأثير الطلقات يختلف باختلاف البعد . فالبنادق يبتدىء

تأثيرها ان يقل بعد مدى الف وخمسمئة قدم . ومدافع الميدان يقل تأثيرها بعد مدى اثني عشر الف قدم . والمدافع الضخمة بعد مدى ثمانية عشر الف قدم

أما مدافع الحصار والمدافع البحرية فرامها ابعد كثيراً وهي افتك واشد هولاً من المدافع الاخرى

السكك الحديدية والحرب

لطرق المواصلات عموماً وللسكك الحديدية خصوصاً اهمية عظمى في الحرب . وقد بلغت المواصلات الحديدية بين الدول في السنين الاخيرة انتشاراً عظيما حتى اصبحت الحدود بين الدول صورة فقط لما بينها من الارتباط . ويدل الشكل المرفق على طول السكك الحديدية عند الدول العظمى ومنه يتبين ان لروسيا في اوربا المقام الاول تليها المانيا ففرنسا فانكلترا . وبلغ اهتمام الالمان بالسكك الحديدية انك تجد مكتوباً على كل عربة من العربات عدد الانفار والخيل التي تحملها



مقابلة السكك الحديدية في الدول العظمى : تمثل القاطرات مجموع الخطوط الحديدية في كل دولة بالنسبة بعضها الى بعض واليك طولها بالميل لكل دولة مقابل القاطرة التي تمثلها

انكلترا	فرنسا	المانيا	روسيا	الولايات المتحدة
٢٤٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣٧٠٠٠	٤١٠٠٠	٢٤٣٠٠٠ ميل

طعام الجيوش المتحاربة

هاك ما يصيب العسكري الالماني الواحد في ساحة القتال ويصح اتخاذ هذا الجدول مثالاً للدول الاخرى : —

٧٥٠	جراماً من الخبز	أو ٥٠٠ جرام من البسكويت
٣٥٠	« من اللحم	

٢٠٠ جرام من لحم البقر او الغنم او الخنزير المقدد
١٢٥ جراماً من الارز
٢٥٠ « من الدقيق
١٥٠٠ جرام من البطاطس
٢٥ جراماً من الملح
٢٥ جراماً من البن (القهوة)
٣ جرامات من الشاي
١٧ جراماً من السكر

مقابلة بين عدد الجنود في هذه الحرب وفي الحروب السابقة

اكتسح نابليون روسيا سنة ١٨١٢ بجيش عدده ٦٠٠٠٠٠ مؤلف من فرنساويين وايتاليين وجرمان وبولونيين وسويسريين وغيرهم . اما اليوم فرومانيا وحدها يمكنها ان تجيش جيشاً يزيد عدداً عن هذا الجيش المختلط . ثم ان مواقع بانهيم واسترلتز ويانا كان عدد الجنود فيها لا يزيد عن واحد في المئة من عدد سكان الدول المتحاربة . والالمان يسمون واقعة ليبزيك التي انتصروا فيها على نابليون « واقعة الامم » لانه دخلت فيها النمسا وبروسيا وروسيا واسوج وفرنسا وكان عدد سكانها معاً لا يقل حينئذٍ عن ١٢٠ مليون لكن لم يزد عدد كل فريق عن نصف مليون اي نحو العدد الذي جندته بلغاريا لمحاربة تركيا في السنة الماضية . اما اليوم فعدد الجنود الاجمالي نحو ١٥٠٠٠٠٠٠ جندي ويقدر عدد الممرضات وحدهن بمليون امرأة

نتف

— في الجيش الالماني فرقة مخصوصة من حفاري القبور ولا وجود لمثل هذه الفرقة في الجيوش الاخرى

— ثمن الطوربيد الواحد خمسمئة جنيه

— من اقوال نابليون : يمشي الجيش على معدته

— تقدر نفقة نصر الاسطول الانكليزي (اذا اشتبك مع الاسطول الالماني) بنحو ٢٠ مليون جنيه

— الخدمة البحرية في الاسطول الانكليزي اختيارية ومدتها ١٠ سنوات وفي الاسطول الالماني اجبارية ومدتها ٣ سنوات

— الامبراطور الالماني اميرال في الاسطول الانكليزي

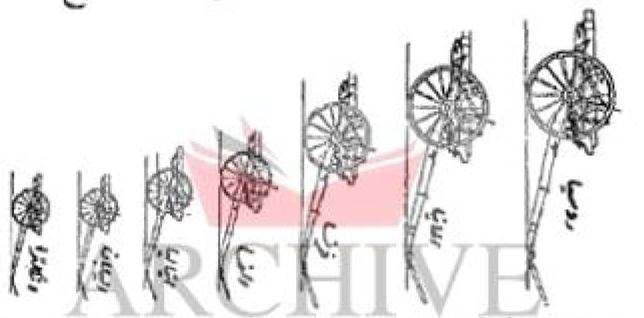
لا يؤذن في انكلترا الآن التكلم بغير الانكليزية على التلفون

— تبعد برلين عن الحدود الروسية ١٨٠ ميلاً وعن نانسي في فرنسا الشرقية ٤٠٠ ميل وعن لياج ٣٤٠ ميلا

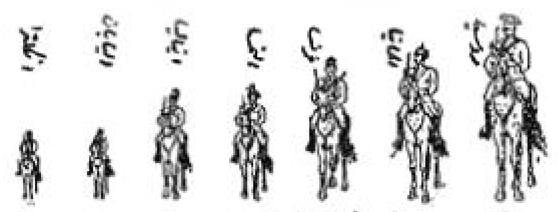
— وتبعد فينا عن الحدود الروسية ٢٢٠ ميلاً

مقابلات

نشرنا في الجزء السابق مقابلات تصورية بين جيوش الدول وبحرياتها وها نحن ننشر الآن مقابلة بين عدد الفرسان عند الدول العظمى وعدد المدافع



مقابلة بين مدفعيات الدول العظمى يمثل كل مدفع عدد مدافع كل دولة بالنسبة الى غيرها



مقابلة بين فرسان الدول العظمى بالنسبة الى عددهم

المعاهدات التي نكثتها المانيا في هذه الحرب

(١) معاهدة لندن (سنة ١٨٦٧) التي ضمنت الدول بموجبها حياد لكسمبرج

(٢) معاهدة لندن (سنة ١٨٣١) التي ضمنت الدول بموجبها حياد البلجيك

(٣) معاهدة الهاي التي اتفقت الدول بموجبها (بناء على الحاح المرفون برشتين مندوب المانيا) على عدم القاء القنابل على المدن غير المحصنة أو على المحال العمومية في المدن

(٤) معاهدات أخرى تمنع استعمال القسوة مع الاسرى

باريس

نظم سعادة احمد بك شوقي أمير الشعرآء القصيدة الآتية في باريس فاحببنا ان نثبتها حرصاً عليها

جهد الصبابة ما اكابد فيكِ   لو كان ما قد ذقته يكفيكِ
حتامَ هجراني وفيمَ تجني   وإلامَ بي ذل الهوى يغريك
قد متُّ من ظما فلو سامحتني   أن أشتهي ماء الحياة بفيك
أجد المنايا في رضاك هي المنى   ماذا وراء الموت ما يرضيك
يا بنت مخضوب الصوارم والقنا   برئت بنانك من سلاح ابيك
فخضاب تلك من العيون وقاية   وخضاب ذاك من الدم المسفوك
جفناك ايهما الجريء على دمي   بأبي هما من قاتل وشريك
بالسيف والسحر المبين وبالطلى   حملا علي وبالقنا المشبوك
بهما وبي سقم ومن عجب الهوى   عضوان منكسر على منهوك
رفقاً بمسبلة الشؤون قريحة   تسلو عن الدنيا ولا تسلوك
ابكيتها وقعدت من انسانها   يا للرجال لمغرق متروك
ضلت كراها في غياهب حالك   ضل الصباح عليه صوت الديك
رق النسيم على دجاه لأنني   ورثى لحالي في السماء اخوك
قاسيته حتى انجلى بالصبح عن   سري المصون ومدمعي المهتوك
صلت سيوف الحي الا واحداً   افرنده في جفنه يحميك
فرددته في غير حق كالاولى   سلوا سيوفهم على أهليك
طلعت على حرم الممالك خيلهم   ناراً سنابكها على البلجيك
البأس والجبروت في اعرافها   والموت حول شكيمها المعلوك
عرت لياج عن الحصون وجردت   نامور عن فولاذها المشكوك
تمشي على خط الملوك وختمهم   وعلى مصون مواثق وصكوك
والحرب لا عقل لها فتسومها   ما ينبغي من خطة وسلوك
دكت حصون القوم الا معقلا   من نخوة وحمية وفتوك
واذا احتمى الاقوام باستقلالهم   لاذوا بركن ليس بالمدكوك
ولقد أقول وأدمعي منهلة   باريز لم يعرفك من يغزوك

ما خلت جنات النعيم ولا الدمى ... ترمى بمشهود النهار سفوك
زعموك دار خلاعة ومجانة ... ودعارة يا أفك ما زعموك
ان كنت للشهوات رباً فالعلى ... شهواتهن مرويات فيك
للدين أعلام البيان كأنهم ... أصحاب تيجان رقاه أريك
فاضت على الاجيال حكمة شعرهم ... وتفجرت كالكوثر المعروك
والعلم في شرق البلاد وغربها ... ما حج طالبه سوى ناديك
العصر أنت جماله وجلاله ... والركن من بنيانه المسموك
أخذت لواء الحق عنك شعوبه ... ومشت حضارته بنور بنيك
وخزانة التاريخ ساعة عرضها ... للفخر خير كنوزها ماضيك
ومن العجائب ان واديك النسرى ... ومراتع الغزلان في واديك
يا مكتبي قبل الشباب وملعبي ... ومقيل أيام الشباب النوك
ومراح لذاتي ومغداها على ... أفق كجنات النعيم ضحوك
وسماء وحي الشعر من متدفق ... سلس على نول السماء محوك
لما احتملت لك الصنيعة لم أجد ... غير القوافي ما به أجزيك
ان لم يقوك بكل نفس حرة ... فالله جل جلاله واقيك

شوقي

لاديب زمانه السيد عبد الغفار الاخرس :

برّح الشوق أُصيحابي بي ... وبما برّح بي قد فتكا
هي نفس لا بذنب قتلت ... ودمٌ في غير جرم سُفِكا
آنساتٌ من ظباء المنحني ... من هواهن نصبن الشركا
يا ظباء المنحني أُقتذنه ... من هواكن والا هلكا
وصبابات جوى ما وجدت ... بسوى قلبي لها معتركا
ولأنتم ساكني وادي الغضا ... منكم الشكوى وفيكم ما شكا
كنتم أقمارها مشرقة ... في مغانيها وكانت فلكا
ليت شعري يوم ولى ركبكم ... للنوى أي طريق سلكا
وأحاديث المنى ما صدقت ... بتوانيكم وأضحت افكا
فسقاكم وسقى عهدكم ... عارض ان ضحك البرق بكا

العائلة والمنزل

هزال الاطفال

لا شيء أصعب على الطبيب من النظر الى طفل مهزول الجسم ضعيف القوى انداح بطنه ولصب جلده وتضمر وجهه فبدت عظامه وغرقت عيناه وارتخت مفاصله لا يهتم بما يجري حواليه ولا يتحرك للمؤثرات التي تؤثر عادة بالاطفال في سنه . فالناظر اليه يستغرب ذلك الجمود ويحزن أشد الحزن على ما يلاحظه في هيأته من علامات الكبر فهو طفل بسنه لكنه شيخ بملامح وجهه . ولولا انتفاخ بطنه لكان جسده هيكلاً عظمياً وقد استتر بجلد متجعد خسر معظم مزاياه الحيوية وغالباً حرارة جسده أقل من المعتاد ولذلك تصادف الام صعوبة بتدفئته واذا سألتها ان تقص عليك شيئاً من حياته الاولية لقالت انه ولد نامياً نمواً حسناً وظل على نموه هذا الى ستة أسابيع ولأسباب قاهرة ابتدأت الحسه من المآكل التي تناولها أو أسقيه من اللبن (الحليب) عقادير مختلفة لا ضابط لها ولمدة بعيدة من ذلك الحين لحظت عليه تغيراً في حركاته . فشهيته للاكل كانت أحسن من الان بكثير انما نومه كان متقطعاً كما هو في الحال وكان ولم يزل يتقيأ طعامه أحياناً بدون ان أعرف لذلك سبباً ولا أدري كيف ضمر عضله وتدلى جلده وشحب لونه واكاد لا أصدق نظري انه هو بما كان عليه قبلاً من السمن وحسن البشرة وما وصل اليه الان من الهزال والنحول

ونشاهد مثل هذه الام في العيادة عشرات يأتين باولادهن للمعالجة في المستشفى وقد اتفقن على سرد القصة التي ذكرناها بدون زيادة أو نقصان . ولا عجب بذلك فالسبب الذي ساق هذه الطائفة الى الهزال واحد وهو فساد في نظام التغذية . فاعطاء الطفل من الطعام فوق احتمال معدته لهضمه أو تلحيسه من مآكلنا اليومية ضرر لا بد ان يظهر أثره في ايام حياته المقبلة بلا رحمة ولا شفقة . ولا يكون المسبب له في هذا الشقاء غير سذاجة أمه وقصر نظرها بالقواعد الصحية التي يجب عليها حفظها ومعرفة أصولها تمام المعرفة وهي عذراء . على انه يوجد أسباب عديدة لهذا الداء غير الذي ذكرناه مثل السل والزهري الوراثيين والزواج الباكر الشائع بالقطر المصري وفساد الهواء بسبب ازدحام السكان بالمدن الكبيرة . ولذلك تكثر اصاباته فيها بالنسبة الى اصاباته في سكان القرى والعزب . ولكن نحصر كلامنا في هذا المقام في ملافاة السببين الاول والاخير

تباينت آراء الاطباء في كيفية تعديل غذاء الطفل بنسبة ما يتولد عنه من الحرارة الى ثقل الجسد أو بنسبة المواد المغذية الموجودة في كمية الطعام الى السن بصرف النظر عن ثقل الجسد . وقد أخذت في تأييد الطريقة الاولى وتطبيقها على المشاهدات النظرية العملية طائفة من أشهر أطباء العصر وشرحت طريقتها شرحاً مستفيضاً أظهرت به أنها على صواب في اعتمادها على تغذية الطفل بما يتولد عن طعامه في تمثيله من الحرارة بالنسبة لثقل جسده لا لسنه . ومن اختبارها الواسع قررت لكل كيلوغرام لثقل الجسد من مائة وعشرة الى مائة وعشرين (كالوري) اي وحدة حرارة لمدة أربعة وعشرين ساعة أي ان الطفل الذي يزن خمسة كيلو غرامات يحتاج بمدة ٢٤ ساعة الى ١٨ أوقية [1] لبن و١٠ ماء يتولد من ذلك ٥٤٠ وحدة لكل كيلو غرام ١١٣ وحدة

وقد نشر الاستاذ دانت مقالة حديثاً في هذا الصدد وقد راقب بنفسه تعديل الغذاء على الطريقة الآنفة الذكر وشاهد تأثيرها الحسن في بضعة عشر طفلاً مدة سبع سنين فآثرت نقل بعضها لما حوته من الفوائد الغزيرة على امل ان تنفع الأم في تربية طفلها والاخذ بناصره عن هداية وحكمة في قطع المفازة الاولى من حياته المكتنفة بالاخطار التي قد يكون أصغرها شديد الفتك بعوده الرطب

طفل صحيح الجسم تقرر في اليوم الثالث لولادته ان يعيش على الرضاعة فاعطاه لبناً اوقيتين وماء ٨ في ٢٤ ساعة وكان مجموع ما تولد من هذا الغذاء ٤٠ وحدة وكان ثقل جسده ٣،٢ كيلو غرام أصاب الكيلو الواحد ١٢ وحدة . وبالرغم من الزيادة التي اتبعها في كمية الطعام لم يربح الطفل في الثقل ما يذكر الا بعد مضي الاسبوعين . ولما بلغ طعامه لبن ٨ ماء ١٢ سكر ١ ½ فتولد عنه ٣٤٠ وحدة او ١٠٣ وحدات لكل كيلو غرام بلغ وزنه ٣،٤ كيلوغرام ثم زاد طعامه فبلغ لبن ١٠ اوقيات وماء ١١ وسكر ١ ½ تولد عنه ٣٨٠ وحدة او ١١٢ وحدة لكل كيلوغرام ولم يكسبه في ثمانية ايام زيادة عن اوقيتين اي اقل مما اكتسبه في الاسبوع الذي قبله لما كان معدل غذائه ١٠٣ وحدات لكل كيلوغرام . ونسب لذلك ان الطفل الذي يكون مهزولاً يكسب من الغذاء القليل اكثر مما لو اعطيناه كمية كبيرة دفعة واحدة اي ان جسده الضعيف لا يقوى على تمثيل غذائه اذا كانت كميته كبيرة الا اذا تدرج الى ذلك تدريجاً كما فعل حتى بلغ مقداره لبن ١٧ أوقية ماء ١١ سكر ١ ½ فكان قدر ما ناله الجسم من هذا الغذاء ١٢١ وحدة لكل كيلو غرام وقد ربح ٤ اوقيات بخمسة ايام وظل يزيد ويقلل في كمية الطعام بضعة

(١) الاوقية تعادل نحو ٣٠ غراماً

شهور الى ان قر رأيه على ان غذاء الطفل ولا سيما في الثلاثة الاشهر الاولى لا تقل نسبته عن ١١٠ وحدات لكل كيلوغرام ولا تزيد عن ١٢٠ وحدة

لنفرض ان طفلك بلغ الشهر الاول من حياته وقد اضطررت لاسباب ما ان تحجبي عنه غذاءه الطبيعي فعلى اي طريقة تعولين في تغذيته ؟ لا ريب انك تختارين طريقة الاستاذ دانت وتحاولين الاستفادة منها في اغاثته . واول خاطر يتبادر لذهنك معرفة ثقل جسده وتقدر انه كان ٤،٥ كيلوغرام فما هي الكمية اللازمة له من الغذاء وهو في هذه السن ؟ نجعل غذاءه في البداية قليلا على سبيل التجربة مثل ثماني اوقيات لبن وعشرين اوقية ماء ونصف اوقية سكر . وهذا القدر يتولد عنه من الحرارة ٢٢٠ وحدة او ٤٨ وحدة لكل كيلوغرام وهو قليل جداً لا ينتظر منه فائدة ويستحيل على الطفل النمو عليه الا اذا تدرجنا بالزيادة فجملناها في الاسبوع الثاني هكذا : لبن ١٦ اوقية وماء ١٦ وسكر ١ وفي هذه الزيادة اكتسب الجسد او يجب ان يربح اوقية واحدة في كل يوم لانه كان نسبة ما حصل عليه من هذا الغذاء ٩٧ وحدة لكل كيلو غرام وهذه النسبة لم تزل ناقصة عن المعدل الذي قرره الاطباء ولذلك اقتضى ان نزيد على كمية الغذاء قليلا حتى تبلغ ٢٠ اوقية لبن و١٦ ماء واوقية ونصف سكر . وبهذه الزيادة يتناول الجسد ٥٨٠ وحدة في مدة اربع وعشرين ساعة او ١٢٠ وحدات لكل كيلو غرام . ومعدل الزيادة التي نضيفها على كمية غذاءه في الاشهر الخمسة الاولى تتراوح من ٢٢ اوقية لبن الى ٢٨ ومن ١٢ اوقية ماء الى ١٦ ومعدل السكر اوقية ونصف الاوقية في جميعها

فاذا راعيت شروط هذه الطريقة وعملت بموجبها تبنين عن معرفة ايام ابنك المقبلة على اساس وطيد الاركان ثابت الدعائم واما السبب الثاني فلا يكلفك لازالته سوى التردد الى الخلاء او السكن بعيدة عن ضوضاء المدينة وهوائها الفاسد وربما اتفق ان تكوني من سكان القرى او مقيمة في بيت طلق الهواء وكانت حالة ولدك تطابق الوصف الذي مر ذكره فهناك يجب الالتفات الى طعامه واصلاح الخلل الموجود فيه اذ لا بد ان يكون هو السبب الاكبر لمرضه وهزال جسمه والله الواقي

الدكتور شخاشيري

جرجي زيدان

آراء الكتاب في الرجل وآثاره

نشرنا في الهلال الماضي قطعاً من اقلام بعض الكتاب في تقدير صنيع الفقيد ووصف رجولته وصداقته وابوته ونحن ننشر الآن القطع التالية تكميلا لهذا الموضوع :

٥ – الفقيد مؤرخا

من السهل ان يكتب الكاتب تاريخاً يلتقط اخباره من هنا وهناك ويأتي بها مجردة عن كل محاكمة واستنتاج ويلقيها كما يلقي الببغاء كلمات يتلقنها فيتلوها على المسامع . ولكن ليس من السهل ان يكتب تاريخاً يصور لك الحوادث في صورة من الحقيقة تكاد تلمسها باليد

ليست مهمة المؤرخ الذي يسمى مؤرخاً بالمعنى الصحيح بالمهمة الهينة بل هي مهمة تستنفد قوى الكاتب البصير اذا وجه اليها عنايته في ترتيب الحوادث وانتقاء الاخبار والتفريق بين صحيحها وفاسدها وبيان الرأي الصحيح فيها وربط بعضها ببعض على وجه لا تغيب فيه عن القارئ صورة من صور الحوادث الماضية

ومن اشق الامور على الكاتب ان يكتب تاريخا خاصاً لموضوع من مواضيع التاريخ تبعثرت مواده في طيات الكتب وتفرقت بين ثنايا التاريخ ولا سيما تاريخ العرب الذي كتب فيه أكثر من تاريخ كل امة وبقدر ما كتب فيه تفرقت حوادثه وتشعبت سبل الحقائق فيه فاستعصى على الناقد البصير الوقوف على ما يريد منه الا بعد الجهد الذي ما بعده جهد

ليس مرادنا الآن ان نبين هنا صعوبة ما يلقاه طالب الحقائق ومريد بيانها من مؤرخي العرب . وانما المراد ان نعترف بفضل كاتب «تاريخ التمدن الاسلامي» و«تاريخ العرب قبل الاسلام» و «تاريخ آداب اللغة العربية» المرحوم جرجي بك زيدان

ان من يطالع كتب جرجي زيدان ويطالع كتب المؤرخين قبله لا يسعه الا الاعتراف بفضله على التاريخ والاقرار بانه عانى من المشاق في وضع كتبه هذه ما لم يعانه مؤرخ من قبل وانه اختط طريقاً خاصاً للمؤرخين من العرب في تقسيم التاريخ وترتيبه يشهد انه كان من خيرة مؤرخي العرب واطولهم باعاً في انتقاء المواضيع الاجتماعية التي لم يسبقه الى التخصص بمثلها احد من مؤرخينا الاقدمين

اني عانيت من تاريخ العرب ما يعانيه المؤرخون وعرفت من صعوبته ما لم يعرفه

الا من عاني ما عانيت من المشقة في انتقاء الحوادث والاخبار فلم ارَ احسن من الاسلوب الذي اتبعه في كتبه المرحوم جرجي زيدان ولا ادق ترتيباً للمواضيع واختياراً للحوادث خصوصاً فيما يتعلق بالمدنية الاسلامية . فحق على كل مؤرخ ان يعترف بأن جرجي زيدان مؤرخاً بالمعنى الصحيح وان له فضلاً على التاريخ العربي ببيان ما لم يسبق اليه من آثار المدنية العربية وتاريخها ينبغي ان يذكر له ما عرف التاريخ

ولقد كان بودي ان اتبسط في بيان فضله على التاريخ وما عاناه من الصعوبة في استخراج الاخبار من غير مظانها بسببٍ فقد مزية الترتيب عن السالف من مؤرخي العرب ولكن رأيت ان في هذا تطويلاً يحسن ارجاؤه الى مقال خاص

رفيق العظم

٦ - الفقيد كاتباً

الكاتب كالمصور كلاهما ناقل وكلاهما حاك . الا ان الاول ينقل مشاعر النفس الى النفس . والثاني ينقل مشاهد الحس الى الحس

وكما ان ميزان الفضل في التصوير ان تكون الصورة والاصل كالشيء الواحد كذلك ميزان الفضل في الكتابة ان يكون المكتوب في الطرس خيال المكنون في النفس

بهذه العين التي لا أزال انظر بها دائما الى الكتابة والكتاب وأزن بها أقدارهم ومنازلهم كنت اقرأ ذلك الاسلوب العذب البديع الذي كان يكتب به المرحوم جرجي بك زيدان فأتخيله مرآة نقية صفية قد ارتسمت فيها صورة نفس الكاتب جلية واضحة لا غموضة فيها ولا ابهام

وقليلا ما كنت اجد في نفسي هذا الشعور عند النظر في كتابة كاتب سواه . لان الكاتب ان استطاع ان ينال ثناء الناس واعجابهم ببلاغة لفظه أو براعة معناه اوسعة خياله أو قوة حجته فأنه لا يستطيع ان ينال الثقة من نفوسهم الا اذا كان من الصادقين المخلصين

كنت أرى عذوبة نفسه في عذوبة لفظه . وطهارة قلبه في طهارة لسانه وصفاء ذهنه في وضوح اغراضه ومراميه . وجمال ذوقه في جمال ملاحظاته واستنتاجاته . وكان خير ما يعجبني منه ترفعه عن مجاراة المتكبرين من الكتاب في كبريائهم ونزوله في كثير من مواقفه الى منازل العامة ليحدثهم بما يفهمون لانه كان من كتاب المعاني لا من كتاب الالفاظ . ولانه كان يؤثر ان يتعلم عنه الجاهلون . على ان يرضى عنه المتحذلقون

ان كان الرجل هو الكتابة كما يقولون فلا اعلم احداً في هذا البلد كان اولى بهذا الوصف من المرحوم جرجي بك زيدان فوارحمتاه له ووأسفا عليه

مصطفى لطفي
المنفلوطي

٧ — الفقيد صحافيا

اثنان وعشرون مجلداً من الهلال صدرت في اثنتين وعشرين سنة متوالية بلا انقطاع ولا ارتباك كل جزء منها اوسع نطاقاً من سابقه واغزر مادة وادق بحثاً واعم فائدة واكثر اتقاناً وارعى للمطالعة واشهى . وشهرة بلغت اقصى المغارب والمشارق . ورواج قلما نجد له مثيلا في الصحافة العربية . كل ذلك يشهد بطول باع الفقيد في فن الصحافة وصحة نظره فيه ويحفظ له مقاماً رفيعاً بين اهله وذويه ولا سيما اذا نظرت الى رأس ماله المادي والاحوال المعاكسة التي تحدق بامثاله في هذه الديار والمجلات العديدة التي توفر لها من اسباب الارتقاء والرواج ما لم يتيسر للهلال . ومع ذلك ما كاد نجمها يطلع في سماء الصحافة حتى افل والهلال ينمو ويكمل

اما المزايا الصحافية التي امتاز بها فقيدنا وكانت السبب في هذا النجاح الباهر فهي حسن الادارة واختيار المباحث وسهولة الانشاء . والادارة ينطوي تحتها امور كثيرة مادية وادبية كضبط المواعيد وحسن الطباعة واتقان الوجه التجاري وحفظ النسبة اللازمة بين واجبات الصحافي واميال الجمهور فلا يجاريها مجاراة عمياء ولا يصدمها صدمة تبعد القراء عنه وتورثهم النفور . وتاريخ الهلال يدلك على ان فقيدنا برع في هذا الوجه فان الهلال ما تأخر يوماً عن ميعاده ولا جاء سقيما في حروفه او رثا في ورقه ولا وقع بينه وبين الرأي العام نفور مع وعورة بعض المسالك التي سلكها ومحاولة بعض ذوي المآرب ايغار الصدور عليه

ومباحث الهلال تمتاز بكون معظمها ذا علاقة بالحوادث التي شغلت الاذهان في الشهر الذي صدر الهلال فيه وبملاءمتها لحاجة القراء في الشرق فان فيها تفكهة وفائدة . وكثيراً ما تسد النقص العلمي عند العامة . فالهلال من هذا القبيل يصدق عليه اسم كتاب مدرسي مشهور وهو كتاب مغني المستعلم عن العلم . ومما يذكر لفقيدنا في هذا المقام ان هنالك مباحث في الدين والفلسفة اعتاد طرقها بعض الذين يريدون ان يوجهوا الانظار الى مؤلفاتهم طلباً للشهرة فامتنع عنها ولم يقدم عليها واكتفى بطلب الشهرة من الطرق المحمودة وان كانت ابعد منالا

وقد ادرك فقيدنا ان الانشاء انما هو في الحقيقة اداة تفاهم بين الكاتب والقارىء يراعى فيه ما يراعى في الادوات من المتانة والبساطة ولاسيما في الصحافة. بخلاف بذلك الذين يعدون الانشاء غاية بحد ذاته فيصرفون قسماً عظيماً من وقتهم وعنائهم في اتقانه وحفظ وقته وعناءه لاتقان المباحث التي طرقها فعادت على قراء الامة العربية بفائدة عظيمة وجعلت لمجلته مقاماً كبيراً نرجو لها المحافظة عليه باذنه تعالى وبما نعهده في خليفة مؤسسها من العلم والاجتهاد

يوسف الخازن

٨ — الفقيد روائيا

من عاش وعمل كزيدان يخلق به ان يوصف بعدة رجال كبار في رجل واحد كبير

اقول كلمتي عن هذا الفقيد العزيز لا لاني كنت اعرفه معرفة الصديق للصديق بل لاني كنت واحداً من قرائه . وكل قارىء لزيدان مهما بعد عن مزاره يعرفه معرفة الصديق للصديق . فعشرات الالوف من قراء العربية في جميع اقطار العالم الذين تزدان مكاتبهم بعشرات من مؤلفات الفقيد النفيسة الخالدة يعرفونه كما يعرفه عشراؤه — يعرفونه عدة رجال في رجل واحد

زيدان كرواني رفايل التاريخ

رفايل رسم المكان وزيدان صوّر الزمان

صوّر زيدان نحو اربعة عشر قرناً مرت على الشرق مفعمة بتقلبات المدنيات الشرقية وحوادث الاقوام العربية . فلا تقف عند صورة الا تستلذ الوقوف عندها مراراً . وكلما وقفت مرة رأيت فيها جمالا جديداً

جمعت روايات زيدان دقة الحقائق التاريخية وجمال الحوادث القصصية وسلاسة الاسلوب وبلاغة اليراع

فاذا وقعت في يدك نسخة من اية رواية من رواياته وقرأت منها صفحة يشق عليك ان تتركها قبل ان تنتهي منها مهما كانت شواغلك

ولا يدري ان تأليف هذا النوع من الروايات يكاد يكون معجزة الا من استطاع ان يؤلف رواية من النوع نفسه تعجب جمهور القراء على اختلاف اميالهم واذواقهم

فالفقيد كقصصي كان يرتب القصة والحوادث فيها مدهشة وآخذة بعضها برقاب بعض ومنساقة كلها الى ملتقى واحد هو النتيجة التي تتهافت اليها عواطف القارىء

ومندمجة اندماجاً يقررها في ذهن القارىء كحقائق راهنة . وما هي الا حقائق تاريخية راهنة الاهم الا النزر مما يختلقه من الاشخاص والحوادث تمة لترتيب القصة

وهو كرواني مؤرخ يتناول جميع الحقائق التاريخية من مصادر التاريخ الموثوق بها وينسقها في قالب الرواية بحيث لا تستطيع ان تميز بين ان تقرأ قصة فكاهية او تاريخاً مسجلاً . وفي حواشي رواياته مستندات المصادر التاريخية الامر الذي يصور للقارىء القليل من معاناة التأليف لهذا النوع من الروايات

وهو كرواني وصاف بوهمك وهو يصف المدن والمنازل والمضارب والقوافل والمجتمعات والعادات والاخلاق انه كان مخالطاً للقوم ومشاهداً للحوادث

وهو كرواني حكيم يقف عند كل عبرة معتبراً ويندفق فلسفة اجتماعية وحكمة

فالذي يطالع روايات الفقيد يطلع على تاريخ الشرق لعهد الاسلام ويستلذ هذا التاريخ ويستوعبه من غير ان يعنت ذهنه نقولا الحداد

خواطر وحكم

اذا استخدمت رجلاً لا تسيء الظن به واذا كنت تسيء الظن برجل فلا تستخدمه — كنفوشيوس

لا يمكنك ان تناقش قلبك . فاما ان تكسره او ان تطيعه — لابرويار

في كل يوم يموت المرء مرة فكأن آخر الحياة هو نهاية الموت

كل افكار الرجال لا تعادل عاطفة رقيقة من عواطف المرأة — فولتير

في العالم الادبي أوبئة تنتشر بين الناس كالاوبئة الجسدية

المرأة كدوارة الريح لا تثبت الا متى اعتراها الصدأ

سحابة الصيف موشاة ببطانة فضية

قلما يصغي للنصيحة من كان محتاجاً اليها

لا يذهب أحد الى المشنقة بسبب نصيحة جيدة

لا فائدة من ايصاد الاصطبل بعد ان يسرق الحصان

العمر والزواج — يكمان فم الرجل

المرأة تنكر سنيها وذنوبها

من قلت سنوه قلت دموعه . ومن كثرت ايامه زادت الامه

الامتيازات الاجنبية

في مصر وتركيا

كثر الكلام في الايام الاخيرة عن اصل الامتيازات الاجنبية ومصدرها وذلك على أثر الغائها في تركيا كما اشرنا الى ذلك في الجزء الاول من هلال هذه السنة . وقد رأينا ان نورد هنا فذلكة من تاريخ هذه الامتيازات منذ اول نشأتها حتى هذا اليوم

تضاربت آراء المؤرخين في منشإ الامتيازات الاجنبية واسبابها فزعم بعضهم انها ترجع الى اختلاف الشرقيين عن الغربيين في اديانهم وعاداتهم . وقال آخرون ان سببها هو ان الحكام المسلمين ابوا ان يعاملوا غير المسلمين بنصوص الشريعة الغراء . وذهب غيرهم مذاهب اخرى لا محل لبسطها الآن . والحقيقة ان السبب لا هذا ولا ذاك . نعم ان اختلاف الشرقيين عن الغربيين في عاداتهم واديانهم قد كان سبباً من الاسباب على ان الحكام المسلمين لم يرفضوا قط في زمن من الازمان ان يعاملوا غيرهم بنصوص الشريعة وانما تأذن الشريعة لغير المسلمين برفع منازعاتهم الى محاكم ملتهم ولا تضطرهم لقبول حكم القاضي الشرعي الا برضاهم وذلك عملا بالآية « فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم »

وقد كانت الدولة العثمانية في العهد الاخير تعتبر الامتيازات الاجنبية منحة للاجانب ولذلك كانت تسعى الى الغائها فلم تمكنها الاحوال من ذلك الا في هذه السنة . اما الدول الاوربية فقد كانت تعتبرها عقوداً أو معاهدات لا يمكن فسخها الا برضى الفريقين المتعاقدين

اوائل عهد الامتيازات

واقدم ما اتصل بنا من تلك المعاهدات معاهدتا جنوا والبندقية مع السلطان محمد الفاتح عقب فتحه القسطنطينية سنة ١٤٥٤ . يليها المعاهدة التي وقع عليها السلطان سليمان الكبير والملك فرنسوا الاول في سنة ١٥٣٥ للميلاد . ثم تلتها معاهدة بين الدولة وانكلترا في سنة ١٥٧٩ . وبينها وبين هولندا في سنة ١٥٩٨ . وبينها وبين المجر في سنة ١٦١٥ . وبينها وبين روسيا في سنة ١٧٠٠ . وبينها وبين فرنسا ثانية في سنة ١٧٤٠ ومعاهدات اخرى كثيرة مع مملكة نابولي والدنمارك واسبانيا واميركا وغيرها

على ان هنالك معاهدات سابقة لمعاهدات الدولة العلية واقدمها المعاهدة التي ابرمها السلطان صلاح الدين مع جمهورية بيزا في ٢٥ سبتمبر سنة ١١٧٣



السلطان سليمان القانوني

وعلى كل فقد كان المراد من هذه المعاهدات او الامتيازات معاملة رعايا الدول الاجنبية بالرفق واللين وتسهيل سبل الاتجار لهم . لانهم لم يكونوا يجسرون على ذلك بدونها وهاك مثالاً على ذلك معاهدة فرنسا المذكورة في سنة ١٧٤٠ فقد ذكر الهلال في الجزء الرابع من السنة الرابعة عشرة ما يأتي : —

« ومن مآل تلك المعاهدة الترخيص للفرنسويين بزيارة بيت المقدس والاتجار تحت حماية الدولة والكف عن استعبادهم واعفاؤهم من الضرائب والخراج وبعض عوائد الجمارك واحالة الفصل بين المتخاصمين منهم الى القناصل والسفراء ليحكموا عليهم بمقتضى شرائع بلادهم ومساعدتهم بحرا في حال النوء وترك امر توزيع تركاتهم او ما شاكل للقناصل والتصريح لجماعة الجزويت والكبوشيين بممارسة فروضهم الدينية في كنائسهم والاذن لهم بصنع الخمر او جلبها لمشروبهم وعدم سجن تراجمة السفراء أو الحجز عليهم واعفاء خمسة عشر شخصاً من خدمة كل سفير من العوائد على اختلاف انواعها والترخيص لاي سفير بتعيين العدد الذي يريده من الانكشارية لحماية بيته ومنع ايّ كان من اهل القضاء او

العسكرية من الدخول الى بيوت الفرنسويين بغير اذن السفير » ونحو ذلك

توسيع نطاقها

فيستفاد من مآل هذه المعاهدات انها انما منحت للدول الاجنبية رفقاً برعاياهن والتماساً لراحتهم واطلاقاً لحريتهم. ولكنها اصبحت مع توالي الزمن عثرة في طريق عمال الدولة العثمانية واغلالاً لايديهم. وقد توسع السفراء والقناصل في استخدامها حتى صاروا يمنحون حمايتهم لمن شاءوا من رعايا الدولة بحجة كونهم من تراجمهم او قواسهم او عملائهم او غير ذلك. فشق ذلك على الباب العالي فاصدر منشورات عرفت بالنظامات القنصلية صدر اولها في ٩ اغسطس سنة ١٨٦٣ وثانيها سنة ١٨٦٥ والمراد بهما تعيين عدد التراجمة والقواسة لكل سفير أو قنصل او وكيل قنصل وتحديد امتيازات كل منهم وحدوده حتى لا يتعداها. واصدر منشوراً ثالثاً سنة ١٨٦٧ يأذن به للاجانب في امتلاك العقارات الثابتة. واصدر منشوراً رابعاً سنة ١٨٦٩ يتكفل بتحديد امتيازات القناصل فيما يتعلق بوارداتهم عن طريق الجمارك

وقد كان منشأ الخطر في هذه الامتيازات من جانب الامور الجنائية فانه لما كانت بيوت الاجانب في المملكة العثمانية آمنة مراقبة الدولة ولا يستطيع عمالها تفتيش تلك المنازل الا بعد مفاوضات طويلة اصبحت تلك المنازل ملاجئ للكثيرين من الذين يهربون من السلطة المحلية فاصدر الباب العالي في سنة ١٨٦٩ منشوراً عاماً يتعلق بالامتيازات الممنوحة لسفراء الدول رغبة في ايقاف تلك الدول عند حدها

الامتيازات في مصر

اما في مصر فيؤخذ من نصوص السجلات الرسمية ان الاجانب الذين كانوا يتوافدون عليها قبل زمن محمد علي كانوا يعاملون بمقتضى شريعة البلاد فلم يكن لهم امتيازات ولا محاكم قنصلية ولا كان يؤذن لقناصلهم ان يتعرضوا لامر من الامور الا عند وفاة أحد الاجانب ففي هذه الحالة كان القنصل الذي ينتمي اليه المتوفى يضع يده على متروكاته ويتصرف بها. ولم تتغير الحال بعد دخول مصر في حوزة الدولة العلية بل بقيت السلطة المحلية تعامل الاجانب كما تعامل الوطنيين. وكان نفس الاجانب يفضلون هذه المعاملة لان الحكام المماليك كانوا يظلمون التجار الاجانب ويبتزون منهم الاموال الطائلة لاعتقادهم بانهم اصحاب ثروة طائلة. ولذلك كان هؤلاء يهربون من جنسيتهم ويستبدلونها بالجنسية المصرية

ولما دخلت البلاد في حوزة المرحوم محمد علي باشا كثر توافد الاجانب على القطر المصري واستقدم محمد علي باشا جانباً كبيراً منهم من رجال العلوم والفنون والصنائع طمعاً بالاستفادة منهم واسندت وظائف كثيرة الى جمهور غفير من المهندسين الاجانب والاطباء والصناع وغيرهم لتعليم المصريين وترقيتهم

وظل عددهم يزداد في البلاد ولا سيما بعد فتح قنال السويس فان المرحوم اسماعيل باشا مهد لهم سبل الاقامة بتنظيم المدن الكبرى على الشكل الاوربي وبذل كل جهده للاكثار من العنصر الاجنبي في البلاد

وظلت المعاهدات التي عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الاجنبية مرعية في مصر ولكن طرأ عليها بعض التغيير فيما يختص بالامور الجنائية . فبينما معاهدات الامتيازات تنص صريحاً بوجوب محاكمة الاجانب امام المحاكم العثمانية في منازعاتهم مع العثمانيين سواء كانوا مدعين او مدعى عليهم بشرط حضور القنصل او الترجمان عند المحاكمة نرى الامر في مصر على خلاف ذلك فان الاجانب الذين يجرمون الى الوطنيين يحاكمون امام محاكمهم القنصلية ويجازون بحسب قوانين بلادهم . وقد استمد القناصل هذا الحق من العادات لا من المعاهدات . واعترفت الحكومة المصرية بوجوب مراعاة هذه العادة في منشور اصدره سعيد باشا والي مصر في ١٥ اغسطس سنة ١٨٥٧ وورد في المادة ٥٢ منه ما يأتي :

« اذا صدرت من اجنبي ذنوب وجنايات وثبت ذلك بالتحقيق الابتدائي واستحق عليها القصاص والمجازاة فبحسب طلب مأمور الضبطية يصير اجراء وقوع تلك المجازاة بالقنصلاتو التابع لها المذنب »

ومنذ ذلك الحين تمسكت الدول بهذه اللائحة واعتبرتها مسوّغاً لتعديل نصوص المعاهدات التي بينها وبين الدولة . وبناء عليه تقرر ان يتبع المدعي محكمة المدعى عليه

قال عمر لطفي بك صاحب كتاب الامتيازات الاجنبية : —

« وقد تولد عن العمل بالقاعدة المذكورة تعدد السلطات القضائية بالقطر المصري فصار كل قنصل يجري احكام بلاده وينفذ قانون حكومته في الديار المصرية . ناهيك بما ينجم عن ذلك من الارتباك والصعوبة لا سيما اذا تعدد المدعى عليهم في قضية واحدة وكانوا من اجناس مختلفة فانه يتعين في هذه الحالة على المدعي ان يقاضي كل واحد منهم بدعوى على حدتها امام محكمة قنصله . ولا تسل عما يقاسيه المدّعي اذا اراد رفع استئناف بعد الحكم الابتدائي اذ لا بد له من السفر خارج القطر الى اكس ولندن

وغيرها لتوكيل محام يرفع له الاستئناف ويترافع عنه في القضية »

وقد سعى كثيرون من المصريين لاستبدال جنسيتهم بجنسية اجنبية فراراً من احكام السلطة المحلية وطلباً للحصول على معاملة يمتازون بها عن سائر الاهالي . وشعرت الحكومة المصرية بحرج الحالة فسعت للتخلص من نير الامتيازات . وكان اول سعيها في هذا السبيل عن يد نوبار باشا في سنة ١٨٦٧ ولكن الحكومة الفرنسوية رفضت احداث اي تغيير من هذا القبيل . فلم ييأس نوبار باشا من فشله بل سعى لعقد لجنة دولية في القاهرة في سنة ١٨٦٩ ولكن وقوع حرب السبعين بين المانيا وفرنسا حال دون اعمال اللجنة فعطلت ثم استؤنفت المسئلة في سنة ١٨٧٣ وفي السنة التالية قبلت الدول مشروع انشاء محاكم مختلطة وجرى الاحتفال بافتتاحها تحت رئاسة الخديوي الاسبق في ٢٨ يونيو سنة ١٨٧٥ وابتدأت اعمالها في اول فبراير من سنة ١٨٧٦

على ان المحاكم القنصلية حفظت لنفسها حق النظر في الجنايات والجنح فسعت الحكومة لنزع هذا الحق من القناصل ولكن وقوع الحوادث العرابية حالت دون اتمام السعي . وفي سنة ١٨٨٤ انعقدت لجنة دولية في القاهرة تحت رئاسة نوبار باشا وصدقت على تخويل المحاكم حق النظر في بعض الجنايات والجنح ولكن الحكومة لم تنفذ ذلك المشروع لاسباب اهمها اشتراط بعض الحكومات ان يكون رجال النيابة من الاجانب

وبقيت الحال على هذا المنوال في عهد الاحتلال . الا ان اللورد كرومر سعى بكل قواه لالغاء الامتيازات الاجنبية من مصر فلم يفلح مع انه خطا خطوة واسعة في سبيل ذلك اذ تمكن من حمل الحكومة البريطانية على الاتفاق مع الحكومة الفرنسوية ذلك الاتفاق المشهور المعروف باتفاق ٨ ابريل سنة ١٩٠٤ . نعم ان الاتفاق كان لاغراض سياسية اخرى ولكنه كان ايضاً ديباجة السعي في سبيل الغاء الامتيازات

وكان اللورد كتشنر في السنين الاخيرة يسعى لتنفيذ فكرة اللورد كرومر ولكن الحرب الحاضرة حالت دون ذلك فتوقف السير في المشروع مرة اخرى

على ان ما عجز عنه الاحتلال البريطاني في عدة سنين اتمته الدولة العلية بغتة فانها اصدرت امرها بالغاء الامتيازات . وهاك نص البلاغ الذي ارسلته بهذا الشأن :

« ان الحكومة العثمانية رأت في الزمن القديم عملاً بروح الضيافة والمودة نحو الاوروبيين ان تبلغ الدول الاحكام التي يخضع لها الاجانب والاوروبيون الذين يأتون الشرق للاتجار . وهذه الاحكام التي منحتها الحكومة العثمانية من تلقاء نفسها أولت بعد ذلك بانها امتيازات وليست الصيغة اللازمة لذلك واتسعت حتى ظلت الى ايامنا هذه

تعرف بالامتيازات . وهذه الامتيازات مخالفة في هذا العصر كل المخالفة لمبادئ القوانين والشرائع الحديثة ومناقضة لسلطة الامة وعائقة لتقدم السلطنة العثمانية . ومفضية الى مشاكل بين الدول والدولة التي تود ان تعيش معهن على اتم ولاء

فالحكومة العثمانيسة تتغلب الآن على الصعاب وتوالي السير في سبيل تجديد شباب الدولة وانفاذ الاصلاح الذي ذكر في الامر السلطاني الصادر في سنة ١٨٣٩ وتبني اعمالها على اساس الشرائع الحديثة حتى تشغل بحسن الادارة مركزها في وسط العائلة الاوروبية المتمدنة

على ان اشتراك الاجانب حسب حكم الامتيازات في القضاء يضيق دائرة التشريع لان جميع القوانين لا تنفذ على الاجانب وبعبارة اخرى ان المجرم الذي يرتكب جريمة تعبث بالامن العام لا يمكن ان يقبض عليه لسبب واحد وهو انه اجنبي وهذا ما يعد حائلاً دون تقدم القضاء في البلاد

وعلاوة على ما تقدم ان الاجانب في بلاد السلطنة معفون من الضرائب . وهذا ليس فقط يصعب على الباب العالي ايجاد الاموال اللازمة لانفاذ الاصلاحات بل يحرمه ايضاً من امكان الوصول الى ايجاد الاموال اللازمة للقيام بنفقاته الاعتيادية دون عقد القروض لانه لا يقدر على زيادة الرسوم غير المقررة فهو يضطر الى زيادة الرسوم المقررة التي ترهق دفاع الضرائب العثمانيين

واعفاء الاجانب من عدة ضرائب امر مناقض لاستقلال الحكومة وكرامتها

على انه بالرغم من الحوائل كلها ظل الباب العالي عاقداً العزيمة على انفاذ الاصلاحات ولكن الحرب العامة زادت في الصعاب المالية الموجودة في البلاد وهددت بايقاف الاصلاحات المنوية أو المقررة . ويقين الباب العالي ان الوسيلة الوحيدة للتقدم هي انفاذ تلك الاصلاحات بكل سرعة وهو موقن ايضاً بان الدول تعاونه على السير في هذا الطريق ومن اجل ذلك كله قرر الباب العالي من اول اكتوبر ٩١٤ الغاء جميع الامتيازات وكل ما تقدمها وما لحقها من الاعفاءات التي كانت حائلاً دون تقدم البلاد وان يسير في صلاته مع الدول على منهج الحق الدولي العام

ولا يعمل الباب العالي في الغاء الامتيازات باقل روح مخالفة للتواد والولاء نحو الدول . بل هو يعمل بروح نفع الوطن العثماني وهو مستعد لان يبرم مع كل دولة معاهدة تجارية على اساس القانون الدولي العام » اهـ

السياسة الخارجية الانكليزية

بعد مؤتمر برلين (سنة ١٨٧٨)

اشتهرت السياسة الانكليزية بتطوّرها المستمر لملاءمة الحوادث والاحوال المستجدة وتلونها بحسب مقتضيات المصالح الانكليزية في أنحاء العالم. فالسياسيون الانكليز لا يضعون نصب اعينهم مبادىء سياسية ثابتة يطبقون اعمالهم عليها بل هم يكيفون علاقاتهم على ما تتطلبه مجاري الاحوال السياسية والاقتصادية. وقلما يتمسكون بمبادىء نظرية صلبة — شأن الشعب الانكليزي في جميع اطواره

يدلك على ذلك نفورهم من عقد المحالفات فانك اذا بحثت في سجلات الحكومة الانكليزية لا تجد من سنة ١٨٨٠ الى اليوم الا محالفة واحدة ثابتة عقدتها مع دولة في خارج اوربا نعني المحالفة الانكليزية اليابانية. والغاية اتفاقها مع فرنسا سنة ١٩٠٤ لم تبرم اتفاقاً طويلا الا مع ايتاليا. فروابط المصالح المادية في عرف الحكومة الانكليزية هي اقوى من جميع انواع المعاهدات — هذا ما حدا انكلترا الى الدخول في الحرب الاوربية الكبرى ولم تكن مرغمة على ذلك

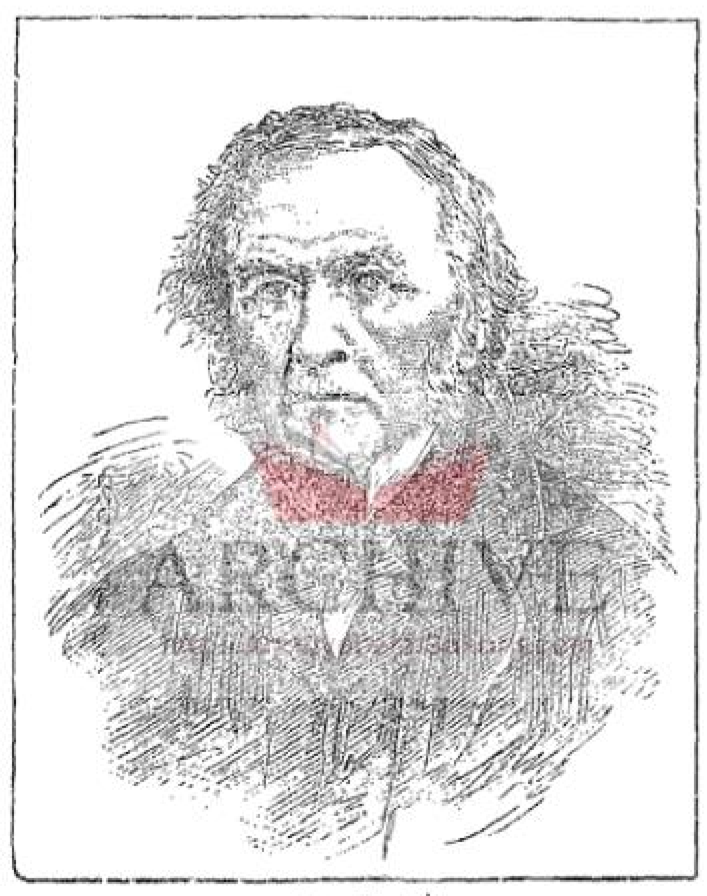
بعد مؤتمر برلين

تقلبت السياسة الانكليزية في الجيل الاخير وتغيرت وجهتها غير مرة. فبعد مؤتمر برلين لزمت انكلترا الاعتزال السياسي. ولا يبرح عن ذهن القارىء ان رئيس الحكومة كان حينذاك غلادستون المشهور بحب الانصاف. فانه لم يكن يعبأ بالتوسع الاستعماري بل كان يسعى في الجلاء عن الاراضي التي حازتها انكلترا بحق السيف — هذا ما حداه الى ترك الترنسفال سنة ١٨٨١ والسودان سنة ١٨٨٣ وغيرهما

خرجت انكلترا من مؤتمر برلين مطمئنة البال من جميع الوجوه الا من وجه واحد شغل رجالها ردحاً من الزمن وهو الخوف من الدب الروسي الذي برهن على قوته ومطامعه في حربه مع الدولة العثمانية والذي ما برح منذ ذلك الحين وعيناه تطمحان الى الاستانة. فضلا عن تقدمه في اواسط اسيا على حدود الهند وانتشار نفوذه في تلك الانحاء. وقد كان ذلك باعثاً على تقرب انكلترا من الدول المشاركة لها في تخوفها هذا وفي مقدمتها النمسا والمانيا لا سيا بعد عقد المحالفة الثلاثية سنة ١٨٨١ فقد اظهر اللورد سلسبري — وهو الذي كان يدير دفة السياسة الانكليزية في ذلك الحين — ميله الى المحالفة الثلاثية في غير موقف

انكلترا وايتاليا

وكانت ايتاليا حينئذ توجس شرًّا من انتشار النفوذ الفرنساوي في البحر المتوسط وخصوصاً بعد استيلاء الفرنساويين على تونس



المستر غلادستون

فالايتاليون يطمحون الى احراز السيادة فيه معتبرين انفسهم ورثة الدولة الرومانية العظيمة ويعدون كل شبر من شواطىء البحر المتوسط تستولي عليه دولة اخرى هضماً لحقوقهم . وقد زادهم نفورهم من فرنسا تقرباً من انكلترا حتى ان لغاية سنة ١٩٠٠ كان الساسة يعتبرون انكلترا داخلة فعلا ان لم يكن اسما في المحالفة الثلاثية نظراً لاتفاقها المتين مع ايتاليا . فان ايتاليا ما برحت منذ تكونها على اتفاق تام مع انكلترا من حيث سياستها الاستعمارية . ثم ان اسبانيا انضمت الى ايتاليا وانكلترا لمزاحمة فرنسا لها في مراكش حتى قيل انه كان يوجد في البحر المتوسط تحالف ثلاثي آخر بين ايتاليا وانكلترا واسبانيا غرضه ايقاف فرنسا عند حدها والحط من نفوذها في ذلك البحر

انكلترا والمانيا والمسألة المصرية

احتلت انكلترا مصر سنة ١٨٨٢ كما هو مشهور . فاتخذت فرنسا تجاهها سياسة الاعتراض وبدأ منذ ذلك الحين تنافر طويل بين الدولتين في المسائل الاستعمارية ازداد قوة بعد الاتحاد الروسي الفرنساوي سنة ١٨٩١ وكان باعثاً على توثيق عرى الصداقة بين انكلترا ودول التحالف الثلاثي عموماً لا سيما ايتاليا . وقد لزمت المانيا السكوت على اثر احتلال مصر لتكسب رضى انكلترا وتحملها جميلاً تستفيد منه في ما بعد . قال احد رجالها : « مصر لنا بمثابة عصا نقرع بها فرنسا » . هذه كانت سياسة المانيا مع انكلترا ليس فقط في المسألة المصرية بل في السياسة الاستعمارية على الاجمال فانها كانت تحاذر جهدها ان تثير غضبها عليها . ومن اقوال بسمارك المأثورة « تهمنا انكلترا اكثر من جزيرة زنجبار او نحوها من المستعمرات »

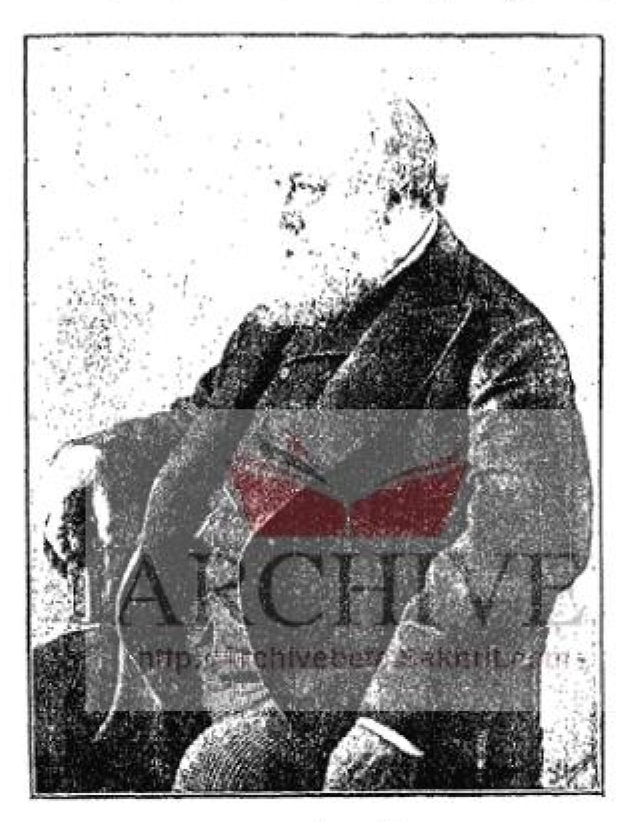
لكن ذلك لم يمنع اختلافهما مؤقتاً على بعض المسائل . لا سيما وان انكلترا كانت تحسب لنفسها حقوقاً طبيعية في كل البقع غير المستعمرة لذلك الحين وتعد استيلاء احدى الدول عليها اجحافاً بحقها . لكن جميع المشاكل كانت تفض سلمياً . وقد عقدت انكلترا مع المانيا بضعة اتفاقات لحسم نقط الخلاف بين الدولتين اعترفت المانيا فيها ضمناً بالاحتلال الانكليزي في مصر

وبقيت المانيا على اتفاق مع انكلترا الى اول هذا القرن حتى ان بعض الصحف تحدثت باتحاد توتوني يجمع المانيا وانكلترا والولايات المتحدة لمقاومة العناصر اللاتينية السائرة الى الزوال ولصد تيار العنصر السلافي المتدفق على الحدود الالمانية . وقد سماه المستر تشمبرلن التحالف الثلاثي التوتوني

انكلترا وفرنسا

ظلت العلائق متوترة بين انكلترا وفرنسا في اثناء العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر فان سياستيهما الاستعماريتين كانتا تصطدمان في جميع انحاء العالم : في الصين وفي الهند الصينية وفي افريقيا الغربية وفي اعالي النيل وفي الكونغو . لكن ذلك التوتر بلغ أشده سنة ١٨٩٨ على اثر التقاء البعثة السودانية تحت قيادة اللورد كتشنر ببعثة مرشان الفرنساوية في فاشوده . فان الحكومة الانكليزية افرغت حينئذ ما في صدرها من الضغائن لانها كانت تعتقد ان فرنسا تتعمد معاكستها في جميع الانحاء (وقد سميت سياستها نحو الانكليز « بسياسة وخز الابر ») واخرج الفرنساويون من فاشوده كما هو مشهور . وابرمت فرنسا معاهدة ٢١ مارس سنة ١٨٩٩ للاعتراف بحقوق انكلترا على النيل

لكن القرن العشرين ما بزغ فجره حتى شهد تغيراً عظيما في السياسة الاوربية . فان انكلترا لما رأت اخفاق مساعيها للاتفاق مع المانيا اتفاقاً يضمن لها حقوقها وسلامتها بعد ما شهدته فيها من المطامع الاشعبية التي تهدد كيانها وسلطانها ومن المنافسة لها في تجارتها



اللورد سلسبري

حتى في انكلترا نفسها ورأت من الجهة الاخرى ان مصالحها اصبحت اقرب الى مصالح فرنسا منها الى مصالح المانيا غيرت وجهة سياستها وبدأت منذ ذلك الحين (منتصف سنة ١٩٠٠) تتقرب من فرنسا حتى آل ذلك الى اتفاق ٨ ابريل سنة ١٩٠٤ الذي كان اساس الاتفاق الحبي بين الدولتين . ولا يبرح عن الذهن ان الملك ادوارد السابع ارتقى العرش سنة ١٩٠١ فكان ميله الشخصي الى فرنسا من البواعث على توثيق عرى الاتفاق الودي . ومن تلك البواعث ايضاً ان اللورد سلسبري الذي ادار دفة السياسة الانكليزية نحو عشرين سنة كان في اثنائها عدواً لفرنسا ترك مسرح السياسة سنة ١٩٠٢

وفي تلك السنة عقدت فرنسا اتفاقاً مع ايتاليا يضمن حرية تصرفها في مراكش مقابل اخلاء المجال لايتاليا في طرابلس الغرب فكان هذا شبه اتفاق مع انكلترا صديقة ايتاليا الحميمة

ومن مسهلات عقد اتفاق ٨ ابريل سنة ١٩٠٤ الذي اطلق ايادي فرنسا في مراكش وايادي انكلترا في مصر ان انكلترا لم تكن ذات مطامع في مراكش لانها اذا سعت في شيء من ذلك اغضبت صديقتيها اسبانيا وايتاليا . فكانها في هذا الاتفاق لم تضحي شيئاً يذكر من مصالحها . ومثلها من هذا القبيل فرنسا فانها رأت من العبث التشبث بالمسألة المصرية . والفضل في ذلك يرجع الى المسيو دلكاسه

ولما نشبت الحرب الروسية اليابانية واصبحت فرنسا منفردة على البلاد الفرنسوية رأت انكلترا من حسن السياسة ان تزداد تقرباً اليها خوفاً من هجوم المانيا وعلى أمل ان يكون تقربها هذا تمهيداً لتقربها من روسيا حليفة فرنسا

الخطر الالماني بعد الاتفاق الودي

وكان الخطر الالماني يتجسم كل سنة في عيني انكلترا — ليس فقط على التجارة الانكليزية في انحاء العالم بل على حياة الامة الانكليزية نفسها — شعرت انكلترا بذلك فتركت سياسة الانفراد واصبح همها الوحيد ملافاة ما يهدد كيانها فعملت على التقرب الى روسيا وسعت جهدها للتوفيق بين فرنسا وايتاليا واسبانيا ثم اقنعت روسيا صديقتها الجديدة ان تنسى انكسارها في الحرب اليابانية وتعقد مع اليابان معاهدات تضمن راحتها في الشرق الاقصى

وكان اتفاقها مع فرنسا يزداد متانة كل يوم رغم مساعي الالمان المتواصلة بالتفريق بين الدولتين وقد جربت متانته في المسألة المراكشية فان انكلترا لم تكتف بمؤازرة فرنسا في مؤتمر الجزيرة بل سعت في ابرام معاهدة بين فرنسا واسبانيا لحسم نقط الخلاف بينهما

وسعت من الجهة الاخرى في التقرب من روسيا فنجحت وابرمت معها معاهدة ٣١ اغسطس سنة ١٩٠٧ التي جددت مناطق النفوذ الانكليزي والروسي في فارس وافغانستان وتيبت والتي كانت اساساً للعلاقات الودية بين الدولتين فيما بعد . من ذلك الحين بدأت الصحف تتحدث عن « الاتفاق الثلاثي »

وبالاجمال فان سياسة انكلترا الخارجية كانت ترمي : (اولاً) الى ازالة كل العقبات الحائلة بينها وبين الدول التي ترجو موازرتها في ردع الخطر الالماني وحفظ التوازن الاوربي وتقربها منها . (ثانياً) الى السعي في تقريب تلك الدول بعضها من بعض

وقد برهنت الحرب الاوربية الحاضرة انها نجحت نجاحاً باهراً في مرماها

فلسفة الحرب الحاضرة

درس الكاتب في الجزء الماضي وجهين من فلسفة الحرب الحاضرة وهما (١) مراحمة السلاف للجرمان (٢) اصطدام التوتون . وارجأ الى هذا الجزء الكلام عن المسألة الشرقية

٣ — المسألة الشرقية

القلم الذي يتحرك باسم الفلسفة يجب ان تديره يد خاضعة لدماغ نزيه . فان التحيز ذلك الداء الدفين الذي يفسد احكام المؤلف مهما كان واسع الاطلاع لا يليق بمواقف الحكمة لانه قرين الجهل

اقول ذلك مقدمة لارسال هذا القلم في عباب المسألة الشرقية تلك المسألة التي كانت ميدان الاقلام والافكار بين السياسيين والاجتماعيين والاقتصاديين مدة قرنين ونصف على الاقل . واهتمامنا بهذه المسألة مضاعف : أولاً لعلاقتها بنا . وثانياً لعلاقتها بالحرب الحاضرة

فلسفة الوجود

ان حوادث هذا الوجود جماء — والحوادث التاريخية داخلة تحتها — تجري على سنة واحدة هي ناموسها المطلق الفعال الذي يربط حوادثها ويفسرها ويقرّر نتائجها ويحققها وهو — الحرص على الكيان — ومن الخطأ تسميته تنازع البقاء . فالحرص على الكيان اعم من تنازع البقاء لانه يشتمل على المساعي السلبية والايجابية التي غرضها ضمان الكيان

فمسائل السياسة شرقية او غربية حاضرة اوغابرة كلية او جزئية لا تخرج عن حكم هذا الناموس الذي تخضع لاحكامه سائر الكوائن في ممالك الجماد والنبات والحيوان

لقد نشأت اوربا واستلبت من الشرق صولجان السيادة الكونية بعدما كان ذلك الصولجان في يد المشرق اجيالا طويلة . فاجلت العرب عن اسبانيا . وزحزحت العثمانيين عن مواقعهم في وادي الدانوب . ولا تزال توالي الكر قاصدة الحرص على تلك السيادة وتوسيع نطاقها شأن كل مركز قوة

وقد رأينا دول اوربا توالي الاتحادات والاتفاقات ضد الدولة العثمانية . على اننا نرى ايضاً خروجاً عن تلك الاتفاقات واعلان الدفاع عن كيان العثمانية تارة بالقلم وطوراً بالسيف — وهو ما يسمى المسألة الشرقية

الدولة العثمانية في ذروة مجدها

دخل القرن السابع عشر ولآل عثمان دولة يرجع الطرف عنها كليلاً . وهي تمتد من خليج العجم الى ابواب فينا . ومن تركستان الى المغرب الاقصى . ومن بولاندا الى بحر العرب . جاء في الانسكلوبيديا البريطانية ما نصه :

« سنة ١٦٧٢ في ملك محمد الرابع السلطان العثماني ووزارة احمد بن محمد كبرلي استولى الاتراك على لمبرغ وكامينيت في بولاندا . وفرضوا على ملكها ذيورغ جزية سنوية قدرها ٢٢٠٠٠ ستكونين . وفي وزارة الكارا (القره) مصطفى سنة ١٦٨١ شنت الغارة على النمسا فبلغت اسوار فينا وشددت الحصار عليها . فهرب امبراطورها واركان حربه منها وظهر ان لا رجاء في ثبوتها وقد كان ذلك اكيداً لولا انجاد يوحنا سوبوسكي ملك بولاندا لها نجاة »

فيظهر لنا ان الدولة العثمانية بلغت ذروة عظمتها في تلك النقطة . وكانت مواقفها عند اسوار فينا نقطة رجوع في مجراها التاريخي كما يتبين من استتلاء الكلام في الانسكلوبيديا قال :

« وعندئذ اتحدت عليها فينسيا والنمسا وروسيا وبولاندا وتوسكانا ومالطا والبابا (كملك) فافتتحت النمسا حصون هنغاريا واحداً فواحداً . وكذلك فعل الفينيسيون في بلاد اليونان . وشددت روسيا الحصار على القرم . وحصر يوحنا سوبوسكي كامينيت . وسحق البرنس اوجين الجيوش التركية في زنتا . وكانت فينيسيا تضايقهم واجلتهم روسيا عن ازوف . فحينئذ تعرضت انكلترا وهولاندا للامر والحتا على الباب العالي فعقد معاهدة كارلوفتز في يناير سنة ١٦٩٩ وقد كانت نقطة تحول السيل التركي عن اوربا . ومن ثم بدأت المداخلات الاوربية »

فنستفيد مما تقدم :

١ً ان الدولة العثمانية كانت قد استولت على كل هنغاريا وتجاوزت جبال كرباثيا الى بولاندا وروسيا

٢ً ان اتحاد الدول الاوربية عليها يدل على رجحانها عليهم قوة وتخوفهم منها . شأن الضعيف تجاه القوي

٣ً ان دول غربي اوربا بزعامة انكلترا كانت معاكسة مقاصد دول شرقي اوربا بزعامة روسيا في مصير الدولة العثمانية . والعبارة التي تلفت نظرنا هي

المداخلات الاوربية

فما هي تلك المداخلات؟ وما هو غرضها الاصلي؟ وماذا ترتب عليها؟

ان الجواب على هذه المسائل هو البحث المستفيض في ما يدعونه المسألة الشرقية التي اشتغلت بها أقلام اكابر السياسيين والفلاسفة في اوربا

لم تقتسم أوربا الدولة العثمانية كما فعلت ببولاندا ولم تبدد الاتراك كما فعلت بعرب اسبانيا ولا اجهزت على دولهم كما حدث للبرتوغال

وذلك لانه كلما بلغت العثمانية مأزقاً حرجاً انبرت لها دولتان او ثلاث وضمنت كيانها. كما ترى من هذا الجدول

١	سنة	١٦٩٩	انكترا وهولاندا	(معاهدة كارلوفتز)
٢	«	١٧١٨	«	(« بوزاديفيث)
٣	«	١٧٣٦	«	
٤	«	١٧٦٩	«	(« كوجك كينارجي)
٥	«	١٧٩١	« وروسيا وهولاندا	
٦	«	١٧٩٨	« ضد نابوليون	
٧	«	١٨٤٠	« وروسيا ضد فرنسا وباشا مصر	
٨	«	١٨٥٤	« وفرنسا وايطاليا ضد روسيا	(حرب القريم)
٩	«	١٨٧٨	« وكل اوربا.	(عهدة برلين)

يظهر لنا ان دولة انكلترا هي الدولة الوحيدة التي كانت في كل تلك المدة تحامي عن بقاء العثمانية. فلماذا كان ذلك؟ أفي السياسة عشق؟ اذا كان في السياسة عشق فليس الانكليز ممن يعشقون

ان فلسفة التاريخ فرع من فلسفة هذا الوجود. فيجب ردها الى ناموس الوجود العام. وبحسبه تكون المنافع اساس المساعي وسر الحركات والسكنات. فما هي مصلحة انكلترا في الانحياز الى تركيا؟

التوازن الاوربي

والجواب الاول الذي اجمع عليه الفلاسفة والسياسيون لذلك هو حفظ التوازن بين دول اوربا

في العائلة الاوربية ست من الدول العظمى . وهي روسيا والمانيا والنمسا وايطاليا وفرنسا وانكلترا . واذا لخصنا المسألة الشرقية في كل ادوارها نرى ان المهاجمة تحصر في روسيا والنمسا جارتي تركيا . والدفاع يحصر في انكلترا ومن يلف لفها في السياسة

فالتوازن الاوربي له كفتان : انكلترا واتباعها وروسيا واتباعها

ولما كانت الدولة العثمانية قد امتازت بمركزها الجغرافي ومواقعها الحربية اذ انها تشغل جنوبي شرقي اوربا وغربي آسيا وشمال شرقي افريقيا . كان حلول احد الفريقين في اصقاعها مرجحاً لكفته في الموازنة الاوربية وخطراً على السلم ومهدداً لكيان الدول الاوربية . وقد كان غرض مؤتمرات لندن سنة ١٨٤٠ وباريس سنة ١٨٥٦ وبرلين سنة ١٨٧٨ غل ايدي الدول التي كانت تريد ان تنفرد بحل المسألة الشرقية

ان الاخلال بالتوازن يمس مصالح عموم الدول ولكن ذلك المساس يتناول كلا بقدره . ولما كانت انكلترا معرضة للمساس اكثر من سائر الدول كان من واجباتها الاساسية المحافظة على كيان العثمانية حفظاً للتوازن

تركيا وانكلترا

لا احد ينكر ما للاقتصاديات من الاهمية في الدولة الانكليزية . وان لغرفة التجارة في لندن نفوذاً عظيماً في مجلس الوزراء . وقد يكون قيام هذه الغرفة سبباً في حل الوزارة . وقد علمت ان تجوال رئيس تلك الغرفة في اميركا وآسيا في سنة ١٩٠٣ كان رائد السياسة الخارجية الانكليزية . قالوا وان زيارته اليابان كانت الحجر الاول في المعاهدة الانكليزية اليابانية التي ضمنت مستقبل الانكليز واليابان في الشرق الاقصى . ولا يجهل مطلع على احوال التجارة في العالم ما للانكليز من المصالح الاقتصادية في الدولة العثمانية وفي جوارها

وقد حسب مرة ان سبعين في المئة من واردات الاناضول انكليزية . وقس على ذلك سائر الايالات فانها تستورد من انكلترا وتصدر اليها الشيء الكثير . ولذلك كان من الامور الضرورية ملاحظة السياسة الانكليزية علاقتها بتركيا حرصاً على تلك المصالح

هذا من جهة المصالح الاقتصادية ولانكلترا مصالح اخرى سياسية وحربية اهمها طريق الهند والمستعمرات

والمجال هنا فسيح للاقلام والافكار

يقول العارفون ان نابليون بونابرت فاجأ تركيا باحتلال مصر والزحف منها على

سورية رغبة في فصل الانكليز عن الهند وسائر المستعمرات التي لها في البحار الشرقية

فليتأمل المطالع ماذا يحدث للانكليز لو حلت دولة شديدة المراس قوية الساعد في تركيا

ثم ان انكلترا الى الآن ليس لها املاك حول المتوسط فكيف تستطيع ان تبقى اساطيلها فيه لحماية متاجرها ومراقبة طرق المستعمرات في افريقيا وآسيا الا بمصادقة الدولة العثمانية والدفاع عن كيانها

اذا تأمل القارىء ذلك يفهم ان انكلترا مضطرة بحكم المصلحة ان تحمي الدولة العثمانيــة من كل تهجم عدائي . وقد سعت انكلترا ليس فقط في حمـاية الدولة العثمانية من تعديات اوربا . بل في انهاضها وسوقها في طريق الاصلاح الذي يضمن اشتداد ساعدها لتكون هي نفسها قادرة على حفظ كيانها

وبالاختصار نقول ان دفاع انكلترا عن تركيا هو كدفاعها عن البلجيك . ولم تدخل في هذه الحرب ضدها الا مرغمة كما تبين من مساعيها قبل دخولها في الحرب

تركيا والمانيا

كل كلامنا الى هنا كان محصوراً في المسألة الشرقية قبل المانيا . وقد وصلنا الان الى آخر حلقة من سلسلة المسألة الشرقية . وهي المانيا ومداخلاتها

المانيا لم تكن قبل سنة ١٨٧١ . وبروسيا التي توالى ذكرها في ميدان السياسة كانت مملكة حقيرة لكنها بعد فوزها على الدانمارك سنة ١٨٦٤ وعلى النمسا سنة ١٨٦٦ وعلى فرنسا سنة ١٨٧١ وبعد تأليف الاتحاد الالماني أصبح لها من المكانة ما اباح لها الدخول في « السياسة الكونية »

وكان لمؤتمر برلين القول الفصل في كف يد الروس عن تركيا . وفيه خدمت المانيا مصلحة الانكليز ولكن بالحقيقة خدمت مصلحتها

ولما وجهت المانيا التفاتها الى الاستعمار سنة ١٨٨٤ رأت ميادين افريقيا مشغولة بفرنسا وانكلترا اللتين تملكتا بوضع اليد اكثر اقسام العالم . فاكتفت المـانيا باحتلال الدامارلند ونواحيها وشرقي افريقيا الالماني . ولم يكن ذلك ليشبع مطامعها ويروي غليلها وزاد شعورها بلزوم اسواق واسعة لتصريف البضائع والمصنوعات الصادرة من معاملها . حينئذ وجهت نظرها الى تركيا . فرأت فيها ضالتها المنشودة وبذلك دخلت المسألة الشرقية في طور جديد هو بيت القصيد هنا . فزار امبراطور المانيا تركيا سنة ١٨٩٨ وارسل اليها

فندر غولتز لتدريب الضباط وتنظيم الجيش . ونالت المانيا اهم امتياز في تركيا وهو امتياز سكة حديد بغداد . وقد تعبت انكلترا كثيراً في السنين العشر الاخيرة لتضمن انفرادها في مياه خليج العجم ورد المانيا عن تلك الاصقاع

وان التقرب بين فرنسا وانكلترا اولا وبين الروس ثانياً لم يكن الا حركة حرب ادبية ضد المانيا . والمانيا عالمة بذلك

ولما احتلت ايطاليا طرابلس الغرب واختلت الميزانية الاوربية بحرب البلقان . وسدّت المداخل في وجه العنصر الالماني . هبت المانيا لاختراع وسائل تعوض عليها ما خسرته . فكان انشاء مملكة البانيا نقل حجر في لعبة الشطرنج السياسية التي تلعبها اوربا . وثانيها استمالة بلغاريا الى الاتحاد الثلاثي

وكأن المانيا رأت ان كل ذلك لا يفي بالمطلوب . فوجهت همها لوضع يدها على تركيا صفقة واحدة

فارسلت الجنرال ليمان ساندرس قائداً للفيلق الاول العثماني وصحبته بعثات من القواد والضباط . فاقام ذلك روسيا واقعدها فشددت النكير على تركيا فاضطرت هذه ان تقيل الجنرال سندرس من القيادة وتحصر عمله في التفتيش والتعليم . ولكن فهمت انكلترا وفهمت اوربا ان تركيا صارت موالية لالمانيا . وانتشر في الجيش العثماني وفي دائرة واسعة بين الاتراك ان مستقبل تركيا متوقف على المانيا فتبين ان الضرورة تقضي على اوربا باحد امرين : اما الاستسلام لالمانيا . أو مناقشتها الحساب

ولا شك أن في نهاية الحرب حين تصفية الحسابات في المؤتمر المستقبل سيكون للمسألة الشرقية مجال واسع في مباحث السياسيين وارباب القيادة في اوربا

حنا الخباز

لابن الازري : —

أراعي نجوم الليل وهي طوالع ... الى ان يضيء الفجر وهي أفول
جنحن حيارى للمغيب كأنها ... نواظر مستها الكلالة حول
تذكرت أياماً مضين بذي الغضا ... سقاهن رجاف العشي هطول
اذ العيش غض والشباب عمائه ... وفي حدثان الدهر عنك غفول
ونحن بربع لم تطأه نوائب ... ولا انسحبت للريح فيه ذيول

هل للحيوان دين ؟

لان ما يحدث لبني البشر هو يحدث
للبهيمة والفرقتين حادثة واحدة . كما
تموت هي تموت هو وكليهما روح
واحدة (سفر الجامعة ٣ : ١٩)

اتفق علماء الاجتماع في الوقت الحاضر ان يطبقوا مذهب النشوء والارتقاء على نمو الهيئة الاجتماعية وتدرجها من الهمجية الى الحضارة . وقد تمكنوا بهذه الواسطة من تعليل الظواهر الاجتماعية تعليلاً يرتاح اليه العقل . واذا دققنا البحث في النشوء الاجتماعي وجدنا الامم على اختلاف الاعصر والاجيال ترجع بنظامها الى قواعد متشابهة . فالامة تتألف هيئتها الاجتماعية من عوامل او قواعد نشأت فيها بطبيعة العمران هي دعائم كيانها كالعائلة والحكومة والدين واللغة والتربية والفنون والآداب الاجتماعية الخ ... نشأت كل منها تدريجاً من ابسط احوال الانسان وارتقت وتفرعت على مقتضيات الاحوال

وطبقاً لمذهب النشوء والارتقاء فقد بحث العلماء عن اصل دعائم الاجتماع في الانواع التي دون الانسان ودرسوا نشوءها وتدرجها فوجدوا بين جماعات الحيوانات جرثومة العائلة والحكومة واللغة والفنون وغيرها من عوامل العمران فحدا ذلك بعض العلماء للبحث عن جرثومة الشعور الديني ايضاً فيها . ومنهم كونت الفيلسوف الفرنساوي وقد ذهب بعضهم الى القول بوجود خرافات عند الحيوانات

لكن الفريق الآخر من العلماء ظلوا على اعتقادهم ان الدين من مميزات الانسان وقد كتب احدهم (دي كاترفاج) في القرن الماضي كتاباً عن « الجنس البشري » عرف فيه الانسان بانه حيوان ديني تمييزاً له عن سائر الحيوانات باعتبار الدين ميراثاً خاصاً ببني آدم

ومما لا ريب فيه ان الانسان الاول اعتاد مساواة نفسه بالحيوانات التي كان يعيش بينها . بل كان في بعض الاحيان يعتبرها ارقى منه كالحيوانات المقدسة عند الشعوب القديمة وبعض الشعوب الحاضرة . ومن هذا القبيل الطوتمية وهي اعتقاد بعض القبائل بتسلسلها عن بعض الحيوانات ومباهاتها بنسبها هذا . وكان يعتقد اهل بيرو القدماء ان حيواناتهم تخر ساجدة كل صباح امام الشمس الطالعة وتجد مثل هذا الاعتقاد عند امم اخرى

ومن القى نظرة الى التاريخ وجد الانسان يعامل الحيوان في كثير من الاحيان كمخلوق عاقل مسئول عن اعماله . وقد وجدوا احكاماً صادرة من بعض المجامع

المسيحية بقتل او حرق احد الحيوانات لذنب ارتكبه او ضرر سببه

ولكي يطلع القارىء على رأي الفريق القائل بوجود الشعور الديني عند الحيوان نأتي هنا بملخص ما قاله احدهم وهو :

« يكفي ان نجول بنظرنا على ما حولنا من الحيوانات وان ندرس طبائعها وطرقها لنتيقن وجود جرثومة الشعور الديني عندها . وان تكن مجردة عن النطق للتعبير عما يخالج فؤادها فان لها اصوات وحركات ونظرات ومواقف تقوم مقامه . ولا شك ان الهرة والكلب وغيرهما من الحيوانات الداجنة تشارك صاحبها في تخوفه اذا اعترض له طارئ مخيف . وكما تشعر بالخوف في هذه الاحوال فانها تشعر ايضاً بالخوف والخشوع امام عظمة الكون — وهذا الشعور في اعتقاد الكثيرين من العلماء هو اساس الدين

« ثم اننا نجد عند كثير من الحيوانات تمسكا شديداً باشياء لاحاجة لها بها كانها حرز يجلب لها الخير . بل انظر الى تعلق بعضها بالانسان ومحبتها له . أفلا يمكن اعتبار هذه العواطف من قبيل التدين كما يحب الانسان الله والانبياء والقديسين ؟

« والاديان كلها مهما اختلفت وتنازعت — سواء الاديان البشرية او اديان الحيوانات — لها اصل واحد وتنمو بمقتضى نواميس معينة . فكل مخلوق مدرك يجد نفسه ضعيفاً ازاء الطبيعة المهيبة وبين مخلوقات اخرى يخشى بأسها فيسعى ليتمسك بقوة يلجأ اليها عند وقوعه في الضيق ويردع بها شر اعدائه — هذا اس الدين في الانسان وفي الحيوان »

وكتب عالم آخر كتاباً سماه « تاريخ الدين الطبيعي » رمى فيه الى اثبات النظرية نفسها . فبرهن في بادىء الامر ان الحيوانات كالانسان تميز المخلوقات الحية عن سواها ودليلها في ذلك تحرك تلك المخلوقات او عدمه . والارجح ان الحيوانات كالانسان الاول تعتبر عوامل الطبيعة وظواهرها كالماء والريح والشمس والقمر والنجوم والزوابع الخ . . . بمثابة اشخاص عاقلة . ومن امثال ذلك نبح الكلاب والذئاب ازاء القمر وزقزقة الطيور واجتماع القردة في الغابات وضربها الاشجار الفارغة بالعصيان كالطبل عند طلوع الشمس او غيابها . ونجد في المملكة الحيوانية ميلاً طبيعياً الى الابتعاد عن سائر المخلوقات المتحركة خوفاً منها . ويزيد هذا الشعور قوة جهل الحيوان حقيقة المخلوق الذي يخشاه . فيخالط خوفه شيء من حب الاستطلاع والتعليل فيخلق في مخيلته اشخاصاً وقوى يعلل بها تلك الظواهر .

وقد اتى المؤلف بامثلة كثيرة تبرهن على تفاؤل بعض الحيوانات باشياء خاصة كهجوم الفيلة على بعض الاشجار بلا سبب او قتل الاغربة لفريستها على حجر واحد

لا يتغير وكانجذاب بعض الحيوانات لالوان معينة وقس على ذلك

ثم انه برهن ان الحيوانات تفقه معنى الموت واستدل على فهمها ماهية الموت بحوادث الانتحار في العالم الحيواني وتمثيل بعض الانواع للموت حين اقتراب العدو لكي لا يشعر بها . وقد تساءل دارون فيما ترى ان يكون شعور قطيع من البقر أمام بقرة ميتة لاحراك فيها . وصاحبنا مؤلف الكتاب المتقدم ذكره لا يتردد في الجواب انها تشعر بمصيرها الى الموت مثل رفيقتها وانها ان لم تخطر على بالها معضلة العالم الآخر فانها على الاقل تجزع لما ترى عجزها عن ادراك سبب الموت وغايته . فليس أمامها الا تعليلين لا بد لها من اختيار احدهما : فاما ان يكون الموت عبارة عن زوال الحياة او ان يكون توقف القوة الحيوية فقط نحو توقفها في النوم . والارجح انها تقبل التعليل الثاني — يدلك على ذلك تشبث بعض الحيوانات في الرجوع الى رفيقاتها الميتة وسعي بعض الانواع في نقل موتاها واهتمامها في انتقاء مرقدها الاخير وابتعادها ساعة احتضارها عن الابصار ونحو ذلك

هذا مجمل رأي القائلين بوجود جرثومة الشعور الديني عند الحيوان أو على الاقل عند الانواع القريبة من الانسان . فهل نسلم به ؟

وقبل ان نتساءل عن التسليم بهذا الرأي يجب ان نتساءل اذا كان يجوز فتح هذا الباب وسؤال مثل هذا السؤال . فالجواب انا اذا سلمنا بمذهب النشوء والارتقاء القائل باتصال الكائنات وتسلسلها وتطورها المتدرج لم نجد ثمة مانعاً مبدئياً من التسليم بامكان وجود جرثومة الدين عند الحيوان كما وجدنا بينها جرثومة العائلة واللغة والفنون وغيرها

ولكننا اذا دققنا البحث في النظرية نفسها وجدنا فيها استنتاجات لا تدعمها الحقائق الراهنة . والاعتراض الرئيسي على هذا الرأي هو ان الانسان لا يقدر ان يشبه الحيوان بنفسه في جميع اموره ويجب عليه ان لا يستسلم في بحثه العلمي الى ميله الطبيعي الذي يدفعه لنسبة العواطف والافكار التي يشعر بها هو الى غيره من الكائنات — وهذا الميل بديهي في الانسان حتى عند وصفه للخالق . وهو ما يسمى عند علماء الاجتماع anthropomorphisme أي القياس على الانسان

نعم . اننا لا نعرف الا القليل جداً عما يدور في خلد الحيوانات فلا يجوز لنا ان نجزم نفياً او ايجاباً بشعورها شعوراً معيناً — بل علاوة عن ذلك أن مذهب النشوء والارتقاء الذي يتمسك به أصحاب هذا الرأي لتعليل رأيهم يحتم حفظ المسافات بين الانواع اثناء نشوئها فلا يجوز ان نضع القرد والكلب والهرة والنحلة على مستوى الانسان من حيث نمو المدارك والعواطف

تطوّر الامم

بحسب النواميس الطبيعية العامة

وما يكون من هذا التطور بعد الحرب

بحثنا سابقاً في ناموسين خطيرين من النواميس العاملة في تطور الامم وهما ناموسا التجاذب والتدافع . بقي البحث في الناموس الثالث وهو :

٣ — ناموس التحول

وهو الناموس الذي يفعل في تطور الجماعات والامم لكي تتشابه في جميع احوالها تمهيداً لاتحادها . وسترى فيما يلي ان الجماعات والامم تمشي على جميع انواع التحول التي تمشي عليها الاحياء في كل درجات ارتقائها وهاك اهم انواع التحول :

﴿الولادة والنمو والموت﴾ وربما عُدَّت سنة الولادة والنمو والموت من جملة انواع التحول . فالحويصلة تتولد من حويصلة أخرى بانشقاق هذه الى اثنتين او أكثر احياناً وتنمو بما تمثل بها من دقائق المركبات العضوية واخيراً تندثر . والجسم الحيّ مؤلف من حويصلات عديدة بعضها في دور التوالد و بعضها في دور النمو و بعضها في دور الاندثار . فلا تندثر منه حويصلة في ابّان نموه حتى تنشأ بدلها حويصلة أخرى وهكذا يبقى الجسم مستمراً في عمله الحيوي . والهيستولوجي الكيماوي يستطيع ان يشرح لنا ايضاً ان الدقائق التي تؤلف منها الحويصلة تجري على نفس هذه السنة ايضاً الامر الذي لا يسعنا بسطه هنا فنجتزىء بالاشارة اليه

وعلى هذه السنة تجري الامم ايضاً فترى جماعتين او اكثر اشتقت من جماعة واحدة . ومن لا يعلم ان الامم الفرنساوية والطليانيـة والاسبانية والبرتوغالية اشتقت من الامة اللاتينية . وان الامم الانكليزية والالمانية والنروجية والاسوجية والدنمركية والهولاندية اشتقت من الامة التوتونية . وكلها اشتقت من الامة الآرية القديمة

وعلى هذه السنّة تجري كل جماعة صغيرة فانها تؤلف من افراد يولدون وينمون ويموتون و بعضهم لاحق ببعض كانهم حويصلات لجسم الجماعة

﴿ادوار التحول﴾ على ان عمل التحول لا يقتصر على سنة التوالد والنمو والاندثار فقط . وما هذه السنة الا نوع بسيط من التحول . وانما للتحول عمل اهم وهو

تكيف اجزاء الجسم بحيث تتعاقب هذه الاجزاء في اعمالها لتوحد غايتها . وناموس التحول يلعب ادواراً مهمة في هذا التكيف الآئل الى ارتقاء الجسم ومن اهم ادواره :—

﴿ ١ — نشؤ اجهزة ونسخ أخرى ﴾ تنشأ في الاحياء اجهزة او اعضاء جديدة تقوم بعمل مفيد لحيوية الجسم يستلزمه بقاء هذه الحيوية وارتقاؤها في بيئتها الجديدة . وتنسخ اجهزة اخرى لم يعد لعملها لزوم . والبيولوجي العظيم داروِن يقدم لنا الوف الشواهد على ذلك منها الاذناب لكثير من العجماوات واندثار الاذناب في الانسان . والاجنحة للطيور . والقرون للنواطح . واندثار الايدي والارجل في الزحافات . والزعانف للاسماك . والتسبيح في ارجل الطيور المائية . وخلوه من الطيور البرية الى غير ذلك مما لا يحصى

ولا يقتصر عمل التحول في تنويع الحيوانات على هذا النحو فقط بل قد يعمل في الانواع اعمالاً يلويها عن وجهتها حتى تظهر بعضها شاذة عن جنسها كتجنيح الخفاش وهو من الحيوانات ذوات الاثداء وكتجنيح نوع من النمل وما هو من جنس الطيور ولا من جنس الفراش

﴿ تطرق هذا الناموس الى الجماعات البشرية ﴾ فهذا الناموس الذي يلعب بالاحياء اي لعب يلعب ايضاً بالجماعات وهي من اصل واحد — يلعب في جميع احوالها واطوارها . يلعب في احوالها الفسيولوجية فيجعلها سوداً وصفراً وبيضاً ويجعلها مختلفة الادمغة ومختلفة الاخلاق والعادات والاميال والاذواق والقوى متفاوتة في ارتقائها من كل قبيل . يحولها من مزاج الى مزاج ومن طبع الى طبع ومن ذوق الى ذوق ومن عقيدة الى عقيدة ومن عادة الى عادة

فمعظم الامم الغازية تحولت الى امم متحضرة . وكثير من الامم التي تقدمت في ارتقائها اصبحت شعوباً صناعية تجارية بعد ان كانت زراعية فقط

انتهى عهد الاقطاع وقامت مقامه المساواة لدى القانون

الاريستوقراطية تتقلص والديموقراطية تبسط ظلها . وهو اهم تحول يحدث في هذا الطور من اطوار الاجتماع

واذا دققت في تفاصيل التحول الاجتماعي وجدت الامم تختلف اختلافات واضحة في تحولاتها . لاحظ العقائد الدينية تجد بعض الامم اسبق من بعض في طرح التقاليد الخرافية التي ولدتها الاوهام في عهد الجهالة او سقم المعرفة وفي توسيع مبادىء الحرية النفسية

لاحظ الاحكام تجد بعض الامم اسبق من بعض في النظام الديموقراطي

لاحظ العادات والقوانين المدنية تجد بين الامم فروقاً بينة . هذه تجيز الطلاق اكثر من تلك . وتلك تحرم الدعارة وهذه تتساهل بها

لاحظ العلوم والفنون تجد هذه اكثر ميلا للنظريات وتلك للامور العملية

لاحظ الاخلاق تجد شعباً هادئاً وآخر شديد الحماسة وشعباً بليداً خاملا وآخر يتقد ذكاء

تجد هذه الفروق الناجمة من فعل التحول بمقتضى عوامل البيئة بين الامم والجماعات المشتقة من اصل واحد حتى انك تجدها بين الجماعات الحديثة الاشتقاق ايضاً

بل تجد فعل هذا التحول في نفس الجماعة او الامة الواحدة . خذ تاريخ اي امة تجد انها كانت ولا تزال تتطور تدريجاً حيناً بعد آخر ولاسيما في نظاماتها السياسية . واذا قرأت تاريخ الحكم الانكليزي مثلا تجد كيف تحول مع الزمان من حكم ارستوقراطي اقطاعي استبدادي الى حكم ديموقراطي محض وترى كيف كانت الشرائع تتعاقب وبعضها ينسخ بعضاً — تجد امثلة هذا التطور في كل امة تقريباً

﴿ التحول من الارستوقراطية الى الديموقراطية ﴾ وحاصل القول ان الفروق بين الامم كالفروق بين انواع الحيوانات ولكل فرق سبب اقتضته احوال البيئات ولكن اذا نظرت الى جميع الامم المتمدنة نظرة عامة وجدت تحولا عاماً يعمل فيها جميعاً وفي بعضها اكثر من بعض وهو التحول من الارستوقراطية الى الديموقراطية والتحول من العبودية الى الحرية في كثير من الاعتبارات الامر الذي يبشر بامكان التقاء الامم وهي صاعدة في سلم ارتقائها عند مستوى واحد بحيث يمكن ائتلافها وتوحدها او توافقها على مبادىء واحدة على الاقل

ولكن قبل الوصول الى هذه الامنية التي يتوخاها الاجتماع لا بد ان تقاسي عوامل الهدم والبناء من جديد كما يجري في كل ظواهر الطبيعة وفي سائر الاحياء على الخصوص

﴿ ٢ — عاملا الهدم والبناء ﴾ وقبل بيان عوامل الهدم والبناء في الهيئة الاجتماعية نورد الامثلة على هذه العوامل في الطبيعة نفسها اثباتاً لان النواميس التي عليها الهيئة الاجتماعية انما هي نواميس عامة في الخليقة كلها وان هذه التطورات التي تطرأ عليها انما هي ارث ورثته الهيئة الاجتماعية من الطبيعة التي نشأت فيها

انظر الى تاريخ حياة الدودة تجد انها نقفت اولا من بزرة وبعد ان قضت حياتها دودة ونضجت صنعت شرنقة ودفنت نفسها فيها . ثم لا يلبث ان يتقوض بناء الدودة

ويتكون منه فراشة مجنحة . وربما صح في بعض الاحوال ان يسمى هذا التحول تقمصاً . أي انفصال الذاتية من جسم الى جسم

البعوضة جرت على هذه السنة ايضاً اذ تحولت من دودة حمراء لعوبة في الماء بعد ان تقوض بناؤها . وهذه الدودة نقفت من بزرة

الضفدعة تحولت من جسم حي ذي قوام هلامي بعد أن تقوض بناء هذا الجسم

الخنافس تتولد في احشاء أمها ولا يتكامل تكونها حتى تكون قد نهشت أمها . فالام يتهدم بناء جسمها لكي يبنى به اولادها

جنين الانسان يتكون في الرحم على صور متعاقبة تمثل صور الحيوانات التي تعاقبت في سلم الارتقاء من الشكل الضفدعي الى شكل الانسان . وكلما نضجت صورة من هذه الصور تقوضت ونشأت منها صورة أخرى الى ان ينشأ الانسان كاملاً

وهناك أمثلة كثيرة في الحيوانات على كيفية هذا النوع من التحول نكتفي منها بما تقدم

﴿ الهدم والبناء في العوالم الدنيا ﴾ وهذا التحول بالهدم والبناء لا يقتصر على الاجسام في اثناء تكونها بل يحدث مثله في اجزاء الاجسام في اثناء تكونها . خذ الهيكل العظمي في الحيوانات العليا فانه يتكون مرتين . ففي المرة الاولى تبني الحويصلات العظمية بناء اميل الى المادة الغضروفية منه الى المادة العظمية القاسية اي ان المادة العضوية تكون فيه المادة العظمية اكثر والمادة الجيرية (الكلسية) اقل منها في الدور الثاني . وفي اثناء بناء العظم على هذا النحو تكون حويصلات عظمية أخرى محاذية للحويصلات الاولى حتى متى نضجت تهجم على الابنية التي تكون الحويصلات الاولى قد بنتها حولها وتقوضها وتجعل تبني بدلها بناء جديداً تقل فيه المواد العضوية وتكثر المواد الجيرية

بل نرى امثلة هذا التقويض والبناء في كثير من انواع الحويصلات التي تتألف منها اجهزة الجسم

ونراه ايضاً في كثير من الميكروبات فان ميكروب الملاريا يتقمص خمس مرات في اثناء حياته في البعوضة والانسان

واذا تعمقنا في تأثر سنة التحول بطريقة الهدم والبناء نجدها ايضاً في الدقائق الكيماوية التي تتألف منها الحويصلات المؤلف منها جسم الحيوان . فان كثيراً من الدقائق النشائية والسكرية تتحول في الحيوانات سلسلة تحولات من نوع الى آخر من الدقائق حتى تصير دقائق زلالية ودهنية

﴿ الهدم والبناء في الهيئة الاجتماعية ﴾ وفيما تقدم من الامثلة ما يكفي لبيان ان في الطبيعة ناموس التحول باسلوب هدم القديم وبناء الجديد على مثال أرقى واصلح لبقاء الجسم . فعلينا الان ان نبين ان هذا الناموس الذي يعمل في الاحياء العليا والدنيا حتى في الميكروبات وفي الدقائق الكيماوية يعمل ايضاً في جماعات الهيئة الاجتماعية المفردة والمركبة . وهو في عمله هذا برهان آخر على ان الجماعة انما هي جسم يقبل التطور او التحول كسائر الاجسام الحية وقد اقتبس منها نظاماتها . وتواريخ جميع الامم ملأى من هذا النوع من التحول . فالانقلابات السياسية انما هي تحول من حال الى حال بهدم القديم وبناء الجديد . وكيف يمكن ان نعلل الثورة الفرنساوية بشيء آخر سوى انها هدم للنظام القديم وبناء للنظام الجديد — هدم للملكية وبناء للجمهورية . وقس عليها الحرب الاميركية ضد الانكليز وغيرها من الحوادث الجسام

واذا راجعت في التاريخ كل ما كان يسمى اصلاحاً سواء كان سياسياً او دينياً او اقتصادياً وجدته من هذا الباب اي من باب هدم القديم وبناء الجديد على انقاضه

ولا يخفى ان التحول على هذا النحو اظهر في النظامات السياسية والدينية منه في غيرها . ولكن اذا دققت النظر في سائر الاحوال الاجتماعية كالعادات والازياء واساليب المعيشة تجد انه يحدث كل حين بعد آخر مثل هذا التحول في هذه الامور . ومع ان هذه السنة الطبيعية تستغرق اوقاتاً طويلة جداً بحيث لا يشعر بها افراد الجنس البشري وانما يدلهم عليها التاريخ بانواعه فاننا نلاحظها في ادوارنا المعاشية لقصر اعمارها . ومن لا يدري ان كثيراً من عادات آبائنا التي كنا نعرفها في عهد حداثتنا قد انتسخت واقتبسنا نحن عادات أخرى جديدة غيرها . فاسلوب معيشتنا الان يختلف اختلافاً عظيماً عن اسلوب معيشة آبائنا الاقربين . فما بالك بالهيئة الاجتماعية وهي تطوي الجيل بعد الجيل ؟ أفلا نراها الآن تختلف عنها كثيراً منذ بضعة قرون ومنذ بضعة عشر قرناً ؟

بقي ان ننظر فيما ينتظر من تطور الهيئة الاجتماعية في المستقبل ولا سيما بعد هذه الحرب الكبرى بمقتضى هذه النواميس العاملة في الكون حتماً فنرجيء هذا البحث للجزء القادم

نقولا الحداد

خطأ — وقع خطأ في تاريخ وفاة المرحوم مؤسس الهلال في الجزء الاول من هذه السنة صفحة ١٠ والصواب انه توفي في ٢١ يوليه (تموز) وليس في ٢١ اغسطس

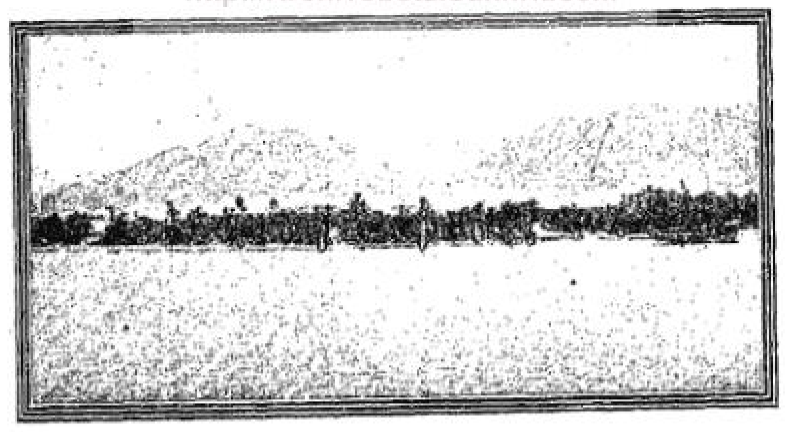
مدينة العقبة

وصفها وأهميتها وتاريخها

يشرع سعادة الباحث المدقق نعوم بك شقير مؤلف كتاب « تاريخ السودان » في طبع كتاب يظهر قريباً عن «تاريخ سينا» التي زارها سنة ١٩٠٦ بصفة كونه سكرتيراً لجنة تعيين حدود مصر والشام . وقد اجاب التماسنا بنشر الفصل المتعلق بمدينة العقبة نظراً لاتجاه الانظار الى تلك الاصقاع في الوقت الحاضر . فننشره هنا نموذجاً لذلك الكتاب النفيس الفريد في بابه قال :

المدينة

العقبة مدينة صغيرة في رأس خليج العقبة على نحو ١٩٠ ميلا من السويس بطريق البحر و ١٥٠ ميلا بطريق البر . وهي مدينة حديثة العهد قائمة على انقاض مدينة أيلة الشهيرة فيها قلعة قديمة ونحو مئة كوخ مبنية بالحجر الغشيم والطين يسكنها نحو ٣٥٠ نفساً من متخلفي العساكر الذين كانت مصر ترسلهم لحماية القلعة . ويليها مشايخ الحويطات



نخل العقبة

العلويين * والبلدة قائمة على تلة وسط حديقة متسعة من النخيل تمتد شمالاً وجنوباً على شاطىء الخليج مسافة ميل او اكثر . وفي البلدة والحديقة آبار عذبة الماء يزرع عليها انواع الخضر كالبامية والملوخية والباذنجان والطماطم ونحوها . ويمكن زرع الذرة والزيتون والنيلة والقطن لان التربة خصبة والماء كثير

وقد دخلت العقبة في حد الحجاز كما مرّ . وعظم شأنها بعد حملة الدولة الاخيرة على اليمن فصارت محطة للعساكر ومدّ اليها خط التلغراف من معان فوصلها في مايو سنة ١٩٠٥ . ومدت سكة الحديد الحجازية من دمشق الى المدينة وكان في النية مد فرع الى العقبة من معان . وكانت العقبة محطة من محطات الحج المصري أيام كانت طريق الحج تمرّ بسيناء . وكان حجاج جنوب سوريا يأتونها بدرب غزة فيجتمعون فيها مع الحج المصري ويجيء مع حجاج سوريا نفر من التجار ومعهم الحبوب وانواع الفاكهة والخضر والمأكولات بقصد بيعها على الحجاج ولكن انقطعت درب غزّة بانقطاع درب سيناء ولم يعد يمرّ بها سوى بعض تجار الابل بين الحجاز والشام

القلعة

أما قلعة العقبة فقائمة في جنوب بلدة العقبة لاصقة بها من جهة الشرق . وهي على نحو ٥٠ متراً من شاطىء الخليج في سفح جبل عظيم يفصل خليج العقبة عن الحجاز . وفي منحدر هذا الجبل كان الحج المصري ينصب خيامه عند نزوله بالعقبة . وفيه تعسكر الآن جنود الدولة العلية عند مجيئها اليه

والقلعة على مثال قلعة نخل مربعة الشكل مبنية بالحجر المنحوت وكان على كل ركن من اركانها الاربعة برج قد تهدم الآن . ولها بوابة عظيمة بقنطرة تفتح الى الشمال الشرقي يدخل منها الى صحن القلعة بدهليز عظيم معقود بالقناطر . وفي اول الدهليز عن يمين الداخل وشماله ديوانان مبنيان بالحجر قد نقش على جدرانها وواجهة البوابة بأحرف ناتئة كبيرة اسم باني القلعة ومرممها . اما باني القلعة فهو السلطان قانصوه الغوري الملك الذي قبل الاخير من ملوك دولة المماليك الثانية على مصر . سنة ١٥٠١ الى سنة ١٥١٦ م * وأما مرممها فهو السلطان مراد الثالث سنة ١٥١٤ : سنة ١٥٩٥ م

وقد قرأت على جدار الديوان الايمن هذه العبارة : « امر بانشاء هذه القلعة المباركة السعيدة مولانا السلطان الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغوري سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والملحدين محيي العدل في العالمين . . . »

وفي واجهة القلعة على صدغي القنطرة حجران مستديران نقش على كل منهما هذه العبارة : « لمولانا السلطان الملك الاشرف ، مراد بن سليم خان . عزّ نصره جدّد هذه القلعة » * وفي داخل البوابة الى يسار الداخل حجران آخران مستديران قد نقش على كل منهما هذه العبارة : « لمولانا السلطان مراد بن سليم عزّ نصره . جدد هذه القلعة سنة ٩٩٦ » ﻫ سنة ١٥٨٨ م

وقد رأيت هذه القلعة سنة ١٩٠٦ فاذا بها متردمة وتحتاج الى ترميم كثير وفي داخلها مخازن للحبوب والذخائر . ومخبز للعساكر . وبئر بعيدة الرشاد . وشجرة سدر . وبقيت هذه القلعة بيد مصر وعساكر مصر تحميها الى اوائل سنة ١٨٩٢ م فسلمت الى الدولة العلية

قال صاحب كتاب « درر الفرائد » سنة ١٥٤٨ م : « وبعقبة آيلة آبار منها في داخل الخان (القلعة) واحدة ماؤها عذب سائغ من بناء السلطان الغوري مع الخان . وفي الخارج بئران داخل نخل وماؤها عذب وهما منهل الحاج وبئر خارج النخل حيث الفضاء وماؤها دون ذلك ويسمونها آبار العرب . وكل من اراد الماء فليحفر من الارض مقداراً قريباً يرى ماء عذباً احسن من ماء الآبار . وتختلف الحفائر في العذوبة فبعضها أحلى من بعض واعذب والله اعلم » اه

قلت وكان صاحب الدرر فيما نعلم اول من سمى المدينة « عقبة ايلة » الاسم الذي عرف به الجبل العظيم ذو العقبة الشهيرة غربيها . ثم أهمل اسم أيلة وسميت المدينة « العقبة » وسميت عقبة الجبل نفسها « نقب العقبة او النقب » لان ملوك مصر نقبوا أي مهدوا فيها طريقاً للحج المصري

تاريخ مدينة أيلة

أما مدينة أيلة التي على خرائبها قامت بلدة العقبة فهي مدينة قديمة العهد جداً . وقد ورد ذكرها كثيراً في التوراة :

جاء في سفر الملوك الاول ص ٩ عد ٢٦ في الكلام عن الملك سليمان الحكيم (سنة ١٠١٥ : ٩٧٥ ق . م) : وعمل الملك سليمان سفناً في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطىء بحر سوف في ارض ادوم »

وجاء في سفر الملوك الثاني ص ١٤ عد ٢٢ في الكلام عن عزريا ملك اليهود (سنة ٨١٠ : ٧٥٨ ق . م) الذي في ايامه قام اشعيا النبي : « هو بنى ايلة واستردها ليهوذا »

وجاء في ص ١٦ عد ٦ من السفر نفسه في الكلام عن آحاز بن يوثام ملك يهوذا (٧٤١ : ٧٢٥ ق . م) : « في ذلك الوقت ارجع رصين ملك ارام ايلة للاراميين وطرد اليهود من ايلة وجاء الاراميون الى ايلة واقاموا هناك الى هذا اليوم »

ثم اخضعها النبطيون فاليونان فالرومان وكانت في ايامهم بندراً تجارياً مهما . وصارت في صدر النصرانية مركز ابرشية وحضر مطارنتها بعض المجامع الكنسية . ثم آلت

الى الاسلام ولا زالت يدهم الى اليوم وكان لها شأن في تاريخ الصليبيين * وقد ورد ذكرها كثيراً في كتب مؤرخي العرب :

قال اليعقوبي : « ومدينة أيلة مدينة جليلة على ساحل البحر الملح وبها يجتمع حاج الشام وحاج مصر والمغرب وبها التجارات الكثيرة واهلها اخلاط من الناس * وبها قوم يذكرون انهم موالي عثمان بن عفان . وبها برد حبرة يقال انه برد رسول الله (صلعم) يقال انه وهبه لرؤبة بن يَحْنُسه لما صار الى تبوك »

وعن كتاب أحسن التقاويم لشمس الدين المقدسي : « وفي أيلة تنازع بين الشاميين والمصريين والحجازيين واضافتها الى الشام أصوب لان رسومهم وارطالهم شامية »

وعن كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي :

« أيلة بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل هي آخر الحجاز واول الشام * قال ابو زيد : أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير وبها في يد اليهود عهد رسول الله (صلعم). وقال ابو المنذر سمت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم(عم). وقال ابو عبيدة أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطىء بحر القلزم تعد في بلادالشام. وقدم يوحنه بن رؤبة على النبي (صلعم) من أيلة وهو في تبوك فصالحه على الجزية وقرر على كل حالم بأرضه في السنة ديناراً فبلغ ذلك ثلثماية ديناراً واشترط عليهم قرى من مرّ بهم من المسلمين وكتب لهم كتاباً ان يحفظوا ويمنعوا فكان عمر بن عبد العزيز لا يزداد على اهل أيلة عن الثلثماية دينار شيئاً . أما تبوك فهي الى الشرق من أيلة بميل الى الجنوب وهي على نصف المسافة بين المدينة ودمشق . وكانت هناك واقعة عظيمة بين المسلمين والروم في السنة التاسعة للهجرة . وقال احيحة ابن الحلاج يرثي ابنه

ألا ان عيني بالبكاء تهلل جزوعٌ صبورٌ كل ذلك تفعل
فان تعتريني بالنهار كآبة فليلي اذا امسى أمرُّ وأطول
فما هبرزي من دنانير أيلة بأيدي الوشاة ناصع يتأكل
بأحسن من يوم اصبح غادياً ونفسني فيه الحمام المعجل

وقال محمد بن الحسن المهلبي : « ومدينة أيلة جليلة على لسان من البحر الملح وبها مجتمع حج الفسطاط والشام . وبها قوم يذكرون أنهم من موالي عثمان بن عفان . ويقال انها برد النبي (صلعم) وكان قد وهبه ليحنة بن رؤبة لما سار اليه الى تبوك . وخراج أيلة ووجوه الجبايات بها نحو ثلاثة آلاف دينار . وينسب الى أيلة جماعة من الرواة منهم

يونس بن يزيد الايلي صاحب الزهري توفي بصعيد مصر سنة ١٥٢ هـ (٧٦٩ م) . واسحق بن اسماعيل بن عبد الاعلى بن عبد الحميد بن يعقوب الايلي . روي عن سفيان ابن عيينة وعن عبد المجيد بن عبد العزيز بن روّاد حدّث عنه النسائي مات بأيلة سنة ٢٥٨ هـ (٨٧٢ م) . وحسان بن أبان بن عثمان ابو علي الايلي ولي قضاء دمياط وكان يفهم ما يحدث به وتوفي بها سنة ٣٢٢ هـ » (٩٣٤ م) . اه

وقال صاحب تقويم البلدان : « وأيلة كانت مدينة صغيرة وكان بها زروع يسيرة وهي على ساحل بحر القلزم وعليها طريق حاج مصر وهي في زماننا برج وبه وال من مصر وليس بها زروع وكان بها قلعة في البحر فعطلت ونقل الوالي البرج الى الساحل » اه »

وعقب صاحب در الفرائد (سنة ١٥٤٨ م) على هذا فقال : « وقد استجدّ بها النخل الذي على ساحل البحر وبعض حدائق بالوادي والساحل وجميع ذلك لبني عطية الحويطات وانما لقبوا بذلك لما بنوه من بعض الحيطان على النخل » اه

(واورد المؤلف هنا ما قاله عنها المقريزي في خططه وغيره من مؤرخي العرب)

قلت وقد خربت ايلة خراباً تاماً ولم يبق منها ما يدل عليها سوى أسس بعض منازلها وانقاضها . وهناك اساس من حجر داخل مياه الشاطىء يدعى « الحمَّام »

وقد أراني رشدي باشا قومندان العقبة سنة ١٩٠٦ قطعة ذهب من النقود الاسلامية التي وجدها في خرائب ايلة وهي اكبر قليلاً من نصف الجنيه الانكليزي وقد نقش عليها في الوسط : « لا اله الا الله محمد رسول الله » . وعلى الدائر : « محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »

بعض الآراء في ضرورة الحرب

ان واجب الحكومة لا يقتصر على صد هجمات الاعداء بل يجب عليها ان تضمن لرعاياها أسباب المعاش والنمو . وليست المساعي في سبيل السلم الدولي سوى هذيان وسفاسف تحط من قدر الانسانية لانه من ارقى طبائع البشر انهم يضحون بحياتهم في سبيل رأي او مبدأ — وليعلم الجميع انه من المستحيل ان تكون غاية السياسة والسياسيين في المستقبل حفظ السلم الدولي . فالحرب شر لا بد منه — الجنرال برناردي الالماني

حياة الدول كحياة الاشخاص فاذا حق للرجال القتال دفاعاً عن انفسهم حق للدول ان تشهر الحرب حرصاً على حياتها — موتسكيو

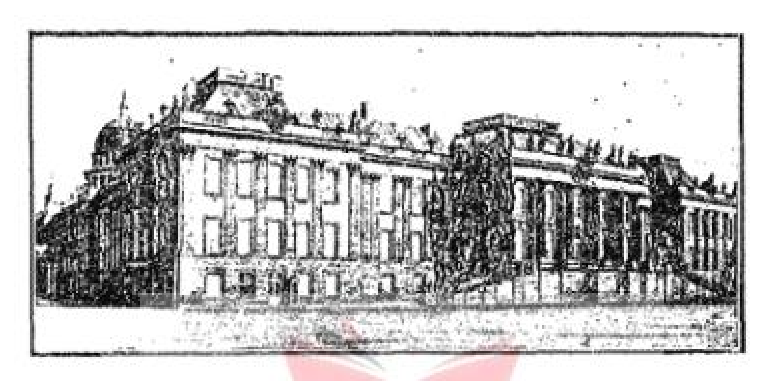
اذا ظفر رجال السلم بابطال الحروب غدا المجتمع خاليا من اسمى مظاهر الشجاعة

ولیم جیمس

اسرار البلاط الالماني

اخبار وثيقة عما في قصور المانيا

ملخصة عن مذكرات لاحدى سيدات الشرف في قصر غليوم



القصر الامبراطوري في بوتسدام

يعلم كل من له المام بتاريخ المانيا الحديث ان الامبراطور غليوم الحالي ولد أشلّ اليد اليسرى لسبب يعزوه بعضهم الى الطبيعة والبعض الآخر الى جهل الامرأة التي قامت بتوليد أمه . ولما كان جلالته شديد الاهتمام بالظهور امام الجيش ورجال البلاط فقد سعى بكل وسيلة ممكنة لاخفاء العاهة المصابة بها يسراه . قيل انه وضع مرة زياً جديداً للثياب العسكرية تعينه على اخفاء يده ولكن الضباط جميعهم استهجنوا ذلك الزي فاضطر الامبراطور ان ينبذه على رغم ما هو معروف عنه من شدة التصلب في الرأي

على ان اصابع اليد اليسرى ليست مصابة بالشلل كباقي اليد فان الامبراطور يستطيع ان يقبض بها على سيفه كما يفعل احياناً تمويهاً للحقيقة . ولكنه لا يستطيع تحريك يده أبداً . واذا ركب حصانه استطاع ان يقبض على الزمام باصابع اليد اليسرى ولكنه لا يستطيع ان يقود الحصان بل يفعل ذلك بمهمازه او يده اليمنى . وهذه العاهة مصدر تعب كبير لرجال البلاط وخصوصاً للحشم المنوط بهم إلباس جلالته وخلع ثيابه عنه

أما يد الامبراطور اليمنى فكبيرة غليظة واذا صافح أحداً ضغط يده ضغطاً شديداً كأنه يريد ان يريه قوته وشدة عضلاته . وقد كانت اخته اميرة مينِنجن تفتخر بهذه القوة وتباهي بها أمام جميع رجال البلاط . ولما كانت هذه اليد مكسوة ببقع كالكلف فالامبراطور يحاول ان يسترها بكثرة الخواتم التي يلبسها

وهنالك عاهة أخرى في جسم الامبراطور وهي احدى اذنيه فانها مصابة على ما يظهر بالسرطان . ويظهر ان هذا الداء وراثي في اسرة هوهنزلرن وقد انتقل اليها بواسطة البرنسس لويز سترلتز اميرة مكلنبرج . والذي يراقب صور هذه الاميرة ورسومها العديدة منذ حداثتها حتى موتها يراها متشحة بوشاح (او شال) يمر تحت عنقها ليخفي آثار العملية الجراحية التي اجراها لها الاطباء لاستئصال السرطان . وقد توفي الامبراطور فردريك ايضاً بهذا الداء بشهادة الدكتور مكنزي طبيبه الخاص فلا عجب اذا ثبت يوماً ما ان الامبراطور غليوم مصاب بالسرطان

خوف الامبراطور من المرض

والامبراطور غليوم شديد الخوف من الامراض على اختلاف انواعها . بلغني انه نزل مرة من مقصورته صباحاً الى قاعة الاكل فانبأه احد رجال الحاشية بان المرفون . . المجاور للقصر مات بالدفتيريا فذعر ذعراً شديداً واصفرّ وجهه وقال : « ان هذا المكان غير ملائم للصحة فيجب ان انتقل منه الى مكان آخر بدون ابطاء . يجب اعداد الامتعة للسفر الى برلين حالاً ! »

فقال له المارشال فون لينو رئيس حاشيته : « ولكن قصر برلين ليس في حالة ملائمة للسكنى يا مولاي »

فقال : « لابد من الانتقال الى هنالك فانني استطيع ان اجد فيه زاوية آوي اليها ». ثم التفت الى الامبراطورة وقال : « ان هذا القصر لن تطأه قدماي فيما بعد » . وهكذا اكل الجميع طعامهم ساكتين لا يتجاسر احدهم ان ينبس ببنت شفة . وفي ذلك اليوم انتقل الامبراطور بحاشيته من قصر بوتسدام الى برلين

وبعد مرور اسبوع كنت واقفة امام جلالته مع المارشال فون لينو . فقال له جلالته بلهجته المعهودة : « عسى ان لا يكون قد بقي أثر للدفتيريا في بوتسدام »

فقال المارشال : « ليس هنالك أثر على ما اعلم »

فحدجه الامبراطور بنظرة وقال : « ماذا تعني بقولك على ما اعلم ؟ فاما انك لا تعلم ما يجب عليك ان تعلمه او انهم يخفون عنك اخباراً من شأنك ان تكون عالماً بها. فالآن ارسل تلغرافاً الى بوتسدام بوجوب عزل كل من تظهر عليه اعراض مرض الحلق حالا . قل ان هذه الاوامر صادرة مني رأساً »

فلما رأيت حدة الامبراطور استأذنت وخرجت . وخرج بعدي المارشال لينو مدلى الاذنين

واتفق بعـد هذه الحادثة ببضعة ايام انه اقيمت حفلة راقصة في البلاط . وبينما كان القوم يرقصون على عزف القيائير ووقع آلات الطرب حانت مني التفاتة فرأيت جلالته يخاطب احدى النبيلات (السيدة فون كوتدي) وعلى وجهه دلائل الغضب . وللحال هرعت السيدة الى غرفة اخرى وقد احمر وجهها احمراراً شديداً . واذ كان لي علمها دالة شديدة اسرعت اليها فوجدتها منطرحة على مقعد وهي نصف مغمى عليها . فسألتها عما جرى فقالت : « ألم تسمعي ما قاله لي ؟ » . قلت : « لم اسمع شيئاً »

قالت : « سألني عن ابني فقلت له أنه متوعك المزاج فهاج ثائره وقال كيف تجاسرت ان تأتي الى قصري وفي بيتك مريض ؟ »

حراسة القصر

لا يؤذن لاحد بزيارة قصر الامبراطور لمشاهدته الا في الاوقات التي يكون فيها جلالته بعيداً عن القصر . والحراس يشددون في مراقبة الجوازات التي تعطى للزائرين . ومما يدل على شدة تلك المراقبة ما وقع مرة للمستر فندربلت المثري الاميركاني الشهير

وتفصيل الخبر ان المستر فندربلت اراد مرة زيارة الامبراطور . فركب مركبته الفخمة وذهب الى القصر . فاعترضه الحارس الواقف على الباب وطلب منه الجواز . فقال حوذي المركبة : « ان مولاي المستر فندربلت صديق الامبراطور الحميم » . فلم يكترث الحارس بل الح بوجوب ابراز الجواز . فقال له الحوذي « ان جلالة الامبراطور سيغضب عليك متى علم انك قد رددت صديقه من حيث اتى . اعلم انك تعترض اكبر اغنياء اميركا »

فلم يكد الحارس يسمع لفظة اميركا حتى أسرع بحركة عسكرية وصوب بندقيته نحو المركبة مخاطباً الحوذي بلهجة الآمر : « عد او اطلق النار ! » ورأى الحوذي علامات الشر بادية في عينيه فالوى عنان خيله وانطلق من حيث اتى . اما سبب هياج الحارس عند سماعه لفظة « اميركا » فهو لانه سمع الامبراطور مرة يقول ان الولايات المتحدة جمهورية ملعونة ليس فيها ملك ولا امير ولا جيش

وما عتم خبر هذه الحادثة ان انتشر في البلاط فكانت الآراء فيها نقيضين . اما الامبراطور فانه سرّ بما فعله الحارس ورقاه فيما بعد . وقد سمعت انه استدعاه اليه وصافحه وقال له : « انني افتخر بك وبامانتك في واجباتك . فاخلاصك لي لن يكون عبثاً »

وقد خطب الامبراطور على اثر هذه الحادثة في جيشه فقال (نقلا عما قرأته في الصحف) :

« يا اولاد حرسي — انكم الان جنود لي جسداً وروحاً . وقد اقسمتم ان تطيعوا جميع اوامري وتتبعوا جميع القوانين والنصائح التي اضعها امامكم بدون تذمر .. ورب يوم آمركم فيه (ابعد الله ذلك اليوم) ان تطلقوا النار على اهلكم واقاربكم واعز اصدقائكم . فانا منتظر حينئذ ان تذعنوا لذلك الامر »

هذا نص خطاب الامبراطور كما قرأته في الجرائد . على انني اورد هنا نص خطبة عثرت عليها قبيل القاء الخطبة الواردة سابقاً بيوم واحد . ولعل الخطبتين هما خطبة واحدة . وكانت الخطبة التي عثرت عليها بخط يد الامبراطور وقد وجدتها على منضدته اذ امرتني جلالة الامبراطورة ان احضر اليها من غرفة الامبراطور بروغرام ذلك اليوم وهاك نص الخطبة :

« ايها الجنود . تذكروا دائماً ان جيش المانيا يجب ان يكون على قدم الاهبة لمحاربة الاعداء الذين قد يكونون في وسطنا ومحاربة الاعداء الذين في الخارج . انني ارى اليوم في بلاد ابائنا تذمراً واستياء لم يسمع بمثلهما . فمن المحتمل اذن ان ادعوكم في اي وقت كان لترموا وتجندلوا حتى نفس اقربائكم — ابائكم وامهاتكم واخوتكم واخواتكم . ففي هذه الحالة يجب ان تنفذوا اوامري بسرور وبدون تذمر كما تنفذون اي امر آخر وان تؤدوا واجباتكم مهما تكن عواطفكم . فاذهبوا الآن الى بيوتكم واهتموا بواجباتكم »

قصر برلين من الداخل

لا حاجة الى الاسهاب في وصف هذا القصر من الداخل وانما نقول انه يختلف عن قصور الملوك في كونه اقل دلالة على رفاه العيش حتى لا يكاد يلتئم مع مقام الملوك . ولعل سبب ذلك انه في اثناء بنائه اختصم الملك فردريك والمهندس الذي كان يبنيه فاكمل الامبراطور بناءه على ذوقه . فنسي كثيراً من الامور الضرورية والدهاليز والمماشي التي لا غنى عنها في قصور الملوك

اما غرفة الامبراطور غليوم فهي تحت الغرفة التي توفي فيها الامبراطور فردريك وتطل على تكنة « لبر وير » بحيث يستطيع في أية ساعة يشاء من الليل او النهار ان يمد رأسه من نافذة غرفته ويصيح بالجيش

ومما يدل على عدم استيفاء هذا القصر شروط قصور الملوك الحادثة الآتية وقد وقعت بينما كنت في البلاط :

في سنة ١٨٩٠ اذ كان المارشال فون ليتو في اعلى ذروة مجده في البلاط الامبراطوري قدم ليوبولد ملك البلجيك ليرد زيارة الامبراطور فرأت الامبراطورة ان قصر نويس

(اي قصر برلين) لم يكن يليق بمقام الضيف (وبلغني من آخرين ان السبب الحقيقي كان كره جلالتها للملك ليوبولد لتهتكه وشدة خلاعته وعدم رغبتها في نزوله تحت سقف قصرها) فرأى الامبراطور ان ينزل ضيفه في قصر شناد شلوس بوتسدام . على ان الامر لم يكن يخلو من صعوبة فان الملك ليوبولد كان مغرماً بالاستحمام وقصر شتاد شلوس لم يكن فيه سوى حمام واحد كان موقوفاً على الاميرات . واذ ذاك خطر ببال المارشال فون ليبنو ان يحوّل احدى غرف القصر الى حمام فجعل مع « حنفية » الماء البارد بضع حنفيات يندفع منها البخار لتسخين الماء بحسب الطلب . فما كان من الملك ليوبولد عندما تمدد في حوض الحمام الا ان اطلق على نفسه سائر الحنفيات البخارية دفعة واحدة وهناك كان البكاء وصرير الاسنان ! فاخذ يصيح ويستغيث لان البخار احرق جسمه . وطلب الدهونات والمسكنات فجاءوا اليه بالاسعافات اللازمة . ولا تسل عن الضجة التي قامت في القصر والصراخ الذي كان يملأ الفضاء

وكانت نتيجة اختراع ليبنو المذكور ان ليوبولد صار يلعن الساعة التي قدم فيها الى ذلك القصر . ولم يحضر المناورات التي كانت قد اعدّت له في ذلك اليوم

على أثر خطبة لغليوم

يا رب ما حكمك ماذا ترى ... في ذلك الحلم العريض الطويل
قد قام غليوم خطيباً فما ... أعطاك من ملكك الا القليل
شيد في جنبك ملكاً له ... ملكك ان قيس اليه الضئيل
قد ورث العالم حياً فما ... غادر من فج ولا من سبيل
فالنصف للجرمان في زعمه ... والنصف للرومان فيما يقول
يا رب قل سيفك أم سيفه ... ايهما يارب ماض ثقيل
ان صدقت يا رب احلامه ... فان خطب المسلمين الجليل
لا نحن جرمان لنا حصة ... ولا برومان فنعطى فتيل
يا رب لا تنس رعاياك في ... يوم رعاياك الفريق الذليل
جناية الجهل على اهله ... قديمة والجهل بئس الدليل
ياليت لم تمدد بشر يداً ... وليت ظل السلم باق ظليل
جنى علينا عصبة جازفوا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

شوقي

طائفة المورمون

تاريخها ونظامها وعقائدها

المورمون ويعرفون ايضاً « بقديسي الايام الاخيرة » طائفة غريبة انشأها رجل اميركي يقال له يوسف سمث من سكان مدينة منشستر بولاية نيويورك في سنة ١٨٣٠ . وقد قضت عليها الاحوال بالتنقل من مقاطعة الى مقاطعة حتى القت عصا الترحال في ولاية يوتا من اعمال اميركا

ويؤخذ من اقوال المؤرخين ان يوسف سمث المذكور وُلد في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر من سنة ١٨٠٥ في قرية تدعى شارون من ولاية فرمونت باميركا من ابوين فقيرين غير مستقيمي السيرة على ما يقال . ولما كان في الخامسة عشرة من عمره



هيكل المورمون

انتقلا به الى مدينة تسمى منشستر (غير منشستر التي بانكلترا) وهنالك اخذ يدعي بظهور رؤى عديدة له أشهرها الرؤيا التي نزلت عليه في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨٢٣ اذ ظهر له الملاك « موروني » ثلاثاً واوحى اليه ان « توراة القارة الغربية » مدفونة في موضع معين بالقرب من منشستر وان هذه التوراة هي تكملة للعهد الجديد . وبعد اربع سنين (كان يوسف قد اعد في خلالها كل ما يحتاج اليه) ذهب الى منشستر وعاد بالتوراة المزعومة مدعياً انه تسلمها من ملاك وهي في صندوق حجري مكتوبة على رقائق من الذهب باللغة « المصرية المنقحة » ومعها بلورتان معلقتان بقوس

فضية وهما الاوريم والتميم (١) لاستجلاء طلاسم تلك التوراة السرية . ولم يكن يوسف بارعاً في الكتابة والقراءة فاتخذ له كاتباً يدعى اوليفر كودري واملا عليه من وراء ستار ترجمة التوراة المذكورة . وساعده على فك تلك الطلاسم فلاح مثر يدعى مارتن هرس. وفي سنة ١٨٣٠ طبعت هذه التوراة بعنوان « كتاب المورمون » مردفة بيمين مغلظة اقسمها اوليفر كودري ومارتن هرس وداود هوتمر بان ملاك الله اعان لهم الرقائق التى ترجمت منها تلك التوراة . على ان هؤلاء الثلاثة ارتدوا عن المورمونية فيما بعد وانكروا يمينهم

كتاب المورمون

اما خلاصة كتاب المورمون فهو ادعاء يوسف سمث النبوة وتحريض الناس على طاعته واحترامه . وفيه ايضاً تاريخ شعب اميركا وخلاصته ان سكان البلاد الاصليين نزحوا الى اميركا على اثر تبلبل الالسنة واقاموا بها مدة طويلة يتخاصمون ويتحاربون حتى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد اذ وصل الى سواحل شيلي رجل يدعى لاهي وزوجته واولاده الاربعة وعشرة من اصدقائه وكانوا قادمين من اورشليم . ولم يكد يستقر بهم المقام حتى توفي لاهي فخلفه في رئاسة الجماعة الصغيرة ابنه الاصغر نيفي . فاستاء اخوته منه وشرعوا يناصبونه العداء . فغضب الله عليهم ومسخ جلودهم فاصبحوا عبيداً سوداً تسلسل منهم هنود اميركا الشمالية . ونشبت حرب اهلية بين النيفيين واعدائهم استمرت مدة طويلة وعلى رغم توسط المسيح بين الفريقين لم يتصالحا . وافضى الامر بالنيفيين الى خروجهم من الايمان القويم فحاربهم اعداؤهم السود وتغلبوا عليهم حتى افنوهم في موقعة كومورا باونتاريو (ولاية نيويورك) ولم ينج منهم الا بضعة انفار ومنهم «مورمون» وابنه « موروني » اللذان جمعا بالتعاقب سجلات الملوك والكهنة الذين حكموا البلاد

هذه خلاصة كتاب المورمون والحقيقة ان حكاياته مأخوذة عن رواية من تصنيف رجل يدعى سليمان سبالدنغ لم تطبع وانما انتهت النسخة الاصلية المخطوطة الى رجل من عمال احدى المطابع فنسخها ودفعها الى يوسف سمث . فالف هذا منها كتاب المورمون

نشوء الطائفة الجديدة

وفي شهر ابريل من سنة ١٨٣٠ عقد اول مؤتمر للمورمون في مدينة فايت من ولاية نيويورك . وفي السنة التالية هبط وحي جديد على يوسف سمث جاعلاً اياه

---

(١) ورد ذكر الاوريم والتميم في التوراة

« رائياً ومفسراً ونبياً ورسولاً وشيخاً للكنيسة » ومنذ ذلك الحين اخذ يجري فريضة العماد. وصارت شيعته تنمو وتزداد. ولكن اهالي مدينة فايت بدأوا يعرفون أسرار منبته فرأى من الحكمة ان ينتقل باشياعه البالغ عددهم ثلاثين نفساً الى مدينة كرتلاند بولاية اوهايو وعزم على جعل هذه المدينة مركزاً لاورشليم الجديدة. وفي نحو هذا الزمن هبط عليه وحي جديد يقضي على اشياعه بوجوب تسليم أموالهم الى الله وانشاء مصرف (بنك) للطائفة فاطاع اشياعه صوت الوحي وعينوا سمث رئيساً للمصرف. فكان من نتيجة ذلك ان انتشرت في تلك الولاية اوراق مالية (بنك نوط) لا تساوي اكثر من قيمة الورق المطبوعة عليه

وفي السنة التالية أخذ سمث ينظم احوال جماعته فاختار للرئاسة معه اثنين آخرين وهما ريجدون وفردريك وليم فاصبح الثلاثة « حفظة مفاتيح الملكوت الاخير ». على ان سمث اندفع في اهوائه وشهواته حتى كادت جماعته تتشتت شذر مذر لولا ان اتاحت لها الاقدار رجلاً يدعى بريام يونغ وكان على جانب عظيم من الهمة والنشاط على رغم صغر سنه فعين « شيخاً » للجماعة. وفي سنة ١٨٣٥ قام بسياحة في الولايات الشرقية يكرز بالمبدأ المورموني ويدعو الناس للدخول في الدين الجديد. وفي السنة التالية ارسل المورمون مبشرين آخرين الى انكلترا وشيدوا المعابد في كرتلاند وغيرها. وبعد سنتين اخريين أفلس مصرف كرتلاند فهرب سمث وريجدون الى ولاية مسوري حيث كان يقيم الكثيرون من اتباعهم. على ان المصائب ظلت تلاحق سمث فان تهتكه ابعد عنه الكثيرين من مريديه وافضى الى خصام داخلي فضلاً عن ان اهالي مسوري أخذوا يضايقون المورمون ويضطهدونهم بكل ما في وسعهم. واذ ذاك اجتمع لفيف من المورمون الذين كانوا لا يزالون موالين ليوسف سمث وانشأوا جمعية سرية للدفاع عنه بكل الوسائل المستطاعة وللسعي في نشر سلطته في ولاية مسوري ثم في الولايات المتحدة ثم في العالم اجمع. ولما رأت الحكومة ما آلت اليه الاحوال من الفوضى اضطرت ان تتعرض لشؤون المورمون بالقوة العسكرية. ولكن سمث حصن المدينة التي كان مقيماً بها وسلح جميع مريديه وقاوم جيش الحكومة مدة. واخيراً اضطر ان يسلم هو وريجدون ومريدوهما. فحاكمتهما الحكومة وحكمت عليهما بالسجن. الا ان سمث تمكن من الفرار فهرب ولحق بخمسة عشر الفاً من اتباعه كانوا قد نزحوا الى ولاية الينويز ونالوا اذناً من الحكومة فشيدوا مدينة جديدة ودعوها « نوفو ». ثم انشأ سمث جيشاً مستقلاً وقام بقيادته وفضلاً عن كونه قومندان المدينة أصبح رئيس كنيستها

وظلت المدينة تنمو وتكبر . الا ان فضائح سمث بدأت تنفر القوم فانه كان قد تسرى عدة نساء فضلاً عن زوجته الشرعية . ولما انتقد مريدوه مسلكه هذا وعابوه عليه استنزل وحياً في الثاني عشر من شهر يوليو سنة ١٨٤٣ مبيحاً تعدد الزوجات وموصياً به . واذ ذاك ازداد نفور البعض من سمث حتى ان الدكتور فوستر الذي كان من اشد اصدقائه اخذ يفضحه ويندد به بعدة مقالات نشرها في صحيفة كان ينشئها فما كان من سمث الا ان امر بابطال تلك الصحيفة واغلاق مطبعتها وطرد فوستر من المدينة . فسعى فوستر واستحصل اذناً من الحكومة لالقاء القبض على سمث واخيه هيروم وستة عشر آخرين . واذ ذاك تسلح المورمون واستعدوا لمقاومة الحكومة . فلما رأت هذه ان الفتنة قد تنقلب الى حرب اهلية اخذ حاكم الولاية يلح على سمث بتسليم نفسه وقبول المحاكمة . فخضع سمث لنصيحة الحاكم ودخل السجن هو واخوه منتظرين المحاكمة . الا ان جمهوراً من الرعاع هجموا عليهما في السجن وقتلوهما

وخلا الجو اذ ذاك لبريام يونغ فعين رئيساً لمجلس الاثني عشر رسولاً . الا ان حكومة الولايات المتحدة ما عتمت ان استرجعت الاذن الذي كانت قد منحته للمورمون ببناء مدينة نوفو والاقامة بها مستقلين . فاخذ المورمون يهاجرون غرباً . وبقي بعضهم في نوفو ولكن الحكومة اطلقت القنابل على المدينة فدمرتها واضطرت من كان قد بقي فيها للخروج منها . وانتقل معظم المورمون الى ولاية يوتا بوادي البحيرة المالحة وانشأوا هناك مدينة باسم « سولت ليك » اي البحيرة المالحة . ولم يمر ردح من الزمن حتى أخذوا يستعمرون الاراضي المجاورة . وسمع الناس بخصب التربة فاخذوا يتقاطرون الى تلك الاقاليم من سائر انحاء اميركا ومن انكلترا واسوج ونروج وفرنسا وغيرها من البلاد . وفي سنة ١٨٤٩ عقد المورمون مؤتمراً في مدينة سولت ليك وانشأوا ولاية سموها « ديسيرت » (اي ارض النحل) وسنوا لها نظامات بعثوا بها الى وشنطون عاصمة الولايات المتحدة . فعين بريغام يونغ حاكماً على يوتا (عاصمة ولايتهم) الا ان يونغ اتبع سياسة مشاكسة الحكومة فعزلته وعينت بدلاً عنه الكولونل ستبتو . الا ان المورمون قاوموه بقوة السلاح . وفي سنة ١٨٥٧ اضطرت الحكومة ان ترسل ٢٥٠٠ جندي لمعاقبتهم ولكن هؤلاء بطشوا بهم

وفي سنة ١٨٧١ اصدرت الحكومة قانوناً تحظر به تعدد الزوجات ثم القي القبض على بريام يونغ . على ان المورمون لم يعبأوا بذلك القانون بل ظلوا ينمون ويكثرون . وفي سنة ١٨٧٧ توفي يونغ عن سبع عشرة زوجة وستة وخمسين ولداً تاركاً ثروة لا تقل

عن اربع مئة الف جنيه وخلفه في الرئاسة رجل انكليزي يدعى جون تيلور

هذا وقد اصدرت حكومة الولايات المتحدة قوانين تحرم بها تعدد الزوجات الا ان المورمون ضربوا بجميعها عرض الحائط . على انه نشأ بينهم في السنين الاخيرة حزب جديد يقاوم تعدد الزوجات والغريب ان هذا الحزب انشأه احد اولاد يونغ المشار اليه. ولا يزال حزبه ينمو ويقوى واعضاؤه يعتقدون انهم قديسوا الازمنة الاخيرة الحقيقيون . وفي سنة ١٨٨٣ عقدوا مؤتمراً في كرتلند من اعمال اوهايو كانت نتيجته انهم انكروا تعاليم يونغ القائلة بتعدد الزوجات وبعبادة آدم الهاً وبجواز سفك دماء الذين يرتدون عن ديانة المورمون . وهذه الطائفة تعتقد ان خليفة يوسف سمث الحقيقي هو ابنه

اما عدد سكان يوتا فيبلغ اليوم نحو المئتي الف معظمهم ان لم نقل كلهم من المورمون على ان لهم اتباعاً كثيرين في سائر الولايات المتحدة حتى وفي اوربا . ويقدر عدد المورمون في العالم كله بنحو نصف مليون

النظام المورموني

اما نظام المورمون السياسي فيتألف من رئيس مطلق السلطة يعاونه مستشاران وهؤلاء الثلاثة هم في عرف المورمون خلفاء بطرس ويوحنا ويعقوب حواريي المسيح . ويليهم البطاركة او الآباء الذين تنحصر وظيفتهم في مراقبة شؤون الطائفة ومباركة افرادها ووضع الايدي عليهم . ويلي البطاركة اثنا عشر تلميذاً متمتلين ولكل منهم راتب ثلاث مئة جنيه سنوياً . ويلي هؤلاء سبعة رؤساء كل رئيس منهم يرأس سبعين هم بمثابة مبشرين . ويليهم رؤساء الكهنة فالاسقف الذي يراقب شؤون الكنيسة

اما عقيدتهم فهي اقرب الى تعدد الآلهة منها الى النصرانية . فهم يجعلون الآلهة درجات وآدم في اسماها . اما المسيح ومحمد ويوسف سمث وبريام يونغ فمشتركون في اللاهوت ووظيفتهم تحريض الناس على النمو والاكثار من النسل . وهم يعتقدون بان القديسين عند ما يتركون العالم يتألهون ويكون مجدهم بمقدار عدد الزوجات التي كانت لهم في العالم . ويعتقدون ايضاً ان الوحي لم ينقطع عن البشر وان التوراة ليست كاملة الا اذا اضيف اليها كتاب المورمون . وان رؤساءهم لا يزالون يجرون الآيات والعجائب وان الاجسام تبعث في يوم القيامة كما هي وان الانسان ينال الخلاص بمجرد ايمانه بالمسيح وتوبته ومعموديته ووضع الايدي عليه . ومن وصاياهم لا تشرب خمراً ولا مسكراً وان طعام الانسان يجب ان يكون الخضروات وثمار الارض والفاكهة الا في حالة حصول قحط . ولا يجوز تعميد الاطفال الى غير ذلك من الاعتقادات والتعاليم

نشوء الاسلحة

من المنجنيق الى الهوتزر

يدهش الانسان عند ما يتأمل في نشوء الاسلحة الحربية من ابسط حالاتها الى حالتها الحاضرة . فقد بزغ عصر الحروب باستعمال المقلاع ووصل اليوم الى المدافع الضخمة التي تتجاوز فوهاتها الست عشرة بوصة ولا يعلم الا الله عند اي حد يقف فكر الانسان في استنباط وسائل الدمار والهلاك

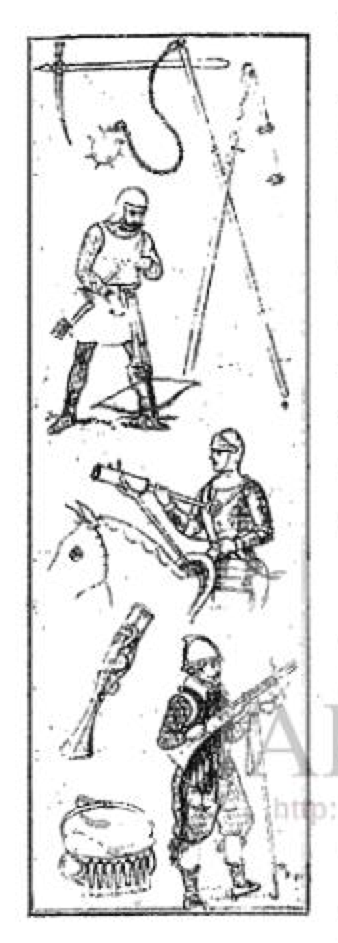
والذي يراجع تواريخ الحروب القديمة ويقابلها بالحروب الحديثة يجد ان الاسلحة التي يستعملها الانسان في المعارك التي يتلاحم فيها الفريقان يداً ليد تكاد تكون نفس الاسلحة التي كانت تستعمل قديماً لولا فرق زهيد . فقد استخدم الرومان في حروبهم منذ الفي سنة مدى قصيرة كانوا يتطاعنون بها عند التحامهم باعدائهم . والجنود الاوربية تستعمل اليوم حراباً تكاد تكون شبيهة بتلك لولا انها مركبة برؤوس البنادق



ش ١ : اسلحة قديمة

واذا استثنينا الطيارات الحربية جاز لنا ان نقول بان اسلحة الحروب الحديثة قد نشأت عن اسلحة الحروب القديمة حتى ان نفس المدافع الحديثة انما نشأت عن المجانق التي كانت تستعمل لقذف الصخور الهائلة على الاعداء . ولا يزال للشجاعة الاهمية العظمى في نتيجة المعارك فان الجبان وان يكن مسلحاً باهول الاسلحة اذا رأى عدوه مقبلاً عليه اقبالاً مخيفاً اطلق ساقيه للريح

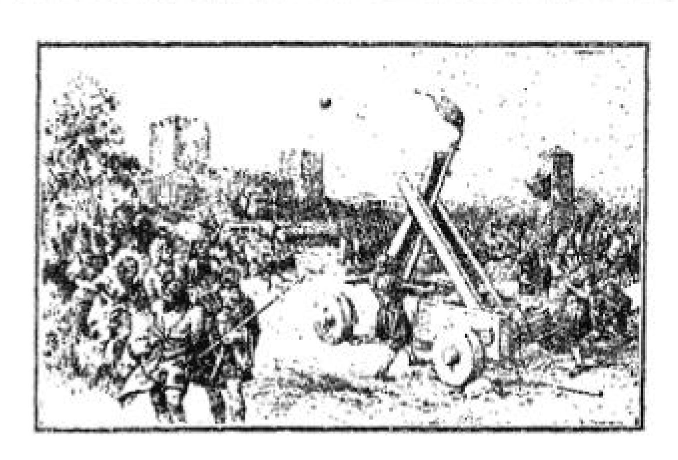
في سنة ٥٩ قبل الميلاد غزا يوليوس قيصر بلاد غاليا (اي فرنسا) وكان جيشه مجهزاً بمدى قصيرة محددة الاطراف وكان الرومانيون يقذفون بها على اعدائهم قذفاً محكماً ويستعملونها للطعان اذا التحموا في العراك وجهاً لوجه . ولم يكن الفولاذ (الصلب) شائعاً


ش ٢ : اسلحة قديمة

يومئذ ولكن المدى المذكورة كانت لينة يسهل شحذها على الحجارة . وكان الرومانيون يسيرون وراء فرسانهم ومشاتهم فرقة من رجال المجانق وهي آلات كبيرة لقذف الصخور على الاعداء بواسطة نوابض (زنبلكات) ضخمة . وكانت فرقة المجانق تستعمل نوعاً آخر من السلاح القاذف يدعى « بليستا » وهو شبيه بالمنجنيق ولكنه يروش السهام بدلاً من الحجارة والصخور (انظر الرسم الاعلى في الشكل الاول) ولا شك ان الصخور التي كانت تقذفها المجانق والسهام التي كانت تروشها « البليستا » كانت تفعل بجنود الاعداء ما تفعله مدافع الهوتزر الضخمة اليوم

اما الغاليون (وهم اسلاف الفرنسويين والبلجيكيين وشعوب المانيا الجنوبية) فلم يكن عندهم مجانق ولا بليستا ولكنهم كانوا يستعملون قسياً محددة يروشونها بايديهم ويحكمون توجيهها الى اعدائهم بطريقة تشهد لهم بالبراعة التامة . وكانوا يستخدمون ايضاً مقاليع من الجلد لقذف الحجارة الصغيرة ويسددونها الى اعدائهم باحكام تام . وفضلاً عن ذلك كانوا يحملون هراوات في اطرافها اشواك من النحاس والحديد . اما فرسانهم فكانوا يحملون رماحاً طويلة — كما تفعل فرسان الجيوش الحديثة — واشتهر فرسان الغاليين بحمل البلطات والمطارق

والخلاصة ان اسلحة الحروب القديمة كانت المقلاع والبلطة والهراوة والفاس والحربة والمدية والرمح « والبلستا » والمنجنيق . وقد ظلت هي الاسلحة المعوّل عليها الى ما بعد الميلاد بنحو اربعة عشر قرناً . ويظن البعض ان فعلها لم يكن ذريعاً كفعل الاسلحة الحديثة . على ان سجلات الحروب الرسمية تنافي هذا الوهم فقد بلغ عدد القتلى في معركة قطالونة التي وقعت بين قبائل الهنز والجيش الروماني في سنة ٤٥١ نحو مئة واثنين وستين الف قتيل . وقال بعض المؤرخين انه بلغ ثلاث مئة الف قتيل وربما كان فيه مبالغة . وعلى كل حال فان عدد هؤلاء القتلى لا يقل عن عدد قتلى المواقع الحديثة



حصار الرومانيين لمدينة نامور في باجيكا سنة ٥٩ قبل المسيح
وتمثل هذه الصورة كيفية استعمال المجانيق في ذلك الزمن

وقبيل ان يعم استعمال البارود في الحروب اضيف الى الاسلحة نوع جديد وهو القوس وكان طول القوس يتراوح بين قدمين ونصف وثلاث اقدام وطول السهم الذي تروشه القوس من ثماني عشرة الى عشرين بوصة . اما منبت القوس فبلاد الشرق ومنه تسرّبت الى اليونان والرومان . على ان الرومان لم يهتموا باستعمالها ولا شاعت في اوربا الا عند ختام القرن العاشر للميلاد واذ ذاك اصبح لها من الاهمية ما للبنادق اليوم في الحروب. اما القوس التي شاعت في انكلترا فكانت اطول منها في فرنسا واسبانيا وكانت السهام تدفع منها بعزم شديد . على ان القوس الفرنسوية كانت اشد منها فعلاً وقد بقيت السلاح الاوربي الاهم مدة خمسة قرون اي الى ان حل محلها الاسلحة النارية . ولما شاع استعمال الفولاذ (الصلب) صار الفرنسويون يصنعون قسيهم منه . على أنه لم يكن من السهل حني القوس فلجأوا الى طريقة ميكانيكية تزيد في قوة دفع السهام حتى اضطروا الى تخين الدروع التي كانوا يستعملونها وانتهى الامر بان الملوك والاغنياء صاروا يذهبون الى الحروب وهم غاطسون بالدروع من الفولاذ من قمم رؤوسهم الى اخمص اقدامهم

ولكن ظهرت افضلية الاقواس الانكليزية الطويلة في حرب المئة سنة التي وقعت بين فرنسا وانكلترا فقد ذكر المؤرخون ان سهام الانكليز في موقعة كريسي (وهي الموقعة الفاصلة التي حدثت في الحرب المذكورة) كانت تغشي وجه السماء حتى لم تكن الشمس ترى . ومما يستحق الذكر ان موقعة كريسي المذكورة هي اول موقعة استعمل فيها البارود فقد كان مع الانكليز يومئذ ثلاثة مدافع بسيطة لقذف الحجارة بواسطة البارود . ولم تعم الاسلحة النارية الا بعد ذلك بنحو مئة سنة . وكانت المدافع في اول

الامر تطلق بوضع جمرة نار على ثقب في مؤخرة المدفع متصل بمخزن البارود . ثم شاع بعد ذلك استعمال العيارات النارية وكان الزناد في اول الامر يؤدي باحتكاك حجر من الصوّان بقطعة من الفولاذ فيحدث من احتكاكهما شرارة تمس البارود فتطلقه . وظلت العيارات النارية تنشأ وترتقي حتى وصلت الى حالتها الحاضرة

كلمات مختارة في الحرب الحاضرة

منقولة عن جرائد العالم في جميع الانحاء

لو فرضت الحكومات ضرائب على الاخبار الكاذبة في هذه الحرب لاصابها قسط وافر من المال يغنيها عن فرض ضرائب اخرى

يجب ان نضع في رأس قائمة الاصابات والوفيات في هذه الحرب « الحقيقة »

حسن جداً ان تحدث الصحف بايقاف التسليح بعد هذه الحرب ولكن هل يقبل بذلك المنتصرون ؟

في السنة القادمة سيتوافد السائحون الى اوربا من جميع الانحاء ليشاهدوا آثار فن التخريب والتدمير

بالامس ذكرت الصحف « انه لم يجد ما يستحق الذكر على خط القتال » . وانما ترملت بضعة آلاف من النساء وتيتم مثلها من الاولاد . ولكن ذلك « لا يستحق الذكر »

كلهم يطلبون السلم لكن كلا منهم يريد به نوعاً خاصاً

سوف يموت المستر كارنجي فقيراً اذا صح ما يقولون من انه سيسعى في انشاء مجلة للتبشير بالسلم الدولي

يجب على الدول الاوربية ان تبطل حديثها عمن بدأ الحرب وان تبدأ تحدث في من سينهيها

تسألوني عن سبب الحرب ؟ فالجواب وجود عدة دول تنمو وتطلب الاتساع على سطح كرة ارضية واحدة

اخطأ كارنجي عند تشييده قصر السلام من وجه واحد وهو انه لم يحصنه

الغرام في قصور الملوك

سجلات تاريخية مجهولة

هنري نافار وعشيقته

كان هنري نافار من اشهر الملوك الذين جلسوا على عرش فرنسا . وقد كانت شهرته في الامور الغرامية اكثر منها في الشؤون السياسية . قيل انه لم يكن يستطيع الثبات امام لواحظ الكواعب فقد كان سهل الوقوع في شراك الحب حتى كان له من محظياته عدد سني حياته

على ان المحظية الوحيدة التي تمكنت من التلاعب بفؤاده هي جبرائيله دبستري التي بلغ من جنونه بحبها انه سعى لتوليتها العرش معه . كتب اليها مرة يقول : « لم يحب انسان امرأة كما احببتك قط . واذا كان ثمت تضحية استطيع ان اشتري لك بها السعادة فانني اقوم بتلك التضحية حتى آخر نقطة من دمي »

وُلدت جبرائيله في سنة ١٥٧٣ في مدينة تورين وكانت امها فرانسواز بابو مشهورة بجمالها . وابوها انطوان دبستري من رجال الجندية المشهورين . الا انه كان منعكفاً على ملذاته لا يهمه الا اشباع شهواته . ولذلك هجرته امرأته بعد ان ولدت له سبعة أولاد ووجدت قلباً اخلص في المركيز توربل اليجر الذي كان اصغر منها عشرين عاماً

ولما رأت جبرائيله ان امها قد هجرتها واباها منعكف على ملذاته التجأت الى عمةٍ لها كانت تتنقل بين باريز وبيكاردي . وكانت تكبر وتزداد جمالا حتى سماها الناس هي واخواتها « الخطايا السبع المميتة »

وكان جمالها مما لا يتمثل الا في مخيلة الشعراء ولا يرى الا في احلام العاشقين . فمن قدٍّ يتيه دلالا وقوام يزدان اعتدالا ومحياً يزهو حسناً وجمالا وخدٍّ متورد وثغر مبتسم ونظرات تخترق اقسى القلوب

واتفق انه كان للملك هنري نافار ياور صغير السن يدعى روجر سان لري ولقبه الرسمي « الدوق دي بلغارد » وكان من اجمل شبان فرنسا وابرعهم في اجتذاب قلوب النساء . فلما وقع بصره على جبرائيله اسره جمالها وشعر لاول مرة ان امرأة قويت عليه ولم تكن هي اقل هياماً به فانها احبته منذ وقع بصرها عليه

وكان الملك هنري يومئذ في « مانت » يحارب في سبيل عرشه فلما وصل الدوق

بلغارد الى معسكره اخبره عن جبرائيله وبالغ في وصفها حتى عشقها الملك عن بعد وعزم ان يزورها ليتحقق الامر بعينه

وهكذا كان . فترك مضربه سراً وتوجه الى حيث كانت تقيم جبرائيله فوجد ان بلغارد لم يكن قد بالغ في وصفها بل بالعكس كان جمالها مما يعجز عن تصويره القلم او اللسان . على ان هنري الذي كانت الحروب قد جعلته كهلا قبل اوانه كان دون الدوق سناً وجمالا ولذلك عاد من حيث أتى وهو هائم بحب جبرائيله حب عاشق يائس

ومرت بضعة ايام وهي لا تبرح من فكره . واخيراً استدعاها الى « مانت » وكاشفها بحبه قائلا انه لن يسمح لغيره ان يخطفها من بين يديه . فاجابته بغنج ودلال : « أصحيح ما يقول مولاي ؟ انني لن أكون عبدة لاحد بل أهب قلبي لمن أشاء ولكنني لن اهبه لمن يطلبه كأن له حقاً به » . قالت ذلك وعادت بعد ساعة من حيث اتت

فاسقط في يد هنري ورأى الاصوب ان يذهب وراءها بنفسه ويقنعها . ولكن دون الوصول اليها معسكر الاعداء فرأى ان يتزيا بزي فلاح ويحمل حطباً على منكبيه ويذهب تواً الى كوفر حيث كانت تقيم . فلما رأته بتلك الحالة المضحكة سخرت منه وصاحت ضاحكة : « بالله اذهب وابدل ثيابك » . ومع انه اطاع امرها اوصدت الباب على نفسها ولم تشأ ان تراه

على ان اخلاصه وشدة هيامه لم يذهبا عبثاً . فلما زارته في مضربه وهو يحاصر مدينة شارتر وسمعت اخبار شجاعته وما أتاه من عظيم الاعمال اخذت تشعر بشيء من الميل اليه . كيف لا وقد كان له من دماثة خلقه ولطف معشره خير شفيع لدى جميع النساء اللواتي عرفنه . فلم يمر زمن طويل حتى نسيت جبرائيله الدوق بلغارد واصبح هنري مالك فؤادها . وعقبت ذلك ايام سعادة وهناء لم يستطع الملك فراقها . واضطرته الحرب ان يغيب عنها مرة فكان يكتب اليها الرسالة اثر الرسالة . ومما كتبه اليها قوله : « انني اقبلك عن بعد الف الف مرة . تقولين انك تحبينني اكثر مما احبك . فيجب ان تقيمي البرهان على ذلك وتدافعي عن نفسك بالسلاح الذي تختارينه . انني سأغيب عنك عشرة ايام وهي مدة تكفي ان تقتلني »

وكتب اليها مرة أخرى يقول : « يسمونني ملك فرنسا ونافار وانا افضل ان ادعى عبدك . ان لديك من الاسباب ما يجب ان تخافي معه من ازدياد حبي الى اكثر مما يجب . واذا كانت هذه زلة فاكرم بها زلة تسرك وتسرني معاً »

هكذا كانت رسائل الملك هنري في تلك الايام التي كانت فيها الحياة ربيعاً مستمراً

مع ان الجو كان مكفهراً بغيوم الحروب . ولم تكن جبرائيله اقل هياماً به منه . فلما كان مريضاً في سان دنيس كتبت اليه تقول : « انني اكاد اموت من شدة الخوف . قل لي كيف انت اليوم ايها الحبيب فان مرضك لم يبقِ لي لذة في الحياة . انني لا استطيع ان انام قبل ان ارسل اليك الف قبلة على اجنحة الهواء . . . »

وازداد تعلق الملك هنري بجبرائيله فصار يرى في وجودها بقربه تعزية عظيمة . ولما دخل باريز دخول الظافر وهو يبتسم ابتسامة الانتصار كانت جبرائيله تسير أمامه في هودج يعجز القلم عن وصفه

ولما استتب له الملك منح عشيقته لقب المركيزة مونسو ثم اردفه فيما بعد بلقب الدوقة بوفورت . واذ ذاك بلغت مطامع جبرائيله انها صارت تطمع بان تصبح زوجة هنري الشرعية ليرث ابنها العرش

ولكن الربيع لا يستمر الى الابد فان باريس ما عتمت ان اتاها الوبأ والطوفان والبلاط الملوكي لم يكن فردوساً لجبرائيله . فقد كان لها اعداء كثيرون اشدهم مراساً « الدوق دي صلي » . وكان هذا الدوق مستشار الملك الخاص يحبه محبة خالصة

واذ ذاك بدأ نجم جبرائيله بالافول . فوقع بين العشيقين امور كثيرة لا محل لذكرها الآن . وبلغ التوتر اشده عندما رفض الوزير الدوق دي صلي ان يخصص نفقات معمودية ولدها وايد هنري وزيره قائلاً لها : « اني احببتك لانني ظننتك جميلة وديعة والآن اراك تحاولين السيطرة عليَّ وعلى المملكة . فانا استطيع الاستغناء عن عشرين محظية مثلك ولا استغني عن وزير مخلص كدي صلي »

فانفجرت اذ ذاك مآقي جبرائيله بالدموع وقالت : « لو كان بيدي خنجر لاغمدته في قلبي وأريتك صورتك فيه » . فاندفع هنري خارجاً من الغرفة واندفعت هي وراءه وانطرحت على قدميه باكية وطالبة الصفح . فلم يستطع هنري ان يمتنع عن ذلك فضمها الى صدره ونسي كل ما كان . وكان يفكر منذ زمن طويل ان يتخذها زوجة شرعية وهو يسعى لطلاق زوجته مارغريت فالوا

وفي شهر ابريل من سنة ١٥٩٩ ذهب العشيقان الى فونتنبلو ليقضيا بضعة ايام فيها قبل زواجهما . وكانت حفلة الزواج ستقام في يوم الاحد الاول بعد العيد الكبير وجبرائيله في فردوس من السعادة وقد كثرت حولها الهدايا من سائر اقطار فرنسا . والقلم يعجز عن الاستعداد العظيم الذي كان معداً لها

وفي الايام الاخيرة من الاسبوع الكبير كان العشيقان راجعين من فونتنبلو الى

باريز . وفي اثناء طريقهما بدأت المخاوف تدب الى قلب جبرائيله فالحت على هنري ان يعود بها الى فونتنبلو الا انه لم يصغ اليها بل امرها بالاسراع الى باريز . ويقال ان عرّافة كانت قد انبأتها بان زواجها لن يتم ولذلك اشتدت بها الوساوس

وبعد يومين من وصولها الى باريز مرضت مرضاً شديداً فنقلت الى بيت عمها . وفي يوم الجمعة العظيمة وضعت مولوداً ميتاً . قال الاطباء الذين قاموا بتوليدها ان الآلام التي عانتها لم تعانها امرأة على الاطلاق

ولما بلغ الملك خبر مرضها اسرع اليها على جناح الريح ولكنه لم يكد يقترب من باريز حتى قابله السعاة ونعوها اليه . ولما وصل الى دير سان جرمان لم يؤذن له في مشاهدة جثتها . فكاد يجن من فرط الحزن ولم يرد ان يتعزى . فاوصد باب غرفته ووشحها من الداخل بالسواد وكتب الى اخته يقول : « لقد اختطف مني الموت اعز عزيز لديَّ فليس لحياتي ربيع في ما بعد ! »

ولكن ما اسرع تقلبات القلوب . فانه لم تكد تمر على موت جبرائيله ثلاثة اشهر حتى كان هنري يغازل محظية جديدة هي هنريت انتراج

هل للقيامة بعد ذلك موقع

من قصيدة لاحمد بك شوقي

نزل البلاء وحل طوفان دم ... بالمسلمين سماؤه لا تقلع
كانوا بظل السلم لا بهلالهم ... شر يراد ولا حماه مروع
لولا قضاء الله ما خاضوا الوغى ... ان القضاء اذا اتى لا يدفع
تلك العوان على الشديد شديدة ... اين السيوف لمثلها والادرع
ماذا اندفاع المسلمين بموقف ... الغالب المنصور فيه مضعضع
حرب على حرب حنانك ربنا ... لم يبق منا ما ينال المدفع
لا تأخذن بريئنا بمسيئنا ... فالعدل كل حاصد ما يزرع
يا رب بالرسل الكرام بالهم ... باللوح بالكرسي وهو المفزع
أدرك دماء الخلق ان دماءهم ... سالت فوجه الارض منها مترع
سبحت بحر دمائهم اشلاؤهم ... والارض لا تروى ولا هي تشبع
زاد الارامل واليتامى كثرة ... حتى لقد صعدت اليك الادمع
يا رب هل تلك القيامة كلها ... أم للقيامة بعد ذلك موقع

شذرات عن الحرب الحاضرة

مجموعة من ادق المصادر واصحها

منتخبات من خطب غليوم الثاني وكتاباته

ليس ادل على اخلاق الامبراطور غليوم وطبائعه من تلاوة اقواله على حد الآية « من ثمارهم تعرفونهم » . وقد وقفنا على مجموعة من تلك الاقوال ننتخب منها ما يأتي ونضع في مقدمتها تلغرافه لكروجر أثناء حرب الترنسفال الذي قامت له قيامة العالم السياسي وهو :

« اقدم تهانيَّ الخالصة لك واشعبك لنجاحكم وحدكم بدون مساعدة احدى الدول الموالية لكم في كسر القوى المسلحة التي اكتسحت بلادكم فاخلت بالسلم العام وفي المحافظة على استقلالكم رغم هجمات العدو »

اني عدو الحرب لكن الحرب لا تُتلافى خطرها الا بالتأهب التام

اعلم تمام العلم ان الرأي العام لا سيما في بعض الممالك يتهمني من محبي الحرب ذوي المطامع الاشعبية . أبعدني الله عن ذلك الجنون

انه لا يبرح عن ذهني مطلقاً ان عيون اجدادي تراقب اعمالي من العالم الآخر واني في يوم من الايام المقبلة سأقدم لهم حساباً عما اتاه الجيش من الفخر والشرف

قد صممت أن ابذل كل ما في وسعي لحفظ السلم العام واني لن اسيء استعمال السلطة التي لي على الجيش فاجعل الامة في خطر الحرب علماً مني بالمنافع الجمة العائدة على أمتي بفضل السلم

اعتقد اني بمساعدة الله قد ضمنت السلم الدولي في المستقبل سنين كثيرة (سنة ١٨٨٩)

اني معجب كل الاعجاب بالجيش الانكليزي واذا شك احد في قوته فاني أول من يشهد له بالنشاط والثبات

يجب ان نوجه افكارنا الى البحار فانها تمثل لنا اللانهاية ويجب ان لا نعتبرها فواصل بين الدول بل روابط تربطها بعضها ببعض

ان اتحادنا مع النمسا امر مشهور وانما ادعمه بكل اخلاص ليس لانه اتفق حصوله

بل لاني ارى في تلك المحالفة الدفاعية اساس التوازن الدولي في اوربا فضلاً عن كونها ميراثاً لنا من التاريخ الجرماني

لا يوجد كتاب في المباحث الحديثة لم يصدر في لغتنا ولا اكتشاف في العلم لم نكن اول العاملين به . ومن بعدنا تجيء الدول الاخرى في هذا المضمار — هذه هي العظمة العالمية التي تطمح اليها الروح الالمانية

ان سعادة طبقة العمال من اهم شواغلي

لم يصدر عن لسان انسان كلام يجوز تشبيهه بكلام المسيح

ان ارقى واجب على الحكومة ان تحمي الطبقات الضعيفة وتساعدها في تحسين احوالها مادياً وادبياً لا سيا اذا كان التنازع شديداً بين الطبقات المؤلفة للامة

ان اسرتي من قديم الزمن كانت صديقة العمال

اذا شاءت الاقدار ان يعمل الاسطولان الانكليزي والالماني جنباً الى جنب ضد عدو واحد فان كلمة نلسن « ان انكلترا تنتظر ان يقوم كل رجل بالواجب عليه » يسمع صداها في قلب الاسطول الالماني

ليس الاسطول الانكليزي مثالاً فقط للاسطول الالماني بل ان ابطاله الخالدين كنلسن مثلاً هم ايضاً امثلة نقتدي بها قواد اسطولنا وضباطه

ان غاية التهذيب ولا سيا التربية العسكرية هي تهذيب الاخلاق على اساس الموازنة تربية الجسد وتربية العقل وتربية النفس ويجب ان لا يغوى فرع من هذه الفروع غيره

ان الجيش الذي على رأسه الامبراطور هو وحده يقدر على حفظ سلامة المملكة وراحة الدول

اني اعتقد ان المدارس والجامعات قد انتجت اكثر مما نحتاج اليه من الرجال المتهذبين تهذيباً راقياً

احب ان انبه الاذهان على الخصوص الى تعلم اللغة الانكليزية في مدارسنا لما اصبح لها من الاهمية

ان حب العلم الذي هو فطري في جميع ملوك بروسيا يعمل في صدري أيضاً

الحزن المشترك نصف حزن

يتوقف السلم الاوربي على حفظ العلائق الودية بين المانيا وانكلترا

لا يبرح عن ذهني ابداً قول سلفي فريدريك العظيم « ان الملك هو اول خادم للدولة »

طائفة اليزيدية

ورد ذكر طائفة اليزيدية في الصحف بعد دخول الدولة العثمانية في الحرب فرأينا ان نورد هنا شيئاً عنهم :

اليزيدية طائفة قديمة اختلف الناس في اصلها . واصحابها يزعمون ان اصلها يتصل بادم وحواء منذ كانا في الجنة ولهم في ذلك اقوال خرافية ينتهون بها الى ان سميت هذه الطائفة نسبة الى يزيد ابن معاوية . والاصح ما قاله الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل فانه يقول فيهم « انهم اصحاب يزيد بن انيسة الذي قال بتولي المحكمة الاولى قبل الازارقة وتبرأ ممن بعدهم الا الاباضية فانه يتولاهم . وزعم ان الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل كتاباً قد كتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ويكون على ملة الصابية المذكورة في القرآن وليست هي الصابئة الموجودة بحران وواسط . وتولى يزيد من المصطفى عليه السلام من اهل الكتاب النبوة وان لم يدخل في دينه وقال ان اصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون وكل ذنب صغير او كبير فهو شرك »

صورة الملك الطاؤوس

فترى من ذلك ان تعاليمهم تخالف تعليم السنة لقولهم ان الله يرسل رسولا من العجم فكرههم السنيون . ولم يرض عنهم اهل الشيعة لان يزيد المذكور اصله من الاباضية وهم من الخوارج اعداء علي . فلم يكن لهذا المذهب رواج الا عند اهل فارس لتعظيم العجم فاقاموا في سنجار وراجت تعاليمهم بين الزنادقة والمزدكية وتغلب فيها العنصر الاعجمي على العربي واختلطت بالنصارى مدة فدخلتها كثير من تعاليم المجوس والنصرانية مما يطول شرحه . ويقول الاب انستاس الكرملي انهم يعتقدون باله واحد ضابط بيده كل ما في السماء وكل ما على الارض ويسمونه بالكردية خدا (اي الله) وبالعربية رب العالمين . ودونه الملك الطاؤوس او الطاؤوس الملك ويسميه عامة اليزيدية طاؤوس ملك بحذف اداة التعريف . والشيخ عادي ويزيد وهؤلاء ثلثهم ليسوا الا الهاً واحداً من الرتبة الثانية في ثلثة فروع لا غير

وهم يزعمون ان في العالم مبدأين مثل المجوس ويكرمون الظواهر الجوية على اختلاف انواعها والنار والخبز والسراج والاشجار القديمة . وفي عقائدهم كثير من اخبار التوراة والانجيل محرفة . ولهذه الطائفة عادات وطقوس وطرق اكثرها غريب

المستعمرات الالمانية

كانت المانيا لحداثة عهدها آخر الامم اهتماماً بالاستعمار لانها لم تتكون وتقو حتى رأت ان الدول الاخرى كانت قد تقاسمت الكرة الارضية كلها تقريباً . ومع ذلك فقد لحقها بعض المستعمرات لكنها على الاجمال قليلة الاهمية ولا يزال اهلها على التوحش والهمجية . وقد قرأنا بين اخبار الحرب استيلاء الحلفاء على بعضها واليك قائمتها :

١ — في افريقيا

الكرون	١٩١٠٠٠	ميل مربع	٢٥٠٠٠٠٠	نفس
المستعمرة الجنوبية الغربية	٣٢٢٤٥٠	«	٩٣٠٠٠	«
المستعمرة الشرقية	٣٨٤٠٠٠	«	٧٦٦٤٠٠٠	«
توغو	٣٣٠٠٠	«	١٥٠٠٠٠٠	«

٢ — في آسيا

تسنج تاو (الصين)	٢٠٠	«	٦٠٠٠٠	«

٣ — في جزائر المحيط الباسيفيكي

غينه الجديدة	٧٠٠٠٠	ميل مربع	٥٣١٠٠٠	«
جزر بسمارك	٢٠٠٠٠	«	٢٠٠٠٠٠	«
جزيرة سليمان (جزء منها)	٤٠٠٠	«	٣٣٠٠٠	«
جزر كارولين وغيرها	٣٨٠	«	٥٥٠٠٠	«
جزر مارشال	١٦٠	«	١٥٠٠٠	«
جزر ساموا (جزء منها)	١٠٥٠	«	٣٤٥٠٠	«

الفحم في العالم

لا يخفى ما للفحم من الاهمية في اثناء الحرب . وقد قدّر محصوله في العالم بنحو ١١٨٠ مليون طن في السنة واليك جدول يبين بالتقريب حصة اهم الدول منه :

الولايات المتحدة	٤٥٠	مليون طن	فرنسا	٣٩	مليون طن
انكلترا	٢٧٦	«	روسيا	٢٣	«
المانيا	٢٣٤	«	بلجيكا	٢٣	«
النمسا	٤٩	«	اليابان	١٧	«

اقصى ما بلغه فن الطيران

نظراً لما اصبح لفن الطيران من الاهمية في هذه الحرب يحسن بنا ان نأتي باقصى ما بلغه الطيارون في مسابقاتهم :

اولاً — الطيارات :

(١) السرعة : ٦٢٥ ميلا في ١٣ ساعة ودقيقة (في فرنسا)

(٢) اطول مسافة فوق البحر : ٣٢٠ ميلاً (بين سكتلندا ونروج)

(٣) اطول مسافة فوق الارض : ٨٧٥ ميلاً (من باريس الى فارسو)

ثانياً — المناطيد :

(١) السرعة : ٥٢ ميلا في الساعة (زبلين L 2)

(٢) اطول مسافة : ٧٤٥ (زبلين M 2)

(٣) اطول مدة : ٣١ ساعة ونصف (زبلين L 2)

المعاهدة بين انكلترا واليابان

تقضي المعاهدة المبرمة بين انكلترا واليابان في اغسطس سنة ١٩٠٥ بالامور الآتية

اولا : المحافظة على السلم والسعي له في آسيا الشرقية والهند

ثانياً : المحافظة على مصالح الدول في الصين بضمانة استقلالها والتسوية بين التجارات الاجنبية فيها

ثالثاً : المحافظة على حقوق الدولتين المتعاقدتين في آسيا الشرقية والهند والدفاع عن مصالحهما فيها . فاذا اصبحت تلك المصالح في خطر فعلى الدولتين أن تتشاورا وان تعملا معاً لصد اي اعتداء او هجوم من الدول الاخرى

القوساق

القوساق هم سكان المقاطعات الجنوبية الشرقية لروسيا البالغ عددها عشراً ولا يزالون يحرثون الارض على المبادىء الاقطاعية العسكرية . والخدمة العسكرية عندهم اجبارية من سن ١٨ الى ٣٨ وعلى كل واحد منهم ان يدبر فرسه وثوبه ولوازمه والحكومة تقدم له سلاحه . وفي الحرب تقدم تلك المقاطعات ٨٩٠ فرقة من الفرسان كل فرقة مؤلفة من ١٢٥ فارساً و ١٠٨ فرق من المشاة بنفس القوة مع توابعها اي نحو ١٨٠٠٠٠ رجل من جميع الطبقات و ١٧٠٠٠٠ فرس

السفن التجارية في العالم

هذا جدول بعدد السفن التجارية التي تخص الدول المتحاربة ويقدرون محمول اسطول انكلترا التجاري بنحو ثلث محمول جميع السفن التجارية في العالم :

الدولة	السفن البخارية	السفن الشراعية	المحمول الاجمالي	
انكلترا	١٠٠٠٩	١٢٧٨	٢٠٥٠٠٠٠٠	طن
فرنسا	٩٨٧	٥٦٥	٢٢٠٠٠٠٠	«
المانيا	٢٠١٩	٣٠٢	٥١٠٠٠٠٠	«
النمسا	٤١٩	٨	١٠١١٠٠٠	«
بلجيكا	١٦٤	٨	٣٠٠٠٠٠	«
اليابان	١٠٣٧		١٥٠٠٠٠٠	«
روسيا	٧١٦	٥٠٠	١٠٠٠٠٠٠	«
تركيا	١٣٥	١٣٧	١٥٠٠٠٠	«

تاريخ الجيوش المتحاربة

يحسن بنا ونحن نرقب حوادث الحرب الاوربية الحاضرة ان نلقي نظرة الى سجلات الجيوش المتحاربة في الماضي وما أتته من نصر او فشل . ونقتصر هنا على ما حدث منها بعد الثورة الفرنساوية (اي من سنة ١٧٩٠)

﴿ الجيش الانكليزي ﴾ في حروب الثورة الفرنساوية انكسر في بوالودوك وبوكستل واجبر على الجلاء من هولندا — وانتصر على جيوش نابليون في اسبانيا والبرتوغال في عدة مواقع وفي بعض المواقع بفرنسا واخيراً في واترلو — وانتصر على الجيش الاميركي في لندزلاين وبلادنسبرج وبلتيمور لكن الاميركان كسروه في لونجود وفورت ايرين (١٨١٤) — وفي حرب القرم اتحدت انكلترا مع فرنسا وتركيا وسردينيا وانتصر جيشها على الجيش الروسي في الما وبلاكلافا وانكرمن وغيرها

﴿ الجيش النمساوي ﴾ في حروب الثورة الفرنساوية انتصر في نيروندن وغيرها من المواقع الصغيرة لكنه فشل فشلا تاماً في مواقع واتجين وتوركوانج ومونتنوت ولودي وريفولي واركول (من سنة ١٧٩٢ — ١٧٩٧) وفي سنة ١٧٩٩ انتصر في هوشكرش وفرونا ثم انكسر في هوهنلندن ومارنجو وغيرها — وانتصر عليه جيش

نابليون في الم واسترلتز (١٨٠٥) واكمهل (١٨٠٩) وانتصر هو على نابليون في اسلنج وانكسر في واجرام (١٨٠٩) وقد اشتركت النمسا مع الدول المعادية له في الانتفاع بفشله (١٨١٤) — وانتصر على الثورة الايتالية في كستوزا (١٨٤٨) ونوفارا (١٨٤٩) — وكسره الفرنساويون والسردينيون في ماجنتا وسولفرينو (١٨٥٩) — وفي سنة ١٨٦٦ كسره البروسيون في واقعة سادوفا — وفي سنة ١٨٨٢ اخمد الثورة في البوسنه بعد مشقة كثيرة

﴿الجيش البروسي (ثم الالماني)﴾ انتصر عليه الفرنسويون في فالمي واجبر على عبور الرين — وكسره نابليون في يانا وفتح برلين وجعل بروسيا كلها تابعة لفرنسا. لكن الجيش البروسي باتحاده مع الجيش الروسي والجيش النمساوي انتصر في ليبسك (١٨١٣) وكذلك عمل على فشل نابليون النهائي في واترلو — وانتصر على الدانماركيين في دانمرك (١٨٤٨) وانتصر عليهم ثانية بمساعدة النمساويين (١٨٦٤) — وانتصر على النمساويين سنة ١٨٦٦ (راجع النمسا) وعلى المان الجنوب في السنة نفسها — وانتصر على فرنسا في حرب سنة ١٨٧٠

﴿الجيش الروسي﴾ انتصر على اهل بولندا ١٧٩٥ — وعلى الفرنساويين في كسانو وزوريخ وتريبيا سنة ١٧٩٩ ثم كسره الفرنساويون في زوريخ — كسره نابليون في فريدلند وبعد ان اكتسح نابليون روسيا اجبر على التقهقر والجيش الروسي يتبعه الى ان انكسر في ليبسك — انتصر على العثمانيين سنة ١٨٢٨ واخذ ادرنه — وفي سنة ١٨٣١ ثار البولنديون لكن الجيش الروسي اخضعهم — انكسر في حرب القرم — انتصر على العثمانيين بعد مدافعة طويلة في بلفنا والقرس سنة ١٨٧٧ ووصل الى الاستانة — فشل في الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ — ١٩٠٥

﴿الجيش الفرنساوي﴾ لاجل حروب الثورة وحروب نابليون راجع ماتقدم — انتصر على النمساويين في ماجنتا وسولفرينو (١٨٥٩) — فتح الجزائر (١٨٣٠ — ١٨٤٤) لاجل حرب القرم راجع الجيش الانكليزي — فشلت في حرب السبعين

من احسن ما قيل في الزمان : —

يا صاحبي ان الزما ... نَ كما علمت وما علمتُهْ
يفني الذي جمّعتهُ ... بيدي ويحصد ما زرعتُهْ
ويخون من صافيتُهُ ... عمداً ويعشق من مقتُّهْ
ولطالما عاتبتُهُ ... حتى على رغم تركتُهْ

تاريخ الشهر

مصر والحرب

صدرت في أثناء هذا الشهر المنشورات التاريخية الآتية :

١ — الحكم العرفي في مصر

ليكن معلوماً اني أمرت من حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بان اخذ على مراقبة القطر المصري العسكرية لـكي يُضمن حماؤه فبناء على ذلك قد صار القطر المصري تحت الحكم العسكري من تاريخه

ج . ج . مكسويل

مصر في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ فريق قائد الجيوش البريطانية بالقطر المصري

انا جون جرنفل مكسويل لفتننت جنرال قومندان الجيوش البريطانية في القطر المصري المنوط بتنفيذ الاحكام العرفية اعلن بهذا ما يأتي :

اولا — ان السلطة التي تستعمل تحت اشرافي بمعرفة الادارة العسكرية ليس الغرض منها الحلول محل الادارة الملكية بل تعتبر تكميلا لها وعلى كل الموظفين الذين في خدمة الحكومة المصرية الاستمرار على اداء واجباتهم بكل دقة في وظائفهم

ثانياً — ان احسن ما يمكن للاهالي عمله للصالح العام هو الامتناع عن كل عمل من شأنه تكدير صفو السلام العام أو التحريض على التنافر او مساعدة اعداء ملك بريطانيا وحلفائه والمبادرة باتباع جميع الاوامر التي تعطى تحت اشرافي لحفظ السلام العام وحسن النظام عن طيب خاطر ومتى اتبعوا ذلك فلا يكونون معرضين لاي تداخل في شؤونهم من السلطة العسكرية

ثالثاً — جميع الطلبات التي ربما تلزم للاعمال العسكرية من خدمات الافراد او مما يمتلكونه تكون قابلة للتعويض التام وتحدد قيمتها بمعرفة سلطة مستقلة ان لم يحصل الاتفاق عليها بين الطرفين

ج . ج . مكسويل

مصر في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ فريق قائد الجيوش البريطانية بالقطر المصري

٢ — الحرب بين انكلترا والدولة العلية

انا جون جرنفل مكسويل نظراً لما لدي من السلطة وبصفتي فريق قائد الجيوش البريطانية في القطر المصري اقرر ما يأتي :

انه لمناسبة الاحوال التي اقتضت اعلان الحرب بين بريطانيا العظمى وتركيا يقتضي ان كل ما جاء في قرار مجلس نظار الحكومة المصرية الصادر بتاريخ ٥ اغسطس سنة ١٩١٤ لما نشبت الحرب بين جلالة ملك بريطانيا العظمى وبين امبراطور المانيا يسري مفعوله على الدولة العثمانية الا فيما يختص بالسفن التجارية العثمانية التي تكون داخل الموانئ المصرية او داخلة اليها فانه لا يسمح لها بأي وقت لمبارحة الميناء الموجودة بها

القاهرة في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ (الامضاء)

انا الفتننت جنرال جون غرنفل مكسويل قائد جيوش صاحب الجلالة البريطانية في القطر المصري قد كلفت بان اعلن انه من يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ اصبحت بريطانيا العظمى وتركيا في حالة حرب

ولو انه منذ ابتداء الحرب الناشبة بين جلالته وبين امبراطوري المانيا والنمسا قد اقدمت الحكومة العثمانية مراراً تحت تأثير نفوذ أعداء جلالته على خرق حرمة الحقوق المكتسبة لجلالته بمقتضى القوانين الدولية والمعاهدات فان حكومة جلالته قد تحاشت مقابلة هذه الاعمال بمثلها تحاشياً دقيقاً حتى ارغمت على ذلك ليس فقط بسبب الاستعدادات الحربية في سوريا التي لا يمكن الا ان تكون موجهة ضد القطر المصري بل بسبب خرق حرمة الحدود المصرية بواسطة عصابات مسلحة وباعتداء قوات الدولة العثمانية البحرية على املاك أحد حلفاء جلالته تحت قيادة ضباط المانيين بدون سبب يحملها على هذا الاعتداء فان بريطانيا العظمى تحارب الان لغرضين وهما الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التي كسبها محمد علي في الاصل في ميدان القتال واستمرار هذا القطر على التمتع بالسلم والرخاء اللذين تمتع بهما مدة الاحتلال البريطاني منذ ثلاثين سنة

ولعلم بريطانيا العظمى بما للسلطان بصفته الدينية من الاحترام والاعتبار عند مسلمي القطر المصري فقد أخذت بريطانيا العظمى على عاتقها جميع اعباء هذه الحرب بدون ان تطلب من الشعب المصري أية مساعدة ولكنها مقابل ذلك تنتظر من الاهالي وتطلب اليهم الامتناع عن اي عمل من شأنه عرقلة حركاتها الحربية او اداء اي مساعدة لاعدائها

(ترجمة) (الامضاء)

٣ – المراسلات التي تبودلت بين جناب نائب المعتمد البريطاني وعطوفة رئيس مجلس النظار

الوكالة البريطانية في مصر
القاهرة في ٦ نوفمبر سنة ١٩١٤

الى صاحب العطوفة حسين رشدي باشا
رئيس مجلس نظار الحكومة المصرية

يا عطوفة الوزير

أتشرف بان ارفع لعطوفتكم مع هذا صورة المنشور الذي أصدره جناب قائد الجيوش البريطانية العام في القطر المصري

وترون عطوفتكم من هذا المنشور ان السلطة فيما تتعلق بالوسائل الحربية اللازمة للدفاع عن القطر المصري وبالتدابير التي يستدعيها هذا الدفاع اصبحت منحصرة في يد جناب القائد العام وان حضرات النظار لا يزال كل واحد منهم حافظاً للسلطة التي له في الامور الملكية الخاصة بنظارته

(ترجمة) ملن شيتهام

القاهرة في ٦ نوفمبر سنة ١٩١٤

الى جناب المحترم المستر ملن شيتهام
نائب معتمد دولة بريطانيا العظمى في مصر

يا جناب الوكيل

علمنا ما جاء في منشور جناب قائد الجيوش البريطانية العام في القطر المصري الذي بعثتم به الي

ونظراً لغياب سمو الجناب الخديوي الذي نستمد منه سلطتنا أتشرف بابلاغكم انا سنستمر انا وزملائي على ادارة اعمال نظاراتنا الملكية تجنباً للمضار التي تلحق البلاد اذا تعطلت حركة اداراتها الداخلية

رئيس مجلس نظار الحكومة المصرية
(ترجمة) حسين رشدي

اهم وقائع الحرب

(تابع لما في الجزء الماضي من الهلال)

في ٢٢ اكتوبر . اطلقت البوارج الانكليزية النار على الالمان في سواحل البلجيك واطلق الجيش الانكليزي الفرنساوي السدود حوالي الايزر

في ٢٣ منه . هاجم الالمان الحلفاء بين لا باسي والبحر بشدة عظيمة فتقهقر الحلفاء من لا باسي وتقدموا الى شرق ارمنتيار واقتربوا من اوستند . وعبر الروس نهر الفستولا

في ٢٤ منه . تقدم الالمان عند ديكسمود . واشتد القتال في غاليسيا فاسر الروس الفين من النمسويين واغرقت البارجة باجر الانكليزية غواصة المانية

في ٢٥ منه . حدثت موقعة شديدة بين نيوبورت وليس واجتاز الالمان نهر الايزر ولكنهم تقهقروا عند ليل

في ٢٦ منه . اطلق الالمان مدافعهم الضخمة على نيوبورت

في ٢٧ منه . تقدم الحلفاء بين الايبر ورولية . ومست باخرة انكليزية لغماً بقرب سواحل ارلندا فغرقت وغرق معها اربعة عشر نفساً

في ٢٨ منه . اسكتت مدافع البحر الانكليزية بطاريات الالمان وشتت الروس الجناح الايمن من جيش الالمان والنمسويين في بولندا . ودحر الجنرال بوثا الثائرين في جنوبي افريقيا واسر ثمانين وتوفي البرنس موريس باتنبرغ في ساحة الحرب

في ٢٩ منه . نقل الالمان مركز اعمالهم الحربية الى غنت . وشهرت تركيا الحرب على روسيا . واستعفى البرنس لويس اوف باتنبرغ من نظارة البحرية

في ٣٠ منه . اخلى الالمان ليل وتراجعوا عن الايزر لان البلجيكيين فتحوا السدود واغرقوا الاراضي . واطلق الاسطول العثماني المدافع على اودسا واغرقت البارجة امدن الالمانية طرادا روسياً ومدمرة فرنساوية في ميناء بنانغ

في ٣١ منه . مست النسافة هرمز لغماً في مضيق دوفر فغرقت

في اول نوفمبر . هجم نصف مليون من الالمان بامر الامبراطور لاخذ ابر ولكنهم ارتدوا واطلقت البارجة جوبن النار على مينا سباستبول

في ٢ منه . تقدم الحلفاء الى جنوبي ديكسمود واوصدت نظارة البحرية الانكليزية بحر الشمال في وجه السفن التجارية

في ٣ منه . بدأ الاسطول الانكليزي الفرنساوي بضرب حصون الدردنيل .

واعلنت الاحكام العرفية في مصر

في ٤ منه . حدثت موقعة بحرية بين بعض السفن الحربية الانكليزية والالمانية بقرب شيلي في بحر الباسفيك وكان النصر فيها للسفن الالمانية . واحتل الروس مدينة يالا في بروسيا الشرقية واسروا ١٥٨٠٠ من النمسويين في بولندا

في ٥ منه . استعد الالمان لهجوم عام جديد على الايزر

في ٦ منه . نقل الالمان جنودهم من السواحل الى الايزر وشرعوا يطلقون القنابل على اراس مرة اخرى . واعلن الغراندوق نقولا ان الروس انتصروا في غاليسيا

في ٧ منه . سلمت مستعمرة تسنغ تاو الالمانية الى اليابانيين

في ٨ منه . القى الطيارون الالمان قنابلهم على دنكرك وحجزت حكومة الولايات المتحدة على البارجة جاير في هونولولو ونزعت سلاحها

في ٩ منه . انهال سيل الروس على بروسيا الشرقية واستولوا على السكة الحديدية في حولداب

في ١٠ منه . اغرق الطراد الاوسترالي « سدني » البارجة امدن الالمانية وعطل الطراد شتهام الانكليزي الطراد كونجسبرج الالماني وحصره في مياه افريقيا الشرقية

في ١١ منه . استولى الالمان على ديكسمود وتقدموا في جوار الايزر . ونسفت المدفعية « نيجر » الانكليزية في مضيق دوفر

في ١٢ منه . تقدم الروس حتى اصبحوا على بعد ٢٥ ميلا من ارضروم وشتتوا شمل الاكراد . وضرب الاسطول الروسي زونغلداق من الثغور العثمانية واغرق اربع نقالات للاتراك . واحرق الالمان مدينة ايبر بمدافعهم الضخمة

في ١٣ منه . عطلت حصون سوارمبي الروسية الطراد برسلو الالماني (التركي) وتقهقر الالمان والنمسويون على طول خط القتال في بولندا

في ١٤ منه . استولى الروس على ميخوف في اثناء زحفهم على كراكو واحتلوا مدينة كوبري كوي بقرب ارضروم

في ١٥ منه . دمر الالمان مدينتي مركيم واكس

في ١٦ منه . انتصر الروس على الالمان في سولدو . وايد خبر انتصار الصرب على النمسويين في سمندريا

في ١٧ منه . حمي وطيس القتال على حدود بروسيا الشرقية ولا سيا بين نهري فستولا ووارتا وتقهقر الالمان على طول خط القتال . ودمر اسطولا انكلترا وفرنسا بعض حصون الدردنيل

في ١٨ منه . التحم الانكليز وفرقة الحرس البروسياني في معركة هائلة عظمت فيها خسارة الالمان . واستأنف الالمان اطلاق المدافع على ريمس واحتلوا ديكسمود ثانية

في ١٩ منه . استأنف النمسويون اطلاق المدافع على بلغراد . وصلت نجدات هندية جديدة الى مرسيليا . وتقدم الالمان ميلين في حربهم مع الروس

في ٢٠ منه . اضطر الالمان للجلاء عن ليل

ضم جزيرة قبرس

في اوائل الشهر الفائت ضمت انكلترا جزيرة قبرس الى املاكها وكانت قد احتلتها بموجب اتفاق بينها وبين تركيا . وهاك مواد هذا الاتفاق (١) تؤلف في الجزيرة محكمة رئيسية اسلامية تنظر في الدعاوي المذهبية فقط (٢) يتولى مندوب عثماني ومندوب انكليزي ادارة الاوقاف والمدارس الاسلامية والمساجد وغيرها مما له علاقة بالدين (٣) تقدم انكلترا الى الباب العالي حساباً عن زيادة دخل الجزيرة عن حاجة الادارة (٤) يتصرف الباب العالي بدخل املاك الحكومة والاوقاف بما يراه موافقا (٥) يكون لانكلترا حق نزع الملكية للاشغال النافعة (٦) تخلي انكلترا جزيرة قبرس اذا اعادت روسيا الى الباب العالي القرص والاراضي التي اخذتها

هذا وقد كانت قبرس تدفع الى الباب العالي جزية سنوية قدرها ٩٢٧٤٦ جنيهاً

القومسيرية العثمانية في مصر

أقفلت القومسيرية العثمانيـة في مصر فابحر موظفوها من الاسكندرية ذاهبين الى الاستانة . وقد استعملت السلطة العسكرية البريطانية في مصر والاسكندرية منتهى الرقة والذوق في اخراجهم من مصر فكلفت جنودها مساعدتهم في نقل امتعتهم وصناديقهم وخصتهم بصالون خاص لركوبهم من مصر الى الاسكندرية

المسألة الالبانية

روت الانباء البرقية ان ايطاليا انزلت بعض العساكر في أفلونا لاحتلال البانيا مؤقتاً . ويظهر انها فعلت ذلك بموافقة الدول وذلك لوضع حد للقلاقل والفتن التي اجتاحت بلاد البانيا مدة من الزمن . وسيقوي هذا الاحتلال نفوذ ايطاليا بقدر ما يضعف من نفوذ النمسا

عظمة السلطان حسين الاول

سيرته وأعماله ومناقبه

يصدر هذا الجزء من الهلال . ومصر رافلة بحلة جديدة من اليمن والاقبال . في ظل الحضرة السلطانية . وتحت رعاية الدولة البريطانية . فقد بدأت البلاد منذ الشهر الفائت بعصر جديد وعيش رغيد وأصبحت متمتعة بما كانت تتعلل به منذ عهد بعيد

ولما كان الهلال موقوفاً منذ أول نشأته على خدمة هذه البلاد خاصة والناطقين بالضاد عامة فلا يسعه الا ان يضم صوته الى صوت هذا الوطن أجمع بالدعاء لعظمة السلطان حسين كامل الذي تبدأ مصر في ظله بعصر ذهبي ترعاه عين الحماية البريطانية. فلتهنأ البلاد بولي نعمتها ولينعم بال بنيها الرافلين بحلل الامن والسلام

هذا وقد رأينا ان ننشر هنا سيرة الحضرة السلطانية من عهد الامارة الى عهد السلطنة وان تكن تلك السيرة منقوشة على قلوب الجميع . ويجد القارىء في باب تاريخ الشهر من هذا العدد الاعلانات والمفاوضات الرسمية التي آلت الى هذا العهد الجديد

نشأته وتربيته

ولد صاحب العظمة السلطان حسين الاول في مصر في ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ (الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٥٣) وهو الابن الثاني لاسماعيل باشا . بدأ يدرس العلوم واللغات منذ السابعة من عمره في المدرسة التي انشأها والده في سراى المنيل . ولما نقلت هذه المدرسة الى القلعة انتقل اليها مع رفاقه . ثم فتحت المدارس الاميرية فنقلوا من القلعة وجعلوا فصلاً تجهيزيا فيها ثم نقلوا كلهم الى الاسكندرية

وفي أواخر سنة ١٨٦٧ توجه عظمته مع أخيه المرحوم حسن باشا الى الاستانة فقابلا المرحوم والدهما ثم سافرا الى باريس . اما البرنس حسن فتوجه الى لندن ومنها الى جامعة اكسفرد لطلب العلم فيها . وأما عظمة السلطان حسين فاقام في باريس في بلاط نابليون الثالث وكان رفيق ولي العهد في الجد وفي اللعب

ولما احتفل بفتح قنال السويس سنة ١٨٦٩ عاد السلطان حسين الى مصر وعين مهمنداراً مع المرحوم رياض باشا بمعية الامبراطورة أوجيني قرينة نابليون الثالث وبعد انتهاء الاحتفال سافر بمعيتها الى الصعيد حتى كروسكو

ولما عزم على العودة الى باريس توجه الى فلورنسا عاصمة ايطاليا حينئذ لقضاء مهمة فيها وكان بمعيته المرحوم مصطفى باشا فهمي فنزل ضيفاً على الملك عمانوئيل . ثم سافر الى باريس لاتمام دروسه وأقام فيها الى وقوع الحرب السبعينية



عظمة السلطان حسين بملابسه المدنية

وبعد رجوعه من اوربا سنة ١٨٧٢ احتفل والده المغفور له الخديوي اسماعيل بافراح انجاله الثلاثة الكبار وهم توفيق وحسين وحسن احتفالا شائقاً في القصر العالي جمع من الفخامة والعظمة ما ذكر بحوادث الف ليلة وليلة . وقد سمي احد الشوارع بقرب القصر العالي باسم شارع افراح الانجال (ولايزال الى اليوم بهذا الاسم) تخليداً لذكرى

ذلك اليوم . وفي ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥) رزق السلطان حسين نجلاً كريماً هو البرنس كمال الدين الذي ذهب فيما بعد الى فينا لتلقي المعارف بمدرسة التريزيانوم الشهيرة

حياته الادارية

وبعد رجوعه الى مصر عين مفتشاً عاماً لاقاليم الوجهين البحري والقبلي وجعل مركزه الرسمي طنطا فبدأ منذ ذلك الحين يتعرف الى رجال القطر ويدرس احواله . وفي ٢٢ جمادى الثاني سنة ١٢٨٩هـ (٢٦ أغسطس ١٨٧٢) عينه والده الخديوي اسماعيل ناظراً للمعارف والاوقاف (وقد كانتا حينئذ متحدتين تحت ناظر واحد) وللاشغال العمومية . وقد خلف في نظارة المعارف مآثر كثيرة في سبيل التعليم الوطني مع قصر المدة التي مكثها فيها . من ذلك انه وضع جوائز للتلاميذ من شأنها ان تبعث فيهم روح العمل والاجتهاد

لكنه لم يكمل السنة في وزارتي المعارف والاوقاف . ففي ٢١ جمادى الثاني سنة ١٢٩٠ (١٤ اغسطس سنة ١٨٧٣) تخلى عن منصب ناظر المعارف والاوقاف فخلفه صديقه الوزير الكبير رياض باشا وتولى هو منصب نظارة الداخلية ولكنه لم يلبث فيها الا ثلاثة أشهر مع بقائه ناظراً للاشغال العمومية

وقد كان ساهراً على مصلحة البلاد سهر الأب على ابنه فهو الذي اقام على ضفاف النيل بمصر الجسور المتينة (سنة ١٢٩١ هـ اي سنة ١٨٧٤) وصانها عامئذ من الطوفان الذي كان يتهددها لان النيل كان قد بلغ اذ ذاك ستاً وعشرين ذراعاً ونصف ذراع بمقياس الروضة وطغا على مصر العتيقة والقصر العالي والقصر العيني لكنه لم يضر بهما اذ كانت الاحتياطات التي اتخذها عظمته حاجزاً منيعاً فردعت تيار المياه وحفظت البلاد من التلف . وبلغ من اهتمامه في هذا الشأن انه انشأ في قصره مكتباً خاصاً للتلغراف ليقف في جميع ساعات النهار والليل على حالة النيل ولكي يصدر الاوامر التي تقتضيها الحال

ثم تولى بعدئذ وزارة الحربية مع محافظته على نظارة الاشغال . وفي ذلك العصر كان السودان المصري وسلطنة دارفور تابعين لنظارة الجهادية المصرية من حيث الادارة الملكية والعسكرية وقد كتب الله لشبل ابي الفدا اسماعيل الجليل شرفاً ليس بعده من شرف فهو الذي تم في عهده توسيع نطاق الحدود المصرية من الجهة الجنوبية توسيعاً لم يحلم به الفراعنة ولا من أتى بعدهم من الملوك والسلاطين الذين تعاقبوا على وادي النيل . فقد افتتح القائد المصري رؤوف باشا بلاد هرر ثم توغلت جنود مصر حتى وصلت بفتوحاتها الى رأس الاسير المعروف في كتب الجغرافية الافرنجية باسم رأس غاردفوى على المحيط الهندي واستمرت في تقدمها جنوباً حتى رفعت الاعلام الوطنية على

خط الاستواء . ولم تصل مصر في عصر من الاعصار الى مثل هذا التوسع في الفتح والاستعمار

على ان هذه الهمة العالية لم تقف عند هذا الحد البعيد من النجاح بل عادت الى الشمال وتخطت البحار فظهرت آثارها في مساعدة الدولة العثمانية مرتين : أولاً بارسال نجدة من جنود مصر الى بلاد البوسنه والهرسك عند حدوث الفتنة فيها سنة ١٨٧٧ وثانياً بارسال الحملة المؤلفة من ٢٥٠٠٠ جندي مصري تحت رئاسة أخيه القائد العام المغفور له الامير حسن باشا لمساعدة الجيوش التركية في محاربة روسيا في السنة المذكورة

هذا وان شغف عظمته بتعميم التعليم بين جميع طبقات الامة المصرية قد حداه إلى تأسيس مدارس الاحداث العسكرية في القاهرة والاسكندرية . ومن مآثره انه امر بانشاء السكة الحديدية في ميدان محمد علي تحت القلعة الى حلوان . وقد افتتح عظمته هذا الخط رسمياً في ٧ محرم سنة ١٢٩٤ هـ اي في ٢١ يناير سنة ١٨٧٧

وفي ٢ مايو سنة ١٨٧٥ تقلد نظارة البحرية فضلاً عن نظارتي الحربية والاشغال . وفي ١٠ نوفمبر سنة ١٨٧٦ تولى نظارة المالية وترك نظارتي الاشغال والحربية فتولى الاولى الامير حسن باشا والثانية الامير ابراهيم باشا شقيقا الامير حسين . ثم ان الامير حسن باشا ترك الوزارة في سنة ١٨٧٧ وذهب على رأس الحملة المتقدم ذكرها لمساعدة الدولة في الحرب الروسية فعاد عظمته الى وزارة الحربية مع محافظته على وزارة المالية

وفي السنة التالية تكون مجلس النظار على شكله الحالي فلم يدخل فيه احد من امراء الاسرة الخديوية

مآثره ومناقبه

ولم يلبث حتى استقال والده المغفور له اسماعيل باشا وبرح من القطر المصري قاصداً نابولي بايطاليا فرافقه واقام معه هنالك بضع سنوات ثم عاد الى مصر ومن ثم زار الاستانة مرات كثيرة وقابل السلطان عبد الحميد . ولما رأى والده منه الخبرة التامة باحوال الزراعة مع حسن الادارة عهد اليه في ادارة الاراضي والاملاك التي استبدلها بمعاشه فقام بشؤونها وادارة زمامها خير قيام

وبالنظر لاستعداده الادبي وطول باعه في المعارف واصالة رأيه وكل اليه المغفور له اخوه الخديوي توفيق ملاقاة كل من سمو البرنس دي غال ولي عهد انكلترا (الملك ادوار السابع) الذي قدم الى مصر في خلال سنة ١٨٨٩ وسمو الغراندوق نقولا ولي عهد روسيا (امبراطورها الحالي) الذي جاء مصر في اواخر سنة ١٨٩٠ فقام بهاتين المهمتين

خير قيام استوجب سرور المغفور له الخديوي السابق وشكر الاميرين المشار اليهما

وقد رأس عدة جمعيات اجنبية مصرية كشركة سكة حديد الدلتا والشركة البلجيكية وشركة نيواجبشن وغيرها ثم استعفى من هذه الشركات وحصر همته في ترقية الامور الزراعية والاقتصادية وجعل يقضي أشهر الصيف متنقلاً في البلاد الاوربية باحثاً في امورها الزراعية والاقتصادية موجهاً عنايته الى انشاء النقابات الزراعية لاعتقاده انه لا نجاح للمزارع المصري الا بتأليفها

ومن صفاته الادبية ما اشتهر عنه من شدة الذاكرة والرفق باخصائه ومحبة الصادق الامين والميل الى مجالسة العلماء والادباء والى اسداء المبرات وبذل الجهد في خدمة المصلحة العامة الوطنية ولا سيما المصالح الزراعية لانه كان ولا يزال عضداً لكل مشروع يترتب عليه نجاح الزراعة المصرية وتقدمها حتى انه لقب بابي الفلاح . وحسبنا شاهداً على رغبته وشدة حميته في السعي وراء ارتقاء الزراعة وتوسيع نطاق انواعها معارض الازهار والاشجار والاثمار التي اقامها في حديقة الازبكية بمصر وفي حديقة طوسون باشا بالاسكندرية ليبث روح الغيرة والحمية في افئدة المزارعين . وقد نالت هذه المعارض من النجاح وحسن النظام والاتقان ما اجمع الالسنة على مدح دولته والثناء على همته العالية

ومن مآثره الجليلة ايضاً تأسيس الجمعية الخديوية الزراعية سنة ١٨٩٨ التي ما برحت منذ تأسيسها تعمل على معاونة الفلاح المصري

ومنها ايضاً المدرسة الصناعية في دمنهور فعظمته من اكبر أصحاب الاملاك في مديرية البحيرة وقد اراد ان يجمع بين الزراعة والصناعة

وقد تنازل حفظه الله وتقبل رئاسة الجمعية الخيرية الاسلامية منذ سنة ١٩٠٦ الى هذه الساعة وأنفق على ترقية شؤونها كثيراً من ماله ومن وقته الثمين فكان لها من غرر اياديه ما جعلها في الحالة التي وصلت اليها

وحينما تضعضعت احوال جمعية الاسعاف توجهت اليه الانظار فتداركها بهمته الفائقة من الاخطار التي كانت محدقة بها فما لبثت الجمعية حتى عادت اليها الحياة

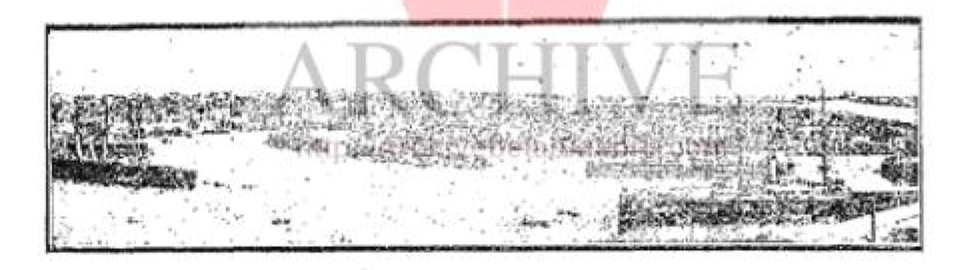
ولم ينس القراء المدة التي تولى فيها عظمة السلطان رئاسة مجلس شورى القوانين من يناير سنة ١٩١٠ الى مارس سنة ١٩١٠ واعجاب الناس بهمته وسعيه المتواصل لفلاح البلاد

وخاتمة المقال ان عظمة السلطان قد وقف حياته على خدمة الامة المصرية فلا غرو ان يكون سرورها عظيماً بعد ان رأته جالساً على عرش اجداده الفخم

جزيرة مالطة

تاريخها وحالتها الحاضرة

اشتهرت جزيرة مالطة في هذه الايام لان الحكومة البريطانية جعلتها معقلاً أبعدت اليه الالمانيين والنمسويين والاتراك . وليس في العالم كله جزيرة طرأ عليها من الانقلابات السياسية والعمرانية ما طرأ على هذه الجزيرة فقد كانت معروفة منذ أقدم العصور وذكرها الكثيرون من قدماء المؤرخين . وقد زعم البعض ان هوميروس الشاعر اليوناني العظيم ذكرها في قصائده الخالدة . على ان أقدم اشارة تاريخية واضحة لدينا عن هذه الجزيرة ترجع الى المئة الثالثة عشرة قبل الميلاد وذلك اذ انشأ فيها الفينيقيون مستعمرة وكانت الجزيرة يومئذ تسمى مليطة . وفي سنة ٧٣٦ قبل الميلاد انتقلت الى حوزة اليونان وبقيت في أيديهم حتى القرن الخامس اذ استولى عليها القرطاجنيون ثم جاء بعدهم الرومان فانتزعوها من أيديهم في سنة ٢١٢ قبل الميلاد



ميناء فالتة (عاصمة مالطة) وفيه السفن الحربية

وقد كانت مالطة في ذلك الزمن ملجأً لكثير من القرصان (لصوص البحار) ولا سيما بعد انقراض الدولة الرومانية وانتشار سلطة الفندال في أوربا . وجاء في سفر الاعمال من العهد الجديد ان بولس الرسول نزل بمالطة (حوالي سنة ٥٦ او ٥٨ للميلاد) وهو ذاهب في طريقه الى رومية ليرفع دعواه الى القيصر طيباريوس . ويؤخذ من التقاليد انه لما بلغ تلك الجزيرة نزل في موضع لا يزال يعرف حتى هذا اليوم باسم خليج القديس بولس . ويقال ان أهل الجزيرة تنصروا يومئذ على يده وفي مقدمتهم حاكم الجزيرة المسمى بوبليوس . وهنالك اليوم كاتدرائية مالطة القديمة ويقال انها مبنية في الموضع الذي كان فيه منزل ذلك الحاكم

وظلت الجزيرة في قبضة البيزنطيين الى ان ثار عليهم السكان لشدة ظلم الحكام . واتفق ان غزا العرب الجزيرة بقيادة محمد بن احمد الاغلب الملقب بابي الغرانيق فساعده سكان الجزيرة على احتلال بلادهم لشدة كرههم للبيزنطيين . وقد احسن العرب معاملة أهل مالطة لما أبدوه لهم من المساعدة فعاملوهم باللين وأطلقوا لهم حريتهم الدينية.

وظلت الجزيرة بيد العرب نحو قرنين من الزمن حتى ظهر الامير روجر النورمندي فاستردها منهم وألحقها بجزيرة صقلية . وبقيت كذلك نحو سبعين سنة . ولما تزوج القيصر هنري السادس (ملك جرمانيا) ولية عهد صقلية في منتصف القرن الثالث عشر دخلت مالطة في حكمه

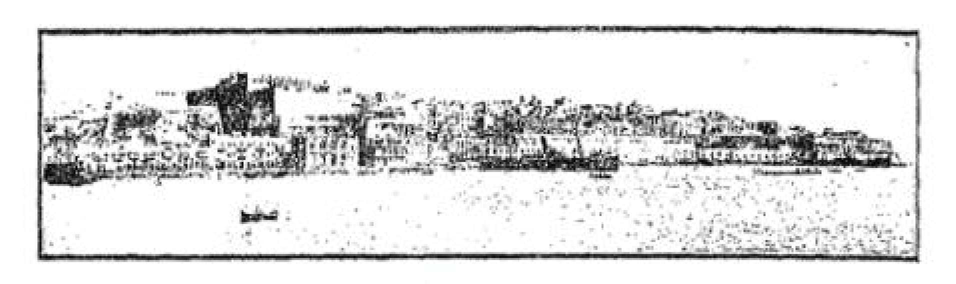
وجاء بعد ذلك أحد الاراغنة وهو الامير بطرس الشهير فاستولى على الجزيرة وحكم عليها مدة من الزمن . ولما توفي آل أمرها الى كارلوس ملك صقلية فولّى عليها الفرسان المعروفين بفرسان مار يوحنا وذلك بعد طردهم من جزيرة رودس . واشترط اعادتها الى الاراغنة فيما لو تركوها . وكان هؤلاء الفرسان يعيشون على الغزو والحرب

وفي منتصف القرن السادس عشر شن عرب أفريقيا الغارة على جزيرة مالطة فصدهم الفرسان بقيادة رجل انكليزي يسمى ابتون ، فوجه العرب قواهم الى جزيرة غوزو أو غودش وهي جزيرة الى شمالي مالطة وتعتبر جزءاً منها

خارطة جزر مالطة وغوزو وكوميتو

وفي سنة ١٥٦٥ جرد السلطان سليمان القانوني جيشاً كبيراً لفتح مالطة وسلم قيادته الى رجلين يسمى أحدهما وياني والاخر مصطفى وأوصاهما أن لا يباشرا بالحرب قبل أن

يوافيهما القائد الاكبر مع الجزائريين . غير ان رفيق مصطفى خالفه في الرأي ولم يشأ أن ينتظر بل هاجم الفرسان وأهل مالطة وكان عددهم نحو تسعة آلاف مقاتل بقيادة رجل يدعى فاليت وهو الذي بنى مدينة فاليته بمالطة وسماها باسمه . فانكسر عساكر الاتراك وانهزموا شر هزيمة . وكان من جراء ذلك ان الفرسان اشتهر اسمهم في أوربا فاقبل كثيرون من اشراف الافرنجة على الانخراط في سلكهم



منظر فالتة من البحر وفي اعلاه قلعتها

وفي سنة ١٧٢٢ ثار اسرى الاتراك على الحكومة وحاولوا أن يقلبوا نظامها ولكن أولياء الامور تداركوا الشر فاخمدوه وعاقبوا الذين اضرموا نار الثورة أشد عقاب

وفي سنة ١٧٧٥ ثار الرهبان على الحكومة فعهدت الى أحد الفرسان واسمه روحان ليفاوضهم ويسعى لتسكين ثائرهم . فافلح وأقنع الثائرين بالخضوع. ولما مات حصل خلاف على خليفته ثم اختاروا فارساً المانياً اسمه فردريك هوميش وكان انقراض دولة الفرسان على يده

وفي أواخر القرن الثامن عشر أي في سنة ١٧٩٨ استولى نابوليون على جزيرة مالطة ووضع فيها حامية بقيادة فوبوا ونهب الكنائس ونفى الرهبان وعزم على ارسال ثلاثين شاباً من أهالي مالطة كل سنة الى فرنسا لتلقي العلوم في مدارسها . على ان أهالي الجزيرة لم يكونوا راضين عن جيش نابوليون بسبب نهب الكنائس وسلب آثارها القديمة فكانوا يتحينون الفرص للانقضاض على الفرنسويين . وشجعهم على الثورة قدوم الاسطول الانكليزي بقيادة الاميرال نلسون الشهير الذي حاصر الجزيرة واخذها ثم اقام الكبتن بول حاكماً عليها وهو اول حاكم انكليزي على مالطة

وفي سنة ١٨٠٢ ابرمت معاهدة اميان الشهيرة فتعهدت انكلترا بموجبها ان ترد الجزيرة الى فرنسا . ولكن الاهالي عارضوا في ذلك لانهم كانوا ينفرون من الفرنسويين ويفضلون حكم الانكليز . فافضى ذلك الى حرب ثانية بين انكلترا وفرنسا انتهت بفوز

الانكليز وبضم مالطة الى املاكهم نهائياً وذلك بموجب معاهدة باريس سنة ١٨١٤ أي منذ مئة عام ولا تزال في قبضتهم حتى هذا اليوم

هذا ملخص تاريخ مالطة . اما عدد سكانها فقد بلغ نحو خمسة وعشرين الفاً في هذا العام . وتبلغ مساحة الجزيرة نحو تسعين ميلاً مربعاً وبالقرب منها جزيرة غوزو المشار اليها آنفاً وتبلغ مساحتها نحو عشرين ميلاً . وعلى مقربة منها جزيرة اخرى صغيرة تسمى كمونة لا تكاد تزيد مساحتها عن ميل واحد وفيها محاجر صحية ومواني‌ء طبيعية امينة . واكبر مواني‌ء مالطة مرفأ فاليتة وهو كبير جدًّا وفيه ترسانة تبنى فيها البوارج الصغيرة . وهناك أيضاً خليج مليحة وخليج القديس بولس الذي اشرنا اليه . وخليج القديس جوليان والقديس توماس وهلم جرًّا . والى الجنوب الغربي من الجزيرة مراسٍ اخرى اشهرها ميناء فم الريح ومجيارو وغيرها من المواني‌ء التي اشتهرت في حروب نبوليون .

وقد اقتضى نشوء البواخر والسفن الحربية الكبرى توسيع ميناء مالطة لتستطيع الرسو فيه فبنت الحكومة الانكليزية سوراً في البحر انحنى الميناء معه واسعاً جدًّا

﴿ مدن مالطة ﴾ اما مدن مالطة فاهمها فالية التي اشرنا اليها وهي قاعدة الجزيرة ولها ميناء كبير لا تخلو منه السفن والمراكب البخارية على انواعها . ومن اشهر ابنية المدينة كاتدرائيتها الكبيرة والمرسح (اوبرا) جميل وفنادق عديدة . وفي هذه المدينة مدافن فرسان مار يوحنا الذين اشتهر امرهم في التاريخ . والمدينة محاطة بحصون عديدة بعضها قديم والبعض الاخر حديث وكلها مشرفة على الميناء

ويلي مدينة فالية في الاهمية مدينة فلوريان وسنجليه . ثم مدينة فتوريوز أي المنصور (وقد بنوها تذكاراً لانتصارهم على الاتراك) ومدينة كوسيسكو وستافاليا وسلبم وغيرها من المدن العامرة بالسكان والمتاجر

﴿ لغة مالطة ﴾ وقد اشتهر عن مالطة ان لغتها خليط من العربية والايطالية وغيرها من لغات الامم التي احتلتها . ويزعم البعض انها فينيقية وغيرهم انها عربية وانما فسدت بمرور الزمن وبما دخل عليها من الالفاظ الاعجمية المختلفة . وقد نشرت احدى الرصيفات نموذجاً من لغة المالطيين فاحببنا ايراده هنا على سبيل التفكهة . فمن ذلك قولهم : —

سبـار النير دقوا ترميتـه حانيني عاد وما جيش
« اطلقوا المدافع ونفخوا بالبوق » « وحبيبي الآن لم يحضر »

قضيت العونلا مرت افتشو لـيبو حوجر شبيت
«لبست العباءة وخرجت أفتش عليه» «وجدته جالساً في حضن شابة»

غيره

بينا نحبو وانت تحبني حلى لمك ويامعي
حل ترى من هو الحيار بينا نطعمك البسكوتيني
ورقدك فوق الطيار

غيره

المحبوب تاقلبي سافر ليلي ونهاري نبكيح
جعلتلو بدموعي البحر وبالتنهدات تاقلب الريح

غيره

بينا اشتقت نجي فوق ـدتك نجي شبيهة تاعصفور
نطفي المصباح بجوانحي نعطيك بوسه ونرجع نمور



البرت وغليوم

غليوم — انظر لقد فقدت كل شيء
البرت — الا الشرف !

اسرار البلاط الالماني (٢)

اخبار وثيقة عما في قصور المانيا

ملخصة عن مذكرات لاحدى سيدات الشرف في قصر غلبوم

المعيشة العائلية

في ذات يوم من شتاء سنة ١٨٩٢ اذ كان البلاط قد عاد الى برلين كلفتني الكونتسة بروكدورف ان اعتذر عنها الى جلالة الامبراطورة لعدم تمكنها من الحضور لتناول الفطور . فبلغت ذلك الامبراطورة فقالت لي باستياء « لها ان تتغيب اذا شاءت ولا اشهى الي من ان تفعل كذلك هي وجميع افراد الحاشية على مدار السنة كلها ! »



امبراطورة المانيا

واذ كنت انا من افراد الحاشية ساءتني عبارة الامبراطورة ولم احتملها فقلت لها : « اذا كانت جلالتك تتكلمين بجد فائذني لي ان اقدم استقالتي ولا اشك ان جميع افراد الحاشية يفعلون مثلي اذ يظهر اننا قد استوجبنا سخط جلالتك بوجه من الوجوه »

فقالت بنغمة الندامة : « كلا . كلا اني اودك واود الجميع . ولكن أليس من العدل

ان يجالسني زوجي على مائدة الاكل بدلا من ان يجالس الكونتسة بروكدورف التي لم تعتذر لتخلفها عن الحضور الى مائدة الفطور الا لكي تتفرغ لمرافقة الامبراطور ، ولقد التمست من جلالته مراراً عديدة ان يتناول الطعام ولو مرة واحدة فقط معي ومع الاولاد كل يوم وكم ذكّرته بالمعيشة العائلية السعيدة التي كان يتمتع بها ابوه اذ كان يجلس هو وجميع اولاده وزوجته الى مائدة واحدة وتجلس الحاشية الى مائدة اخرى . اما زوجي الامبراطور فلا يريد ان يسمع شيئاً من هذا القبيل بل يقول ان تشبيه بلاطه ببلاط ابيه ادعى الى السخرية من تشبيه بلاط احد الامراء الصغار ببلاط لويس الرابع عشر »

فقلت لها : « ولكن حتى نفس لويس الرابع عشر يا مولاتي لم يأذن لاحد غير افراد العائلة المالكة بالجلوس معه الى مائدة الاكل »

فقالت جلالتها بتلهف : « اصحيح ما تقولين يا كونتسة ؟ وما دليلك على ذلك ؟

فقلت : « دليلي على ذلك مذكرات شارلوت اليزابت دوقة اورليان . وربما كان شيء من ذلك في رسائلها الى ملكة بروسيا وجميعها محفوظة عندنا »

فشكرتني جلالتها على ذلك وقالت : « سامر زوجي ان يراجع تلك المذكرات والرسائل . فارسلي واستدعيه في الحال عند خروجك من هنا . ولكن . . . »

ثم انقلبت سحنتها وقالت : « ترى هل يهم جلالته بهذه المسئلة ، انه متصلب برأيه ويزعم انه يجب ان يجعل كل غداء او عشاء حفلة من حفلات البلاط الرسمية »

ولا شك ان جلالتها كانت محقة في شكواها فان تناول الاكل في بلاط الامبراطور عبارة عن حفلة رسمية يرأسها المارشال (التشريفاتي) البارون فون لينكر او الهر فون اجلفشتين ويحضرها سيدتان من البلاط والكونتسة بروكدورف واحد حجاب الامبراطور والامبراطورة فضلاً عن افراد الحاشية من ذوي الالقاب المعينة . ولذلك كثيراً ما يجتمع حول مائدة جلالتيهما نحو عشرين ضيفاً

ومن القواعد المرعية في البلاط ان يقدم لجلالة الامبراطورة في كل صباح قائمة باسماء الضيوف الذين سيُدعون للاكل وذلك لكي تلبس الامبراطورة الثياب اللائقة . على ان الامبراطور كثيراً ما يجلب معه على غير انتظار بضعة من اقطاب المملكة ممن لم يرد ذكر اسمهم في القائمة . وهذه المباغتة مصدر تعب كبير للطباخين والقائمين باعداد الاكل . ولا ينحصر هذا التعب في تكبير مائدة الاكل فقط بل في ترتيب الضيوف حول المائدة . وذلك الترتيب يكون باعتبار الرتبة والاوسمة والوظيفة وهلم جرا . والمشهور

عن جميع الولائم في البلاط ان افراد العائلة المالكة والضيوف يكونون اشبه بالتماثيل البكماء منهم بالخلائق الحية فلا يفوه احدهم ببنت شفة الا اذا آنس من الامبراطور تشجيعاً على ذلك ودعوة للكلام

والظاهر من ادلة عديدة ان الامبراطور يفضل رجال الحرب من ضيوفه على جميع من سواهم . وجميع رجال البلاط يعرفون هذا تمام المعرفة . قالت لي جلالة الامبراطورة مرة : « انني اخاف ان جلالته لا يهتم بالاولاد حتى يبدأوا بحياتهم العسكرية » . فحاولت ان ابين لها بكل لطف ان جلالته يهتم باولاده كما يهتم بالمملكة كلها . على انني معتقدة سراً ان مطامع الامبراطور العسكرية لم تبق في قلبه مجالاً لمحبة زوجته واولاده كما ينتظر من أب عائلة

غيرة الامبراطور

ولا يجب ان يفهم من هذا ان الامبراطور قليل الاكتراث بالامبراطورة بل هو شديد الغيرة عليها ولا يأذن لاحد ان يحدق بصره فيها ولا سيما اذا كانت عارية العنق واعلى الصدر (ديكولته) يدلك على ذلك الحكاية الآتية : وهي انه في ذات صباح من شهر ديسمبر سنة ١٨٨٩ كان الامبراطور ذاهباً الى ديسو وقد رفض ان يصحب الامبراطورة معه فابت الى غرفتها حزينة مستاءة وعمدت الى رواية جعلت تقرأها على نور مصباح . وبينما هي تقرأ بسكوت سمعت وقع اقدام عند باب غرفتها فخفق فؤادها وزعمت أولا ان الامبراطور قد عدل عن الذهاب منفرداً وعاد ليصحبها معه . ولكنها لم تلبث ان رأت ان المفاجيء كان احد الخدم وكان يحمل وقيداً لغرفة جلالتها . فصرخت الامبراطورة صوتاً مزعجاً واخذت تضرب اجراس غرفتها بشدة عظيمة فما هي طرفة عين حتى اجتمع جميع الخدم والحشم واهل البلاط وكل منهم يزعم ان مصيبة عظيمة قد نزلت بجلالتها . ولا تسل عن الهرج والمرج العظيمين في تلك الساعة حتى كان يخيل للواقف أن الساعة قد قامت . وكانت الامبراطورة مستلقية على مقعد نصف مغمى عليها وصدرها يرتفع وينخفض . ولما عاد اليها شيء من السكوت صاحت : « ان لصاً او احد الخدم قد استباح غرفتي . يجب ان ينظر في امره حالا ويخبر الامبراطور بدون امهال . ليوقف المفاجيء ويسلم الى القضاء ! »

فقال احدهم : « ان اطلاع جلالته على هذه الحادثة قد يحدث فيه تأثيراً سيئاً يا مولاتي »

فعزمت جلالتها ان تأخذ رأي مستشارتها الكونتسة بروكدورف

واتفق انني كنت ساعتئذ في غرفة الكونتسة . فجاءت احدى الوصيفات واطلعتها على ما جرى . فبغتت الكونتسة وقالت : « اصحيح هذا الامر ? اذا بلغ مسامع الامبراطور فقدنا وظائفنا »

فقلت : « ربما كانت جلالتها في حلم فقد اكلت طعاماً بارداً على غير عادتها »

فقالت الوصيفة : « لا ليست الامبراطورة في حلم فان آخرين ايضاً سمعوا وقع اقدام الرجل المفاجيء »

وفي تلك الدقيقة دخلت مدام فون لاريش (مديرة امور القصر) وسألت ما الخبر فان الضجة كانت لا تزال على اشدها . فاجابتها الكونتسة : « ابقي هنا قليلاً ريثما اذهب واستطلع حقيقة الخبر » . ثم ذهبت وعادت بعد نحو ربع ساعة وقالت لمدام فون لاريش : « ان جلالة الامبراطورة في استياء شديد وهي تأمرك باخذ كل امتعتك والانصراف من القصر حالاً »

فظهر الاستياء على محيا مدام لاريش وقالت : « انني اود ان اعلم السبب يا كونتسة »

فقالت : « انني أمرت من جلالتها ان ابلغك هذا الامر ففعلت »

وخطر لي اذ ذاك ان اتوسط بين السيدتين لان كلاً منهما وقفت امام الاخرى وقفة عدو لدود . وكان اهل القصر يعلمون انهما عدوتان احداهما للاخرى . على انني بعد ترو قليل عدلت عن فكرة التوسط . ثم شرحت الكونتسة المسئلة لمدام لاريش فلم تر هذه بداً من الخضوع للاقدار فخرجت في تلك الليلة من القصر ومعها بضعة من الخدم والحشم . وقد كان من نتيجة ذلك ان الامبراطور اصدر اوامر مشددة بمنع الخدم من الدنو من غرفة الامبراطورة وكثيراً ما تضطر جلالتها لقضاء بعض حاجاتها بيدها

مدام اربت والامبراطور

واتفق في نحو ذلك الزمن انه وقع شيء من النفور بين الامبراطور والمسيو اربت سفير فرنسا في برلين . وسبب ذلك ان المسيو جرانسيه الملحق بالسفارة الفرنسوية كان كثير العلاقة بالامبراطور والامبراطور يظهر له مودة عظيمة . فخشي السفير ان يستخدم الامبراطور المسيو جرانسيه للتجسس أو لغرض آخر وخاطبه في ذلك قائلاً : « لو كنت على شيء من الادراك لعلمت ان الامبراطور انما يستخدمك كآلة في يده . فكيف تستطيع ان تخدم وطنك اذاً وهو يغدق عليك المنح والعطايا ليغويك ? »

ولم يلبث السفير ان سعى لفصل المسيو جرانسيه عن السفارة وارجاعه الى فرنسا

فخاطبه الامبرطور في ذلك بلهجة الصداقة الودية وطلب منه ابقاء المسيو جرانسيه في مركزه في السفارة ولكن المسيو اربت أبى بكل شجاعة وقال : « انني مصمم يا صاحب الجلالة على تطهير بيتي كما يتراءى لي »

ان هذه الحادثة تاريخية وقد سمعت الرواية من فم الامبراطور نفسه بينما كان يلقيها على مسامع الامبراطورة . لذلك ظل الامبراطور حانقاً على السفير الا انه لم يستطع ايقاع اذى به ولو استطاع ما فعل لانه كان عالماً على ما كان شائعاً بحب المدام اربت الحسناء . فقد كان الناس كل يوم يشاهدون مركبة جلالته امام باب السفارة الفرنسوية في ساحة « باريزر » فكانوا يتبرمون من تلك الزيارات (زاعمين ان امبراطورهم انما كان يتردد على المسيو جرانسيه الملحق بالسفارة) ويتذمرون من شدة تعلق امبراطورهم برجل فرنسوي . فلما عرفوا السبب الحقيقي وعرفوا ان الداعي لها انما كانت مدام اربت الحسناء اخذوا يتبسمون ويتمنون لامبراطورهم حسن البخت

واتفق في احدى حفلات البلاط اذ كان القوم يتحدثون عن محبة الامبراطور لفرنسا ان البرنسيس منينجن قالت لجمهور من الواقفين حولها « اظن ان محبة جلالته ليست لفرنسا فقط بل لنسائها أيضاً »

ولما وصلت هذه الكلمات الى مسامع اربت عزم على وضع حد لاقوال الناس واحاديثهم . فلما بلغته الدعوة بعد ذلك ببضعة ايام لحضور حفلة رقص رسمية في البلاط مع مدام اربت اجاب على الدعوة شاكراً واعداً بالحضور . ولكن قبل الحفلة بثلاثة ايام اوعز الى مدام اربت ان تكتب وتعتذر عن الحضور وتقول ان زوجها سيحضر الحفلة وحده . فلما وصلت الرسالة الى الامبراطور فضها ولم يكد يأتي على آخرها حتى كاد يتميز غيظاً وغضباً . فالتفت الى البارون فون لينكر الذي كان واقفاً معه وقال له بلهجة الغضب « يجب الغاء حفلة البالو حالا . قل ليولنبرغ ان يلغي بطاقات الدعوة » . فقال البارون فون لينكر « وماذا نصنع بالحلويات التي قد اعددناها لاجل الحفلة ؟ » ففكر الامبراطور هنيهة وقال « ارسلوها الى المستشفيات » . ثم قال « أتعلم لماذا احرم هذه الجماهير حضور الحفلة ؟ لانني لا اريد ان يحضر اربت الى القصر مرة اخرى . انه يريد ان يحضر الحفلة وحده . ولكنني افضل ان ارى هذا القصر اطلالا على ان تطأه قدما ذلك الرجل ! »

ثم قرأ رسالة مدام اربت ثانية وقال « يظهر ان سفر جرانسه صحيح . انني لن اهدأ ساعة واحدة حتى يخرج اربت من برلين ! »

التجاذب والتنافر البديهيان (١)

لماذا نشعر بانعطاف أو نفور تجاه شخص نراه لاول مرة

بحث تحليلي بسيكولوجي

راقب نفسك ايها القارىء وأنت في مجتمع يضم بين اطرافه أشخاصاً لا تعرفهم. لا شك انك اذا فحصت عواطفك نحو الحضور وجدتها تختلف باختلافهم فكل منهم يؤثر فيك تأثيراً خاصاً فتشعر بانجذاب قليل نحو هذا وبانعطاف أشد نحو ذاك أو تشعر بنفور ضعيف من الواحد وبكره شديد للآخر أو لا تشعر بتأثير يذكر نحو البعض وقس على ذلك. مع انك لاتعرف أحداً منهم ولم تختبر صفاتهم وأخلاقهم. ولو حكمت عقلك مارأيت باعثاً على محبة هذا او كره ذاك وكلاهما غريب عنك

يقف الباحث امام هذه الظواهر الغامضة فيسأل نفسه: ما هو تعليل هذا الشعور البديهي؟ وهل من حكمة فيه؟ ولماذا نخص شخصاً دون آخر بانجذابنا أو بنفورنا؟

ان الحكمة التي اكتشفها العلماء في تركيب جسم الانسان وعقله تجعلنا نعتقد بادىء بدء انه لا بد من تعليل معقول لتلك الظواهر لاسيما واننا نجد مثل هذا التجاذب والتنافر في العوالم التي دون عالم الانسان نعني عوالم النبات والحيوان

التجاذب والتنافر في العوالم الدنيا

يقضي مذهب النشوء والارتقاء ان نرجع بجميع الظواهر التي نشاهدها في الانسان الى ما دونه من المخلوقات الحية لنرى كيفية نشوئها وتدرجها ولكي نحسن فهم وظيفتها في الاحياء. لانه لا يجب ان يبرح من ذهننا ان الانسان حيوان قبل كل شيء وان ما يسري على سائر الحيوانات يسري عليه أيضاً مع تغيير طفيف تقتضيه أحواله الخاصة. فالادراك الذي هو ميزة الانسان ليس في نظر العلماء اليوم الا قوة جديدة اضيفت الى سائر قواه الحيوية لتساعده على البقاء والنمو — وهما غاية جميع المخلوقات الحية

ولا شك ان المادة الحية في احط ظواهرها تبدي شيئاً من التجاذب والتنافر نحو المواد التي تحيط بها فتنتخب ما يلائمها منها وتترك ما يضرها طبقاً لسنة « الحرص على الكيان » الشاملة. وقد اختلف العلماء في تعليل هذه القوة الغريبة فذهب البعض الى ان

(١) لم نجد افضل من هذا التعبير للدلالة على معنى كلمتي antipathie و sympathie

في المادة الحية بدء ادراك وذهب الاخرون الى ان التجاذب والتنافر هما من خصائص المادة نفسها . وسواء كان الصواب بجانب هذا الفريق أو ذاك فالذي يهمنا الآن هو تحرير وجود التجاذب والتنافر الغريزيين في احط انواع الحياة

واذا تدرجنا في سلم الاحياء وجدنا نحو هذه الظواهر . فكثيراً ما نشاهد بين الحيوانات مثل التجاذب والتنافر البديهيين اللذين نشاهدهما بين الناس وقد يكون ذلك

(١) بين افراد النوع الواحد

(٢) بين افراد من نوعين مختلفين (كالهرة والفارة او النحلة والنملة)

(٣) بين افراد من نوع واحد مختلفي الجنس اي احدهما ذكر والاخر انثى. فان مربي الحيوانات الداجنة يشاهدون في كثير من الاحيان تنافراً او تجاذباً غريزياً بين بعض الافراد يتعذر تعليله

ويختلف التنافر بين الحيوانات عن التنافر بين الناس في ان لحاسة الشم عند الحيوانات وظيفة عظيمة وعليها يتوقف في كثير من الاحيان انعطافها او نفورها كما نبني نحن احكامنا على ما نشاهده بنظرنا

التجاذب والتنافر بين الناس

اذا دققنا النظر في التجاذب والتنافر بين الناس وجدناهما على نوعين :

(١) فاننا في بعض الاحيان نشعر بهما فجأة ازاء شخص لم نره ولم يبدر امامنا أدنى حركة أو اشارة تبعث على محبته او كرهه وكثيراً ما يشعر الانسان بمثل ذلك في حياته اليومية . ومن كان يقرأ الروايات والقصص يرى فيها أمثلة عديدة لذلك بل يكفي ان يراجع الواحد منا تاريخ علاقاته مع الناس ليتحقق ذلك

(٢) أما النوع الثاني فانه يدخل فيه شيء من التفكير والحكم وليس مجرد دافع غريزي كالنوع الاول : يبدأ هذا الشعور ضئيلاً فيأخذ ينمو شيئاً فشيئاً الى ان يتجسم قال أحدهم في مفكرات له عن مقابلته لاحد الكتاب : « لم يكد ... يلفظ كلمات قليلة حتى شعرت باشمئزاز من كلامه وما برح شعوري هذا يزداد شيئاً فشيئاً حتى اصبحت لا أقدر ان اتصوره مطلقاً بل صرت اتصوره فظيعاً » هذا مثل من آلاف وعليه يمكننا ان نقيس حوادث عديدة في حياتنا اليومية

وبالاختصار فهذه الاحساسات بعضها غريزي وبعضها مكتسب ولا ريب ان المكتسب منها يسهل ابطاله أكثر من الغريزي

ومن جهة أخرى يمكننا ان نميز بين التنافر أو التجاذب الموجهين الى شخص على

الاجمال او الموجهين الى صفة من صفات الانسان او مظهر من مظاهره . فقد ذكر كاتب عن التنافر ان « منه انواعاً يقتصر فيها الشخص على كره صفة في زميل له نحو كره ارباب المهنة الواحدة بعضهم لبعض لا سيما رجال الادب والفنون الجميلة . فتاريخ الادب والفنون ملآن بحوادث التنافر بين شعراء او مصورين او موسيقيين عظام . وهناك نوع آخر من التنافر يختص بالحياة الدينية نعني التنافر الناشىء في اغلب الاحيان عن تباين في العقائد والآراء الدينية . وقس على ذلك »

الى هنا اقتصر بحثنا على التنافر بين الافراد . الا ان العلماء اليوم قد خصوا الجماعات بنفس وعواطف كالافراد وقد ذهبوا الى انه يوجد بين الجماعات غالباً تنافر اجمالي هو غير تنافر افرادها . يحصل ذلك بين العائلات والقبائل والامم والاحزاب السياسية وغيرها من المجاميع البشرية . واشهر من درس ظواهر الجماعات العلامة الدكتور جوستاف لبون فقد ابان ان الاحساسات في الجماعات تنتقل سريعاً بين افرادها بالعدوى كما تنتقل الامراض الوافدة

تعليل التجاذب والتنافر

فما تعليل هذه الظواهر الغريبة ؟ وكيف تنشأ في الانسان ؟ وما وظيفتها في الحياة ؟ قال ريبو العالم الفيلسوف الفرنساوي الشهير :

« ان لشعور التجاذب والتنافر اسباباً اهمها :

اولاً — الوراثة : فان الفرد يولد وفيه غرائز فطرية تساعده على المحافظة على حياته فيقوم باعمال وحركات هامة مدفوعاً من غير ان يدرك سببها او نتائجها . ومن هذه الغرائز المتوارثة التجاذب والتنافر البديهيان ويمكننا ان نستنتج من هذه الظواهر ان للانسان ذاكرة غير ذاكرته التي يستعملها في كل يوم نعني الذاكرة الفطرية الغريزية [١] التي تنقل الى الخلف الاختبارات والاحساسات التي طرأت على السلف فتصبح فيه ملكة ترشده الى ما يفيد او يضر بالسليقة . فشعورنا بنفور او بانعطاف ازاء شخص انما هو مظهر من مظاهر تلك الذاكرة المتوارثة

ثانياً — اقتران الافكار [٢] ويقصد به علماء النفس أن الانسان يحفظ افكاره واختباراته في ذاكرته ويربطها بعضها ببعض بحيث انه اذا تنبه الى فكرة او حادثة تذكر كل ما اقترن بها من الامور والاحوال . مثال ذلك ان القلم يذكرنا بالورق والبحر

(١) Mémoire affective inconsciente (٢) Association des idées

بالسفن والخط الحديدي بالقطار. واذا اهدى اليك احد دفتراً مثلا تذكرته كلما رايت الدفتر وقس على ذلك امثلة كثيرة . بل ان حياتنا كلها عبارة عن اقتران افكار وتسلسل حوادث . واذا طبقنا اقتران الافكار على التجاذب والتنافر وجدنا ان الناس الذين عاملناهم في حياتنا يبقى فينا منهم تأثيرات حسنة او سيئة حسب معاملتهم لنا فتقرن في ذاكرتنا هذه التأثيرات الحسنة او السيئة بصورهم فاذا شاهدنا في طريقنا شخصاً فيه من الملامح ما ينبهنا الى احدى الصور العالقة في ذهننا سابقاً (وهذا كثير الحصول) فاننا نشعر في الحال بالاحساس المقرون بتلك الصورة . وقس على ذلك»

وقد زاد بعضهم على هذين السببين «العدوى» اي ان الشعور الذي يشعر به احد الناس تجاهنا — وهو يظهر لنا على ملامح وجهه — ينتقل الينا بالعدوى . فاننا نشعر بانعطاف طبيعي نحو من يبتسم لنا وكذلك نشعر بنفور ممن يقطب حاجبيه في وجهنا . وقس على ذلك محبتنا لمن يمدحنا ويعجب بنا وبصفاتنا

ثم انه لا يجب ان يبرح من ذهننا ان الانعطاف أو النفور يختلف مقدارهما في الانسان اختلافاً عظيماً باختلاف الطبائع . فمن الناس من يميل اكثر من سواه الى محبة اقرانه والتقرب منهم . ومنهم من ينفرون من بني جنسهم ويبتعدون عنهم بطبيعتهم طلباً للعزلة . وبعبارة أخرى إن لاستعداد الشخص اهمية عظيمة في شعوره تجاه الناس

وعلى الاجمال فالتجاذب هو واسطة لتمازج الناس وتآخيهم . واذا نظرنا اليه من الوجهة الفلسفية فقط قلنا انه عبارة عن سعي الانسان في مزج شخصيته بشخصية أخرى واشتراكه معها في الشعور حالة كون التنافر على عكس ذلك يحجز الفرد عن سواه من بني جنسه ويقيم بين الناس حواجز تحفظ الحدود بين الشخصيات حرصاً على كيانها

مثل الحقد في القلب اذا لم يجد محركا مثل الجمر المكنون اذا لم يجد حطباً . فليس ينفك الحقد متطلعاً الى العلل كما تبتغي النار الحطب . فاذا وجد علة استعر فلا يطفئه حسن كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا مصانعة ولا شيء دون تلف الانفس وذهاب الارواح
ابن المقفع

النار تغلي الماء والماء تطفئها . لا تكرم الجحود لئلا يطفئك
البيت لا اولاد فيه كالجرس لا مطرقة له

كارمن سيلفيا ملكة رومانيا

الفرد والطبقات الاجتماعية

بحث اجتماعي

لا ريب في ان انتشار فكرة المساواة بين الناس في ايامنا قد أثر تأثيراً عظيماً في مجتمعاتنا واحدث وهناً في روح الطبقات والمراتب . لكن تلك الروح ما زالت قائمة وستبقى الطبقات والمراتب الى الابد ولو نقصت عن سابق حالتها

ذهب بعضهم الى ان تقسيم العمل الاجتماعي بين الناس شيء ومسألة المراتب والمقامات شيء آخر وانه يمكن توزيع العمل على الافراد من غير ان يترتب على ذلك مراتب ودرجات فيكون الكل متساوين اجتماعياً وهم يعملون في وظائف مختلفة . غير اننا لا نرى هذا الرأي لان مجرد وجود من يدير ومن ينفذ أو من يعمل ومن ينظم العمل يظهر باجلى بيان ان بين الناس تفاوتاً اجتماعياً

الاشتراكية وطبقات الاجتماع

لذلك نرى الاشتراكية في ايامنا قد عدلت عن فكرة المساواة الاجتماعية المطلقة التي كانت تنشدها فيما مضى واتخذت منهجاً جديداً في سيرها فهي تعتمد على تفاضل الافراد وعدم مساواتهم في حين انها لا تزال تنكر تفاضل الطبقات

اما انكار تفاضل الطبقات فحجتها فيه ما نشاهده كل يوم في المجتمعات من « انتخاب الافراد المنعكس » فان النظامات التي اسسها المجتمع لانتخاب الافراد ووضع كل منهم في المحل الذي هو كفؤ لاشغاله تدور على ان تمنع عن السير من لا قيمة له وان تدفع الافراد الاكفاء الى الامام. على اننا نرى مجتمعاتنا قد عكست هذه النظامات وقلبتها لاسباب سياسية أو اجتماعية فاخذت تهمل اكثر الافراد كفاءة واغزرهم فهماً واشدهم نشاطاً وتؤيد اقربهم نسباً واكثرهم خضوعاً وامهرهم سلوكاً في العالم بالمكيدة والدسيسة . فنتج عن ذلك طبقة من القادة ذات طمع وادعاء يرتكز كيانها على المعزّة والتقرب

فالاشتراكية محقة اذا بعدم الاعتراف للطبقات بمزايا وامتيازات يترتب عليها الاجحاف بحقوق الافراد وهي ترى ان التفاضل الحقيقي ملازم لا للطبقات بل للافراد من أية طبقة كانوا . ويغلب ان يخرج الافراد النابغون الممتازون من طبقة الشعب والعامة لا من طبقة الشرفاء لان امتياز فرد على فرد لا يأتي الا من الاعمال وبالاعمال. ودواعي العمل في طبقة

الاشراف أو الارسطوقراطية أقل منها بكثير في طبقة الشعب أو الديموقراطية حيث تدفع الضرورة الفرد لقدح زناد الفكر والتشمير عن ساعد الكد والنشاط فيأتيه النجاح طائعاً ويصبح مشرّقاً بعمله أهلاً للرفعة والامتياز . وهنا يجدر بنا تعريف الارسطوقراطية والديموقراطية

الارسطوقراطية

يراد بالارسطوقراطية بمعناها الاعم ان قسماً من الجماعة يطلب النفوذ والرفعة على الاقسام الاخرى بمداركه ومناقبه ومقامه ولا سيما بثروته . اما بمعناها الاصلي فالارسطوقراطية نظام سياسي يتولى فيه الاحكام أحسنُ الناس وهو النظام الذي حلم به أفلاطون في كتابه « الجمهورية » . لكن من هم أحسن الناس ؟ وهل من تفاضل طبيعي تبنى عليه ارسطوقراطية طبيعية ؟ ان التفاضل الموقت أو الفردي الناشيء من عدم التساوي في المزايا الطبيعية لا يكفي لتأسيس نظام سياسي قائم بنفسه . ففي كل حكومة اميرية كانت أو شعبية يمكن للنابغة ولصاحب المناقب ولصاحب الثروة على الخصوص ان ينتظم في سلك الحكام وينال رجوحاً فعلياً في ادارة الاعمال

لو صح تطبيق سنة التوارث تطبيقاً مطلقاً شاملاً لسلمنا بان الرئاسة السياسية تنتقل بانتقال الرئاسة الفكرية والادبية من السلف الى الخلف . اما والتوارث ليس الا عاملاً واحداً بين العوامل العديدة التي تكوّن الشخصية الفردية فقد اخطأ الذين يدّعون انه بموجب سنة التطور الاجتماعي تتحول الارسطوقراطية الطبيعية الى ارسطوقراطية نسب ووراثة

المشاهد المقرر ان الطبقات الارسطوقراطية لا تدوم مستقلة فلا تلبث ان تفقد من رفعتها وعزلتها . والعوامل الاقتصادية لا سيما انتقال الثروة لها المقام الاول بين الاسباب المنوعة التي تؤدي الى تنزّل الارسطوقراطية وانحطاطها . فان حملة الثروة من أصحاب المصارف والتجارة الواسعة وغيرهم يصبون بالطبع الى التقرب شيئاً فشيئاً من الارسطوقراطية بقصد التمتع بامتيازاتها . والاشراف الارسطوقراطيون أيضاً لا يترفعون عن الدنو من أبناء الشعب بالمصاهرة والقربى حتى يسدوا الثغرة التي أحدثت في ثروتهم . وكلما اختلطوا بالشعب ودخلتهم العناصر الغريبة فقدت الارسطوقراطية من تضامّنها وتماسكها فينتهي الامر بها الى انفكاك العرى والانحلال وتصبح هيئة شريفة ليس الا . أما حقوقها السياسية فتذهب بذهاب مكانتها

هذا هو السبب في خراب الارسطوقراطية عند الفرنسيس وفي اشرافها على الزوال

في أوربا باسرها حتى ان الارسطوقراطية الانجليزية التي كان يظن انها مركزة على دعائم ثابتة متينة انهكها القدم وأوشكت على الفناء . ولم يبق للارسطوقراطية الوراثية مقاعد ثابتة في مجالس التشريع وفي ادارة مصالح الحكومة الا في دولة النمسا والمجر التي افل نجمها . فالارسطوقراطية القويمة الوحيدة التي تدوم الى الابد هي ارسطوقراطية المناقب الفردية

الديموقراطية

وقد حلت الديموقراطية محل الارسطوقراطية في النظامات السياسية في سائر البلدان المتمدينة . ويراد بالديموقراطية كل حكومة أياً كان نوعها تغلبت فيها سلطة الشعب . وتبلغ الديموقراطية حد الكمال اذا انحصرت السلطة في الشعب . ونظام الحكم الذاتي هذا مبني على حال اجتماعيـة ميزتها الكبرى ان الكل متساوون أمام القانون وان للكل حقوقاً واحدة وان الحقوق الخاصة الممنوحة لبعض الرعايا يمكن ان تعطى للكل فينالها حاملوها برضا اعضاء الجماعة ضمناً او صراحة ويولون الاحكام بموجبها على نسبة واجبات معينة وفروض خاصة يترتب عليهم القيام بها

أما الوظائف فيسهل على الكل الوصول اليها وليس في شريعة الديموقراطية ولا آدابها ولا اميالها ولا احكامها القياسية مايشف عن عدم جدارة اصلية طبيعية في الافراد أو عن تمييز في الطبقات بين حاكمين ومحكومين

ذاقت الانسانية الأمرّين في العصور الغابرة من الاسترقاق والعبودية فهبت الديموقراطية الى مقاتلتهما والعمل على سحقهما وقد أعدت عدتها لذلك فاخذت تربي في الشعوب الحياة الفكرية والادبية وتقوي فيهم الاستعداد والاهلية للقيام بما يعطى لهم من السلطة حق القيام . وتراها تدأب على تشييد معاهد التعليم والتهذيب وتعمل على تحبب الناس الى الناس وتؤيد روابط التضامن فيما بينهم وتفعل كل ما من شأنه ان يزيل العوائق التي تعترض المساواة الاجتماعية

فعلى الحكومة المخلصة وعلى الوطنيين المخلصين ان يعملوا وسعهم على تقوية الروح الديموقراطية التي هي اوجب للديموقراطية من اصولها وقواعدها لان الهيئة الديموقراطية التي لا تسود فيها هذه الروح الشريفة لا يستفاد منها الا الاستعاضة عن استبداد الفرد أو الاقلية باستبداد اكثرية تتغير وتتقلب . وهذا بعيد عن غاية الديموقراطية التي تحاول هدم كل سلطة تسنها لها قوة الفرد أو ميول العدد الاكبر لكي تقيم على أطلالها سلطة يقبلها الوطنيون ويريدونها وينفذونها باتفاق تام فيما بينهم

ما هو افضل نظام للهيئة الاجتماعية ؟

يرى مما تقدم ان المساواة الاجتماعية ضاربة أطنابها في مجتمعاتنا الحديثة المتمدينة وليس هناك رئاسة لا لجماعة ولا لطبقة انما الرئاسة للافراد لا غير . والديموقراطيون وهم يعملون على هدم الارستوقراطية في الطبقات يعملون من غير قصد على تشييد بنيانها في الافراد وبذلك يحلون النخبة الحقيقية محل النخبة الباطلة . فالطبقة تصور باطل لا حقيقة له . أما تصور النخبة المراد به التفاضل الفكري والادبي بين الافراد فهو تصور حقيقي غير قابل الاندراس

والذي نرى ان بين تصور الطبقة وتصور النخبة تبايناً . فان الانسان بمجرد قبوله الدخول في تأليف طبقة تقلدت القيادة أو ادعتها وبمجرد تسليمه باصولها وقواعدها وخضوعه لقوانينها ونظاماتها يتنازل قليلاً عن فرديته ويلتحق بالمجموع فيعتقد بالاشتراك مع زملائه الاعتقادات الوهمية لتلك الطبقة ويبيت مسيراً ويسقط في ذلك النقص الفكري والادبي الذي يسمى روح الجماعة أو روح الطبقة . واذا فرضنا أنه شذَّ عن هذه القاعدة وتمنى له ان يحتفظ وهو في وسط طبقته باستقلاله الفكري والادبي فان ذريته تمتزج بالمجموع وتلتحق به وتقنع بالحالة الحاصلة فتفسد وتنحط وقد يكون هو مبتدع حقيقة أو منشىء ثروة أما هم فيكونون طفيليين على الغالب

فالثابت الذي لا ريب فيه هو ان التسامي الفكري والادبي شيء فردي صرف وهو ينحصر في فرد لا في عائلة ولا في طبقة ولا يوجد طبقة نخبة بل يوجد افراد نخبة لذلك نحن نحبذ ونؤيد كل نظام اجتماعي ينبذ تصور الطبقة بل وتصور النخبة المشتركة أيضاً ويجتهد في انماء شعور الفردية وتكبير قيمتها لانه بارتقاء الفردية فقط ترتقي الانسانية ولا تبلغ الديموقراطية أشدها وتسود في الامم الا اذا ارتقت الافراد وأصبحت العامة ارسطوقراطية

ليس بين الافراد اختلاف جوهري أصلي فجميعهم قابلون للحرية والعظمة لكن هذا لا يمنع أن بين الافراد تنوعاً حقيقياً في الاهلية والمناقب وتفاوتاً واقعياً في الانكباب على العمل وليس في وسعنا أن نتجاهل الضرورة التي تدفع أفراد الجنس البشري الى التنازع والتسابق في الحصول على الكمال الانساني حسبما يتخيله كل منهم ويتمناه . وكل منا يمكنه أن يخرج فائزاً من معترك الحياة ان كان صادقاً في جهاده والبطل فينا هو من صدقت عزيمته واخلص في الجهاد فابلى بلاء حسناً

وليس مبدأ نبوغ الافراد وامتياز بعضهم على بعض وصيرورتهم رجالاً عظاماً بضائر

الديموقراطية . أما عدوها الحقيقي الذي نخشى بأسه هو كل مبدأ أو مذهب يخضع أقدام الفرد وعمله لروح الجماعة . فروح الجماعة هذه يجب أن تزول ويجب ان نطرح عنا تلك الروح الاتكالية التي هي ضريبة العصر الحديث . يلزمنا ان نتحرر من هذا الاحتياج الى الجماعة الناشىء من الركاكة والجبن . يلزم ان كلاً منا يعرف ان يكون هو . وان يعيش في نفسه وبنفسه . ولنضع جميعاً نصب أعيننا أن نجاحنا في الحياة يقوم بالاستقلال وامتلاك النفس والاعتماد عليها . ثم قد يعد ذلك أنانية . لكنها أنانية بسيطة صريحة تفضل أضعافاً تلك الانانية المركبة المحشوة رثاء اجتماعياً والتي يطريها بعضهم تحت اسم تضامن أو تعاون أو ما أشبه . ولننبذ التعاليم التقليدية ورعاية الجماعات للافراد وحمايتهم فان زمن الالهة قد مضى وليس في قدرة الفرد ولا من حقه أن يعتمد الا على نفسه فهو حر الفكر حر العمل في تصويب سهام الرغبات والنزوع الى الاماني

بولس مصوبع



الدناءة في الاخلاص كالمصانعة في الفضيلة والنفاق في الدين .

الاهرام — رمز الجلال الذي بني طلباً للخلود من مال الشعب المسخر بامر خيوبس الجبار على أساس من دموع الامة بجلاميد من الجرانيت — هو الصورة الكاملة للخلق المصري !

الجندي البسيط يعطي من دمه شهرة للقائد

احب في المرأة الحرية مع العفاف والعفاف مع العلم والعلم مع الجمال والجمال مع الطيبة والطيبة مع سمو النفس والافكار

لو لم يكن خير الحياة اكثر من شرها ما وقع نظرنا على شخص لا يطلب الموت

يرتبط المبدأ بضمير الرجل وقلب المرأة ويتعلق بفخر الاول وشرف الثانية

الحياء جمال في المرأة وفضيلة في الرجل وادب في الفتاة

تنمو القريحة في الوحدة وينمو الخلق في المجتمع

من يندب حظه فكأنما يندب نفسه — حظك في يدك فارفع او اخفض

السعادة الحقة هي ان تنال كل ما تريد — وشرطها ملاحظة الواجب وانتهاز الفرصة

ليس الفخر في ذهابك الى ميدان الكفاح انما الفخر في رجوعك منه

عبد الحميد سالم

قبائل الزنوج في افريقيا الشرقية

وجمعياتهم السرية الشبيهة بالماسونية

من المستعمرات التي اتجهت اليها الانظار في هذه الايام مستعمرتا افريقيا الشرقية البريطانية والالمانية . وهذه المقالة ترشد القارىء الى معرفة تلك الاصقاع وعادات اهلها . قال الكاتب :

افريقيا الشرقية الانكليزية

لانكلترا في افريقيا الشرقية مستعمرة واسعة يحدها شرقاً المحيط الهندي وشمالاً بلاد الصومال وجنوباً افريقيا الشرقية الالمانية الى بحيرة فيكتوريا نيانزا ومساحتها ٢٨٠ الف ميل مربع . وكانت الافريقيتان الشرقيتان منذ ثلاثين سنة من املاك سلطنة زنجبار الى ان استأجرت شركة انكليزية الجزء الشمالي لمدة ٩٩ سنة مقابل دفع ٣٠٠ الف روبية (٢٠ الف جنيه) في السنة . وفي سنة ١٨٩٥ تنازلت عنها الشركة للحكومة الانكليزية فوضعت عليها الحماية مع سلطنة ويتو الداخلة فيها وعلى أثر ذلك وضعت الحكومة الالمانية يدها على الجزء الجنوبي بعد معاهدات واجراآت يطول شرحها



جماعة من قبيلة الماساي

وقد قسمت الحكومة الانكليزية هذه المستعمرة الى اربع مقاطعات كبرى وهي سيدية ممتدة على ساحل المحيط وتانا وجوبر واوكامبا . وهذه اعظمها مساحة واكثرها سكاناً وفيها جبال كينيا الشامخة ويبلغ ارتفاعها ١٨ الف قدم فوق سطح البحر . ولافريقيا الشرقية حاكم عام تعينه الحكومة الانكليزية وفي كل مقاطعة مأمور انكليزي للادارة وآخر للمالية وقاض مدني وقاض شرعي وطني وطبيب ومدير الحسابات ومأمور

الضبط وهؤلاء يؤلفون مجلس ادارة المقاطعة

وحاضرتها ممباسا وهي جزيرة على شاطىء المحيط الهندي مركز الحاكم العام وفيها دواوين القضاء العامة ودواوين مالية البلاد والحسابات والاشغال العمومية ومصالح البوستة والتلغراف والصحة . وكل الرؤساء فيها من الانكليز الذين يؤلفون مع القاضي الاكبر الشرعي مجلس الادارة العام للمستعمرة كلها

ولمباسا مرفأ صالح للسفن وفيها قلعة قديمة استولى عليها البرتوغاليون سنة ١٥٩٤ وهي من حصون العرب الاذارعة وبعد مائة سنة استرجعتها منهم أئمة عرب عمان

وكانت هذه البلاد تحت حكم سلاطين ومشايخ من آل المذروعي ونبهان الى ان ضمها سلاطين زنجبار الى املاكهم

وأرض هذه المستعمرة خصبة جداً تروى من مياه نهر تانا العظيم وهو بمثابة النيل في مصر في السعة والفيضان . وفي مقاطعة اوكامبا نهر سباقي . وكلاهما يخرجان من أعالي جبال كينيا ويصبان في المحيط الهندي

واما سكانها فن العرب والسواحليين والزنوج وغيرهم ويبلغ عددهم نحو مليونين نفساً . فالعرب لا يتجاوزون العشرة آلاف وكلهم أصحاب السلطة والنفوذ . والصومال ١٥ الفاً . والسواحليون اي الخلاسيون المتولدون من العرب والزنوج يبلغون نحو ٨٠ الفاً . والعبيد والخدم واكثرهم من عرب حضرموت نحو ٣٠ الفاً . والهنود والاعجام سبعة آلاف . وكل هؤلاء القوم مسلمون واما الزنوج الوثنيون سكان البلاد الاصليون فهم الاكثر عدداً ويبلغون نحو ١٧٠٠٠٠٠

واشهر قبائل افريقيا الشرقية المساي والوندروما والوانيكا والجرياما والواكوما . وكل هذه القبائل في مقاطعة كينيا وسيدية . وقبائل الغلاس والصومال في شمالي تانا . وقد تنصر بعض الاهالي من هذه القبائل الاخيرة وغيرها عن يد المبشرين الانكليز على المذهب البروتستاني المتودستي كما تنصر بعض جماعات من الزنوج بواسطة المبشرين الافريقيين على المذهب الكاثوليكي . واكثر هذه القبائل أهل بادية يرعون المواشي وكان دأبهم السطو والغزو على القبائل الاخرى قبل وضع الحماية الانكليزية وهم معروفون بالشجاعة والانفة وقد اهتمت الحكومة في تعليمهم وتهذيبهم وشوقتهم الى زراعة الاراضي . الا ان قبائل الواكوما اكثرهم همجيون منتشرون في مقاطعة تانا وهم عراة الابدان يدهنون أجسامهم بمواد دهنية وأصبغة ملونة ويعيشون من صيد الفيلة . وقد اعتنق كثيرون منهم الدين الاسلامي وخرجوا من طاعة زعمائهم وخضعوا للسلطة الانكليزية ولبسوا

العمائم وترددوا بالقفاطين البيضاء على زي العرب

وكينيا أكثر المقاطعات سكاناً يبلغ عددهم نحو مليون نفس وكلهم من الزنوج الوثنيين وهم فقراء عراة الابدان يسكنون الاكواخ ويعيشون من صيد الوحوش وقلما يهتمون بالزراعة والفلاحة مع ان معظم أراضيهم جيدة تسقى من نهر سباقي المتقدم ذكره وهو يخرج من أعالي جبال كينيا . وفيها أودية وآكام وسهول خصبة وأحراج كثيرة مجهولة . وقد اهتمت الحكومة الانكليزية مؤخراً بتهذيب هؤلاء الزنوج فعلمتهم الزراعة ومدت السكة الحديدية من ممباسا على المحيط الهندي الى أوغندا فاخترقت معظم بلادهم

عادات قبائلها وجمعياتهم السرية

والمقصود من هذا التمهيد تبيان عادات قبائل الزنوج سكان هذه المستعمرة الواسعة وقد يطول بنا الشرح لو أسهبنا الكلام عن كل عاداتهم واعتقاداتهم وطرق معاشهم . وانما نقول تبعاً لتقرير اللورد هاردنج حاكم أفريقيا الشرقية العام سابقاً ان لبعض القبائل الكبرى كالمساي والواكوما والواجيرياما والواندروما عادات غريبة مدهشة . والاحكام بينهم جمهورية ترجع الى مجالس مؤلفة من زعماء القبائل مؤسسة على المبادىء الاشتراكية من حيث الاشتراك في المعيشة . ولبعضهم قوانين اجتماعية وجمعيات سرية تشبه في نظامها وتعدد درجاتها ومحافلها الجمعيات الماسونية

فاولها واكبرها جمعية الكامي (الاسد) تحتوي على درجات متعددة وينضم تحت لوائها أعضاء من كل القبائل وتحت كل درجة اقسام اخرى ويشترط للدخول في جمعية الكامي ان يدفع الطالب لرؤساء الجمعية المدعوون « وازي » (رئيس محفل) شيئاً من المتاع او الماشية بمثابة رسم الدخول وان يذهب الى الاحراج وحده فيصطاد ما يجده هناك من اسد او فيل أو نمر أو غيرها من الوحوش المفترسة وان لم يجد فيضطر ان يقتل انساناً غريباً وبذلك يؤهل لان يكون عضواً في جمعية الكامي . ولاعضاء هذه الجمعية الحق بلبس الاحذية وهم على درجات متفاوتة من حيث الاهلية والتقدم والنفوذ . والعلامة المميزة لهم عن غيرهم أسورة خشبية في اذرعتهم ولهم وحدهم حق السلطة والرئاسة على القبائل والعشائر كلها والحكم بين افرادها . ومركز اجتماعاتهم في «المرونقو» اي الكوخ المقدس (المحفل) وهو كوخ منفرد داخل الاحراج ذو اربعة جدران لا سقف له يجعلون فيه طبلا كبيراً يقال له « مانزا » له صوت مزعج يدعون به الاعضاء للاجتماع . واما الناس الخارجون عن جمعية الكامي والنساء والاولاد فعند سماعهم صوت هذا الطبل يضطرون للاختباء في منازلهم مظهرين الخشوع والسكينة

والاحترام . وعند كل قبيلة او عشيرة محفل وكوخ مقدس وطبل . والاعضاء يجتمعون اجتماعات سرية في أوقات معينة لتدبير شؤون القبيلة وفصل الاحكام بينها . وفي كل اربعين سنة يجتمع كل رؤساء المحافل واعضاء الكامي من كل القبائل اجتماعاً عاماً (وهو ما يعرف عند الماسون بالمحفل الاعظم) لانتخاب وتغيير رؤساء الكامي ومن ماتوا منهم في تلك المدة الطويلة . ويغتنمون فرصة هذا الاجتماع العمومي للذهاب الى الاحراج حيث يقضون هناك سبعة ايام في الولائم وصيد الوحوش ولا سيما الاسود والفيلة

ويختلف أعضاء الكامي عند القبائل باختلاف عدد أهلها ويختلف ايضاً مقدار رسم الدخول . فعند قبيلة الواريغو وهم أغنياء سبعين ريالا وعند الجرياما ثور واحد وعند القبائل الفقيرة تيس من المعزى

وعند هذه القبائل جمعيات أخرى سرية أرقى منزلة من جمعيات الكامي تدعى في عرفهم جمعيات « الفيزي » أي الضباع اظهاراً لشجاعتهم الممتازين بها عن سواهم ولاحترامهم هذه الوحوش . ويعتقدون ان موتى أسلافهم وأجدادهم في بطونها قبل انشاء المدافن في الارض . ويحلف الداخل الى هذه الجمعية باسم الضبع ويقولون ان من يحلف باسمه كذباً أو من يفشي أسرار الفيزي عبثه هذا الوحش المفترس انتقاماً . والحقيقة كما قال اللورد هاردنج في تقريره ان رؤساء هذه الجمعية أنفسهم يقتلون بالسم أو بالشنق من يشتبهون به الخيانة او الحنث باليمين

ومن أخلص الخدمة والعمل وأحسن السلوك في جمعيات الفيزي يصير أهلا لان يكون عضواً في جمعية « الباليارى » (أي السحراء) وهي أرقى الجمعيات السرية رتبة ومركزاً ومقاماً ونفوذاً بين القبائل كلها ولهم عليها سلطة دينية وشرعية ومدنية

ومن أحكام هذه القبائل أن الذنوب تكفر بتقديم رؤوس من الماعز والثيران الى أعضاء الباليارى والقاتل عند بعض القبائل يضطر ان يؤدي أهل القتيل بعض المواشي حتى يرضيهم وان لم يقدر على أدائها يضطر ان يسلم نفسه اليهم فيقتلوه عوضاً عن قتيلهم

وعند بعضهم يضطر أن يدفع لاهل القتيل عشرة اشخاص من اولاده او من نسائه واقاربه ليخدموا عندهم طول حياتهم . ومن شرائعهم ان الملكية غير معروفة عندهم فاذا أهمل احدهم زرع ارضه او حرثها سقط حقه فيها فيأخذها غيره ويزرعها

وعند بعض القبائل يجوز تعدد الزوجات وبالخلاف عند غيرها ومهر العروس عندهم ثور او زوج من البقر وعند بعضهم لا يقدر ان يأخذ عروساً ان لم يدفع لاهلها ما يرضيهم او مالاً يوازي روحهم

ديمتري نقولا

معمل رجال

ملاجىء الدكتور برناردو في لندن

يتوهم الكثيرون من القراء ان الثروة موزعة في مدن اوربا على السواء بحيث لاتجد هنالك أحداً من الفقراء المعوزين . والحقيقة انك اذا أجلت أبصارك بين عواصم أوربا وامهات مدنها تجد فيها من مشاهد الفاقة المدقعة ما لا تكاد تجد له مثيلا فيمدن الشرق . فبينما تقرأ في صحف الغرب أن فلاناً قضى من الجوع وغيره مات من شدة الفقر لا ترى في صحفنا خبراً منهذا القبيل. واذا رأيته عددته من الغرائب المدهشة . وسبب ذلك على ما يظهر كثرة الزحام على موارد الحياة في الغرب واشتداد المنافسة بين العمال وأرباب الاعمال بحيث تضيق سبل الرزق في وجوه الناس فيكثر الويل ويعم الشقاء . ولذلك ترى انه كلما كبرت المدن واتسعت متاجرها زاد فيها الشقاء بسبب ما يكون فيهما من اشتداد الزحام على موارد الرزق

الفقر في المدن الكبرى

فبلاد الانكليز مثلا من اغنى ممالك العالم ومتاجرها منتشرة في جهات المعمور الاربع ومع ذلك ترى فيها من مشاهد الفقر المدقع والشقاء الهائل ما ليس له مثيل في بلادنا ولا يكاد يتفق مع المعروف عن عظمة انكلترا وغناها . ولا يسعنا في هذا المقام ان نبحث في اسباب ذلك الفقر فان بحثاً كهذا يستغرق المجلدات الضخمة وقد شغل بال الامة الانكليزية قاطبة وانما غرضنا أن نبسط للقراء مشروعاً اجتماعياً انشأه رجل في بلاد الانكليز لغاية حميدة وهي انقاذ الاولاد الصغار من مخالب الجوع والشقاء والاعتناء بهم حتى يصيروا في المستقبل ينبوع قوة وحياة للامة الانكليزية

والمشروع الذي نشير اليه هو « ملاجىء الدكتور برناردو » التي انشئت منذ نحو نصف قرن في مدينة لندن عاصمة بلاد الانكليز فكانت خير شاهد على ما قد تصل اليه همم الافراد اذا كانت مقرونة بغاية حميدة وعزم صادق

لا يخفى أن مدينة لندن هي أكبر مدن الارض واغناهافقد بلغ عدد سكانها وضواحيها زهاء الثمانية ملايين ونصف وهو عدد هائل يزيد على ثلاثة ارباع سكان القطر المصري كله . ومن هذا العدد الهائل جيش كبير من الاشقياء الذين يطوون لياليهم على الطوى ولا يكادون يجدون ما يسدون به بطونهم . ومن اشد دواعي الاسف أن معظمهم من

الاولاد الصغار الذين قذفت بهم صروف الدهر وارزائه على قوارع الطرق شرداء طرداء كانهم نمالة المجتمع العمراني . وقد كان عددهم قبل سنة ١٨٦٦ مما يضيق عنه الحصر واحوالهم مما تقشعر له الابدان اذ كان معظمهم يفترشون الارض ويلتحفون السماء على مدار الفصول الاربعة . ومتى تذكرنا ان لندن ليست من المدن التي تكثر فيها اشعة الشمس وان صيفها يكاد يوازي شتاء مصر لكثرة وقوع الامطار واشتداد البرد علمنا شدة تعاسة اولئك الاولاد وما يعانونه من مضض العيش حتى كان الكثيرون منهم يموتون من شدة البرد والجوع

الدكتور برناردو

وقد كان في لندن منذ نصف قرن رجل اسباني المولد انكليزي الموطن يعرف بالدكتور برناردو . ولم يكن اسمه مشهوراً في اول الامر ولا كان احد يعرف عنه شيئاً. الا ان عظماء الناس قلما تظهر ثمرة اعمالهم الا بعد موتهم على حد قول الشاعر :

لا يعرف القوم الفتى الا اذا مات فيعطى حقه تحت الثرى

كان الدكتور برناردو شغوفاً بدرس مساوىء العمران شديد الرأفة بالفقراء . وكثيراً ما كان يتجول بين احياء لندن الفقيرة ليقف على احوال اهاليها ويدرس معيشتهم الاجتماعية . واذ رأى مرة في أحد الاحياء دلائل عديدة تشير الى فقر مدقع وشقاء هائل استأجر منزلاً قديماً ليجتمع فيه الاولاد الفقراء للدفء والتسلية . وكان ذلك المنزل أشبه بالاصطبل ومع ذلك كان يجتمع فيه عدد غفير من اولئك التاعسين فيجدون فيه طعاماً ودفئاً يوهمانهم انهم في قصور الملوك . وكان الدكتور برناردو يجتمع بهم ويحادثهم ويلعب معهم فلا يخرجون الا وقد دفئوا وملأوا أجوافهم

وفي ذات ليلة بعد ان انصرف الاولاد نهض الدكتور برناردو ليقفل باب المنزل فدخل اليه ولد حاسر الرأس حافي القدمين عريان البدن لولا خرق رثة كانت تستر بعض جسمه . وكانت اعضاؤه ترتجف من شدة البرد . فطلب الى الدكتور برناردو ان يأذن له في المبيت عنده تلك الليلة . فقال له الدكتور : « لماذا لا تذهب الى بيتك ؟ »

فقال « ليس لي بيت ياسيدي »

— « أو ليس لك أم ؟ »

— « كلا »

— « وأب ؟ »

— « ولا أب »

— « واصحاب ؟ »

— « ولا اصحاب »

— « اذن اين تنام عادةً ؟ »

— « على قوارع الطرق »

— « ولماذا لا تنام اليوم أيضاً هنالك ؟ »

— « لان البوليس يأبى علي ذلك ويطاردني كلما رآني نائماً في الشوارع »

فدهش برناردو وسكت هنيهة يتأمل في حالة ذلك الولد . وقال في نفسه : « ترى هل امثال هذا الولد كثيرون؟ » ثم التفت الى الولد وقال له : « هل انت وحدك في هذه الحال ؟ »

فقال : « كلا . ان امثالي كثيرون »

فهال الامر برناردو وظنه خديعة فعزم ان يتثبت من اقوال الولد بنفسه . على ان لهجة الولد كانت تدل على صدق واخلاص ومع هذا طلب اليه برناردو ان يريه ماوى الاولاد الذين على شاكلته . فسار الاثنان معاً وفي اثناء سيرهما اخذ الولد يقص حكايته على الدكتور . واخيراً وصلا الى حي من احياء المدينة فيها اكواخ قديمة وابنية خربة . فوقف الولد امام احدها واشار اليه . فاشعل الدكتور برناردو عوداً من النفط واخذ يتلمس الحائط الرطب والولد يقوده بيده . ولم يكد يخطو بضع خطوات حتى رأى احد عشر ولداً تتراوح اعمارهم بين التاسعة والثامنة عشرة نائمين على سطح تحت خيمة السماء في برد الليل القارس . فتقدم الولد لايقاظهم ولكن الدكتور نهاه عن ذلك ثم امال نظره بقلب منكسر والدموع تملأ عينيه

* * *

وبعد هذه الحادثة بزمن قليل دعي الدكتور برناردو لحضور اجتماع ادبي ثم طلب اليه رئيس الاجتماع ان يتكلم عن احوال الفقراء . ولم يكن برنادو خطيباً ولكن الوقائع لم تكن تحتاج الى فصاحة في التعبير . فاخذ يسرد على الجمهور ما كان يعلمه عن احوال الفقراء حتى اقشعر الناس من كلامه . ولم يكد يفرغ حتى تقدمت اليه خادمة فقيرة ووضعت في يده ست بنسات (نصف شلن) مساعدة لاولئك الفقراء . وقد كان ذلك المبلغ الزهيد خميرة لملايين من الجنيهات جمعت وانفقت منذ ذلك اليوم حتى الان في سبيل مشروع الدكتور برناردو

واتفق انه كان في الاجتماع المذكور الارل اوف شافتسبري وهو من اشهر محبي الخير

في القرن التاسع عشر . فعند نهاية الاجتماع تقدم الى الدكتور برناردو ودعاه لتناول الغداء معه في اليوم التالي في منزله الجميل بلندن . وفي اثناء الاكل طلب اليه ان يتلو على الضيوف قصة ذلك الولد البائس . فتلقوها بدهشة ممزوجة بشيء من الارتياب اذ لم يستطيعوا ان يصدقوا ان مثل تلك الحوادث كانت تقع حواليهم في تلك العاصمة العظيمة . فطلب الارل الى برناردو ان يريهم مثالاً من اولئك الاولاد وللحال نهض الجميع فركبوا المركبات وتوجهوا الى احياء الفقراء . ولما بلغوها ترجلوا واخذوا يبحثون عن الزوايا المظلمة التي كان يجتمع فيها اولئك الاشقياء وكاد يسقط في يد برناردو لاول وهلة اذ لم يعثروا على احد من ضالتهم . واخيراً ظهر لهم شرطيٌ واشار الى زاوية وجدوا فيها ثلاثة وسبعين ولداً كانوا متكردسين بعضهم فوق البعض

وللحال عادوا الى مركباتهم واخذوا معهم اولئك الاولاد الى اقرب المطاعم حيث اوصوا بهم خيراً . وقبل ان يتفرقوا قال الارل شافتسبري للدكتور برناردو همساً : « سوف تعلم غداً لندن قاطبةً بهذا الامر »

ولم تمض بضعة ايام حتى كان تحت تصرف الدكتور برناردو مبلغ لا يقل عن مئة الف جنيه لانفاقه في سبيل انتشال اولئك البائسين

الملاجئ وثمارها

كان اول فكر خطر لبرناردو أن يشيد ملجأ لاولئك الشرداء الذين كانوا ينفقون ايامهم على قوارع الطرق ورأى انه اذا انتشلهم من وهدتهم المفزعة ابعدهم عن اقتراف الجرائم واراح المجتمع العمراني من شرور كثيرة . فرأى ان يضمهم الى ماوٍ مستديمة يقيمون بها مجاناً حيث يأكلون ويشربون ويلبسون وينامون ويتعلمون حرفة او مهنة شريفة تفيدهم في مستقبلهم

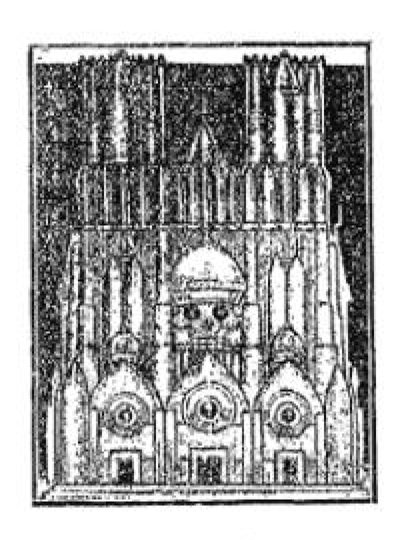
ولا حاجة الى الاسهاب في بسط ما طرأ على هذا المشروع من اطوار مختلفة ثبت فيها تجاه كل المشاكل والصعوبات حتى بلغ حالته الحاضرة . فقد بلغ عدد الذين دخلوه منذ تأسيسه حتى الآن نحو سبعين الفاً مختلفي الاعمار . وتبلغ الاموال التي تنفق سنوياً على هذا المشروع نحو مئتي الف جنيه تجمع كلها من اهل البر والاحسان

اما ملاجئ الدكتور برناردو فهي في القسم الشرقي من المدينة وقد كتب على مدخلها « لا يرفض ولد شريد » . وكل ولد يستطيع ان يثبت انه يتيم شريد يقبل بدون تردد . فاذا كان الطالب طفلا ليس له مأوى سوى قوارع السبل أخذ الى محل خاص في ضواحي لندن يعرف بملجأ الاطفال وفي هذا الملجأ فئة من النساء قد وقفن انفسهن على هذه الخدمة الشريفة . واذا كان الطالب صبياً أخذ الى الملجأ الخاص بالاولاد في

لندن . وللبنات ملجأ آخر خارج المدينة كما وللاحداث وللحدثات ايضاً ملاجئ خاصة . وقد فصلوا الصبيان عن البنات في جميع الملاجئ محافظة على الآداب . ولعل ملاجئ البنات اجمل من ملاجئ الصبيان فانها قائمة على بقعة جميلة من ضواحي لندن تخترقها جداول المياه وتكسوها الاشجار والازهار وفيها اكواخ جميلة لكل منها بستان صغير وممر ينتهي الى الشارع العمومي . وهذه الاكواخ تكون قرية صغيرة جميلة المنظر متقنة الترتيب وفيها كنيسة ومدرسة ومخابز ومعامل لبن وخلافه . ومعظم البنات اللواتي فيها يتعلمن فن التربية والتمريض

اما الاولاد فيتعلمون المهن والصنائع الشريفة التي تمكنهم من معيشة الاعتماد على النفس كالخبازة والحدادة والنجارة والهندسة والطباعة والخياطة ونسج الحصر وصنع الاحذية والمكانس وآلات المياه المعدنية والعجلات والعدد الميكانيكية وهلم جراً . وفضلا عن ذلك يعتنى بتهذيبهم ادبياً حتى يشبوا على الصفات الشريفة . ومتى اكملوا تربيتهم على هذا النمط أرسلوا الى مستعمرات انكلترا المختلفة كافريقيا واوستراليا وكندا وهلم جراً . وهناك يستقبلهم وكلاء الملاجئ فينزلونهم في منازل خاصة الى ان يبدأ كل منهم بمهنته

وها هم اليوم ينبثون في تلك المستعمرات الواسعة ويضيفون كل يوم صفحة مجد الى تاريخ انكلترا التي كادت تنبذهم نبذ النواة لو لم يقدر لهم الله الطيب الذكر الدكتور برناردو فانتشلهم من وهدة الشقاء



كاتدرائية ريمس
على هندسة البناء الالماني الحديث

تطوّر الامم

حسب النواميس الطبيعية العامة

وما يكون من هذا التطور بعد الحرب

عرفنا في العددين الماضيين ما هي السنن الرئيسية التي تطور الامم بمقتضاها وها نحن الان نسعى في تطبيق تلك السنن على الدول الحاضرة

٤ — تطبيق نظامات الهيئة الاجتماعية

على النواميس الطبيعية العامة

بقي ان ننظر فيما ينتظر من تطوّر الهيئة الاجتماعية في المستقبل ولا سيما بعد هذه الحرب الكبرى بمقتضى النواميس العاملة في الكون حتماً . وانما شرحنا في العددين الماضيين تلك النواميس العامة الثابتة تمهيداً لتعليل هذا التطوّر تعليلا طبيعياً

﴿ عدم تمام النظام الاجتماعي البشري ﴾ — لا يخفى ان ما نراه من اضطراب الامم في دواخلها وفيما بينها ومن تقلقل نظاماتها ومن ثوراتها وحروبها يدلنا على ان الهيئة الاجتماعية لم تستتم حتى الان النظام الاجتماعي الراسخ ليتألف من افرادها وجماعاتها جسم اجتماعي كامل متشعب النظام متوافق الاعمال لغاية واحدة وهي حفظ كيان الهيئة الاجتماعية وتوفير سعادتها (فاولا) ان معظم الجماعات لا تزال متداخلة بعضها ببعض مع ما بينها من التنافر . فلا يزال ناموس التنازع من جهة منفراً للجماعات المتخالفة بعضها عن بعض وناموس التجاذب من جهة اخرى يجذب اجزاء كل جماعة بعضها الى بعض لكي تكون كل جماعة قائمة بنفسها ومستقلة بكينونتها عن الاخرى

(ثانياً) ان الجماعات لا تزال متفاوتة في رقيها ولا يزال لناموس التحول شغل كبير في تحويلها من حال الى حال ارقى وسوقها في سبيل الرقي الى مستوى واحد حتى يسهل جمعها وضمها جميعاً في جماعة كبرى متوحدة النظام العام بحيث يتيسر للجماعات ان تعمل معاً متوافقة لغاية واحدة سامية تكون اكثر ضمانة لراحة الجنس البشري وسلامته وسعادته

﴿ تطوّرات الامم الاوربية ﴾ — واذا كانت الحرب الحاضرة تنتهي بمقتضى الوجهة الطبيعية التي للهيئة الاجتماعية البشرية (وهي الوجهة التي ورثتها من اطوار الرقي

الحيوي والمادي) فلا بد ان تنجم عنها التطوّرات التالية بعضها مباشرة وبعضها مع الزمان في امد قصير

﴿ ١ — افتراق العناصر المتباينة عن جامعاتها السياسية ﴾ لابد ان تفترق العناصر المختلفة المقيدة بنظام سياسي واحد بعضها عن بعض وان يكون كل عنصر امة قائمة بنفسها مستقلة كل الاستقلال او جله او بعضه . وبذلك يبتدئ ان يتلاشى ناموس التنازع بين جماعات العناصر ويفوز ناموس التجاذب بانجاز معظم عمله او كله

﴿ ٢ — تسابق العناصر المفترقة في سبيل الارتقاء ﴾ متى افترقت هذه العناصر المتداخلة الآن بعضها عن بعض وهي متفاوتة في رقيها يبتدىء التنازع بينها ان يتحول الى تنافس في طريق الارتقاء . أي انه يفسح السبيل لناموس التحول من حال أدنى الى حال أرقى اذ يتبرع كل عنصر يقتبس من العناصر الراقية محاسنها المدنية لكي يجاريها في سباق الرقي حتى متى التقت الامم كلها عند المستوى الاعلى تكون قد استتمت اتفاقها واتحادها في أمة كبرى

ولا يخفى ان تفاهم الامم وهي مستقلة بعضها عن بعض وتوافقها أسهل جداً وهي مقسورة على الخضوع انظامات مشتركة تقيد بعضها مع بعض . فالسربي مثلا وهو مستقل بنفسه يمكن ان يتفاهم مع المجري اكثر مما لو كان مقيداً معه بنظام سياسي ان وافق طبيعة الواحد فلا يوافق طبيعة الاخر أو قد لا يوافق طبيعة الاثنين معاً

﴿ ٣ — تبسط نور الديموقراطية وتقلص ظل الارستوقراطية ﴾ ان النظام الديموقراطي الذي يقلل القيود الاستبدادية التي بين الافراد في جماعة واحدة وبين الجماعات في جماعة مركبة أو في أمة ويساوي (على قدر الامكان) بين الافراد وبين الجماعات في الحقوق ويقصر ارتباط الافراد بعضهم ببعض وارتباط الجماعات بعضها ببعض على المصالح المشتركة فقط — هذا النظام الجميل الذي هو عماد ناموس التجاذب سيكون في الممالك الاوربية بعد الحرب أرسخ منه قبلها لان عامة الشعوب الذين قاسوا ويلات هذه الحرب دون الخاصة والذين لحقت بهم خسائرها الباهظة وتألموا اكثر من الخاصة سيشعرون بعظم الخطر من كونهم آلات في أيدي هؤلاء وانهم من غير ان يشعروا بالامر (شعوراً اجتماعياً) قد خدموا هوى هؤلاء الخاصة الجنوني وذهبوا ضحية مطامعهم الشخصية . وعليه سيكونون اكثر تمسكا بالمبادىء الديموقراطية واشد كبحاً لجماح استبداد الخاصة وسؤددهم واستقلالهم في التصرف بشؤون جمهور الشعب . وستضعف صولة الاحكام الملكية وتقوى شوكة الاحكام الجمهورية . وهذه اهم صورة من صور التطور

ولا ريب ان القراء قد لاحظوا ان ارسخ الدول في الاحكام الدستورية كانكلترا وفرنسا وبلجيكا كانت اكثر نفوراً من الحرب . والبلاد التي لا يزال فيها شيء من الحكم المطلق كروسيا أو مسحة منه كالمانيا والنمسا كانت اشد ميلاً الى الحرب

﴿ ٤ — استهواء الاشتراكية ﴾ ان هذا التطور لن يقتصر على الحالة السياسية فقط بل سيشمل الحالة الاقتصادية أيضاً وربما كان اشد فاعلية فيها . وعليه فسيقوى جداً حزب الاشتراكية في جميع ممالك اوربا بعد هذه الحرب وربما قبض على صولجان الحكم في المانيا وفرنسا على الخصوص . ذلك لان الخسائر التي ستتركها هذه الحرب الضروس بعدها ستهول كل حاسب اذ تقدر بالوف الملايين اذا حسبت نفقات الجيوش العرمرمة ونفقات السلاح وقيمة ما تدمر وتخرب . هذا فضلاً عن قيمة الرجال الذين ذهبوا ضحية الحرب الجهنمية وعطلة العمال في مدنها

واذا قست هذه الخسائر الهائلة بقيمة عمل العمّال اليومية وجدت ان الحرب قد اتلفت اتعاب اوربا كلها في جيل كامل — ذهبت هذه الاتعاب ادراج الرياح . واذا سألت عن السبب في ذهابها ضياعاً وجدته في ثلاثة امور

اولاً — عناد بعض الحكام وتهوس بعض العسكريين

ثانياً — عدم امكان التفاهم بين عامة الشعوب وتوافقها وتعاهدها على مقاومة الحروب . فقد حاول بعض زعماء الاشتراكيين في الممالك المتحاربة ان يتفاهموا لكي يقفوا في سبيل اعلان الحرب فسحقتهم السلطة العسكرية

ثالثاً — استبداد السلطات وخروجها عن حدود الديموقراطية .

ولذلك يرجح ان نفوز الاشتراكية بعد الحرب فوزاً عظيماً وستخطو خطوة عظمى كبيرة في تأييد اهم مبادئها وفي تثبيت معظم نظاماتها وفي نشر تعاليمها .

﴿ ٥ — استهواء مبدإ التحكيم ﴾ على أنه مهما نفرت الامم من الحروب وقاومتها عامتها تفادياً لويلاتها فلا يستحيل بتاتاً تعقد المشاكل بين بعض الامم بحيث يتهدد السلم وينذر بشبوب الحروب . وافعل ما تلجأ اليه الامم قبل امتشاق الحسام انما هو التحكيم . ولا يخفى ان نفوذ التحكيم يستلزم احترام الامم له قبل كل شيء كما كانت تحترمه القبائل القديمة (ولا تزال افراد القبائل العربية الى الان تحترمه في نفس القبيلة الواحدة) وكلما اشتد نفوذ التحكيم امكنه ان يؤيد بالتدريج سلطته بقوة منفذة حتى يصبح اخيراً قضاء دولياً مؤيداً بقوة شرطة دولية . وقد دلتنا الحروب الاخيرة على ان الامم الراقية تحترم في كثير من الاحوال العهود والمواثيق وتنصر الحق في كثير من المواقف

وتراعي المصالح (كما فعلت انكلترا في هذه الحرب الكبرى وكما فعلت الولايات المتحدة الاميركية في حربها مع اسبانيا) . فلذلك يؤمل جداً ان يستقوي مبدأ التحكيم بعد هذه الحرب

﴿ ٦ — الحكم على الجماعات المتباينة المتمازجة ﴾ — بقيت الجماعات المتباينة التي لا تزال متمازجة تمازجاً شديداً في مواطنها بحيث يستحيل فرزها بعضها عن بعض من الوجهة السياسية على الخصوص كممالك البلقان وولايات تركيا وبعض ولايات النمسا وغيرها مما لا يزال خليطاً من عناصر مختلفة متباينة في عقايدها وعاداتها ولغاتها ومدنياتها . فهذه لا بد ان تقاسي مدة طويلة آلام التحول والتكيف على اساليب مختلفة لكي تتماثل في طباعها واميالها ويتسنى توحد كل جماعة سياسية منها توحداً يضمن استتباب استقلالها

وأهم اساليب تطورها : اولاً — تقارب العناصر المتمازجة المتباينة المتنافرة في عاداتها واميالها بحيث تقتبس بعضها عن بعض وتتطبع بعضها باطباع بعض . وبالطبع لا بد ان تقتبس الاقلية من الاكثرية اكثر مما تقتبس هذه من تلك . ومع التمادي تتشابه العناصر المختلفة ويزول تنافرها ويقوى تآلفها . وانما يقاوم هذا الاسلوب الاختلاف في اللغة والعقيدة مقاومة شديدة ولكن تقويه المصلحة

ثانياً — اندغام العناصر بعضها ببعض اندغاماً تاماً بطريقة التزاوج بحيث يغرق العنصر الضعيف في العنصر القوي ويختفي فيه

ثالثاً — ان تهاجر العناصر المتباينة بعضها عن بعض والعناصر المتماثلة بعضها الى بعض كأن تتقايض العناصر المختلفة مواطنها . وكان في نية تركيا واليونان ان تتعمدا هذه المقايضة تعمداً على اثر الحرب البلقانية . اي ان يرحل يونانيو تركيا الى الاملاك اليونانية واتراك اليونان الى الاملاك العثمانية ولكن الحوادث حالت دون هذه الامنية . ولا يخفى ان هذا الاسلوب اسلم الاساليب عاقبة لتطور الجماعات المتمازجة المتنافرة

رابعاً — ان تتنازع العناصر المتنافرة المتمازجة تنازعاً حاداً يفضي الى افناء العنصر القوي العنصر الضعيف او حمله على المهاجرة بالاضطهاد او الاجحاف في المعاملة

هذه اهم الاساليب لتطور العناصر المتباينة المتمازجة . وهي تعمل تارة كلها معاً وتارة يعمل بعضها دون البعض . ولا يخفى ما تقاسيه العناصر من آلام هذه الاساليب المختلفة

وبناء على ما تقدم من التعليل لا ننتظر انه بانتهاء الحرب الاوربية الكبرى ينتهي تطور اوربا التام الذي يمهد السبيل الى توحد اممها في نظام عام يكون اضمن لسلمها

وسعادتها كما نؤمل . وانما يجز بعد هذه الحرب معظم هذا التطور ولا يبقى منه الا بعض الحواشي في العناصر الصغيرة

﴿ ٧ — خطر التنازع بين الشرق والغرب ﴾ — ولكن بعد استقواء الامل بامكان توحد الامم الاوربية واطمئنان الهيئة الاجتماعية لهذا الرجاء يتجسم لدى نظر الهيئة الاجتماعية خطر التنازع الحاد بين الامم الشرقية والامم الغربية لشدة التباين بين مدنيتها ولا بد من تمثيل ادوار التطور التي مثلت بين الامم الاوربية ولو بعد امد طويل . ومن يدري مقدار ما تقاسيه الامم في حلبة ذلك التنازع فقد يكون شديداً وقد يكون اخف وطأة . على اننا نؤمل ان يكون خفيف الوطأة لان الامم الشرقية تنبهت الى مزايا الامم الغربية التي كانت علة رقيها فجعلت تقتبس منها ما تستطيع اقتباسه لترقيها . ولا يخفى ان اقتباسها لها يسهل الطرق لتفاهم الجانبين وتقاربهما وامكان توافقهما باقل قدر من الضحايا

اقف الان عند هذا الحد من هذا الموضوع الخطير الذي لا تسعه مقالة او بعض مقالات وربما عدت اليه متبسطاً فيه في فرصة اخرى

نقولا الحداد

خواطر

من كتاب الاخلاق العصرية لاتيان راي تعريب عبد العزيز صبري :

المساواة في المجتمع اكثر مما في الطبيعة

الحياة مفعمة بأباطيل لها عواقب حسنة . وحقائق لها نتائج سيئة

الطبيعة ترضى بكل الاسباب وتتفق مع كل القواعد وتقبل التثبت من كل شيء

قد تفوح من بعض السيئات رائحة العظمة كما قد تنتشر من بعض الحسنات رائحة الضعة

أصبح الحب وهو العصيان الوحيد المباح ارتكابه للانسان

نجد اسباباً شتى للبغض ولا نجد سبباً واحداً للحب ومع ذلك نحب

الحب حرب عوان ينبغي ان يكون فيها قاهر ومقهور

يكاد لا يكون لغرام الرجل اقل اشتراك مع غرام المرأة فلكل منهما شرائعه الخاصة وكل منهما ينشأ ويمرح ويكبر ويموت بشكل مختلف وكثيراً ما يكون مناقضاً للاخر

تصوير ما لا يرى

الميكروفوتوغراف أو التصوير الميكروسكوبي

نقص حواسنا

ان اكبر حقيقة اكتشفها العلماء والفلاسفة هي نسبية كل ما نشاهده من الظواهر في عوالم الجماد والنبات والحيوان . فان تلك الظواهر انما تصل الينا عن طريق حواسنا ولا ريب ان تلك الحواس غير كاملة في تكوينها وقابلة للزيادة والنقصان في قوتها . ثم ان مذهب النشوء والارتقاء يدلنا على ان تلك الحواس لم توجد فينا لاكتشاف أسرار الكون وانما وجدت لتساعدنا على البقاء والنمو



رأس بعوضة تحت الميكروسكوب

قال المسيو نوليه وهو من اكبر الفلاسفة الفرنساويين الحديثين :

« نشأت الحواس تدريجياً في الحيوانات لتستعملها في حفظ حياتها والتغلب على أعدائها طبقاً لسنة تنازع البقاء لا للبحث عن الحقيقة . فالعين مثلا لم توجد لملاحظة الافلاك ودرس خصائص الاجسام وانما وجدت لتنبه صاحبها الى ما يحيط به من الاخطار أو ليستخدمها في صيد فريسته . وهكذا سائر الحواس غايتها الرئيسية بقاء الفرد

وتمتعه . ولذلك فان تفوق حاسة من الحواس على غيرها كتفوق النظر واللمس في الانسان تجعله يقيس الاشياء بهما . واذا فرضنا قوماً امتازت فيهم حاسة الشم فلا شك انها تصبح مقياسهم فيزعمون ان ما لا رائحة له لا وجود له . كما يقول عامة الناس : ما لا يرى ويلمس لا يوجد »



رجل نوع من البق تحت الميكروسكوب

فيتضح من ثم ان في الطبيعة قوى وعوامل ومواد لا تدركها حواسنا : خذ مثلاً التموجات في الهواء وفي الاثير فان العلماء تمكنوا من قياس تلك التموجات فوجدوا ان البون شاسع بين سرعة تموجات الهواء (ومنها الصوت) وسرعة تموجات الاثير (ومنها النور) أفلا يعقل ان هنالك تموجات في الطبيعة متوسطة بين تموجات الهواء وتموجات الاثير التي نعرفها أو أسرع منها أو أبطأ وانما لا ندركها بحواسنا لانها لم تعد للتأثر منها ؟ ولو كانت حواسنا أرق مما هي الآن أو مركبة تركيباً آخر أو لو كان لدينا حواس غير التي نعرفها (وربما يوجد منها عند بعض الحيوانات) لادركنا عوامل وقوى في الطبيعة لا ندركها الآن

الميكروفونوغراف وفوائده

الغرض من هذا التمهيد بيان نقص حواس الانسان وعجزه عن معرفة حقيقة الظواهر الطبيعية . ولكننا قد تعودنا في حياتنا اليومية ان نقيس الاشياء حسب ما تتراءى لنا بطريق حواسنا ولو فكرنا قليلاً لوجدنا انه لو كان لدينا عيون أقوى من عيوننا لرأينا الاشياء تختلف

عما تظهر لنا اختلافاً عظيماً . الا ان الانسان قد استعاض نوعاً ما عن نقص حواسه بآلات تقرب اليه البعيد وتكبر الصغير و بفضل تلك الآلات قد تمكن من ولوج عوالم لم يكن يحلم بها

فالميكروسكوب مثلاً يفتح لنا أبواب عوالم عظيمة مع صغرها ولو كان في الامكان استعماله لفحص الامور الصغيرة او الكبيرة التي تقع بين أيدينا لوجدناها تختلف اختلافاً عظيماً عن الصورة الراسخة في ذهننا بمجرد استعمال حواسنا . خذ مثلاً نقطة دم او نقطة ماء وافحصها بالميكروسكوب تجد فيها أحياء تنمو وتتكاثر وتتنازع بطريقة لا يحلم بها الناظر السطحي . وقس على ذلك أمثلة كثيرة



حد موسى للحلاقة بعد سنها تحت الميكروسكوب (وهي اشبه بالمنشار)

ولما كان يتعذر على عامة الناس الحصول على آلات ميكروسكوبية لتوسيع مداركهم فقد أصبح الآن في امكانهم ان يحصلوا على صور تمثل لهم العوالم الميكروسكوبية أحسن تمثيل مما يسهل تداوله ووضعه في الكتب والمجلات . وذلك انهم جمعوا بين الآلة الفوتوغرافية والميكروسكوب وسموا هذا الفن الجديد الميكروفوتوغراف أي التصوير الميكروسكوبي

وقد نشرنا مع هذه المقالة بعض الامثلة الدالة على فوائد هذا الفن ولا شك انه سيكون عاملاً جديداً في توسيع المدارك وانتشار العلم بين العامة

جرجي زيدان

بقلم الشاعر الناثر جبران خليل جبران

لقد مات زيدان وممات زيدان عظيم كحياته جليل كأعماله

لقد رقدت تلك الفكرة الكبيرة وحول مضجعها تحوم الآن سكينة نوحي الهيبة والوقار وتترفع عن الحزن والبكاء

قد تملصت تلك الروح الطيبة ورحلت الى عالم نشعر به ولا ندركه وفي رحيلها عظة للباقين في قبضة الايام والليالي

قد تحرر ذلك الوجدان النبيل من متاعب العمل ومشاقه وسار ملتفاً برداء مجده الى حيث يتسامى العمل عن المشاق والمتاعب. قد ذهب زيدان الى حيث لا تراه العين ولا تسمعه الاذن — ولكن اذا كان زيدان قد انتقل الى احدى السيارات السابحة في بحر اللانهاية فهو الآن مشغول بنفع سكانها . معجب بجميع معارفها . مأخوذ بجمال تاريخها . منصب على درس لغاتها

هذا هو زيدان — فكرة متحمسة لا ترتاح الا الى العمل وروح ظامئة لا تنام الا على منكبي اليقظة وقلب كبير مفعم بالرقة والغيرة . فاذا كانت تلك الفكرة لا تزال كائنة بكيان العقل العام فهي تشتغل الآن مع العقل العام. واذا كانت تلك الروح موجودة بوجود النواميس فهي الآن تعمل مع النواميس . واذا كان ذلك القلب باقياً ببقاء الله فهو الآن ملتهب بشعلة الله

هذه هي حياة زيدان — ينبوع تدفق من صدر الوجود وسار نهراً صافياً يروي ما على جانبي الوادي من النبات والانصاب

وها قد بلغ النهر شاطئ البحر فاي متطفل يا ترى يجسر ان يندبه او يرثيه

اوَليس الندب والنواح خليقين بالذين يقفون أمام عرش الحياة ثم ينصرفون قبل ن يسكبوا في راحتيها قطرة من عرق جبينهم أو دم قلوبهم ؟

أوَلم يصرف زيدان ثلاثين سنة مذيباً قلبه مستقطراً جبينه . وهل بيننا من لم يستق من تلك المجاري البلورية العذبة ؟

اذاً فمن شاء ان يكرم زيدان فليرفع نحو روحه ترنيمة الشكر وعرفان الجميل بدلا من ندبات الحزن والاسى

من شاء ان يكرم ذكر زيدان فليطلب قسمته من خزائن المعارف والمدارك التي جمعها زيدان وتركها ارثاً للعالم العربي

لا تعطوا الرجل الكبير بل خذوا منه وهكذا تكرمونه

لا تعطوا زيدان ندباً ورثاء بل خذوا من مواهبه وعطاياه وهكذا تخلدون ذكره

(عن مرآة الغرب)

الى غليوم

من قصيدة لشاعر النيل

لله آثار هناك كريمة حسدت روائع حسنها برلين
طاحت بها تلك المدافع تارة لما أمرت وتارة زبلين
ماذا رأيت من النبالة والعلى في هدمهن وكلهن عيون
لو ان في برلين عندك مثلها لعرفت كيف تجلها وتصون
ان كنت انت هدمت رمس فانه اودى بمجدك ركنها الموهون
لم يغن عنها معبد خربته ظلماً ولم يمسك عنانك دين
لا تحسبن الفخر ما احرزته الفخر بالذكر الجميل رهين
هل شدت في برلين غير معسكر قامت عليه معاقل وحصون
وجمعت شعبك كله في قبضة ان لم تكن لانت فسوف تلين
اكثرت من ذكر الاله تورعاً وزعمت انك مرسل وامين
عجباً اتذكره وتملأ كونه ويلا لينعم شعبك المغبون
وكذلك القصاب يذكر ربه والنصل في عنق الذبيح دفين

حافظ

الغرام في قصور الملوك

سجلات تاريخية مجهولة

لويس الخامس عشر ومدام دي باري

اذا كانت سجلات البلاط الفرنسوي حافلة باخبار الغرام فان حكاية جان بيكو التي عرفت فيما بعد بمدام دي باري من اغرب ما وقع لاصحاب العروش

كانت جان بيكو من اصل وضيع جداً فان اباها كان « مرمطوناً » (أي عمال طواجن) وأمها خياطة واجدادها اشد ضعة وحقارة . ولكنها كانت ذات جمال ساحر وحسن فتان فلم تكد تبلغ الخامسة والعشرين من سنيها حتى كانت تلاعب بلويس الخامس عشر كما تلاعب النار بالهشيم

وقبل ان تصل الى البلاط الفرنسوي دخلت احد مخازن الازياء في باريس لتتعلم فن الخياطة فلم يمض عليها هنالك ردح من الزمن حتى كان جمهور من المتصبين يترددون كل يوم على ذلك المخزن أو ينتظرونها خارجاً لعلهم يحظون بنظرة من نظراتها . وقد أجمع سائر الذين عرفوها ان باريس لم تشهد قبلها امرأة أكثر جمالا وأشد تلاعباً بالقلوب . حتى ان فولتير الذي لم يكن قلبه لتؤثر فيه لواحظ الحسان قال عنها : « ان هذه الصورة خلقت في الاصل من أجل الآلهة »

واتفق ان في اثناء وجودها في المخزن المذكور سمع بجمالها الكونت دي باري فعزم على مشاهدتها ليتحقق جمالها بنفسه . فلم يكد بصره يقع عليها حتى وقع أسيراً لها. وأخذ منذ ذلك الحين يسعى للحصول عليها ولكن حبل غرامه انقطع فجأة فان لويس الخامس عشر سمع بجمالها فاستقدمها اليه وعزم ان يجعلها من حاشيته

وبعد ذلك بقليل (أي في أوائل سنة ١٧٦٨) رتب الملك ان تقترن جان بوليم باري (أخي الكونت باري) ولكنه كان زواجاً بالاسم فقط فان العريسين لم يتقابلا الا في صباح حفلة الزواج ثم ما لبثا ان افترقا وهما خارجان من صلاة الاكليل

ومنذ ذلك الحين بدأ نجم سعدها في الصعود فكان لويس الخامس عشر يجاري في استنباط الوسائل لمسرتها ويغدق عليها من المنح والهبات ما كانت تحسدها عليها أعظم

الاميرات . وكان جميع من في القصر يحبونها ويحترمونها

وظلت مدام دي باري ست سنين تنعم في بلاط الملك لويس . ثم وافاه الاجل المحتوم فاستدعاها اليه قبيل وفاته وقال « لقد آن أوان الفراق » وكان الامر كما قال . فلم يمر بضعة أيام حتى أسلم الروح وحزنت عليه مدام دي باري حزناً كثيراً

على ان أيام حدادها لم تطل فلم يمر عليها بضعة أيام حتى تعرفت بالدوق دي كوزي ابن المرشال دي برساك وكان أجمل شاب في اوربا لذلك العهد

وكان دي كوزي يراها دائماً في بلاط لويس ولكنه لم يجسر قط ان يكلمها أو يتقدم اليها . وكان يحبها حباً مفرطاً يقرب من العبادة ولكنها طالما كانت في بلاط لويس الخامس عشر لم يكن يستطيع ان يجهر بحبه لها . فلما مات لويس زعم دي كوزي انه قد زالت العثرات فتقدم اليها وطلب يدها ولكنها رفضته في بادىء الامر لان قلبها كان متعلقاً بشاب من أشراف الانكليز يدعى هنري سيمور ولكن هذا لم يكن يميل اليها وكانت آخر رسالة منها اليه مما يحرك العواطف وقد قالت له : « عبثاً اكتب اليك اني أحبك فانك تعرف ذلك جيداً . ولكن هنالك شيئاً آخر لا تعرفه وهو شدة الالم الذي أعانيه من أجلك . ويزيد في ألمي انك لم تكتب الي منذ أيام عديدة فكأن سعادتي ليست مما يهمك . ويسوءني انني قد أزعجتك بهذه الرسالة ورسائلي السابقة ولذلك ستكون هذه آخر ما اكتبه اليك »

وبعد ان بعثت اليه بهذه الرسالة أخذت تحاول ان تنساه . وصارت تتعزى عنه بحب الدوق دي كوزي ولم تكن تحبه في أول الامر ولكنها ما عتمت ان بدأت تشعر بميل اليه ثم تحول ذلك الميل الى حب صادق كان يزداد رسوخاً بمرور الايام حتى لم يعد أحدهما يستطيع مفارقة الآخر فاذا افترقا قليلا لم يدعا ساعة تمر بدون ان يكتب كل منهما الى الآخر . وفي دار السجلات الفرنسوية مجموعة نفيسة من رسائلهما وقد بلي الورق المكتوبة عليه ولكن الرسائل تدل على حب متبادل عظيم

وفي ذلك الزمن توفي والد الدوق دي كوزي فانتقل اليه ارثه وأمواله ولقبه وأصبح منذ ذلك الحين يدعى الدوق دي برساك وعين محافظاً لمدينة باريس ورئيساً لحرس الملك . على ان ترقيته هذه كانت خطأ كبيراً عليه فان زوابع الثورة الفرنسوية كانت

قد بدأت يومئذ بالهبوب . وكان الاشراف قد اخذوا يهربون الى انكلترا زرافات زرافات ولكن دي برساك ابى ان يترك منصبه وفضل القيام بواجباته والبقاء الى قرب حبيبته . ولم تكن هي ايضاً تعبأ بالاخطار المحيقة بها مع ان اعداءها كانوا كثيرين وزاد كرههم لها عند ما أعلنت انها تدفع مكافأة الفي جنيه لمن يرد اليها بعض الحلي التي كانت قد سرقت منها وهي حلى لا تقدر بثمن كان لويس الخامس عشر قد وهبها لها

ولما اشتد الخطر كتب اليها الدوق ان تذهب اليه حالا وتحمل معها ما تستطيع من الجوهرات . ولكن الفرصة كانت قد فاتت وبركان الثورة قد انفجر . فان الرعاع أحدقوا بالدوق وأسروه ثم حوكم بعد قليل أمام « المحكمة الوطنية العليا » التي الفوها في أيام الثورة للحكم على الاشراف . ولما اتهموه بانه قد أدخل الى الحرس رجالاً من الحزب الملكي قال لهم : « انني لم أدخل الى الحرس الا رجالاً من الوطن قد توافرت فيهم جميع الشروط اللازمة » . فحكموا عليه بالموت . ولكنهم وضعوه في سجن أورليان موقتاً . وكانت حبيبته تكتب اليه كل يوم وهو يكتب اليها . وكان آخر ما كتبه قوله : « تناولت رسائلك في هذا الصباح ففرحت بها فرحاً لا أستطيع ان أعبر لك عنه . حقاً ان رسائلك هي تعزيتي الوحيدة في هذه الايام المظلمة . ليتني قريب منكِ فكنت اريكِ كم انا مدين لكِ بالشكر »

وبعد ايام قليلة بلغها انهم سيأتون بحبيبها الى باريس فتشجعت وعزمت ان تراه للمرة الاخيرة مهما كلفها الامر . وفي اليوم المعين اخذت تنتظر مرور ذلك الموكب الرهيب . فلما حانت الساعة سمعت وقع اقدام عن بعد . وما هي الا بضع دقائق حتى بدأت طلائع جمهور الرعاع . وما اشد ما كان هول المنظر عندما رأت رأس حبيبها مرفوعا على رأس رمح ومخضباً بالدماء فلا يكاد يعرف لولا علامة مميزة في جبهته

***

ومنذ ذلك الحين لم يبق لمدام دي باري لذة بالحياة . ولم تمض بضعة ايام حتى احاق بها الرعاع وكان في استطاعتها ان تنجو بنفسها ولكنها ابت قائلة : « ليس لي رغبة في النجاة لانني أسر بالموت ولكنني اهب كل اموالي لمن ينقذ الدوقة مورتمارت » (اي ابنة زوجها) وقد أنقذت واما هي فاقتيدت الى المقصلة (الجيلوتين)

شذرات عن الحرب الحاضرة

مجموعة من أدق المصادر وأصحها

عمر الاسلحة

لا يخفى ان للاسلحة الاهمية العظمى لترجيح كفة الحروب والحرب الحاضرة هي أعظم حروب التاريخ لكثرة عدد الامم المتحاربة وطول الاسلحة المستعملة فيها . ويقول العارفون بالفنون الحربية ان تلف الاسلحة سيعجل في نهاية هذه الحرب اكثر من تلف الاموال والرجال

ولما كان معظم الاعتماد في المعارك الحديثة على الاسلحة الحديثة كان للمدافع والبنادق النصيب الاكبر من اهتمام رجال الحرب . فالبندقية اذا لم تنفجر أو تنسفها بندقية أخرى تعيش طويلاً ولكنها تفقد بمرور الزمن شرطاً من أهم شروطها وهي الدقة والاحكام وذلك لان كل رصاصة أو قنبلة تطلق من فوهتها تقلل من دقتها . على ان هذا النقص يقل كلما صغرت الفوهة وهو على اعظمه في المدافع الضخمة . والمعروف ان هذه المدافع لا تكاد تطلق مئتي قنبلة حتى تقل دقتها واحكامها

على ان أصحاب المصانع الالمانية يدعون ان هذا النقص زهيد جداً في مدافع الموزر الالمانية نظراً لسرعة انطلاق قنابلها . ولكن الحقيقة التي لا ريب فيها هي ان المدافع الالمانية كغيرها من المدافع خاضعة للنواميس الطبيعية وهي تتلف بنفس السرعة التي تتلف بها غيرها

ومما لا شك فيه ان المدافع التي يستعملها الفريقان المتحاربان اليوم قد بدأت تفقد قوتها ودقتها لان مرور خمسة اشهر عليها في حرب طاحنة من اعظم اسباب تلفها . فاذا كانت هذه الحرب ستطول فلا بد من تجديد المدافع والبنادق على الدوام حتى تضع الحرب اوزارها

وما يصدق على الاسلحة النارية يصدق ايضاً على مركبات النقل البخارية والكهربائية وغيرها . ولا شك ان تلفها سيؤدي الى تقصير عمر هذه الحرب

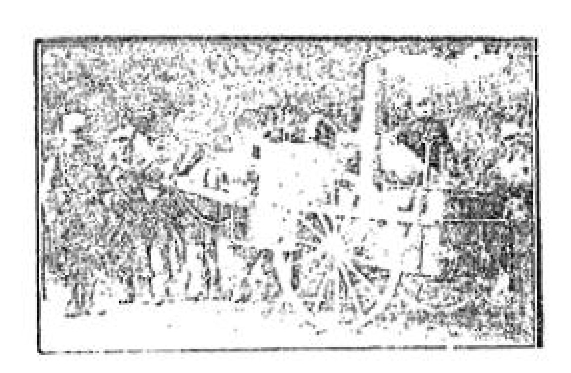
تاريخ الصليب الاحمر

من غرائب الاتفاقات ان اول اجتماع لمؤتمر الصليب الاحمر كان في الثاني والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٨٦٤ وهو نفس اليوم الذي حدثت فيه معركة من اشد معارك الحرب الحاضرة . واول من اقترح تأليف جمعية دولية للصليب الاحمر هو هنري دوران . فاجتمع في شهر اكتوبر سنة ١٨٦٢ في مدينة جنيف مندوبون من امم كثيرة للبحث في هذا الموضوع . واذ أراد المؤتمر ان يكون لقراراته صبغة رسمية جعل الامبراطور نپوليون الثالث رئيساً له . وبعد مداولات عظيمة الاهمية وضع المؤتمر معاهدة سميت معاهدة جنيف ووقع عليها اثنا عشر مندوباً من مندوبي الدول وكان غرض المعاهدة انشاء جمعية الصليب الاحمر التي ما زالت تنمو وتكبر حتى تناولت جميع الامم المتمدنة ولعل اخر من انضم اليها حكومة اكوادور وذلك في سنة ١٩٠٧ — على ان هناك جمعيات اخرى للصليب الاحمر قائمة بنفسها ومنها جمعية ورتمبرج بالمانيا وجمعية اخرى باميركا



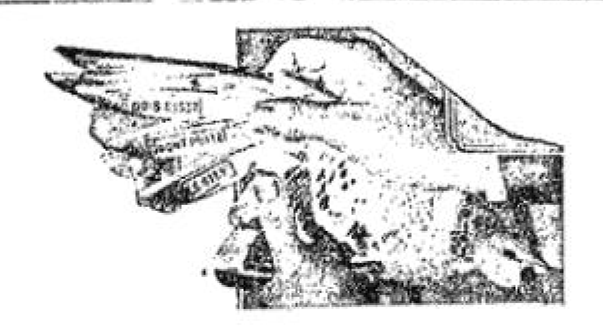
القنابل المنيرة التي يستعملها الالمان لكشف مراكز الحلفاء في الليل

تغذية الجيوش



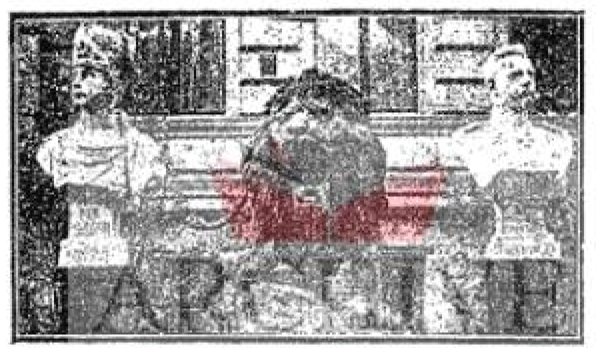
مطابخ نقال

لايخفى ان من اهم الامور التي يتوقف عليها نجاح الجيوش في الحروب تغذيتهم والاهتمام بطرق تموينهم . وقد قال فوبان القائد الفرنساوي الشهير ان فن الحرب عبارة عن فن تغذية الجيوش . وقال فردريك الثاني « اذا اردت ان يكون جيشك قوياً شديد الباس فاهتم ببطنه » . ويختلف نوع الغذاء وطرق التموين باختلاف النظام العسكري عند الامم المتنوعة . فكان الفرس قديماً من اشد الامم اهمالاً لامر تغذية عساكرهم حتى ذكر بعض المؤرخين انهم لم يكونوا يعطونهم ما يأكلون الا مرة في كل اربع وعشرين ساعة . وكانت البلاد والقرى التي تمر فيها الجيوش الفارسية مضطرة لتغذية العسكر وتموينهم . اما الاسكندر وغيره من القواد العظماء القدماء فقد كانوا اشد اهتماماً بتغذية الجيوش فقد جاء مثلاً في كتب التاريخ انه لما اراد هنبال ان يعبر جبال البريني والالب ليغزو رومية وجه جل همه في اول الامر الى تغذية الجيش فارسل امامه مؤونة كافية ووزعها على المحطات التي كان سيمر بها جيشه . وظلت طرق التموين والتغذية تنشأ وترتقي حتى جاء هنري الثاني ملك فرنسا فانشأ في سنة ١٥٥٧ للميلاد مصلحة لتموين الجيوش ثم جاء ريشليو فحسن نظام تلك المصلحة وادخل عليها اصلاحات عديدة . ويظن ان اعطاء الجيوش جرايات يومية معينة لم يُبدأ العمل به الا في زمن غوستاف أدولف فانه امر في حرب الثلاثين سنة ان يوزع على الجيوش الاسوجية جرايات معينة كانت توازي ٤١٠ غرامات من اللحم و٨٢٠ غراما من الخبز كل يوم . ولما جاء لوفوا المصلح الاجتماعي الفرنساوي الشهير اخذ يحسن حالة الجيش وكيفية تغذيته وجاء بعده فوبان فادخل اصلاحات جديدة يصح ان يقال انها اساس نظام التموين في الجيوش المتمدنة الحالية



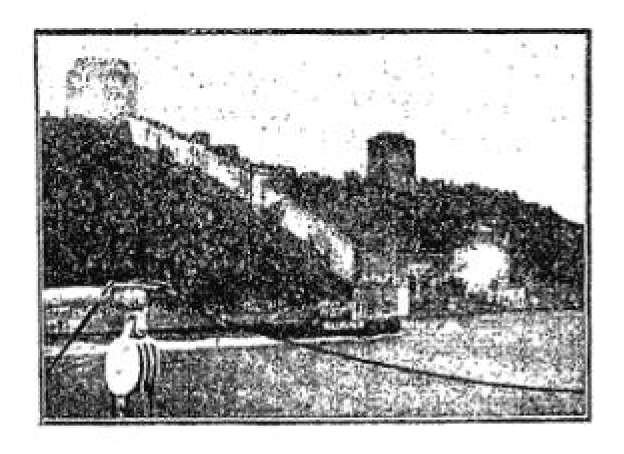
التخاطب بواسطة الحمام الزاجل

هذه الصورة تبين احدى الطرق التي يستعملها المتحاربون للمخابرة

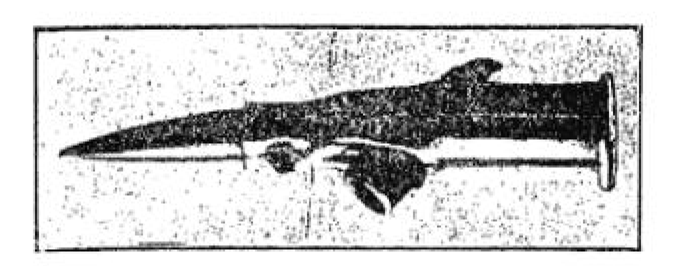


تمثالان أقيما مؤخراً في برلين

الى اليمين تمثال نصفي للجنرال هندنبرغ فاتح بولندا (كذا) – الى اليسار تمثال نصفي لولي عهد المانيا قاهر الحلفاء في لونجوي (كذا)



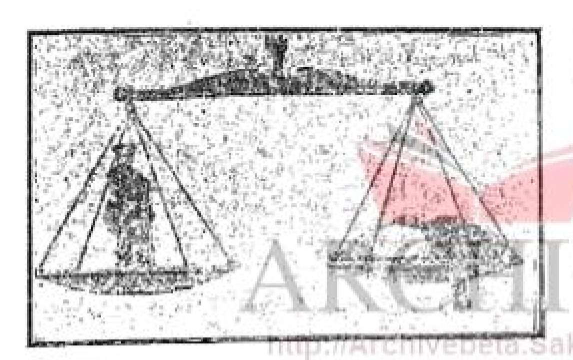
مثال من حصون البوسفور القديمة



من غرائب الاتفاق

رصاصة جندي فرنسوي قد اخترقتها رصاصة جندي الماني

ثمن الجندي الواحد



عثرنا على هذه الصورة في احدى المجلات الاميركية الكبرى ويؤخذ منها انه في الحرب الروسية اليابانية الاخيرة بلغت نفقات قتل الجندي الواحد سبعين رطلاً من الذهب والفاً وثلاثاً وخمسين رصاصة. فتأمل



الجنرال فوندر غولتز باشا

الذي في يده اليوم زمام الامور في الاستانة

تاريخ الشهر

عهد السلطنة في مصر

الحادث التاريخي العظيم

وقع في خلال الشهر الماضي حادث من أهم الحوادث التي طرأت على مصر في تاريخها الحديث الا وهو انقلاب الحكومة من خديوية الى سلطنة وزوال السيادة التركية عن هذه البلاد ووضع القطر تحت حماية بريطانيا العظمى وتنصيب سمو البرنس حسين كامل سلطاناً على مصر. وليس في هذا الانقلاب شيء مدهش بعد ان انضمت تركيا الى أعداء انكلترا وشهرت عليها الحرب فخسرت بذلك جزءاً من اهم أجزائها وافقدها طيش اغرارها بلاداً كانت تعد أثمن درة في تاج عثمان . ومتى تذكرنا ان الحزب الحربي في تركيا انما هو آلة مسيّرة في يد المانيا وان الحاكم الحقيقي للمملكة العثمانية في هذه الايام هو الامبراطور غليوم وان معظم عقلاء الاتراك ان لم نقل كلهم حانقون عليه حنقاً شديداً وانما لا يجسرون على اظهار سخطهم خوفاً من غضب الحزب الحربي — اذا تذكرنا جميع ذلك لم يسعنا الا الاسف لما آلت اليه المملكة العثمانية بعد ان بلغ بها الغزاة والفاتحون الاولون اسمى مراقي المجد . فطيش رجال الحزب الحربي التركي المدفوع بقبضة المانيا الحديدية هو الذي قضى على عرش عثمان وجازف بتراث الآباء والاجداد فكان من جراء ذلك فقدان جانب كبير من المملكة منه وادي النيل

ولم يكن طيش الحزب الحربي وحده الباعث على بسط الحماية البريطانية على مصر وتنصيب سمو الامير حسين كامل باشا سلطاناً عليها بل ساعد على ذلك انضمام الخديوي السابق الى أعداء انكلترا على ما جاء في بلاغ ناظر الخارجية البريطانية . ومن راجع تاريخ مصر في عهد الاحتلال البريطاني يرى انه قد كان في كل أدواره عبارة عن معاكسة ومشاكسة من الخديوي لرجال الاحتلال الى ان نفد الصبر فوقع المحذور ورأت دولة بريطانيا العظمى ان دوام الحال على هذا المنوال من المحال فاقدمت على عمل كانت تكره الاقدام عليه او على الاقل تؤجله من حين الى آخر وهو اعلانها الحماية نهائياً .

وهاك ما جاء في بلاغ ناظر الخارجية البريطانية بهذا الخصوص :

« يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى انه بالنظر الى حالة الحرب التي سببها عمل تركيا قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته واصبحت من الآن فصاعداً من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية . وبذلك قد زالت سيادة تركيا على مصر وستتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية اهلها ومصالحها — القاهرة في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ »

وفي اليوم التالي لصدور هذا البلاغ أصدرت نظارة حكومة بريطانيا الخارجية بلاغاً آخر بشأن تنصيب سمو الامير حسين كامل باشا سلطاناً على مصر . وهاك نصه :

« يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى انه بالنظر لاقدام سمو عباس حلمي باشا خديوي مصر السابق على الانضمام الى اعداء الملك قد رأت حكومة جلالته خلعه عن منصب الخديوية . وقد عرض هذا المنصب السامي مع لقب سلطان مصر على سمو الامير حسين كامل باشا اكبر الامراء الموجودين من سلالة محمد علي فقبله — القاهرة في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ »

وقد رأينا تتميماً للفائدة ان نورد هنا صورة المفاوضات الخطيرة التي دارت بين الوكالة البريطانية وعظمة السلطان بشأن هذا الانقلاب العظيم وهو كما يأتي : —

التبليغ الوارد الى الحضرة السلطانية

من قبل الحكومة البريطانية

يا صاحب السمو

كلفني جناب ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى ان أخبر سموكم بالظروف التي سببت نشوب الحرب بين جلالته وبين سلطان تركيا وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير في مركز مصر

كان في الوزارة العثمانية حزبان أحدهما معتدل لم يبرح من باله ما كانت بريطانيا العظمى تبذله من العطف والمساعدة لكل مجهود نحو الاصلاح في تركيا ومقتنع بأن الحرب التي دخل فيها جلالته لا تمس مصالح تركيا في شيء ومرتاح الى ما صرح به جلالته وحلفاؤه من ان هذه الحرب لن تكون وسيلة للاضرار بتلك المصالح لا في مصر ولا في سواها . وأما الحزب الاخر فشرذمة جنديين افاقين لا ضمير لهم أرادوا اثارة حرب عدوانية بالاتفاق مع اعداء جلالته معللين انفسهم انهم بذلك يتلافون ما جروه على بلادهم

من المصائب المالية والاقتصادية . اما جلالته وحلفاؤه مع انتهاك حرمة حقوقهم قد ظلوا الى آخر لحظة وهم يأملون ان تتغلب النصائح الرشيدة على هذا الحزب . لذلك امتنعوا عن مقابلة العدوان بمثله حتى أرغموا على ذلك بسبب اجتياز عصابات مسلحة للحدود المصرية ومهاجمة الاسطول التركي بقيادة ضباط المانيين ثغوراً روسية غير محصنة

ولدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على ان سمو عباس حلمي باشا خديوي مصر السابق قد انضم انضماماً قطعيا الى أعداء جلالته منذ أول نشوب الحرب مع المانيا

وبذلك تكون الحقوق التي كانت لسلطان تركيا وللخديوي السابق على بلاد مصر قد سقطت عنهما وآلت الى جلالته

ولما كان قد سبق لحكومة جلالته انها أعلنت بلسان قائد جيوش جلالته في بلاد مصر انها أخذت على عاتقها وحدها مسؤولية الدفاع عن القطر المصري في الحرب الحاضرة فقد أصبح من الضروري الآن وضع شكل للحكومة التي ستحكم البلاد بعد تحريرها كما ذكر من حقوق السيادة وجميع الحقوق الاخرى التي كانت تدعيها الحكومة العثمانية

فحكومة جلالة الملك تعتبر وديعة تحت يدها لسكان القطر المصري جميع الحقوق التي آلت اليها بالصفة المذكورة وكذلك جميع الحقوق التي استعملتها في البلاد مدة سني الاصلاح الثلاثين الماضية . ولذا رأت حكومة جلالته ان أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بالمسؤولية التي عليها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية اعلاناً صريحاً وان تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد امير من امراء العائلة الخديوية طبقاً لنظام ورائي يقرر فيما بعد

بناء عليه قد كلفتني حكومة جلالة الملك ان ابلغ سموكم انه بالنظر لسن سموكم وخبرتكم قد رؤي في سموكم اكثر الامراء من سلالة محمد علي أهلية لتقلد منصب الخديوية مع لقب « سلطان مصر » واني مكلف بان أؤكد لسموكم صراحة عند عرضي على سموكم قبول عبء هذا المنصب ان بريطانيا العظمى اخذت على عاتقها وحدها كل المسؤولية في دفع اي تعد على الاراضي التي تحت حكم سموكم مهما كان مصدره . وقد فوضت الي حكومة جلالته ان اصرح بانه بعد اعلان الحماية البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين اينما كانوا الحق في ان يكونوا مشمولين بحماية حكومة جلالة الملك

وبزوال السيادة العثمانية تزول ايضاً القيود التي كانت موضوعة بمقتضى الفرمانات العثمانية لعدد جيش سموكم وللحق الذي لسموكم في الانعام بالرتب والنياشين

اما فيما يختص بالعلاقات الخارجيـة فترى حكومة جلالته ان المسؤولية الحديثة التي اخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعي ان تكون المخابرات منذ الان بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الاجنبية بواسطة وكيل جلالته في مصر

وقد سبق لحكومة جلالته انها صرحت مراراً بان المعاهدات الدولية المعروفة بالامتيازات الاجنبية المفيدة بها حكومة سموكم لم تعد ملائمة لتقدم البلاد ولكن من رأي حكومة جلالته ان يؤجل النظر في تعديل هذه المعاهدات الى ما بعد انتهاء الحرب

وفيما يختص بادارة البلاد الداخلية عليّ ان اذكر سموكم ان حكومة جلالته طبقاً لتقاليد السياسة البريطانية قد بدأت على الجد بالاتحاد مع حكومة البلاد وبواسطتها في ضمان الحرية الشخصية وترقية التعليم ونشره وانماء مصادر ثروة البلاد الطبيعية والتدرج في اشراك المحكومين في الحكم بمقدار ما تأذن به حالة الامة من الرقي السياسي . وفي عزم حكومة جلالته المحافظة على هذه التقاليد بل انها موقنة بان تحديد مركز بريطانيا العظمى في هذه البلاد تحديداً صريحاً يؤدي الى سرعة التقدم في سبيل الحكم الذاتي

وستحترم عقائد المصريين الدينية احتراماً تاماً كما تحترم الآن عقائد نفس رعايا جلالته على اختلاف مذاهبهم . ولا ارى لزوماً لان اؤكد لسموكم أن تحرير حكومة جلالته لمصر من ربقة اولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية في الاستانة لم يكن ناتجاً عن أي عداء للخلافة فان تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على ان اخلاص المسلمين المصريين للخلافة لا علاقة له البتة بالروابط السياسية التي بين مصر والاستانة وان تأييد الهيئات النظامية الاسلامية في مصر والسير بها في سبيل التقدم هو بالطبع من الامور التي تهتم بها حكومة جلالة الملك مزيد الاهتمام . وستلقى من جانب سموكم عناية خاصة ولسموكم ان تعتمدوا في اجراء ما يلزم لذلك من الاصلاحات على كل انعطاف وتأييد من جانب الحكومة البريطانية . وعليّ ان ازيد على ما تقدم ان حكومة جلالة الملك تعول بكل اطمئنان على اخلاص المصريين ورويتهم واعتدالهم في تسهيل المهمة الموكولة الى قائد جيوش جلالته المكلف بحفظ الامن في داخل البلاد وبمنع كل عون للعدو واني انتهز هذه الفرصة فاقدم لسموكم اجل تعظيماتي

تحريراً في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ ملن شيتهام

(ترجمة)

تهانيء الشعراء

وقد جادت قرائح شعرائنا بما يليق بهذا الانقلاب التاريخي العظيم فتباروا في اظهار ما تكنه أفئدتهم من العواطف السامية نحو عظمة السلطان أيده الله . وقد رأينا ان نختار هنا بعضاً من تلك القصائد العصماء تخليداً لها في بطون التاريخ

قصيدة اسماعيل باشا صبري

اليوم آن لشاكر ان يجهرا   بالشكر مرتفع العقيرة في الورى
ان الامارة لم تزل في أهلها   شماء عالية القواعد والذرى
والتاج مقصور عليهم ينتقي   منهم كبيراً للعلاء فاكبرا
والعرش ان أخلاه منهم ماجد   ذكر الاماجد بينهم وتخيرا
أحسين حبك في القلوب محقق   قد أظهر الاخلاص منه المضمرا
فاحرص عليه فهو ملك آخر   ان شئت ملكاً جنب ملك أنضرا
والملك آل اليك يحدو خطوه   شوق اليك وان اتى متأخرا
لم يعدُ في ما فات بابك ناسياً   بل وانياً حتى يشب ويكبرا
عزى عن العباس انك عمه   وأجل من ساس الامور ودبرا
وازال لوعة كل قلب بعده   ان الدواء لما به بك قدّرا
يا ناظر الماضي وشاكر عهده   والحال بين يديه اجمل منظرا
هذي الحقائق باهرات فانتبه   لا يلهينَّك طيف ماض في الكرى
هذا ابن اسماعيل نجم طالع   لهداية الساري فحيّ على السرى
الملك من يمناه في يد حازم   ان اورد الاقوام ورداً صدّرا
والنيل لم يبرح على العهد الذي   اخذته قبل عليه ناضرة القرى
متهادياً بين البقاع مناجياً   ارجاءها بالخصب يكتنف الثرى
والشرع بين الناس ناه آمر   ما زال حكم الله فيه موقرا
والبيت بيت محمد قد شاده   لبنيه لم يستثن منهم معشرا
والعم اكبر حكمة ودراية   بالامر لو ان المكابر فكرا
حال اذا نظر الاديب جمالها   شكر الاله وحقه ان يشكرا

قصيدة احمد شوقي بك

الملك فيكم آل اسماعيلا   لا زال بيتكم يظل النيلا
لطف القضاء فلم يمل لوليكم   ركن ولم يشف الحسود غليلا

هذي اصولكم وتلك فروعكم ... جاء الصميم من الصميم بديلا
الملك بين قصوركم في داره ... من ذا يريد عن الديار رحيلا
(عابدين) شرف بان رافع ركنه ... عزاً على النجم الرفيع وطولا
ما دام مغناكم فليس بسائل ... احوى فروعاً ام اقل اصولا
انتم بنو المجد المؤثل والندى ... لكم السيادة صبية وكهولا
النيل ان احصى لكم حسناتكم ... ملأ الزمان محاسناً والجيلا
احيي ابوكم شاطئيه وابقى ... مجداً لمصر على الزمان أثيلا
نشر الحضارة فوق مصر وسوريا ... وامتد ظلاً للحجاز ظليلا
واعاد للعرب الكرام بيانهم ... وحمى الى البيت الحرام سبيلا

ومنها قوله : —

سبحان من لا عز الا عزه ... يبقى ولم يك ملكه ليزولا
لا تستطيع النفس في ملكوته ... الا رضى بقضائه وقبولا
الخير فيما اختاره لعباده ... لا يظلم الله العباد فتيلا
يا ليت شعري هل يحطم سيفه ... للبغي سيفاً في الورى مسلولا
سلب البرية سلمها وهناءها ... ورمى النفوس بالف عزرائيلا
زال الشباب عن الديار وخلفوا ... للباكيات الثكل والترميلا
طاحوا فطاح العلم تحت لوائهم ... وغدا التفوق والنبوغ قتيلا
الله يشهد ما كفرت صنيعة ... في ذا المقام ولا جحدت جميلا
وهو العليم بان قلبي موجع ... وجعاً كداء الثاكلات دخيلا
مما اصاب الخلق في ابنائهم ... ودها الهلال ممالكا وقبيلا
أأخون اسماعيل في ابنائه ... ولقد ولدت بباب اسماعيلا
ولبست نعمته ونعمة بيته ... فلبست جزلا وارتديت جميلا
ووجدت آبائي على صدق الهوى ... وكفى بآباء الرجال دليلا
رؤيا (علي) يا (حسين) تأولت ... ما اصدق الاحلام والتأويلا
واذا بناة المجد راموا خطة ... جعلوا الزمان محققاً ومنيلا
القوم حين دها القضاء عقولهم ... كسروا بايديهم لمصر غلولا
هدموا بوادي النيل ركن سيادة ... لهم كركن العنكبوت ضئيلا
ارقأ سرير ابيك والبس تاجه ... واكرم على (القصر المشيد) نزيلا

مرت أويقات عليه موحشاً كالرمس لا خلواً ولا مأهولا
ليست معالي الامر شيئاً غائباً عنكم وليس مكانكم مجهولا
كم سستموه في الشيبة مضلعاً وحملتموه في المشيب ثقيلا
وحميتم زرع البلاد وضرعها وهززتم للمكرمات بخيلا
يا اكرم الاعمام حسبك ان ترى للعبرتين بوجنتيك مسيلا
من عثرة ابن اخيك تبكي رحمة ومن الخشوع لمن حباك جزيلا
ولو استطعت اقالة لعثاره من صدمة الاقدار كنت مقيلا
يا اهل مصر كلوا الامور لربكم فالله خيرٌ موئلاً ووكيلا
جرت الامور مع القضاء لغاية واقرّها من يملك التحويلا
اخذت عناناً منه غير عنانها سبحانه متصرفاً ومديلا
هل كان ذاك العهد الا موقفاً للسلطتين وللبلاد وبيلا
يعتز كل ذليل اقوام به وعزيزكم يلقي القياد ذليلا
دفعت بنافيه الحوادث وانقضت الا نتائج بعدها وذيولا
وانفض ملعبها وشاهده على ان الرواية لم تتم فصولا
فادمتمو الشحناء فيما بينكم ولبثتمو في المضحكات طويلا
كل يؤيد حزبه وفريقه ويرى وجود الآخرين فضولا
حتى انطوت تلك السنون كملعب وفرغتم من اهلها تمثيلا
واذا اراد الله امراً لم تجد لقضائه رداً ولا تبديلا

قصيدة حافظ بك ابراهيم

هنيئاً ايها الملك الأجل لك العرش الجديد وما يظل
تسنم عرش اسماعيل رحباً فانت لصولجان الملك اهل
وحصّنه باحسان وعدل فحصن الملك احسان وعدل
وجدد سيرة العمرين فينا فانك بيننا لله ظل
لقد عز السرير وتاه لما تبوأه المليك المستقل
وهش التاج حين علا جبينا عليه مهابة وعليه نبل
تمنى لو يقر على ابي تذل له الخطوب ولا يذل
وقد نال المرام وطاب نفسا فها هو ذا بلابسه يدل

وما كنت الغريب عن المعالي ... ولا التاج الذي بك بات يعلو
فانك منذ كنت ولا اغالي ... حسام للاريكة لا يفل
فكم نهنهت من غرب العوادي ... وكم لك في ربوع النيل فضل
وما من يجمع للخير الا ... ومن كفيك سح عليه وبل
فقد عرف الفقير نداك قدما ... وقد عرف الكبير علاك قبل
لك العرشان هذا عرش مصر ... وهذا في القلوب له محل
فألف ذات بينهما برأي ... وعزم لا يكل ولا يمل
فعرش لا تخف به قلوب ... تخف به الخطوب ويضمحل

ومنها قوله : —

فعش للنيل سلطانا أبيا ... له في ملكه عقد وحل
ووال القوم انهم كرام ... ميامين النقيبة اين حلوا
لهم ملك على التاميز اضحت ... تراه على المعالي تستهل
وليس كقومهم في الغرب قوم ... من الاخلاق قد نهلوا وعلوا
فان صادقتهم صدقوك وداً ... وليس لهم اذا فتشت مثل
وان شاورتهم والامر جد ... ظفرت لهم برأي لا يزل
وان نادتهم لك منهم ... اساطيل واسياف تسل
فاددهم حبال الود وانهض ... بنا فقيادنا للخير سهل
وخفف من مصاب الشرق فينا ... فنحن على رجال الغرب ثقل
اذا نزلت هناك بهم خطوب ... الم بنا هنا قلق وشغل
حيارى لا يقر لنا قرار ... تنازلنا الخطوب ونحن عزل
فاهلا بالدليل الى المعالي ... ألا سر ياحسين ونحن نتلو
واسعدنا بعهدك خير عهد ... به أيامنا تصبو وتحلو
فامرك طاعة ورضاك غنم ... وسيفك قاطع ونداك جزل

قصيدة ولي الدين بك يكن

في مثل عهدك يزهر الامل ... يا دولة شخصت لها الدول
الان ابدى الغيب أحسن ما ... فيه وانجز وعده الازل
قد عاد مصر زمان سؤددها ... وتجددت أيامها الاول

راقت فسامع طيرها طرب وصفت فوارد نيلها ثمل
فلينشد الشعراء ما نظموا أما أنا فاليوم ارتجل

ومنها قوله : —

الشرق بعد بكاه مبتسم قد تاب عن جزع به الجذل
لما اماد الظلم دولته وتبينت في جسمها العلل
وتكاثرت فتن على فتن وغدت بها كالنار تأتكل
وجفت من الابناء من علموا ورعت من الابناء من جهلوا
وغدا بناء الملك منهدماً واقام عنه ذلك الطلل
بعث الزمان لها حوادثه فأصابهم وأصابها الاجل
ما كان خالقهم ليظلمهم لو انهم في حكمهم عدلوا
ازكى السلام على الحسين اذا دعت البلاد ولبت الملل
ملك جميل الرأي يصحبه فكلاهما بأخيه متصل
الناس تحسب انه ملك والله يعلم انه رجل
تملي مدائحه مناقبهُ ما تصنع الالفاظ والجمل
تقع العيون على انامله فكأنها من اهلها قُبل
مولاي مصرك روضة أنف وقطوفها للمجتني ذلل
فانهض بها بين الحوادث لا وان اذا جدت ولا وكل
ان كنت كهل السن لا حرج ان العزائم ليس تكتهل
والرأي تنميه تجاربه ويبين في رأي الفتى الخطل
أنت المليك حكمه حكم فاحكم فان الدهر ممتثل

من قصيدة لشوقي في الصليب الاحمر

سر يا صليب الرفق في ساح الوغى وانشر عليها رحمة وحنانا
وادخل على الموت الصفوف مواسياً واعن على آلامه الانسانا
والمس جراحات البرية شافياً ما كنت الا للمسيح بنانا
واذا الوطيس رمى الشباب بناره خض (كالخليل) اليهم النيرانا
واجعل وسيلتك المسيح وامه واضرع وسل في خلقه الرحمانا
الله جارك في عوان لم تهب لله لا بيعاً ولا صلبانا
وسلمت يا « حرم المعارك » من يد هدمت لسلم العالمين كيانا

العلم في هذا العصر

بقلم الدكتور شبلي شميل

ليس غرضي هنا ان اذكر اسماء العلوم التي يبحث فيها انسان هذا العصر ويصرف اليها جهده بعضه اليوم وكله غداً ، ولا ما انطوى تحت كل علم من فروع ان تعددفسوف لا تعد في الغد . فان هذه العلوم مذكورة باسمائها في برامج المدارس الراقية وتاريخ سيرها مبسوط في المجلات العلمية بالاسهاب سنة فسنة مما لا يفيد القراء عنها اكثر مما يعلمون من تحويلها الى عمل بانتقالها من دور العلم الى دور الصناعة

ولا أن اسرد ما وصل اليه العلم في هذا العصر من تعرّف تركيب الاحياء الكبيرة وما بينها من النسبة واستكشاف الاحياء الصغيرة بالمجاهر المكبرة وما لها من العلاقة بمعائش الانسان والالمام بطبائعها بالدرس وتمهدها بالتربية والتحكم فيها باطلاق العوامل الطبيعية والكيماوية عليها لاستخدام النافع وانقاء الضار أو تحويله الى النفع سواء في الزراعة أو الصناعة أو الطب . ولا ان أعدد معجزات القوى الطبيعية وتسخير الانسان لها حتى صار يسابق بها الظباء في البر والسمك في البحر والطير في الهواء ويستطلع النائي من الانباء بسلك وبلا سلك غير صفحة الهواء ، ويخترق الاجرام فيرى المحجوب كان ليس دونه حجاب ويسمع البعيد من الكلام كأن الكلام عن كثب . ولا ان أشير الى قراءة الافكار والاطلاع على ما يعقد في الضمائر وسرّ تبادر الخواطر وسبق الشعور اي الشعور بالشيء قبل الاطلاع عليه حتى سر هواجس النفس وقرع الاوهام ومناجاة الاحلام وغير ذلك من الغرائب التي ادركها العلم بما لا يخرج عن مبدئه المادي ادراك المترفع من شعوذة المشعوذين ومخرقة المخرقين ، او وساوس بعض العلماء المذبذبين لموروث قديم عريق فيهم . فلا اقول ان ذلك كله من مكتشفات العلم في هذا العصر فان ذلك معلوم اليوم

بل أنا انظر الى المسألة من وجه ابسط من ذلك بكثير واكثر فائدة للقارىء وأرشد لذهن الباحث عسى ان يقل تشتت قواه في ما لا يجدي ويستقر في بحثه على ما أجله قريب ونفعه اكيد فلا يسترسل في مباحث الخيال الى حد الذهول عن الحقيقة الملموسة . فلا يخلبه المجرد لزعمه انه يترفع به عن حمأة المحسوس وهو أي المجرد لا نفع له وطيد لا قريب ولا عتيد وان حلا احياناً فما هو الا كبهرجة الكلام المزوّق لستر

الضلال بالتمويه . او كطلاء الزينة لاخفاء ما في الوجه القبيح من التشويه ولا يضيع كذلك كنوزاً حاصلة بالاقتتال على الموهوم فلا يهمل ارضاً كنوزها الطبيعية لا تفنى ليسبح متلمساً في ظلمات الغيب . وكل جهد مصروف في سبيل معلوم تحويل لهذا الجهد عن سواه قد يستخف به لاول وهلة ولكن نتيجته الجسيمة تفوق في العظم كل حساب وإذا نظرنا الى عصرنا ووجهة العلم فيه بالقياس الى العصور التي تقدمته ووجهة العلم فيها ونظرنا الى سرعة سير العلم في هذا العصر وتباطوئه في الماضي اتضحت لنا هذه القضية بجلاء اذ نرى الخبر يؤيد الخبر والعمل يؤيد النظر . ففي أي عصر من العصور مشى العلم مثل هذا المشي السريع اليوم . فما هو السرّ يا ترى ؟

ولا عبرة بما يقول الذين يقصرون نظرهم على النتيجة ولا يقابلون أو يقفون فيه على الجزئي دون الكلي ليبحثوا عن الرابط الذي يربط الاشياء بعضها ببعض فيهيمون كيفما يشاؤون . بل تنظر الى قول المحققين ولو بعض التحقيق الذين أوتوا ولو شيئاً من العلم فأكثر هؤلاء ينسبون كل ذلك الى « العمل المتجمع » أي ان الماضي كان اساس الحاضر بمعنى ان المعدّات تجمعت في الماضي قليلاً قليلاً كما تتجمع افعال الطبيعة عامة ثم انفجرت اليوم في العلم هذا الانفجار الهائل كما تنفجر براكين الطبيعة في الزلازل . وهو قول وجيه لولا انه ينقصه « توجيه » ليعلم الى أي عامل ينبغي ان ينسب هذا التقدم البديع السريع اليوم من بين عوامل التذبذب الكثيرة في الماضي وكلها وجيهة في نظر القوم والا لما كان لها فيهم كل هذا السلطان الباقي

كل حيّ — وكل شيء في الطبيعة حيّ حتى الجماد — متحير فهو مستطلع مستفهم حتى يختبر فيطمئن فيستقر . فالنبات في مد جذوره تحت الارض وبسط فروعه في الهواء متلمس . والحيوان في مد خطاه متجسس حتى يستأنس فيستسلم حينئذ وقد يعمى عن الخطر بعد ذلك . والانسان ارقى الكائنات وأوسعها ادراكاً وحباً للاستطلاع واكثرها كذلك ثباتاً على المقرر واسترسالاً في الثقة حتى لقد يكون اقل منها حذراً واستسلاماً بعد ذلك . وهذا سبب اكثر نكبات المتفوّقين وشططهم بعد تعرفهم ما كانوا يجهلون أو ظنهم بأنفسهم ذلك

فالانسان وجد على الارض وهو يجهل فيها كل شيء . والمخاوف تكتنفه من كل جانب . والحاجة تدفعه الى السعي والمعالجة . فمن بروق خواطف . ورعود قواصف . ورياح عواصف . وحر شاوٍ . وقر كاوٍ . وليل دامس . وجوع لاذع . الى كل ما يحيط به ويتنابه في نفسه حتى الموت الصادع . فقام يتعرف كل شي . ليتقي كل شيء . وينتفع من كل شيء

فاستوقفه الجزئي اولاً واكتفى منه بما نفع من سد جوع أو ستر عري . وهاله ما شق عليه من كل ما خفي وحسبه قوات متباينات في مختلف الكائنات متنازعات عن طبع ومختلفات لغرض لا يجمع بينها جامع ولا يربطها رابط غير مشيئات متفرقات . فلم يدرِ النسبة مثلاً بين البروق والرعود ، وبينها وبين الامطار وتفجر الينابيع والانهار . وبين جميع ذلك والبحار الى سائر ما في الطبيعة من الظواهر . وعدها جميعها لهذه القوات الغريبة والمتفرقة مظاهر . فخنع وقال حسبي ان أتقي شرها واستدر خيرها كما يتقي الناس شر ملوكهم ويستدرونهم بالاسترضاء وهل يجديني علمي بها فوق ذلك . فانصرف بها عنها الى التمادي في الاوهام ، وثبطت همته عن الغوص فيها الى الحقائق ونام عنها الا ما كان يتجلى له منها عفواً مع الزمان ، وعدها جميعها من الخوارق وهل تنال الخوارق وهي تحت سلطان احكام متخلقة لا ضابط لها الا الهوى

هكذا كان مبدأ علوم الانسان في الماضي الميتولوجي البعيد حتى عصور التمدن القديم الى عهد قريب منا ، تقاطع وتخاذل وانفصال كثير واتصال قليل . فتطالّ الى سبر غور ما استتر وانصرف عما بدا لاعتقاده انه ثانوي لا يدرك سره الا بادراك ذاك ، واستبحر في علوم الخيال وغاص على المجرد حتى انكر على نفسه وجوده المحسوس وبنى على كل ذلك علومه العقلية واعتبر احكامها فوق كل حكم على ما بها من شطط المبدأ واستعذبها ورفعها فوق مرتبة كل علم ، فخدعت بها عقول كبيرة وعدت البحث فيها من الفلسفة العالية ودانت لها العقول الاخرى وذهبت فيها كل مذهب فكانت للانسان كل تلك العلوم المجردة والمباحث الغريبة حتى ان المحقق ليحار في حقيقتها وان خلبت البعض الآخر صورتها من أثر العادة والتربية . وللعقل غرائب في تطوره

ولهذا السبب وحده أهملت العلوم الطبيعية في الماضي اهمالا يعاب اليوم او نظر اليها بذلك النظر الداحي مع انها العلم كله لو امعنا النظر لانها بالحقيقة تشمل كل العلوم حتى الاوهام نفسها فانها خاضعة لنواميسها في تكوينها وتحليلها وانقطعت عنها الى سواها عقول كان يمكن ان تجني من التبحر فيهـا وحدها قوانين كثيرة لو انها انقطعت لها فكان من ذلك انها ابطأت كل هذا الابطاء المعيب

أما اليوم فقد تغيرت وجهة العلم عمـا كانت في المـاضي فخفت وطأة العلوم العقلية الاجتهادية الخارجة عن المدار الطبيعي وكوفئ الانسان على ذلك بأنه عرف ان كل القوى الموجودة في الطبيعة واحدة ومن اصل طبيعي واحد وذات نواميس واحدة ومتحولة بعضها عن بعض من ادنى الجمـاد الى الانسان وقد كان لهذه المعرفة البسيطة نتـائج

عظيمة في حياته العملية مع ان العلم بها لم يعم بعد ولا يكاد يكون له بعض قرن . لاننا حتى الساعة نجد اناساً لا من العامة ومتنوريها بل من العلماء انفسهم ربما لا يسلمون بوحدة القوى الحيوية . ولكن هؤلاء اليوم بين العلماء خافتو الصوت ووجودهم اشبه شيء بوجود الاحافير في متحجرات الارض حتى يصح ان يقال بأن لا خلاف في ذلك بين العلماء الذين يستحقون ان يدعوا بهذا الاسم حقيقة

فاذا وعى القارىء ذلك وتدبر مغزاه علم ان الذي يمتاز به العلم في هذا العصر ليس كثرة المكتشفات والاختراعات التي ليست سوى نتيجة لسبب بل توجيه النظر فيه الى الطبيعة والوقوف على السر الذي يربط قواها بعضها ببعض ويحوّلها بعضها الى بعض اي الانتقال فيها من الجزئي المتفرق كما كان الامر في الماضي الى الكلي الجامع الذي هو عماد البحث اليوم . الا ترى كيف ان الانسان لما تمكن منه هذا العلم صار يأتينا كل يوم باختراع جديد فاستنار بابدع الانوار وطار وحلق في الاجواء وغاص في البحار واستخدم الكهرباء واستنطق صفحات الهواء وقرّب الشاسع من الاقطار وحبس الخيال وسخر الخوارق حتى لم تعد خوارق — لا كما كانت تحدثني عجائز الحي في طفولتي عن « الراهبة هندية » من انها كانت تركب « عصا المكنسة » وتعرج عليها الى الهند والسند في ليلها ثم تعود الى مقرها في الصباح — وحتى صارت الساعة في عصرنا سنين من سني الماضي والسنة بمقام اجيال من اجياله وحتى صار عمر الانسان اليوم اعماراً وجيله اجيالا

هذا هو العلم اليوم . وهذا سبب فضل عصرنا على سائر العصور . وهو سبب تقدم العلم فيه هذا التقدم السريع البديع . ومع ذلك فهو حتى الآن من خصائص علماء يعدون يعاونهم جمهور صغير من العمال ليس شيئاً مذكوراً في هذا البحر الطامي الذي هو المجتمع البشري . ومن الاسف ان المدارس حتى الراقية نفسها لم تتسع بعد لهذا العلم كما ينبغي فلا يزال تعليم القديم القاتل للعقول يزرع فيها « المجرد » ويستغل منها « الهباء » . ولولا ذلك ما استطاع الالمان اليوم ان يثيروا هذه الحرب الشعواء . والمدارس لا تصير حقيقة معاهد يفتخر بها كل الفخر وترد على المجتمع ما يحق له ان ينتظر منها الا اذا تحولت الى معامل ومخابر حقيقية (Laboratoires) كما قال بستور الشهير وهذا نص مقاله بالضبط . قال :

« اطلبوا ان يكثروا من هذه المعامل وان يزينوها فهي هياكل عبادة المستقبل هياكل الثروة والسعادة وفيها تعظم الانسانية وتقوى وتصطلح وتتعلم ان تقرأ في كتب الطبيعة التي هي كتب الارتقاء والتعاون العام لا

في كتبها (اي كتب الانسانية) التي هي غالباً كتب التوحش والتعصب »

فهل المدارس اليوم كذلك ؟ وشتان بين عالم يفني عمره بين الكير والمجهر ليقف من ارضه على سرّ ما بطن وما ظهر . وآخر يترفع عن ذلك ويعيش في الاحلام . ولكن المطهر الذي سيطهّر العقول اليوم قريب والسرعة من مميزات هذا العصر

الى المعتمد البريطاني الجديد

أي مكمهون قدمت بالقصد الحميد وبالرعايه
ماذا حملت لنا عن الملك الكبير وعن «غرايه»
وضح لمصر الفرق ما بين السيادة والحمايه
وأزل شكوكا بالنفوس تعلقت منذ البدايه
ودع الوعود فانها فيما مضى كانت روايه
أضحت ربوع النيل سلطنة وقد كانت ولايه
فتعهدوها بالصلاح واحسنوا فينا الوصايه
انا لنشكو وانقين بعدل من يشكي الشكايه
نرجو حياة حرة مضمونة في ظل رايه
ونروم علياً يكون له من الفوضى وقايه
ونود الا تسمعوا فينا السعاية والوشايه
انتم اطباء الشعوب وانبل الاقوام غايه
انى حللتم في البلاد لكم من الاصلاح آيه
رسخت بناءة مجدكم فوق الروية والهدايه
وعدلتمو فملكتمو الدنيا وفي العدل الكفايه
ان تنصروا المستضعفين فنحن اضعفهم نكايه
او تعملوا لصلاحنا فتداركوه الى النهايه
انا بلغنا رشدنا والرشد تسبقه الغوايه
لا تأخذونا بالكلام فليس في الشكوى جنايه
هذا حسين فوق عرش النيل تحرسه العنايه
هو خير من يبني لنا فدعوه ينهض بالبنايه

حافظ ابراهيم

تأثير اللغة العربية

في لغات الشرق

جاء في حديث السر ارثر هنري مكماهون نائب جلالة ملك انكلترا في القطر المصري مع مندوب جريدة المقطم في لندن ذكر تأثير اللغة العربية في اللغات الشرقية كالفارسية والافغانية والهندوستانية الخ . حتى استطاع جنابه أن يقول بمعرفته لكثير من الالفاظ العربية وامكانه قراءة العربية نفسها لمجرد معرفته هذه اللغات . فقد سأله المندوب عن معرفته باللغة العربية بعد أن أقام هذه المدة الطويلة في بلاد المسلمين فقال : « انني لا استطيع التكلم بالعربية ولكنني استطيع قراءتها وأعرف شيئاً كثيراً من الالفاظ العربية اذ لا يخفى عليك أن الفارسية تكتب بالحروف العربية . وفي اللغات الهندية والفارسية والافغانية والهندوستانية التي أجيدها الفاظ عربية كثيرة »

هذا ما جاء في حديث السر مكماهون ونريد أن نبسط للقراء حقيقة هذا التأثير وبيان تاريخه في لغات الشرق فنقول :

اللغة العربية ولغات الشرق

نقصد أولاً بلغات الشرق في هذه المقالة طائفتين : الطائفة الاولى لغاته المائتة وعلى الخصوص اللغات التي ورثتها اللغة العربية بعد الفتح الاسلامي . والطائفة الثانية لغاته الحية وعلى الاخص اللغات الاسلامية منها وهي التي تسمى بلغات العالم الاسلامي وأهمها ثلاث : الفارسية والتركية والهندية (الاوردية) ثم يتبع هذه اللغات الثلاث لغات أخرى تتلوها في الاهمية كما سيأتي

كانت اللغة العربية محصورة قبل الاسلام في شبه جزيرة العرب ولم يتسع نطاقها الا منذ ظهوره . فلما انتشر الاسلام انتشرت معه لانها لغة الرسول (صلعم) وأصحابه لغة القرآن الشريف الذي كان لها قاموساً الهيا لا تبدل كلماته ولا تنسخ آياته لغة الحديث وسائر كتب الدين . فهي على العموم لغة الاسلام يجب احياؤها لاحيائه فجعلها المسلمون الاولون لغة الدين والدولة فانتشرت في البلاد التي ساد فيها العرب أو دخلها الاسلام وأخذت في الانتشار الى ان ملأت الخافقين فتغلبت على ألسن تلك البلاد الاصلية في العالم العربي وأخذت تغالبها حتى أماتتها وقامت على أرماسها واليك مجمل ذلك :

اللغات التي اماتتها

في جزيرة العرب ورثت اللغة العربية عدة لغات ولهجات من اخواتها السامية كاللغة الحميرية واللهجة الحضرمية والقتبانية في الجنوب واللغة النبطية واللهجات الصفوية والثمودية واللحيانية وغيرها في الشمال . وفي مصر ورثت اللغة القبطية كما ورثت في سوريا اللغة اليونانية واللاتينية الرسميتين واللغة السامرية وغيرها من اللهجات الارامية الغربية عند الشعب كاللهجة النصرانية الفلسطينية . وورثت في العراق وبلاد الجزيرة اللغة السريانية وغيرها من اللهجات الآرامية الشرقية كالارامية المانوية (لغة اتباع ماني) والارامية اليهودية البابلية الى غير ذلك من اللغات التي كانت شائعة في العالم العربي قبل ان يفتحه المسلمون وتغلبت عليها اللغة العربية بعد الفتح كما تغلب الخط العربي على خطوطها وانتشر بين أهلها وعمت العربية البلاد الواقعة غربي دجلة وهي العراق والشام ومصر والمغرب والسودان وصارت تعد بلاداً عربية كبلاد العرب نفسها

اللغات التي أثرت فيها

أما في العالم الاسلامي أي في البلاد التي شرقي دجلة بفارس والتركستان والهند فقد انتشرت اللغة العربية فيه بين أهل العلم بانتشار الاسلام . لكن ألسنة البلاد الاصلية ظلت حية يتفاهمون بها الى الان فصارت اللغة العربية تستعمل في المعاملات الدينية عند المسلمين هناك وأقبل العلماء من غير العرب عليها ايما اقبال فبرعوا فيها حتى فاق كثير منهم العرب انفسهم وصاروا لا يستخدمون في الانشاء والتأليف غيرها . ولا غرو فقد ابتدأت وحدة الدين تستدعي وحدة اللسان ولذلك اصبحت العربية هي لغة المسلمين لغة العلم عندهم والدين فلا يبرز في علومه من لم يتعلمها ولا يفهم الكتاب والسنة من لم يحكم بيانها فكانوا على اختلاف لغاتهم يتفاهمون جميع العلوم الاسلامية والاداب الدينية بها ولذلك كثرت الالفاظ والتراكيب العربية في لغاتهم جميعاً وأثرت اللغة العربية فيها تأثيراً شديدا فقد اقتبست هذه اللغات من آدابها شيئاً كثيرا ينم على ما لآداب اللغة العربية عند هذه الامم من الشأن والمنزلة الرفيعة . واليك بيان ذلك التأثير في كل لغة من هذه اللغات

١ — تأثيرها في اللغة الفارسية

اللغة الفارسية الحديثة التي يتكلم بها الفرس الان هي غير اللغة الفارسية التي كانت شائعة في ايران قبل الاسلام . فان هذه وتسمى البهلوية قد انقرضت تماماً امام اللغة العربية بسبب الفتح العربي وحل محلها اللغة الفارسية الحديثة التي نشأت في الاسلام وسرت اليها

التأثيرات اللغوية العربية (دينية وعامية) . والفرق بين اللغتين كثرة الالفاظ العربية التي دخلت اللغة الفارسية الحديثة بعد الاسلام ولا سيما على أثر قيام الدولة العباسية اذ انخرط الفرس في تلك الدولة سياسة وعلماً وأدباً . وأخذت البهلوية بالزوال شيئاً فشيئاً حتى ذهبت عن الالسنة ولحق بها خطها البهلوي الذي استبدل بالخط العربي لكتابة الفارسية الحالية التي نشأت كما قلنا من ادغام اللغة الفارسية بالالفاظ العربية . فالفارسية الحديثة أثرت فيها العربية بعد الاسلام ايما تأثير فقد ظل شعراء الفرس لا يقولون الشعر نحو قرنين الا بالعربية . ثم هي قد رقت الفارسية من السماجة التي كانت عليها البهلوية والفارسية الى نحو اواخر القرن الرابع فاصبحت الآن بفضل ذلك التأثير ثلث كلماتها عربي الاصل

٢ — تأثيرها في اللغة التركية

ان العربية تؤلف القسم الاكبر من الاقسام الثلاثة التي تتألف منها اللغة التركية العثمانية . فانه قد دخلها من الالفاظ العربية اكثر من خمسين في المائة من مجموع ألفاظها بل ان قواعد صرفها ونحوها هي من الاصول المتحصلة من القواعد التي اقتبسها العجم من العرب . والاتراك لم يقتبسوا شيئاً من العربية قبل ان يدينوا بالاسلام فلما انتحلوه كثرت في لغتهم الكلمات العربية والفارسية أيضاً والسبب في كثرة الالفاظ العربية في اللغة التركية العثمانية بهذا المقدار يفسره تاريخ الاداب فيها . وذلك انه لم يكن للتركية آداب قبل القرن السابع للهجرة أي قبل تأسيس دولتهم وأقدم آدابها مقتبس من الفارسية أو هو فارسي معنى ومبنى . والسبب في ذلك ان العثمانيين أقاموا دولتهم على انقاض دولة السلاجقة الذين اختلطوا بالفرس وتأدبوا بادابهم . كانت اللغة الفارسية لغة العلم والادب والسياسة عندهم فلما اقتبس الاتراك آدابهم من الفارسية اقتبسوا معها كثيراً من آثار اللغة العربية وآدابها التي كان الفرس قد اقتبسوها قبلهم غير الذي اقتبسه الاتراك من اللغة العربية رأساً من الالفاظ والاداب الدينية . ولذلك كانت الالفاظ العربية في اللغة التركية اضعاف الالفاظ الفارسية فيها . اما نسبة الالفاظ التركية الى العربية والفارسية فيها فانك لا تكاد تجد لفظة تركية مقابل ثلاثة الفاظ عربية او فارسية الاصل . والتركية تكتب بالخط العربي مثل باقي اللغات الاسلامية الاخرى

٣ — تأثيرها في اللغة الهندوستانية

اللغة الاوردية الهندوستانية [1] يتكلم بها اكثر مسلمي الهند وهي مأخوذة من

(١) الهندوستانية نسبة الى هندوستان وهو الاسم الانجليزي للغة والوطنيون عموماً يدعونها

اللسان الهندي ومن الالفاظ العربية والفارسية فقد دخل في هذه اللغة من الكلمات والتراكيب العربية شيء كثيراً بعضه على ايدي الفرس والاخر أخذوه هم بانفسهم لمثل السبب الذي قدمناه ولذلك نجد تأثير العربية في هذه اللغة اظهر من تأثير الفارسية فيها مع ان الفرس اختلطوا بل اندمجوا فيهم وتأدب هؤلاء بادابهم . ولا عجب اذا رأينا تأثير اللغة العربية فيها بهذا الشكل فان هذه اللغة قد نشأت في وقت الفتح الاسلامي للهند واول من تكلم بها المسلمون وهي من ذلك الحين تكتب بالخط العربي

٤ — تأثيرها في اللغات الاخرى

هذا هو تأثير اللغة العربية في اللغات الثلاث التي هي على اتم نشوئها ولها آداب رائقة اما تأثيرها في اللغات الاسلامية الاخرى التي تتلوها هذه اللغات الثلاث في الاهمية فتأثير كبير يحتاج تفصيله في كل لغة على حدة الى مباحث طويلة لا يسعنا المقام لاستيفائها فان لغات الامم الاسلامية عموماً على كثرة عددها قد تأثرت تأثيراً محسوساً بذلك اللسان العربي المبين فيما استعارته من الالفاظ والكلمات العربية الكثيرة حتى لتجد هذه الكلمات شائعة ومتفشية في لغة التتر واخواتها التركية في الشمال ولغة الملايو واخواتها الهندية في الشرق الى لغة الافغان والاكراد وغيرها من اللغات الفارسية ولغة السواحل وغيرها من اللغات الافريقية وكلها تكتب بالخط العربي (١)

فتأثير اللغة العربية في اللغات الاسلامية يشبه كثيراً تأثير اللغة اللاتينية في لغات اوربا الا ان اللغة اللاتينية اندمجت ودخلت في لغات اوربا وصارت تعد من اللغات الميتة اما العربية فيكفي ان نقول عنها انها باقية ما بقي الاسلام والقرآن والعرب

بل كانت اللغة العربية لهذه الشعوب الاسلامية بمثابة اللغة اللاتينية واليونانية معاً للامم الاوربية المسيحية . أو بعبارة اخرى هي الآن لغة التعارف والتعامل بين المسلمين كاللغة الانجليزية بين السكسونيين

اضف الى ذلك ان المسلمين كافة يقرأون القرآن بها فهي لغة كتابة عند الخاصة في كل بلد اجتمع فيه المسلمون ليتلوا القرآن العظيم

الجامعة المصرية عبد الفتاح عباده

بالاوردو او الاوردوزبان (Urduzaban) اي لغة المحلة او المعسكر لان معنى كلمة « اردو » في لسان المغول هو اسم للقبيلة ومنها « الاردي » التي يستعملها الاتراك للدلالة على المعسكر او المحلة وعنهم نقل المصريون لفظة « العرضى » بالمعنى المذكور

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابنا « انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي »

حقوق التجنس عند الامم

قديماً وحديثاً

يتحدث اليوم الكثيرون عن الانقلاب الذي طرأ على مصر ويتساءلون عما سيكون مستقبل الشعب المصري وحقوق الجنسية المصرية . وقد رأينا بهذه المناسبة ان ننشر الفذلكة الآتية في هذا الموضوع

التجنس عند الامم القديمة

يختلف نظام الطبقات عند الامم باختلاف الامكنة والازمنة . وكان التقسيم السائد بين شعوب الازمنة الغابرة باعتبار الثروة او الطائفة او الجنسية . فكان الناس يقسمون غالباً الى اغنياء وفقراء . او خاصة وعامة . او وطنيين ودخلاء . ولم يكن هذا التقسيم منحصراً في بعض الامم فقط بل كان منتشراً بين المصريين والفرس واليونان والرومان واليهود وغيرهم من الشعوب المختلفة . فكان المصريون قبلا يقسمون الى كهنة واغنياء وعامة . ولكل طبقة منهم حدود لا يمكن ان تتعداها . وكان اليونان ايضاً يقسمون الى خاصة وعامة وما تاريخهم سوى تاريخ حروب مستمرة بين الفريقين . وكانوا يسمون كل الشعوب الخارجة عن جنسيتهم برابرة ويعاملونهم معاملة ازدراء واحتقار ولا يجيزون لهم التمتع بما كانوا يتمتعون به هم الا في احوال مستثناة . ولعل صعوبة الانتقال من طبقة الى اخرى كانت على اشدها عند الهنود واليهود . اما الهنود فامرهم مشهور اذ لا يزالون حتى اليوم منقسمين الى طبقات وطوائف يفصلها بعضها عن بعض حواجز يتعذر تجاوزها . واما اليهود فقد كانوا مقسومين الى وطنيين ودخلاء . وكانت الشريعة الموسوية توصي بحسن معاملة الاجانب الساكنين في البلاد المقدسة بشرط ان يمتنعوا عن التجديف وعبادة الاوثان . وكان يباح لهم أن يشتركوا في شعائر يوم الكفارة وعيد الاسابيع وعيد المظال ويحظر عليهم الاشتراك في الفصح بدون ختان . وكان الدخلاء صنفين (١) الدخلاء الكاملون اي طائفة المختونين والمشتركين في عبادة المجمع وكانوا على الغالب اكثر ترفضاً من اليهود المولودين في الايمان (٢) الدخلاء الى النصف وسموا أيضاً دخلاء الباب وكانوا يعتقدون بالتوحيد وبرجاء اليهود بالمسيح بدون ختان وبدون عمل بالعبادة اليهودية . وكانوا بين الاولين الذين دخلوا الى الدين المسيحي

ويؤخذ مما جاء في سفر تثنية الاشتراع (ص ٢٣ : ١) أنه كان يسوغ للاجانب

اكتساب الحقوق اليهودية بشرط ان يختتنوا ويقبلوا الشعائر اليهودية

القانون الروماني

اما حقوق الجنسية الرومانية فقد كانت مقيدة بربط وقوانين معينة . وكان اكتسابها في بادىء الامر صعباً جداً ولكنه تيسر بمرور الزمن حتى انتشرت عادة منح الحقوق الرومانية في ايام الامبراطورية انتشاراً عظيما . وكانت في الاصل تكتسب بطرق معينة كالمال او الخدمة العسكرية او الوراثة او الهبة . وقد ذكر يوسيفوس المؤرخ العبراني ان اليهود قاموا بخدمات جليلة ليوليوس قيصر في حروبه مع مصر فنحهم حقوق المدنية الرومانية فكانوا يتمتعون بميزات عديدة امام الحكام الرومانيين

اما ميزات الحقوق الرومانية فكثيرة وكانت تظهر فائدتها على اتمها في الامور الجنائية . فلم يكن يجوز مثلا سجن المتهم (اذا كان حائزاً على الحقوق الرومانيه) بدون محاكمة علنية ولا جلده ولا تعذيبه بطريقة من الطرق

ولا يسعنا ان نسهب الان في طريقة اكتساب الحقوق الرومانية فان غرض هذه المقالة هو البحث في نشوء حقوق التجنس عند الامم المختلفة . وانما نقول ان فقدان تلك الحقوق كان اعظم اهانة للروماني وكان ينجم عن ثلاثة اسباب رئيسية وهي (١) استعباده لغيره طوعاً او اضطراراً (٢) صدور احكام شائنة عليه (٣) تنازله عن حقوقه من تلقاء ذاته للانضمام الى شعب اجنبي

قلنا ان عادة منح الحقوق الرومانية انتشرت في عهد الامبراطورية انتشاراً عظيما . فان الامبراطورين اقلوديوس ومرقس اوريليوس اسرفا في منح هذه الحقوق اسرافاً كبيراً . وفي سنة ٢١٢ للميلاد اصدر الامبراطور كراكلا منشوراً عاماً منح بموجبه حقوق الوطنية الرومانية لجميع سكان الامبراطورية بدون تمييز . وكان ذلك لاغراض مالية بحتة . واما في عصر الامبراطور يوستنيانوس فكان جميع اهل المملكة يتمتعون بميزات الحقوق الرومانية ما عدا العبيد والبرابرة (اي الاجانب) والمحكوم عليهم

التجنس عند العرب

وكان العرب وقت الفتح الاسلامي اذا قدموا بلدة لفتحها خيروا اهلها بين (الاسلام) أو (الجزية) أو (السيف) فلما فتحوا مملكتهم العظيمة واستولوا على جزيرة العرب والعراق وفارس ومصر وسوريا وغيرها كان اهلها ينقسمون الى قسمين (١) المسلمين (٢) اهل الذمة وغيرهم ممن يدفعون الجزية لحمايتهم

وكانت حقوق التجنس عند العرب تمنح : —

(١) لكل من سكن البلدان العربية طويلاً مسلماً كان أو غير مسلم
(٢) لكل من عاشر العرب وتعلم لغتهم حتى اتقنها فصارت له لغة
(٣) لكل من اختلط نسبه مع العرب بالزواج أو المصاهرة وتوالد بينهم

القوانين الحديثة

ولا شك ان نظام حقوق الوطنية الرومانية هو اصل القوانين الحديثة المتعلقة بحقوق التجنس عند الدول . وقد تصعبت القوانين الحديثة بهذا الخصوص واصبحت اعقد من ذنب الضب حتى حار رجال السياسة في كيفية اقرارها على اساس ثابت . ولا يزالون حتى الان يبحثون عن طريقة للتوحيد بين النظامات الدولية المختلفة ولكنهم لم يجدوا حتى الان حلا لهذا المشكل

فالقوانين الحديثة تقسم اهالي كل مملكة باعتبار الجنسية الى وطنيين ومتجنسين واجانب . واما الاجانب فخارجون عن موضوع بحثنا . واما المتجنسون فهم الذين قد اكتسبوا الحقوق الوطنية باتمامهم بعض الشروط المعينة التي هي في عرف رجال القانون وسائل لاتمام التجنس . على ان التجنس قد تم احياناً بدون التجاء الى « اجراءات » رسمية كما حدث في امر جزيرة قبرس مؤخراً اذ اصبح جميع اهاليها رعايا بريطانيين بمجرد ضم جزيرتهم الى املاك انكلترا

ومن الاسباب الباعثة على تغير الجنسية بدون التجاء الى « اجراءات رسمية » مسئلة الزواج . فان كل امرأة تتزوج اجنبياً تتخذ جنسية زوجها بطبيعة الحال الا في احوال مستثناة لا يسعنا الاسهاب فيها الا ن . من ذلك ان الحكومة الاميركية لا تعتبر الامرأة الاميركية التي تتزوج اجنبياً كانها قد فقدت جنسيتها بل تعاملها في اميركا معاملة امرأة اميركية متمتعة بكامل الحقوق الوطنية . وفي الوقت ذاته تعتبر الامرأة الاجنبية المقترنة برجل اميركي كانها اميركية بكل معنى الكلمة تتمتع بنفس الحقوق التي تتمتع بها الاميركية المولودة في اميركا

وفي سنة ١٩٠٧ أصدر مجلس الامة باميركا قانوناً يخول بموجبه للاميركية المتزوجة رجلاً اجنبياً في الخارج ان تسترجع جنسيتها على اثر طلاقها او ترملها ولو بقيت مقيمة في الخارج . وانما يطلب منها ان تسجل اسمها في قنصلية الولايات المتحدة . والقانون المذكور يخول ايضاً للنساء الاجنبيات المتزوجات رجالا اميركيين ان يتمتعن بالجنسية الاميركية ولو بعد طلاقهن او موت ازواجهن

على ان لطلب التجنس بجنسية اجنبية قوانين واجبة المراعاة كما ذكرنا آنفاً متعقدة

متشعبة ومعظم الحكومات تضع بعض العراقيل في سبيل طالبي الانتماء اليها وتكره ان ينتقل بعض رعاياها الى جنسية اجنبية . وقد كان التجنس بالجنسية الاميركية اسهل من الالتجاء الى جنسية اخرى. فالقانون العام هناك ان طالب التجنس يجاب الى طلبه بشرط ان يقيم في اميركا على الاقل خمس سنوات ويثبت انه كان في خلالها مستقيم السيرة والسريرة . اما مدة الخمس السنوات فتعتبر من تاريخ تسجيل اسمه في دفاتر الحكومة وحلفانه اليمين القانونية التي يتعهد بموجبها ان يخدم حكومة البلاد بكل امانة واخلاص . واذا كان من اصحاب الالقاب الرسمية الاجنبية وجب عليه ان يتنازل عن تلك الالقاب

اما في انكلترا فقد كان منح الجنسية الانكليزية للاجانب يقتضي موافقة مجلس البارلمنت . ولكن صدر في سنة ١٨٧٠ قانون يخول لوزير الداخلية السلطة بمنح الجنسية الانكليزية للاجنبي الذي مر على اقامته بانكلترا او بخدمة انكلترا خمس سنوات بشرط ان يظل مقيما بانكلترا او في خدمتها . وعلى الطالب ان يحلف يمين الطاعة والامانة ولا يبرح من البلاد . اما الهند والمستعمرات البريطانية فلها قوانين اخرى

المشاكل الدولية

وكثيراً ما ينشأ عن حقوق التجنس مشاكل دولية يصعب حلها ويستغرق وقتاً طويلا يضيع بالمفاوضات السياسية . ذلك لان كل دولة تصر على تنفيذ ما يلائمها من قوانين التجنس وتأبى الاعتراف بسواه . فروسيا مثلاً تأبى على افرادها ان يتجنسوا بجنسية اجنبية ولا تعترف بتلك الجنسية مطلقاً . وعكسها اميركا على خط مستقيم . وبين هذين الطرفين المتناقضين الدول الاخرى وهي تتفاوت في درجات اعترافها بحقوق التجنس . فايطاليا مثلا تحتم على الايطالي المتجنس بجنسية اجنبية ان يؤدي الخدمة العسكرية واذا حمل في وجهها السلاح مع الدولة المتجنس بجنسيتها استحق الموت

ولا يسعنا الاسهاب في كيفية معاملة « الوطن الاصلي » للفرد المتجنس بجنسية اجنبية فانها تختلف باختلاف الممالك . واما المملكة التي يلتجىء الاجنبي الى جنسيتها فقلما ترفض منحه حقوق التجنس وان هي وضعت امامه احياناً بعض الصعوبات. على ان تاريخ السياسة الخارجية مفعم بحوادث وامثلة تدل على تشعب الاراء حتى باعتبار المملكة الملتجأ الى جنسيتها . خذ مثلاً لذلك حادثة لعبت دوراً مهماً في سنة ١٨٤٠ بين المانيا واميركا وكانت تتعلق برجل بروسي ذهب الى اميركا وتجنس بجنسيتها ثم عاد الى وطنه الاصلي . فلما طلبته حكومته للخدمة العسكرية احتج بانه اميركي التبعة وساعده سفير اميركا في اول الامر ولكنه تخلى عنه بعدئذ معترفاً بعدم استطاعته ان يتعرض لقوانين

وطنه الاصلي . واتفق بعد ذلك بنحو عشرين سنة ان رجلا بروسياً آخر يدعى هوفر كان قد احتمى بالجنسية الاميركية ثم عاد الى بروسيا فارادت حكومة بلاده ان تجنده ولكن سفير اميركا احتج على ذلك بكل قواه وساعده ناظر خارجية اميركا بحجة ان للولايات المتحدة حقاً بالدفاع عن جميع المنتمين اليها فاذعنت حكومة بروسيا وانتهى الاشكال

ولكن عقب ذلك معاهدات دولية مختلفة أدت الى تنقيح الحل المشار اليه ومعظمها يرمي الى الاعتراف بالجنسية المكتسبة بشرط الاقامة في « الوطن الجديد » مدة معينة بدون انقطاع . ولكن يحق للوطن الاصلي اذا عاد اليه المتجنس ان يحاكمه من اجل الجرائم التي يكون قد ارتكبها قبل التجائه الى الجنسية الاجنبية . وفي بعض تلك المعاهدات (كالمعاهدات مع النمسا مثلا) نصوص على ان الشخص المتجيء الى جنسية اجنبية اذا كان عند مبارحته وطنه الاصلي فاراً من الخدمة العسكرية ثم عاد اليه كان للحكومة حق بدعوته الى الخدمة العسكرية . أما المعاهدة بين انكلترا والمانيا فقد كانت تنص على ان الالماني المتجنس بالجنسية البريطانية اذا رجع الى وطنه للاستيطان به اضاع جنسيته المكتسبة . ويكفي لفقدان الجنسية المكتسبة ان يعلن حكومته بذلك على أثر عودته فان لم يعلنها فقد الجنسية بعد مرور سنتين بطبيعة الحال

أما فرنسا فترفض الاعتراف بالجنسية الاجنبية اذا كان الفرنسوي قد التجأ اليها بدون رضاها . فاذا عاد الى فرنسا يعامل معاملة الفار من [illegible] العسكرية اذا كان في السن المعينة عند التجائه الى الجنسية الاجنبية . وأما انكلترا فقانونها يختلف بهذا الاعتبار لان الخدمة العسكرية عندها ليست اجبارية . على انها قد كانت سابقاً تأبى الاعتراف بالجنسية الاجنبية حتى ان هذه المشكلة كانت سبباً من أسباب الحرب التي وقعت بينها وبين أميركا منذ مئة سنة فان البوارج البريطانية كانت توقف السفن الاميركية في سائر البحار وتلقي القبض على كل الانكليز المنتمين الى الجنسية الاميركية فيها وتجبرهم على الخدمة في الاسطول . ولكن الاحوال تغيرت بمرور الزمن فاصدر البارلمنت الانكليزي في سنة ١٨٧٠ قانوناً اعترف بموجبه بالجنسية الاجنبية التي قد يلتجيء اليها أفراد الانكليز ونص على ان انكلترا تحمي جميع الاجانب المتجنسين بالجنسية الانكليزية أينما كانوا الا في وطنهم الاصلي . ولا شك ان مثل هذا القانون أقرب الى العدل من سائر القوانين الاخرى وهو نتيجة بحث دقيق واختبار طويل

وعلى كل فان القوانين المتعلقة بحقوق التجنس هي كما ذكرنا متعقدة متشعبة ولا يمكن الالمام بها بمقالة وجيزة لانها تستغرق المجلدات الضخمة . ولعلماء القانون آراء مختلفة بشأنها . ولا شك ان خير حل للمشاكل الناجمة عنها هو الالتجاء الى الاتفاقات والمعاهدات

وجدان الفرد والمجتمع

بحث اجتماعي

ان اقوى الناس اكثرهم افراداً
نيتشه

قيل ان الانسان اجتماعي بالطبع والاصح في رأيي ان يقال ان الانسان اجتماعي بالضرورة فهو لم يكن اجتماعياً في حالة الفطرة ولا ريب في انه نشأ وارتقى اجتماعياً كما نشأ وارتقى فسيولوجياً وكان حب الذات بادىء بدء يدفعه الى الانفراد والاعتزال لا الى الاشتراك والاجتماع . ولما تكاثر عدده واحتكت افراده وجماعاته بعضها ببعض اضطرته الانانية الى الاجتماع وظل حب الذات سائداً في مجتمعاته على رغم صبغته بصبغة غيرية كاذبة

ومن اهم المباحث الاجتماعية درس حالة الافراد المعنوية في الحياة الاجتماعية وعلاقات الضمائر الفردية بالوجدان الاجتماعي

ان الضمائر الفردية تؤثر في نشوء الوجدان الاجتماعي وتطوره كما يؤثر الوجدان الاجتماعي في الافراد المجتمعة أيضاً . فضمائر الافراد ولاسيما الرجال العظام تكوّن مجموع التصورات والاعتقادات والرغبات التي تسود في الجماعات فتؤدي في عموم الافراد (بسبب التضامن الموجود بينهم) الى توافق في المدارك والشعور والاداب

ان المباحث الاجتماعية تجلو تارة نقط الاتصال التي تجمع بين الوجدان الفردي والوجدان الاجتماعي وتظهر طوراً التناقض والتنازع المتحكمان فيهما

المتشابه

ان بين نفس الافراد ونفس الجماعات مشابهات عميقة دقيقة . فقد ينتج مثلاً من صدمة عنيفة أو قطع صلة شديدة مع الماضي تجديد حياة في الافراد كما في الجماعات

ان النزاع الذي يحدث في وجدان الفرد ليس على الغالب الا رجع صدى نزاع خارجي اجتماعي تحدثه فيه الدوائر الاجتماعية المختلفة التي ينتمي الفرد اليها والمؤثرات الاجتماعية المتناقضة التي يخضع لها . أما النزاع الاجتماعي فهو ما ينشأ بين طبقتين كالشرفاء والعامة أو بين فئتين كالاغنياء والفقراء

ولعلاقات الافراد المعنوية بالمجتمع أهمية عملية لدى علماء الاجتماع يدل عليها مثلاً

تساؤل بعضهم عما اذا كان تصور الفضيلة واحداً عند الانسان بصفة كونه فرداً وباعتباره وطنياً وبحث بعضهم فيما اذا كان اختلاط الافراد وتجمعهم يفضي الى رفعة مستواهم المعنوي أو الى خفضه

التنازع

ان النقط الحاصل فيها النزاع بين الوجدان الفردي والوجدان الاجتماعي تفوق نقط الاتفاق بينهما عدداً وأهمية. وحسبنا ان الفرد الذي يفكر فيما يرى ويسمع كثيراً ما يجد في مجتمعه تصورات وآداب وعقائد ونظامات ظاهر تناقضها للعيان وهو عند ما يرى هذا التناقض تعروه الدهشة ويأخذه القلق والانزعاج ويقف متسائلاً عن قيمة ادراك الوسط الاجتماعي الذي هو فيه

وقد استبد الوجدان الاجتماعي بضمائر الافراد فاضحت الانانيات الفردية رازحة تحت نير الانانية المشتركة ونتج عن ذلك ان اكثر الناس اصبحوا يتصورون مصالحهم كما يرضي المجتمع لا كما هي حقيقة. فيعيشون الواحد تجاه الاخر في سحابة آراء غير شخصية ولا يعلمون شيئاً طول حياتهم لتشخصهم بالذات. وما اكثر الناس الذين بسبب هذه الاوهام يضحون سعادتهم ومصلحة حياتهم كلها في رأس غيرهم

ولكي يقدر الفرد علاقاته بالمجتمع حق قدرها ويهتدي الى الوجهة التي يتخذها والامنية التي يتوق اليها عليه ان ينظر الى المجتمع لا بهيئته الحالية بل بهيئته النظرية المطلقة واعني بها الانسانية. اي عليه ان ينظر لا الى الحاضر بل الى الماضي والمستقبل فما الفرد في المجتمع الا نقطة في تطور دائم لكنها نقطة متحركة عاملة حائزة على شيء من الاستقلال

في الفرد تبتديء وعنه تصدر كل تلك التغييرات التي تفوقه وتكاد تهدم كيانه. وبه وباختراعه تحول تلك التغييرات الى أنسب منها له. فهو مركز ذلك الفعل الاضطراري او الاختياري الذي به يحتفظ المجتمع بحاله او يتحول من حال الى حال

نعم لا يسعنا ان ننكر تأثير الوسط على الفرد غير انه يجب الاحتراس من المغالاة في دعوى هذا التأثير في استطاعة الفرد ومن حقه ان يقاوم الوسط الذي هو فيه وليس للوسط تأثير في احرار الفكر الاقوياء الارادة سوى انه يثير هممهم ويستحث عزائمهم على الاقدام في سبيل توسيع فرديتهم

ان الحق يكون احياناً في جانب الفرد ضد العامة او ضد الحكومة او ضد قسيي زمانه او ضد علماء عصره اوضد الديانة. افلم يكن غاليليو محقاً أمام قضاته ؟ لكن الفرد في مثل

هذه الحالة لا يستمد حقه من نفسه فقط بل هو يمثل حقائق تسمو بجمالها على ما يقاومه في مجتمعه . هو يمثل مجتمعاً ارفع واعظم من المجتمع المستبد به ويعمل على قرب مجيء ذلك المجتمع الامثل

ان استبداد الوجدان الاجتماعي بالوجدان الفردي باد في كل ما اسمه الاجتماع من ديانة وتشريع وعشيرة وطبقة فكل هذه الامور ترمي الى اخضاع الفرد لها خضوعاً تاماً ومع ذلك لا يتعذر عليه ان يقاومها ويمنع الجماعة من ان تحتله وتبتلعه . وقد تكون كثرة الدوائر الاجتماعية التي تتنازع الفرد سبيلا لتحريره منها فهو يتسلط على هذه العوامل الاجتماعية المتعددة — المتناقضة احياناً — فيحصرها جميعها في وجدانه ويؤلف منها (ان كان بعيد الادراك) شكلا خاصاً به يرتاح اليه . فكلما تعددت الدوائر والعوامل الاجتماعية حول الفرد ساعدته على ابراز شخصيته واستقلاله

كثيراً ما يحصل تناقض بين رقي المجتمع ورقي الوجدان الفردي ولكن اذا خالف ارتقاء المجتمع ارتقاء افراده كان ارتقاء المجتمع ارتقاء ظاهرياً ليس الا . ارتقاء باطلاً زائلا واشبه شيء بالتقهقر لان وجدان الافراد هو مصدر الارتقاء . هو تلك الجرثومة السرية التي تحمل في نفسها المستقبل . انه شبيه بتلك الخلايا العنصرية الاولى للحياة التي كانت تحمل في داخلها مغمضاً ومضطرباً مظهر حياة الاكوان المستقبلة التي لا تحصى . فكل مرة نال المجتمع رقياً كان الفضل في ذلك لوجدان الافراد . وقد صدق احدهم اذ قال « ان الناس ليسوا كخيل مشدودة الى عربة يجرونها جميعاً بل هم كجياد طليقين يتراكضون لاحراز قصب السبق »

ميزات وجدان الفرد

يمتاز وجدان الفرد على وجدان المجموع بوضوحه واخلاصه :

أما باخلاصه فلان وجدان المجتمع في عصر معين قد لا يكون الا سلسلة اكاذيب متفق عليها واوامر موعز بها تفرض على الافراد فيخضعون لها صاغرين . مثال ذلك وجدان امة الالمان فيما يختص بالحرب . فالالماني يمتاز بالميل الى العدوان وسفك الدماء ولكن هذه الحرب الفظيعة والاستعداد الهائل لها ان هما الا تدابير واوامر دبرتها وامرت بها السلطة الحاكمة يرأسها ذلك العاهل المتأله تخضع لها وجدان الشعب صاغراً

واما بوضوحه فلان وجدان المجتمع قد لا يكون الا نسيج مناقضات يفضح سترها قليل من التفكر العميق . وكأني بضمير هذا المجتمع هو الجانب المظلم غير المفكر من

ضمائر الافراد فليس هو فكراً اجتماعياً خالصاً بل فكراً اجتماعياً مغشوشاً ذلك لاننا نجد في أي نظام اجتماعي عدة مبادىء يعتبرها الناس كحقائق ظاهرة للعيان في حين انه يتعذر عليهم ان يحصروا مشمولها المعنوي في فكر حقيقي

ان الوجدان الفردي هو الذي بقوة منطقه يحل المناقضات ويخرق حجاب هذه الاكاذيب الاجتماعية ويلاشيها

ينقص الوجدان الاجتماعي روح الرقة وقوة التعمق والاستقلال وهي صفات يمتاز بها العقل الفردي فتمكنه من التصرف بمسائل الحياة والاجتماع ولا تخلو الاحكام التي تصدرها الجماعات من الخشونة والصلابة والجمود لان الجماعة او المجموع يبدي حكمه في الاشياء والاشخاص على وتيرة واحدة أي انه ينظر الى الافراد فقط من حيث الفائدة العائدة عليه فاذا خرج احدهم أو خيل انه خرج في نقطة واحدة عن التوافق المتفق عليه في المجموع فلا ينتظرنَّ في الحكم عليه اقل مراعاة أو تبصر. فان ذلك المجموع أي تلك القوة التي لا شخصية لها قضت عليه قضاء مبرماً بلا ادنى خطر عليها لانها تصدر احكامها وهي آمنة المسؤلية والعقوبة

ان هذا التوافق الاجتماعي الذي تأخذ به الجماعات في احكامها عقيم بل مميت المناقب في مهدها مطفىء نور القرائح الوقادة مثبط الهمم مقعد العزائم مصغّر النفوس. لانه يريد افراد المجموع على مستوى واحد ونظام واحد كجنود الطابور فمن وافقت حركاته وسكناته النظام الاجتماعي المألوف أي العادات القومية والآداب الاصطلاحية والزيّ المحلي كان الرجل المهذب المتمدن. اما من دفعته حريته الى الشذوذ في الفكر أو القول أو العمل عن الحدود المرعية في الجماعات وقطع تلك القيود السقيمة واظهر ما وهبته اياه الطبيعة من المناقب والنشاط عدَّ متوحشاً وكان مرذولا. لذلك قلَّ عدد الرجال العظام في ايامنا هذه وقلت بالتالي جلائل الاعمال في حين انه كان ينتظر ان تكثر بنسبة تفوقنا على اسلافنا أهل العصور الغابرة في الرقي الفكري والادبي

ان أساس احكام المجتمع الظالمة التي أتت بكل هذه النتائج السيئة هو انانية ضيقة ومصالح حالية قريبة وهي احكام معدومة معنى الحياة ومطبوعة بطابع الاستبداد. اما الوجدان الفردي فيمكنه ان يعلو على مصلحة الاجتماع الحالية لانه ذو شعور معنوي بالحياة وبما تؤول اليه فهو فنيّ متوافق النغمات رخيم الايقاع كالحياة نفسها

قال جي دي موباسان « كم مرة عاينت ان الادراك يكبر ويسمو اذا عاش الانسان منفرداً ويصغر وينخفض حالما يعود فيختلط بغيره من الناس فان الاحتكاك بالغير اي بكل

ما يقال وكل ما نضطر للاصغاء اليه أو نسمعه ونجيب عليه يعمل عمله في الفكر . ذلك لان بين التصورات الذاهبة من رأس الى آخر جذب ودفع فيتكون منها مستوى أو ادراك متوسط لكل جمع من الافراد . وكل انسان حائز وهو منفرد لصفات البداءة العقلية وحكمة التفكير والحذاقة يفقد هذه الصفات حالما يختلط بعدد عديد من الناس » وهذا ما حدا نيتشه الى القول ان أقوى الناس هو أكثرهم انفراداً

ان رد العمل الصادر من المجموع يحط من أدراك الفرد كما يحط من آدابه . ترى مثالا رهيباً لذلك في الدمار الذي حل حديثاً بمدينة لوفان وكنيسة ريمس وغيرهما فان هذا التخريب الوحشي الذي أقدم عليه الجيش الالماني جذلا مسروراً يأنف أصغر جندي الماني ان يفكر به تفكيراً فقط لو كان منفرداً ويشعر انه عمل حاطٌ من قدره

واليك ملاحظة صحيحة ابداها سيجل في كتابه « أحوال العشائر النفسانية » قال : انظر الى الاولاد حينما يكونون معاً فتراهم في أشد حالات الشر والقساوة وقد لا يجسر الواحد منهم وهو منفرد أن يعمل عملاً شائناً أو يفكر به فقط كاتيان اذية أو سرقة صغيرة أو اعتلاء حائط لكنهم وهم مجتمعون قل عددهم أو كثر يفكرون في ذلك ويفعلونه . ونحن الرجال أنفسنا نعترف انه اذا اتفق انّا تعدّينا سن اللياقة أو الشفقة فيكون ذلك ونحن جملة أو جماعة أن تستيقظ فينا جبارة الشر ولا نبالي بذلك الفعل المنحرف عن جادة الحق الذي ما كنا لنفعله ابداً ونحن منفردون

يرى مما تقدم ان الوجدان الاجتماعي لا يطلب الا ان يعيش من غير بصيرة عيشة بهيمية . عيشة أنانية وحشية . اما الوجدان الفردي فهو المركز السري الذي يحرر الفرد وينهض به الى ما فوق الانانيات وطلب المعيشة الوحشي

وبعبارة أخرى ان الوجدان الاجتماعي ينظر الى كل شيء من وجهته الحالية الضيقة اما وجدان الفرد فتنفسح امامه آفاق لا حدّ لها لانه يحصر في نفسه المؤثرات الفكرية والادبية ويخرج منها تلك القوة التي تعمل في داخل المجتمع وتنمو من جيل الى جيل

ان الوجدان الفردي هو منبت الاماني . مصدر النور والحياة . ملاك التحرير والنجاة

بولس مصوبع

ما هو الجمال وكيف ندركه

بحث تحليلي بسيكولوجي

الجمال هو الامضاء الذي يوقعه
الله على اعماله

لم يترك العلم الحديث دائرة من دوائر الحياة البشرية الا واخضعها لطرق بحثه ووضع لها نواميس ثابتة شاملة . فبعد ان جال في ما حوله من جماد ونبات وحيوان ودرس خصائص الكائنات ومميزاتها وعلاقاتها بعضها ببعض ووقف على ما في الكون من قوى وعوامل مختلفة طمح بنظره الى اسمى شيء في الوجود نعني العقل البشري نفسه ليجلي ظواهره ويكتشف غوامضه . فاصبح عقل الانسان — الذي كان واسطة لتفهم الظواهر الطبيعية — غاية بحد ذاته واصبح من اهم المواضيع التي يبحث فيها العلماء اليوم درس قوى العقل الظاهرة والخفية وتعليل احكامه وسائر ظواهره

ورب معترض يقول : الم يدرس القدماء قوى العقل ؟ ولماذا لا نعتبر باقوالهم ؟ فالجواب انهم بحثوا فيها بحثاً مجرداً غير مدعم بالبراهين الحسية على عكس ما يتطلبه البحث العلمي الحديث الذي لا يسلم الا بعد التجارب الراهنة والاختبارات الدقيقة

الجمال

خذ مثلاً درس الجمال والجميل . فان كل الذين كتبوا في هذا الموضوع من القدماء اقتصروا على وصف تأثرهم بالاشياء الجميلة أو تفلسفوا في اسباب هذا الشعور فلسفة غير مستندة الى التجارب الراهنة . اما ارباب العلم الحديث فانهم اقاموا التجارب العديدة واكتشفوا قواعد عامة لاسباب تفضيل بعض الالوان او الاشكال او الانغام على غيرها او تناسب البعض اكثر من البعض الاخر ونحو ذلك

ثم ان بحثهم لم يقتصر على درس شعور البشر بالجمال . فان مذهب النشوء والارتقاء الذي هو ركن معظم المباحث العلميــة اليوم يحتم على الباحث ان يرجع ببحثه الى العوالم التي دون الانسان للوقوف على اصل عواطفه ومداركه . وقد اظهر داروين في كتابه « الانتخاب الجنسي » ان الحيوانات تميز الجميل من القبيح لا سيما الطيور فان الاناث منها تنتقي الذكور ذوي الالوان الجميلة او ذوي الانغام المطربة لاقتران بها

والانسان يدرك الجميل باحدى حاستي النظر (الالوان والاشكال) او السمع (الموسيقى). وليس للحواس الاخرى دخل في الشعور بالجميل وان كانت تشعر باللذيذ. فانهما يختلفان في احكامهما كل الاختلاف

وقد بحث الكتاب فيما اذا كان للحكم بالجمال وعدمه قواعد عقلية منطقية او اذا كان يتوقف على الشعور البديهي فقط بدون رابط او قيد. وافضل ما استنتجوه من هذا القبيل ان الجمال يؤثر في عقل الانسان وقلبه في آن واحد وان الحكم يجب ان يكون مشتركا بينهما

ومما يدل على الدقة اللازمة لدرس هذا الموضوع ان بعض الباحثين فيه انصرفوا الى درس تأثير الجمال في التنفس والدورة الدموية بواسطة آلات خاصة تدون سرعتهما. فيعرضون مثلا على الشخص صورة جميلة او يوقعون امامه قطعة موسيقية مطربة فيرون مقدار تأثير التنفس والدورة الدموية من جراء ذلك

وسنبحث الان في التجارب التي أجريت لاكتشاف السنن التي يتوقف عليها حكمنا بالجمال ونقتصر على درس جمال الالوان وجمال الاشكال الهندسية نموذجاً للانواع الاخرى فنقول:

جمال الالوان

اذا وقع نظرنا على صحائف مختلفة الالوان وجدنا اننا نشعر ازاء كل لون بشعور خاص. وقد ذهب البعض الى ان هذا الشعور انما يرجع الى ما نقرنه في ذهننا بهذا اللون او ذاك. فاللون الاصفر او الاحمر اشد حرارة من غيرهما كاللون الازرق مثلا. ذلك لانهما يذكراننا بالشمس وحرارتها. اما الازرق فقد يذكرنا بالبحر او الجو. وقس على ذلك سائر الالوان فان تأثيرها يرجع الى تأثير ما تذكرنا به من الاشياء الغالب اتصافها بها. لكن المباحث الحديثة تدل على ان للالوان تأثيراً خاصاً قائماً بذاته بقطع النظر عن الاشياء المتصفة بها. ومن الادلة على ذلك ان للالوان تأثيراً بديهياً في الاطفال يختلف باختلافها حتى الحيوانات فانها تشعر بمثل هذا التأثير. فان أحدهم وضع في كل من علبتين متلاصقتين احداها بيضاء والثانية سوداء عدداً متساوياً من دود الارض وجعل في كل علبة منفذاً للخروج أو الدخول فلم يلبث قليلا حتى وجد عدد الدود في العلبة البيضاء خمسة أضعاف الدود الذي في العلبة السوداء. وقس على ذلك

ومما هو أغرب من ذلك ان الدكتور فيره الفرنساوي أجرى تجارب بيّن بها ان قوة قبضة اليد الواحدة تختلف تحت تأثير انوار مختلفة اللون لا سيا عند العصبي المزاج.

ومن أمثال ذلك ان أحد هؤلاء كانت قبضته عادة ذات قوة معينة يشار اليها بالعدد ٢٣ فاصبحت هذه القوة تحت تأثير اللون الازرق ٢٤ والاخضر ٢٨ والاصفر ٣٠ والبرتقالي ٣٥ والاحمر ٤٢

ويختلف تفضيل الناس لبعض الالوان على سواها بحسب السن والجنسية والعادة وغيرها من الاحوال . لكن أحدهم أجرى بعض التجارب بين الانكليز فوجد الافضلية عند الانكليز كما يأتي :

للرجال : الاخضر فالازرق فالاحمر فالابيض فالاصفر فالاسود

للنساء : الازرق فالاخضر فالابيض فالاحمر فالاصفر فالاسود

وأجرى آخر تجارب أخرى لمعرفة تأثير الالوان وهي مزدوجة أي كل لونين معاً فاستعمل مثلثات مقسومة الى قسمين في كل قسم لون (انظر الشكل) وعرضها على أشخاص كثيرين فوجد ان أغلبهم كانوا يفضلون المثلثات التي وضع فيها اللون القاتم عند القاعدة واللون الفاتح في الرأس . وكانوا يعللون ذلك بقولهم ان اللون القاتم يشعر به كأنه أثقل من الفاتح . وعلى هذا المبدأ نجد الغرف والسلالم تلون لوناً فاتحاً في أعلاها ولوناً معتماً في أسفلها

ثم أن للمدة التي تنظر في أثنائها الى اللون تأثيراً كبيراً فاننا اذا شخصنا بنظرنا الى لون معين مدة طويلة اختلف تأثيره في نظرنا أو بالحري اختلف نظرنا اليه

وقد بحثوا عن تأثر الناس من الالوان فوجدوا انهم على أربعة انواع :

(١) فمن الناس من يؤثر فيهم اللون بحد ذاته لاحدى صفاته الخاصة كالنقاوة والفتوح والظلام ونحو ذلك

(٢) ومنهم من يشعر بتأثير في جسمه وأعضائه من أحد الالوان . فبعض الالوان أدفأ من غيرها ومن الالوان ما يجعلك تشعر ببرد أو نشاط أو انبهار أو سكون أو نحو ذلك . حتى أن أحد الذين أجروا معهم التجارب لم يتمالك من الارتجاف عند ما شاهد اللون الازرق « البارد »

(٣) ومنهم من يتأثرون من لون معين لان ذلك اللون يذكرهم بشيء أو بحادث خاص فيكون شعورهم ازاء هذا اللون كشعورهم أمام ذلك الشيء أو الحادث

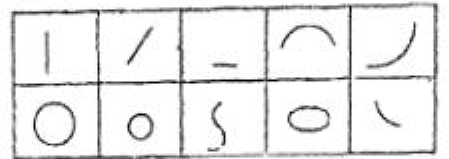
ويختلف تفضيل الناس التابعين لهذا القسم لبعض الالوان على غيرها بحسب ميولهم فان الذين يميلون الى الطبيعة ربما فضلوا اللون الاخضر لانه لون النباتات والحدائق . وقس على ذلك امثلة عديدة

(٤) وأخيراً فمن الناس من تؤثر فيه الالوان لما يراه فيها من الخلال والاخلاق الشبيهة باوصاف الانسان. كأن يقول مثلاً ان هذا اللون مضحك أو سار أو نشيط أو محزن أو جذاب أو نحو ذلك

وقد وجدوا ان انقسام الناس الى هذه الاقسام الاربعة لا يقتصر على الالوان فاننا نجد مثل ذلك فيما يختص بالاشكال والانغام

جمال الاشكال

من اغرب الاكتشافات التي اظهرتها التجارب العلمية أن بعض الناس قد يشعرون بلذة أو باشمئزاز لمجرد نظرهم الى اشكال هندسية. فقد رسموا على الواح كثيرة اشكالاً كالتي يراها القارىء في الشكل



المرفق وعرضوها على اشخاص مختلفين وسألوا كل واحد منهم عن شعوره ازاءها أي اذا كان يسره منظرها أو لا يسره

وقد يختلف حكم الشخص الواحد باختلاف وضع الشكل أو نسبته الى سطح معين أو مركزه ازاء المشاهد أو غير ذلك من الاحوال العرضية

وقد نسب بعضهم شعورنا نحو شكل خاص الى الاحساس الناتج عن تحريك العين للاحاطة بذلك الشكل فنشعر براحة كلما كانت حركة العين مريحة ومنتظمة. لكنه يمكننا أن نرتاح الى شكل بسيط لا يحتاج الى حركة تذكر في عضل العين

وذهب احدهم الى اننا عندما نرى شكلاً نتصور اننا سنرسمه فاذا كان رسمه مريحاً ارتحنا اليه وقس على ذلك. لكن هذا التعليل لا يصح دائماً ان صح في بعض الاحوال

أما التعليل الحقيقي فانه يرجع الى سنة من سنن العقل الرئيسية وهي أن كل عمل عقلي يصحبه لذة اذا كان ناجحاً. ولما كانت قوة الانتباه واسطة حكمنا على الاشكال فاننا نلتذ كلما سهل الانتباه الى الشكل نظراً لتناسب اجزائه ووحدته. أما اذا كان الشكل معوجاً غير متناسب الاجزاء فانه يتحتم علينا أن ننتبه الى كل جزء على حدته اذ لا يكون للشكل الاجمالي وحدة أو معنى. فوحدة الاشكال المتوقفة على تناسب اجزائها لا تستلزم انتباهاً كثيراً لفهمها ومن ثم ارتياحنا الى الشكل الجميل عند ما ننظر اليه

هذا قليل من موضوع واسع وانما غرضنا أن نأتي ببعض الشواهد الدالة على طرق البحث العلمي في هذا الموضوع المهم

اسرار البلاط الالماني (٣)

اخبار وثيقة عما في قصور المانيا

ملخصة عن مذكرات لاحدى سيدات الشرف في قصر غليوم

زيارات الامبراطور

اشهر عن الامبراطور غليوم انه كثير الحركة لا يستقر به مكان حتى تراه في مكان اخر . ورجال حاشيته يتأففون من كثرة تنقله ولكنهم لا يجرأون على اظهار ضجرهم خوفاً من غضبه . وكثيراً ما يقوم بزيارة غير محمودة العاقبة زاعماً انه يكتسب بها محبة الذين يزورهم مع انه قد يسيء اليهم احياناً وكثيراً ما يضطرهم الى نفقات لا طاقة لهم بها . فانه نزل مرة ضيفاً على ملك الدنمارك مع ما هو مشهور عن اسرة هذا الملك من الفقر ولم يكتف بنزوله مرة بل طلب ان يؤذن له في تكرار تلك الزيارة سنويا . ويقال ان ملك الدنمارك ظل ساكتاً ولم يجبه سلباً ولا ايجاباً

وفي شهر فبراير من سنة ١٨٩٥ مات البرنس فريدريك البرت وهوارشيدوق النمسا وكان مشهوراً ببغضه لبروسيا ولذلك امتنع الامبراطور فرنسوا جوزيف عن دعوة الامبراطور غليوم لحضور الجنازة . ولكن غليوم اراد ان يظهر حسن عواطفه فعزم على حضور الجنازة بدون دعوة . وكان غرضه الحقيقي على ما علم بعدئذ ان يباحث عاهل النمسا في شؤون سياسية اهمها تجديد المحالفة الثلاثية . ولكن نتيجة زيارته جاءت على عكس آماله فان ولي عهد بافاريا (صهر المتوفى) امتنع عن حضور الجنازة لسبب وجود غليوم اذ لم يشأ أن يمشي وراءه في ترتيب الموكب . فاحدث ذلك تشويشاً كبيراً على غير انتظار مما زاد في حزن الامبراطور فرنسوا جوزيف فلم يشأ ان يباحث الامبراطور غليوم في الشؤون السياسية التي كان قد حضر لاجلها

تدين الامبراطور غليوم

ليس الامبراطور على شيء من التقوى كالامبراطورة مع انه كثيراً ما يتظاهر بذلك فهو يعتقد ان الدين جعل للبسطاء . ولكن لا يجب ان يفهم من هذا انه ملحد او انه لا يحضر الحفلات الدينية بل هو يقوم بتلك الواجبات على قدر ما تأذن له الاحوال . ومما يستحق الذكر انه قام منذ بضع سنوات بحركة غرضها بناء كنائس عديدة في

المانيا الا انه ترك لزوجته الاهتمام بجمع الاموال اللازمة لهذا الغرض . وكان نصيبه من العمل ان يضع حجر الاساس لكل كنيسة في حفلة عظيمة او ان يحضر تدشين تلك الكنيسة عند الفراغ من بنائها . وهو يفتخر بانه قد بنى خمس عشرة كنيسة في المانيا حتى سنة ١٨٩٠ على انه يحضر الاجتماعات الدينية ولا سيما عند ما يكون في احدى القرى

الامبراطور مؤلفا

ولا شك ان للامبراطور مواهب عظيمة في الفنون الجميلة ولا سيما الشعر والموسيقى كما يظهر من قطعة « اوبرا » نسبت اليه ومثلت في المسرح الامبراطوري في برلين في سنة ١٨٩٤ بعنوان « نشيد اغير »

وقد وقع بحضوري حديث في البلاط بخصوص هذه « الاوبرا » بين الاميرة مينتجن شقيقة الامبراطور والكونت مولتكي . فان الاميرة أرادت ان تعرف المؤلف الحقيقي فقالت للكونت : « اصدقني الخبر عن مؤلف هذه الاوبرا الحقيقي »

فقال : « انه سر من أسرار البلاط يا صاحبة السمو فاعذريني اذا لم أستطع ان أبوح به »

فقالت : « اني أستطيع ان أكون شوكة في جنب أكبر كبير في هذه الامبراطورية . فالان آمرك ان تجيبني على سؤالي ! »

فقال : « ان جلالته هو مؤلف النشيد »

فقالت : « هذا هو البلاغ الرسمي الذي أذاعوه — وأما الحقيقة ؟ »

أجاب : « الحقيقة هي ان جلالته هو موقعه على البيانو »

فقالت : « ومتى كان أخي موسيقياً بارعاً ؟ »

قال : « ان لجلالته ذوقاً في الموسيقى لا ينكره أحد عليه . وقد وقع لحن النشيد المذكور على البيانو باصبعه وكنت أنا أسجل العلامات الموسيقية على قطعة ورق »

فقالت : « أشكرك »

ثم التفتت الى سيدة الشرف التي كانت في انتظارها وقالت لها : « اياك ان تبوحي بكلمة مما سمعته ! »

والحقيقة التي ظهرت فيما بعد هي ان ناظمي ذلك النشيد وموقعي لحنه كانا فون مولتكي وفيليب اولنبرغ

اغلاط الامبراطور

يدعي الامبراطور غليوم العلم بكل شيء من الفنون والمعارف المختلفة . ولا شك انه

مطلع على كثير من العلوم والفنون الحديثة ولكن اطلاعه سطحي في اكثر الاحوال . ويظهر ان معرفته بالتاريخ أيضاً بسيطة مع أن درس التاريخ من اهم ما يجب ان يتقنه الملوك . ومما يدل على قلة المامه به أنه في يوم عيد الميلاد في سنة ١٨٩٤ التى خطبة في كيال على الضباط الذين كانوا قد حلفوا اليمين القانونية فاشار في عرض كلامه الى موقعة فرسيلا التي حدثت في سنة ١٠١ قبل الميلاد فزعم أنها كانت بين الجرمانيين والرومان (غلطة اولى) وان الجرمان هزموا الرومان (غلطة ثانية) نظراً لتفوقهم عليهم في الشجاعة (غلطة ثالثة)

وقد ارتكب غليوم في هذه الخطبة اغلاطاً تاريخية اخرى لا يسعنا ايرادها . ولكن احد الذين سمعوها وعلم ما بها من التخرصات ارسل الى الامبراطورة خطاباً غفلا اشار به الى اغلاط زوجها ونصح لها ان تشتري له كتب التاريخ ليطالعها جيداً ويعلم ان الذين غلبوا الرومان في موقعة فرسيلا المذكورة لم يكونوا الجرمان بل شعب الغالبين أي الفرنسويين

ولم يكن هذا الخطاب أول رسالة من نوعها بل كثيراً ما كان يرد على الامبراطورة رسائل غفل من هذا القبيل . ففي أواخر شهر نوفمبر من تلك السنة ورد الى الامبراطورة رسالة غفل ينبئها فيها الكاتب باضطراب عظيم لان الصحافة قد اطلعت على بعض الفضائح المنسوبة الى البلاط . وفي ٦ ديسمبر وقعت حادثة الحزب الاشتراكي الشهيرة في مجلس الرشستاغ اذ أبى الاشتراكيون ان يقفوا احتراماً للامبراطور

ويظهر ان الامبراطور لم يهتم يومئذ بتلك الاهانة فانه عاد الى القصر كانه لم يحدث شيء . ولكنه بينما كان جالساً الى مائدة الاكل قال للمجتمعين حوله ان تلك الاهانة لم تكن موجهة اليه بل الى مجلس الرشستاغ كله . فوافقه الجميع على رأيه . الا ان الامبراطور ما عتم في ذلك اليوم ان كتب رسالة بخط يده الى البرنس هوهنلو يحثه فيها أن يطلب من مجلس الرشستاغ أذناً بمعاقبة لبنخت رئيس الحزب الاشتراكي لانه تعمد اهانة الامبراطور . ولكن المجلس رفض الموافقة على هذا الطلب لان أعضاء الرشستاغ لا يمكن معاقبتهم أو ايقافهم في أثناء انعقاد المجلس . فزاد رفضهم في حنق الامبراطور

وقبل عطلة المجلس نشرت جريدة البوست في برلين (وهذه الجريدة لسان حال السفراء الاجانب) بلاغاً كذبت به ما جاء في نشرة اشتراكية من التلميح الى وجود مؤامرة بين الامبراطور ومستشاره لتبديد اموال الخزينة العمومية . ومضمون ذلك التكذيب ان كل ما حصل حقيقة هو ان الامبراطور اراد ان يكافىء مستشاره على

وطنيته الصادقة وخدماته الجليلة فمنحه مئة الف مارك علاوة على ما كان قد منحه قبلا من اموال الصدقات التي هي تحت تصرف الامبراطور ! . . .

ويظهر ان جريدة البوست تصدر بعد الظهر فلا تصل الى قصر الامبراطور الا في صباح اليوم التالي . ولكن لنحس طالع الامبراطور اتفق انه عثر على نسخة منها حال صدورها فامتقع لونه ودخل على الامبراطورة وهو يرغي ويزبد فعلم جميع الحاضرين انه لا بد من حصول عاصف . وكان كذلك فان الامبراطور اتهم الامبراطورة وحاشية البلاط بافشاء الاسرار للجرائد واصدر اوامر مشددة لتحقيق تسرب تلك الاخبار الى النشرة الاشتراكية والى جريدة البوست المذكورة . فلم يطلع فجر اليوم التالي حتى كان جميع افراد الحاشية من رجال ونساء (وانا من جملتهم) على الطريق الى برلين حيث بدىء بتحقيق استغرق اياماً عديدة ولم يسفر عن نتيجة على الاطلاق



الى النصر !

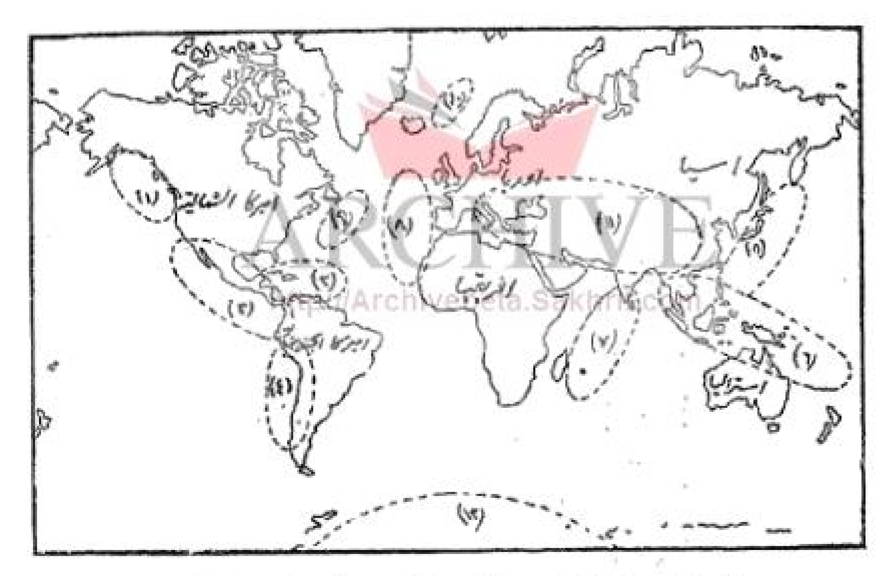
او

الى الهاوية

الزلازل

بحث في عللها ومعلولاتها

ليس في ظواهر هذه الطبيعة ما هو أشد هولاً وأكثر ارعاباً من الزلازل التي تزعزع الارض وتدمر المدن وتزهق الارواح . فلا الصواعق ولا الزوابع ولا السيول ولا الرعود ولا شيء غيرها من ظواهر الطبيعة يلقي الرعب في قلب الانسان ويخيفه كما تخيفه الزلازل . مع انها اكثر وقوعاً من سائر الظواهر الاخرى فقد قدر العلماء عددها بنحو سبعة آلاف زلزلة في السنة أو نحو زلزلتين في كل يوم . وقد جاء في احصاء « برنامج الكميس » أنه حدث من سنة ١٨٤٣ الى سنة ١٨٧٣ اكثر من ١٨٠٠٠ زلزلة متراوحة



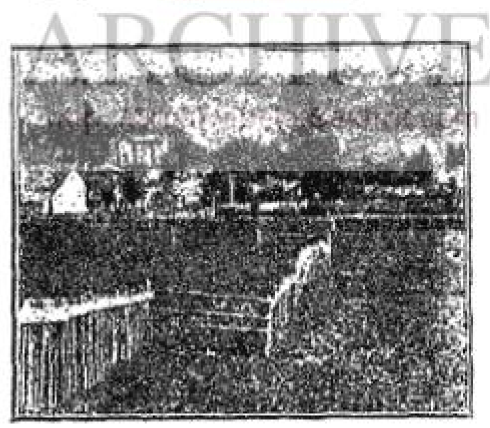
البقع المعرضة للزلازل من الكرة الارضية (هي البقع المرقمة)

الشدة والمدة . على اننا لا نشعر بالزلازل دائماً لسببين مهمين : أولهما ان الزلازل الكبيرة نادرة الوقوع . وثانيهما ان ثلاثة ارباع سطح الكرة الارضية ماء فضلاً عن ان في العالم مجاهل كبيرة يسكنها قوم غير متمدنين . فالزلازل التي تحصل في قاع البحار وفي مجاهل الشعوب غير المتمدنة لا نعرف عنها كثيراً فلا يبقى أمامنا اذاً الا قسم صغير من سطح هذه الكرة الارضية نعلم ما يقع فيه من الزلازل . والحقيقة أنه قلما يمر يوم الا ويحدث فيه زلزال في بقعة من بقاع الارض ولكنه قد يكون خفيفاً جداً بحيث لا نشعر به على الاطلاق

اعراض الزلازل

للزلازل اعراض مختلفة قد تسبقها او تصحبها او تقع بعدها . فمن ذلك ان يسبقها هزيم يشبه هزيم المدافع وقصفها . وقد يختلف ذلك الهزيم باختلاف شدة الزلزال حتى يشبه احياناً صوت الجرش . وقد يصحب ذلك الصوت او يليه حالا هزة تتراوح بين الضعف والشدة وهي الزلزلة بعينها . وقد تبلغ شدتها ان تزعزع البيوت وتدكها من اساساتها وتتركها أثراً بعد عين . اما اتجاه الاهتزاز فقد يكون عمودياً (اي صعوداً ونزولا) او افقياً (اي من جانب الى جانب) او كلا الاتجاهين معاً . ومما يلفت الانظار دائماً ان الزلزال لا يحدث في جميع الامكنة في وقت واحد بل يتجه بسرعة معينة فينتشر كما تنتشر امواج الماء عند ما يسقط فيها حجر

اما سرعة سير الزلزلة فيجب تمييزها عن سرعة الاهتزاز . فقد تكون بطيئة او سريعة بحسب تراوح الزلزلة بين الخفة والشدة فتكون (السرعة) على اشدها عند مبدأ الزلزال ثم تسير بانتظام وهي تقلّ تدريجياً كلما ابتعدت عن ذلك المركز



انقسام حاجز بين مزرعتين بفعل زلزلة

وقد توصل العلماء الى معرفة هذه السرعة وذلك بملاحظتهم مواقعها بالتتابع فرأوا انها تختلف باختلاف نوع التربة التي تسير فيها فتكون شديدة في التربة الصلبة المؤلفة من طبقات صخرية . وخفيفة في التربة اللينة الرملية . وكلما كان مركز الزلزلة عميقاً كانت السرعة اشد . وقد وجد العلماء ان السرعة تتراوح بين عشرة أميال وخمسين ميلاً في الدقيقة . وقد تنتشر الزلزلة بسرعة متناسقة في مساحة مستديرة او تكون السرعة في جهة اشد منها في غيرها

اسباب الزلازل

لم يتفق العلماء حتى الآن على تعيين اسباب الزلازل وغاية ما هناك انهم ذهبوا في تعليلها مذاهب مختلفة هي اقرب الى الزعم والتخمين منها الى الحقائق . وسبب عدم توصلهم الى حقيقتها كون مركز الزلازل عميقاً تحت سطح الارض بحيث يتعذر مشاهدة جميع الظواهر المتعلقة به . وقد رأينا أن نجمل هنا خلاصة ما ذهبوا اليه من العلل والاسباب

(١) ثورة البراكين أي الجبال النارية ولا سيما النوع الكثير الانفجار منها . وتعليل ذلك ان بعض الغازات والابخرة تتكوّن في بطن البركان بغتة فتحدث انفجاراً ينشأ عنه اهتزاز الارض المجاورة كما يحصل عند انفجار مستودع للديناميت أو خلافه من المواد المنفجرة

(٢) تقلص سطح الارض وتمددها في بعض الامكنة فكأن الارض تتثاءب فتتقطع اوصالها ويحدث من جرآء ذلك فتح ثغرات في الارض أو خفض بعض الامكنة ورفع غيرها مما يعقبه اهتزاز كأنَّ الارض تتشنج . ففي سنة ١٨٣٥ مثلاً حصلت زلزلة على السواحل الغربية لاميركا الجنوبية ونشأ عنها ان ارتفعت شواطىء شيلي وبتاغونيا من قدمين الى عشر اقدام فوق سطح البحر . وكان قد حدث مثل ذلك في سنة ١٨٢٢ أيضاً . ومنذ نحو مئة سنة (في سنة ١٨١٩) حدثت زلزلة عظيمة عند مصب نهر السند . فارتفعت بقعة مجاورة من الارض نحو عشر اقدام عما كانت عليه . وغاصت بقعة مجاورة لها (ومساحتها نحو الفي ميل مربع) فاصبحت حوضاً كبيراً

وفي سنة ١٨١١ حدثت زلزلة هائلة في وادي المسسبي باميركا الشمالية فغاصت مستنقعات كثيرة من البلاد وتحولت الى بحيرات كبيرة لا تزال موجودة حتى الان . ولا يزال الاميركان يسمونها البلاد الغائصة . ففي جميع الامثلة المتقدمة كان سبب الزلزلة على ما يظهر حدوث ثغرة عميقة في سطح الارض وانخفاض بقعة عن أخرى

(٣) وهنالك سبب آخر لحدوث الزلازل ربما كان أصح من كل ما تقدم . فلا يخفى ان في بطن الارض غازات وعوامل أخرى تتلاعب بقشرة الكرة الارضية كما تتلاعب النار بالشمع . فتارة ترفعها وطوراً تخفضها بحيث يتكون من ذلك الجبال والاودية . ولا يخفى أن تلك الجبال والاودية قد تتكون بسرعة فجائية فيحدث من جرائها ثغرة عميقة هي سبب الزلازل . وقد حدث في سنة ١٨٢٣ زلزلة هائلة في ولاية كاليفورنيا من أعمال أميركا عند سفح « سيرا » الشرقي . وهنالك اليوم ثغرة عظيمة أحد جانبيها مرتفع

عدة آلاف من الاقدام عن الجانب الاخر . وقد أجمع العلماء على ان تلك الزلزلة حدثت بسبب تحرك أحد الجانبين واتخاذه المركز الحالي

الزلازل في قيعان البحار

هذا أهم ما رووه من أسباب الزلازل وهي كما قلنا ظنون وتخمينات لا يمكن اثباتها ببراهين محسوسة لان الانسان عند حصول الزلزلة لا يكون في حالة مطمئنة من الفكر يستطيع معها ان يراقب العلل والمعلولات بهدوء بال . بقي ان الزلازل لا تحدث في اليابسة فقط بل تتناول قيعان البحار أيضاً كما أشرنا الى ذلك آنفاً . والارجح ان عدد الزلازل التي تقع تحت الماء اكثر بكثير مما يقع على اليابسة لان ثلاثة أرباع الكرة الارضية يغشاها الماء . ولا شك ان الجبال والاودية التي في قيعان البحار قد تكونت بنفس الكيفية التي تكونت بها الجبال والاودية فوق اليابسة وان للزلازل يداً في انشائها وتكوينها

واما تأثير الزلزلة في ماء البحر نفسه فهائل جداً اذ قد ترفع الامواج الى علوّ هائل ثم تقذف بها على اليابسة فتغمرها وتجرف كل ما امامها كما وقع للسبون عاصمة البرتوغال في سنة ١٧٥٥ فانه بعد ان حدثت الزلزلة ودمرت المدينة واهلكت اربعين الفاً من اهلها طغت عليها موجة علوها ستون قدماً فجرفت كل ما كان قد بقي من المدينة

العلاقة بين القمر والزلازل

وقد اختلف العلماء في العلاقة بين الزلازل والقمر فانكرها بعضهم وايدها آخرون ولم يتفقوا بشأنها حتى الآن . اما الذين يقولون بوجود علاقة فيقولون (١) ان الزلازل اكثر وقوعاً عندما يكون القمر في كبد السماء منها عندما يكون في الافق (٢) انها اكثر حدوثاً عندما يكون القمر هلالاً او بدراً منها عند ما يكون في الربع الاول او الثالث (٣) انها اكثر حدوثاً عند ما يكون القمر قريباً من الارض . وبعبارة اخرى ان الزلازل تكون اكثر حدوثاً حين المد والجزر

على ان الفريق الاخر من العلماء ينكر هذه المشاهدات . ولكنه يسلم بان الزلازل هي اكثر وقوعاً في الشتاء منها في الصيف

السيسموغراف

وقد اخترع العلماء آلة لتدوين اهتزازات الزلازل ومدتها وشدتها سموها السيسموغراف

وأساس هذه الالة انك اذا علقت جسماً بخيط فانه يستمر في سكونه مهما اهتزت الارض . فاذا ركبنا في رأس هذا الجسم قلماً ووضعنا تحته ورقاً فلما تحصل الزلزلة تحرك الورقة مع سائر الاشياء أما الجسم فيبقى ساكناً . فينتج عن ذلك ان القلم اثناء تحرك الورقة يدون خطوطاً على عدد الهزات وطولها . هذا هو الاساس العلمي لتلك الالة الا انها في الواقع أشد تركيباً

واليك جدول باهم الزلازل التي حصلت في بضعة القرون الاخيرة

السنة	المكان	الضحايا
١٦٣١	نابولي	٣٠٠٠
١٦٩٢	جامايكا	٣٠٠٠
١٦٩٣	سيسيليا	٦٠٠٠٠
١٧٢٤	ليما (اميركا الجنوبية)	١٨٠٠٠
١٧٥٥	لسبون	٥٠٠٠٠
١٧٨٣	كالبريا (ايتاليا)	٦٠٠٠٠
١٧٩٧	كيتو (اميركا الجنوبية)	٤١٠٠٠
١٧٩٧	كاراكاس («)	١٢٠٠٠
١٨٢٢	حلب	٢٢٠٠٠
١٨٥٧	كالبريا	١٠٠٠٠
١٨٦٠	مندوزا (اميركا)	١٢٠٠٠
١٨٦٨	بيرو واكوادور (اميركا)	٢٥٠٠٠
١٨٨٠	مانيلا	٣٠٠٠
١٨٨٣	كراكاتو	٣٥٠٠٠
١٨٩٦	اليابان	٢٦٠٠٠
١٩٠٢	جبل بليه (بجزيرة المارتينيك)	٢٠٠٠٠
١٩٠٥	الهند	١٥٠٠٠
١٩١٥	ايتاليا	٣٢٠٠٠

أما مصر فلم يحصل فيها من الزلازل الا زلزال واحد حدث في القاهرة في ستمبر سنة ١٧٥٤ تخرب نصف مبانيها وأمات أربعين الف نسمة

مالية الدول المتحاربة (١)

في الايام الاخيرة من شهر يوليو سنة ١٩١٤ اذ بات اعلان الحرب مؤكداً اخذت حركة الاسواق المالية في اوربا وامريكا في السكون ونتج عن ذلك اقفال كافة البورصات الامر الذي لم يسبق حدوثه ابداً. ثم بدأت الحكومات في اصدار القرارات التي ترمي الى تأجيل مواعيد الديون (موراتوريوم) وتعذر بذلك على ارباب الاموال سحب اموالهم المودعة في البيوتات المالية وتحصيل الديون التي لهم وبطل بيع الاوراق المالية كالاسهم والسندات واستحال رهنها والاقتراض عليها واختفى معظم النقود الذهبية والفضية من الاسواق واوقف تبادل النقود بين الدول (الكامبيو)

وللوصول الى معرفة مجمل نفقات الدول المتحاربة على وجه التقريب يجب احصاء جميع ما تقرضه البيوتات المالية الكبرى للحكومات وقيمة الاوراق المالية (التحاويل) التي تصدرها الحكومات على خزينتها والسلف التي تعقدها مع الاهلين لمدد مختلفة وغير ذلك

وقد ظهر من الاحصاءات التي أجريت ان نفقات الدول الخمس الكبرى المتحاربة في الثلاثة الاشهر الاولى من الحرب اعني من اول اغسطس الى آخر اكتوبر سنة ١٩١٤ تتراوح بين ١٥ و٢٢ ملياراً من الفرنكات

ولاجل تبيان كيفية قيام الدول باعباء هذه النفقات الفادحة يحسن بنا ذكر ما اتته كل دولة على حدة في بحر الثلاثة الاشهر المذكورة :

فرنسا

عند ما داهمت فرنسا الحرب كان مركزها المالي حرجاً للغاية اذ كان العجز ظاهراً في ميزانية الحكومة بما يقدر بمئات الملايين من الفرنكات. وفضلا عن ذلك فان القرض الاهلي الذي طلب عقده في ديسمبر سنة ١٩١٣ بقيمة ١٣٠٠ مليون فرنك للقيام بتنظيم الجيش وجعله على اتم الاستعداد لم يوافق عليه البرلمان الا في اوائل يوليو سنة ١٩١٤ وتقرر ان تكون قيمته ٩٠٠ مليون فرنك فقط وكان نجاحه قليلا اذ بلغ جميع ما اكتتب به الاهالي بين ١٥٠ و ٢٠٠ مليون فرنك بيد ان النفقات للحرب بلغت حوالي ٥٠٠ مليون فرنك في الايام الاولى من الحرب . ولحسن الحظ جاء بنك فرنسا للاخذ

(١) مترجمة عن احدى المجلات الفرنساوية الراقية بقلم ملحم افندي دياب

بناصر الحكومة فقدم لها المليارات اللازمة لسد هذه النفقات المتزايدة بفضل النقود التي كانت في خزائنه اثناء العشر السنين الاخيرة حتى بلغ المخزون منها ٤ مليارات فرنك في اوائل سنة ١٩١٤

وكان البنك المذكور قد اذن له في اوائل اغسطس سنة ١٩١٤ باصدار اوراق مالية (بنك نوت) بقيمة ١٢ مليار فرنك فتمكن بفضل ذلك من اعانة الحكومة باقراضها النقود الذهبية ومساعدة التجارة والصناعة بطرح الاوراق المالية للتعامل بها . وكانت المبالغ التي تقررت للثلاثة الاشهر الاولى من الحرب ٤٤٠٠ مليون فرنك قام بنك فرنسا بتقديم معظمها والباقي حصلت الحكومة عليها من مال الضرائب ومن ثمن ما بيع من التحاويل التي اصدرتها الحكومة على خزينتها ودعتها تحاويل الدفاع الوطني اذ اكتتب الاهالي بها بما قيمته ٤٠٠ مليون فرنك . وفي اواخر اكتوبر سنة ١٩١٤ باعت الحكومة الفرنساوية لبعض بنوك نيويورك تحاويل بقيمة ٥٠ مليون دولار (١٠٠٠٠٠٠٠ جنيه) بفائدة ٦ ٪ لمدة سنة وبذا تمكنت من تسديد ثمن البضائع التي ابتاعتها من الولايات المتحدة

ويحسن ان نذكر ان كلاً من فرنسا وانكلترا اقرضت ٢٥٠ مليون فرنك لبلجيكا و٩٠ مليون فرنك لسربيا

انكلترا

كانت حال انكلترا المالية عند اعلان الحرب على ما يرام اذ كانت ميزانيتها اثناء السنوات الاخيرة في زيادة الايرادات رغماً عن ازدياد نفقاتها الحربية والبحرية

وقد كانت نفقاتها في بدء الحرب أقل بكثير من نفقات غيرها من الدول المتحاربة نظراً لكون القوة التي أرسلتها في بادىء الامر لم تتعد ١٠٠ الف مقاتل ولكن تلك النفقات اخذت تزيد ولا تزال في هذا الازدياد حتى تبلغ قوات انكلترا العدد الذي قدره جناب اللورد كتشنر في بروجرامه الحربي

وبلغ معدل نفقات انكلترا في اليوم الواحد ٢٥ مليون فرنك وفي مدة الثلاثة الاشهر ٢٢٢٥ مليون فرنك امكن الحكومة الانكليزية جمعها بسهولة باصدار تحاويل متتابعة على خزينتها لمدة تتراوح بين ستة اشهر وسنة بفائدة ٣ ½ ٪

وقد وافق البرلمان في شهر اغسطس الماضي على عقد قرض قدره ١٠٠ مليون ليرة انكليزية (٢٥٠٠ مليون فرنك) وآخر مثله بعد قليل وفي شهر نوفمبر الماضي طلبت الحكومة عقد قرض حربي كبير يبلغ بضعة مليارات من الفرنكات بفائدة ٤ ٪

وقد نجح هذا القرض نجاحاً باهراً مما يبرهن لنا على ثبات مركز انكلترا المالي ووجود الثقة بالحكومة . اضف الى ذلك اتساع تجارة انكلترا وصناعتها ورواجها في الاسواق الاجنبية حيث وقفت حركة التجارة الالمانيـة ولا عبرة بالخسائر التي سببتها لها بعض البواخر الحربية الالمانية

وأما في داخلية البلاد فسرعان ما عادت الاعمـال الى حركتها الاعتيادية والغي الموراتوريوم في ٤ نوفمبر سنة ١٩١٤ وفتحت البورصات ورجع سعر القطع (خصم الكمبيالات) في بنك انكلترا الى ٥ ٪ وهو السعر العادي

وفي بنك انكلترا نقود ذهبية بقيمة ٨٠ مليون ليرة انكليزية وهذه القيمة تزيد عن كافة الاوراق المالية التي يتعامل بهـا بدل النقود وكافة التحاويل التي اصدرتها الحكومة فضلاً عن أن البنك يمتلك ما يزيد عن ٢٠٠ مليون فرنك مودعة لحسابه في بنك اوتاوا (بكندا) وتوجـد ايضاً اتفاقات تقضي باحتكار البنك لكافة الذهب الذي يستخرج من بلاد الترنسفال والذي يمكن صكه عند الحاجة

روسيا

نظراً لاتساع الاقطار الروسية وكثرة سكانها كانت وطأة النفقات الحربيـة خفيفة بالنسبة الى غيرها من الدول فان سائر انحائها ما عدا بولونيا والبلاد المتاخمة لبروسيا الشرقية لم يطرأ عليها تغيير البتة في التجارة او الصناعة وذلك لان عدد العمال الذين طلبوا للخدمة في الجيش قليل جداً . أما ماليتها عنـد دخولها في الحرب فقدكانت مرضية وميزانيتها ذات زيادة وخزائن بنك روسيا الوطني (وهو ملك الحكومة) ملآنة بالنقود الذهبيـة . وساعدت زيادة الايرادات في أثناء السنين الاخيرة على سـد نفقات التسليح وتنظيم الجيش وانشاء طرق المواصلات . ورغماً عن زيادة النفقات التي نشأت عن اعلان الحرب فان قيصر الروس اصدر قراراً يقضي بالغاء ايرادات المسكرات التي تحتكرها الحكومة وباقفال جميع محال المشروبات الروحية ومنع بيعها في سائر البلاد الروسية وذلك رغبة منه في محاربة الخطر الهائل الذي يهدد طبقة المزارعين من جراء تعاطي الخمر وبذا حرمت الميزانية ايراداً سنوياً يقدر بمبلغ ٩٣٥ مليون روبل (والروبل ٢٠٦٦ فرنك اي نحو عشرة غروش مصرية) كانت الحكومـة تجمعه من هذا الباب

وبدأت الحكومة الروسية باصدار تحاويل على خزينتها بقيمة ٣٠٠ مليون روبل بفائدة ٥ ٪ ابتاعها كلها ولاية موسكو . وباعت الحكومة أيضاً في مدينة لندره تحاويل

بقيمة ٣٠٠ مليون فرنك (١٢ مليون جنيه) وعلاوة على ذلك فان للحكومة موارد أخرى منها حساباتها الجارية في بنك روسيا والقروض التي يقدمها لها عند الطلب. ولها أيضاً أمانات في البنوك الاجنبية الكبرى في برلين ولندره وباريس وقد بادرت الحكومة في أواخر يوليو الماضي فنقلت جميع الامانات المودعة في برلين الى المدينتين الاخريين. واهم غاية من هذه الودائع تسديد فوائد دين روسيا الخارجي

ولبنك روسيا في الاوقات الاعتيادية ان يصدر اوراقاً مالية (بنك نوت) بقيمة لا تزيد اكثر من ٣٠٠ مليون روبل على قيمة النقود الذهبية المخزونة فيه. فلما جاءت الحرب اذن له باصدار اوراق بقيمة تزيد ١٥٠٠ مليون روبل عن النقود الذهبية وبذا بلغت قيمة الاوراق المتداولة ٢٥٥٣ مليون روبل مقابل ١٨٤٤ مليون روبل من الذهب المخزون

فيفهم مما تقدم ان روسيا خاضت الحرب ولها من الاموال الاحتياطية ما ساعدها على تحمل تلك النفقات الباهظة بدون ان ترتبك ماليتها ومعدل ما ينفق يومياً على الحرب ٧٥ مليون فرنك اعني ٦٧٥٠ مليون في الاشهر الثلاثة. وفي نية وزارة المالية الروسية عقد قروض متتابعة مقابل ما تسحبه من بنك روسيا. واولها قرض قيمته ٥٠٠ مليون روبل بفائدة ٥ بالمئة

بلجيكا

كانت بلجيكا قبيل الحرب في احسن حالات الرقي الاقتصادي وكان لابنائها المكانة الاولى في العالم المتمدن من حيث سعة المدارك والاقدام والنشاط فنجحوا واثروا وساعد ذلك على تحسن مالية بلادهم. وكانت الحكومة قد وضعت بروجراماً لتنظيم الجيش وللدفاع الوطني فلما اعلنت الحرب اوقف تنفيذه. وقد علم القراء كيف اجابت بلجيكا على مذكرة المانيا رغم عدم استعدادها وكيف صممت على الدفاع عن بلادها حتى النهاية وقد قامت دولتا انكلترا وفرنسا للاخذ بناصرها اعترافاً بالخدم الجليلة التي ادتها لها واقرضتها كل منهما ٢٥٠ مليون فرنك بدون فائدة

المانيا

خصصت الحكومة الالمانية منذ سنين طويلة ولا سيما في سنتي ١٩١٢ و١٩١٣ مبالغ طائلة للقيام بالاستعدادات الحربية التي ظهرت باهول مظاهرها في هذه الحرب. واعدت المانيا لذلك منذ ثلاث سنوات بروجراماً مالياً تسير عليه في حال ما اذا اعلنت حرب

اوربية وكانت مهمة بنك المانيا (الريشسبنك) ازاء هذا البروجرام ان يمنع الارتباك المالي من ان يستحوذ على البلاد عند خوض غمارها لئلا تتزعزع الثقة المالية

لم تعلن الحكومة الالمانية الموراتوريوم (التأجيل الجبري للديون) كما فعل غيرها من الدول المحاربة لكنها اوقفت النظر في قضايا تحصيل الاوراق المالية فهي قد اعلنته فعلاً ان لم تعلنه اسماً

اما الريشسبنك فكان ما اجراه منذ الحرب انه اوقف دفع النقدية لعملائه رغبة منه في جمعها لاسعاف الحكومة بها عند الحاجة وبعد ان كانت العملة الذهبية المخزونة فيه في اواخر يوليو سنة ١٩١٤ قيمتها ١٢٥٢ مليون مارك (المارك يساوي شلناً اي نحو خمسة غروش مصرية) بلغت بعد شهرين ١٧١٦ مليوناً . ومنعاً لارتباك التجارة الداخلية خصص مبلغ ٣٠٠ مليون مارك من النقود و ١٣٠٠ مليون من الاوراق المالية للتعامل بين الناس فبلغ اذ ذاك مجموع قيمة الاوراق المالية المتداولة ٤٤٨٠ مليون مارك

وأنشىء في سائر انحاء البلاد الالمانية شعب وضعت تحت مراقبة الريشسبنك سميت صناديق التسليف والغرض منها التسهيل لارباب السندات في رهن سنداتهم وسحب أوراق مالية مخصوصة عليها. وهذه الاوراق جائز ابدالها بالبنك نوت الصادر من البنك . وكان الريشستاغ (البرلمان الالماني) قد قرر بادىء بدء ان لا تزيد قيمة ما يُقرض للاهالي من هذه الشعب عن ١٥٠٠ مليون مارك ولكنه عاد فابلغ أقصى القيمة الى ٣ مليارات حتى يسهل للاهالي بواسطة هذه القروض الاكتتاب بالقرض الحربي الذي سيأتي الكلام عنه وهو الغرض الرئيسي الذي من أجله أنشئت صناديق التسليف

وفي نفس اليوم الذي اعلنت فيه انكلترا الحرب على المانيا (٤ اغسطس سنة ١٩١٤) أذن الريشستاغ للحكومة باجراء ما يلزم للحصول على المبالغ الضرورية لنفقات غير اعتيادية تقدر بقيمة ٥ مليارات مارك . ففي يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩١٤ افتتح قرض لهذا الغرض وطلب من الاهالي الاكتتاب بحاويل على الخزينة بقيمة مليار فرنك بفائدة ٥ ./. وبسندات قرض حربي غير محدود القيمة . وقد بلغت طلبات الاكتتاب بهذه الاوراق حسب التقرير الرسمي الالماني ما قيمته ٤٤٠٠ مليون مارك

ومن جهة اخرى اضطرت الحكومة صناديق التوفير في بلادها ان تخصص جزءا من اموالها للاكتتاب بالقرض الحربي المشار اليه وشددت على عملاء هذه الصناديق للاكتتاب ايضاً به حتى يقال ان قيمة ما اكتتب من هذين المصدرين بلغت ٩٠٠ مليون مارك

وبالجملة فان التدابير المالية التي وضعتها المانيا قبل الحرب بزمن تشابه الاستعدادات الحربية التي اجرتها من حيث ان نجاحهما متوقف على سرعة انتصار الجيوش الالمانية . ولا ضمانة لتسديد قرض الحكومة سوى الغرامة الحربية التي يحلم الالمان بفرضها على اعدائهم ولكن النصر ما زال يتباعد عنهم ومعه بدأت تزول تلك الضمانة . وكان من نتيجة الاكثار من اصدار الاوراق المالية ان هبطت قيمتها في الخارج حتى ان المارك نقص ١٠ ./. من سعره الاعتيادي في امستردام ونيويورك ناهيك بما يتسبب عن ذلك من اختلال الكمبيو مع الخارج وما يعقبه من غلاء حاجات المعيشة والفقر العام

وتقدر قيمة ما ينفق يومياً على الحرب في المانيا ٧٥ مليون فرنك

النمسا والمجر

ليس من السهل معرفة المصادر التي تستخدمها حكومة النمسا والمجر لجمع اموال الحرب التي قدرت بما يزيد عن ٤ مليارات فرنك في الثلاثة الاشهر الاولى فقط . ولا يبرح عن بال القراء ان الدولة كانت قد قررت منذ سنتين انفاق اموال طائلة لتعبئة الجيش وقبيل الحرب اخفقت مساعيها للحصول على قرض بضم ٥٠٠ مليون فرنك . فيستنتج من ذلك انه لم يبق للنمسا مورد سوى بنك الامبراطورية الاهلي وهو الذي امدها ببعض القروض وكذلك المانيا اذ شرعت النمسا بعرض تحاويل على خزينتها في مدينة برلين بقيمة ٣٠٠ مليون مارك ولا ندري اذا كان يمكن لالمانيا الاستغناء عن هذا المبلغ في الوقت الحاضر سيما وان مركزها المالي بات حرجاً كما سبق فذكرنا

ونشأ عن كثرة تداول الاوراق المالية التي اصدرها بنك الامبراطورية ليسد قيمة القروض التي قدمها للحكومة ان قلت الثقة المالية في الدولة حتى ان النقود النمساوية فقدت ٦ ./. من سعرها الاصلي في برلين و ١٠ ./. في امستردام

اضف الى ذلك ان الدولة النمساوية المجرية كانت قد حصلت على قرض في انكلترا في سنة ١٩١٢ بواسطة تحاويل على خزينتها بفائدة ٦ ./. يستحق في يناير سنة ١٩١٥ وعبثاً حاولت الدولة تجديد هذا القرض بفائدة ٧ ./. بما يدل على فقد ثقتها المالية لدى الدول الاخرى . ناهيك بما أصاب تجارتها الخارجية من الكساد بسبب انقطاع مواصلاتها مع البلاد النائية

الصرب

لم تكن الصرب قد نهضت من ذلك الاضمحلال الذي جرته عليها حروبها مع تركيا

وبلغاريا في سنة ١٩١٣ رغم خروجها ظافرة منها ورغم اتساع املاكها بموجب معاهدة بخارست ولكن القرض الذي عقدته في فرنسا في أواخر ١٩١٣ بقيمة ٢٥٠ مليون فرنك مكنها من تسديد ديونها المستعجلة واحياء الحركة الاقتصادية في بلادها وقد تمكنت هذه المملكة الصغيرة بفضل ذلك من اعداد جيشها القليل العدد وخوض غمار الحرب الحاضرة مدافعة عن عاصمتها واستقلالها حتى تمكنت من صد الجنود النمساوية ومنعتهم من ان يطأوا بلادها . وقد سبق ان ذكرنا آنفاً عند الكلام عن فرنسا ان كلاً من دولتي فرنسا وانكلترا اقرضت سربيا ٩٠ مليون فرنك بدون فائدة

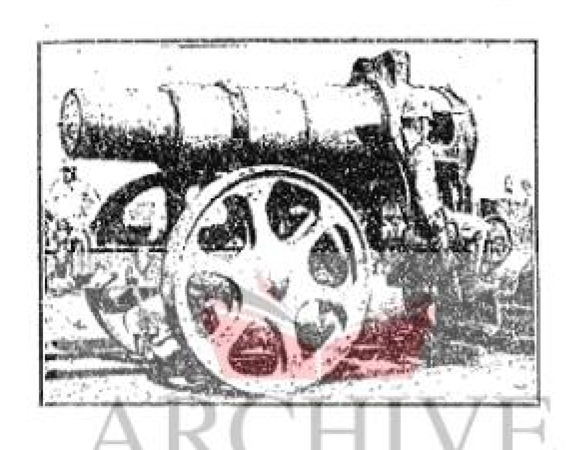
تركيا

وصلت تركيا في اواخر سنة ١٩١٣ بعد حربها مع ايطاليا ومع ممالك البلقان الى حالة يرثى لها من الفقر المدقع حتى لم يعد في امكانها دفع رواتب مستخدميها وأوقفت جميع مشروعاتها الاقتصادية العمومية . وكانت الحكومة قد سعت لدى فرنسا في عقد قرض قيمته ٥٠٠ مليون فرنك لمدد طويلة بفائدة ٥ ٪ واشترك مع فرنسا في دفع هذا القرض البنك العثماني وبعض البنوك الفرنساوية الكبرى ولكن لم يدخل الى خزينة الباب العالي من هذا القرض سوى جزء قليل اذ ان معظمه استخدم في تسديد سلف سبق ان اقترضتها الحكومة من بعض الماليين الاوربيين

اما الآن وقد خاضت تركيا غمار الحرب الاوربية الحاضرة مدفوعة باشارة من الامبراطور غليوم فكيف يمكنها الحصول على الاموال اللازمة لجيشها ؟ وهل اذا فرغت مواردها تجنح الى الاستيلاء على ايراداتها الموضوعة تحت مراقبة صندوق الدين العثماني الذي بيده ادارتها لضمانة حقوق حاملي سندات الدين العثماني ؟ هذا ما نخشى حصوله ولكن كل شيء ممكن ازاء الموقف المالي الحرج الموجودة فيه الحكومة العثمانية الان سيما وقد اعلنت عزمها اخيراً على وضع يدها على صندوق الدين . وقد احتج جاويد بك ناظر المالية العثمانية بشدة على هذا العمل وكذلك على ما قررته الحكومة من التبادل الجبري للاوراق المالية الالمانية ولا يدري الا الله ماذا تكون العاقبة

المدافع الضخمة

عند ما شبت الحرب الحاضرة انتشرت اشاعة في اوربا مؤداها ان المانيا ستباغت أعداءها بمدافع ضخمة لم يكونوا يحلمون بها . فوقف أولئك الاعداء موقف الذاهل وأخذوا يترقبون المدفع الذي كان سيذري رماد الحصون ويجعل المعاقل كالهباء المنثور



مدفع الماني من عيار ١٢ بوصة

ولم تمض على الحرب بضعة أيام حتى برز المدفع السري من مخبأه فاذا به المدفع الذي من عيار ٤٢ سنتيمتراً (أي ١٦ بوصة) وكان عند المانيا عشرة منها بعضها لم ينجز بعد . وقد راع هذا المدفع الانكليز والفرنسويين في أول الامر لان أضخم مدافعهم كانت من عيار ١٢ بوصة ولكنهم لم يلبثوا ان رأوا ان المدفع الجديد لا يفيد الا في الحصار وأما في المعارك فليس له قيمة على الاطلاق

ولم تبدأ فائدة المدفع الالماني الضخم بالظهور الا في نامور . ولكن حصون هذه المدينة لم تسلم الا بعد ان امتلأت خنادق الالمان بعشرات الالوف من أشلاء جنودهم فان مدافع البلجيكيين كانت تحصدهم حصاداً هائلا وتفتك بهم فتكا ذريعاً . وقد ثبت الان ان المدفع الالماني الضخم « يكلف » نحو مئة الف جنيه ولذلك يقول العارفون ان فعله الذريع ليس بنسبة نفقات صنعه . ثم انه صعب النقل فان ثقله مع المركبة التي ينقل عليها نحو مئة وعشرين طناً وطوله تسع وسبعون قدماً ومدى مرماه نحو عشرين ميلاً ويتلف في كل طلقة ثلاثة أرباع الطن من البارود وكان الالمان يطلقونه أربع مرات في الساعة أي مرة في كل خمس عشرة دقيقة . ويقال انه بعد اطلاق مئتي قنبلة

يتلف أو يزول تأثيره أو على الاقل تزول أخطاره

ومهما يكن فان الذين رأوا هذا المدفع يشهدون لفعله الذريع في الحصون لان انفجار قنابله بعد سقوطها على أهدافها يشبه انفجار البراكين اذ يتصاعد منها دخان وغبار وحمم ينعقد منها سرادق في الفضاء يبلغ علوها نحو الف قدم فضلاً عن ان هزيمه مما يصم الاذان ويلقي الرعب في القلوب . والانكليز يسمون هذا المدفع « برثا الكبيرة » (وهو اسم ابنة الفرد كروب صاحب المدافع الشهيرة باسمه) كما كانوا يسمون المدافع الالمانية التي من عيار ١٠ قراريط و ١/٢ ١٢ قيراطاً « جاك جونسن » (وهو اسم المصارع الاميركي الاسود الشهير) لكون دخانها اسود

وقد كان البلجيكيون منذ بداءة الحرب مستعدين لمقابلة مدافع « جاك جونسن » اذ كان عندهم من معدات الدفاع ما يماثلها في القوة والشدة . ولكن لم يكن عندهم ما يقابل



معامل كروب في المانيا

مدافع « برثا الكبيرة » . وأهم مدافعهم مدفع « لويس » الذي اخترعه الكولونل لويس الاميركي وعرضه على حكومته فلم تهتم بامره فذهب الرجل الى المانيا وعرضه على الحكومة الالمانية فاهتمت به كل الاهتمام لوثوقها من فائدته ولكن حصل خلاف بينها وبين المخترع فذهب هذا باختراعه وعرضه على حكومة البلجيك فاحلته هذه محله من الاهتمام وانتهى الامر بان اشترت الاختراع فلما بدأت الحرب وجد الالمان أنفسهم أمام مدافع تقذف عليهم نيراناً حاصدة لم يكونوا قط يحلمون بها

ويقول العارفون ان شخصاً واحداً يستطيع استعمال مدفع لوس في ساحة الحرب فيمطر على العدو نحو خمس مئة قنبلة في الدقيقة ويمكن تقليل عدد الطلقات او اكثارها بحسب الطلب وذلك بالضغط على زر بسيط في المدفع. ومن ميزات هذا المدفع انه مع سرعة طلقاته لا يحتاج الى تبريده او تغيير أنبوبه بخلاف المدافع الاخرى. فضلاً عن كونه ليس سريع العطب كالمدافع الاخرى. وقد بلغ عدد الذين حصدهم مدفع لويس ستين في المئة من كل فرقة تعرضت لنيرانه

والحقيقة ان اقوى المدافع الالمانية هي التي من عيار ١٢ بوصة وفعلها ذريع جداً ويبلغ وزن قنبلتها ٧٥٩ ليبرة ومدى مرماها ستة اميال وعدد طلقاتها ستاً في الدقيقة

على ان الحرب الحاضرة قد أظهرت أفضلية المدافع الفرنسوية على سائر الاسلحة مهما قال الناقدون فانها أشد احكاماً وأسهل تداولاً وأهول فعلاً على ما يقوله الناقدون الحربيون باميركا



نتف

يبلغ معدل ما يطلقه كل جندي في الصفوف الاولى من خطوط القتال اربعمئة رصاصة في اليوم. ويطلق ما ثقله ١٦٨ ليبرة من الرصاص قبل ان يقتل رجلاً

***

لم يخرج احد من ملوك انكلترا الى ساحة الحرب منذ ايام الملك جورج الثاني في سنة ١٧٤٣. نعم ان وليم الرابع حضر المعارك البحرية في سنة ١٧٨٠ ولكنه لم يكن حينئذ متوجاً

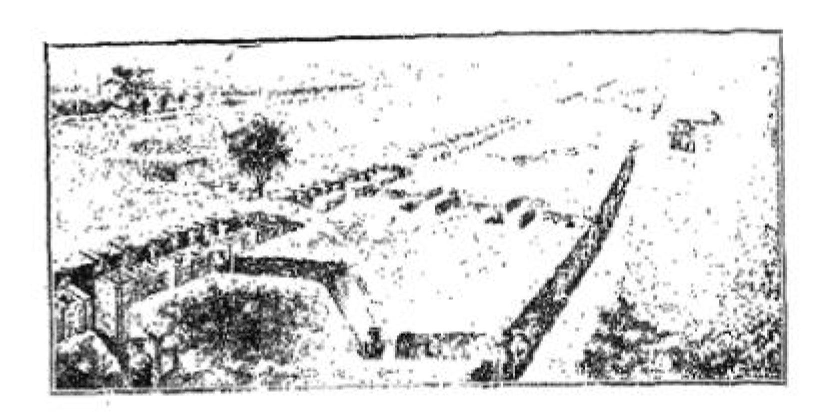
***

يشاع أن المانيا في حاجة الى نحاس اصنع القنابل وغيرها من لوازم الحرب. وبهذه المناسبة يروى أن حامية نمجن الانكليزية اضطرت في سنة ١٧٩٤ الى اطلاق قطع النقود بدلاً من الرصاص فكان الفرنسويون يرحبون بذلك النوع من القنابل

***

ان امبراطور المانيا لم يتوّج قط. وسبب ذلك انه لما حان ميعاد تتويجه اراد ان يلقب «امبراطور المانيا» فابت الولايات الالمانية واصرّت على وجوب تسميته «الامبراطور الالماني» فغضب غليوم وابى ان يتوّج

حرب الخنادق



مثال من الخنادق

لا شك ان الحرب الحاضرة هي حرب خنادق اكثر منها حرب حصون ومعاقل وقد اثبتت المعارك التي حدثت والاسلحة التي يتقاتل بها الفريقان ان عصر الحصون قد مضى وجاء الان عصر الخنادق . وليس المعنى ان الجيوش في الحروب القديمة لم تكن تلجأ الى الخنادق فقد اثبت التاريخ ان الرومان كانوا يستعملونها للاحتماء من سهام الاعداء وانما المقصود ان استعمال الخنادق قد اصبح اليوم لا مندوحة عنه بسبب ما طرأ على الفنون الحربية من التقدم والارتقاء . واذا نظرنا الى سير المعارك الحديثة ولا سيما معارك الحرب الحاضرة نجد انها تتوقف على كيفية احتماء الجنود وراء الخنادق كتوقفها على اي سبب آخر من الاسباب التي تتعلق عليها نتائج الحروب . ولا شك ان حفر الخنادق والالتجاء اليها قد اصبح اليوم فناً من الفنون الحربية القائمة بحد ذاتها . ولكل دولة طريقة في الاستفادة منها تختلف عن غيرها في الظاهر وتتفق في الباطن

ويظهر ان الالمان قد كانوا معتمدين عليها كل الاعتماد بدليل انه لم تكد الحرب تبتدىء حتى كان كل جندي يحمل معه ادوات سهلة النقل لحفر الخنادق والالتجاء اليها من نيران العدو . نعم ان جيوش الدول الاخرى أيضاً مجهزة بمعدات شبيهة بتلك ولكن استعداد المانيا قد كان اكمل واتم مما يدل على انها كانت تفكر بهذه الحرب منذ عهد بعيد . وقد كان القواد الالمان يراقبون مجرى الحروب الاخيرة ولا سيما الحروب البلقانية ليستفيدوا منها دروساً تنفعهم في حربهم الحاضرة

واهم ما يحمله الجندي الالماني لحفر الخنادق هو فاس ومعول وبلطة . ويحمل

النمسوي فاساً ومعولا وفانوساً صغيراً . ويحمل الفرنساوي فاساً ومعولا وقدوماً ومنشاراً ومقراضاً . ويحمل البلجيكي معولا وسكيناً ومنشاراً . وجميع هذه الآلات صغيرة يسهل حملها ومداولتها عند اللزوم

وتختلف الخنادق باختلاف الحاجة اليها . فنها ما لا يكون عميقاً وغايته ان يضطجع فيه الجندي ليستتر وهو يطلق النار . ومنها ما يكون أعمق قليلاً لكي يستطيع الجندي الراكع فيه ان يستتر . ومنها مايكون عميقاً ليتمكن الجندي من الوقوف فيه . والخنادق قد تكون فردية اي لنفر واحد . وقد تكون عمومية اي لعدد غفير من الجنود . وفي هذه الحالة يغلب ان تكون من الجنس العميق ليستطيع الجيش فيها الذهاب والاياب

ومن تلك الخنادق ايضاً ما له صفة دائمة اي هو اشبه بملاجيء دائمة منه بملاجيء وقتية . وقد برع الالمان في حفر هذا النوع فقد وصف بعضهم خنادقهم هذه فقال انها مرصوفة بالاسمنت او بمادة اخرى شبيهة به وفيها المطابخ والمغاسل والحمامات وهي تتصل بعضها ببعض بمعابر تحت الارض وتمتد على مسافات شاسعة اذ يلجأ اليها الوف من الجنود المحاربة . ولها ايضاً مواقف لخزن المؤون والذخائر والمدافع والقوم يعيشون فيها كأنهم عائشون في مدينة مبنية تحت الارض



خندق الماني مستوفي الشروط

على ان الخنادق التي من هذا النوع قليلة جداً لما يستغرقه حفرها من الوقت — والوقت على ساحات القتال من ذهب — ولذلك ترى المتحاربين في معظم الاحيان يكتفون بالخنادق الاقل رفاهة . ومن المضحكات المبكيات انهم يطلقون على بعضها اسماء اللوكاندات الكبرى والشوارع المهمة كلوكاندة كارلتون وسيسل وسافوا وشارع دي لا به وشارع النوم الى غير ذلك مما يدل على ميل العساكر الى المجون حتى تحت وابل القنابل

ومما يحزن في امر هذه الخنادق انها كثيراً ما تتحول الى مستنقعات وبحيرات بسبب ما يهطل من الامطار الغزيرة في فصل الشتاء البارد . ولذلك كثيراً ما تتلف المؤون والذخائر فيهملونها اذ لا ينتفعون منها بشيء

والانكليز يملأون البراميل الكبيرة تراباً وحجارة ويضعونها خلف ظهورهم في الخنادق لتقيهم رصاص اعدائهم من الوراء وقد ظهرت فائدة هذه البراميل في معارك كثيرة

على ان لكل داء دواء · فدواء الحصون والمعاقل المدافع الضخمة · ودواء الخنادق الالغام الهائلة · اي انه للحصول على خنادق العدو كثيراً ما يلجأون الى وسيلة الالغام بان يحفروا سراً تحت خنادقه على بعد مسافات طويلة فتى وصلوا الى اسفل خنادقه نسفوها فترى جثثهم تطاير في الفضاء وذخائرهم تتناثر كالهباء ثم يكرون عليهم فيطردونهم ويعملون فيهم قتلاً وضرباً

نتف

بلغ عدد الرسائل التي نقلها حمام الزاجل في الحرب السبعينية نحو مئة الف فكان ذلك من اجل الخدم الحربية . ومنذ ذلك اليوم تهتم الحكومة الفرنساوية بتربية هذا الحمام والاكثار من اسرابه

***

اقترح المستر ولز الكاتب الانكليزي الشهير على حكومته ان ترقي كل طيار انكليزي يحارب في الهواء (وليس يستكشف فقط) الى رتبة الاعيان وتمنحه مكافأة مالية حسنة وكذلك ان ترقي الى رتبة الاعيان كل طيار بريطاني يطير ويدمّر طيارة المانية في حرب جوية ثم يعود سالماً وتمنحه مكافأة مالية

***

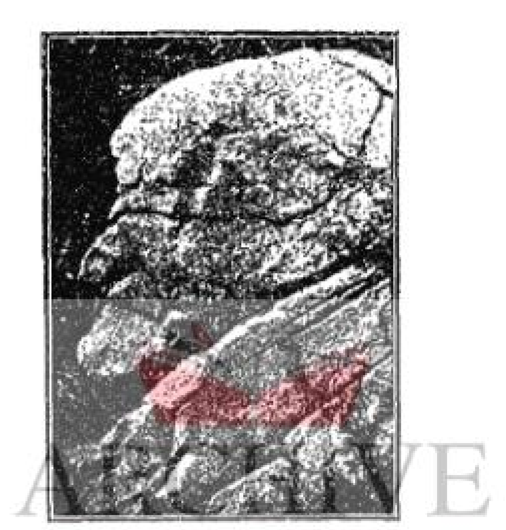
لا يكاد عدد الالمان في سائر المستعمرات الالمانية يتجاوز اربعة وعشرين الفاً مما يدل على قلة رغبة الشعب الالماني في النزوح الى المستعمرات الالمانية مع ان عدد النازحين منهم الى الممالك الاخرى يعد بمئات الالوف . واذا نظرنا الى عدد الانكليز المقيمين في المستعمرات البريطانية نجده يتجاوز الملايين مما يدل على نجاح طريقة الاستعمار البريطاني وفشل الطريقة الالمانية

***

يدهن الالمان الخيل في هذه الحرب بلون قريب من لون التراب لكي يتعذر تمييزها

عجائب المخلوقات

نحت الطبيعة



تمثال من نحت الطبيعة

تقوم الطبيعة في بعض الاحيان باعمال هي اشبه باعمال العقل البشري . ومن هذا النوع الصخر المصور اعلاه فانه اشبه بتمثال منحوت وما هو الا نحت العوامل الطبيعية . وقد وجدوه في قمة جبل ويلسن في ولاية كاليفورنيا من الولايات المتحدة ويسميه سكان تلك الناحية « الرجل العجوز » لان ملامحه تشبه ملامح شيخ هرم

طبائع الزنابير

من الزنابير نوع يسمى في الاصطلاح العلمي سفكس (Sphex) درس طبائعه جان هنري فابر العلامة الفرنساوي الشهير الذي صرف حياته منذ حداثته الى شيخوخته في درس طبائع الحشرات ولعله افضل مثال على التخصص عند علماء هذا العصر وقد نشر مباحثه في مجلدات طويلة رأينا ان نورد هنا هذه الفقرة منها لما تحويه من الحوادث الغريبة . قال :



١ — الزنبور يلسع فريسته فتفقد رشدها
٢ — ثم يعض دماغها فتصبح عديمة الحركة
٣ — ثم يجرها الى حفرته ليحتفظ بها

وجدته مرة في طريق رملية يجر جرادة مقلوبة على ظهرها من ملمسيها (١) كأنهما زمامان . واذا كانت الطريق كثيرة الوعور فانه يضم الجرادة بين أرجله ويثب بها وثبات متواصلة لان ثقل فريسته يمنعه من أن يطير بها مسافة طويلة كما تفعل انواع كثيرة من الحشرات

ومن الغريب انهذا النوع من الزنابير لا يختار مكاناً ثابتاً يمكث فيه مع صغاره . فانه لا يحفر حفرته الا بعد أن يصطاد فريسته على عكس سائر الحشرات التي من جنسه فانها تحفر الدهاليز الطويلة وتتوارثها اباً عن جد وتتوسع فيها شيئاً فشيئاً . والسبب في هذا الاختلاف هو على ما أرى ثقل فريسته لانها عادة أثقل منه فاذا خرج للصيد تعذر عليه جر فريسته الى مكان مخصوص . فالمكان الذي يتوفق فيه الى اصطياد جرادة أو نحوها يتوقف عليه اختيار النقطة التي يتخذها مسكناً . فحالما يصطاد جرادة مثلا يلسعها وينفذ فيها سمه فتصبح بلا حراك من غير أن تموت فيتركها في مكانها ويبحث في تلك الناحية عن مكان ملائم فيحفر فيه حفرته ثم يرجع الى الجرادة فيجرها كما أشرنا

وقد يجرها دفعة واحدة الى الحفرة ولكنه في كثير من الاحيان يتركها في منتصف

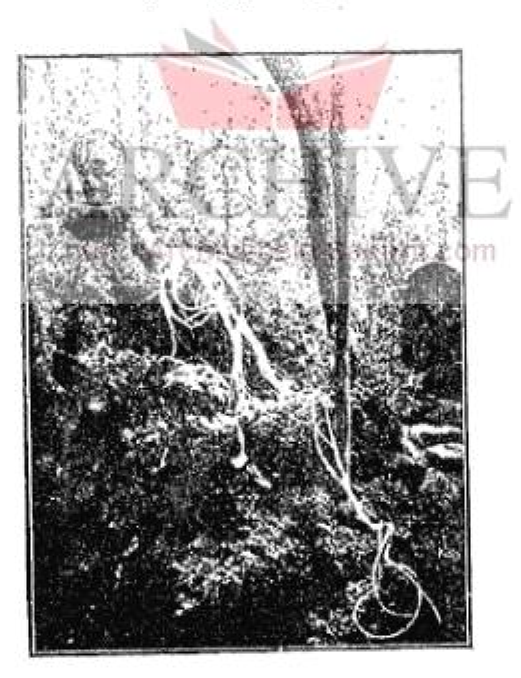
(١) اللامس Antennæ اعضاء في راس الحشرات والهوام على شكل قرون هي اعضاء اللمس ويظن بعض العلماء ان لها خاصة السمع ايضاً

الطريق ويتوجه نحو الحفرة كأنه تنبه الى شيء فانه وهو يحتفرها فيصلح ما يراه مختلا ثم يرجع الى فريسته فيجرها ثانية . وقد يكرر ذلك غير مرة

لكن الجرادة لم تمت في هذه الاثناء فان اللسعة انما افقدتها رشدها فقط . فقد تحرك اعضاؤها وتتشنج اذا احتكت بشيء في طريقها فيتعطل الزنبور في سيره . ففي مثل هذه الاحوال يلجأ الى عملية اخرى تضمن له سكون فريسته من غير ان يقتلها وذلك انه يضغط بفمه على مركز الارادة في دماغ الجرادة مدفوعاً بغريزة عجيبة ترشده الى المكان المطلوب فتعدم الجرادة كل حركة من غير أن تموت

واهتمامه في ابقاء الجرادة حية سببه ان صغار الزنابير لا يلائمهم جسد هامد متعفن بل يلزمهم قوت رخص نظيف . ولله في خلقه شؤون

أطول الديوك ذنباً



ديك طول ذنبه ١٨ قدماً

يهتم سكان جزيرة شيكوكو من جزر اليابان بتربية الديوك على قصد تطويل اذنابهم بالتناسل . وقد توصلوا بهذه الطريقة المسماة عند علماء الحيوان بالانتخاب الصناعي (أي انهم ينتخبون اطول الديوك اذناباً ويجعلونها تتناسل ويفعلون مثل ذلك في نسلها وهلم جراً) الى تطويل اذناب الديوك الى درجة غريبة . وفي الصورة أعلاه مثال من هذه الديوك

تاريخ الشهر

اهم وقائع الحرب

(تابع لما في الجزء الماضي من الهلال)

في ٢٢ ديسمبر — استولى الفرنسويون على جانب من خنادق الالمان في جهات الاين وشمبانيا واشتد القتال بقرب لاباسي ودحر الروس الالمان على نهر بزورا

في ٢٣ منه — تقدم الحلفاء بين الموز والارجون

في ٢٤ منه — القى طيار الماني قنبلة على دوفر فحطم زجاج بعض النوافذ

في ٢٥ منه — غزا سبعة من الطيارين الانكليز مدينة كوكسهافن وهي محطة بحرية المانية فالقوا عليها القنابل وعادوا سالمين . وهاجم بلون الماني من طرز تسبلن وغواصة المانية سفناً بريطانية فطاردتهما السفن وحاول طيار الماني ان يطير فوق نهر التاميز فطارده الطيارون البريطانيون

في ٢٦ منه — حاول الالمان ان يستردوا خنادقهم في الفلاندر فلم يفلحوا . والقى بلون الماني القنابل على نانسي والقى طيار فرنسوي قنابل على مستودع البلونات في متز وعاد الالمان فاحتلوا ملاقا في بروسيا الشرقية

في ٢٧ منه — كسر الروس النمسويين الذين حاولوا ان يعبروا مضايق كرباثيا واخلى الالمان الضفة اليسرى من نهر نيدا

في ٢٨ منه — انتزع الحلفاء قرية سان جورج من يد الالمان في البلجيك . وبدأ الفرنسويون بمحاصرة ستنباخ في الالزاس وأرسلت الولايات المتحدة مذكرة الى بريطانيا العظمى تلفت بها انظارها الى مسئلة التعرض للسفن التجارية الاميركية

في ٢٩ منه — اطلق الالمان مدافعهم بشدة على قرية سان جورج في البلجيك. ودحرهم الروس عند هجومهم على قرية بورجيموف في بولندا

في ٣٠ منه — القى الطيارون الالمان القنابل على دنكرك فقتلوا وجرحوا نحو خمسين من الاهالي

في ٣١ منه — استولى الفرنسويون على نصف قرية ستنباخ في الزاس . والقى

طيارو الحلفاء القنابل على محطة السكة الحديدية في متز

في اول يناير سنة ١٩١٥ — غرقت البارجة فورمدابل الانكليزية في الخليج الانكليزي وغرق معها معظم بحارتها . واستولى الفرنسويون على جزء آخر من قرية ستنباخ

في ٢ منه — دحر الروس الالمان في كوسلو بسكوبي على نهر بزورا

في ٣ منه — هدوء في الفلاندر . تقدم الروس في ولاية بكوفينا واقتربوا من حدود رومانيا

في ٤ منه — انتزع الفرنسويون كل قرية ستنباخ في الزاس من يد الالمان . وانتصر الروس على العثمانيين انتصاراً عظيما فافنوا فرقتين (٨٠٠٠٠) واسروا آلايا برمته

في ٥ منه — هاجم الالمان الحلفاء الى الجنوب الشرقي من سان جورج في البلجيك فاندحروا . وقتل قسطنطين غاريبالدي قائد الايطاليين المتطوعين في الجيش الفرنسوي

في ٦ منه — تقدم الفرنسويون في الزاس في غابة هرتزباخ (بقرب التكرش)

في ٧ منه — تم انهزام الترك في القوقاز وافنى الروس فيلقاً آخر في اردهان

في ٨ منه — صد الحلفاء هجوم الالمان بقرب ليل وفي الارجون واعترضت ايران على تركيا لعدم مراعاتها حرمة حيادها

في ٩ منه — اغرق الروس نقالتين عثمانيتين في البحر الاسود

في ١٠ منه — صد الحلفاء الالمان في الارجون وأرسلت ايطاليا الطراد بيامونت الى ميناء سان جون في مدوا

في ١١ منه — طارت ثلاث عشر طيارة المانية فوق الخليج الانكليزي بقصد غزوة انكلترا فطاردتها المدافع وارجعتهم

في ١٢ منه — تم استيلاء الروس على كل ولاية بوكوفينا

في ١٣ منه — هاجم الالمان الحلفاء شمالي سواسون فدحرهم هؤلاء . وظهرت رغبة رومانيا في الانضمام الى الحلفاء

في ١٤ منه — استمر القتال شمالي سواسون وظل الروس يطاردون الاتراك في قره اورغان

في ١٥ منه — بدأت موقعة عظيمة على نهر الاين بين الالمان والحلفاء وانتصر الروس انتصاراً آخر في القوقاز

في ١٦ منه — انتصر الانكليز على الالمان في لاباسي واستولوا على مراكزهم المنيعة . وأفنى الروس الفيلق الحادي عشر العثماني وأغرقوا أربعاً وعشرين نقالة تركية في البحر الاسود

في ١٧ منه — الفت روسيا جيشاً جديداً من ٨٠٠٠٠٠ مقاتل . وبدأت رومانيا بالتعبئة وخسر الاتراك في معركة جديدة ٥٠٠٠ أسير و١٤ مدفعاً وعشرة آلاف رأس بقر وغنم

في ١٨ منه — انتصر الروس انتصارات جديدة في القوقاز وفي بولندا . وبدأت المظاهرات ضد الحرب في النمسا

في ١٩ منه — استولى الروس على معابر كرليبابا في جبال كرباتيا وانتصروا انتصاراً باهراً على الاتراك في قره اورغان فهرب هؤلاء الى جهات أرضروم . وحاولت بعض قبائل عمان العربية أن تهاجم مسقط فانبرى لها الانكليز ودحروها بالحراب وقتلوا من رجالها ٥٠٠

في ٢٠ منه — ألقى طيار الماني القنابل على يارموث وسندرنهام واشتد القتال في بني كوي بين الروس والاتراك على حدود القوقاز

في ٢١ منه — فشلت جميع حملات الالمان على الروس في جهات الفستولا . وأصدر قلم المطبوعات في مصر بلاغاً جاء فيه ان الطريقة الوحيدة لدخول الاتراك الى مصر هي أن يدخلوها كاسرى حرب

في ٢٢ منه — استعفى فلكنهين وزير الحربية في المانيا تخلفه اللفتننت جنرال هرهنبورن

في ٢٣ منه — دحر الروس الاراك في ارمينيا وأصبحوا على بعد ٢٥ ميلا من طورن

في ٢٤ منه — كسر الروس الاتراك في ستوران فمزقوا الفرقتين الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين شر ممزق وغنموا سائر مهماتهما وذخائرهما الحربية والمدافع الجبلية . وهاجم الطيارون الانكليز مدينة زيبروج والقوا عليها ٢٧ قنبلة وأغرقوا غواصة المانية

في ٢٥ منه — انتصر الاسطول الانكليزي على الاسطول الالماني في بحر الشمال فاغرق الطراد بلوخر وعطل بارجتين كبيرتين

الامة الانكليزية

اقدم الامم الاوربية واغربها

اسرار قوتها الداخلية والخارجية

ان مصير الحرب الحاضرة بل مصير كل حرب في التاريخ يتعلق على القوى الحيوية الكامنة في الامم المتحاربة اكثر من تعلقه على اعمال الجيوش وما تقوم به في ساحات القتال . والمقدرة على تنظيم الجيوش وادارتها قد ترجع الى عوامل غير عسكرية ولا علاقة لها بسير الحرب ومجرى الحوادث

وقد ذهب بعض الكتاب الغربيين الى القول بان انكلترا آخذة في الانحطاط وان القوة الوحيدة الحافظة لها كيانها هي اسطولها الضخم لا العوامل الطبيعية المتخللة ذلك الكيان . وان من اسباب ضعف هذه المملكة صغر مساحتها بالنسبة الى بقية الدول الكبرى وقلة اراضيها الزراعية وكون هذه الاراضي غير خصبة بحيث لا تستطيع الامة ان تعتمد على حاصلاتها فقط . ولما كانت قوة كل مملكة بنسبة اتساع اراضيها وخصبها وجب اعتبار انكلترا دولة ضعيفة ولا عبرة بكونها قد استطاعت في الازمنة الحرجة ان تعول شعبها بحاصلات ارضها فان هذه طريقة صناعية لا طبيعية

هذا ملخص ما ذهب اليه بعض الكتاب المتطيرين . ومع ان في مزاعمهم شيئاً من الصحة فقد فاتهم ان عظمة انكلترا الحقيقية وسيادتها على العالم راجعتان الى عوامل جغرافية اقتصادية ظاهر أثرها في تاريخ انكلترا وحالتها الحاضرة كل الظهور . وقد تأسس نظام المملكة السياسي والاجتماعي على تلك العوامل بحيث لا يستطيع احد ان ينكر علاقة العلل بمعلولاتها في نشوء تاريخ الامة الانكليزية

العوامل الضرورية لنشوء الامم

تتكون كل أمة كمل نموها بواسطة عوامل مختلفة تعمل على ربط اعضائها وحفظ كيانها . واهم تلك العوامل خمسة نوردها اولا على سبيل الايجاز ثم نتبسط فيها بقدر ما ينفسح لنا المجال . وها كها :

(اولاً) الوحدة الجغرافية ونعني بها وحدة البلاد التي تمتلكها الامة وفصلها عن سائر ما يجاورها من الممالك بحدود طبيعية كجبال البرينيه الفاصلة بين فرنسا واسبانيا

وجبال الالب الفاصلة بين ايطاليا وما يجاورها من البلاد في الشمال

(ثانياً) الوحدة الجنسية ونعني بها شعور سكان المملكة الواحدة بعدم وجود فوارق جنسية بينهم بحيث يعتبرون انفسهم شعباً واحداً

(ثالثاً) الوحدة الاعتقادية ولا نعني بها ان يدين الشعب كله بديانة واحدة بل ان يعتقد بوجوب اطلاق حرية المعتقد للجميع

(رابعاً) الغيرة الوطنية ونعني بها شعور الامة بالعوامل الثلاثة المذكورة آنفاً اي الوحدة الجغرافية والوحدة الجنسية والوحدة الاعتقادية وشعورها ايضاً بوحدة الغاية التي تسعى اليها في مضمار هذه الحياة

(خامساً) الوحدة الادارية ولا نعني بها الاتفاق فقط على نظام معين لحكم البلاد وادارة شؤونها بل ايضاً وحدة الغايات والمبادىء بحيث يكون الجمهور قانعاً من مجرى الامور غير مفكر بقلب نظام الحكم . على ان هذا العامل لا يمنع وجود احزاب متشعبة الآراء بحيث يكون اختلافها اختلافاً على الوسيلة فقط لا الغاية

الوحدة الجغرافية

لم تبلغ فرنسا والمانيا حتى الآن وحدتها الجغرافية مع ان انكلترا بلغتها منذ عدة عصور اذ وصلت الى حالتها الحاضرة بهذا الاعتبار في سنة ١٠٨٧ للميلاد اي عند وفاة وليم الفاتح . ولا عبرة بالقول بان وليم وبعض خلفائه الاولين كانوا يمتلكون بلاداً في فرنسا خارجة عن وحدة انكلترا الجغرافية . والحق انه منذ ختام حرب المئة سنة لم تملك انكلترا — ولا سعت لتملك — ارضاً في قارة اوربا . نعم ان ثغر كاله بقي في يدها نحو قرن آخر بعد ذلك التاريخ ولكن الانكليز منذ عهد هنري السابع كانوا يعتبرون وحدتهم الجغرافية ضمن حدود جزيرتهم

ولم تبلغ اسبانيا وحدتها الجغرافية الا في اواخر القرن الخامس عشر . على اننا اذا دققنا البحث في تاريخ اسبانيا اتضح لنا ان وحدتها الجغرافية كانت بالاسم فقط لا بالفعل اما فرنسا فلم تصل الى وحدتها الجغرافية الا في القرن السادس عشر . واما المانيا وايطاليا فلم يبلغاها الا في القرن التاسع عشر

وفضلا عن ذلك فان تكوين الجزر البريطانية الجغرافي مكن الانكليز من السيادة على سائر القبائل الساكنة في انكلترا منذ البدء

الوحدة الجنسية

ان اصل الشعب الانكليزي خليط من السكسونيين والدنمركيين والنورمانديين. وقد كانت الفروق الجنسية ظاهرة حتى اوائل القرن الثاني عشر للميلاد. ولكن ضيق مساحة الجزر البريطانية جعل السكان يختلطون معاً ويتزاوجون فلم ينته القرن الثالث عشر حتى كانت الفروق الجنسية قد زالت تماماً وصار السكان جميعهم يشعرون بانهم انكليز بكل معنى الكلمة

على ان هذه الوحدة الجنسية التي بلغها الانكليز منذ ذلك الزمن لم يبلغها غيرهم من الامم الا بعد مرور العصور الطويلة. فحرب المئة سنة كانت في الحقيقة واقعة بين شمالي وجنوبي فرنسا اكثر منها بين الانكليز والفرنسويين. وذلك لان ملوك الانكليز ظلوا يمتلكون مقاطعات كبيرة في فرنسا ليس باعتبار كونهم انكليزاً بل فرنسويين

واذا نظرنا الى المانيا في عهد الاصلاح وفي القرن السابع عشر اثبتت لنا حرب الثلاثين سنة ان الشعب الجرماني حتى ذلك العهد لم يكن يشعر بوحدته الجنسية. فالحكم كان للنمسا ولم تكن لفظة المانيا الا اسماً لغير مسمى حتى ان نفس هذه اللفظة كانت نادرة الاستعمال في ذلك الزمن

فانكلترا اذاً سبقت غيرها من دول اوربا الى تكوين وحدتها الجنسية

الوحدة الاعتقادية

كانت الخلافات الدينية من اعظم الموانع التي حالت دون اتمام الوحدة القومية في فرنسا وجرمانيا فان النزاع الذي كان قائماً بين الكاثوليك والبروتستنت بقي مستعر الاوار مدة طويلة وكان سبباً في هدر دماء كثيرة. فكان البروتستنت في فرنسا مثلاً يفضلون الاتحاد مع البروتستنت في جرمانيا على الاتحاد مع الكاثوليك في وطنهم بخلاف القوم في انكلترا فان الكاثوليك فيها كانوا انكليزاً اولا وكاثوليكاً ثانياً اي انهم كانوا اذا رأوا بلادهم معرضة لغزو عدو اجنبي تناسوا احقادهم الدينية وان يكن ذلك العدو من اهل دينهم وفضلوا ان يحكمهم ابناء وطنهم ولو كانوا من المخالفين لهم في المعتقد. فالوحدة الاعتقادية تمت في اوائل القرن السابع عشر وظلت تنمو وتنشأ حتى لم يبق للخلافات الدينية اثر عند الانكليز على الاطلاق. وفي نفس هذا الزمن الذي تكونت فيه الوحدة الاعتقادية بطلت الحروب الاهلية فلم يقع منها شيء منذ اوائل القرن السابع عشر حتى اليوم. وقد كانت الانكليز يرتعدون خوفاً من مجرد ذكر « الصتر » فان مشكلها

الحديثة كانت حتى بدء الحرب الحاضرة تهدد انكلترا بحرب اهلية ترتجف لهولها فرائص الانكليز . ولا شك انها كانت من جملة الآمال التي شجعت المانيا على خوض غمار هذه الحرب . ولو وقعت الحرب الاهلية في انكلترا لكانت اعظم ضربة حلت بالبلاد منذ عدة قرون . على ان الانكليز اقدر الشعوب على حل المشاكل بالوسائل السلمية وهم اشد الناس تمسكاً باهداب السلام لا يهمهم ان يعيشوا الا براحة وطمأنينة ولا يخالج احدهم أدنى فكر لقلب الحكومة الحاضرة . نعم ان بينهم قوماً يودون تغيير بعض النظامات الادارية ولكن نفس هؤلاء لا يهمهم تغيير شكل الحكومة الحاضرة لانهم حريصون على راحة بلادهم كل الحرص يخلصون لوطنهم كل الاخلاص ولا يفسحون للغايات النفسانية مجالا . وهذا عكس ما نراه في الممالك الاخرى اذ تكاد الغايات الشخصية تكون المسير الاعظم لدفة السياسة .

ومن حسن طالع انكلترا ان جميع شؤونها السياسية بيد رجال كبار العقول لا علاقة لهم بالشؤون العسكرية بخلاف الحال في المانيا او النمسا او تركيا او غيرها من البلاد فان الاحكام فيها تكاد تكون كلها بيد السلطة العسكرية . والاختبار يدلنا على انه متى تعرض رجال الجيش للشؤون السياسية كانت العاقبة وخيمة جداً

سيادة انكلترا

ليست الحرب الحاضرة اول مرة ارسلت فيها انكلترا جيشاً الى اوربا فان عساكرها كثيراً ما اوتيت النصر في المعارك الشهيرة في اوربا . ولكن تلك المعارك على رغم شهرتها التاريخية لم تكن فاصلة حاسمة بمعنى انها لم تغير مجرى الحرب التي وقعت فيه . ومع هذا فان انكلترا لم تدخل حرباً في الثلاثة القرون الماضية الا انتصرت فيها ونالت رغبتها وان يكن خصمها اقوى منها بجيشه . فما سر ذلك يا ترى ؟

سر ذلك قبل كل شيء قوى انكلترا الطبيعية . فالامة لا تقدم على حرب الا وهي متحدة اتحاداً تاماً يتناول كل مخلوق في انكلترا . وقد زعم بعضهم ان سبب انتصارات الانكليز في حروبهم كونهم يعرفون دائماً الكفة الراجحة في الختام فيقفون الى جانبها . والحق ان الانكليز كثيراً ما وقفوا الى جانب الكفة المرجوحة غير عابئين باعتقاد العالم كله وما هي الا لحظة حتى ترى الكفة المرجوحة قد تحولت الى راجحة

واحسن شاهد على ذلك وقوف انكلترا الى جانب فريدريك الكبير بينما كان يحارب أوربا كلها تقريباً . وكذلك اصرار انكلترا على محاربة نابوليون مع انه اخضع أوربا كلها تقريباً

فهذا « العناد » الانكليزي هو في الحقيقة اكبر سبب من اسباب سيادة انكلترا . ولكن لا يبرح من فكرنا ان مركزها الجغرافي ايضاً قد ساعدها على ذلك ومكنها من الاصرار على تنفيذ سياستها غير عابئة بتهديد اعدائها لان وجودها في البحر قد كان دائماً حاجزاً منيعاً يقيها شر اعدائها ويجعلها في امان من غزواتهم . وكثيراً ما سارت انكلترا على سياسة « فرّق تسد » فكانت تحرّض فرنسا على المانيا او المانيا على فرنسا وتمنع بسياستها الرشيدة اجتماع اعدائها عليها

وهنالك سبب آخر لسيادة انكلترا وهو ان « وحدة الجنسية » التي اشتهر بها الانكليز لم تكن معروفة عند دول أوربا العظمى الا منذ عهد قريب . وهذا النقص هو الذي سبب حرب المئة سنة بين فرنسا وانكلترا وساعد الانكليز على اخضاع فرنسا بل هو الذي ساعد الفرنسويين والاسوجيين على الاستبداد بجرمانيا بضع سنوات في القرن السابع عشر . ولو كان قد تم تكوين الوحدة الجنسية في جرمانيا في سنة ١٦٣٠ لتغير مجرى تلك الحرب الدموية المعروفة في التاريخ بحرب الثلاثين سنة

والخلاصة ان سر عظمة انكلترا وسيادتها على العالم راجع الى وحدتها الجغرافية والجنسية وشعورها الوطني وخبرتها السياسية وهي شروط كانت متوافرة في الشعب الانكليزي منذ القرن الخامس عشر تقريباً مع انها لم تبدأ بالظهور في الشعوب الاخرى الا بعد ذلك بنحو قرنين على الاقل . والتاريخ اصدق شاهد على ان انكلترا لم تتعرض لمشكلة من مشاكل العالم السياسية الا وشعبها كله كتلة ذات رغبة واحدة وارادة واحدة ولذلك كان ساستها ولا يزالون ينتهجون المسلك الذي يستصوبونه وهم واثقون بموآزرة الامة كلها واطلاقها ايديهم للعمل بما يتراءى لهم . وقد اشتهر عن السياسة الانكليزية انها بعيدة المرمى تكاد تنظر الى ما وراء المستقبل كما اشتهر عنها ايضاً الصراحة في القول والاخلاص في العمل

وفضلا عن ذلك فان الامة الانكليزية تظهر كلها كتلة واحدة امام العدو فتنسى كل خلاف حزبي أو داخلي وهكذا تحبط اماني العدو وتفسد عليه تدابيره كما حدث في مسئلة الصرب قبيل نشوب الحرب الحاضرة

ومن اسباب سيادة انكلترا ايضا قواها الاقتصادية فالبلاد زراعية تجارية صناعية وتصلح لتربية القطعان والمواشي على مدار السنة . ولم يجتحها قط جيش من الجيوش المتحاربة منذ ازمنة بعيدة ولذلك حفظت انكلترا قوتها المالية ولم تفرط بها . وزادت تلك القوة بمرور الزمن حتى اصبحت المملكة غنية وشعبها يستزيدون ثروتهم بمتاجرة

صنائعهم ومتاجرهم وهم آمنون شر الغزاة الفاتحين وساعد على زيادة طمأنينتهم اسطول انكلترا العظيم الذي نشأ في اول الامر للدفاع عن المملكة ثم نما وكبر فاصبح عاملاً قوياً في نشر المتاجر البريطانية وحماية مصالح البلاد في سائر اقطار المعمور. وقد كان مركز البلاد الجغرافي مما يسهل على الاسطول مهمته ويجعل انكلترا شبه مشرف على شؤون اوربا الاجتماعية والاقتصادية

العقل الانكليزي

ليس الانكليزي سريع الخاطر ولكنه متى ادرك شيئاً ألمّ بجميع جزئياته وتصرف به بنظام علمي او اقتصادي حتى يكتسب منه اعظم فائدة ترتجى. على ان العقل الانكليزي مخترع بطبيعته وتاريخ انكلترا مملوء بذكر الاكتشافات والاختراعات العظيمة الشأن. فالانكليز اول من استخدم البخار وتوسّعوا في تعميمه. وهم اول من اذاب الحديد بالفحم الحجري واخترعوا الاتون الصاهر والمطرقة البخارية وطريقة بسمر لصنع الفولاذ (الصلب) والآت الغزل والحياكة والمعامل الكبيرة التي تحول المواد الخام دفعة واحدة الى سلع مجهزة. ثم ان الالمان والاميركان اقتبسوا جميع تلك الاختراعات وحسّنوها ولكن الانكليز اول من اخترعها فكان الفضل للمتقدم

عزم الروس ان يرمموا الابنية التاريخية والأثرية التي اخربتها مدافع الالمان في بولندا وان يضعوا على كل بناء مرمم لوحة نحاسية او نحتة رخامية قد كتب عليها الكلمات الآتية: « اعيد ترميم هذا البناء بعد تدميره في عام القبائح الالمانية »

***

تتراوح نفقات صنع الطيارات الحربية بين ٨٠٠ جنيه و١٢٠٠ جنيه. اما البلونات المسيرة التي من طرز زبلن فتبلغ نفقات صنعها نحو عشرين الف جنيه. ويستغرق كل منها كمية كبيرة من الهيدروجين عند نفخه كل مرة يقدر ثمنها بنحو ٦٠٠ جنيه

***

يؤخذ من الاحصاءات الدقيقة ان من كل تسعين قنبلة طوربيد تطلقها الغواصات لا يصيب الهدف الا طوربيد واحد منها

التقشف عند الهنود

كلمة اجمالية

يراد بالتقشف تعذيب الجسد واماتة الشهوات للتغلب على الاهواء العالمية والتقرب من الاله . وقد اختلفت آراء العلماء في اصل هذه الشعائر فزعم بعضهم ان منشأها الديانة المسيحية وعزاها غيرهم الى الديانة البوذية وارجعها آخرون الى اقدم العصور والازمنة. ويؤخذ من مجمل اقوال الذين كتبوا في تاريخ الديانة المسيحية ان التقشف لا يستلزم اماتة الشهوات والرغبات المحرمة فقط بل المحللة ايضاً وذلك طلباً لطهارة النفس وتقرباً لها من الله . وقد مارس المسيحيون التقشف منذ اوائل الديانة المسيحية ثم اضربوا عنه بمرور الزمن فلم تنقض العصور المتوسطة حتى كان جيش المتقشفين من المسيحيين قد انفرط عقده اذ رأى القوم ان التقشف لم يكن يقربهم من الله ولا خطوة واحدة

ويظهر ان التقشف ليس اصيلا في الديانة المسيحية بل هو دخيل طرأ عليها من الخارج منذ بدأ الوثنيون ان يدخلوا فيها فان عادة التقشف شائعة عند جميع الذين يعتقدون بان الحياة الارضية هي عبارة عن مجموعة آثام وخطايا وان الجسم يعوق النفس عن سعيها وراء الفضيلة . لذلك اتبع البراهمة نظاماً من التقشف غايته قمع الجسد والتكفير عن الشهوات توصلاً الى الاندماج في ذات الاله . ويعتقد اتباع بوذة ان الزاهد ينجو بتقشفه وعزوبته من التقمص الى جسم آخر . وكان بعض فلاسفة اليونان في المئة الخامسة قبل الميلاد يزهدون الناس في الزواج ويحرضونهم على العزوبة اماتة لاهوائهم . وجاراهم في ذلك كهنة اورفيوس واتباع امبيدوقليس وفيثاغورس . ثم جاء بعدهم الرومانيون في اوائل العصور المسيحية فانتشرت بينهم تعاليم النيوفيثاغورية [١] والنيوافلاطونية [٢] التي تشجع على التقشف وتعاليم الاسينيين [٣] التي تحرض على

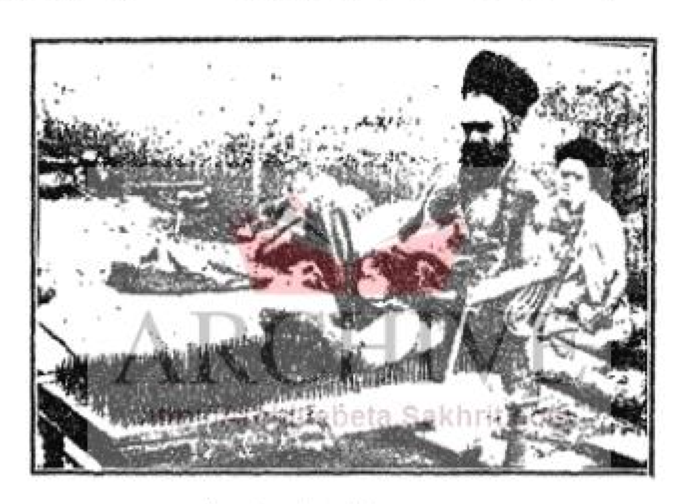
(١) النيوفيثاغورية او الفيثاغورية الحديثة ظهرت في المئة الاولى للميلاد وكان اتباعها يعتقدون بان الله روح وان المادة مصدر كل شر فيجب على الانسان ان ينبذها بسائر وسائل التقشف

(٢) النيوافلاطونية او الافلاطونية الحديثة ظهرت في الاسكندرية في المئة الثالثة للميلاد ومؤسسها بلوطينوس او افلاطينوس وهي تشبه فلسفة التصوف من عدة وجوه وتقول بان النفس قد انحطت الى اسفل الدركات بسبب الاهواء والشهوات فعلى الانسان ان ينقذها من هذه الحالة بالاقلاع عن الشهوات وحصر التأمل في الروحانيات

(٣) طائفة من اليهود كانت على ايام المسيح واشتهرت بتحريضها على التقشف والامتناع عن الزواج وتحريم الذبائح ووجوب التوضؤ يومياً بالماء البارد والتدقيق في حفظ يوم السبت والصلاة قبل بزوغ الشمس مع تولية الوجه الى الشرق الى غير ذلك من المبادىء والشعائر

العزوبة وامانة الشهوات . وهذا يتفق مع مبادىء الديانة المسيحية بعض الاتفاق ولكنه يختلف عنها في امور كثيرة

ففي أوائل المئة الاولى للميلاد كان المسيحيون يصومون اياماً معينة ويستحسنون العزوبة ويمضون الليل بالسهر والصلاة ويعانون الحر والبرد ويسيرون باقدام حافية ويلبسون المسوح الى غير ذلك من صنوف التقشف . فلم يمض زمن طويل حتى نشأ بينهم طغمة من الزهاد الذين كانوا في اول الامر يأوون الى البيوت ويعيشون بين البشر ثم اخذوا بتمادي الزمن يبتعدون عن الناس ويسكنون البراري والقفار . وفي أواخر القرن الثالث للميلاد ظهر هراقاس بمدينة ليونتوبوليس فالتف حوله جمهور من الاتباع



متقشف يقضي ايامه على مسامير حادة

الزهاد فكان يروضهم على الزهد ويحرضهم على ممارسة سائر انواع التقشف مدعياً ان مثل تلك المعيشة من مقتضيات الوحي المسيحي . ويقال ان معظم اتباعه هربوا عند وقوع الاضطهادات الشهيرة فتشتتوا في البراري والقفار . ثم جاء انطونيوس المصري (سنة ٢٥١ — ٣٥٦ للميلاد) فانشأ نظام الرهبنة وهو احد نتائج الزهد والتقشف ثم تشعب هذا النظام فصار بعض اتباعه ينذرون السكوت حتى الموت (وهم المعروفون بالسكوتيين) وغيرهم ينذرون الانقطاع عن العالم بتاتاً وآخرون يمتنعون عن أكل اللحوم وهلم جراً

ولما ظهر لوثيروس الشهير رأى دعاة الزهد والتقشف في تعاليمه الجديدة خصماً عنيداً ينكر نظام التقشف ويقاوم القائلين به . وكان هذا سلاحاً من الاسلحة التي تذرعت بها الكنيسة الكاثوليكية لمحاربة اتباع لوثيروس مدة طويلة من الزمن

التقشف عند الهنود

هذا اهم ما يقال في منشإ التقشف ونظامه عند المسيحيين . على ان الديانة المسيحية كما قلنا لم تكن مسقط رأس هذا النظام بل هي استعارته على الارجح من الاديان الوثنية التي كانت مجاورة لها واهمها الديانات اليونانية المتنوعة . والارجح أن اليونانيين اقتبسوا هذا النظام عن غيرهم لان الهنود والصينيين سبقوهم اليه . ولا يزال الهنود يمارسون هذا النظام حتى الآن ويتفننون في تعذيب الجسد بطرق لم يكن يحلم بها المسيحيون



متقشف قد نذر رفع يده وترك اظافره تنمو

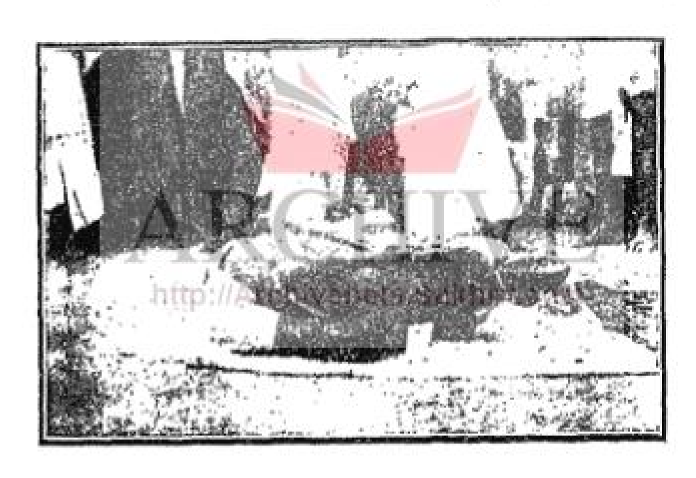
واشهر المواضع التي يشاهد فيها متقشفو الهنود موضع يقال له « تربرانكندرم » وهو عبارة عن سهل صغير في وسطه صخرة « بران » المقدسة وهذا الموضع يبعد عن مادورا نحو اربعة اميال وعن مدراس نحو ٢٧٠ ميلاً . ويجتمع فيه مئات الالوف من حجاج الهنود مرتين كل سنة فيقيمون الاحتفالات والاعياد العظيمة ويكثر بينهم الزهاد والمتقشفون ولتلك الاعياد غايات عديدة اهمها انها مجتمع للقوم من سائر الاقطار وسوق تقام للبيع والشراء

وليس غرضنا الآن ان نصف تلك السوق بل ان نشرح ما يأتيه فيها بعض

المتقشفين من الاعمال الغريبة وما تعانيه أجسادهم من صنوف العذاب اماتة للشهوات

فبعضهم يدفنون انفسهم احياء في حفرة ضيقة وهم وقوف عمودياً بحيث لا يبقى منهم ظاهراً فوق سطح الارض سوى رؤوسهم . وهم يعتقدون انهم بهذه الوسيلة يكرمون الاله ويظهرون له شكرهم على نعمه وآلائه . على ان اكثرهم يتذرعون بهذا النوع من التقشف لجمع الاموال من المارة وابناء السبل الذين يعتقدون أن التبرع لهم بالصدقات يكسبهم الاجر والثواب

وهنالك من يعذبون اجسادهم بطرق اخرى فيمشون حفاة على الواح قد غرست فيها الاوتاد والمسامير او يحملون على رؤوسهم أثقالاً باهظة او يتمرغون عراة في التراب في وهج الهاجرة حول الصخرة المقدسة او يأتون غير ذلك من ضروب التقشف التي تظهر لنا اقرب الى الجنون منها الى التعقل



متقشف قد نذر ربط يديه وراء ظهره

على أن مشاهد التقشف لا تنحصر في العيد الوطني المشار اليه فقط بل تراها أينما سرت وحيثما توجهت من اقصى سفح الحملايا الى سواحل الهند الجنوبية . فمنهم من يعيش في البراري ومنهم من يأوي الى المغاور ومنهم من يتبطن الاودية ومنهم من يتفيأ شجرة الى غير ذلك من المشاهد غير المألوفة عندنا . ويسمى المتقشف من هذا القبيل « سادهو » باللغة الهندية ومعناها القديس او الولي

فاذا سرت في مجاهل الهند وبراريها القاحلة تجد « السادهو » جالساً على قارعة السبل غير عابىء بحرٍّ او قرٍّ ولا خائف وحشاً ضارياً او حيواناً مفترساً وقد يمتنع عن الكلام اذا خاطبته لانه قد نذر على نفسه السكوت والتأمل في العالم غير المنظور فيشخص

بصره الى نقطة على الارض ولا يحول عنها ابداً حتى يستولي عليه الذهول ويضيع عن وجدانه

ومنهم من يرفع احدى ذراعيه فوق رأسه ويبقيها مرفوعةً كذلك عدة سنين الى ان تيبس ويتعذر ارجاعها الى حالتها الاولى

ومنهم من يقوم بسفرات شاسعة محتذياً نعالاً مملوءة مسامير . او يضطجع ليلاً ونهاراً على فراش من الشوك او يتعلق من رجليه بغصن شجرة بحيث يتدلى رأسه الى اسفل فوق نار متأججة في اشد حر الظهيرة

وافظع من ذلك ان بعضهم يعلّقون بسلاسل حديدية في اطرافها كلاّبة (صنارة) تغرز في الظهر فيرجح المعلق في الفضاء والدم يسيل من ظهره كما ترى في الشكل . على ان الحكومة البريطانية قد منعت اليوم هذه الطريقة من التقشف



متقشف يستعد ليعلق على رأس عامود طويل

ومنهم من يطيلون اظافرهم حتى تغرز اطرافها في ايديهم . او يشرمون خدودهم ويدخلون فيها السفافيد المحماة

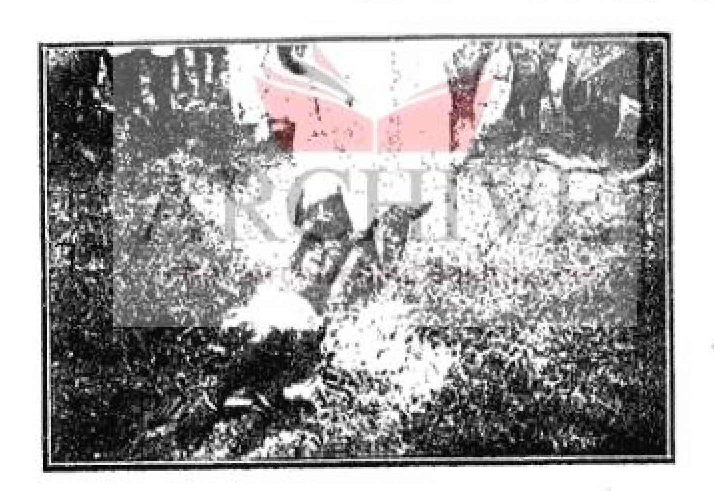
ومنهم من يمشون على جمرات متقدة من النار . او يتربعون على الملأ عراة ويتأملون في العالم غير المنظور فراراً من قيود المادة التي هي في اعتقادهم مصدر كل شر

ومنهم من يضطجعون عراة في الصحاري التي يشتد فيها وهيج الشمس ويعرضون

انفسهم عمداً للسع الهوام والحشرات اظهاراً لازدرائهم بآلام هذا العالم ومشقاته

وقد ينذر بعضهم العذاب لاطفالهم فيضجعونهم عراة على الشوك حتى تسيل دماؤهم او يضجعونهم عراة على الارض ويضعون فوق بطونهم صخوراً ثقيلة وكثيراً ما يموتون بهذه الحالة فيفرح والدوهم اعتقاداً منهم بانهم قد استرضوا الهتهم بتلك الضحية الهائلة . ولا يخفى ان الفينيقيين كانوا يقدمون اطفالهم ضحايا للاله مولك وكان لهذا الاله صنم مجوف من الحديد له ذراعان ممدودتان توقد النار في داخله حتى يحمر الحديد من شدة وهيجها ثم توضع الاطفال على ذراعيه وضجيج ابواق الكهنة وموسيقاهم يصم الآذان لكي لا يسمع انين اولئك الاطفال وصراخهم

ومنهم من يلوون أرجلهم على اعناقهم او اذرعهم وراء ظهورهم ويظلون كذلك الى ان تيبس فلا يمكن ارجاعها الى حالتها الطبيعية



طفل نذر اهله وضعه على الاشواك

بعض اساطير الهنود

هذا يسير مما يمارسونه من وسائل التقشف اوجزنا الكلام عنه لضيق المجال . والعقل يحار في تعليل هذه الشعائر الغريبة . والظاهر ان الهنود كانوا من اقدم الازمنة يلجأون الى وسائل متنوعة لتعذيب الجسد ليس فقط قتلاً للاهواء والشهوات بل تعويداً للجسم احتمال الآلام والمشقات . وقد اشتهر شعراؤهم وحكماؤهم وابطالهم منذ اقدم الازمنة بتعذيب اجسادهم بسائر الوسائل اكتساباً للقوة والشجاعة . ويؤخذ من اقوال الثقات أن العذابات التي يحتملها الناس في هذا العالم اشبه بخزن الاموال في « بنك التوفير »

بحيث أن « المتقصد » (اي الذي يعذب جسده في هذا العالم) يكنز لنفسه سعادة لا تثمن في العالم الآتي

وقد جاء في بعض الاساطير الهندية رواية عن اخوين من الهنود من قبيلة « ازورا » مارسا سائر وسائل التقشف ليخضعا العالم . فكانا يكسوان جسديهما بقشور جذوع الاشجار ويضفرون شعورهما ويلطخون جسديهما بالاقذار من قمة الراس الى اخمص القدمين ويعيشان في البراري والقفار منفردين يصارعان الجوع والعطش والحر والقر ووحوش الغابات وهوام السماء . وكانا يسيران على اطراف اخمصهما واذرعهما مرتفعة الى فوق واعينهما محلقة في الفضاء . ولم يكتفيا بذلك بل كانا يقطعان جسديهما ويلقيان بالقطع الى النار . فلما رأت الالهة من قمم الجبال شدة تقشفهما عراها الجزع عليهما وحاولت منعهما بسائر وسائل الرشوة وعرض الكنوز والحور ولكن الاخوين اعرضا عن جميعها حتى اضطر براهمة اخيراً ان يمنحهما قوى خارقة الطبيعة ليجريا بها العجائب والمعجزات . فلما عادا الى وطنهما صارا يلبسان الفاخر الثياب ويأكلان اطايب الاطعمة ويأمران الشمس والقمر ان يشرقا متى شاءا وعاشا عيشة الترف والملذات

ومن الاساطير الهندية ايضاً انه حدث قديماً حرب بين ملكين يسمى احدهما فاسشتا والاخر فزفامترا . واذ رأى هذا خصمه عنيداً عمد الى افظع شعائر التقشف وتعذيب الجسد فلزم الصمت وانقطع عن التنفس مئات من السنين حتى صارت انفاسه تخرج من رأسه وعينيه بشبه دخان . فارتاعت الالهة من ذلك وتوسلت الى براهمة ليقنع فزفامترا بالاقلاع عن التقشف والا اباد « العوالم الثلاثة » لان الارض كانت قد بدأت تضطرب والانوار قد اظلمت وامواج البحر طمت على الاكام والجبال تزعزعت والزلازل دكت الارض والرياح ذرّت انقاضها . فانبرى براهمة واقنع الملك فزفامترا ليقلع عن التقشف وعقد بينه وبين عدوه صلحاً شريفاً

غايات اخرى للتقشف

على ان من التقشف ما يمارس لمجرد كسب المال . فالهنود يعجبون بكل من يزدري بالاوجاع والآلام فاذا رأوا احداً يفعل ذلك اصبح موضوع اجلالهم واحترامهم فيذيعون صيته وينسبون اليه الآيات والمعجزات بحيث لا يمر زمن طويل الا وقد جمع الرجل اموالاً طائلة

ولقد يضيق الهندي ذرعاً بمعيشته فيجد له منفذاً من شقائه بطرقه باب التقشف بخلاف ما لو كان في الغرب فقد يفضي به تقشفه الى الانتحار

ومن الهنود من يعتقدون ان التقشف يضر بالعدو ويضعف قوته ويحمله على طلب مصالحته

على انه مهما اختلفت غايات المتقشفين وتنوعت مقاصدهم فان التقشف الذي يمارسه الهنود منذ نحو ثلاثة الاف سنة حتى الآن قد كان وخيم العاقبة على الحياة القومية . فقد انبت في الهند طائفة من المتسوّلين وقتل روح السعي والاجتهاد وعمم الاعتقاد بان الحياة شر يجب ان نتخلص منه وان الارض مباءة ادناس وارجاس يجب نبذها . وقد قتل ايضاً روح البحث والاستقراء على زعم ان العلم الحقيقي لا يتأتى الا عن طريق الزهد والتقشف

على ان ازدياد الاختلاط بين الهنود والاوربيين قد بدأ يقلل من نفوذ المتقشفين ويكشف للناس غياهب الجهل عن ابصارهم وسيأتي يوم يزول فيه نظام التقشف بتاتاً فتخطو الهند اكبر خطوة في سبيل الارتقاء

تختلف الجنازات العسكرية باختلاف جنسية الجيش ورتبة الميت . فالعرف الانكليزي هو انه اذا كان الميت عسكرياً من المشاة وُضع سيفه وخوذته على نعشه ووضع النعش على عربة مدفع . واذا كان من الفرسان علق سيفه وخوذته على سرج حصانه وجعل الحصان يسير وراء عربة المدفع التي تقل النعش . اما النعلان والمهمازان فتعلق الى الركائب واطرافها مدلاة الى الاسفل . ومتى وصل الموكب الى المقبرة اطلقت المدافع اكراماً واجلالاً ثم يعزف نشيد حربي

* * *

الطيارات الحربية الحديثة مجهزة بالات التلغراف اللاسلكي . ولكن الانباء اللاسلكية لا يمكن تبادلها بسهولة نظراً لازيز الطيارة الذي يجعل سماع الاشارات البرقية من الصعوبة بمكان

* * *

ان المدافع الضخمة التي من عيار ١٢ بوصة لا يمكنها ان تطلق اكثر من تسعين قنبلة ثم تعاد الى المصنع لتصليحها

* * *

يقدر العارفون مقدار ما تستعمله البوارج الكبيرة من الفحم بنحو ثمانية عشر طناً في الساعة . ويقال ان الدردنوط ليون التي اشتبكت في المعركة البحرية الاخيرة تحرق نحو اربعين طناً من الفحم كل ساعة

الانسانية القادمة(١)

ايها السادة

ان هذه الحرب — بل المجزوة البشرية الكبرى — الدائرة رحاها الان بين ارقى امم الارض تحدو المفكر — ومن منا لا يفكر امام هذه الفظائع — الى التأمل في مصير الانسان ومستقبل مدنيته

هل نحن سائرون الى الامام ام الى خلف ؟ وهل يبقى الانسان اكبرعدو للانسان؟ وهل قضي عليه ان يكون حيواناً قبل كل شيء ام فيه عواطف تسمو على الحيوان ؟

هذه اسئلة تخطر لكل عاقل فكيف نجيب عليها وهل للعلم الحديث ان يرشدنا الى جواب شاف ؟

منذ نحو سنتين بينما كنت اطالع كتاباً لوليم جيمس الفيلسوف الاميركي الشهير وقع نظري على نبوة غريبة بشأن مستقبل الانسانية هذا مجملها : من الامور الثابتة ان الاعضاء تنمو بالاستعمال وتضمر بالاهمال . وبما ان استعمال الانسان لجسمه في تناقص بسبب سيطرته على قوى الطبيعة واستخدامها في شؤونه فلا شك انه سيأتي يوم تقل فيه اهمية العضلات وتضعف حالة كون الدماغ ينمو ويكبر (قال) وان تقدم الكيمياء والطب يعلمنا باتقان المأكولات الصناعية حتى تصير خلاصات مغذية يستغنى بها عن اجهاد الاسنان والمعدة في هضمها فلا يبقى من هذين العضوين في المستقبل الا بقايا أثرية . اما الرأس فيكبر وتعلو مكانته

ان هذه النبوة الغريبة دفعتني منذ ذلك الحين الى التعمق في هذا الموضوع . وغرضي الآن ان آتي بزبدة مباحثي فيه

التطور البشري

لا ريب ان دليلنا الوحيد في كشف مستقبل الانسان انما هو درس ماضيه ومقابلته بحاضره والوقوف على السنن التي يسير التقدم بمقتضاها والعوامل التي تؤثر في الجنس البشري والبواعث التي تأول الى تقهقره . فكيف تقدم الانسان حتى وصل الى حالته الحاضرة ؟

ان افضل تعليل لهذا التقدم هو بلا ريب مذهب النشوء والارتقاء ومؤداه ان تنازع

(١) محاضرة القاها صاحب امتياز هذه المجلة في نادي اتحاد الشبان المسيحيين في ٥ فبراير الماضي

البقاء بين الحيوانات يأول الى انقراض الضعيف وبقاء الانسب . وهو ما يسميه علماء الحيوان « الانتخاب الطبيعي » كان الطبيعة تنتخب اصلح الحيوانات للبقاء واقواها للتناسل

فهل هذا التطور الذي طرأ على حالة الانسان في الماضي سيحصل ايضاً في المستقبل وماذا يكون اتجاهه ؟

كثيرون من العلماء لا يشكون في مداومة الارتقاء مستندين الى الارتقاء العظيم الذي طرأ على الجنس البشري من حالة الانسان الاولى التي هي اشبه بحالة الحيوانات الى انسان اليوم المحلى بالعلوم والمعارف والآداب . وفي مذهبهم ان الانسان ليس غاية الخلق القصوى وان القوى التي عملت منذ الازل الى ايجاد الانسان بشكله الحاضر ليست متوقفة عن عملها غداً بل هي عاملة ابداً ولا بد ان ترفع الانسان من الدرجة التي هو فيها الى درجة اسمى وارفع بسموها درجة الـ Superman اي « الانسان المتفوّق » . وفي مذهب نيتشه وغيره من اصحاب هذا الرأي انه من الواجب على الحكومات ان تساعد الطبيعة في عملها هذا فتسن الشرائع لتقوية النسل وتزاوج الاصحاء وانقراض الضعفاء ونحو ذلك

الا ان التطور والارتقاء لا يحتم ان يكونا في الجسم فان اكثر العلماء اليوم يعتقدون ان جسم الانسان لن يطرأ عليه تغيير يذكر في المستقبل بل ينحصر ارتقاؤه في اخلاقه ومعارفه — يستدلون على ذلك بالبون الشاسع بين الانسان الاول وانسان القرن العشرين في معيشته وسائر احواله الاجتماعية ولم يحدث في جسمه اقل تغيير يستحق الذكر . فالتطور مستمر في الجنس البشري لكن وجهته على عكس وجهته في الحيوانات ففي الانسان ينحصر تأثيره في القوى العقلية اما في الحيوان فان تأثيره في الجسم

على ان مذهب النشوء والارتقاء لا يحتم ان تظل الحيوانات في تقدم وارتقاء (ولذا نفضل كلمة تطور) فمن الحيوانات انواع ضعفت وتقهقرت وانقرضت لاسباب مختلفة . فبعض العلماء يعتقدون ان هذا ايضاً مصير الانسان . قال احدهم :

« ان وطأة تنازع البقاء تشتد يوما على يوم بسبب كثرة النسل . ومن المحتمل ان يأتي يوم يعجز فيه الجسم عن مجاراة الدماغ ومطاليبه . ولا ينكر احد ان التمدن يجر وراءه اخطاراً على الجنس البشري وان ازدياد الامراض العصبية وانتشار الكحول وحوادث الجنون والانتحار انما هي من ثمار تنازع البقاء . غير ما هو مشاهد في الامم الراقية من ضيق الفك وسقوط الاسنان قبل الاوان والصلع وعجز النساء عن ارضاع اولادهن وضعف الصدر وما يتبعه من الامراض واهمها السل »

ومن الكتاب الذين ضربوا على هذه النغمة مكس نوردو في كتاب سماه « الانحطاط »

ذهب فيه ان الجنس البشري سائر الى الزوال بدليل العوامل الاجتماعية الكثيرة التي تعمل على عكس سنن الطبيعة . وهو ما يسمونه « الانتخاب المنعكس » فان الضعفاء الذين كان يجب ان يبيدوا اذا تركوا للعوامل الطبيعية تراهم يعيشون ويتمتعون ويحرص عليهم . ومن اهم العوامل التي تعمل على انحطاط النسل البشري الحروب فانها تبيد الاقوياء وتبقي الضعفاء الذين لا يصلحون للقيام بمهام الحياة

التنازع لاجل بقاء الغير

كل ما تقدم هو بمثابة مقدمات تمهيدية وقد وصلت الان الى موضوعي بالذات فارجو ان تعيروني انتباهكم :

تطرف اتباع دارون في شرح مذهب زعيمهم واستنتجوا نتائج لم يحلم بها دارون نفسه . وقد كان لكلمة تنازع البقاء اهمية عظيمة في القرن الماضي وانتشرت على السنة الناس واقلام الكتاب كأن ليس في الطبيعة الا تنازع وتحارب . لكن العقل البشري كرقاص الساعة ينتقل من طرف الى آخر . فان المفكرين عادوا فوجدوا للتناصر والتعاون مكانة كبرى لا تقل عن التنازع والتزاحم

ولم اجد كاتباً افضل من هنري درامونذ اوضح اهمية التضامن في سائر عوالم الاحياء وذلك في كتابه The Ascent of Man لاسيما في فصل منه اسمه Struggle for the Life of others اي التنازع لاجل بقاء الغير . وقد بين فيه ان الالفة والمحبة والتعاون هي من السنن الطبيعية الرئيسية وانها ملازمة لنشوء جميع الكائنات الحية . وان في الطبيعة تنازعا لاجل بقاء الغير يقابل تنازع البقاء

اذا نظرنا بالمكروسكوب الى نقطة ماء وجدنا فيها احياء صغيرة ذات خلية واحدة واذا دققنا النظر في اعمال تلك الخلايا وجدنا انها تقوم بوظيفتين رئيسيتين وهما (١) انها تتغذى (٢) انها تنشطر انصافاً — والانشطار عند تلك الخلايا هو طريقة التناسل

فالغذاء والتناسل هما الغريزتان الرئيسيتان اللتان عليهما مدار الحياة ولكل منهما وظيفة خاصة

(١) فوظيفة الغذاء بقاء الفرد

(٢) ووظيفة التناسل بقاء النوع

وهاتان الوظيفتان تختلفان كل الاختلاف : فوظيفة الغذاء شخصية تنتهي في الفرد . ووظيفة التناسل غير شخصية وتنتهي في الغير

وبعبارة اخرى ان الاول مبني على الانانية والثاني مبني على الغيرية

فنرى من ذلك انه كما ان الانانية والتنازع والتزاحم سنن طبيعية كذلك الغيرية والتعاون والتضامن هي سنن طبيعية ايضاً لا تقل اهمية عن الاولى

قال شيلر الشاعر الالماني : العالم يسير على قدمين — الغذاء والحب . بالاول حياة الافراد وبالثاني حياة الهيئة الاجتماعية

الغيرية في الطبيعة

ان التضحية بالنفس لاجل الغير سنة طبيعية رئيسية . فالحويصلة الحية تظل تتغذى بنفسها الى ان تنشطر نصفين لينشأ عنها حياة جديدة . اني اسمع معترضاً يقول انه لو لم تنشطر هذه الحويصلة الى قسمين لماتت بسبب كبر حجمها الذي يمنعها من امتصاص المواد المغذية وارسالها الى سائر جهاتها . نعم لا شك في ان هذا الانشطار يقي الحويصلة من الموت ولكنه في الوقت نفسه يمثل لنا كيف ان الحويصلة تردع عنها الموت بفقدان جزء من حياتها ومن ذاتيتها لتوليد ذاتية أخرى وحياة اخرى . فهي تضحي بنفسها لكي تتناسل

ثم اننا نجد مثل هذه التضحية في كل تناسل يحصل في عوالم النبات والحيوان . انظر الى الازهار كيف تذبل وتموت لتقوم مكانها الاثمار لان فيها البذور التي منها ستنشأ ازهار اخرى واثمار اخرى

كان يمكنني ان اعدد امثلة اخرى من هذا القبيل ولكن اظنني قد اوضحت ان في الطبيعة سنة تنازع لاجل بقاء الغير

ان في انقسام جميع الاحياء الى ذكور واناث حكمة عظيمة يجب ان نفهمها جيداً . ولا يظن ظان ان الغرض من ذلك الانقسام انما هو التناسل فان التناسل كان يمكن ان يكون بصور أخرى وفي الطبيعة أمثلة كثيرة من تناسل بدون تلقيح وهو ما يسمى في الاصطلاح العلمي Parthenogenesis

ان لهذا الانقسام غرضاً آخر ومعنى آخر الا وهو أن يكون اساساً لعاطفة الغيرية وباعثاً على التضامن والتناصر بين الاحياء

واذا امعنا النظر في عوالم الحيوانات وجدنا اننا كلما ارتقينا في سلم النشوء والارتقاء تزداد مكانة الغيرية وتضعف مكانة الانانية . ولا بد من ان تزداد عاطفة الغيرية نمواً في المستقبل . قال الفيلسوف فيسك : اذا رأينا في اثناء نمو الحيوان وظيفة تظهر فيه ضعيفة ثم تتكيف بالنمو وتزداد اهميتها حتى تصير عاملاً قوياً في حياة ذلك الحيوان نتأكد ان هذه الوظيفة سوف تبلغ مكانة عالية — وينطبق هذا المبدأ على عاطفة الغيرية فانها ما

برحت تزداد مكانتها منذ القدم وسوف تزداد ايضاً في المستقبل

وقد ختم هذا الفيلسوف كلامه بقوله « ان هذه العاطفة ستنمو بينما ينقرض حب الذات والرغبة في الاستئثار . فغاية ارتقاء الجنس البشري انما هي ابادة عاطفة الانانية وانماء عاطفة الغيرية وبكلمات أخرى ان غاية الارتقاء ان يترك الانسان الغرائز الوحشية التي ورثها عن اسلافه »

ويجب أن لا نيأس من قدوم هذا الفردوس على الارض لما نراه من الشرور والحروب حولنا اليوم فان هذه الحروب سوف تبطل ان شاء الله ويسود السلام

قد اتهم بأني من اصحاب الاحلام . لكننا اذا نظرنا الى درجة الارتباط المادي التي وصل اليها الجنس البشري بحيث ان اقل خلل اقتصادي يحصل في نقطة من نقط المعمورة يسمع صداه في جميع الانحاء قلنا ان هذا التضامن المادي لا بد أن يتبعه تضامن ادبي

هذه هي وجهة النشوء الاجتماعي فالانسانية المقبلة هي انسانية تضامن وتعاون وتناصر ومحبة باذن الله

بلغ عدد سكان بخارست عاصمة رومانيا ثلاث مئة واربعين الفاً . والمدينة محصنة بثمانية عشر حصناً فيها بطاريات عديدة هائلة وقد حوصرت المدينة في الماضي مراراً ونكبت بالزلازل العديدة وفيها عدد كبير من القهوات وأندية الميسر والكنائس

***

تطوع اربعة وعشرون رجلا من اعضاء البارلمنت الترنسفالي للخدمة في الحرب الحاضرة ومنهم الجنرال سماتس ناظر قسم الدفاع عن الاتحاد الافريقي الجنوبي

***

بلغ عدد البلجيكيين اللاجئين الى انكلترا نحو مئة وخمسين الفاً سجلت اسماء جميعهم ووزعوا على محال خاصة بهم

***

اكتشف احد الكيميين الفرنسويين واسمه المسيو بولين مخدراً جديداً لاستعماله في العمليات الجراحية التي يقوم بها الاطباء في الحرب الحاضرة . ولهذا المخدر تأثير موضعي يعمل في الاعصاب فيخدرها موضعياً بحيث لا يشعر المصاب بألم البتة . وطريقة استعماله هو الحقن تحت الجلد ويمكن تخدير المصاب مدة طويلة تكفي لاتمام العملية الجراحية بتمهل

بعض الغرائب التي على الكوكب الارضي

من كتاب لم ينشر للدكتور لويس صابونجي

(منذ عهد قريب قدم الى القطر المصري حضرة العالم الفاضل الدكتور لويس صابونجي وهو اقدم صحافي عربي حيّ ومن اوسع الناس خبرة باحوال العالم لما قام به من السياحات الكثيرة ولانه قابل الكثيرين من عظماء الناس وحكامهم وفي مقدمتهم المرحومة الملكة فكتوريا وناصر الدين شاه ايران والسلطان عبد الحميد المخلوع وغيرهم من الملوك وهو حائز على رتبة دكتور في الفلسفة من رومية وقد عين عضواً في الجمعية الاسيوية الملكية بلندن وعضواً في اكاديمي اركاديا برومية وهو منشئ عدة صحف ومؤلف عدة كتب . وقد طاف بمعظم ممالك العالم فوضع مؤلفاً ضخماً سماه سكان النجوم يقع في نحو الف صفحة او اكثر من قطع الهلال جمع فيه ما لم يجمعه كاتب آخر من العجائب والمدهشات . وقد تكرم فاذن لنا ان نطلع عليه ونقتطف منه شيئاً من غرائب العادات وعجائب الآثار :)

زفاف غريب عند اهالي بولينيزيا (١)

متى اراد اكابر جزائر بولينيزيا الكائنة في المحيط الباسيفيكي ان يزفوا بناتهم الى ازواجهن اولموا وليمة ودعوا اليها اقرباءهم واصدقاءهم . ومن جملة عادات القوم ان المدعوين من الرجال يرتمون على وجوههم صفوفاً الواحد جنب الآخر . وهكذا يفرشون باجسامهم الطريق التي بين بيت العروس وبيت الختن . ومتى خرجت العروس من بيت ابيها مبرجة لتذهب الى بيت زوجها داست ظهور المدعوين ومشت عليها . واذا كان هؤلاء الرجال قليلين والطريق طويلة تناوبوا على اتمام فرشها بنهوض فريق منهم من اماكنهم بعد مرور العروس بهم واضطجاعهم ثانية الى جنب الاخرين ولايزالون يفعلون ذلك حتى يفرشوا الطريق كلها باجسامهم

عادة غريبة في الطلاق

من اغرب عادات الطلاق العادة الجارية في بلاد بورما بالهند وذلك انه متى حدث شقاق بين رجل وامرأته وافضى الامر الى الفراق والطلاق اتخذ كل منهما شمعة تساوي

(١) يشمل هذا الاسم مجموع جزائر في المحيط الباسيفيكي في الجهة الشرقية من استراليا

شمعة الآخر في الكبر والطول والحجم واوقدا شمعتيهما في وقت واحد ولبثا ينتظران نهاية الشمعتين . فمن نفدت شمعته اولاً اضطر الى الخروج من البيت وتركه مع ما فيه من الرياش للآخر

اغرب القبور

متى مات فقير استكثر الناس لدفنه حفرة من الارض الحقيرة . ولكن متى مات ملك او كبير من البشر تسابق البناؤون والنحاتون والنقاشون وارباب الصنائع وغيرهم الى افراغ جعبة افكارهم في انشاء ضريح فخم له مزدان بمحاسن الزينة والنقوش

(وهنا ذكر المؤلف الاهرام التي جعلت قبوراً لبعض ملوك مصر القدماء على ما هو مشهور في التاريخ . ثم تكلم عن قبور اخرى فقال :)

ولما مات الملك موزوليوس المشهور سنة ٣٥٣ قبل الميلاد شاد له ذووه ضريحاً فخماً اشتهر باسمه . وصار كل ضريح لعظماء الملوك والرجال بعده يسمى موزوليوم نسبة الى اسمه . اما ضريح موزوليوس المذكور فهو بناء باذخ قائم على اعمدة يبلغ ارتفاعها ثلاثاً وعشرين قدماً وذلك في قبو تحت الارض يبلغ ارتفاع سقفه خمساً وستين قدماً . وفوق القبر هرم على قمته تمثالان عظيمان يبلغ ارتفاع كل منهما اربع عشرة قدماً وهما تمثالان الملك موزوليوس وزوجته

قبر تاج محل

على ان اشهر الاضرحة في هذا العالم هو البناء الجميل الذي شيده شاه جهان ملك الهند فوق ضريح زوجته « بكم نورجهان » وهذا البناء قائم في محل يبعد عن مدينة « اغرا » نحو ثلاثة اميال ويعرف باسم « تاج محل » . قيل ان الملك شاه جهان استخدم في بنائه عشرين الف رجل مدة عشرين سنة وانفق عليه ما يعادل نحو سبع مئة وخمسين الف جنيه انكليزي . وهو مبني من الرخام الابيض الناصع ومنزل من الداخل بحجارة ثمينة في شكل ازهار جميلة الالوان . ويقصد السياح من جميع الاقطار مشاهدة هذا البناء البديع لما يحويه من غرائب الصناعة وبديع الاتقان . ومنهم من يزوره في ضوء القمر لان منظره ومنظر القبة المشيدة فوقه مما يبهر البصر . وقد زرته في سنة ١٨٨٣ فسررت بمشاهدته كثيراً ولبثت زماناً اتأمل ما فيه من النقوش البديعة . وفي صحن البناء من الخارج نحاتون من الهنود يصنعون تماثيل رخامية ناصعة البياض وينزلونها بالحجارة الملونة تقليداً لنقوش البناء من الداخل ويبيعونها للسياح

اما قصة هذا البناء فهي انه كان الملك شاه جهان زوجة جميلة الخلق والخلق يحبها حباً شديداً . فلما حانت وفاتها طلبت منه أن يبني فوق قبرها بناء لم يشيد مثله في الدنيا . فوعدها بذلك وبرّ بوعده

قبر الامبراطور ادريانوس

ومن الابنية العجيبة في العالم قلعة شامخة شادها الامبراطور ادريانوس في سنة ١٣٥ للميلاد فوق قبر كان قد اعدّه لنفسه ثم صار قبراً لبعض ملوك الروم الذين خلفوه . وهذا الحصن مستدير الشكل قائم على احدى ضفتي التيبر في الحي المعروف باسم ترانستفيري ويبلغ ارتفاعه مئتين وعشرين قدماً . وكان في القرون الوسطى قد اصبح ملجأ للصوص اما اليوم فيعرف باسم حصن الملاك ميخائيل . وسبب هذه التسمية ان في عهد البابا غريغوريوس الكبير تفشى الوبأ في مدينة رومية فامر البابا المذكور أن يخرج الناس ويطوفوا بشوارع المدينة مبتهلين الى الله أن يكف غضبه عنهم . فخرج القوم وفي مقدمتهم البابا نفسه وهو يمشي حافياً . قيل فلما اقترب من القلعة المذكورة ابصر الملاك ميخائيل نازلاً من السماء وهو يرد سيفاً كان في يده الى غمده . فادرك البابا ان الله قد استجاب دعاءه وامر ان ينصبوا على قمة القلعة تمثالاً من نحاس مصنوعاً بالهيئة التي تراءى له بها الملاك . ومنذ ذلك اليوم صارت القلعة تدعى باسم الملاك ميخائيل وقد شاهدتها مراراً عديدة وتفقدت ما في داخلها من المخادع الغريبة ومن جملتها دهليز اذا دحرج الانسان في ارضه كرة سمع لها دوي كدوي الرعد القاصف . وفي عيد الفصح تنار القلعة من الخارج بمصابيح كثيرة وتصنع فيها الالعاب النارية من البارود باشكال عجيبة ومنها ما ينفجر في الفضاء فيظهر منه شكلها

قبر الاريك

كان الاريك ملك القوط الغربيين وقد حاصر مدينة رومية وفتحها ونهب جيشه المدينة مدة ستة ايام متوالية . ولكنه امرهم ان يحترموا النساء والمعابد ويحقنوا دماء الناس . وفي سنة ٤١٠ للميلاد توفي في كالبريا وكان قبل وفاته قد أمر ان يدفنوه في قبر لا يدري احد مكانه . فاستخدم رجاله اسرى الحرب لتحويل مجرى نهر بوزنتو ودفنوا جثة الملك في قرار ذلك النهر . ثم اعادوا مياه النهر الى مجراها الاصلي وقتلوا جميع الاسرى الذين اشتغلوا بتحويل مجرى النهر حتى لا يبقى احد منهم يعرف مكان القبر

تاريخ آداب اللغة العربية

من محاضرات المستشرق الشهير الاستاذ نلينو في الجامعة المصرية

عني بجمع هذه المحاضرات حضرة عبد الفتاح افندي عباده وقد اذنت له الجامعة المصرية ان ينشر شيئاً منها على صفحات الهلال تعميما لفائدتها فننشرها هنا مع الشكر لحضرته وللجامعة قال :

(اول هذه المحاضرات هو تعريف علم الادب وتحديد مباحثه فابتدأ الاستاذ بتعريفات كلمة « الادب » المتداولة في كتب اللغة وانتقادها وتبيان نقصها ثم اصل هذه الكلمة في اللغات السامية وتولدها واشتقاقها في اللغة العربية ثم تغيرات معانيها بتقلبات الاحوال العمرانية وباختلاف طبقات الناس من ايام الجاهلية الى اواسط القرن الماضي . ولما كان ضيق المقام لا يتسع لمثل هذا البحث الطويل نأتي على ما بعده من الكلام . قال :)

تحديد معاني الادب عند الافرنج والعرب

لما زادت العلاقات الادبية والعلمية والتجارية بين الشرق والغرب وكثر ترجمة الكتب الفرنسية والانكليزية في العلوم والفنون والصنائع اخذ المترجمون يستعملون لفظ الاداب بمعنى كلمة Littérature عند الافرنج ولعل اول من سبق الى ذلك المرحوم بطرس البستاني في كتابه المسمى بدائرة المعارف العربية فهذا الاستعمال الحديث منحرف عن العرف العربي السابق من وجهين . الاول : ان لفظ Littérature عند الافرنج او لفظ الاداب عند المترجين ومن ذهب مذهبهم من ابناء الشرق يطلق على مآثر اي لغة خلافاً لما كان المتعارف عند السلف من العرب الذين اجمعوا على حصر الادب (بمعنى التأليف والفنون الكتابية) فيما دوّن بلغتهم فقط . وسبب هذا الحصر عدم اعتنائهم باللغات الاعجمية واغفالهم معرفة آدابها المستظرفة سوى حكم الهند والفرس واليونان وبعض الروايات الغرامية او المتصلة بعلم الاخلاق العملي فعلا كلفهم بالحصول على الكتب الاجنبية في الفلسفة والرياضيات واحكام النجوم والطب والكيمياء والسحر والفلاحة وما يشبه ذلك جهلوا مثلاً رقة اشعار اليونان وفخر اناشيدهم الطويلة جهلا تاماً بل انكروا رونق خطبهم البليغة الشهيرة محتجين بكلام بعض كتبة العرب الموصوفين بسعة العلم وحذاقة العقل وسمو الفكر (١) وبما انهم ما عرفوا مستظرف المنظوم والمنثور

(١) انظر مثلا قول الجاحظ في البيان والتبيين جزء ٢ ص ٥٥ . ورسالة عبد الله بن سعد العسكري التي الفها في التفضيل بين العرب والعجم

بغير لسانهم ما افتقروا الى ذكره واطلاق اسم الادب عليه

اما ثاني الوجهين فتقليد الافرنج في وضع معنيين للفظ الآداب احدهما عام والآخر محصور (خاص) لان الافرنج اذا توسعوا في الاصطلاح عبروا به عن جميع ما صنف في لغة من اللغات من المباحث العلمية او الفنون الادبية فارادوا بالآداب جملة ما وضع في بطون الكتب من افكار علماء الامة والتعبير عن عواطف ادبها وشعرها . اما اذا حصروا الاصطلاح في نطاق اضيق من هذا جعلوا اسم الآداب عبارة عما سبك في قالب لطيف من الكلام المنثور والمنظوم وما يتصل بذلك من علوم اللغة والصناعة مع الانشاء والشعر فتشتمل الاداب بهذا المعنى المحصور على انواع القريض وعلى الحكايات والقصص والروايات التمثيلية والامثال والحكم والمحاضرات والمقامات والرسائل والخطب والمناظرات الادبية مع ما أُلف بفصيح العبارة وانيق الانشاء من الكتب التاريخية ووصف الرحل والاسفار وما شاكل ذلك . فيجوز لنا حد الاداب بمعناها المحصور ان نقول : « ان الاداب هي التعبير عما في ضمائر الناس وعقولهم من العواطف والمعاني والافكار بواسطة الانشاء وعلى نمط جميل مستظرف » . فبقولنا « بواسطة الانشاء » تحرزنا من الموسيقى وفن التصوير والنقش فانها تشارك الاداب في قصد التعبير الظريف عن عواطف الناس وافكارهم وتخالفها باستعمال الانغام والالوان والصور بدلاً من الالفاظ . وبقولنا « على نمط جميل مستظرف » احترزنا من العلوم الرياضية والفلسفية والطبيعية والشرعية والتاريخية وغيرها التي لا بد لتدوينها من الانشاء ولكن بدون قصد الجميل المستظرف ؟

تعريف تاريخ الاداب

فما الذي ينطوي تحت اسم تاريخ الآداب ؟

اذا استعملنا الاداب بمعناها المحصور كان تاريخها علماً غرضه وصف المنثور المستظرف والمنظوم على توالي العصور والبحث عن منبع كل فن من فنونهما واسباب نموه وارتقائه وانحطاطه واندراسه والفحص عن احوال حياة نوابغ الشعراء ومشاهير الكتبة والادباء والالمام بتصانيفهم والنقد البياني لمؤلفاتهم والموازنة بينهم والتنقيب عن ارتباط بعضهم ببعض من حيث تأثير كلامهم وصناعتهم وافكارهم واساليبهم المبتدعة في تأليف من بعدهم او تأثرها بتأليف من قبلهم

اما الاداب بمعناها الاعم فيكون تاريخها وصفاً مرتباً على توالي الازمان لما دوّن في الكتب وقيد في الصحف ونقش في الاحجار ومثلها تعبيراً عن العواطف والافكار او تعليماً لاي علم وفن او تخليداً لذكر الوقائع والحوادث حتى لا يخرج من تلك الاداب

الا ما يتصل بمجرد الامور والمصالح الخاصة او يصدر عن الادارات العامة بدون ان يقصد به الكلام الفائق والانشاء الرائق . فيدخل في تاريخ الاداب بهذا المعنى الاعم ذكر من برع من العلماء والحكماء والمؤلفين مع البحث عن مشارب افكارهم ومسالك اعمالهم العلمية وتقدير مكانتهم في الفن الذي تعاطوه ليظهر من كل ذلك سير العلوم جميعها في مدارج ترقيها او رجوعها القهقرى

تاريخ الآداب وتاريخ العلوم

ورب سائل يقول : « ما الفرق اذاً بين تاريخ الاداب بهذا المعنى الاعم وبين تاريخ العلوم ؟ ألا يظهر مما سبق ان تاريخ العلوم المفردة انما هو فصل من فصول تاريخ الاداب ؟ »

فالجواب : ان تاريخ العلوم لا يدخل الا جزء منه في تاريخ الاداب ويخرج عنه جميع الباقي وهو معظمه وذلك من وجوه : — (اولا) لان الفحص عن مسائل العلم ومباحثه ليس من تاريخ الاداب . فلو اراد احد ان يفرد لتاريخ علم الكلام عند المسلمين كتاباً فلا بد له من امعان النظر في حال علم التوحيد الى اواسط القرن الثاني وجميع النصوص الشاهدة على كونه مبنياً على ظاهر التنزيل والآثار النبوية فقط بدون اختلاط العلوم النقلية بالنظرية

اما (الوجه الثاني) من الاختلاف بين التاريخين ان تاريخ العلوم التجريبية لا ينحصر من مجرد ما تتضمنه بطون الكتب والدفاتر خلافاً لما شرحناه عن تعريف تاريخ الاداب . فمن توخى بيان تدرج علم الفلك في مراتب الارتقاء لا يستغني عن وصف آلات الرصد المستعملة في كل عصر وايضاح الاصول الهندسية والحسابية التي عملت آلات الرصد عليها وعن تقدير دقتها واتقانها وعن تعيين قدر منفعتها وتأثيرها من وجود القياسات وترقي العلم . ثم لا بد له ايضاً من اجراء الانتقاد على المناهج المسلوكة في العمل بالآلات وفي الارصاد فعلى من يفصل علم الهيئة عند العرب ان يطيل الكلام في « الرُّبع المجيب » و « ذات الشعبتين » و « الاسطرلاب الخطيّ » و « الاسطرلاب الكري » و « الاسطرلاب المسطح » مع انواعه « الطبليّ » و « الآسيّ » و « الشقائقيّ » وهلمّ جرًّا . وكذلك يجب على واصف تاريخ علم الطبيعة والكيميا والطب ان ينقب عن تجارب اصحاب هذه العلوم ومشاهداتهم واعمالهم وآلاتهم وكل ذلك لا علاقة له بتاريخ الاداب

و (الوجه الثالث) من الاختلاف ان تاريخ العلوم يهمل البحث عن اثر تلك العلوم

في الاداب بمعناها الخاص اي في الفنون الكتابية المستظرفة . اما تاريخ الاداب فلايجوز له اغفال ذلك الفحص اذ انه من المشهوران اتساع العلوم غيرالادبية يسبب اتساع المعاني ويحدث افكار مبتدعة وربما يأتي بالتغير المحسوس في الاخلاق والعواطف اي ان سير العلوم الى التقدم او التقهقر لا ينفصل منه شيء ابداً من التغير والتقلب فيما هو مجال الكلام المنثور والمنظوم والظريف . أما ترى ان المتنبي الشاعر المتوفى سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) على تمسكه باساليب شعراء العرب القدماء اخذ كثيراً من معانيه عن العلوم الفلسفية حتى ان أبا عليّ بن المظفّر الحاتمي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) الف رسالة غير وجيزة جمع فيها ما ورد في شعر المتنبي من الاغراض الفلسفية والمعاني المنطقية الموافقة لاقوال ارسطوطاليس ؟ وكيف نتوصل الى رفع الحجاب عن خفايا لزوميات أبي العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧م) ان لم نقف على معتقدات الفلاسفة والمذاهب الحكمية الرائجة في عصره ؟ فمن ذلك يتمكن من كشف القناع عن حقيقة اشعار عمر ابن الفارض المتوفى سنة ٦٣٢ بدون ان يحيط باسرار التصوف المتدل معرفة تامة ؟ وهل يعقل أحد سبب اتساع ابن كشاجم المتوفى سنة ٣٥٠ هـ او ٣٦٠ في وصف آلات رصدية وهندسية في اشعاره ان خفي عليه عجيب انتشار علم الفلك وصناعة احكام النجوم والهندسة في القرن الرابع للهجرة

و (الوجه الرابع) وهو الاخير من الاختلاف ان تاريخ العلوم على ما يجب عليه من الاستقصاء في مضمون المؤلفات والتبحر في بيان أفكارها ومقاصدها والتنقيب عن سمو قدرها في ذاتها وبالاضافة الى اخواتها يترك امتحان الثوب الذي البسه المؤلف معانيه نظماً ونثراً فلا ينتقد الكتب من حيث فصاحة اللغة وحسن النسق وتأنق العبارة وجودة الانشاء . اما تاريخ الاداب فيمتنع عن التقصي في مباحث المصنفات العلمية واغراضها ويكف عن نقد آرائها واقوالها الفنية كما اوضحنا سابقاً . ولكن يتوسع في الفحص عن التآليف العلمية من جهة انتقاد الالفاظ ورشاقة الكلام وصحة التراكيب وجلاء التعبير ولطائف التخيلات ومطابقة الانشاء لمقتضى الحال ونحو ذلك . وهاك مثلاً كتب افلاطون الشهيرة في الفلسفة وهي كما تعلمون وضعت على شكل محاورات جارية بين اناس من الافاضل مختلفي المشارب والاميال والاشغال فيميل الكلام بهم الى مسألة ما فيأتي كل منهم بملاحظات وآراء بدون ان يكون ذلك على نمط مجادلة حقيقية ثم يجر فيهم الكلام ذيله في مسائل أخرى ترتبط بالاولى وبعضها ببعض فيبدأ كل واحد افكاره او يعرض الاعتراضات او يظهر البراهين فتزال الشكوك شيئاً فشيئاً وترفع الشبهة ويجاب

عن الاعتراضات حتى ان اصحاب المحاورة يتوصلون الى الاتفاق فيما اراد المؤلف تأييده واثباته وان كان مراده هذا غير ظاهر في اول الكلام فتصبح المحاورة مقالة طويلة وبحثاً دقيقاً في موضوع فلسفي مع انها بعيدة عن منوال الرسائل العلمية ومجرى المناقشات الجدلية بل انها بجزالة الالفاظ والتأنق في التعبير ولطائف التخيلات وبدائع التشابيه تفتن العقول وتسحر الالباب كأن علو الانشاء يجاري فيها سمو الافكار ورقة المعاني الفلسفية وهو نوع انشائي خاص باليونان والرومان وقليل من الامم الافرنجية لم تقلده العرب لان مقابسات [1] ابي حيان التوحيدي المتوفى سنة ٤٠٠ ولو كان مؤلفها قصد معارضة محاورات افلاطون تنقص عنها اي تنقص لقصر اكثر المقابسات ونقصانها عن جلالة الحكمة الافلاطونية وعريها من رونق الانشاء الجميل وبهاء الاتساق وجودة الوصف الذي تجري فيه المحاورة وغير ذلك مما توصف به كتب الفيلسوف اليوناني. فيلوح ان كل من يصنف تاريخاً للعلوم الفلسفية سيصرف جهده الى اخراج معاني افلاطون ومذهبه من محاوراته ويخوض في شرحها وبيان شأنها في تدرج الفلسفة عند الامم الاسلامية والافرنجية. اما من يؤلف كتاباً في تاريخ الاداب فيكتفي بتلخيص وجيز وانما يطنب في الكلام عن اساليب افلاطون الانشائية ويبحث عن اسباب اتقانها ويعين مكانها في الكلام اليوناني المنثور وقدر تأثيرها في انواع المحاورات عند المتأخرين من الرومان والافرنج. اما تصانيف ارسطوطاليس وان كانت اكثر من مؤلفات افلاطون عدداً واكبر حجماً بدون ان تقل عنها اهمية في العلوم الفلسفية فلا يكون لها في تاريخ الاداب الا وصف بالاجمال والايجاز لانها وضعت بكلام ساذج من دون قصد الالفاظ الانيقة ومستملح المنثور

عبد الفتاح عباده

(١) المقابسات — توجد هذه الكلمة في الكتب اليونانية وقد ظن انها محرفة عن مقايسات وكذلك وردت في كتاب «كشف الظنون» لحاجي خليفة مرة مقابسات وأخرى مقايسات وهو تعديل من الناشر ولا شك ان المراد بالمقابسات المباحثة في انواع العلوم من قبس فلان علماً

الجاسوسية قديماً وحديثا

الجاسوسية في التاريخ

من اهم مشاغل القواد معرفة عدد أعدائهم وعددهم ولذا نرى منذ ابعد الازمنة ان وظيفة التجسس من ضروريات الجيوش . ولعله كان للجواسيس في الماضي اهمية اعظم من اهميتهم اليوم نظراً لافتقار القواد السالفين الى خرائط مستوفاة . اما اليوم فقلما نجد بقعة من الكرة الارضية الا ولها خرائط كبيرة مفصلة تبين اقل مرتفع او واد فيها

ولهذا السبب نجد ان الجواسيس في الازمنة الماضية كانوا ذوي مكانة رفيعة وعلاقاتهم مع قائد الجيوش العامة . يحكى انه جيء الى احد قواد فرنسا الكبار برجل اشتبه في سلوكه فبعد التحقق من امره قال له القائد : « أننا ظنناك سارقاً اعتيادياً اما الان وقد علمت انك جاسوس شريف فخذ هذين الدينارين واذهب الى العدو واخبره اننا هنا على تمام الاهبة »

واول من وضع قواعد رسمية للتجسس فريدريك الكبير (١٧١٢ — ١٧٨٦) ملك بروسيا فانه كان يقدرخدم الجواسيس حق قدرها ويكافئهم بكل سخاء . وقد دلت حرب سنة ١٨٧٠ والحرب الحاضرة على ان خلفاء هذا الملك العظيم قد اتقنوا هذا الفن وتوسعوا فيه توسعاً عظيماً حتى ادهشوا العالم بطرقهم الغريبة . ولعلنا لا نكون مغالين اذا قلنا ان السواد الاعظم من الالمان القاطنين خارج وطنهم هم جواسيس للحكومة الالمانية

ومن اهم حوادث التجسس في التاريخ حادثة موظف فرنساوي في وزارة الحربية الفرنساوية ايام نابليون بونابرت اسمه ميشال وهاك ملخصها : في سنة ١٨١٢ قدم الى باريس الكولونل كزرنيشف ياور امبراطور روسيا . وكان يتظاهر امام الناس بانه من طلاب الملاهي وانه انما قدم الى باريس للتلذذ بالحياة الدنيا . وبعد مدة وجيزة رجع الى بلاده ومعه معلومات جمة عن قوى الجيش الفرنساوي . لكنه كان قد نسي في غرفته ورقة من الموظف المتقدم ذكره يشكره فيها على مكافأته ويعده بمعلومات كثيرة . فوقعت هذه الورقة في يد البوليس وبعد البحث والفحص تحقق ولاة الامر ان هذه العلاقات قديمة ترجع الى سنة ١٨٠٤ فحكم على ميشال بالموت

وهناك نوع من التجسس مشروع عند الامم اذا جاز تسميته بهذا الاسم وهو تجسس السفارات فانها انما انشئت لجمع الاستعلامات وايقاف كل دولة على احوال الدولة الاخرى

الجاسوسية في الحروب الحاضرة

يلعب فن الجاسوسية في حروبنا الحاضرة دوراً لا يقل اهمية عن الاستعدادات التي تعدها الدول . وقد رأينا من تتبع سير الحوادث قبل الحرب الاوربيـة وبعدها كيف ان اتقان هذا الفن عند الالمان مكنهم من الوقوف على اسرار اعدائهم ودرجة استعدادهم وقوة استحكاماتهم فانتهزوا الفرصة المناسبة وشهروا حرباً شعواء كادوا يكللون فيها بالنصر لولا ان قامت الدول المتحالفة وتضامنت لصد تيار ما يسمونه التمدن الالماني

كثرت حوادث تجسس الالمان في انكلترا وفرنسا في العشرين سنة الاخيرة كثرة هائلة اضطرت هاتين الدولتين الى اتخاذ التدابير الناجعة لمنعها وقد اشتبه البوليس الانكليزي اثناء هذه المدة في ١٢٠٠٠٠ شخص اجنبي اتضح له ان منهم ٣٤٢ جاسوساً زجوا في اعماق السجون بتهم مختلفة . ومن اشد الحوادث غرابة ان الحكومة الانكليزية عثرت في اوائل الحرب على جاسوس الماني في بحريتها كان يراسل عماً له في برلين ويمده بكافة الاستعلامات عن حركات السفينة الحربية التي هو فيها والعم ينقل ما يرده الى قلم المخابرات الالماني . ولا يبعد ان حادثة انفجار الدردنوط الانكليزي بولوارك Bulwark كانت نتيجة فعل جاسوس كهذا

وعلى رغم مساعي انكلترا لاستئصال شأفة هذه الدسائس لا تزال ترد الينا الاخبار عن نسف بعض البواخر الحربية وقتل الخفراء وكثيراً ما التقطت الحكومة الانكليزية بطريق الصدفة رسائل لاسلكية تحتوي على ايضاحات تهم الاعداء . واهم من ذلك خبر انسلال بعض البوارج الالمانية من بين مراكب خفر السواحل الانكليزية التي تخفر سواحل انكلترا الشرقية ومرورها بين الالغام واعتدائها على بعض الموانىء غير الحصينة. وقد استدل البوليس الانكليزي على اثر ذلك على وجود اشخاص قاطنين في الساحل الشرقي يتبادلون اشارات بواسطة اشعة المصابيح مع بعض مراكب الصيد التابعة لاحدى الدول المحايدة فعندما يتلقى المركب الرسالة يقلع قاصداً الشواطىء الهولندية وزيادة في الاحتراس يطير المركب حماماً زاجلا يحمل الرسالة الى ادارة الجاسوسية في المانيا . وقد استمر الحال على هذا المنوال مدة طويلة الى ان فطنت الحكومة الانكليزية الى الامر ومنعت الملاحة في تلك السواحل ولكن الجواسيس الذين كانوا يقومون باعمالهم في نفس بلادها ظلوا احراراً بعيدين عن طائلة العقاب

ومما يؤثر ايضاً عن اعمال الجواسيس الالمان في انكلترا ان الاسطول الانكليزي

كان مزمعاً ان يشن الغارة على عمارة المانية في بحر الشمال فاخفق في ذلك بمساعي الجواسيس . وتفصيل ذلك انه بينما كان احد البحارة الانكليز يتناقش مع جماعة في احدى الحانات بدرت منه بادرة يستدل منها على ان الاسطول الانكليزي كان يمخر عباب البحر في تلك الساعة قاصداً مفاجأة الالمان فما كان من احد السامعين عند اقفال الحانة الا ان بادر الى دراجة فركبها وتوجه تواً الى قرب الشاطىء حيث ترجل وبدأ يروح ويجيء أمام اشعة مصباح الدراجة بطريقة مخصوصة متظاهراً باصلاح بعض الخلل فيها ثم اقفل راجعاً . . . . ولما وصلت البوارج الانكليزية الى حيث توقعت وجود المراكب الالمانية لم تجد احداً . ولابد ان راكب الدراجة المشار اليه جاسوس وما اتاه امام الشاطىء لم يكن سوى رسالة موجهة الى غواصة المانية كانت تنتظر عن كثب فالتقطت الرسالة وانذرت السفن الالمانية بالهرب



رسم لاحد الجواسيس لا يدل في الظاهر على قصد سيء لكنه في الحقيقة يصف احد الحصون وما حوله كما يأتي : (١) شباك سلكية (٢) خنادق (٣) مدافع ميدان (٤) مدافع حصار (٦و٧) حفر (٩) حصن (١٠) مركز للاستكشاف . وقس على ذلك

وقد اتخذ الالمان في بلاد اعدائهم ولا سيما الجهات المقفرة بها قاعدة حربية لطياراتهم لا سيما في شمال اسكوتلاندا حيث قلقت الحكومة من جراء ظهور عدة طيارات المانية في سمائها فاصدرت منشوراً بمنح الجوائز لكل من يرشدها الى الاماكن التي ينزل فيها الطيارون ليستمدوا ما يلزم لطياراتهم

وليست كل اعمال الجواسيس ظاهرة كما بينا بل هي تكون في الغالب مستترة تحت ظواهر خداعة لتخفيها عن اعين الرقباء . وكيف يتاح لمن يرى رسماً يمثل مناظر طبيعية جميلة ان يتسرب اليه الظن بان هذا الرسم يخفي طيه قلعة بكافة استحكاماتها واجزائها

ولكن هذه الطريقة هي التي سهلت للالمان معرفة كثير من مواقع الاعداء واستحكاماتهم تأتيهم بشكل صور مناظر طبيعية لا يمكن ان يداخل احد الشك فيها كما ترى في الشكل

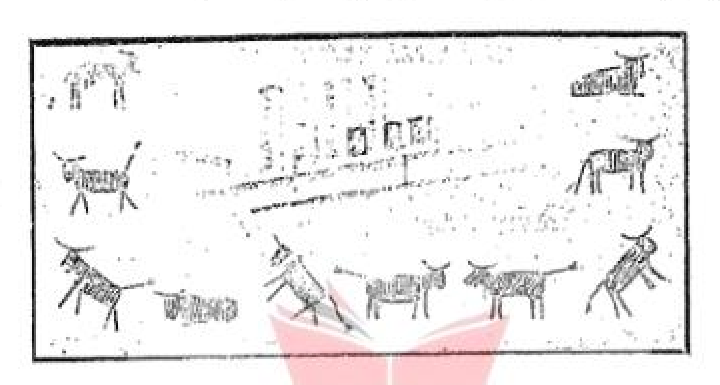
وهناك حيلة للجواسيس المان الاستخدموها ولا يزالون يستخدمونها في ساحات القتال في بلجيكا وفرنسا وهي ان يرسموا على جدران المنازل والابواب صورة بقرة على اشكال مختلفة تارة واقفة واخرى راكضة او ممددة الى غيرذلك . وكل شكل منها في نظر الالمان الذين يأتون الى تلك الجهات عبارة عن خبر او استعلام يتعلق بحركات الجيش المعادي طبقاً لاصطلاحات موضوعة . وتوجد طرق عديدة غريبة يستخدمها الجاسوس المقيم بين عساكر الاعداء لنقل الاخبار الى الجيش التابع له لا سيما لارشاد المدفعية عن الجهة الموجود بها الجيش حتى يسددوا اليهم مرمى مدافعهم كأن يتظاهر الجاسوس بنشر ملابس مغسولة على حبل بطريقه مصطلح عليها حتى يراها العدو بواسطة الطيارات او المنظارات او ان يدير دولاب احدى الطواحين في جهة معينة وان يعكس اشعة الشمس الى جهة ما بواسطة شيء لامع في يده بطريقة مخصوصة الى غير ذلك من الوسائل الغريبة التي قلما يلتفت احد الى خطورتها

ونورد هنا على سبيل الفكاهة مثالا من امثلة جرأة هؤلاء الجواسيس رغم حرج مركزهم وهو انه بينما كانت فرقة انكليزية تنقل ذخيرة الى حدود فرنسا حيث تدور معركة شديدة اذ بادر احد سواقي أوتوموبيل انكليزي مرتد بملابس الضباط وانذر الفرقة بالتوقف عن المسير لئلا تلتقي بفرقة مؤلفة من خمسمائة خيال الماني ونصح لها بالسير في جهة مخالفة وهي الجهة التي كان فيها هؤلاء الخيالة ثم اتجه مسرعاً في الجهة التي نصح لهم بعدم السير فيها فقام في أثره بضعة عشر جندياً انكليزياً لمشاغلة الالمان ولكنهم لم يجدوا احداً منهم واتفق ان هذا السائق صادف شرذمة من الجنود الانكليزية فاوقفوه وبالرغم من تنكره تبينوه فعرفوا انه من الاعداء بدليل انه كان مرتدياً بسترة الفرسان ولباس الجنود وقتلوه في الحال

وجاء في اخبار كندا ان السلطة بها اكتشفت في جزيرة اورليانس تجاه بلدة كويبك ارضاً لاحد الالمان مرصوصة لتركيب مدافع الحصار عليها وهذه الارض مطلة على استحكامات البلدة المذكورة وقد بلغ الحكومة خبر وجود اسلحة وذخائر مخزونة في الجزيرة المشار اليها وهي توالي البحث في العثور عليها

كلنا يعلم كيف سقطت مدينة لياج الحصينة امام قنابل المدافع الالمانية الضخمة التي قطر فوهتها ٤٢ سنتمتراً والفضل في سقوطها راجع الى الدقة التي كانت القنابل تطلق بها

على قلاعها حتى انه لم تذهب قنبلة واحدة خائبة ولم يقتصر الالمان على الالمام بكل جزء من هذه القلاع وما حولها بل كانوا يعرفون مراكزها بالضبط بمساعدة جواسيسهم ومما يهم ذكره في هذا الصدد ان الارض التي ركب الالمان مدافعهم عليها كانت ملك احد ارباب المعامل الالمان وقد رصفت من قبل خصيصاً لهذا الغرض . وعقب هذا الاكتشاف الغريب ان عثرت الحكومتان الانكليزية والفرنساوية على معامل المانية من هذا القبيل بها اساسات مرصوفة لتركز عليها مدافع الحصار



طريقتان لتخابر الجواسيس : الشكل المتوسط يمثل تخاطبهم بواسطة مداخن البيوت . والطريقة الثانية هي رسم البقرات على الابواب والطرق بمواقف مختلفة لكل منها معنى خاص

ومهمة التجسس شاقة للغاية فان اقل حركة يأتيها الجاسوس تنبه الاذهان اليه فقد يكون في احدى المدن محترفاً مهنة الطب مثلاً فتأتيه الرسائل السياسية بعنوانه وقد طبع عليها اسم احدى الصيدليات فاذا فرضنا ان هذه الرسالة لم تصل اليه لسبب من الاسباب فلا بد ان تعاد الى الصيدلية المشار اليها فتفتح بها وفي الاطلاع على ما تحويه كفاية لاثبات التهمة عليه وافتضاح امره كما حدث في انكلترا اخيراً يوم اطلعت الحكومة الانكليزية على رسالة تتضمن تعليمات سياسية برسم الحكومة الالمانية والقت القبض على مرسلها المدعو كارل هانس لودي الذي كان ملازماً في الاسطول الالماني وقد حكم عليه بالموت بتهمة التجسس ونفذ الحكم عليه في قلعة لندن وقد كان هذا الملازم من كبار الجواسيس الذين تركن اليهم المانيا وكان يحسن التكلم بالانكليزية كاحد ابنائها وقد ساح غير مرة في انكلترا مستعيراً اسم شخص امريكي وبيده جواز سرقه من احد الامريكان في المانيا فحصل بمهارته على اخبار مهمة تتعلق بحركات الاساطيل الانكليزية وغير ذلك ونقلها الى حكومته ولكن الخدم الكبيرة التي اداها لودي المذكور لم تكن لتمنع عنه حكم القضاء الذي نفذ فيه في ظلمات تلك القلعة الرهيبة

مجاري العاصمة

مشروع عظيم الاهمية

تقرر الاحتفال بتدشين مجاري العاصمة في الثاني والعشرين من هذا الشهر (مارس) بحضور الحضرة الفخيمة السلطانية . فرأينا بهذه المناسبة ان ننشر شيئاً عن هذا المشروع العظيم لا سيا وان السواد الاعظم من القراء خالون الذهن من اهميته ومنافعه

كلمة اجمالية

ان تصريف المياه والمواد البرازية وسائر الاوساخ في المدن العظمى من اهم المسائل التي تشغل رجال الادارة في جميع الدول لاسيا في هذا العصر — عصر الازدحام الشديد . وهناك عدة طرق لتصريف تلك المواد ليس هذا مكان التبسط فيها . ونقتصر هنا ان نقول تمهيداً لموضوعنا انه يوجد نظامان مختلفان لانشاء المجاري يدعي اصحاب كل نظام انه الافضل. ولعل افضلية احد النظامين على الآخر تتوقف على الامكنة . والنظامان هما :

(١) النظام الفاصل الذي يفصل بين المواد البرازية من جهة ومياه الامطار والشوارع من جهة اخرى فيجعل لكل منهما مصارف خاصة مستقلة

(٢) النظام الجامع الذي لا يفرق بين النوعين فيجمع كل الاوساخ والمياه في مجار واحدة

اما مصر فقد كان فيها مصارف لمياه الامطار والشوارع قبل الابتداء بمشروع المجاري . فلكي لا تذهب هذه المصارف بلا فائدة رأت الحكومة أن تصلحها وتمددها على حدة وشرعت في المجاري وحدها . الا ان كلا الجانبين يصبان معاً عند خروجهما من مصر في البالوعة الكبرى (المجرور العمومي) ويتطهران معاً كما سيأتي

نظرة تاريخية

لم تهتم الحكومة في امر المجاري الا سنة ١٨٨٥ ففي تلك السنة عينت نظارة الاشغال العمومية لجنة سمتها « لجنة تطهير مصر » مؤلفة من بعض كبار الموظفين للنظر في شؤون مدينة القاهرة الصحية . ودام انعقاد هذه اللجنة نحو ٧٠ يوماً قدمت بعدها تقريراً مطولا اقترحت فيه اقتراحات صحية شتى منها مشروع يرمي الى زيادة مصارف المياه التي كان يبلغ مجمل طولها ٧٧٠٠ متر فقط . لكن اللجنة رأت انه يجب ان تبقى

المواد البرازية منفصلة عن المياه واقتصر اقتراحها على هذه الاخيرة . اما المواد البرازية فان الطريقة المتبعة لها كانت ولا تزال الى اليوم تقضي ان تجمع تلك المواد في حفر بجانب البيوت او تحتها الى ان تمتلىء فتنزح . ولا يخفى ما يتبع هذه الطريقة من الاضرار فان الارض تتشرب تلك المواد فينتشر فيها الفساد والتعفن ايما انتشار لان تلك الحفر في اغلب الاحيان بلا جدران تمنع تسرب الاوساخ الى ما حولها من الارض

وقد تقدم بعد ذلك مشاريع اخرى منها مشروع للمستر لانهام وآخر للمستر باروا وآخر للسير وليم ويلكوكس وغيرهم ولكن الحكومة اهملتها لاسباب مالية او غير مالية

وفي سنة ١٩٠٦ انتدبت الحكومة حضرة المهندس الشهير المستر كاركيت جيمس الذي انشأ مجاري مدينة بومباي وغيرها من مدن الهند للقيام بمشروع المجاري في مصر نظراً لخبرته وسعة معلوماته في تطهير المدن الشرقية فقدم تقريراً مستوفياً بعد الدرس الطويل وافقت عليه الحكومة نهائياً . ومن الامور التي ادهشته قلة معدل كمية الماء التي يستعملها الفرد في هذا القطر فانه وجد أن معدل ما يستعمله الفرد من الماء في مصر نصف ما يستعمله الفرد في بومباي

تفصيل العمل

قبل أن نبدأ بالتفصيل يحسن بنا أن نجمل القول عن اهم النقط في سير المواد البرازية وغيرها ويمكننا أن نلخص العمل كله في الجمل الآتية :

(١) تذهب المواد والمياه من المنازل في مجارٍ الى اوعية كبيرة تحت الارض تسمى مفرّغات (Ejector)

(٢) لما تمتلىء هذه الاوعية تفرّغ بواسطة الهواء المضغوط الذي يدفع هذه المواد السائلة الى بدء «المجرور العمومي» الكبير عند كوبري غمره حيث تلتقي كل اوساخ المدينة

(٣) تسير هذه السوائل في هذا «المجرور» الكبير (الذي قطره متر و٦٠ سنتيمتر) مسافة ½ ١٣ كيلومتر الى كفر الجاموس في ضواحي القاهرة بمجرد قوة الانحدار . وتصب في هذا «المجرور» العمومي في طريقه مجاري القبة والزيتون والمطرية وغيرها من ضواحي المدينة

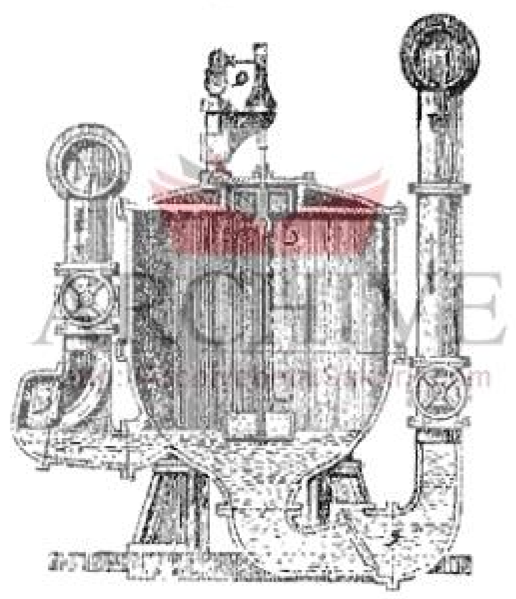
(٤) وفي كفر الجاموس تمر المواد بشبه غربال يفرز المواد الصلبة والمواد العائمة التي لا يمكن الاستفادة منها للزراعة ثم ترسل المواد السائلة بواسطة طلمبات كبيرة (لها قوة ٩٠٠ حصان) فتقطع مسافة ½ ١١ كيلومتر في مواسير قطرها ٩٢ سنتيمتر الى الجبل الاصفر بقرب الخانكة

(٥) فتطهر في الخانكة بواسطة مرشحات فيستخرج منها من الجهة الواحدة مياه تروي مزرعة الجبل الاصفر ومن الجهة الاخرى سماداً ثميناً للزراعة

هذا ملخص اجمالي ولا بد لنا الان من التبسط في بعض الامور لزيادة الايضاح

المفرغات

قلنا ان المواد لما تنحدر من البيوت تنزل تحت سطح الارض الى اوعية كبيرة بيضوية الشكل سميناها مفرغات (Ejector) . وقد قسمت مدينة القاهرة لهذا الغرض الى ٦٣ قسماً في كل قسم منها مفرغ يتصل بمواسير الى « المجرورالعمومي » عند جسر غمره حيث تصب كل المفرغات . وفي كل مفرغ انبوب يجلب له الهواء المضغوط



مثال من المفرغات

فكل مفرغ اذن متصل بثلاثة انابيب :

(١) واحد يجلب اليه المواد البرازية والاوساخ من البيوت

(٢) وواحد لتفريغه من تلك المواد وارسالها الى المجرور العمومي

(٣) والاخير للهواء المضغوط . وهو يولد في معمل خاص بشارع عباس ومن هناك يوزع على جميع المفرغات في المدينة

وهذه المفرغات تملئ وتفرغ من تلقاء ذاتها Automatic اي بدون مراقبة احد واليك تفصيل ذلك (انظر الشكل) :

تأتي المواد من الانبوب (ا) الذي على اليسار وتدخل في جوف المفرّغ فلما يمتلئ

تضغط السوائل على الكباس (د) فيفتح صماماً يدخل منه الهواء المضغوط فيقفل الانبوب (ا) ويضغط على سطح السوائل فتخرج من المصرف (و) ولما يفرغ يقفل المصرف ويفتح الانبوب (ا) الى ان يمتلىء المفرغ ثانية وهلم جراً

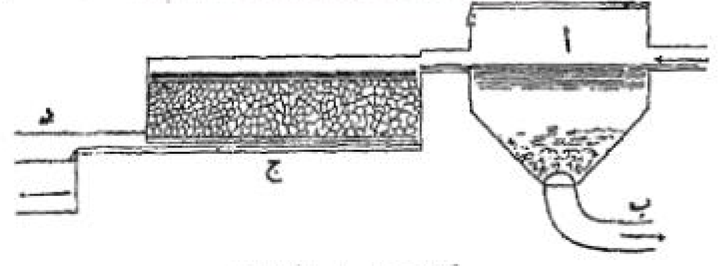
ومميزات هذه المفرغات هي : اولا انها تعمل من تلقاء ذاتها بدون مراقبة احد . وثانياً ان ليس لها صلة بالهواء الخارجي . ولذلك لا تولد روائح كريهة في ما حولها من المنازل

مياه الامطار والشوارع

سبق ان ذكرنا انه كان في مصر انابيب خاصة لتصريف هذه المياه قبل الشروع بانشاء المجاري وقد تحسنت الانابيب الموجودة وتعددت وهي تصب كلها في نقطة تحت الارض من شارع عباس حيث تدفعها طلمبات خاصة الى المجرور العمومي فتسير مع باقي اوساخ المدينة . والاحياء التي فيها انابيب خاصة لتصريف مياه الامطار والشوارع هي : عابدين ووجه البركة وشارع محمد علي والموسكي والفجالة والظاهر وشارع وابور المياه

التطهير

ان الرسم المرفق يوضح كيفية تطهير السوائل الآتية من كفر الجاموس بعد استخراج المواد الصلبة والعائمة منها . فانها تصب اولا في احواض كبيرة (ا) حيث ترسب المواد



كيفية تطهير المواد البرازية

الوحلية والجامدة وتبقى السوائل على السطح . ثم ترسل هذه السوائل الى مرشحات (ج) مؤلفة من طبقات من الحصى علوها نحو مترين ونصف فتطهر وتخرج من المرشحات صالحة للري . اما المواد التي ترسب في قاع الاحواض فانها لما تجمع تستخرج بواسطة طلمبات (ب) وتوضع على الجبل الاصفر حيث تيبس فتستعمل سماداً للارض

مزرعة الجبل الاصفر

ان القطر المصري من اصلح الاقطار للزراعة بواسطة مياه المجاري لقلة الامطار فيه . فان غزارة الماء في الاقطار الاوربية تحول دون ذلك . وقد اخذت مصلحة المصارف من

الحكومة نحو ٤٢٠٠ فدان في الصحراء قرب مصر على أمل زرعها واستثمارها . وقد دلت جميع التجارب التي اجريت على نجاح باهر فان محصول هذه الارض هو ضعفا محصول الاراضي المروية بماء النيل . وقد استخدمت المصلحة ٦٠٠ من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة للقيام بتصليح الارض وتسويتها الا انهم وجدوا بعد مدة قصيرة ان الزوابع الرملية كانت تحول دون نمو الزرع فقد كانت الرمال في بعض الاحيان تطمر المزروعات وتقتلها فتقرر اقامة اشجار حول الزرع تكون بمثابة حواجز تمنع تسرب الرمال فقسمت الاراضي الى مزارع صغيرة مساحة كل منها نحو ٨ او ١٠ فدادين وزرعوا حولها نحو ٤٠٠٠٠ شجرة في صفوف . وقد بنت الحكومة في وسط هذه المزرعة عزبة صغيرة مؤلفة من نحو ٥٠ بيتاً تسع ٥٠٠ شخص من المزارعين وعيالهم

وفي اواخر يناير سنة ١٩١٥ كانوا قد زرعوا نحو ٣٥٠٠٠ شجرة من البردقان واليوسف افندي والتين والرمان والنخل وغيرها من الاشجار . ويؤمل ان يكون لهذه المزرعة مستقبل زاهر

نفقات المشروع

وقد بلغت نفقات المشروع كله ١٨٢١٩٧١ جنيهاً مصرياً وأنفق لغاية آخر السنة المالية الحالية (٣١ مارس سنة ١٩١٥) ١٥٤١٠٠٠ جنيه . والمبلغ الباقي يلزم لتكميل المشروع . ونظراً للاحوال الحاضرة فقد تأجل ذلك الى حين رجوع الاحوال الى حالتها العادية

وتقدر النفقات السنوية بعد الانتهاء من عمل المجاري بنحو ٣٢٤٤٠ الا انه نظراً للنتائج الحسنة التي انتجتها مزرعة الجبل الاصفر فالمؤمل ان تعوض هذه المزرعة عن النفقات السنوية . والمنتظر بعد مدة قليلة ان لا تقل حاصلات هذه المزرعة في السنة عن ٣٠٠٠٠ جنيه فكان هذا العمل يقوم بنفقاته

لا يسير الانسان في شارع من شوارع برلين الا ويرى اعلانات متعددة تنهى عن امور كثيرة وقد سار بعضهم مؤخراً في شارع لا يزيد طوله عن ميل فرأى خمسين اعلاناً تحذيرياً بعضه ينهى عن الجلوس على عشب الحدائق وبعضه ينهى الكلاب عن اجتياز مواقع معينة وغيره ينهى الاولاد عن الجلوس على الكراسي المعينة للرايات وآخر ينهى عن امور غيرها . وقد صدق من قال ان نصف شعب المانيا يحكم النصف الآخر لان معظم الناس هم عساكر او بوليس

تجارة الشرق القديمة

قال وبستر التاريخي الكبير ان « تاريخ تجارة اي امة هو تاريخ تمدن تلك الامة » فالتجارة مقياس تمدن الامم ورقيها . ابتدأت التجارة عندما ابتدأ الناس في تبادل احتياجاتهم بان يبدل زيد من الناس مقداراً من الحنطة بمقدار يوازي قيمتها من الصوف الموجود عند عمرو . فالتجارة قديمة جداً ترجع الى اوائل عهد الانسان . وغرضنا الان ان نبحث في تجارة امم الشرق القديم المختلفة والعوامل التي ساعدت على ارتقائها وانتشارها ثم تقهقرها واضمحلالها

مصر وتجارتها

ان اقامة المصريين القدماء في وادي النيل الضيق واكتناف الصحاري والجبال لبلادهم كانا يحولان دون تقدمهم في ميدان التجارة ولا سيا الخارجية منها . وكانت البلاد خصبة والمعادن الضرورية للصناعة متوافرة فلم يشعر القوم بحاجة الى الاتجار خارجاً الا فيا بعد كما سيأتي . اما الاشياء التي لم يتمكنوا من صنعها في مصر فكان يحضرها لهم تجار الفينيقيين والعرب الذين كانوا يترددون عليهم في ذلك الوقت . ونجح اولئك العرب والفينيقيون كثيراً في مصر فاسسوا الاسواق التجارية في بعض مدن الوجه البحري . واخذت تجارة المصريين تنمو وتتسع على عهد العائلتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة (١٦٠٠ — ١٣٠٠ ق م) فشعر ملوكها بحاجتهم الى الغزو والاستعمار فحاربوا الامم المجاورة لهم وافتتحوا بلادهم وامتدت سلطتهم الى الشام والجزيرة والحبشة والنوبة وارمنيا وكردستان ونهر الفرات . فاتسعت تجارة المصريين وراجت كثيراً . الا ان معظم تجارتهم بقيت بيد الاجانب الى ان جاء نخاو الثاني (٦١٢ — ٥٩٦ ق م) من ملوك العائلة السادسة والعشرين فسعى لترقية التجارة . ولما كان لا بد من السفن لتجارة مصر الخارجية احضر نخاو الثاني خيرة المهندسين وبنائي السفن من اليونان وبنى اسطولين عظيمين — الواحد للتجارة في بحر الروم (الابيض المتوسط) والاخر للاتجار في البحر الاحمر — واشتهرت اذ ذاك مدينتا سايس (صالحجر) ونقراطس فورد عليهما تجار اليونان افواجاً فراجت تجارتهما رواجاً عظيماً . واستولى المصريون على تجارة غربي اسيا ولا سيا ما كان يمر منها بكركميش وصور . وسعى نخاو الثاني في فتح قنال للملاحة يصل البحر الاحمر بالبحر الابيض المتوسط . ولكن حبط مسعاه لاسباب لا محل لذكرها

فارسل بعض الملاحين الفينيقيين يلتمسون طريقاً آخر ليصل البحر الاحمر بالبحر الابيض المتوسط فداروا حول افريقيا كلها وبعد ثلاث سنوات وصلوا الى مصب النيل . ولم تكن نتائج تلك الرحلة مفيدة للتجارة نظراً لطول الطريق . واستمرت تجارة المصريين في اوجها بعد نخاو الثاني الى ان وقع المصريون تحت نير الفاتحين المختلفين . ولكن ظل عدد من اليونان يتاجرون مع مصر . فنقلوا صناعة الحفر والنقش الى بلاد اليونان وغيرها

تجارة دجلة والفرات القديمة

نهرا الفرات والدجلة كالنيل يفيضان كل سنة ولكنهما عرضة للفيضان السريع المتعاظم مما جعل البلدان الواقعة على ضفتيهما في خطر دائم من الغرق . فمنعاً لهذا وترقية لزراعة البلاد فتحت الممالك التي تعاقبت على ضفاف ذينك النهرين طرقاً منظمة لري الاراضي وحفروا ترعاً منعاً لطغيان المياه فنجحت الزراعة نجاحاً عظيماً . وكانت الجبال المجاورة غنية بالمعادن كالذهب والفضة والحديد والرصاص والقصدير والنحاس مما ساعد على ترقية صناعة البلاد . وكان الموقع الجغرافي ملائماً للاتجار الخارجي فان كثيراً من المدن كانت مركزاً لاجتماع القوافل . فكثرت المدن التجارية هناك وزادت علاقتها مع ما كان يجاورها من الاقاليم . ومن المدن التي اشتهرت مدينتا لرسا Larsa وسرجالا Sirgalla اللتان كثرت تجارتهما مع سوريا وارمينيا وخليج العجم والهند وربما مع الصين ايضاً . وكان عند القوم ما يشابه البيوت المالية والمصارف الحالية لتسهيل المعاملات التجارية . ثم ظهرت مدينة نينوى فاشتهرت تجارتها وراجت بضائعها في كل العالم المعروف حينئذٍ . وساعد على ذلك خصب ارضها وتعدد صناعاتها وتقاطع طريقين تجاريين فيها — احدهما من ارمينيا شمالاً الى خليج العجم جنوباً والاخر من اقبطان شرقاً الى الغرب ولم تكد عظمة نينوى التجارية تبلغ حدها حتى ظهرت مدينة بابل وفاقت كل مدن الشرق القديم — وكانت زراعتها اكثر من زراعة نينوى لزيادة خصب ارضها . وزادها شهرة وقوعها على نهر الفرات الذي كانت ضفافه آهلة بالسكان اكثر من ضفاف الدجلة . وكانت القوافل ترد من الشرق فتمر باسواقها متاجرة ومنها الى الغرب . ولم يمض وقت قصير حتى صارت نينوى والسوس وبقطرا وباقي المدن التجارية تابعة لتجارة بابل العظيمة . وكان ينصبّ في خزائنها الذهب والعاج والمجوهرات والحرير والقطن والصوف والاقمشة المزركشة والبهارات والاخشاب المشغولة واللؤلؤ واللبان والمر والنبيذ والزيوت والكتان والقمح

والمواشي . وكانت تجارة بابل البحرية بيد الفينيقيين والبرية بيد العرب والسوريين والعبرانيين . ولم تكن بابل اعظم مدينة تجارية فقط بل اعظم مركز صناعي ايضاً . فان مصنوعاتها القطنية والصوفية المتنوعة وسجادها الثمين واوانيها الخزفية وروائحها العطرية وغير ذلك من المصنوعات كانت مرغوبة ومطلوبة جداً في باقي المدن والاقطار وكان يأتيها كثير من التجار والصناع ليتعلموا صنائعها ثم يرجعون الى بلادهم لتأسيس مراكز للصناعة . فكانت بابل عبارة عن معهد علمي تؤمه الطلاب من سائر انحاء القارة الاسيوية . وكان فيها في ذلك الزمن عدة مصارف وبيوت مالية منظمة لتسهيل الاعمال التجارية — وهذا يدلنا على ان البنوك الحالية ليست من مستحدثات المدنية الاوربية كما يظن البعض

الفرس وتجارتها

لم يكن الفرس انفسهم اهل كسب واتجار ولكن فتوحات كورش وقمبيز وداريوس واحشويرش ساعدت على اختلاطهم بتجار الاقاليم التي صارت تحت سيطرتهم فتعلموا منهم طرق الكسب واخذوا عنهم كيفية الاتجار . وسرت فيهم روح الغيرة والمزاحمة فاصبحوا يزاحمونهم بتجارتهم . وانحطت بابل وغيرها من المدن التجارية المهمة لتحل محلها مدن اخرى من بلاد الفرس ومستعمراتهم واستفادت مدينة السوس التي تقدم ذكرها من استعمار الفرس كثيراً وزادت تجارتها واينعت — واشتهرت مدينة سرديس ايضاً فصارت مركزاً كبيراً للصناعة والتجارة . واجتهد كورش في تحسين حالة البلاد التجارية فنظم الطرق الجيدة للقوافل واقام الاستحكامات للدفاع عن البلاد واوجد نظاماً للبريد ومحطات للقوافل وجاء بعده داريوس فاكمل ما قام به كورش وزاد في تحسين البلاد وتنظيمها فراجت الاسواق في كل المدن . وكان يخرج من مدينة سرديس ثلاثة طرق مهمة للقوافل احدها الى افسس واخر الى ازمير والثالث الى كيم

وافتتح داريوس القنال الذي جرب فتحه نخاو الثاني للملاحة ليصل البحر الابيض المتوسط بالبحر الاحمر وكان ذلك في سنة ٥٢٠ ق م . فزادت الملاقات التجارية بينهم وبين السودان وليبيا وصك نقوداً للمعاملة من ذهب وفضة واطلق عليها اسم الدارق مقلداً بذلك اللديين فانتشرت وكثر استعمالها في المملكة وراجت التجارة حتى بلغت شأواً عظيماً واستمرت في رواج الى ان مات احشويرش في سنة ٤٦٥ ق م فظهرت الاحزاب السياسية وتلاعبت ايدي الاهواء بالبلاد فوقع الاضطراب في الحكومة

وظهر الانحلال في المملكة فتقهقرت التجارة واستمرت في هبوط متوال الى سنة ٣٣٤ ق م اذ اغار الاسكندر على البلاد فافتتحها واخضعها لسلطانه . ورأى تجارة البلاد في انحطاط عظيم فعكف على انعاشها . ولكن لم يفسح له الاجل فمات قبل ان يثمر غرسه - وخلفه سلوقيس نقاطر (٣١٢ - ٢٨٠ ق م) فاقتفى خطوات سلفه وانكب على تكميل مشروعاته فاحيا التجارة لا سيا مع الهند وبنى مدينة سلوقية على الضفة الغربية من نهر الدجلة على بعد اربعة وخمسين ميلا من بابل . ولم يمض وقت طويل حتى صارت اعظم مدينة تجارية فاتسعت تجارتها مع الهند والشرق الاقصى ولكن لم يدم الحال للفرس اذافل نجمهم فتقلص الجزء الغربي من مملكتهم من الحكم السلوقي ودخل تحت الحكم الروماني وكان ذلك سنة ٦٣ ق م . اما الجزء الشرقي من المملكة فاكتسحه البرثيون . وحافظت مدينة سلوقيـة على شهرتها التجارية تحت حكمهم مع جارتهـا تشوفون (Ctesiphon) واستمرتا على شهرتهما الى سنة ٢٢٦ ب م على عهد دولة الفرس الساسانيـة فسقطت مدينة سلوقية لما اتاها من تخريب الرومان لها وحلت محلها مدينة تشوفون وحافظت هذه المدينة على شهرتها وعظمتها التجارية الى الفتح الاسلامي . وكانت تدمر اشهر مدينة تجارية للساسانين

الفينيقيون

كان الفينيقيون ذوي خبرة بالتجارة بل كانوا ادرى الامم المعروفة حينئذ باصولها . فنشأوا عند خليج العجم ذوي تجارة واسعة بالاسماك وكانوا يتاجرون مع سكان الدجلة والفرات وما جاورها . ثم ساروا غرباً مع مدنية الشرق القديم حتى وصلوا الى البحر الاحمر وشواطىء البحر الابيض المتوسط الشرقية (التي على طول جبل لبنان) وهبطوا الى وادي النيل فاتسعت تجارتهم اتساعا عظيما . واقاموا على شواطىء البحر المتوسط الشرقية . وكان مأواهم الجديد ضيقاً ولكن الاراضي التي تحت منحدرات لبنان كانت تغل لهم الغلال اذ كانت ملاى بكروم العنب والبساتين المتعددة الاشجار . اما مواد الاكل التي لم يتمكنوا من استغلالها بارضهم فكانت ترد عليهم من فلسطين - وكانت جبال لبنان والشواطىء الصخرية تحميهم من غزوات الاعداء . وكانوا يستخرجون من تلك الجبال النحاس واخشاب الارز والصنوبر واشتغلوا بعمل الزجاج اذ كانت رمال شواطئهم صالحة لذلك واشتهروا بصبغ الاقمشة بالوان متنوعة ثابتة وابتنوا السفن وبرعوا في كيفية بنائها على طريقة متينة ومهروا في الملاحة والاسفار البحرية وهم اول من سلك البحار طلباً للاتجار . وكانوا يأتون الى بلادهم بكل ما يحتاجون اليه . وانتهز الفينيقيون

فرصة ابتداء صعود الممالك الغربية في سلم المدنية فلعبوا دوراً مهماً في تجارة تلك البلاد واصبحوا المحلّين في ميدان تجارة الغرب الجديد ووصلوا في اتجارهم الى بلاد الاندلس ولكنهم لم يقفوا عند ذلك بل واصلوا سيرهم شمالا على شواطىء اوروبا الغربية وجنوباً على شواطىء افريقيا الغربية ايضا . وكانت صيدآء عاصمتهم

وهم اول من استعمر جزيرة قبرص وانشأوا فيها تجارة واسعة اذ كانت الجزيرة غنية بالنحاس والفضة والحديد واخشاب الصنوبر المتينة والارز . ثم ساروا من قبرص الى سواحل اسيا الصغرى والجزائر المجاورة فوجدوا هناك ايضاً ميداناً للتجارة في جزائر رودس واسبوس وثاسوس وكريت وملاس وبعض جزائر اخرى واتخذوا هذه الجزائر كمحطات تجارية لمراكزهم الكبرى التي اسسوها في اسيا الصغرى كاستيرا وكورنس ومايسة . ووصلوا في اتجارهم الى البوسفور فاجتازوه الى البحر الاسود حيث وجدوا الصوف والقصدير والحديد والحبوب بانواعها والفرو بكثرة عظيمة . اما تجارتهم في بحر ايجة فكانت مقتصرة على الرقيق واخراج الذهب من معادنها . وكانوا يصنعون الفخار في جزيرتي ثيرا وملاس لوجود طينة بركانية صالحة لهذا العمل . وهم اول من اخترع الكتابة . وفي سنة ١٠٥٠ ق . م . دبت روح المزاحمة في تجار اليونان فنافسوهم بسفنهم التجارية وقاوموا احتكار تجار صيدا لتجارة البحر الاسود والاقاليم الواقعة على بحر ايجة . وبعد مزاحمة هائلة ونزال شديد تغلب اليونان فاصبحوا سادات التجارة في البحر الاسود فتقهقرت صيدآء واضمحلت . غير ان هذا لم يثن عزم الفينيقيين فجعلوا مدينة صور عاصمة بلادهم فازدادت سفنها حتى اكتشفت جزيرة كريت ومالطة ومن هناك اقلعوا غرباً فوجدوا جزيرة صقلية ثم سردينيا وسافروا منها غرباً الى اسبانيا . فاتسعت تجارة صور ولا سيا في اسبانيا اذ وجدوا كثيراً من الفضة والقصدير — وكانت مدينتا قادس وترشيش اهم المدن التجارية في اسبانيا . واسسوا عدة محطات تجارية في جزيرتي صقلية وسردينيا وفي جنوبي فرنسا وشمالي افريقيا واهم تلك المحطات مدينة قرطاجنة ووصلوا بتجارتهم الى غربي افريقيا واسسوا عدة مدن تجارية واخذوا ينطلقون ويستكشفون ويتاجرون الى ان وصلوا الى بحر البلطيق فاحضروا من هناك كميات كبيرة من الحبوب والصوف والفرو والنحاس والقصدير . وداروا حول افريقيا تحت ادارة نخاو الثاني كما تقدم . ولم تكن صور مركزاً لتجارة العالم المعروف حينئذ فقط بل فاقت كل المدن الاخرى في جودة صناعتها وانتشارها . وكانت لهم طريقة خاصة في مزج المعادن كالنحاس مع القصدير مثلاً بكميات متناسبة

معلومة لعمل التماثيل والحلى التي لا تزال آثارها تشهد بمهارتهم الفائقة الوصف وعلمهم الواسع ونباهتهم الزائدة . وامتاز اهل صور ايضاً بمصنوعاتهم الصوفية والقطنية ذات الالوان الجميلة ولكن ما وقع لصيدا وقع لصور ايضاً فلحقت باختها بسبب انغماس اهلها بالملذات فضعفت قوتهم الى ان اخضعها نبوخذنصر لسلطته . ومع أن صور فقدت كل عظمتها التجارية والصناعية فانه بقي لها شيء من الاهمية كوسيط بين الشرق والغرب

وفي القرن التاسع قبل المسيح ضربت الفوضى اطنابها بين الفينيقيين فوقع الاضطراب في بلادهم وقامت الحروب في غربي اسيا وتسلط الاشوريون عليهم فلم يطيقوا صبراً فهاجروا هرباً من تلك الحوادث من صور والاقاليم المجاورة الى الغرب وابتنوا مدينة قرطجنة وجعلوها قاعدتهم التجارية

الشرق الاقصى

قليلة هي الاخبار التي يوثق بها عن تاريخ تجارة الهند والصين وما جاورهما وهذه الاخبار القليلة تفيد أن بضائع كثيرة كانت تصدر من تلك البلاد الى البلاد الواقعة غربيها — وكان ذلك قبل التاريخ . وكانوا يصدرون حاصلاتهم بحراً بالسفن وبراً بطريق القوافل . وكانت مدينة بخارا اعظم مركز للقوافل الآتية من الشرق الاقصى . وكان تجار الاهالي القاطنين على السواحل يحضرون البضائع من داخلية البلاد ويسلمونها لتجار الفينيقيين والعرب الذين كانوا يذهبون الى هناك بسفنهم فيشحنونها بالقرب من مصب الانهار وكان مصب نهر السند العظيم اكبر مركز لشحن البضائع الكثيرة وكان يوجد منذ القديم اسواق في ايام معينة — وكانت تلك الاسواق منتشرة في كل الشرق الاقصى . ولا بد من ان طريقة البيع والشراء كانت بتبادل البضائع وذلك لتباين حاصلات تلك البلاد الواسعة

عزيز عبد المسيح

* * *

في قصر بوكنهام بلندن قاعة كبيرة لا يؤذن لاحد ان يدخلها الا للملك وسكرتيره الخاص والوزراء ورؤساء الجيش والبحرية . وفي هذه القاعة خارطة كبيرة تمثل جميع مواقع القتال البرية والبحرية في ميادين الحرب المختلفة . وفيها ايضاً مُثُل عديدة تصور خنادق الحلفاء والاعداء ومراكز جيوشهم وبطارياتهم . ومواقع الاساطيل البحرية المختلفة ومحطات السفن الهوائية الى غير ذلك من الامور التي تهم معرفتها . ويجري تغيير مراكز هذه المثل كل يوم تبعاً لسير القتال

الحرب في الهواء

الطيارات والبلونات المسيرة

لا يخفى ما للسفن الهوائية من التأثير والمنفعة في الحرب الحاضرة وقد كان الناس قبل نشوب هذه الحرب يشكون في نفعها ولكن الايام قد أزالت شكوكهم

تنقسم السفن الهوائية الى نوعين مهمين وهما الطيارات والبلونات المسيرة وأهمها المعروفة باسم تسبلن (نسبة الى مخترعها الكونت تسبلن) وقد سبق لنا الكلام عن اعمال هذه السفن الهوائية فلا فائدة من تكرار ذلك . انما نضيف هنا القول بان أعظم نفع يرجى من الطيارات هو استكشاف مواقع العدو وخطوط قتاله وتأليف جيوشه وهلم جرًّا . اما القاء القنابل والمقذوفات فامر ثانوي قلما يرجى منه نفع حربي : (اولاً) لان التلف الذي تحدثه تلك المقذوفات لا يكاد يوازي تعب السفينة وقيمة القنابل التي تلقيها. (وثانياً) لان اصابة الهدف من علوٍ شاهق من اصعب الامور لا سيما اذا تذكرنا ان الطيارة تسير احياناً بسرعة مئة ميل في الساعة اي مضاعف سرعة اسرع القطارات الحديدية . فاذا كان يصعب على راكب القطار الحديدي مثلاً ان يطلق عياراً نارياً في اثناء سير القطار ويصيب الهدف فكم بالحري يصعب على راكب الطيارة ان يلقي قنبلة ويصيب الهدف من علوه الشاهق وهو ينهب الفضاء نهباً بسرعة طيارته

وفضلاً عن ذلك فان لدى الدول المتحاربة مدافع خاصة لمقاتلة الطيارات مما يجعل خطرها من هذا القبيل اقل . وهذا يبين لك ان افيد مهمة تقوم بها السفن الهوائية هي الاستكشاف والتجسس

قلنا ان السفن الهوائية تنقسم الى نوعين كبيرين وهما الطيارات والبلونات المسيرة ولا يعلم عدد الموجود من كل نوع منهما عند الدول المتحاربة بالضبط لان ذلك من الاسرار التي لا تود تلك الدول اذاعتها . ولكن المرجح انه كان عند فرنسا والمانيا عدد متساو من الطيارات وعند انكلترا نحو نصف ذلك العدد . على ان الاعمال التي قام بها الطيارون الانكليز قد فاقت ما كان يرجى منهم بل قد اثبتت ان اسطول انكلترا الهوائي في مقدمة اساطيل الدول المتحاربة . وقد ثبتت افضلية الطيارات الانكليزية وتفوق آلاتها على غيرها

اما الالمان فانهم يفضلون البلونات المسيرة وقد كان لديهم منها قبل الحرب اثني عشر بلوناً فقد منها اكثر من نصفها ولكن الحكومة انجزت صنع غيرها من طرز هائل وكان همها الاكبر غزوة انكلترا عن طريق الهوآء وهذه الغزوة لا يقدر لها الخبيرون شيئاً من النجاح

ولا يسعنا المجال لوصف بلونات تسبلن انما نقول على سبيل الاختصار ان الطرز القديم منها كان ٥٥٠ قدماً في الطول وسرعة طيرانه من ٤٠ الى ٥٠ ميلاً في الساعة وهو يستطيع ان يقطع ١٢٠٠ ميلاً ويحمل طناً ونصف طن من القنابل ويرتفع الى علو عشرة آلاف قدم في الهوآء

ولهذه البلونات معملان احدهما في مدينة فردريكهافن والآخر في بوتسدام وفي كل منهما نحو الف عامل يشتغل نصفهم في الليل والنصف الآخر في النهار . ويستغرق تركيب القطع والآلات التي يتألف منها البلون نحو ثلاثة اسابيع

اما الطرز الحديث لبلونات تسبلن فيختلف عن الطرز القديم في حجمه وجهازه اذ يبلغ طول تلك السفن نحو الف وثلاث مئة قدم وعرضه نحو خمس واربعين قدماً وقوة آلاته الفان واربع مئة حصان ويسع ثلاثين راكباً وهو مسلح بمدافع سريعة الطلق من عيار بوصتين

وقد اشاع احد الالمان ان هذه البلونات الحديثة تُملأ بغاز جديد اخف من الهوآء وغير قابل للاحتراق بدلاً من الهيدروجين وانها مصنوعة من معدن جديد اخف من الالومينيوم ولكن اشد صلابة . ولعل هذه الاشاعة غير صحيحة لانها مناقضة للمعروف عند علماء الكيمياء

على ان الانكليز يفضلون طياراتهم الصغيرة الخفيفة على تلك البلونات الضخمة لعدة اسباب

(١) ان بلونات تسبلن كبيرة لا يسهل ادارتها في اثناء المعارك ويسهل على المدافع اصابتها لكبر حجمها . اما مسألة الغاز الاخف من الهيدروجين وغير القابل للاحتراق فيقولون انها خرافة لا توجد الا في مخيلة الالمان

(٢) كان المعروف قبل الحرب ان بلونات تسبلن لا تستطيع الطيران الا اذا

كان الهوآء معتدلاً والجوّ لطيفاً . ولا يعقل ان الالمان بعد الحرب تغلبوا على تلك الصعوبة

(٣) ان الطيارات البريطانية صغيرة وخفيفة وسرعتها ضعفا سرعة البلونات الالمانية المسيرة وتستطيع ان ترتفع الى اعلى مما تستطيعه البلونات المسيرة ويسهل عليها ان تحاربها وتنتصر عليها بقذف المقذوفات على غشائها المعدني . واذا كان مع البلونات طيارات تحميها فان الطيارات الانكليزية اسرع منها فضلاً عن ان الطيارات الالمانية لا تستطيع في تلك الحالة ان تهمل حراسة البلون وتطارد طيارة العدو فهي اذاً مضطرة ان تجعل سرعتها كسرعة البلون المسيّر

(٤) ان البلونات المسيرة هي اسرع الى العطب من الطيارات اذ نظراً لكبر حجمها تستطيع المدافع ان تصيبها بسهولة

هذا وقد اقترح احدهم على الحكومة الانكليزية ان تبث الغاماً هوائية في الفضآء وذلك بان تعلق الالغام « ببلونات اسيرة » (اي بلونات مربوطة بالارض) منعاً للسفن الهوائية من الاقتراب . والحكومة البريطانية تنظر في هذا الاقتراح وقد عمدت الى عدة وسائل لمقاتلة السفن الهوائية واتقاء شرها



شذرات عن الحرب الحاضرة

مجموعة من ادق المصادر واصحها

السفن الحربية ووظائفها

يتعذر على القارىء التمييز بين انواع السفن ووظائفها . وقد رأينا ان نذكر هنا اهم انواع السفن الحربية ووظائفها لما لها من العلاقة الكبيرة بالحرب الحاضرة

(١) الدردنوط - وهي لفظة انكليزية معناها « لا يرهب شيئاً » وقد كانت اسماً لاول سفينة حربية من نوعها ثم اطلق الاسم على جميع السفن التي من ذلك الطرز . ووظيفة هذه السفينة هي الدفاع والهجوم لانها جامعة بين وسائل كليهما اولا لكونها محمية بدروع قوية من الفولاذ وثانيا لكونها مسلحة بالمدافع الهائلة . وفي البحرية الانكليزية اليوم طرز جديد من هذه السفن يعرف « بسوبر دردنوط » اي اعظم من الدردنوط وهي ابلغ فتكا من الاولى ولها مدافع اشد هولا منها تبلغ فوهتها خمسة عشر بوصة او اكثر ويمتد مرماها الى نحو ثمانية عشر ميلا . ولا تزال طريقة بناءها سراً من اسرار البحرية الانكليزية . وكل ما يعرف عنها ان لها ابراجاً ضخمة توضع فيها المدافع اثنين اثنين او ثلاثاً ثلاثاً . وقلما يزيد عدد ابراجها عن خمسة يكون فيها نحو عشرة مدافع او اكثر

وقد كانت دروع السفن الحربية في اول الامر من الحديد المطرق الذي تبلغ ثخانته ١٢ سنتيمتراً ولا تقي الا ادوات المركب المبنية فوق سطحه . ولكن تحسين المدافع والارتقاء الذي اتيح لفن البحرية حملا ارباب البحر على إلباس السفن الحربية دروعاً من الفولاذ يبلغ ثخنها ٥٥ سنتمتراً او اكثر وغطّوا سطوحها بدروع فولاذية ايضاً وقاية لها من القذائف . وقد كانت هذه الدروع مفردة في اول الامر ولكنهم لحظوا بعد قليل انها لا تكفي لوقاية سطوح السفن من القنابل فجعلوها مزدوجة حتى اذا خرقت القنبلة الدرع العليا ضعفت قوتها او تلاشت عند وصولها الى الدرع السفلى التي تقي أدوات المركب

اما سرعة السفن التي من نوع الدردنوط والسوبر دردنوط فتزيد على العشرين ميلا في الساعة ويستعمل في اكثر السفن الانكليزية التي من هذين النوعين زيت البترول وقود لسهولة تداوله وافضليته على الفحم من عدة اوجه

(٢) الطرادات المدرعة — تمتاز هذه السفن بسرعة جريها ومناعة اجهزتها وسعتها فانها تسع عدداً كبيراً من النوتية والجنود البحريين . وقد سعى الانكليز في تحسين هذا الصنف فزادوا في سمك دروعه وجهزوه ببطاريات تشتمل على ثمانية مدافع من عيار ٣٤٣ مليمتراً منظمة اثنين اثنين في ابراج قائمة على محور السفينة ثم اضافوا اليها مدافع اخرى صغيرة . وقد بلغت سرعة بعض هذه الطرادات ٢٨ عقدة في الساعة . والواقع ان هذا الصنف لا يختلف عن الدردنوط الا بكون درعه اخف وسرعته اعظم الا انه يستوجب نفقات كبيرة لسعته ولكثرة ما يحتاج اليه من الوقود

(٣) النسافات — وهي سفن صغيرة منوطة بالبوارج (الدردنوطات) ووظيفتها قذف الطوربيد على سفن الاعداء . ولكنهم وجدوا بالاختبار ان هذه السفن الصغيرة لا تستطيع مرافقة الاساطيل ومقاومة الانواء . فاستبدلوها بسفن اخرى تسمى في اصطلاح البحريين « مقاومات النسافات » تبلغ حمولتها نحو الف طن وتستعمل غاز البترول بدلاً من الفحم وزادوا قوة طوربيدها وحجم قذائفها وغيروا المواد التي كانت تتألف منها تلك القذائف وقد كانوا سابقاً يستعملون في صنعها قطن البارود المغموس في التروجين ولكنهم قد تفننوا اليوم في صنعها اذ وجدوا ما هو اشد فتكا واسرع انفجاراً . ويمكن قذف قنابل الطوربيد على مسافة اربعة اميال او اكثر وتحطيم سفن العدو

(٤) الغواصات — ويرجع الفضل في اختراعها الى فرنسا ولكن الاحصاء يدل على ان ما عند انكلترا منها يبلغ مجموع ما عند فرنسا والمانيا . وهي تسير مع الاساطيل وتحارب العدو اينما كان وتنحصر منفعتها في كونها تحارب وهي محتجبة عن نظر العدو اذ تباغته وهي تحت الماء . ولكنها تضطر الى الصعود الى فوق الماء لتجدد هواءها بين فترة واخرى ولتأخذ ما تحتاج اليه من الذخيرة لان ما تحمله لا يكفيها لمدة طويلة . وهي لا تستطيع ان تغوص في الماء كثيراً خوفاً من ان يضغط عليها الماء فيتعذر صعودها الى سطحه

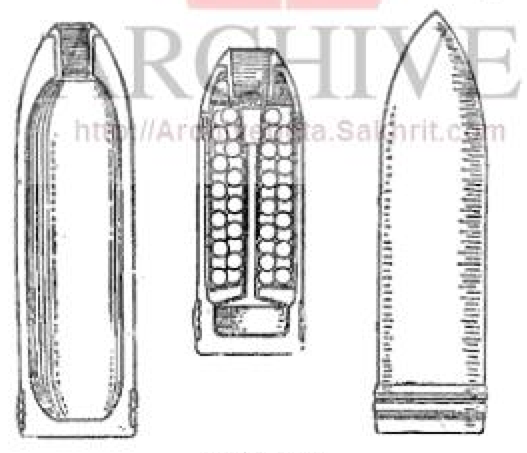
(٥) وهناك سفن اخرى متنوعة منها ما هو لبث الالغام ومنها ما هو لالتقاطها ومنها ما هو لحماية السواحل

عقدت الحكومة البريطانية اتفاقات مع عدة مصانع بريطانية واميركية لصنع احذية للجيش . ويقول الثقات ان انكلترا وحلفاءها في حاجة الى خمسين مليون زوج من الاحذية لاجل جيوشها

القنابل وانواعها

القنابل أنواع متعددة تختلف باختلاف العِدد المستعملة لاطلاقها . وقد رأينا ان نذكر هنا اهمها

(١) القنابل التي تخترق الفولاذ . وهي بشكل أسطوانة مخروطية مصنوعة من الفولاذ المطرق . وتستعمل في المدافع الضخمة التي من عيار اربع بوصات فما فوق وتكون قاعدة القنبلة عادة مسدودة بعمد لولبي (برغي) وفي أسفل القنبلة مما يلي قاعدتها فراغ يكون محشواً غالباً ببرادة الرصاص والنشارة يليها مواد أخرى قابلة للانفجار . ونقاس قوة هذه القنابل باختراقها صفائح الفولاذ المطرق على بعد الف ياردة . فالمدفع الذي من عيار ١٢ بوصة والذي تبلغ زنته ستة واربعين طناً تخترق قنبلته صفيحة من الفولاذ ثخانتها ٢٨،٦ بوصة على بعد الف ياردة . والمدفع الذي من عيار ٩،٢ بوصة (وثقله ٢٧ طناً) تخترق قنبلته (وثقلها ٣٨٠ رطلاً) صفيحة من الفولاذ ثخانتها ٢٧،٥ بوصة على بعد الف ياردة



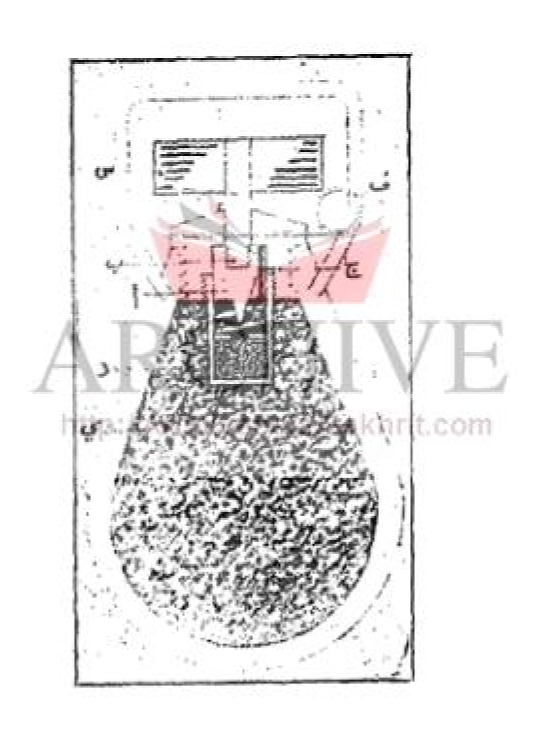
انواع القنابل

على اليمين قنبلة اعتيادية . في الوسط شرابنل . على اليسار قنبلة لاختراق الفولاذ

(٢) القنبلة الاعتيادية وهي عبارة عن اسطوانة من الحديد او الفولاذ مخروطية الشكل ولكن طرفها المخروطي مبتور وفيه ثغرة صغيرة لايصال الشرارة . وهذه القنبلة اشبه بلغم متحرك لافناء ذخيرة او هدف آخر . ولذلك تحشى غالباً بكمية كبيرة من المواد المنفجرة . اما الانفجار فيتم باحداث شرارة عند طرف القنبلة . وأما المواد التي تحشى بها القنبلة فهي البارود الناعم أو الليديت . واذا استعمل الليديت استعمل معه نوع آخر

من البارود السريع الانفجار يسمى « بكرك » . ثم ان قنابل اليديت تصنع غالباً من الفولاذ المطرق . ويتراوح ثقلها بين الرطل الواحد وثلاثة ارباع الطن

(٣) قنابل شرابنل وتختلف عن القنابل الاعتيادية بكونها تحتوي على كمية معينة من الرصاص تنفجر بعد أنطلاقها . فالقنبلة هي عبارة عن غشاء او وعاء للرصاص الذي داخلها . وفي وسط القنبلة انبوب تكون الرصاصات حوله وهذا الانبوب يمتد الى طرف القنبلة حيث الثغرة التي تحدث فيها الشرارة . وتستعمل هذه الرصاصة لتوجيهها الى الاشخاص لا الى الذخائر والمؤون



قنبلة هوائية

(٤) القنابل الهوائية . وتكون غالباً كروية الشكل او كروية مستطيلة قليلاً محشوة بالمواد المفرقعة ولها ثغرة مسدودة بمسد لولبي (حرف ب) منعاً لها من الانفجار في أثناء النقل وفوق الثغرة سلك يساعد المسد اللولبي على منع الانفجار (حرف ف) ويزال عند القاء القنبلة . وفوق الثغرة عمودياً صفيحة بشبه جناح (حرف س) متصلة بالمسد اللولبي . وفي داخل الثغرة ابرة متصلة بالمواد المنفجرة (ا) ومثبتة فلا تتحرك الاّ عند القاء القنبلة في الهواء . وكيفية تحريكها انه عندما تسقط القنبلة من علوها الشاهق يدور الجناح

(س) بسرعة عظيمة بفعل الهواء فيحل المسد الاولبي الذي كان مثبتاً للابرة ومانعاً لها من الاحتكاك . فعند ما يفلت المسد الاولبي تنطلق الابرة من قيدها وتحتك بالمادة السريعة الانفجار (د) وهذه تسبب انفجار القنبلة كلها (ي)

منشأ كروب

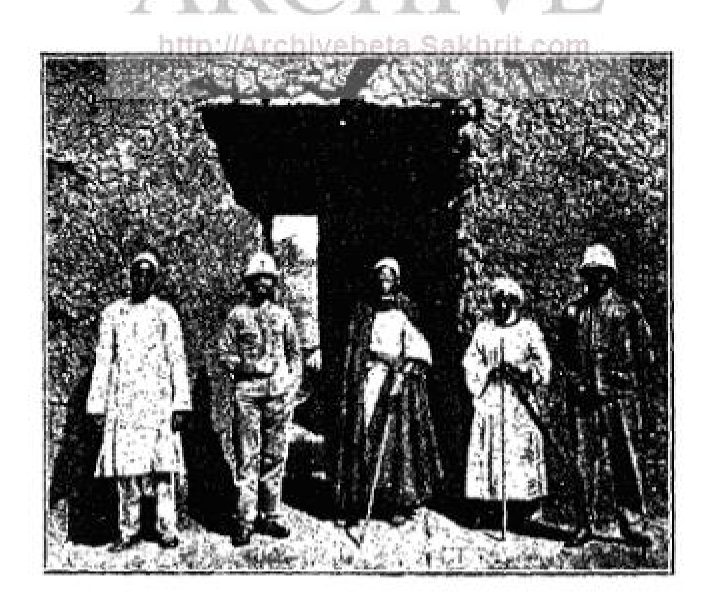
لا مشاحة ان معامل كروب التي تصنع فيها المدافع الالمانية هي اكبر المعامل التي من نوعها في العالم . واذا كان في المانيا شركة قد استفادت من هذه الحرب الهائلة فهي شركة كروب التي تشتغل ليل نهار في صنع الاسلحة اللازمة لالمانيا وحلفائها . اما مؤسس هذه الشركة فهو الفرد كروب الذي ولد في سنة ١٨١٢ في مدينة اسن من اعمال بروسيا وكان ابوه فريدريك كروب حداداً فقيراً حارب الفاقة اربعة عشر عاماً ولما كان على سرير موته اطلع ابنه الفرد على اسرار صناعته فجاهد الفرد عشرين عاماً محاولا ان يلفت انظار العالم ولم يشرق نجم سعده الا بعد ان عرض سبيكة من الفولاذ ثقلها خمسة واربعون طناً في معرض سنة ١٨٥١ في القصر البلوري بلندن . ولما توفي في سنة ١٨٨٧ سار وراء نعشه ستون الفاً من عماله . وتشغل مساحة معمله اليوم الف فدان وعدد العمال الذين يشتغلون فيه نحو ثلاث مئة الف عامل . وعدد المدافع التي تجزها اربعين الفاً سنوياً . والاعمال تجري فيه بغاية السر والتكتم وهي موزعة على العمال توزيعاً صريحاً بحيث لا يجوز لطائفة منهم ان تتعرض لما تعمله طائفة أخرى ولا يؤذن لاحد افرادها ان يدخل الى حيث يشتغل افراد الفريق الآخر . ولكل عامل بطاقة مرقومة ومعين فيها نوع العمل والقسم الذي يؤذن له بالدخول اليه . وللمعمل رجال عديدون من الشحنة السرية يراقبون العمال بكل دقة وانتباه وهم مجهزون بالاسلحة . فاذا بدت لهم ريبة في احد العمال اوقفوه واوقعوا به اشد العقاب حذراً من ان تذاع اسرار المعمل . وهنالك ازرار كهربائية سرية متصلة بجميع اقسام المعمل فاذا رأى رجال الشحنة السرية اجنبياً مفاجئاً ضغطوا تلك الازرار ليحذروا العمال الذين في الاقسام المختلفة

اما مكاسب هذا المعمل فحدث عنها ولا حرج . ويقال ان الامبراطور غليوم هو من اكبر « المساهمين » في هذه الشركة ولعل ذلك سبب رغبته في الحرب لان الحرب تعود عليه بالمكاسب المالية الطائلة



اعلام المانية في شوارع باريس

احتفال الفرنساويين بالاعلام التي غنمها الجيش الفرنساوي في ساحات القتال



السيد السنوسي

يرى القارىء في وسط هذا الرسم السيد السنوسي وحوله ابنه ادوم واحد رؤساء القبائل وضابطان فرنساويان



سوط وُجد مع ضابط الماني يدل على ان الالمان يستعملون السياط لسوق جنودهم



رمي السهام من الطيارات

اخترع احد الطيارين الفرنساويين طريقة لرمي سهام محدَّدة من الطيارات تسقط على جيوش الاعداء فتفتك بهم فتكاً ذريعاً . وهذه السهام طولها ٦ بوصات اي نحو ١٥ سنتيمتراً وقطرها نصف بوصة وثقلها نحو أوقية وهي توضع في علبة مركبة تركيباً خاصاً بحيث تتساقط منها بانتظام خمسين في كل دفعة

العائلة والمنزل

الاسكربوطي

ان معظم امراض الاطفال ان لم يكن كلها ناتجة عن سبب واحد لا ثاني له وهذا السبب ورد ذكره في الهلال مراراً ولا بأس من تكراره الآن لان في تكراره مساعدة للام في انماء ولدها على القواعد الفنية . وهو الخطأ في الغذاء الذي تقع فيه كل ام وتحاول تجنبه كل ام . اذ لا يعقل ان في الوجود اماً تتعمد ايذاء ولدها او تتوانى في توفير راحته لانها مفطورة على الحنان وشدة العطف . وهذا الميل غالب فيها على العقل والحزم اللذين يجب اتخاذهما في تربية الاطفال . وداء الاسكربوطي او داء الطعام متسبب عن خطأ في الغذاء طالت مدته واستقرت اصوله . واعراضه التي تبدو على المصاب به لثة اسفنجية دامية وورم مع انسكاب الدم تحت جلد المفاصل لا سيما الكعب والركبة ونزيف من الانف واحياناً من بعض الاغشية المخاطية وزيادة في الاحساس لحد التألم من اللمس باليد او من الثياب مهما كان ضغطها خفيفاً . وغالباً يصحب هذه الاعراض شلل كاذب بالاطراف السفلى وضعف عمومي شديد وفقر كبير بالدم . والظاهر من الاحصاء الاخير ان اربعة اخماس اصابات هذا الداء تقع على الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والخمسة عشر شهراً . ونصف حوادثه كان اعمارها يتراوح بين الشهر السابع والعاشر والاستاذ هولت شاهد اصابة لم تتجاوز الشهر الاول من حياة المصاب . ومن ذلك يتضح اهمية هذا المرض بالنظر الى ضحاياه البريئة والغريب ان يكون معظمها قبل المرض بصحة حسنة ونحو ٢٥ بالماية منها تصاب بسوء الهضم لمدة ثم تبدو بوادر الداء فيها . وقد أجمع الاختصاصيون على ان السبب ينحصر في الطعام . ومن الحقائق التي ابرزتها جمعية البحث والتنقيب في هذا الصدد وجاءت برهاناً على ما تقدم ما يأتي : —

كان اثنا عشر طفلاً يتناولون غذاءهم الطبيعي سلم منهم عشرة وظهر المرض على الاثنين الباقيين . وسبب مرضهما انهما كانا يتغذيان بلبن ثدي غير الثدي الذي نشأا عليه وهذا التغيير كان كافياً لزرع جرثومة المرض فيهما

كان خمسة أطفال يتغذون بلبن بقر نيء فاصاب المرض أربعة ونجا الخامس باعجوبة

كان عشرون طفلاً يتغذون بلبن مغلي فمرض منهم ١٦ وسلم أربعة

كان ستون طفلاً يتغذون بلبن خاثر فمرض منهم ٣٢

كان ١٠٧ أطفال يتغذون بلبن معقم فمرض منهم ٦٨

كان ٢١٤ طفلاً يتغذون من طعام مستحضر للاطفال فلم ينج واحد منهم بل اصابهم المرض جميعاً

ان هذا الاحصاء وان اثبت احتمال انتشار الداء بين سائر الاطفال على مختلف طعامهم فهو يبرهن على شدة فعله وضرورة ظهوره ظهورا واضحاً في الطائفة الاخيرة التي معظم غذائها من مواد مختلفة الانواع لا ضابط لكمية النوع منها وفي الغالب ان مقدار البروتيد (المواد الزلالية) قليل فيها. ويضعف تأثيره الى ٥٠ بالماية في الفئة التي جل غذاها لبن معقم. وسبب ذلك ليس التعقيم كما يتبادر الى الذهن لاول وهلة بل عدم التناسب في كمية الغذاء التي تلائم سن الطفل واستعداده. ويكاد يكون تأثيره عدماً في من نما على الغذاء الطبيعي وعلة وجوده في هذه الفئة ليست الا انتقال الطفل الى ثدي غير الثدي الذي ألفه فجاء هذا الانتقال محرضاً للداء على الظهور بسبب ما حصل منه من التغيير بمادة اللبن وبدا أثره في الطفل. وبذلك عبرة لمن يتساهل بنظام تغذية الاولاد

اما أثر الداء فيظهر اولاً بالعظم مثل نزيف على سطح السمحاق ينتهي بالتهاب حاد وانسكاب بين العضل وارتشاح في النسيج الخلوي واكثر عظام الجسد تأثيراً الركبة والكعب اولاً والاوعية ثانياً والدم ثالثاً

والذي تشاهده الام قبل الاعراض المتقدمة انحراف خفيف وشراسة باخلاق ولدها مع اصفرار وغضاضة بساقيه. ويصبح كثير البكاء يتألم من وضع يدها عليه ويفقد شهية الاكل والنوم. فاذا لم تبادر الام الى الطبيب توغل الداء بجسمه وبانت اعراضه الموضعية كورم المفاصل وانسكاب بين العضل وتحت الجلد ونزيف من الانف ومن بعض الانسجة فضلاً عن أعراضه العمومية مثل الشلل الكاذب والاحساس الزائد وضعف بالقوى الى غير ذلك مما مر ذكره. وان تعذر احضار الطبيب لاستشارته والاخذ

برأيه وكان الولد على الحالة التي وصفناها فما على الام الا ان تقوم مقام الطبيب وتحل محله باصلاح الغلط الذي حصل عن يدها فهي اولى منه واقدر على اجراء ذلك الاصلاح في ابنها نظراً لكونها اقرب اليه منه في ازالة اسباب الداء وقد سبق بيانها . فان كان قد مضى على الولد وقت وهو يتناول نوعاً من انواع الغذاء المار ذكرها وظهرت عليه الاعراض التي فندناها فاحسن علاج هو ان تمنع عنه ذلك الغذاء وتستبدله باخر فان كان غذاؤه لبن بقر نيّ يجب ان يسخن ويضاف اليه الماء والسكر بأقدار مناسبة لثقل جسده لا لسنه حتى يتولد عنه من الحرارة لا اقل من ١١٠ وحدات ولا اكثر من ١٢٠ وحدة لكل كيلوغرام من ثقل جسده

ولا ريب أيتها الام انه اذا سرت على هذا التعديل تريحين ولدك وتعيدين اليه سلامته ونضارة وجهه ولاسيما اذا أعطيته نحو ثلاث أواق من عصير البرتقان تعطى له في كل يوم . ولا تجوز هذه الاضافة اذا رافق الاعراض اسهال

وقد يحتاج فضلاً عن ذلك الى اسعافات فنية وان تكن ثانوية بالنسبة الى الاصلاح الذي حدث في غذائه فلا يمكن الاغضاء عنها والانتفاع بها عند ما تتوفر أسباب الحصول عليها

الدكتور شخاشيري

المسكرات في روسيا

لا يخفى انه عند شبوب الحرب الحاضرة اصدر القيصر امراً بمنع بيع الفودكا وهو مسكر مشهور كان منتشراً في طول روسيا وعرضها . وقد كانت خزينة روسيا تكتسب الاموال الباهظة من الضرائب على هذا المسكر ولكن القيصر فضل خسارة تلك الاموال على ويلات الفودكا . وقد نشرت جريدة النوفو ڤريميا مقالة جاء فيها ان الاخبار والرسائل البرقية تتوارد على بتروغراد من كل ناحية منبئة بفرح الشعب عامة بمنع بيع الفودكا فقد قلت الجرائم وانخفض عدد المتسولين والعمال العاطلين واصبحت الحالة الصحية من احسن ما يرام اذ خفت وطأة الامراض وقل عدد الذين يدخلون المستشفيات . وذكرت جريدة روسكيا ڤيدوموستي انه في ثلاث وثلاثين ضاحية من ضواحي موسكو شوهد انخفاض عظيم في عدد الجرائم فقد وقع في الشهر المنصرم ٢٠٦ حوادث مقابل ٩٠٠ حادثة في الشهر الذي يقابله من السنة الماضية . وهكذا قل عدد الامراض والوفيات فقد قلت نحو خمسة وثلاثين في المئة

تاريخ الشهر

اهم وقائع الحرب

(تابع لما في الاجزاء الماضية من الهلال)

في ٢٦ يناير — وقعت مناوشات بين طلائع الاتراك والحامية البريطانية على ضفاف ترعة السويس . وبدأ الروس بمهاجمة هنغاريا

في ٢٧ منه — ميلاد الامبراطور غليوم . وقعت معركة بين الالمان والفرنسويين في كروان فخسر الالمان الف قتيل . واقرضت انكلترا خمسة ملايين جنيه لرومانيا

في ٢٨ منه — القى طيارو الحلفاء القنابل على لاون ولافير وحاول الالمان ان يعبروا نهر الاين الى شرقي سواسون فصدهم الحلفاء

في ٢٩ منه — اسر الحلفاء طيارة المانية بقرب جربفلر وردّ الانكليز حملات الالمان في جيفنشي بقرب لاباسي

في ٣٠ منه — نسفت خمس سفن تجارية انكليزية في البحر الارلندي وبقرب الهافر واسترجع الانكليز جميع الخنادق التي كانوا قد خسروها في لاباسي وانتصر الروس على الاتراك في ايران ودخلوا تبريز

في ٣١ منه — القى الطيارون الالمان ستين قنبلة على دنكرك ليلا . واقلعت السفينة داسيا من ميناء جالفستون شاحنة قطنا لالمانيا

في ١ فبراير — هاجم الالمان الانكليز بقرب لاباسي فصدهم هؤلاء . وحاولت غواصة المانية ان تنسف السفينة استوريا (وهي مستشفى) بقرب الهافر فاخطأتها

في ٢ منه — نسف احد الجواسيس الالمان جسراً للسكة الحديدية على الحدود بين كنادا والولايات المتحدة

في ٣ منه — هاجم الالمان الفرنسويين في شمبانيا ثلاث مرار صدوا في جميعها . وحاول الاتراك ان يجتازوا ترعة السويس بالقرب من الاسمعيلية ومحطة طوسون فانهزموا . وسلم كمب البوري ورجال العصاة الى الحكومة وصد الروس النمسويين في جبال كرباتيا

في ٤ منه — اعلنت المانيا حصر الشواطىء البريطانية ابتداء من ١٨ فبراير وغنم

الحلفاء جانباً من خنادق الالمان على الخط بين ليل واراس واجتاز الروس نهر بزورا في بولندا الوسطى

في ٥ منه — اعترضت الولايات المتحدة على الحصر الذي تهددت به المانيا التجارة ووصل قيصر روسيا الى ساحة القتال

في ٦ منه — غنم الانكليز موقعاً مهماً في لاباسي . وردت حامية ترعة السويس الاتراك

في ٧ منه — اتفق نظار المالية للحلفاء على توحيد مسائلهم المالية ووصلت الباخرة لوزيتانيا الى ليفربول رافعة الراية الاميركانية وخسر الالمان مئتي قتيل في لابوازيل

في ٨ منه — تراجع الاتراك عشرين ميلا عن ترعة السويس

في ٩ منه — وصلت الباخرة ولهلمينا من اميركا الى ميناء فلموث حاملة مواد غذائية الى المانيا

في ١٠ منه — استمر القتال في الارجون وصد الروس النمسويين في جبال كرباثيا

في ١١ منه — اطلق الاسطول الروسي القنابل على طرابزون

في ١٢ منه — تقدم الروس في سائر ميادين القتال والفرنسويون في جهات الارجون

في ١٣ منه — قام الطيارون الانكليز بغارة هوائية على سواحل البلجيك وبلغت خسائر الالمان في بولندا اربعين الفاً من القتلى واصدرت الخزينة الروسية اسهماً بقيمة عشرة ملايين جنيه

في ١٤ منه — التحم الاتراك والانكليز شمالي الطور فخسر الاتراك ستين قتيلاً ومئة اسير . وفشل المؤتمر الروماني الهنغاري

في ١٥ منه — تقدم الفرنسويون في الالزاس والروس في الميدان الشرقي

في ١٦ منه — توترت العلاقات بين تركيا واليونان وحاول الالمان ان يتقدموا في الالزاس فصدهم الفرنسويون

في ١٧ منه — القى طيارو الحلفاء القنابل على اوستند وزيبروج وتقدم الروس في غاليسيا

في ١٨ منه — صد الحلفاء الالمان ليلاً في شمبانيا واجاب السر ادوارد جراي على المذكرة الاميركية

في ١٩ منه — كذبت ايطاليا ما قيل عن وجود اتفاق سري بينها وبين النمسا . وتقدم الفرنسويون على طول خط القتال

في ٢٠ منه — جرت مظاهرات طلباً للحرب في ايطاليا ومنح المسيو پوانكاره وسام الحرب للمارشال فرنش

في ٢١ منه — اطلق الاسطول الانكليزي الفرنسوي القنابل على الدردنيل فدمر جانباً من القلاع

في ٢٢ منه — اتخذ الالمان خطة الهجوم في غاليسيا وصدهم الفرنسويون شرقي الايز والحقوا بهم خسائر فادحة

في ٢٣ منه — تقدم الفرنسويون على جميع خطوط القتال

في ٢٤ منه — هزم الروس الاتراك في القوقاز . ونسفت باخرة نروجية

في ٢٥ منه — تقدم الفرنسويون في اعالي الموز وصدوا الالمان والحقوا بهم خسارة بلغت ٤٣٠٠ رجل وغرقت الباخرة كلان مكنوتن

المحاكم المصرية المختلطة

تجددت سلطة المحاكم المصرية المختلطة الى سنة أخرى اعتباراً من اول فبراير الماضي . وهاك صورة القانون الصادر بهذا الشأن :

نحن سلطان مصر

بعد الاطلاع على لائحة ترتيب المحاكم المختلطة خصوصاً على المادة الاربعين من الباب الثالث منها وعلى الاوامر العالية الصادرة في ٦ يناير سنة ١٨٨١ وفي ٢٨ يناير سنة ١٨٨٢ وفي ٢٨ يناير سنة ١٨٨٣ وفي ١٩ يناير سنة ١٨٨٤ وفي ٣١ يناير سنة ١٨٨٩ وفي ٣ فبراير سنة ١٨٩٠ وفي ٢٩ يناير سنة ١٨٩٤ وفي ٣١ يناير سنة ١٨٩٩ وفي ٣٠ يناير سنة ١٩٠٠ وفي ٣٠ يناير سنة ١٩٠٥ بامتداد المدة الاولى للمحاكم المختلطة في القطر المصري امتداداً متوالياً الى اول فبراير سنة ١٩١٥

ومن حيث ان حكومتنا قد اتفقت مع حكومات الدول ذات الشأن على امتداد سلطة المحاكم المذكورة لمدة سنة

وبناء على ما عرضه علينا وزير الحقانية وموافقة رأي مجلس الوزراء

رسمنا ما هو آت

المادة الاولى — صار امتداد سلطة المحاكم المختلطة لسنة اخرى اعتباراً من اول فبراير سنة ١٩١٥

المادة الثانية — على وزير الحقانية تنفيذ مرسومنا هذا

حسين كامل

الاستانة

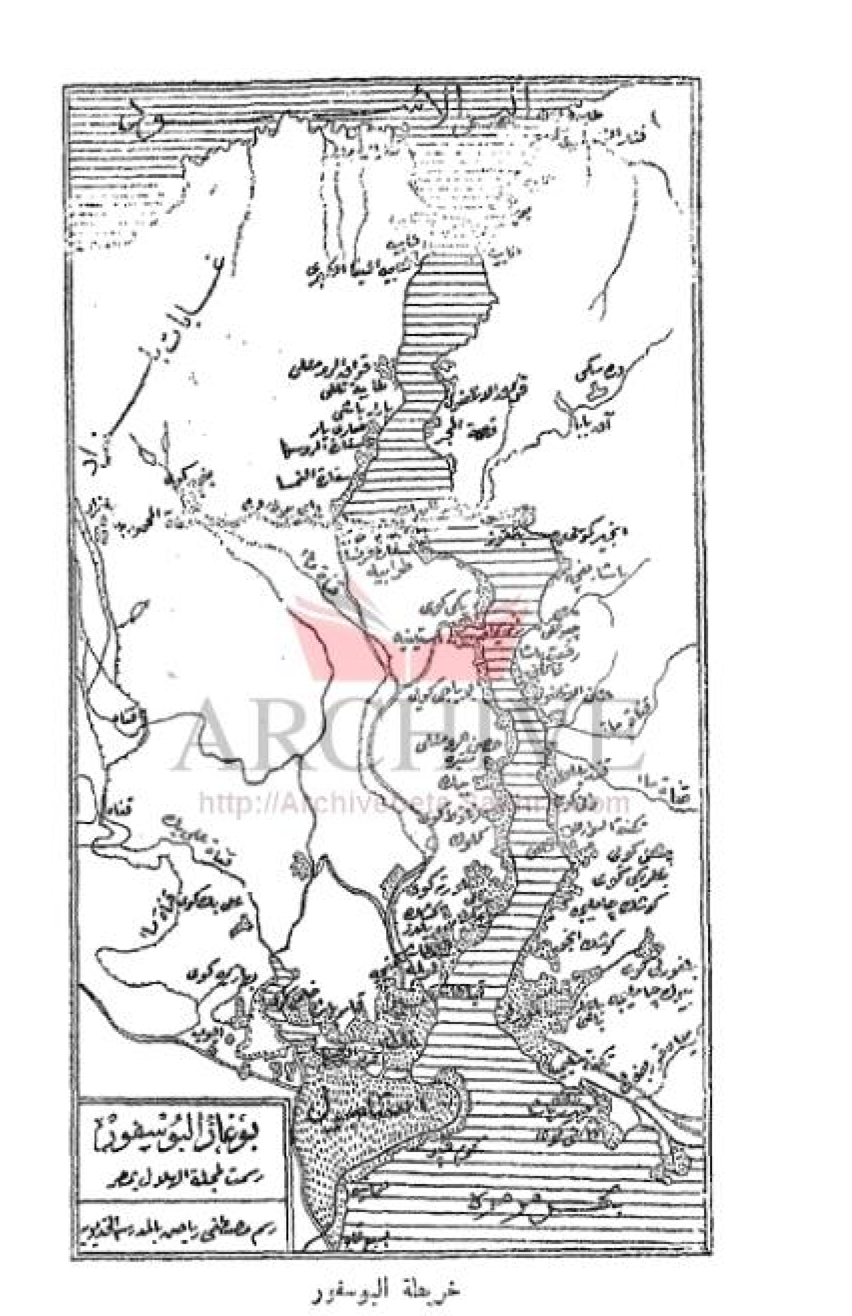
تاريخها وحصاراتها

ما برحت الاستانة منذ القديم مطمح انظار الملوك والقواد العظام لما خصها به الطبيعة من جمال الموقع ومناعة السبيل اليها - وقد اصبحت اليوم مقصداً من مقاصد الحلفاء في هذه الحرب العظيمة واصبح الطريقان المؤديان اليها نعني البوسفور والدردنيل من اعظم ميادين القتال شأناً لا سيا بالنظر الى الشرق والشرقيين . وقد رأينا الان ان نأتي بخلاصة تاريخها مع ذكر اهم حصاراتها فنقول :

بيزنطة

لا ريب ان محاسن الاستانة الطبيعية استوقفت الشعوب الغادية والرائحة في اسيا الصغرى والبلقان منذ قديم الزمن مما لم يبلغنا خبره . واول مدينة شيدت عند موقع الاستانة ذكرها المؤرخون هي مدينة ليغوس اليونانية الاصل وكانت على الشاطىء الاوربي . وقد جاء ذكرها في كتابات بلينيوس المؤرخ الشهير. ثم استولى عليها حوالي منتصف القرن السابع قبل المسيح قوم من اهل مدينة ميغاره اليونانية ووسعوها وسموها بيزنطة . ولاشك ايضاً ان لسكان مدينة ارغوس شأناً في اقامة هذه المدينة فان لهم فيها آثاراً وهيكلاً خاصاً . وتقدمت مدينة بيزنطة تقدماً عظيماً نظراً للصيد الغزير الذي كان يصطاده اهلها في البوسفور وكانوا يتجرون بالاسماك مع سائر سكان تلك البلاد . ويقال ان القرن الذهبي سمي بهذا الاسم منذ ذلك الحين نظراً لغزارة الاسماك التي كانت تستخرج منه . ثم انهم كانوا يربحون ايضاً ربحاً كثيراً نظراً لموقع مدينتهم بين شواطىء البحر الاسود وشواطىء بحر ايجه (وقد كان لشواطىء البحر الاسود شأن عظيم في ذلك الزمن وكان لاهلها تجارة واسعة) فكانت الواسطة بين الجهتين

ولكنها مع ذلك لم يكن لها شأن كبير بين المدن اليونانية وانما كانت تعد من الدرجة الثانية . وكانت في اغلب الاحيان تابعة لاحدى المدن العظمى لا سيا اثينا واسبرطا . واستولى عليها قائد من قواد داريوس ملك الفرس الذي تغلب ايضاً على بلاد اليونان . ثم ثارت بيزنطة مع سائر المدن اليونانية لكنها كسرت جميعها لا سيا بعد مساعدة الاسطول الفينيقي للفرس . ثم انقذ بوزانياس ملك اسبرطا مدينة بيزنطة وعد مؤسسها الثاني . وطرأ عليها بعد ذلك حوادث شتى مع البلاد اليونانية مما يضيق المقام عن سرده . الى ان قام فيليب ملك مقدونيا الذي حاصرها سنة ٣٤٠ ق. م. فطلب البيزنطيون مساعدة اهل اثينا



خريطة البوسفور

فساعدوهم واجبروا فيليب ان يرفع الحصار عن المدينة . قيل انه بينما كانت المدينة على وشك التسليم اراد الاسطول المكدوني ان يأخذ المدينة على حين غرة فظهر اذ ذاك في سماء المدينة نور نبه السكان الى الخطر المحدق بهم فتمكنوا من اتخاذ الاحتياطات اللازمة ونجوا . فاقاموا تمثالا للالهة هيكات وضربوا نقودهم وعليها علامة الهلال وقد كان الهلال علم تلك الالهة

ويظهر ان تلك المدينة كانت ديموقراطية تشبه اثينا في نظاماتها . ولما اتسعت دولة الرومانيين ساعدهم سكان بيزنطة فاذن لهم الرومانيون ان تبقى مدينتهم حرة ولكن الامبراطور فسباسيانوس استولى عليها فيما بعد وضمها الى سائر الامبراطورية . وكان لها شأن وحوادث مختلفة في التاريخ الروماني

وقد كان لبيزنطة قسط وافر من هجوم اقوام البرابرة عليها . ولما نشبت الحرب الداخلية بين قسطنطين ولوسينيوس لجأ اليها هذا الاخير بعد انكساره في ادرنه . لكن قسطنطين ما برح ان لحقه فيها واستولى على المدينة . ولما رأى مناعتها وجمالها قرر ان يقيم فيها فبنى المدينة بناء جديداً على هندسة جديدة واحتفل بتدشينها في سنة ٣٣٠ في احتفال عظيم

الاستانة او القسطنطينية

فاصبحت الاستانة منذ ذلك الحين عاصمة المملكة الرومانية الشرقية ونشأت فيها فنون وآداب ومدنية جديدة كان لها شأن عظيم في تاريخ العالم. وقد كان قصد قسطنطين ان يجعلها عاصمة الامبراطورية الرومانية ليقترب الى بلاد الشرق الغنية من جهة وليأمن من الجهة الاخرى هجمات البرابرة المتوالية . وسماها في البدء « رومية الجديدة » لكن اسم القسطنطينية تغلب عليها وصارت تعرف به . ثم نقل اليها تماثيل المدن اليونانية وغيرها من المدن التي تغلب عليها ليزين بها مدينته . ولم يكتف بذلك بل سعى جهده ليجلب اليها عدداً كبيراً من السكان . وصك قسطنطين عملة جديدة عليها صورة ذئبة وفوقها نجمتان للدلالة على انه اصبح للمملكة الرومانية عاصمتان

وظلت الاستانة بعد وفاة قسطنطين عاصمة الدولة البيزنطية ومقام امبراطرتها الى سنة ١٤٥٣ اذ دخلها السلطان محمد الفاتح. وقد كانت في هذه الاثناء مدينة زاهية بالعلماء والادباء واصحاب الفنون المختلفة وكان لها اهمية اقتصادية كبيرة ولا سيما من القرن الثامن الى القرن الثاني عشر اذ كانت الواسطة بين تجارة الشرق وتجارة الغرب . لكن الامبراطرة البيزنطيين اكثروا فيها من الملاهي حتى اصبحت المدينة اشبه برومية قبيل

سقوطها . فكانت تصب فيها جميع موارد الثروة وتبذر بين الامبراطور وحاشيته . وبلغ انهماك اهاليها في الالعاب درجة غريبة حتى انه في ايام الامبراطور يوستنيانوس انقسم الاهالي الى فريقين متعادين تحزب كل منهما لاحد فريقي اللاعبين في مسرح المدينة (Cirque) ونشبت الحرب بينهما فقضت على حياة ٣٠٠٠٠ نسمة

وقد توالت عليها الحصارات منذ تأسيسها الى دخول الترك واليك اهمها :

في سنة ٥٥٩ حاصرها البلغاريون بقيادة زابركان . لكن اهل المدينة دافعوا عنها دفاعاً حسناً وألجأوا اعداءهم الى الفرار رغماً عن انه لم يكن بينهم جند منظم يدافع عن المدينة

وفي سنتي ٦١٦ و٦٢٦ حاصرها كسرى ملك الفرس فلم يفلح

وفي سنة ٦٦٩ حاصرها العرب بحراً وبرّاً فلم ينجحوا . واعادوا الكرة سنة ٦٧٢ مدة ست سنوات متوالية فانكسروا ورجعوا على اعقابهم سنة ٦٧٨ واحترق اسطولهم بواسطة النار اليونانية . وفي سنة ٧١٧ اعادوا الكرة مرة أخرى فلم يفلحوا ايضاً

وفي سنة ١٢٠٣ حاصرها الصليبيون ودخلوها فخربوها ثم اقاموا في بيرا وغلطة . وسبب قدومهم الى الاستانة انه في سنة ١١٩٥ خلع الامير الكسيس اخاه الامبراطور ونصب نفسه مكانه بعد ان سجنه وفقأ عينيه . فتمكن احد اولاد الامبراطور المخلوع من الفرار الى البندقية واقنع الصليبيين ان يهاجموا الاستانة ويخلصوا اباه فكان كذلك . ثم اسس الصليبيون مملكة لاتينية لم يدم عهدها طويلاً . فان الروم ثاروا في سنة ١٢٦١ تحت رئاسة ميخائيل باليولوغس وطردوا الصليبيين من المدينة . وظلت السلطة في نسل باليولوغس المذكور الى ان استولى عليها الاتراك . وقد حاصرها في هذه الأثناء الروس والمجر وغيرهم من الشعوب غير مرة

وهاجم الاتراك الاستانة غير مرة . ففي سنة ١٣٨٩ حاصرها السلطان بايزيد وفي سنة ١٤٢٢ حاصرها السلطان مراد فلم يفلحا مع انه كان لدى السلطان مراد مدافع نارية . ولكنها سقطت في سنة ١٤٥٣ في يد السلطان محمد الثاني بعد ان دافع عنها قسطنطين الحادي عشر دفاعاً مجيداً . فكان سقوطها من اعظم حوادث التاريخ حتى انه يعد بدء « التاريخ الحديث »

وما برحت الاستانة قلب السلطنة العثمانية الى يومنا هذا وتاريخها منذ ذلك الحين هو تاريخ الدولة العثمانية نفسها ففيها ابرمت المعاهدات وفيها حصلت الثورات والتقلبات . ومما يذكر بمناسبة الحوادث الحاضرة انه في سنة ١٨٠٧ تمكن الاسطول الانكليزي من دخول الدردنيل بقيادة الاميرال دكورث غير انه ما لبث ان رجع عن الاستانة بعد حصار دام ثمانية ايام

امبراطورية النمسا والمجر

تاريخها ونظامها واحوالها الاقتصادية والاجتماعية

انقذ النمسا وتركيا في ان بقاءهما
من دواعي التوازن الدولي

احد الساسة

لا ريب ان القراء يعرفون عن امبراطورية النمسا والمجر وتاريخها ونظامها وسائر أحوالها أقل مما يعرفون عن باقي الدول المتحاربة . فقد رأينا أن ننشر هذه المقالة سداً لهذا النقص

خلاصة تاريخية

ان تاريخ امبراطورية النمسا والمجر هو في الحقيقة تاريخ شعوب مختلفة لكل منها منشأ خاص وتاريخ خاص . وقد كان يقطنها قبل الفتح الروماني أقوام من اليونان والقلت . ثم دخل معظمها في حوزة الرومانيين . ومنذ القرن الاول للمسيح بدأت غزوات البرابرة في الدولة الرومانية فكانت بلاد النمسا أول ما لقوه في طريقهم . ولكن النفوذ الروماني ما برح يتسع في تلك الانحاء رغم اكتساح تلك الشعوب الى منتصف القرن الثاني . فمنذ ذلك الحين تكاثرت الشعوب النازحة من شرق أوربا الى غربها وأخذ ظل الدولة الرومانية في التقلص . وكان بين النازحين الى الاقطار النمسوية شعوب مختلفة من هان وسلاف ومجر وجرمان وغيرهم فاقاموا فيها وأسسوا دولا صغيرة مستقلة

النمسا

ولكن المقام الاول في تلك الانحاء كان لمقاطعة النمسا المسماة بالالمانية اوستريش أي المملكة الشرقية (واول مرة سميت بهذا الاسم سنة ٩٩٦) . وكان قد اسسها شارلمان في القرن الثامن لمقاومة السلاف وغيرهم من الشعوب النازحة نحو بلاده . وكان امراؤها الاولون من عائلة بابنبرج وكانوا يلقبون بلقب « مارجراف » (وهو يشبه الماركيز)

ونشأ بالقرب من النمسا مملكتا بوهيميا والمجر . وظلت هذه الممالك الثلاث تتنازع السيادة في تلك البلاد الى سنة ١٢٤٤ اذ استولى ملك بوهيميا على النمسا . لكن رودلف امبراطور المانيا (وهو من عائلة هابسبورج التي منها الامبراطور الحالي) تغلب على ملك بوهيميا ونصب ملكاً على جميع تلك الاقطار ومنها بلاد المجر . ومن ذلك الحين

(سنة ١٢٨٢) تكوّنت الامبراطورية النمساوية واخذت تتسع على يد خلفائه . واول امبراطور سمي رسميا « امبراطور النمسا وملك بوهيميا والمجر » هو الملك فرديناند سنة ١٥٥٨

وكانت الدولة العثمانية حينئذ في شبابها وكان يخشاها ملوك أوربا ولا سيما امبراطور النمسا وهو أقربهم اليها . وفي أواخر القرن السابع عشر تقدم العثمانيون في البلاد النمساوية فاستولوا على جزء كبير منها حتى وصلوا الى أسوار فينا . لكنهم رجعوا عنها وما برحوا من ذلك الحين يتقهقرون

ولما قام نابليون كان همه الاكبر تقويض سلطة النمسا . لكنه اقترن فيما بعد بالاميرة ماري لويز ابنة امبراطور النمسا . وفي مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ (اي بعد سقوط نابليون) ضمت الى النمسا بلاد لومبارديا والبندقية من اجزاء ايتاليا . ولكنها كسرت سنة ١٨٥٩ في حربها مع فرنسا وايتاليا فتخلت عن هذه البلاد

وفي سنة ١٨٦٦ نشبت الحرب بينها وبين بروسيا بتدبير بسمارك فانكسرت وتنحت عن الاتحاد الالماني الذي كانت رئيسته . فكان هذا الانكسار داعياً لقيام المجر ومطالبتهم بحقوقهم . فاتفق الفريقان في سنة ١٨٦٧ على ان يكوّنا دولة واحدة مع استقلال كل منهما في الشؤون الداخلية

ومن قرارات مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ اضافة ولايتي البوسنة والهرسك اليها مؤقتاً وقد تم ضمهما اليها على أثر اعلان الدستور العثماني كما هو مشهور

المجر

المجر قوم من التتر نزلوا ضفاف الدانوب في اوائل القرن العاشر للميلاد وحاربوا الجرمان الذين كانوا هناك ونازعوهم البلاد فملكوها . وتولى منهم عدة امراء اعظمهم الدوق ارباد توالى الملك في اعقابه . واول من تنصر منهم الدوق جيشا الاول في النصف الاخير من القرن المذكور . واخذ ينشر النصرانية في قومه

ثم تحضر المجر واشتد ساعدهم فاشتغلوا بالفتح فاتسعت مملكتهم وعمرت وبلغت قمة مجدها في عهد لويس الاعظم (من سنة ١٣٤٢ — ١٣٨٢ م) من بيت انجو بنابولي . فدخلت بولندا في حوزتها واصبحت مملكة المجر تمتد جنوباً الى وراء الدانوب وخضعت لها البندقية وادت الجزية

فلما مات لويس هذا اختلف اصحابه على الملك وتنازعوا النفوذ وطال تنازعهم ونشبت الحروب الاهلية ولم تستقر الحال الا على يدي سجسموند الملك (من سنة ١٣٩٢ — ١٤٣٧)

ثم نبغ هونيادس القائد العظيم الذي حارب العثمانيين فال الملك الى ابنه متياس وكان اهلاً للسلطة فدافع العثمانيين جهده . واخذت الدولة بعده بالتقهقر فدخل معظمها في حوزة العثمانيين في اواخر القرن الخامس عشر

وظلت بلاد المجر في حوزة العثمانيين بعد واقعة موهكس (سنة ١٥٢٦) الى سنة ١٧١١ . الا ان جزءاً منها لم يدخل تحت حكم العثمانيين وهو القسم الشرقي اي مقاطعة ترنسلفانيا . وبقي قسم آخر منها وهو القسم الغربي في يد النمساويين . وكان النزاع قائماً بين هذين القسمين اي بين المجر والنمساويين لكن النصر كان للنمسا وكان امراء المجر يكتفون في اغلب الاحيان بلقب « امراء ترنسلفانيا »



زي يوم الاحد في بعض قرى المجر

ومن سنة ١٧١١ — ١٨٤٥ تحسنت حال المجر واعترف لهم النمساويون بالاستقلال الداخلي . وفي سنة ١٨٤٨ وقع خلاف بين النمسا والمجر على بعض المسائل المشتركة وكان كوسوث زعيم المجر ذا نفوذ عظيم فشدد في مطاليه حتى استعفى الامبراطور فردينان ونصب ابن اخيه فرنسيس يوسف . ثم نشبت الحرب بين النمسا والمجر وكان النصر في البدء حليف المجر لكنهم انكسروا بعد دخول روسيا في الحرب وظلوا تحت نير النمسا واستبدادها الى سنة ١٨٦٧ اذ اغتنموا فرصة انكسار النمسا في حربها مع بروسيا وحازوا استقلالهم الداخلي التام

نظامها الحالي

تتكون النمسا من دولتين هما امبراطورية النمسا ومملكة المجر . ويدخل في الاولى مقاطعات مختلفة الاجناس والمذاهب . وعلاقات الدولتين محددة في اتفاق ابرم بينهما

سنة ١٨٦٧ يقضي باستقلالهما تمام الاستقلال في الشؤون الداخلية . فلكل منهما دستور خاص وسلطات تشريعية وتنفيذية خاصة . ولكنهما متصلتان : اولاً بوجود امبراطور واحد يدير شؤونهما . وثانياً بمصالح ادارية وسياسية تتألف منها الوزارة المشتركة وهي :

١ المسائل الخارجية

٢ المسائل الحربية والبحرية

٣ المسائل المالية المشتركة بين الدولتين

ووزير خارجية الامبراطورية هو في الوقت نفسه المستشار الامبراطوري أي نحو رئيس النظار في الممالك الاخرى



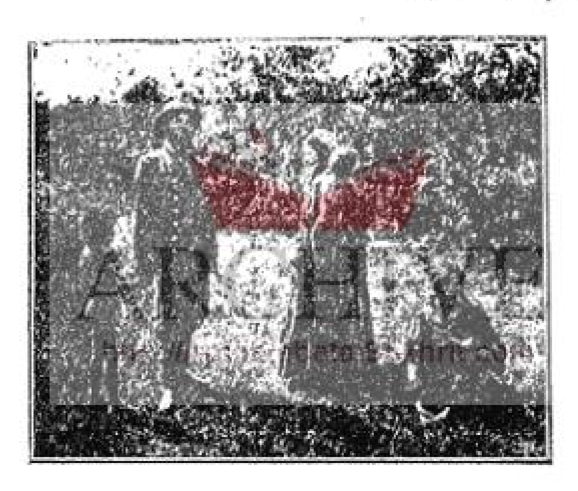
لباس العروس عند السلوفينيين من سكان النمسا

ثم أن كلا من الدولتين تعين كل سنة بعثة (Délégation) مؤلفة من ٦٠ عضواً منهم ٢٠ من مجلس الاعيان و ٤٠ من مجلس العامة للنظر في الشؤون المشتركة بينهما . فيجتمعون مرة في فينا عاصمة النمسا ومرة في بودابست عاصمة المجر وتتداول كل من البعثتين على حدة وترسل قراراتها خطاً الى البعثة الاخرى . فاذا لم يتفق الفريقان بعد ثلاث مباحثات متوالية يجتمع جميع الاعضاء معاً وتؤخذ الاصوات بدون بحث ويعمل بقرار الاغلبية . وفضلاً عن تلك العلاقات السياسية الثابتة فبين الدولتين اتفاقات تجارية تجدد كل عشر سنوات وآخر تجديد لها كان سنة ١٩٠٧

سكانها ومساحتها

تقرب مساحة الامبراطورية كلها من مساحة المانيا . ومساحة النمسا وحدها ٨٨٢ ١١٥ ميلاً مربعاً ومساحة بلاد المجر ١٢٥٦٠٩ اميال . يضاف اليها مساحة مقاطعتي البوسنه والهرسك الملحقتين بنظارة المالية المشتركة في فينا وهي ١٩٧٠٢ ميل مربع . وعدد سكان هاتين المقاطعتين نحو المليونين

ويبلغ عدد سكان النمسا حسب الاحصاءات الاخيرة نحو ٣٠ مليوناً والمجر نحو ٢١ مليوناً . اما من حيث الدين فالحرية مطلقة لجميع الاديان الا ان السواد الاعظم هم من الكاثوليك وعددهم نحو ٣٩ مليوناً



عائلة من الغجر في بلاد المجر

اما شعوبها فليس بين دول الارض القديمة والحديثة دولة اجتمع فيها من الاجناس والمذاهب المختلفة ما اجتمع في النمسا وهذا بيان بالاجناس الموجودة فيها :

الجنس السلافي : ومنه التشيك والبولونيون والروثينيون والسلوفينيون والصرب والكرواتيون والبلغار

الجنس الجرماني : الالمان

الجنس المجري : المجر

الجنس السامي : اليهود

الجنس اللاتيني : الايتاليون والرومانيون

اجناس اخرى : الالبان واليونان والارمن والغجر

واهم الامم القاطنة للبلاد النمساوية المجرية اربعة : الالمان (١٢ مليوناً) فالمجر (١٠ ملايين) فالتشيك وهم سكان بوهيميا (٦ ١/٢ ملايين) فالبولونيون وهم سكان غاليسيا (٥ ملايين) . لكننا اذا نظرنا الى الاجناس وجدنا الجنس السلافي يفوق سائر الاجناس عدداً غير ان السلافيين منقسمون اقساماً مختلفة مشتتة في الشمال والجنوب

الحالة الاقتصادية

البلاد النمساوية من اغنى الاقطار الاوربية وأرضها من اخصب الاراضي . وعلى الاجمال يصح أن نقول ان نصف سكان النمسا وثلثي المجر مزارعون . والاراضي الزراعية هي ٨٩ في المئة من جميع اراضي الامبراطورية . منها ٣٢ في المئة تزرع فيها الحبوب وواحد في المئة كروم عنب و٢٦ في المئة مراعٍ و٢٩ في المئة غابات

وأهم حاصلاتها : (١) الحبوب فانها من أهم صادرات النمسا لا سيما قمح المجر المشهور (٢) البطاطا (٣) التبغ وخصوصاً في بلاد المجر (٤) الكتان والقنب في غاليسيا (٥) النبيذ (٦) حشيشة الدينار وهو نبات يصنع منه البيرة . والبيرة النمساوية من أشهر انواع هذا المشروب في العالم (٧) انواع الفاكهة — ثم ان البلاد النمساوية من أصلح الاقطار لتربية المواشي على انواعها . وخيل المجر من افضل الخيول وأقواها وفي النمسا مناجم يستخرجون منها جميع انواع المعادن الا البلاتين ففيها الذهب والفضة والزيبق والحديد والنحاس والرصاص والزنك وفيها مناجم للفحم أشهرها في بوهيميا ومناجم للملح والكبريت والرخام وغير ذلك ومناجم للبترول في غاليسيا — وفي النمسا صناعات مختلفة ففيها معامل للحديد ومعامل للسكر والزجاج والبورسلين والادوات الكيماوية والآلات العلمية والورق والجلد والحرير والصوف والقطن وغير ذلك

ولعل المجر من اشد الشعوب غيرة على وطنهم . لكن الفقر في كثير من الاحيان يلجئهم الى مهاجرة بلادهم فكثيرون منهم يهاجرون الى الولايات المتحدة

وفي بلاد النمسا مناظر طبيعية جميلة قلما نرى مثلها في غيرها من البلاد الاوربية وفيها مياه معدنية كثيرة يقصدها السياح من كل قطر وأشهر الينابيع المعدنية في مدينتي كارلسباد وماريناباد

واراضي النمسا هي اكثر البلاد الاوربية جبالاً بعد سويسرا ونحو اربعة اخماس أراضيها يعلو ٦٠٠ قدم عن سطح البحر

أما ميزانية الحكومة فهي كما يلي لسنة ١٩١٣

	النمسا	المجر
الايرادات	١٣٠ ٧٢٨ ٣٩٧ جنيه	٨٦ ٣٦٧ ٠٤٣ جنيه
النفقات	١٣٠ ٧١٦ ٧٧٠ »	٨٦ ٣٦٤ ٧٥٨ »

وقد كانت التجارة الخارجية سنة ١٩١٣ كما يلي : واردات ٠٠٠ ٤٣٣ ١٤١ جنيه. وصادرات ٠٠٠ ١٢٩ ١١٥ جنيه

الحالة الاجتماعية

نظرا لتباين الاجناس والالسن والمذاهب في الامبراطورية النمساوية يتعذر الحكم على اهالي النمسا والمجر حكماً اجمالياً من حيث حالتهم العقلية والاجتماعية فهم يتراوحون تراوحاً عظيماً في المشارب والاخلاق والرقي المادي والادبي . وفي بعض المقاطعات نجد الحالة الاجتماعية والتهذيبية منحطة جداً حتى ان عدد الاطفال غير الشرعيين يبلغ في بعض الجهات ٣٠ او ٤٠ في المئة . وعدد المتعلمين ايضاً قليل ففي بعض الفرق النمساوية نجد ٢٢٠٠ جندي لا يعرفون القراءة بين ١٠٠٠٠ جندي حالة كون هذه النسبة لا تزيد في الفرق الالمانية مثلاً على ٣ في كل ٠٠٠ ١٠ نفر

وفي البلاد النمساوية ١١ جامعة عالية ٨ منها في النمسا و٣ في بلاد المجر

الهلال والصليب الاحمران — الشوقي

(جبريل) انت هدى السماء — وانت برهان العنايه
ابسط جناحيك اللذين — هما الطهارة والهدايه
وزد (الهلال) من الكرا — مة و(الصليب) من الرعايه
فهما لربك راية — والحرب للشيطان رايه
لم يخلق الرحمن اكبر — منهما في البرّ آيه
الاحمران عن الدم — الغالي وحرمته كنايه
الغاديان لنجدة — الرائحان الى وقايه
يتألقان على الوغى — رشداً تبيّن من غوايه
يقفان في جنب الدما — كالعذر في جنب الجنايه
لو خيّما في (كربلا) — لم يمنع (السبط) السقايه
او ادركا يوم المسيح — لعاوناه على النكايه
ولنا ولاه الشهد لا الخـ — ـل الذي تصف الروايه

نشوء الحرب

عواملها وتطوراتها

وتأثيرها في تطورات الامم

« الحرب حادث طبيعي فاذا اريد السلم عقدت له معاهدة خاصة » . والسلم امر طبيعي ايضاً فاذا اريدت الحرب نقضت لها معاهدة

السلم معاقب للحرب

﴿ الحرب في الجماد ﴾ الحرب تصادم قوتين او قوات ونتيجتها تتوقف على طبيعة هذه القوات . وابسط ما يمثل الحرب تصادم كرات العاج في البلياردو فاذا دفعت كرتان من جهتين متقابلتين بقوتين متساويتين تراجعتا حسب ناموس رد الفعل وسكنتا حيث تتلاشى قوتاهما . وان كانت قوة الواحدة اشد من قوة الاخرى كانت هذه ابعد عن منطقتها الاصلية من تلك عن منطقتها . واذا دفعت كرة الى كرة اخرى ساكنة دفعتها من مكانها وحلت محلها

وليس الامر كذلك فقط بل اذا تصادمت المادتان بزخم شديد تحطمتا كتصادم قاطرتين من قواطر السكك الحديدية . او تحطمت احداهما اذا كانت اقل صلابة من الاخرى كما لو اصطدم الحجر بالحديد او الحديد بالحجر

في الامثلة المتقدمة اغفلنا قوة ثالثة تعمل في القوتين المتصادمتين وهي جاذبية الارض ولكن اذا راعينا كل قوة عاملة اختلفت النتيجة بعض الاختلاف . فاذا تصادفت مادتان كل منهما في حركة مستقلة فالكبرى منهما تجذب الصغرى . فتى تصادمتا انسحقت الصغرى وانحلت الى عناصرها واندغمت في عناصر الكبرى . واصطدام النيزك بالكرة الارضية اوضح مثال على ذلك . ويمكن ان ينطبق على هذا المبدأ بعض الانطباق اندغام القنبلة في مصفح الحصن . وتلبس الذهب للفضة في الحوض الكهربائي

ونتائج كل اصطدام : اولاً سكون بعض المواد بعد الحركة اذ تنتقل القوة الى المواد الاخرى . وثانياً تغير وضع المواد الاصلي . وثالثاً تغير مقادير المواد . ورابعاً استعداد بعض المواد لاصطدام آخر . وتكوّن الاجرام السموية أوضح الامثلة على ذلك ولا سيما ما تجمع منها من منثورات بعض النيازك في رأي بعض الطبيعيين

﴿ التصادم في الحياة الدنيا ﴾ ترى التصادم والاندغام أوضح في الاجسام الحية

التي تلعب فيها القوة أدق أدوارها كالاميبا مثلاً فهي جرثومة ميكروسكوبية ذات خلية واحدة جلاتينية القوام تتحرك بتمديد جوانبها وتقلصها . فاذا صادفت الجرثومة الواحدة منها جرثومة أخرى مثلها فلا تتجاوزان حدّ التماس . ولكن اذا صادفت الواحدة منها جرثومة من النوع المسمى « داي أتوم » (Diatom) (وهي أصغر من الاميبا ومن نوع غير نوعها . وشكلها كشكل حبة الشعير) صادمتها فتدخل هذه في تلك أو بعبارة اخرى مجازية تلتهم تلك هذه وتهضمها . وتتحول الصغيرة الى مادة تتمثل في الكبيرة وتصبح جزءاً منها — فما اشد شبه تصارعهما بتصادم النيزك والارض

﴿ التصادم في المجماوات ﴾ دعنا نرقى درجة أخرى في تحليل التصادم

اذا صادف ثعلب قطاة افترسها وهضمها فتتمثل فيه كما تمثلت « الداي اتوم » في « الاميبا » . ولكن اذا صادف ثعلب ثعلباً فلا يختصمان الا اذا وقعت بينهما قطاة واحدة فاقتواها يلتهمها وربما قتل الثعلب القوي الثعلب الضعيف لكي يستأثر بالقطاة . واذا صادف الثعلبان قطاتين او سرباً من القطا فيسطو كل منهما على واحدة . واذا كان القطا كثيراً تحالفت الثعالب على القطا وافترست منها ما تحتاج اليه لغذائها . وهكذا ينمو قطيع الثعالب ويتوالد ويتكاثر على حساب سرب القطا . وهذا يقل لاندغام بعضه في الثعالب من طريق التغذية . ولا تختصم الثعالب الا اذا قلّ القطا عن حاجتها ولم تجد سواها مسترزقاً . وقد يعثر على سرب القطا قطيع من الذئاب فينازع قطيع الثعالب مسترزقه هذا ويحدث بينهما صدام قد يفضي الى هلاك بعض الثعالب . وهكذا تقل الثعالب لقلة غذائها وتقل القطا لهلاك بعضها بين انياب الذئاب بينما الذئاب تنمو وتتكاثر

نرى فيما تقدم نفس نتائج الصدام المذكورة آنفاً — أولاً ان بعض الثعالب اصبحت جيفاً ساكنة بعد ان كانت ابداناً متحركة ثم بليت وذهبت عناصرها في مواد الطبيعة الاخرى وثانياً أن الذئاب تجاوزت منطقتها وطردت الثعالب من منطقتها وطاردت القطا في كل منطقة الى أن تجد هذه ملجأ لها في الجبال الوعرة حيث يقل غذاؤها . وثالثاً ان قطيع الذئاب نما وتكاثر وسرب القطا قلّ . ورابعاً أن قطيع الذئاب استعد لحملات أخرى على أسراب أخرى من القطا او غيره .

﴿ ناموس التصادم العام ﴾ وحاصل ما تقدم ان القوة تتردد في المادة لتجمّع أجزاءها . فتتجاذب أجزاء المادة المتفرقة وتتصادم لتتجمع في كتل . وذلك باندغام الصغير في الكبير والقليل في الكثير والضعيف في القوي . ولكن لا يستفاد من هذا القول أنه متى تجمعت الاجزاء في كتلة يستتب امن الكتلة وتبقى على حالها . كلاً بل تبقى

الكتلة نفسها عرضة لان تحل عند الصدام في كتلة اخرى لاجل تكوين كتلة ارقى

﴿ فعل هذا الناموس في تكوين الامم ﴾ وبفعل هذا الناموس تكونت القبائل والاسباط والامم والممالك . وهذا الناموس يقضي بحدوث صدام عند تكوين كل جماعة او عند تجديد طور من اطوارها . والحرب صورة من صور الصدام . ولكن ليس كل صدام حرباً فقد تصطدم جماعتان باساليب اخرى ويجدد طورها من غير ان تقتتلا كما سيتضح فيما يجيء من هذا البحث

على ان علة كل حرب انما هي عمل القوة في تجميع العناصر القومية . ومعلول الحرب انما هو حدوث هذا التجمع . تارة باندغام جماعة بجماعة وتكون جماعة جديدة منهما . وفي التاريخ شواهد كثيرة على هذا الاندغام . وطوراً بنمو جماعة وانقراض اخرى كنمو العنصر الانجلوسكسوني في اميركا الشمالية وقرب انقراض العنصر الاميركي الاصلي (هنود اميركا) . واحياناً بانفراط عقد بعض الجماعات قبل ان يتم اندغام اجزائها المختلفة لتكوين جماعات جديدة . كانفصال العنصر الانجلوسكسوني في اميركا عن المملكة الانكليزية وتكونه في جماعة واحدة هي امة الجمهورية الاميركية . وكانفصال ولاية لوزيانا (في اميركا) (واهلها فرنساويون) عن فرنسا واندغامها في هذه الجمهورية . وقد تم هذا الانفصال بالمساومة والاتفاق وبلا حرب . وكانفصال فرنساويي كندا عن فرنسا والتحاقهم بهذه المستعمرة الانكليزية وهي حكومة قائمة بنفسها الآن ولا سلطة لانكلترا عليها اكثر من سلطة الحليف الاكبر على الحليف الاصغر

﴿ القوة الاقتصادية عامل الحروب ﴾ بقي ان نعلم ماهية هذه القوة التي تعمل في الجنس البشري لتجميعه امماً في اطوار متعاقبة تأول تدريجاً الى تجمع الامم بعضها الى بعض في امم اكبر . وقد كتب ادورد فانديك روبنسون في مجلة العلم السياسي مقالة ضافية تحت عنوان « الحرب والاقتصاد » ابان فيها ان العامل الخطير في الحروب هو القوة الاقتصادية . فرأينا ان نقتطف من مقالته ما يهمنا في هذا الموضوع فكلما يرد في هذه المقالة بين علامتي الاقتباس هو لهُ :

﴿ العامل الاقتصادي الطبيعي ﴾ « الحرب حالة طبيعية بين القبائل التي تعيش على الحاصلات الطبيعية التي لابد للانسان من استخراجها . ذلك لان قلة القوت تستوجب طلب المزيد من الارض لاعالة كل قبيلة . فاذا لم تتحوَّل طبيعة الاقلية دون زيادة السكان فدوائر الاسترزاق التي تشغلها القبائل المتعددة تتسع حتى يقاطع بعضها بعضاً وبالتالي تشب الحرب بين القبائل وتنتهي بفناء أضعفها حتى يعود التكافؤ بين القبائل

وأرزاقها الى حاله الاصلية . على أنه في هذه الحالة الاقتصادية لا تكون الحرب شغلاً فقط بل تكون كحرفة أيضاً — الشغل الوحيد الذي تحصل به القبيلة الجشعة رزقها . ولذلك لا يمكن أن تبسط القبيلة الظافرة ظلها ما لم تقلص ظلال القبائل الاخرى الصغرى امامها لان الاحوال الاقتصادية تضع حدّاً لنمو السكان في صقع معين . وقد تنهض قبائل وتسقط أخرى ولكن وسيلة التعيش القديمة لا تتغير . اذاً كيف يمكن التمدن أن يتملص من هذه الدائرة الشريرة ؟

﴿ دور الخروج عن الطبيعي الى الصناعي ﴾ « هذا سؤال لم يجب عليه أحد حتى الآن جواباً مقنعاً . على ان أذكى النوابغ لا يستطيع أن يفعل امراً أفضل من ان يسد الحاجة بما هيأته البيئة . ومن خواص الطبع البشري أن لا يجنح الى خطة جديدة ما لم يحقق الخطة القديمة . اذاً ماذا كانت الاحوال التي قضت بابتداع الوسائل الصناعية لتحصيل الرزق ؟

« ولا يخفى أنه قبل الجنوح الى الوسائل الصناعية كان القوت الذي تقدمه الطبيعة من غير تعب الانسان قد أصبح اقل من الكفاف والحرب التي كانت الدواء الوحيد لداء الفاقة لم تعد تقضي لبانة . والمتبادر الى الذهن لاول وهلة ان هذين الامرين كانا يقعان للقبائل التي تفشل في ساحات القتال . وقد يتراءى لنا أننا اكتشفنا سرّاً آخر من أسرار فوائد النكبات . على أنه في عهد الحروب الهمجية كان يندر أن تخرج القبائل المكسورة من الحرب وعدد نفوسها يربو عما تحتمله منطقة مسترزقها . بل اذا زاد عددها او اذا ارتدّت الى منطقة أقل رزقاً من مسدّ حاجتها كانت تنشغل بالدفاع عن صقعها عن استنباط الوسائل الصناعية لتحصيل رزقها . وبدلاً من أن تزيد هذه القبائل موارد رزقها كانت تلجأ الى ايقاف نموها بالاساليب المختلفة كقتل الاطفال ونحوه مما كان يكثر عند القبائل الضعيفة ولا سيا التي لم يكن في وسعها أن تسود القبائل المجاورة . اذاً لم تكن الوسائل الصناعية للحصول على الرزق من مخترعات القبائل المكسورة في الحروب ولا من مخترعات القبائل المنتصرة لان غنائمها تغنيها عن ذلك . وانما هي من مخترعات القبائل المتعادلة في القوة أو التي تحول حدود البيئة دون غزوها لغيرها وغزو غيرها لها فتضطر أن تطلب الرزق من وسيلة غير الحرب . وعلى هذه القاعدة تنطبق سائر درجات الرقي في العالم الاقتصادي . وحاصل القول ان الرقي الصناعي انما هو نتيجة التنازع الحاد الذي تعد الحرب أشد صوره

﴿ دور رعي الماشية ﴾ « اما كون الدور الثاني في تحصيل الرزق الزراعة او رعي

المواشي فتوقف على طبيعة البيئة . ففي البلاد الفسيحة الخصبة التي تكثر فيها الحيوانات الداجنة تعكف القبيلة على تربية المواشي . وان كانت الماشية قليلة والمرعى غير خصيب عكفت على الزراعة . ولكن اذا تيسر الامران معاً اقتصرت على تربية المواشي لانها اسهل . ولما كانت تربية المواشي تزيد مورد الرزق فعدد النفوس يزداد بنسبة ذلك . وبينما تكون القبائل الغازية عاملة على تشتيت نفسها تكون قبيلة الرعاة ميالة الى الائتلاف للتعاون على حماية مراعيها وقطعانها والى النظام العائلي الذي يكون فيه رب الاسرة حاكما وحكماً . ولهذا متى كانت القبائل العائشة على الغزو معولة على حروب غير نظامية تكون قبيلة الرعاة منظمة حملات الدفاع على قواعد حربية راقية بقدر رقيها وفي طاقتها حينئذٍ ان تغزو وتفتح فتوحات ضخمة . على انها تعمد الى الفتح حين تدفعها الاحوال الاقتصادية الى ذلك كأن تنمو الى حد ان تضيق منطقتها بها . اذاً الحرب نتيجة العامل الاقتصادي لقبائل الرعاة كما هي للقبائل الغازية . ذلك لان القبيلة تعيش على الماشية والماشية على نبت الارض والارض النابتة حدود . ولما كانت هذه القبائل سريعة النمو لان موارد رزقها اوفى من ارزاق القبائل الغازية ولان نظامها يسهل لها العيشة فلا يلبث عدد نفوسها ان يربو على ما تحتمله منطقتها . وفي هذه الحال اذا أمحلت الارض وقل المرعى لاي سبب اضطرت القبيلة ان تهجر ارضها الى ارض اخرى انتجاعاً للكلإ فتندفع كلها دفعة واحدة كالسيل العرم

﴿ دور الزراعة ﴾ « ومتى انحصرت قبيلة الرعاة ضمن حدود يتعذر عليها ان تجاوزها او اذا صدها اعداؤها عن تجاوز حدودها فمتى ازداد عدد نفوسها اضطرت ان تعكف على الزراعة ايضاً فضلاً عن تربية الماشية كما فعل الجرمان قديماً وراء الحدود الرومانية اذ صدهم الرومان . وكما فعل المصريون والكلدانيون والصينيون واهل بيرو واهل مكسيكو اذ كانت الحدود الطبيعية كالجبال والصحاري ونحوها تقف سدوداً في سبيل نزوحهم وتدفقهم الى المناطق التي وراء مناطقهم فاضطروا الى الانعكاف على الزراعة للقيام باود عديدهم المتزايد . والحدود الطبيعية التي كانت تصدهم عن النزوح كانت في الوقت نفسه تحميهم من غزوات الاعداء في اوائل عهد تحضرهم حين كان الافراد متفرقين في الارض وعرضة للوقوع بكل سهولة في ايدي الغزاة

﴿ نشوء النظام العسكري ﴾ « ويظهر أن هذه الحدود الطبيعية التي لا تخترق تفيد نشوء التمدن كما ان السبل الموصلة الى البلاد تسهل انتشاره . على أن الدفاع عن النفس حتى في البلاد التي تحميها حدودها الطبيعية يستلزم أخيراً توزيع العمل والتمييز

الاجتماعي بين طبقات القوم . وقد وجد مثل هذا التوزيع بين « السواف » حيناً من الزمان فكان الرجال يتناوبون الفلاحة والذهاب الى الحرب مناوبةً . وبعد هذا الطور نشأ دور النظام العسكري فتعينت طبقة الجنود الدائمين . ونظام تقسيم الشعب الى طبقات مختلفة الخواص تتوارثها هذه الطبقات توارثاً انما هو أمر قضت به الحاجة الاقتصادية في أوائل النشوء حين كانت العائلة هي المدرسة الوحيدة لتعليم الفنون الصناعية وهو أيضاً نتيجة الفتح الذي يورث عبيداً ورعايا يعملون في خدمة القوم الحاكمين كما كان لعهد حكومة سبارطا . وقد جرى هذا النظام قديماً في جميع الامم الشرقية على الخصوص . ومعظم الممالك التي زهت في القديم قامت على هذا النظام فكان في الواحدة أدق منه في الاخرى . وفي جميع هذه الممالك لم يكن الفتح غايتها المبدئية بل غرضها الرئيسي . وفي مثل تلك الاحوال لم يكن غير هذا الغرض ممكناً لان قلة المعارف العلمية وعدم معرفة النظام الاجتماعي ضيقا نظام توزيع العمل وجعلا الزراعة فضلاً عن الصناعة قليلتي الثمرة . ولذلك لم يكن بد من ان ازدياد السكان الطبيعي يستلزم شعور القوم بعجز الحاصلات عن سد الحاجة . فهل يطلب الفرج من غير الفتح وفيه الغنائم والرعايا التي تؤدي الجزية ؟ — الى الفتح تلجأ جميع الامم بحكم الطبيعة .

« فالفتح اذاً ضرورة اقتصادية للعائل الزراعية كما هو للرعاة لانه قد يأتي وقت تضطر فيه الامة أن تسطو على الاراضي الاجنبية لاعالة الشعب . واذا لم يكن العمل مقسماً بين الامم بحيث يمكن تقايضها حاصلاتها ومصنوعاتها فالوسيلة الوحيدة للحصول على هذه الغاية انما هي الحرب . واتساع نطاق التجارة واستخدام النقود للمقايضة لا يزيلان جميع أسباب الحرب وانما يمكن ان يمدا أجل السلم الاهم اذا امكن حسم المناظرات التجارية . على ان ذلك لم يكن ممكنا في الحالة الاقتصادية الطبيعية التي اختصت بها الامم الشرقية . وذلك ما يعلل أسباب الفتح في العالم القديم »

فيما تقدم تعليل موجز لنشوء الحرب بباعث الحاجة الاقتصادية في أوائل تكون الهيئة الاجتماعية أي في عهد البداوة وقبيل عهد التحضر . ومنه يفهم القارىء ان أساليب الصدام التي تحدث في أوائل عهد الاجتماع البشري تنطبق كثيراً على أساليب الصدام التي تحدث بين العجماوات وبين الاحياء السفلى وحتى بين أنواع الجماد . وفي المقالة القادمة نقتطف ما كتبه فانديك روبنسن عن عامل الحاجة الاقتصادية في الامم المتحضرة والمتمدنة وثم نطبقه على ناموس تصادم القوى الذي بسطناه في هذه المقالة

نقولا الحداد

اغرب مدينة في العالم

لاسا عاصمة التيبت

لا يزال في الشرق مجاهل عديدة لم يرتدها السياح ولا جابوا مسالكها اما لبعدها عن معالم الحضارة او لكون ابوابها موصدة في وجوه الاجانب فلا يؤذن لهم في دخولها وتفقد مجاهلها . ومن هذه البلاد مملكة تيبت الغربية فقد كانت منذ اقدم الازمنة موصدة في وجوه الاجانب لا يؤذن لاحد في الاقتراب من حدودها . ولكن الاحوال تغيرت بمرور الزمن فقد بلغ عدد السياح الذين جابوا تلك البلاد ووقفوا على شيء من احوالها نحو عشرة في القرن الماضي . على ان معظمهم لم يستطيعوا التوغل في داخل المملكة لاسباب عديدة اهمها : (اولاً) انهم لم يكونوا يبلغون تيبت الا بعد شق النفس واجتياز قفار دونها خرط القتاد فلا يستطيعون اذ ذاك الاستمرار على ارتياد البلاد الداخلية (وثانياً) ان الاهالي لا يزالون يكرهون الاجانب ولا ينظرون اليهم نظر الاخلاص . لذلك لم يستطع اولئك السياح ان يقفوا على احوال القوم ويطلعوا على نظامهم العمراني

واهم مدن تيبت هي عاصمتها « لاسا » ومعناها مقر القداسة او الحكمة وفيها « الدالي لاما » (اي بحر الحكمة) وهو كالبابا في مقامه الديني . ولما كان الدين يتخلل سائر نظامات البلاد كان للدالي لاما المقام الاول في المملكة فهو الآمر الناهي وسلطته غير محدودة على ارواح العباد الا في بعض احوال سترد الاشارة اليها

مدينة لاسا

يؤخذ من المصادر التاريخية الموثوق بصحتها ان أول من زار مدينة لاسّا من الاوربيين سائح من مدينة بوردونة يدعى اودريك وذلك في سنة ١٣٢٨ للميلاد وكان راجعاً من الصين الى أوربا فعرّج على لاسّا متنكراً ولكنه خشي ان ينكشف أمره فاسرع وبرح منها . وبعد ذلك بنحو ثلاثة قرون ونصف أرسل الاباء اليسوعيون مبشرين لدعوة الاهالي الى الديانة المسيحية . وفي النصف الاخير من القرن الثامن عشر أوصدت الابواب في وجوه الاجانب مرة أخرى ولكن في سنة ١٨١١ تمكن « هوك » الانكليزي من الدخول الى هناك خفية وجاراه « غابت » في سنة ١٨٤٤ . ومنذ عشر سنوات (في سنة ١٩٠٤) جردت انكلترا حملة عسكرية على تيبت فدخلت

مدينة لاسا وكان من وراء ذلك ان انفتحت الابواب في وجوه الاجانب وانكشف كثير مما كان محتجباً وراء ستار من الاسرار

ان مدينة لاسا قائمة في سفح واد جميل المنظر يبلغ طوله نحو ستة عشر ميلاً ويتراوح عرضه بين ميلين واربعة أميال ويعلو نحو ثلاثة عشر الف قدم عن سطح البحر . أما هواء المدينة فمعتدل والاهالي يزعمون ان مدينتهم أجمل مدن العالم طراً

ولهذه المدينة مدخلان — أحدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب . ويمتد من أحدهما طريق الى الصين . ومن الاخر طريق الى الهند . ويخرج من المنفذ الشرقي نهر يسمى كيشو ويتعرج في الجزء الجنوبي من الوادي حتى ينضم الى نهر براهمابوترا وهو من اهم انهار العالم

والقادم الى لاسا من الطرف الغربي يرى منظراً جميلاً يأخذ بمجامع القلوب فمن قباب مذهبة وابنية غريبة الى حدائق غناء ومشاهد رائقة لا يمكن ان تزول آثارها من المخيلة



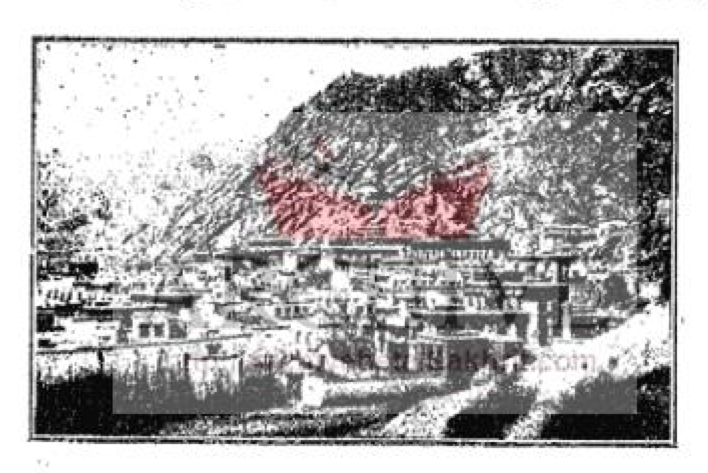
قصر الدالي لاما

وتختلف هذه المدينة عن مدن الشرق عادة بكونها غير مسورة ويحيط بها من الخارج شارع مستدير يمتد على بضعة اميال . ولا يتوهمن القارىء ان المدينة كبيرة فانها لا تجاوز الميلين طولاً والميل عرضاً وليس فيها من السكان سوى عشرة آلاف نفس . ولكن يقصدها الحجاج البوذيون من سائر الاطراف ليؤدوا فيها فريضة الحج . وليس حول المدينة حصون طبيعية على الاطلاق سوى نهر « كي » الى الجنوب ومرتفعات « بوتالا » الى الغرب . وللمدينة بوابة كبيرة ذات قبة مذهبة ومبنية على طرز غير معروف الا في بلاد تيبت

قصر اللاما

ولا شك ان اعظم ابنية المدينة هو قصر الدالي لاما وهو عند التيبتيين بمثابة قصر الفاتيكان عند الكاثوليك وابوابه مفتوحة لجميع الحجاج الذين يقصدونه ليؤدوا فيه فرائضهم الدينية

والبناء أشبه بقلعة منه بقصر فهو قائم على هضبة بوتالا عند الطرف الغربي من المدينة ويبلغ ارتفاعه عن سطح المدينة نحو اربعة الاف قدم وطوله الف قدم وفيه اربع مئة وتسعون غرفة والف وثلاث مئة وثلاث وثلاثون نافذة . وهو مبني من الحجر ومبيض من الخارج ما عدا نصفه الاعلى فانه مصبوغ باللون القرمزي



دير من اديرة لاسا

ويسكن « البوذا الحي [١] » في وسط القسم الاعلى من القصر . أما سائر الغرف والقاعات ففيها الخزينة والهري [٢] وموضع للصلاة وغرف للنوم تسع نحو ثلاث مئة وخمسين ناسكا من نساك اللاما . وهنالك ايضاً مقدس فيه نواويس « البوذاوات الاحياء » السابقين

وأمام القصر مسرح للراقصات وعلى مدى منه ابنية عديدة منها ما هو حوانيت للبيع والشراء ومنها ما هو هياكل للعبادة

وقد جاء في أساطير القوم ان بناء قصر اللاما استغرق الفاً ومئتي سنة ولم يفرغ المهندسون منه الا منذ مئتي سنة . وقد قلنا ان له قباباً مذهبة وان جدرانه من الخارج

(١) المقصود من « البوذا الحي » خليفة بوذا وهو الدالي لاما نفسه (٢) الهري (وجمعه اهراء) بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان

مصبوغة باللونين الابيض والقرمزي ولذلك فالناظر اليه عن بعد وهو محاط بحدائق غناء يغبط ساكنيه على ما هم فيه من نعيم وهناء . ولا شك ان قصر اللاما من افخم آثار الهندسة الشرقية . ولكنه على رغم ما يبدو عليه من ثوب العظمة والجلال من الخارج تراه من الداخل بالوعة اقذار تتصاعد منها روائح كريهة . وما ذلك الا لان معيشة القوم ونظاماتهم الاجتماعية مما لا يبقي أثراً للنظافة عندهم

الهيكل الاكبر

يرى الداخل الى لاسا هيكلاً فخماً قائماً في وسط المدينة تزينه القباب المذهبة والشرفات المزخرفة وهو في الحقيقة عبارة عن دير يأوي اليه نساك اللاما ويسمونه « شوكا ».



نائب الدالي لاما وهو اعلم اهل زمانه

ويختلف عن سائر أديرة تيبت بكونه مؤلفاً من عدة ابنية ذات طبقة واحدة كاغلب اديرة الصين . ويقال ان الاميرة ون شنغ الصينية هي التي بنته وكانت قد تزوجت سترونغ زان ملك تيبت . وهذه الاميرة اول من أدخل الآداب الصينية الى تيبت وعلّمت الاهالي الحياكة والزراعة . وكان التيبتيون يحبونها ويحترمونها حتى انهم الّهوها بعد موتها واقاموا لها في هذا الهيكل تمثالاً لعبادتها . وهم يجتمعون كل سنة في يوم ميلادها ويؤدون لها الفرائض الدينية اعترافاً بفضلها واقراراً بجميلها . وفي مساء ذلك اليوم تنار المدينة بانواع فوانيس صينية ملونة

ولعل أهم ما في هذا الهيكل تمثال ضخم لبوذا يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثين قدماً وهو مغشى بالذهب ومرصع بالحجارة الكريمة من لآلئ ومرجان وفيروز . وقد صنع في الصين وأُتي به من هنالك بطريقة غير معروفة . على ان الاهالي يدّعون ان الآلهة حملته الى تيبت ليلاً

وهنالك تمثال آخر ملوّن بخمسة الوان ويعتقد القوم انه صنع في السماء وأُنزل الى الارض



دواليب الصلاة الهوائية

ومما يستحق الذكر ان هذا المعبد مزدحم بالجرذ والفيران والاهالي يعبدونها ولا يمسونها باذى لانها مقدسة في نظرهم

وللهيكل مقدس في وسطه يشبه قدس الاقداس في خيمة الاجتماع الاسرائيلية وفيه تمثال لبوذا ولا يجوز لاحد ان يدخل اليه الا للدالي لاما

اديرة لاسا الثلاث

اكبر اديرة تيبت هو دير دوبون الواقع على بعد سبعة اميال الى غربي مدينة لاسا وهذا الدير قائم في مضيق وعر . ونظراً لكبره واتساعه يظنه الرائي عن بعد اشبه بمدينة صغيرة منه بدير . وهو في الحقيقة مجموعة ابنية يتخللها بستان جميل جداً يقصده الدالي لاما لتمضية اشهر الصيف . ويقيم في هذا الدير سبعة آلاف وخمس مئة « لاما » (ناسك او كاهن) وفيه ايضاً قبر الدالي لاما السابع ومن خرافات القوم انه لا يزال حياً في قبره على رغم كونه قد مات منذ عقود كثيرة من السنين

وتجاه هذا الدير كعبة للعرافة تخص الحكومة ويقيم فيها الكهنة ليجيبوا على الاسئلة

العديدة التي يلقيها عليهم الحجاج من كل حدب وصوب . سواء كان فيما يختص بامور المستقبل أو احوال المعيشة او خلافها . ويقال ان مدير هذه الكعبة وُلد من شجرة

وفي شمالي المدينة دير سيرا ويعرف ايضاً بدير التل الذهبي وهو قائم على مرتفعات تشرف على المدينة . وهذا الدير يلي دير دوبون في كبره واتساع مساحته ويقيم فيه خمسة الاف وخمس مئة لاما (اي ناسك) واهم ما يعبدونه صنم لبوذا يدعى « زونك كابا » ويقال ان له وجهاً شبيهاً كل الشبه بوجه انسان حي وهو يمسك بيده صولجاناً يقال ان البوذا ورثه من السماء . ولهذا الدير شهرة عظيمة بين قبائل المغول فانهم يقصدونه من



نوع آخر من دواليب الصلاة

ابعد الامصار ليقدموا له فروض عبادتهم وشعائرهم الدينية . وكثيراً ما ينضم بعضهم الى كهنة هذا الدير ويفضلون الاقامة به على الرجوع الى اوطانهم . ومنهم البرنس كونغ احد امراء المغول فانه قدم مرة لتأدية فروض العبادة فيه ثم دخل في سلك الكهنوت ولما توفي اندمج في ذات الاله بوذا فخرجت من جبهته اعجب لؤلؤة . وعباد بوذا يتقاطرون من كل اقطار العالم ليتبركوا برؤية هذه اللؤلؤة

اما الدير الثالث فيُعرف بدير جاندان وهو الى شرقي المدينة ويقيم فيه نحو الفين من اللاماوات اي الكهنة البوذيين . فمجموع اللاماوات في الاديرة الثلاثة نحو خمسة عشر الفاً اي انهم جيش كبير لا يستهان به والواقع انهم متسلطون على شؤون البلاد يتصرفون بها كما يشاؤون وقد يعجز الدالي لاما نفسه عن مقاومتهم . ومما يزيد في نفوذهم ان الدين يتخلل جميع نظاماتهم الاجتماعية والسياسية . وقلما تجد في تبيت عائلة ليس فيها

شخص او شخصان من كهنة اللاما . ويقال ان ثلاثة ارباع الشبان هم من الكهنة والباقون يقومون باعمال متنوعة

ومن الوسائل التي يعمد اليها اللاماوات للمحافظة على سلطتهم الدينية والمدنية ابقاؤهم العامة في ظلمة الجهل والغباوة فان القوم كلهم تقريباً اميّون يجهلون القراءة والكتابة ويعتقدون ان تعلم هذين الفنين لا يسوغ الا للاماوات ولا ينفع احداً سواهم ولذلك ترى الخرافات منتشرة بينهم انتشاراً هائلاً

دولاب الصلاة

والصلاة عند اهالي تيبت مقام عظيم فانهم يؤدونها في احوال متعددة ويعتقدون ان اهمالها او نسيانها خطية عظيمة . وقد لجأوا الى وسيلة غريبة تمكنهم من تأدية هذا الفرض بدون انقطاع وهو انهم يستخدمون لاجلها دواليب يسمونها دواليب الصلاة . وكل دولاب عبارة عن اسطوانة مجوفة فيها ادراج مكتوب عليها صلوات متعددة . وللاسطوانة محور تدور عليه بواسطة اليد . وقد يلجأون الى ادارتها بواسطة الريح وذلك بان يجعلوا للاسطوانة زعانف شبه اجنحة ثم يعلقونها من محورها فيدفع الهواء اجنحتها ويديرها دوراناً مستديماً . ويعتقد القوم ان صلواتهم تظل بهذه الطريقة مستديمة . ويزعمون ان تحرير النفس من ربقة الخطية يتم بان يدور الانسان حول مدينة لاسا عدة مرار وهو يصلي ويدير دولاب الصلاة

وقد يلجأون الى ادارة الدواليب بواسطة الماء الجاري وذلك بان يعرّضوا زعانف الاسطوانة للماء فيدور دولاب الصلاة . ومن طاف بتيبت رأى الجماهير العديدة من هؤلاء المصلّين يديرون دواليبهم ويتممون صلواتهم . ولما كان الاهالي مشهورين بالكسل وحب البطالة فلا يبعد ان يكون ذلك سبب التجائهم الى دواليب الصلاة

المآتم وشؤون أخرى

وللتيبتيين مآتم غريبة ليس لها ما يماثلها عند غيرهم من شعوب الارض قاطبة . وهم يحرقون جثث اللاماوات من اصحاب المقامات العليا . ويطرحون جثث العامة غالباً على قمم الجبال لتنهشها النسور والغربان . وهنالك عادة أغرب وافظع وهي انهم يقطعون جثة الميت أرباً أرباً ويدقونها مع العظام حتى تشبه العجين ثم يمزجونها بدقيق الشعير ويطعمونها للكلاب . وقد اعتادت كلابهم هذه الوليمة ولذلك تراها اذا مات أحدهم

تجتمع من تلقاء ذاتها صفاً طويلا تنتظر نصيبها من تلك الوليمة

ولعل تيبت اغنى البلاد بالكلاب والقوم يعتقدون ان البشر يمسخون كلاباً بعد موتهم ولذلك يعبدونها ويعتبرونها ملكاً عاماً للامة

ومن غرائبهم ايضاً انهم قد يطرحون جثث موتاهم في النهر المقدس . فمتى حملها النهر الى موضع آخر انتشلها بعضهم وقطعها ارباً ارباً فيصنع ابواقاً من عظام الفخذين وطاسات او طبول من عظام الجمجمة

بقي أن حكومة تيبت تحت سلطة الدالي لاما وسلطته سياسية ودينية معاً ويساعده في الحكم مستشاران تعينهما حكومة الصين مرة كل اربع سنوات . وقد كان هذا النظام جارياً في عهد الامبراطورية الصينية ولا نعلم هل بطل أم لا يزال سارياً حتى هذا اليوم . ويظهر ان سلطة المستشارين عظيمة جداً حتى لايجسر الدالي لاما على مقاومتها . ويلي الدالي لاما في المقام نائبه ويجب ان يكون اعلم اهل زمانه . ويليه اربعة وزراء يجب ان يكون احدهم لاما والباقون علمانيين

وهنالك موظفون آخرون نضرب عنهم صفحاً لضيق المقام

الجنود والتدخين

قرأنا في احدى المجلات قطعة بهذا العنوان نقتطف منها ما يأتي : ظهر بالاختبار ان التدخين ضروري للجنود كالقوت وقد كان كثيرون من القواد العظام يمنعون جنودهم من التدخين ومنهم ولنجتن . لكن القواد اليوم لا يترددون في الاقرار بمنافع التدخين للجنود فقد وجدوا ان الجنود الذين يدخنون باعتدال اقدر من سواهم على احتمال المشاق والمثابرة على القتال وان يكن رميهم اقل دقة . وقد دلت حرب سنة ١٨٧٠ بين فرنسا وبروسيا حسب اقوال بعض الثقات في الفنون الحربية على أن انكسار الفرنساويين نشأ عن افتقارهم الى وسائل الراحة ومن اهمها التدخين بينما كان التبغ من اهم مؤن الجنود الالمان حتى ان العائلة المالكة شرعت في ذلك الحين باكتتابات عمومية لارسال التبغ الى الجنود في ساحة القتال

يستعمل الفريقان في هذه الحرب بعض الاوائل والوسائل الحربية القديمة منها استعمال المفرقعات التي ترمى باليد فتنفجر عند الاصطدام . ويستعملون احيانا نوعا من المنجنيق لرميها

نقص تاريخ آداب اللغة

والعلوم التاريخية عند العرب

من محاضرات المستشرق الشهير الاستاذ نللينو في الجامعة المصرية (٢)

أتينا في الهلال الماضي على البحث الخاص بتعريف تاريخ الاداب من محاضرات الدكتور نللينو ونتبعه الآن بالكلام على نقصان تاريخ الاداب العربية والعلوم التاريخية عند العرب وهو من أهم الموضوعات وأحدثها في هذه المحاضرات النفيسة التي نتابع نشرها في الهلال بعد ان اذنت لنا الجامعة المصرية بذلك رغبة في الفائدة العامة

توسع العرب في كتب التراجم

لا يخفى ان تاريخ الاداب علم حديث ابتدعه الايطاليون في القرن الثامن عشر للميلاد فكان لا يزال في بلاد الشرق مجهولاً الى وقتنا هذا . ولقد توسعت العرب أي توسع في تأليف الكتب المحتوية على تراجم الشعراء والادباء والعلماء وذهبوا في ذلك مذاهب شتى تدل على تفننهم العجيب في هذا النوع من التصنيف . فكتب العرب من هذا القبيل نوعان : عامة ، وخاصة

﴿ الكتب العامة ﴾ فالكتب العامة تحتوي على تراجم جميع المشاهير على تباين أوطانهم وأزمانهم وعلى اختلاف علومهم وصنائعهم. فاتبعت العرب في تدوينها ثلاث طرائق:

(١) لانهم اما اعتبروا الاسماء فرتبوها على حروف الهجاء وهو منهج ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات وصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي في الوافي بالوفيات

(٢) أو اختاروا الانساب فرتبوها على حروف المعجم أيضاً وهو مسلك عبد الكريم السمعاني في كتاب الانساب

(٣) أو ذكروا التراجم على توالي ازمنة الوفيات كما هو الواقع في تواريخ ابي الفداء وشمس الدين الذهبي وابن كثير وغيرهم .

﴿ الكتب الخاصة ﴾ اما الكتب الخاصة فاصناف كثيرة :

(الصنف الاول) منها ما وضع لذكر من اشتهر في علم أو فن مخصوص وذلك على اربع طرائق :

(١) باعتبار مجرد ترتيب الاسماء على حروف الهجاء وهو المألوف في كتب رجال الحديث وفي بغية الوعاة للسيوطي ومعجم الادباء لياقوت الحموي وتاريخ الحكماء لابن القفطي

(٢) او باعتبار مجرد ازمنة الوفيات وهو مذهب ابي البركات عبد الرحمن بن الانباري في كتاب نزهة الالباء في طبقات الادباء

(٣) أو بذكر المشاهير عصراً عصراً مهما كانت المدة المعينة لكل عصر ويحفظ ترتيب الاسماء على حروف المعجم في كل عصر وهو الغالب في كتاب طبقات المحدثين والمفسرين والفقهاء

(٤) وربما اعتبروا ايضاً اختلاف الاوطان في كل حرف من كل عصر كما اتفق في كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ، أو بدون ترتيب كما فعل صاحب كتاب الاغاني .

و (الصنف الثاني) من الكتب الخاصّة ما أفرد منها لتراجم من نبغ في كل علم أو فن مخصوص في قرن مخصوص أعني بحصر الزمان والفن معاً . فالمألوف في هذا الصنف من الكتب ان ترتب التراجم على البلدان كما هو منهج يتيمة الدهر للثعالبي ودمية القصر لعلي الباخرزي وخريدة القصر لعماد الدين الكاتب الاصفهاني .

و (الصنف الثالث) ما وضع في ذكر مشاهير قطر أو مدينة فقط سواء كانت التراجم مرتبة على حروف المعجم كما وقع في تاريخ بغداد لابي بكر الخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر ، او على سني الوفيات كما في معالم الايمان في معرفة اهل القيروان لابن ناجي ، أو على المقابر التي دفن فيها اصحاب التراجم وهو منهج محمد بن جعفر الكتاني في كتاب سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء في مدينة فاس .

و (الصنف الرابع) ما الف في ذكر من اشتهر في فن خاص في قطر او بلد مخصوص ومن هذه الكتب كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ومطمح الانفس له ايضاً وكتاب الدرة الخطيرة في شعراء اهل الجزيرة لابن القطاع الصقلي

و (الصنف الخامس) كتب الرحل المذكور فيها العلماء والادباء على تاريخ ملاقاة المؤلف اياهم في اثناء سفره . منها رحلة ابن جبير الكناني البلنسي ورحلة ابي محمد العبدري البلنسي ورحلة عبد الله بن محمد العياش .

و (الصنف السادس) الكتب في ذكر المشاهير المتشابهين لصفة او حالة مثل كتاب الأماء الشواعر لابي الفرج علي الاصفهاني وكتاب انباء نجباء الأبناء لابن ظفر الصقلي

ونكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين الصفدي . ثم اصناف غير هذه يطول شرحها هنا . فلا شك ان مثل هذا التفنن العجيب في وضع الكتب في تراجم الناس مما اختصت به العرب وانفردت به عن سائر الامم

توسع العرب في كتب الفهارس

وتوسعت العرب ايضاً في افراد التآليف الضخمة لذكر اسماء الكتب المرتبة فناً فناً كما هو الواقع في كتاب الفهرست لمحمد بن اسحاق الوراق المعروف بابن النديم . أو على حروف المعجم مثل ما فعله حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون أو على غير هذين الترتيبين كما فعله ابو بكر محمد بن خير الاشبيلي المتوفي سنة ٥٧٥ هـ — ١١٧٩ م في فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلوم وانواع المعارف

العرب وتاريخ الادب

غير ان جميع هذه الكتب في ذكر تراجم المشاهير ومرد اسماء التصانيف ليست تاريخ الآداب العربية . فانها بالاضافة اليه كالحجارة والطوب بالاضافة الى القصر المشيد . اعني انما هي اخبار مفردة غير متصلة بعضها ببعض فلا يستفيد منها القارىء أكان بين شاعر وشاعر آخر او ناثر وناثر آخر علاقة من حيث الصناعة والمعاني والموضوع . بل لا يقتبس اصل انواع المنظوم والمنثور وما سهّل ادراكها الكمال او منعها عنه الى غير ذلك من المباحث والمسائل التي ذكرناها عند تعريف تاريخ الآداب . فما نجده من هذا التاريخ في كتب قليلة (مثل كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ٤٦٣هـ او كتاب المثل السائر لضياء الدين نصر الله ابن الاثير ٦٣٧ هـ اوكتاب المقدمة لابن خلدون ٨٠٨ هـ . اوكتاب كشف الظنون لحاجي خليفة ١٠٦٨ هـ) ليس الا نبذاً يسيرة وتلميحات وجيزة وملاحظات بسيطة وردت في تلك الكتب مبعثرة او بالعرض غير آخذة بعضها ببعض . فلو جمعناها كلها بحذف المكرر لما تجاوز المجموع حجم دفتر

سبب نقصان تاريخ الادب عند العرب

فلم نقصان العرب هذا وتقصيرهم عن تشييد بناء كامل مع جمعهم لمقدار جزيل من المواد اللازمة ؟ اقول ان لذلك سببين :

(١) حال العلوم التاريخية

اولهما وهو اهمهما حالة العلوم التاريخيـة كلها فانها لم تدرك عندهم ذلك الشأو البعيد الذي بلغته عنـد ابناء الغرب في القرنين الاخيرين بل قصرت عنه تقصيراً شديداً .

ان وجهتم نظركم الى كتب العرب في التاريخ وجدتموها راجعة الى ضربين :

(الضرب الاول) ذكر السنين سنة فسنة ورواية ما جرى من الحوادث في كل منها مهما كانت البلاد التي وقعت فيها فيصبح ذكر كل سنة مجموعة اخبار شتى لا علاقة بينها فلا يظهر ما بين حوادث سنة وحوادث سنة اخرى من الاتصال . وهذه الطريقة المتمة هي الاصلية عند العرب كما يلوح من نفس اسم العلم فانه يدل على ان غايته القصوى كانت تعيين اوقات الحوادث خلافاً لقدماء اليونان الذين جعلوا غاية التاريخ في حكاية الحوادث كما يتبين من اسمه عندهم Istoria اي حكاية او رواية او قصة . وهذا الضرب الاول هو الذي ذهب اليه كثير من مشاهير المؤرخين منهم ابو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ وابن الاثير الجزري المتوفي سنة ٦٣٠ واسماعيل ابو الفداء المتوفي سنة ٧٣٢ وعمر بن الوردي المتوفي سنة ٧٤٩ .

و (الضرب الثاني) ان تروى الحوادث باعتبار سياقها على قدر الاستطاعة . وهي طريقة اتبعها المسعودي (٣٤٥ هـ) في كتاب مروج الذهب وابن خلدون واصحاب بعض الكتب المختصرة مثل ابن الطقطقي (٧٠١ هـ) وابي الفرج ابن العبري .

غير ان المؤرخين مهما كان مسلكهم ما كانوا يعرضون ما خذهم على نار الانتقاد ولا يعيرون صحة الاخبار المنقولة بالرجوع الى المسكوكات والكتابات والاوراق الرسمية على اختلاف انواعها ولا يخوضون في شرح الاحوال الاقتصادية التي لا يخفى عظيم شأنها في أمور السياسة ، ولا يبحثون عن التقلبات العارضة للهيئة الاجتماعية مع ان لكل تبدّل في احوال طبقة من الناس ولكل تغيير في الميول والافكار أثراً لا ينكر في سياسة الامة . ولا يدققون النظر في الفحص عن اسباب الحوادث وخفي بواعثها ولا عن حقيقة نتائجها وعواقبها التي ربما لا يحسّ بها الا بعد زمان طويل . ومن العجيب أن ابن خلدون بعد أن سبق علماء جميع الامم الى وضع علم حكمة التاريخ (فلسفته) ونال بذلك مجداً جسيماً ، حذا حذو قدماء المؤرخين لما عكف على تسطير تاريخ الامم .

(٢) جهل العرب للعلوم التي يتأسس عليها علم التاريخ

والحق يقال ان علم التاريخ لا يبلغ اتقانه ولا يدرك ذروته الا بعد ترقي علوم كثيرة غيره سواء كانت من الوسائل له أم من المقاصد المستقلة القائمة بذاتها . لان المؤرخ

لا يستغني عن الاستفادة واقتباس البيانات منها . وقد جهلت العرب علم المسكوكات Numismatic وعلم السجلات وما اهتموا بصون خزائن الاوراق الرسمية والخاصة مدة طويلة . فلو كان مؤرخ تمنى الرجوع اليها لما وجد لهذه الاوراق القديمة اثراً . وقد جهلت العرب ايضاً او كادوا علم العاديات او الاثار القديمة وعلم نقد التاليف [1] من حيث صحة روايتها ومأخذها ، والمشهور ان جميع هذه العلوم مما يتأسس عليه علم التاريخ الكامل المتقن . ثم لم يزل مجهولاً عند العرب علم الاقتصاد السياسي وعلم الاحصاءات اللذان لا غنى عنهما لمن يتصدى لوصف الهيئة الاجتماعية ويتوخى الوقوف التام على ما يعرض لها من التقلبات — ثم قل عندهم الحرص على معرفة عواطف العامة ومعتقداتها واوابدها مع ان هذه المعرفة ذات منفعة ايضاً لمن يقصد كشف جميع العوامل من الحوادث التاريخية . فعدم وجود هذه العلوم عندهم اضطرهم الى الاكتفاء بذكر ظاهر الحوادث ومنعهم من ايجاد علم التاريخ بمعناه الحدث . وانْ تأملتم احوال هذا العلم عند الافرنج الفيتم ان الايطاليين الذين سبقوا غيرهم من ابناء الغرب في اتقانه انما وصلوا الى ذلك لصرفهم العناية باكثر العلوم السالفة الذكر منذ اوائل القرن الخامس عشر للميلاد ، اي منذ اوائل ذلك العصر الذي كان مبدأ الحضارة الافرنجية بعد القرون الوسطى واصل التمدن الحديث وهو عصر النهضة الاوربية واحياء العلوم المعروف بالفرنسية باسم « Renaissance »

فاذا كان الامر كما وصفنا فواضح انه ما دامت العلوم التاريخية على العموم من درجة بعيدة عن درجة الاتقان استحال ان يزهو تاريخ الاداب الذي انما هو فرع من فروعها . كيف لا والآداب كما بينا تعبير عن العواطف والافكار والتخيلات اعني تعبير عن امور تتأثر بتقلب احوال المعيشة والهيئة الاجتماعية والنظام السياسي . اي يتبدل ما يكون البحث عنه موضوع علم التاريخ ؟

هذا وسنأتي في الاعداد الآتية على العوامل التي تعرض لفنون الاداب المستظرفة من الترقي والانحطاط والانتشار والتغير ان شاء الله .

الجامعة المصرية عبد الفتاح عبادة

(١) كان لهم ذلك في العلوم الدينية فقط

كيف يخترعون

بيان موجز لنشوء بعض الاختراعات والاكتشافات الغربية



الكستندر جراهام بل مخترع التلفون

الاستاذ الكسندر جراهام بل من أعظم العلماء المخترعين الذين لا يزالون في قيد الحياة . وهو انكليزي الاصل ولكنه نزح الى كندا في الثالثة والعشرين من عمره واقام بها نحو ثلاث سنوات ثم عين استاذاً للفسيولوجيا الصوتية في جامعة بوسطن باميركا . وكان في اثناء ذلك مكباً على اختراع التلفون فانجزه وعرضه في سنة ١٨٧٦ وهو في التاسعة والعشرين من سنيه ومنذ ذلك الحين اخذت شهرته تنمو وتنتشر في اميركا واوربا . وكان لابيه طريقة في تعليم الصم البكم فتوسع فيها وحسنها وتزوج فتاة صماء كان شدة حبه لها باعثاً له على اختراع آلة مسمعة للصم . ومن اشهر اختراعاته الفوتوفون والغرافوفون . وله مباحث جليلة في علم النسل والاخلاق وفي وسائل اطالة الحياة لا يسعنا الاسهاب فيها الان . وقد القى اخيراً خطبة جليلة في احدى جامعات اميركا بحث فيها في أصل الاختراعات وكيفية نشوئها والوصول اليها . فرأينا أن نلخصها لما فيها من الفوائد الحرية بالاقتباس . قال :

انتقال الصوت في الماء

اذا غطست رأسك تحت سطح الماء وضربت حجرين احدهما بالاخر كان من ذلك

صوت اشبه بصوت الرعد . وقد اتفق ان فعلت ذلك مرةً عن غير قصد فتوصلت من هذه الحادثة البسيطة الى نتائج عظيمة الاهمية . فانني اخذت حصاتين صغيرتين وغطست بهما تحت الماء وضربت احداهما بالاخرى فكانت النتيجة انه نشأ عن اصطدامهما صوت شديد جداً . ثم اردت ان اختبر النتيجة في احوال مغايرة فارسلت ولداً الى بعد مئة خطوة حاملاً حصاتين واوصيته ان يغطس يديه تحت الماء ويقرع الحصاتين كالسابق عند ما أكون غاطساً تحت الماء . ففعل ذلك وكانت النتيجة انني سمعت الصوت بوضوح

ثم اردت ان أكرر التجربة على مسافة ابعد . فارسلت الولد الى بعد ميل واوصيته ان يعيد العملية فكان الصوت جلياً واضحاً كما لو كان آتياً عن بعد عشر خطوات . فثبت لي اذ ذاك ان الماء احسن (ناقل) للصوت . وبعد تجربات بسيطة رأيت ان سرعة سير الصوت في الماء تبلغ نحو خمسة الاف قدم في الثانية اي نحو خمسة اضعاف سرعة الصوت في الهواء

تخاطب الاسماك

وقد حداني هذا الاكتشاف ان اسأل ترى هل تخاطب الاسماك بعضها مع بعض ؟ وللحال عمدت الى التحقق من هذا الامر . فنزلت للاستحمام في نهر غراند باو نتاريا حيث تكثر الاسماك ثم غطست تحت الماء هنيهة وجيزة واخذت اصغي فكنت اسمع من السمك صوتاً اشبه بنقيق الضفادع فعلمت ان السمك كان يخاطب معاً

ولا اعلم هل لجميع انواع السمك مقدرة على التخاطب باصوات معلومة وانما الثابت ان لجميعها اذاناً وذلك دليل على انها تخاطب فيسمع بعضها بعضاً . وان للصوت تحت امواج الغمر خواص يجدر درسها والتحقق من كنهها

وقد ذكرنا هذه الحادثة للدلالة على ان صغائر الامور قد تفضي الى كبائرها وان اعظم الاكتشافات واهم الاختراعات انما نشأت من اصغر الاشياء واحقرها

قال الدكتور بل : كنت سائراً ذات يوم في موضع يقال له نوفا سكوتيا فخطر ببالي ان انحرف عن الجادة المطروقة واتوغل في غابة متناحية لتلك الجادة . فلم أكد اسير نحو خمسين خطوة حتى انتهيت الى جدول صاف يترقرق فيه الماء على حصباء ملساء . ومع انني كنت قد مررت بتلك الجادة المطروقة مراراً عديدة لم يخطر ببالي قط قبلاً ان اتوغل في تلك الغابة بل كنت امر بها كما يمر بها الوف غيري من مارة السبيل . ثم تتبعت تعاريج الجدول يمناً ويساراً حتى بلغت ينبوعه ومن هناك تتبعت سير احد فروعه

الصغيرة حتى مصبّه في خليج جميل يفضي الى البحر . ولقد سرّني هذا الاكتشاف وادهشني في آن واحد . فقد كانت تلك الغابة وذلك الجدول والغدير على مقربة من طريق مطروقة امر بها كل يوم ولكن لم يخطر قط ببالي ان اقوم بذلك الاستكشاف . ومثلي هذا مثل الانسان عامة في هذه الحياة فانه يمر في طريقه مغمضاً عينيه عن جميع ظواهر الطبيعة غير متتبع اسرارها ولو فعل ذلك واستخدم جميع حواسه وقواه لتمّ له كل يوم من الاكتشافات والاستنباطات ما لا يدخل تحت حصر او تعداد . انـا محاطون في هذا العالم باسرار يعجز العقل عن ادراك كنهها وهي مغشاة باغشية واهية لا يقتضي استكشاف ما تحتها الا عناء يسيراً . فاذا بذلنا شيئاً من الجهد تمكنا من الوقوف على جانب كبير من اسرار الكائنات

ولنعد الى مسئلة الصوت تحت الماء . فاذا وضعنا آذاننا على قعر المركب او جداره من الداخل وصغينا الى الاصوات التي في الخارج سمعناها بكل وضوح . واذا صغينا الى قرع جرس تحت سطح الماء سمعنا الصوت بكل جلاء . واذا وضعنا عدة التلفون موضع الاذن لكانت النتيجة شبيهة بالاولى . وفي هذه الحالة يمكن مد اسلاك التلفون من قعر السفينة الى اي موضع فيها لسماع الاصوات الآتية عن بعد — تحت سطح الماء . وهذا هو المبدأ الذي سير بموجبه لسماع « اجراس الخطر » عن بعد . فان الحكومات وشركات الملاحة قد نصبت في بعض المراكز في البحار اجراساً تقرع على الدوام ويسمع صوتها تحت سطح البحر على ابعاد شاسعة وذلك بواسطة التلفون . وهذا الاختراع الذي قد وقى ولا يزال يقي حياة الالوف من البشر ليس الا نتيجة ملاحظات بسيطة قام بها الناس حتى توصلوا الى اختراع « جرس الخطر » . ولا شك انه من الصعب جداً بل من المتعذر في احيان كثيرة سماع اقوى نفير فوق سطح الماء عن مسافة عشرة اميال مثلاً كما يمكن سماع صوت الجرس تحت سطح الماء عن مثل تلك المسافة او اكثر . وبعبارة اخرى ان الصوت الذي فوق سطح البحر لا يسمع بجلاء كالصوت الذي تحت سطح البحر ولو كانت المسافة في الحالة الاولى ربع المسافة في الحالة الثانيـة او اقل . وسبب ذلك ان الهواء ليس « ناقلاً » جيداً للصوت كالماء . فضلاً عن انه قد يصعب احياناً تعيين الجهة الآتي منها الصوت في الهواء بخلاف الامر تحت سطح الماء

وفضلاً عن ذلك ان انتقال الصوت في الهواء يتوقف على اعتبارات عديدة كسرعة الهواء وكثافته وجهة سيره ودرجة حرارته او برودته الى غير ذلك من الاعتبارات الجوية . فقد يكون الانسان قريباً من النفير ومع ذلك لا يسمع صوته جلياً . وقد يكون

بعيداً عنه ويسمع الصوت بجلاء اتم . وما ذلك الا لاختلاف الاعتبارات المشار اليها

قياس عمق البحر

ولا يخفى ان ثلاثة ارباع الكرة الارضية بحر والربع الاخر يابسة ولا يزال جانب كبير من سطحي البحر واليابسة مجهولا . والطريقة الوحيدة لمعرفة ما في قعر البحر هي ازال وعاء الى ذلك القعر وملؤه بالمواد التي يتيسر جمعها وفحص تلك المواد . ولكنهم كثيراً ما ينفقون الساعات الطوال في معرفة عمق البحر قبل ان يتمكنوا من استخراج المواد التي في قعره ولا تزال طريقة ذلك طويلة شاقة وهي انهم يربطون الوعاء المشار اليه بطرف سلسلة طويلة ويدلونه الى قعر البحر . وكثيراً ما يضطرون الى سلسلة يكون طولها ثلاثة اميال او اربعة ولذلك يلاقون صعاباً جمة . ولكن هنالك طريقة علمية بسيطة لم يعملوا بموجبها حتى اليوم لانهم لم ينتبهوا اليها على ما يظهر فلا بأس من تنبيههم اليها وهي مبنية على مبدأ قياس سرعة الصوت في الماء (وهي نحو خمسة الاف قدم في الثانية)

فاذا ارسلنا صوتاً في الماء وانتظرنا ريثما نسمع صداه من القعر وحسبنا الوقت بين اطلاق الصوت ورجوع الصدى امكننا ان نعلم عدد الثواني التي استغرقها وصول الصدى وبهذه الطريقة نتمكن من معرفة عمق البحر

هذه الطريقة علمية فنية . فلماذا لا يلجأ اليها في هذه الاحوال ? لنفرض أن مسافراً على ظهر احدى السفن أنزل الى تحت سطح الماء مادة قابلة للانفجار كقطن البارود او خلافه ثم اشعل المادة بطريقة من الطرق حتى تتفرقع . وقد علمت أن ماء البحر هو احسن « ناقل » للصوت . فمتى وصل صوت الانفجار الى القعر لا بد أن يرجع الصدى . فبحسبان المدة التي بين الانفجار ورجوع الصدى يمكننا معرفة المسافة التي اجتازها الصوت حتى وصوله الى قعر البحر وبعبارة أخرى يمكننا معرفة عمق البحر . وليس ذلك فقط بل يمكننا أن نستفيد من صفة الصوت شيئاً عن طبيعة قعر البحر فاذا كان القعر مستوياً كان الصوت جلياً واضحاً غير متقطع . واذا كان القعر غير مستوٍ كان الصدى متقطعاً

الرائحة وحاسة الشم

وقد تمكن المخترعون من استنباط عدة وسائل لقياس ما يدخل تحت بعض الحواس ولكنهم لم يفكروا حتى الآن باختراع مقياس للرائحة او لحاسة الشم . فهنا اذاً مجال واسع للمخترعين والمفكرين . ترى ما هي الرائحة ? هل هي ذرات دقيقة تنبث في الهواء

ام هي تموجات شبيهة بتموجات الصوت ؟ اذا استطعنا أن نتثبّت من هذا الامر كان لنا مبدأ علم جديد . فاذا كانت الرائحة عبارة عن ذرات دقيقة تنتشر في الهواء فربما استطعنا أن نزنها ونجد ثقلها واذا كانت عبارة عن تموجات في الهواء امكننا أن نعكسها في المرآة مثلاً كما يمكن عكس الصوت والنور والحرارة

وعلى ذكر الرائحة نقول ان بين العناصر الكيمية المعروفة الان عنصر يُدعى « تيليريوم » وهو نادر جداً واذا اذيب انبعث عنه رائحة لا يمكن ان تُنتَسى لانها تختلف عن جميع الروائح المعروفة حتى الان ولا يمكن الخلط بينها وبين غيرها . وقد عرض لاحد الكيميين مرة ان ينتفع من الثمالة الحاصلة من صنع حامض الكبريتيك . فاخذ مسحوقاً من تلك الثمالة واحماه وللحال شم رائحة التيليريوم . ففرح لهذا الاكتشاف ورأى ان من الممكن استخراج تلك المادة النادرة بهذه الكيفية . فاخذ يجري التجارب الكيمية ليتثبّت من وجود التيليريوم ولكنه خاب ولم يجد له أثراً . فاخذ يحلل المادة الحاصلة الى عناصرها الاولية وللحال رأى عنصراً يشبه التيليريوم في رائحته . فسماه « سيلنيوم » وهو يشبه الشمع الاسود واذا صنع منه رقائق كانت شفافة واذا عرضت لاشعة النور كان لونها احمر قانياً وفي هذه الحالة تختلف عن التيليريوم في كونها غير ناقلة للكهربائية . ولكن اذا احميت الى ما يقارب درجة الصهر ثم تركت تبرد تدريجياً تغير شكلها وخواصها فاصبحت اشبه بالرصاص وفي هذه الحالة تصبح ناقلا للكهربائية ولكن ذات مقاومة شديدة . وبعد اجراء عدة عمليات ظهر ان درجة المقاومة تختلف باختلاف درجة النور فتكون اشد في الليل منها في النهار

قال الاستاذ بل : وعنّ لي امكان التخاطب بتلفون (لاسلكي) وذلك باحداث تغيرات متعددة في درجة شدة الصوت وجعل النور يقع على قطعة من السيلنيوم المتبلور وقد صحّ زعمي فكانت النتيجة أني اخترعت الالة المعروفة بالفوتوفون وهو عبارة عن تلفون ينتقل الصوت فيه بواسطة شعاع النور بدلا من اسلاك البرق

ومما يستحق الاعتبار ان هذا الاختراع نشأ عن امر بسيط وهو مراقبة خواص الرائحة ثم تتبع العلماء فحص تلك الخواص حتى وصلوا الى اختراع من اهم الاختراعات

واذا حوّلنا ابصارنا الى جهة أخرى من عالم الاختراعات والاستنباطات وجدنا الطيران في مقدمتها مع انه لا يزال في مهد طفولته . ولكن علماء هذا الفن يعنوننا بقرب اليوم الذي يستطيع الانسان فيه أن يتناول طعام الافطار صباحاً في اوربا ويتعشى في اميركا . ولا يتوهمن الانسان أن ذلك اليوم بعيد بل هو قريب ربما لا تمر على مجيئه بضع سنوات

قياس العقل

كيف تقيس الحكومة الاميركية عقول المهاجرين الى بلادها

القياس

لا يثبت العلم على اساس صحيح الا بالقياس . فان المعلومات تظل مبهمة في ذهن الانسان الى ان تضبط بالارقام على طرق منطقية لا تبقي في نفس الباحث ريباً من صحتها . الا ان الكائنات تختلف من حيث سهولة قياسها ولكل فريق منها طريقة خاصة يقاس بها. فقياس خيط مستطيل يختلف عن قياس كمية من الماء او الغاز الى غير ذلك

وما برح العلماء منذ القدم يدونون اختباراتهم وقياساتهم للكائنات حتى انهم تمكنوا من قياس اشياء وقوى يستغرب القارئ لاول وهلة تمكنهم من ضبطها . فانهم يعرفون بالضبط سرعة تموجات النور وسرعة انتقاله وقد درسوا الجواهر الفردة وحجمها والالكترون التي تتألف منها الجواهر الفردة وغير ذلك . ولكنهم كانوا يقفون امام القوى العقلية عاجزين عن حصرها وتقديرها بكميات ثابتة لان العوامل العقلية متعددة ومرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً شديداً يتعذر تحليله

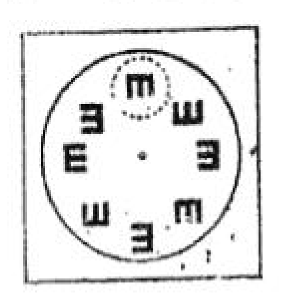
لكن ذلك لم يمنع علماء النفس من ضبط معارفهم رغماً عن صعوبة حصرها وتحديدها فقد استنبطوا طرقاً مختلفة لقياس قوى العقل حتى ان حكومة الولايات المتحدة في اميركا انشأت فرعاً خاصاً لفحص قوى المهاجرين العقلية لمنع ضعفاء العقول من الدخول الى الاقطار الاميركية حتى لا يتناسلوا فيها فيكون نسلهم عالة على الحكومة وعلى الاجيال المقبلة

وقد اشار البعض ان تستعمل هذه الطريقة لاغراض اخرى فيمكن استعمالها مثلاً في المدارس لمعرفة عقول الاطفال والتلاميذ ومعاملتهم بمقتضى عقولهم . اذ لا يخفى ان آخر الآراء في التعليم تقضي ان يدرس المعلم اخلاق تلميذه ومناقبه ليقف على نقط القوة والضعف فيها ويعامله بمقتضاها. ويمكن استعمال نحو ذلك ايضاً في المعامل الكبيرة لمعرفة قوى العمال وتعيينهم في وظائف تلائمهم وقس على ذلك

القياس العقلي

المراد بالقياس العقلي قياس القوى التي تتكون منها الشخصية فيدخل ضمنه بالمعنى الواسع قياس حدة الحواس وقياس مقدرة التمييز وقياس قوة جمع الافكار وتسلسلها وقياس قوة الانتباه وقوة الاستنباط ونحو ذلك

﴿ قياس حدة الحواس ﴾ نأتي هنا بمثال لقياس حدة النظر : يستعملون لذلك لوحة مرسوم عليها الشكل E بصور مختلفة كما في الشكل المرفق ويضعون فوق هذه اللوحة لوحة اخرى تدور على محورها فيها فتحة مستديرة في طرفها ترى الاحرف منها كل حرف وحده . ويمكن ادارة هذه اللوحة بحيث يكون امام الشخص المطلوب فحصه الشكل E على اي صورة من الصور المرسومة . ثم يقف الشخص المراد فحصه على مسافة وفي يده مثال خشبي للشكل E يطلب منه تحويره على الشكل الذي يظهر امامه على اللوحة . وقد وجدوا بالتجربة ان الرجل العادي على الاجمال يمكنه ان يميز الاحرف بوضوح الى مسافة ٦ امتار . فهم يتخذون هذه المسافة معدلا يقيسون عليه حدة نظر الاشخاص المطلوب فحصهم . فاذا تمكن الواحد من تمييز الاحرف على مسافة ١١ متراً عبروا عن حدة نظره بنسبة ١١/٦ او على خمسة امتار عبروا عنها بنسبة ٥/٦ وهلم جراً

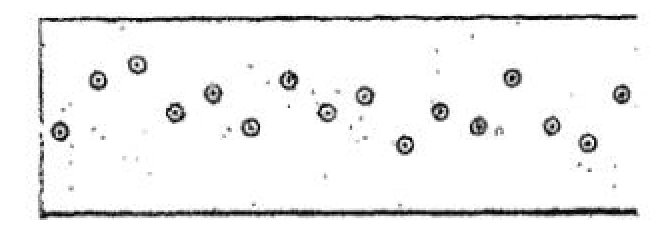


﴿ قياس التمييز ﴾ ويراد بالتمييز التمييز بين المحسوسات على انواعها . ومن التجارب التي يقيمونها من هذا القبيل قياس قوة التمييز بين انغام متراوحة في العلو والانخفاض بواسطة وترين يبقى احدهما على نغمة واحدة بينما الآخر يشد ويرخى حسب الحاجة . والغرض من ذلك معرفة اقل فرق موسيقي يمكن تمييزه بين نغمتين . فبعض الآذان اشد احساساً من غيرها من هذا القبيل كما لا يخفى . وبهذه الطريقة يتمكن الممتحن من معرفة قوة تمييز الشخص حسب الفرق الذي يقدر ان يميزه بين الانغام

وهناك طريقة اخرى لقياس التمييز في الملموسات وذلك بان توضع دوّارة أي بيكار في جهة من جسم الشخص بعد فتح طرفيها ثم يُسأل ان يقدر المسافة التي بين طرفي البيكار . وقوة تمييز الشخص الواحد تختلف حسب نقط الجسم اختلافاً كبيراً وبين الاشخاص ايضاً اختلافات يقيسونها بهذه الطريقة ويدونونها

﴿ قياس التعب ﴾ ذكرنا في احد الاهلة الماضية من هذه السنة طريقة قياس التعب بواسطة آلة تسمى الارغوغراف تدون خطوطاً مختلفة هي قياس التعب فلا حاجة بنا الى الرجوع اليها (انظر الجزء ٢ صفحة ١٢٥) . وبواسطة هذه الآلة يمكنهم ان يعرفوا قوة مثابرة الشخص وقوة تأثره من بعض المواد كالكحول مثلاً فيفحصونه قبل شربها وبعده ونحو ذلك

وهناك طريقة أخرى لدرس دقة الشخص وهي انهم يضعون أمامه شريطاً من الورق (كما في الشكل التالي) عليه دوائر بصفوف متكسرة وهذا الشريط يدور على بكرة ويمرّ امام الشخص المطلوب فحصه ببطء وانتظام فعلى الشخص ان يعين مراكز تلك الدوائر بقلم في يده . وبهذه الطريقة يعلمون مقدار دقة الشخص والمدة التي يمكن ان يثابر فيها بهذه الدقة



﴿ قياس القابلية للتقدم وتأثير الراحة ﴾ يعطى الممتحن صفوفاً طويلة من الارقام ويطلب منه ان يجمعها أزواجا وعند كل دقيقة يضع علامة للدلالة على آخر ما وصل اليه في تلك الدقيقة . وبهذه الطريقة يمكنهم ان يقيسوا قابلية الممتحن للتقدم بالتمرين المستمر وقوة مثابرته على العمل وتأثير الراحة في عمله بمقابلة عمله قبل الراحة وبعدها ونحو ذلك . الا ان القياس بهذه الطريقة ناقص لانه لا يجوز اتخاذ الاعمال الحسابية مثالا لاعمال الحياة اليومية ويتعذر الحكم على هذه بالقياس على تلك

﴿ قياس قوة جمع الافكار وسلسلتها ﴾ معلوم ان افكارنا تأتينا متسلسلة الفكر بعد الآخر بمقتضى سنة تقارن الافكار . فاذا اردنا ان نعرف سرعة تسلسل هذه الافكار في ذهن احد الناس اعطيناه كلمة وطلبنا اليه ان يدون جميع الكلمات التي تنبه ذهنه اليها من تلك الكلمة أو قد نكتفي ان نطلب منه ان يدون ٢٠ او ٣٠ كلمة من عنده ونرى المدة التي يستغرقها لذلك . وبالمقابلة يمكننا فحص شخصين او اكثر معاً للوقوف على سرعة كل منهما في وقت معين . ولا ريب انه لا يجب الاكتفاء بفحص واحد من هذا النوع فقد توجد اسباب وعوامل غير عادية تؤثر في الفحص . فلكي تضمن الاقتراب من الحقيقة يجب تكرار التجارب واتخاذ معدلها

ونأتي هنا باختبار لاحد علماء الفرنساويين : فانه طلب من ابنتيه ك و ل (سن الاولى منهما ١/٢ ١٤ والثانية ١٣) ان تكتبا عشرين كلمة فوجد ان ك ابطأ من ل . لكنه أخذ يسألهما عن السبب الذي نبه ذهنيهما الى كل كلمة كتبت فوجد ان ك قدرت ان تعلل ورود كلماتها متتابعة بينما ل لم تدر كيف تعللها

ثم انه فضلاً عن ذلك تمكن من معرفة شيء عن اخلاق ابنتيه بمراجعة الكلمات التي كتبتها كل منهما فانه وجد ان لـ كانت تكتب كلمات معنوية اما ل فان كل كلماتها كانت تعبر عن اشياء محسوسة مما يدل على ان لـ اقرب الى التفكير بالمعنويات من ل

﴿ قياسات اجمالية للذكاء ﴾ وقد توصلوا بالاختبار الطويل الى وضع جداول فيها اسئلة واختبارات مختلفة يطلب من الاطفال والاولاد الاجابة عليها لمعرفة درجة ذكائهم. فهذه الجداول مرتبة حسب العمر أي انهم جعلوا لكل عمر اسئلة وتجارب مختلفة يطلب من الممتحن حلها . ويجب على كل واحد ان يجيب على الاسئلة المفروضة لسنه لكي يعد عقله نامياً نمواً اعتيادياً . وسنأتي فيما بعد بالمقاييس المستعملة في الولايات المتحدة . ولا يجب ان يبرح عن ذهننا ان هذا العلم لا يزال في طفولته وانه قابل للتحسين والضبط

قياس عقول المهاجرين الى اميركا

من اهم شواغل الحكومة الاميركية تخفيف تيار المهاجرين الى بلادها من الشعوب المختلفة حتى لا يختلط الشعب الاميركي باجناس منحطة فينحط النسل . وقد سنت قوانين مختلفة لهذا الغرض وآخر ما رأته من هذا القبيل اجراء امتحانات لمعرفة قوى المهاجرين العقلية ورفض ضعفاء العقول الذين لا يرجى منهم ولا من نسلهم نفع للامة . ولا يجب ان يبرح من الذهن ان ضعف العقل شيء والجهل شيء آخر فقد يكون الجاهل قابلاً للتعلم والتقدم اذا وجد في بيئة ملائمة اما ضعيف العقل فلا امل في اصلاحه والاستفادة منه . وقد توفقت مصلحة الصحة العمومية الموكلة بفحص المهاجرين بعد الاختبار الطويل الى وضع جداول فيها سؤالات وتجارب مرتبة حسب العمر من سن ثلاث سنوات الى ثلاث عشرة سنة . ولا شك ان كثيرين ممن يزيد عمرهم عن ذلك لا يقدرون ان يقوموا بما هو مفروض على صاحب سن خمس أو ست أو سبع سنوات فكأنهم عقلياً أصغر سناً من عمرهم الحقيقي . وبالعكس فان بعض الاطفال الذين لم يبلغوا الخامسة من عمرهم مثلاً قد يقومون باعمال سن العشر السنوات . واليك اهم ما جاء في هذا الجدول :

سن ثلاث سنوات :

(١) يجب ان يميز الالعاب والاشياء العادية التي حوله
(٢) ان يشير الى انفه واذنه وفمه
(٣) ان يكرر عددين يسمعهما من الممتحن مثل ٣ و٥ او ٩ و٧
(٤) ان يميز صور اشياء مختلفة في كتب مصورة خاصة للاطفال
(٥) ان يعرف اسمه

سن اربع سنوات

(١) يجب ان يضع بعض القطع التي في الشكل اعلاه في اماكنها بالضبط

(٢) ان يحرك مربعات خاصة بشكل مخصوص مرسوم امامه

(٣) ان يكرر ثلاثة اعداد يسمعها مثل ٧ و٩ و٥

(٤) ان يعرف من اي جنس هو اي ولد او بنت

وهكذا تزداد الاسئلة صعوبة في كل سنة مما يطول بنا شرحه فنقتصر على ايراد الاسئلة التي تفرض على من عمره ١٣ سنة وهي آخر ما في الجدول



فحص احد المهاجرين الى اميركا

(١) ان يركب من قطع خشبية مختلفة وجه رجل في اقل من عشر دقائق

(٢) ان يركب صورة مركب مقطوعة عشر قطع متساوية في اقل من عشر دقائق

(٣) ان يقوم باربعة اوامر يؤمر بها

(٤) ان يكمل جملة كهذه : نسبة قبعتي الى رأسي كنسبة اكفي الى .... ؟ (الجواب يدي)

(٥) ان يحدد العدل والرأفة والحقيقة والسعادة ونحوها

(٦) ان يرد على نحو هذه الاسئلة : كم رجلٍ لفرس وانسان معاً ؟ اولانسان وفرس وديك ؟ او لفرسين وانسان وديكين ؟ الخ . .

هذه امثلة من الاسئلة التي تلقى على المهاجرين في الولايات المتحدة وقد اشار بعضهم باستعمال نحو هذه الطريقة لغايات اخرى وحينئذ يجب ان تكون السؤالات ملائمة للغرض الموضوعة لاجله

اصغر دول اوربا

اذا القيت نظرك على خارطة اوربا الحديثة رايت في بعض مواقعها دولا صغيرة معظمها من النوع الجمهوري وقد ضمنت اوربا استقلالها وكفلت حرمتها فانصرفت الى الاهتمام بشؤونها العمرانية غير عابئة بالامور العسكرية ولا ناظرة الى التوسع في الملك والاستعمار . واهم الدول التي نشير اليها امارة موناكو ودوقية لكسمبرغ وجمهورية اندارة وجمهورية سان مارينو وامارة ليشتنستين والفاتيكان . وقد راينا ان نأتي هنا على وصف موجز لهذه الاقاليم منقولاً عن ادق المصادر واصحها

امارة موناكو

تشرف هذه الامارة على البحر المتوسط اشرافاً يجعل لها من جمال المنظر ما يغري بالكثيرين من السياح على ارتيادها وطلب النزهة فيها ولا سيما في فصل الشتاء اذ يكون هواؤها معتدلا ومناظرها تأخذ بمجامع القلوب

وقد كانت هذه الامارة من سنة ٩٦٨ للبلاد ملكاً لاسرة جريمالدي فانتقلت في سنة ١٧١٥ الى لويزا هبولت ابنة انطوان الاول وارثة موناكو وزوجة جاك دي جوبون ماتينون المعروف بجاك الاول . فلما توفيت لويزا خلفها جاك الاول فورث املاكها واملاك ابيها ثم مات فخلفه ابنه اونوريوس الثالث ولكن الفرنسويين ازالوه عن عرشه في ابان الثورة الفرنسوية في سنة ١٧٩٣ فمات في سنة ١٧٩٥ . وبعد ذلك بعشرين سنة اي في عام ١٨١٤ تجددت الامارة وجعلت تحت حماية مملكة سردينيا بمقتضى معاهدة فينا (في سنة ١٨١٥) ولكن عهد الحماية لم يطل كثيراً بل انتهت بخروج حامية سردينيا . ومنذ ذلك الحين اصبح لفرنسا شبه وصاية على امارة موناكو لا سيما وان احد امرائها وهو كارلوس الثالث تنازل عن مدينتي منتون وروكابرونا لفرنسا

وفي سنة ١٩١١ جُعل لهذه الامارة دستور يضمن استقلالها تحت سلطة اميرها وتألف بموجبه مجمع الامة الذي ينتخب اعضاؤه بالتصويت العام وللامير وزارة تساعده على ادارة شؤون البلاد . والسلطة التشريعية هي له ولمجلس الامة معاً . اما عدد اعضاء هذا المجلس فواحد وعشرون ينتخب كل منهم لمدة اربع سنين . وتقسم الامارة الى ثلاثة اقسام تديرها مجالس بلدية وللنساء فيها حق التصويت

وفي سنة ١٨١٩ قررت حكومة هذه الامارة ان تجري بموجب القانون الفرنسوي

فانشأت محكمة ابتدائية وعين « قاضي صلح » والّف الامير محكمة استئناف عين لها اثنين من كبار قضاة باريس . هذا وللامارة عملة خاصة بها وتصك نقوداً من فئة مئة فرنك فقط ولها طوابع بريد خاصة

اما مساحة هذه الامارة فثمانية اميال مربعة ولا يزيد عدد سكانها عن عشرين الفاً واهم مدنها كندومين ومونت كارلو وموناكو . وقد اشتهرت مونت كارلو في الارض قاطبة بناد للقمار يقصده السياح من جميع اطراف العالم . واهم حاصلات هذه الامارة الفحم والنبيذ والزيت والبردقان والليمون والعطور . ومعظم الدخل من موائد القمار

دوقية لكسمبرغ

هذه الدوقية واقعة الى الجنوب الشرقي من مملكة البلجيك وتبلغ مساحتها زهاء الالف ميل مربع وعدد سكانها نحو مئتين وخمسين الفاً معظمهم من الكاثوليك ولغة القوم خليط من الالمانية والفرنسوية الا على حدود فرنسا والبلجيك حيث يتكلمون باللغة الفرنسوية

وتحكم الغراندوقة ماري ادلايد على البلاد وقد تولت الحكم على اثر موت ابيها في سنة ١٩١٢ ويساعدها في الحكم مجلس من النواب عدد اعضائه ثماني واربعون ينتخبون لست سنوات مناصفة اي في كل ثلاث سنوات ينتخب نصفهم لست سنوات

ولهذه الدوقية جيش من المتطوعين لا يزيد عن طابور واحد ولا يزيد عدد الجاندرمه عن مئة وخمسين نفراً . ويبلغ الدين الاهلي نحو ست مئة الف جنيه والايراد بين ثلاثة عشر وعشرين مليوناً من الفرنكات

اما سبب قلة جيشها فلان الدول ضمنت حيادها بموجب معاهدة لندن في سنة ١٨٦٧ وكان في حصن لكسمبرغ يومئذ قلعة هدمت وانسحبت حاميتها البروسية ولم يجسر احد منذ ذلك اليوم على اختراق حرمتها حتى كانت الحرب الحاضرة فدخل جيش الالمان حدود هذه الدوقية ولم يبالوا باحتجاج الغرندوقة . ثم عوّضوا لها عن الاضرار التي لحقت بها تعويضاً مالياً

هذا ودوقية لكسمبرغ بلاد جبلية تكثر فيها المعادن وقد بلغ ما استخرج منها في سنة ١٩٠٨ (وهو آخر احصاء وقفنا عليه) نحواً من خمسة ملايين وثماني مئة الف طن من المعادن المختلفة تبلغ قيمتها نحو سبع مئة الف جنيه

وفي البلاد نحو ثلاث مئة واربعين ميلاً من الخطوط الحديدية وسبع مئة ميل

من خطوط التلغراف ومئتين وثلاثين مركز تلغراف واربعة آلاف ميل من خطوط التلفون

جمهورية اندارة

تبلغ مساحة هذه الجمهورية مئة وخمسة وسبعين ميلا مربعاً . وهي واقعة على حدود جبال البرينه بين مقاطعة ارياج الفرنسوية ومقاطعة لريدا الاسبانية . ويرجع تاريخ استقلالها الى حروب العرب في اسبانيا فانه في سنة ٨٠٥ للميلاد حاصر لويس ديبونير مدينة اورجل من العرب فساعده اهلها على العرب حتى تغلب عليهم واذ ذاك منحهم استقلالا تاماً الا في بعض الشؤون الطفيفة وخصص العشور والضرائب بمطران مدينة اورجل

وهذه الجمهورية بلاد جبلية يتراوح ارتفاعها بين ثلاثة آلاف وعشرة آلاف قدم . وهي غنية بالخشب وجانب منها زراعي واهم حاصلاتها الدخن والشعير والتبغ والخمور والخضروات والصنوبر والسنديان والحور . وقد اشتهرت بكثرة أزهارها العطرة . والبلاد غنية ايضاً بمعادن الحديد والرصاص ولكن الاهالي قلما يستخرجون هذه المعادن ومما يثبط عزيمتهم عدم وجود طرق مواصلات وهنالك حمامات معدنية حارة معظمها في اسكالداس . اما معيشة الاهالي فمعظمها قائمة بتربية المواشي والخيل

ويبلغ سكان هذه الجمهورية ستة آلاف نسمة كلهم من الكاثوليك ومعظمهم فقراء ولكنهم مجدون محبون للاعمال

اما السلطة ففي يد مجلس مؤلف من اربعة وعشرين عضواً . والجمهورية تحت سلطة فرنسا بالاشتراك مع مطران مدينة اورجل . اما الجزية التي يدفعها الاهالي الى فرنسا فهي ثمانية وثلاثون جنيهاً في السنة ويدفعون ايضاً مثل نصف هذا المبلغ الى مطران اورجل هذا ويبلغ عدد سكان العاصمة نحو ثماني مئة نفس

جمهورية سان مارينو

اما جمهورية سان مارينو فواقعة الى الشمال الشرقي من ايطاليا بجوار مقاطعات فورلي وبزارو واوربينو . ويقال انها اقدم دول اوربا وقد كانت مستقلة منذ العصور المتوسطة وفي سنة ١٦٣١ للميلاد هيمن البابا على استقلالها . وفي سنة ١٨٩٧ عقدت معاهدة مع ايطاليا وثقت بها عرى صداقتها وازدادت المعاملات بين الدولتين

وتبلغ مساحة سان مارينو ثلاثة وثلاثين ميلاً مربعاً وعدد اهاليها نحو احد عشر

الفاً وهي بلاد زراعيـة وتنفع ايضاً لتربيـة المواشي واهم حاصلاتها النبيذ والمواشي والحجارة للبناء

اما ادارة الاحكام فنوطة بمجلس مؤلف من ستين عضواً يجدد ثلثهم مرة كل ثلاث سنوات وينتخب كل ستة اشهر عضوان ليكونا بمثابة رئيسين ولهما سلطة تنفيذية . وهنالك مجلس آخر مؤلف من اثني عشر عضواً وينقسم الى اربع لجان وهي اللجنة الاقتصادية واللجنة القضائية واللجنة الحربية واللجنة العلمية . وليس لهذه الجمهورية دين اهلي ولكن نفقاتها تعادل ايراداتها ويبلغ كل منهما نحو اربع مئة الف فرنك اي ستة عشر الف جنيه

ولهذه الجمهورية جيش يتألف من ثمانية وثلاثين ضابطاً وتسع مئة وخمسين جندياً . وقد عقدت مع كل من انكلترا والباجيك وهولندا واميركا معاهدة لتسليم المجرمين الفارين

امارة ليشتنستين

هي امارة واقعة بجوار مقاطعة فورارلبرغ النمسوية وسان غالن السويسرية وقد كانت قسما من النمسا ثم ضمت الى الاتحاد الجرماني ولما تحول الاتحاد الجرماني الى امبراطورية انفصلت وبقيت مستقلة منذ ذلك اليوم الى الآن

اما الاسرة الحاكمة فنشأت في القرن الثاني عشر وقد تولى اعضاؤها هذه الامارة منذ اوائل القرن السابع عشر . والحكم فيها وراثي وهنالك مجلس مؤلف من خمسة عشر عضواً ينتخبون لمدة اربع سنوات وللامير حق ان يعين ثلاثة منهم . وللامارة معاهدات تربطها مع امبراطورية النمسا ولا يزال البريد وخطوط التلغراف والتلفون في يد موظفين نمسويين

وتبلغ مساحة الامارة خمسة وستين ميلا مربعاً وعدد الاهالي نحو عشرة آلاف نفس معظمهم كاثوليك من اصل الماني . وقد بلغت ايرادات سنة ١٩٠٩ نحو ٦٤٦٦٦٤ كروناً والنفقات ٦٤٢٣٠٢ كرون . الا ان للامير اراضي واسعة في النمسا يكتسب منها نحو مئة الف جنيه سنوياً . وقد اعفي الاهالي من الخدمة العسكرية منذ سنة ١٨٦٧ والبلاد زراعية واهم حاصلاتها الحبوب والخمور والفاكهة والخشب ويهتم اهاليها ايضاً بتربية المواشي

الفاتيكان

بقي علينا ان ننظر في سلطة الفاتيكان من الوجهة السياسية فهو دولة ضمن دولة . ولا يخفى ان احبار رومية كانوا في الازمنة المتوسطة ذوي سلطة دينية وسياسية ولكن

السلطة السياسية زالت من يدهم بمرور الزمن ولم يبق لهم منها الا بعض اعتبارات سنذكرها بالايجاز

كان للبابا حتى سنة ١٧٨٩ سلطة واسعة فكانت مدينة رومية (بايطاليا) وافينيون وكونتية فنسان (بفرنسا) من ضمن املاك البابا . ولكن هذه الاملاك زالت من يد احبار رومية ولا سيما في عهد الثورة الفرنسوية . وفي سنة ١٨١٠ عين ابن نبوليون ملكاً على رومية كما هو معروف في التاريخ . ولكن املاك البابا جميعها اعيدت اليه بموجب معاهدة فينا (سنة ١٨١٥) ما عدا افينيون وكونتية فنسان اللتين اعيدتا الى فرنسا نهائياً

وعقب ذلك تقلبات عديدة طرأت على سلطة الفاتيكان واملاكه . وفي سنة ١٨٧٠ نودي بمدينة رومية عاصمة لمملكة ايطاليا فاضمحلت منها سلطة البابا نهائياً

على ان الدول قررت أن تبقي لاحبار رومية بعض الامتيازات التي لم ترَ باساً من ابقائها واهمها ما يأتي :

(١) ان يعامل البابا كما تعامل الملوك ويتمتع بجميع الامتيازات التي يتمتعون بها

(٢) ان يجوز تعيينه حكماً او وسيطاً لفض المشاكل السياسية

(٣) ان يؤذن له في إيفاد سفراء الى الدول وقبول سفراء من الدول لديه

(٤) ان يجوز له عقد المحالفات

اما سفراء الفاتيكان فثلاثة انواع اهمهم المندوبون فوق العادة وهم غالباً مكلفون بقضاء مهام معينة معظمها دينية وينتخبون من الكرادلة . اما المندوبون الاخرون فلا يجوز تعيينهم من الكرادلة

وفي سنة ١٨٧١ أصدرت حكومة ايطاليا قانوناً تضمن به بعض الامتيازات للفاتيكان وهو يتألف من أربعة بنود :

(١) انه لا يجوز الاعتداء على شخص البابا

(٢) لا يجوز التعرض لقصور الاحبار الرومانيين ولا للمنازل التي يقيمون فيها ولا للمحال التي تلتئم فيها مجامع الكرادلة او المجامع المسكونية

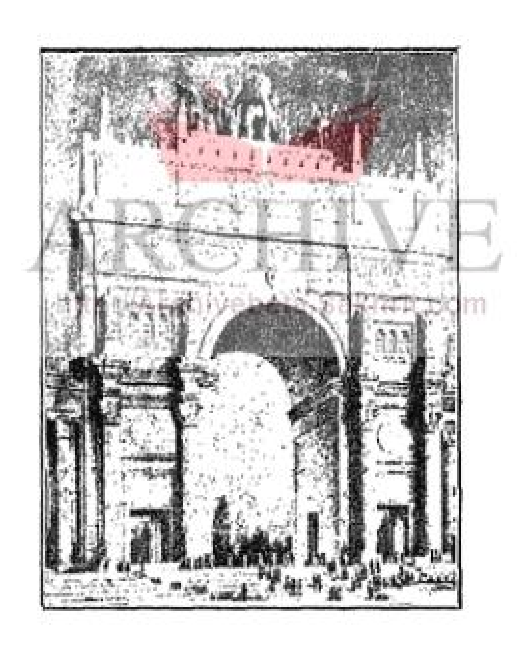
(٣) يجب ان يقدم للبابا نفس الاحترام الذي يقدم للملك

(٤) يحق للبابا ان يعين ويقبل سفراء

معرض بناما الدولي

في مدينة سان فرنسيسكو

اصبح الناس ولا شاغل لهم الا الحرب واخبارها . فقد افتتح اخيراً معرض بناما الدولي في مدينة سان فرنسيسكو بالولايات المتحدة من غير ان يقدر حق قدره من الاهمية لكننا لم نشأ ترك مثل هذا الحادث العظيم يقع من غير ان نعيره الالتفات اللائق به . وقد عثرنا في احدى المجلات الاميركية على وصف للمعرض وقصوره وحدائقه فاقتطفنا منه هذه المقالة



قوس نصر في ساحة الشمس والنجوم

ولا بد لنا في البدء من ذكر شيء عن المدينة التي اقيم فيها المعرض فنقول : سان فرنسيسكو في ولاية كاليفورنيا من الولايات المتحدة هي اكبر ميناء بحري اميركي على الاوقيانوس الباسيفيكي وهي قائمة على طرف لسان من الارض عند مدخل خليج سان فرنسيسكو المسمى بالباب الذهبي . وقد احترقت هذه المدينة وخربت في شهر ابريل من سنة ١٩٠٧ على اثر زلزال شديد فبنيت ثانية على طرز حديث

اما المعرض فقد شيد على شاطىء البحر امام الباب الذهبي المتقدم ذكره في ارض

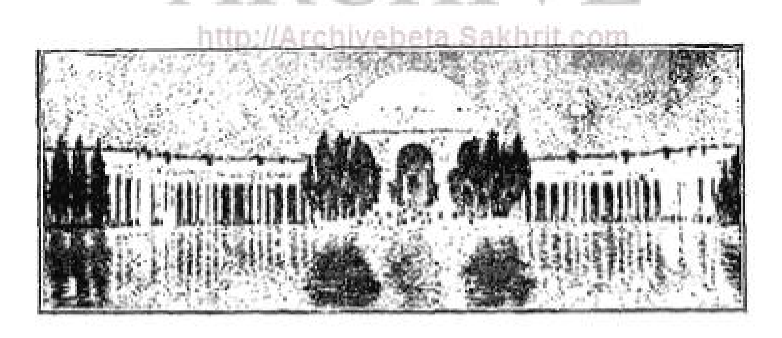
متسعة بشكل هلالي . وهذه الارض محاطة بمرتفعات يتراوح علوها بين ٢٥٠ و ٩٠٠ قدم كأنها اسوار طبيعية للمعرض . ومنظر المعرض من البحر من اجمل المناظر فقد جمع بين احسن المناظر الطبيعية وارق آثار الصناعة البشرية . وقد شيدت قصور المعرض على هندسة خاصة تجعلها ملائمة لمحيطها وهي مبنية كل بضعة منها حول ساحات متسعة . ولهذا النظام ميزة في سهولة الانتقال من بناية الى اخرى اذ لا يخفى ما يجده الانسان من الصعوبة في المعارض العظيمة للانتقال من بناية الى اخرى

ونظراً لكون المعرض مبنياً عند مدخل المدينة لجميع البواخر القادمة الى سان فرنسيسكو تمر امامه فيشاهد الراكبون منظراً من ابهى المناظر واجملها . وابنية المعرض وقصوره مقسومة الى ثلاثة اقسام :

(١) القسم المتوسط وهو قلب المعرض ويتألف من ١٤ قصراً فخماً تعرض فيها المعروضات العامة وهي مجموعة حول ثلاث ساحات

(٢) القسم الشرقي وفيه الملاهي والالعاب على اختلاف انواعها ومساحته ٦٥ فداناً

(٣) القسم الغربي وفيه الابنية الرسمية المخصصة للولايات المتحدة وسائر الدول المشتركة في المعرض



قصر الفنون الجميلة

وتظهر الابنية المتوسطة من بعد كأنها قصر واحد عظيم ذو قباب هائلة وابراج تتصاعد في الفضاء الى ارتفاع يتراوح بين ٢٥٠ و ٣٥٠ و ٤٣٠ قدماً . ويتألف من اربعة من الابنية في القسم المتوسط شبه وجهة عظيمة للمعرض كله . وقد اقاموا امام هذه الوجهة العظيمة فسحة واسعة فيها الازهار على انواعها والفسقيات والتماثيل المختلفة وطولها ميل . ويتخلل الابنية ويحيط بها حدائق غناء جمعت انواع النباتات من جميع الاقطار . وسواء زار الانسان المعرض في الليل او في النهار فان منظره يأخذ بمجامع القلوب في

النهار يرى القصور الفخمة بكل عظمتها وبهائها . وفي الليل يراها بانوارها العظيمة التي تنعكس على سطح المياه

والغرض من هذا المعرض الابتهاج بفتح ترعة بناما وتخليد روح العمل الغريزية في الشعب الاميركي التي مكنته من القيام بذلك المشروع العظيم

وقد جمعت الابنية بين جميع انواع الهندسة القديمة والحديثة . ولون الابنية على الاجمال هو لون اصفر فاتح يظهر من بعد كالابيض



برج عظيم من ابراج المعرض علوه ٤٥٠ قدماً

وطول القسم المتوسط من المعرض (وهو كما قلنا اهم سائر الاقسام) يبلغ ٤٥٠٠ قدم واهم ساحة في المعرض هي ساحة الشمس والنجوم في القسم المتوسط ويبلغ عرضها ٧٥٠ قدماً . وفي جنوبيها برج الجواهر وعلوه ٤٣٠ قدماً وفي اعلاه تمثال عليه كرة تمثل الكرة الارضية . وهو مرصّع بالجواهر المختلفة التي تتلألأ كالالماس عند ما توجه نحوها الانوار الكشافة . ومن ادهش ما في ساحة الشمس والنجوم عواميد عظيمة يبلغ عددها ١١٠ وارتفاع الواحد منها ١٤ قدماً . وعلى كل منها رسوم وصور تكني عن النجوم .

وفيها ايضاً حديقة عظيمة منخفضة فيها تماثيل مختلفة وحولها مقاعد تسع نحو ٧٠٠٠ نفس وفي طرفي هذه الساحة قوسا نصر عظيمتان علوهما ١٦٠ قدماً تسمى الواحدة قوس الشمس الشارقة والاخرى قوس الشمس الغاربة وفوق كل منهما تماثيل تلائمها . فالتماثيل التي على القوس الشرقية ترمز الى اشياء شرقية ففيها الجمال والجنود الشرقيون وفي وسطها فيل عظيم اما التماثيل التي على القوس الغربية فترمز الى اشياء غربية تقابل تلك

واذا انتقلنا الى شرقي ساحة الشمس والنجوم وجدنا ساحة الفزارة وهي مخصصة للموسيقى والرقص والتمثيل وقد بنيت على الهندسة العربية الاندلسية وفيها الانوار الجميلة التي تنعكس على فسقيات واحواض بديعة مما له اشد تأثير في النفس

وفي الجهة الغربية من ساحة الشمس والنجوم ساحة الفصول الاربعة والمقصود بها التعبير عن سلطة الانسان على قوى الطبيعة وعناصرها . ويدخل الى هذه الساحة من جهة البحر بواسطة باب هائل سمي باب كولمبوس وعليه برج عظيم . وامام البرج تمثال ضخم لكولمبوس وجهه الى البحر

هذا قليل من كثير في وصف هذا المعرض العظيم وقد قصرنا كلامنا على وصف البنايات من الخارج . اما في الداخل فقد جمعت الابنية آخر ما انتجته قريحة الانسان في جميع دوائر الحياة البشرية من صنائع وفنون وآداب ولا ريب ان الاحوال الحاضرة قد افقدت هذا المعرض جزءاً كبيراً من رونقه

ألبسة الجنود

يقدرون ما يستعمل من الاقمشة الكاكي (الخاصة بالجنود) لاجل الجنود الانكليزية بنحو ٢٥٠ الى ٣٠٠ ميل في الاسبوع بعرض ٥٤ الى ٥٦ قيراطاً . ويقال ان ٨٠ في المئة من الالات التي تصنع الاقمشة تشتغل على حساب الجيش ويبلغ عدد صانعي الالبسة نحو ٥٠٠٠٠ وهم يشتغلون من الساعة الثامنة صباحاً الى الساعة التاسعة او الى منتصف العاشرة

اما الاحذية فان مئتي معمل يخصصون ستين في المئة من عملهم لاجل الجيش وفي مدينة ليدس وحدها عشرون معملا تصنع اسبوعياً ٤٠٠٠٠ زوج

الحرب خدعة

طرق الخداع الحربية في البر والبحر

الخداع نوعان خداع طبيعي وخداع مقصود . اما الخداع الطبيعي فعالم الاحياء مملوء بالامثلة الغريبة الدالة على معاونة الطبيعة لانواع الحيوانات في المحافظة على بقائها واتقاء شر اعدائها فتارة تكسوها بلباس يتعذر تمييزها به عن المحيط الموجودة فيه . وطوراً تجعلها تمثل الموت فتصبح بلا حراك حتى لا يشعر بها عدوها . وغير ذلك من الطرق المدهشة. ولبعض الحشرات اجنحة تشبه ورق الشجر من حيث الحجم واللون والتخطيط بحيث لو وقفت على الشجرة ما تميزت عن اوراقها . ومن الحشرات نوع يسمى عند الانكليز القضيب المتحرك يتعذر تمييزه عن فروع الشجرة . والغرض من تخطيط الحيوان المسمى زيبرا Zebra خطوطاً بيضاء وسوداء هو لكي يصعب اكتشافه بين النباتات التي يلجأ اليها . والطيور الكواسر تجد صعوبة كبيرة في اكتشاف اليام لمشابهة لونه لقشور الشجر الذي يقف عليه

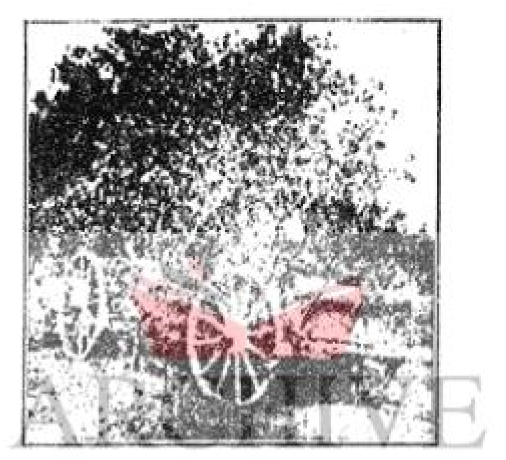
ويبلغ خداع الطبيعة اكمل درجاته في الحيوانات التي تغير الوانها بتغير فصول السنة فان اكثر حيوانات المناطق القطبية يتحول لونها الاسمر عند قدوم الشتاء الى لون ابيض لا يميز عن بياض الثلج . وما هو اغرب من ذلك ان بعض انواع الاسماك تغير لون بشرتها بمجرد صعودها او نزولها في الماء لتلائم البيئة التي تنتقل اليها

اما الانسان فقد كان منذ القدم يلجأ الى الخداع للفرار من وجه أعدائه او لايقاعهم في حباله . فالانسان الاول كان يغشي جسمه بالخضار ليصطاد فريسته بسهولة . وكذلك في الحروب فالانسان ما برح يتفنن في فن الخداع . وقد بلغ هذا الفن اكمله في هذه الحرب الحاضرة لا سيا بعد استعمال الطيارات والمناطيد للاستكشاف فانها اصبحت ترى حركات الجيوش وتستطلع اخبارها بدون ان تمس باذى . فتقدم فن الاستكشاف قد استدعى استنباط وسائل جديدة للغش والخداع

ومن اهم وسائل الخداع اللباس . فان معظم الجنود المتحاربة ترتدي ملابس رمادية اللون (khaki) يتعذر تمييزها عن لون الارض . واول ما استعمل هذا اللون استعمالا عاماً كان في حرب الترنسفال . ومنذ ذلك الحين عم هذا اللون جميع الجيوش الاوربية واخذت الالوان الفاقعة من احمر وازرق وغيرها في الانقراض . الا في الجيش

الفرنساوي فانه بقي محافظاً على تقاليده القديمة ولكنه اخذ يقتدي بالجيوش الاخرى من هذا القبيل

اما الالمان والنمساويون فانهم لا يكتفون بلبس هذه الالوان فقط بل يهتمون ايضاً باخفاء الازرار التي على ملابسهم والقطع المعدنية التي على قبعاتهم . بل ان بعض فرقهم تغير لباسها لملاءمة المحيط الذي تنتقل اليه فالفرق التي تسير بين الثلوج في الشتاء تلبس ثوباً ابيض فضلا عن انها تستعمل السكي Ski للتزلج على الثلج



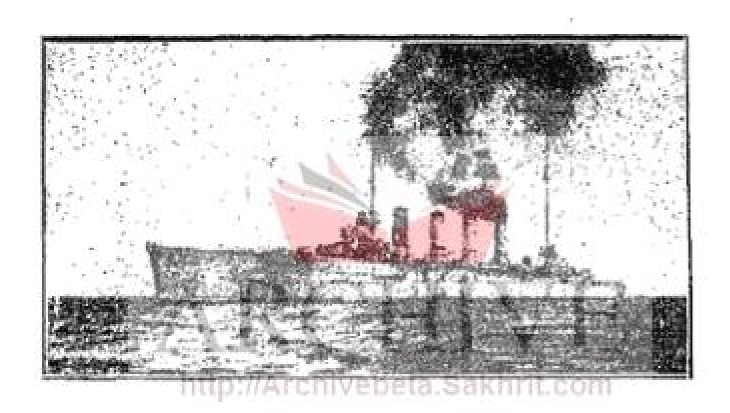
انوار كشافة منطاة بالاغصان

ولا يقتصر الخداع على لباس الجند فقط بل يشمل جميع معدات الحروب . ففي الحرب الروسية اليابانية كان اليابانيون يغشون قطارات المؤون بغصون الشجر حتى ان الناظر اليها عن بعد لا يظنها الا صفاً من الاشجار . اما في هذه الحرب فقد برع الفريقان المتحاربان في هذا الفن لا سيما بعد استعمال الطيارات . وفي الصورة التي تراها هنا مثال من العربات المغشاة بالاغصان وهي بلا ريب تظهر للطائر كالاشجار لا سيما وان الطيارين يرتفعون كثيراً اتقاء للقنابل الموجهة نحوهم فيصعب عليهم التمييز بين الاشياء

وقد اصبح خداع الطيارين من اهم شواغل الجيوش المتحاربة وهم يضعونها في المكان الاول في مناوراتهم وارشاداتهم . وهو امر اسهل مما يظن لاول وهلة نظراً للارتفاع البعيد الذي يلزمه الطيارون . فان الجنود تستطيع ان تختبيء بكل سهولة بين الاشجار والمزروعات بدون ان يميزها الطائر . وهذا ما وقع فعلا في احدى المناورات الالمانية منذ سنتين فان احدى الفرق اختبأت وتمكنت بهذه الطريقة من اسر منطاد من مناطيدهم

ومعلوم ان الحكومات الاوربية لما تطلب الخيول لجيوشها تستثني البيض منها وذوي الالوان السهلة التمييز . لكن الالمانيين في هذه الحرب قد استنبطوا طريقة تمكنهم من استعمال جميع الخيول التي يمكنهم الوصول اليها وذلك بدهنها بلون رمادي او نحوه مما يلائم الحال

ثم ان استعمال البارود الذي لا دخان له قد سهل كثيراً الخداع في الحروب الحاضرة فقد كانت الجنود فيما مضى اذا اطلقت بنادقها تصاعد من حولها الدخان . اما اليوم فقد تلافوا هذا الضرر في اغلب الاسلحة النارية حتى لا يمكن معرفة المكان الذي صدر منه الطلق الا بالصعوبة



الطراد امدن وقد ركب مدخنة رابعة

وفي البحر ايضاً يستعملون طرقاً عديدة للخداع . ومما يؤثر عن السفن التجارية القديمة انها كانت ترسم على جوانبها ما يشبه فوهات المدافع لتوهم القرصان وتمنعهم من الاقتراب منها خوفاً من مدافعها . ولا تزال البواخر في هذه الحرب تستعمل نحو هذه الطريقة لخداع العدو . ومن اغرب ما اتاه الطراد امدن الشهير بالاضرار التي الحقها بالسفن التجارية في المحيط الهندي انه ركب بالقرب من مداخنه الثلاث مدخنة رابعة فكانت السفن التجارية لا تعرفه ولا شك انه بهذه الخدعة تمكن من اغراق عدة سفن

ومثله المدمرة كونجسبرج الالمانية فان المدمرة الانكليزية شاتهام اكتشفتها عند مصب نهر روفيجي في افريقيا الشرقية الالمانية . وكانت قد كست اشرعتها باغصان النخل لكي لا تتميز من المحيط الذي التجأت اليه . ولما لم تتمكن المدرعة شاتهام من الوصول اليها نظراً لقلة عمق المياه هناك اغرقت امامها بضعة سفن تجارية منعاً لها من الهرب وتمكنت اخيراً من ضربها واغراقها

الحرب البحرية

حسب الاتفاقات والمعاهدات الدولية

كتبنا في احد الاجزاء الماضية شيئاً عن قوانين الحرب البرية حسب الاتفاقات والمعاهدات الدولية . وقد رأينا الان ان نأتي بخلاصة قوانين الحرب البحرية لا سيما في ما يتعلق بالحصر البحري واعلام الدول المتحايدة ونحو ذلك من المباحث التي دارت على السنة الناس وتداولتها اقلام الكتاب بعد اعلان المانيا الحصار البحري على سواحل انكلترا ومقابلة انكلترا هذا الخرق الدولي بحجز المواد الغذائية الواردة الى المانيا مهما كان مصدرها

ورب معترض يقول ما الفائدة من سرد القوانين والمعاهدات وقد اصبح المتحاربون لا يعرفون للقانون معنى ولا تزال اقوال المستشار الامبراطوري يتردد صداها في اقطار المعمورة لا سيما قوله للسفير الانكليزي : « ألأجل قطعة من الورق تعلنون الحرب علينا » وقوله في مجلس النواب الالماني عند نشوب الحرب : « لا تعرف الضرورة قانوناً ». قلنا نعم ان كثيراً من القوانين الدولية اصبحت ملغاة في هذه الحرب لكنها لا تزال موجودة ولعل اهمالها في هذه الايام سيكون اكبر داع الى توطيد اركانها في المستقبل

لكن الناظر الى مجرى الحوادث بعين الانصاف لا يسعه الا الاعتراف بان المانيا كانت البادئة بسلسلة خرق القوانين الدولية فلم يسع الحلفاء السكوت عن الطرق التي يستعملها اعداؤهم واضطروا مرغمين الى مقابلة الشر بالشر وهم مع ذلك لا يستعملون قواتهم الا بكل حكمة وتروٍ

وقد تسلسلت القرارات من الفريقين في هذا المعنى كما يأتي :

في اول فبراير اعلنت الحكومة الالمانية استيلاءها على جميع موارد المواد الغذائية لتوزيعها على الاهالي بحكمة لئلاً تحل في البلاد مجاعة

وفي الثاني من فبراير اجابت انكلترا انه ما زالت جميع المواد الغذائية قد اصبحت تحت تصرف الحكومة الالمانية فانها تعتبرها مواد مهربة وتمنع وصولها الى المانيا . وفي هذه الأثناء اغرقت الغواصات الالمانية بعض السفن التجارية التابعة للحلفاء بالتوربيل

وفي ٤ فبراير اعلنت الحكومة الالمانية الحصر البحري على سواحل انكلترا ابتداء من ١٨ فبراير . او بالحري اعتبرت تلك السواحل « منطقة حربية » كما جاء في الاعلان الرسمي وانذرت جميع السفن التي تدخل في تلك المنطقة بالخطر الذي يلحقها سواء

كانت تابعة للحلفاء أو للدول المتحايدة

فما كان من انكلترا الا ان قابلت هذا الاعتداء بمثله واعلنت الحصار البحري على جميع المواد الموردة الى المانيا

هذه هي سلسلة القرارات التي صدرت من الفريقين . فما هو الحصار البحري ؟ وما هي المنطقة الحربية ؟ وما هي حقوق الدول المتحايدة ؟ وهل للدول المتحاربة ان تستعمل علم دولة متحايدة فراراً من الهلاك ؟

تلك هي الاسئلة التي سنجيب عليها في هذه السطور . وقد كان اعتمادنا في كتابتها على مقالة لاحد مشاهير الاختصاصيين في قوانين الدول وهو المستر اري ستوال الاميركي الذي كان سكرتيراً لمؤتمر الهاي سنة ١٩٠٧ وهو الان استاذ علم حقوق الدول والسياسة في جامعة كولمبيا بنيويورك . فهو اذن تابع لدولة متحايدة ولمقالته قيمة خاصة لصدورها من احد المتحايدين . وقد نشر مقالته هذه في مجلة الاوتلوك الشهيرة . قال :

لما رأت المانيا وانكلترا انه يتعذر عليهما انهاء هذه الحرب بالوسائل الحربية فقط لجأتا الى التضييق الاقتصادي . فانكلترا من جهة تعتمد على القوى الكامنة في السلطة الانكليزية وقد اخذ يظهر تأثيرها في الحرب . اما المانيا فاعتمادها على نظامها العسكري الذي شمل كل فرد من افراد الامة الالمانية . لكن كليهما لم تأتيا بانتصار فاصل على البحر أو البر

وقد كانت حقوق الدول تخول لانكلترا احد طريقين للتضييق على البلاد الالمانية : (اولاً) الحصر البحري . وبه تمنع تسرب المواد الغذائية الى السواحل الالمانية . لكن الحصر البحري اصبح من اصعب الامور نظراً للالغام المبثوثة في البحار فضلا عن كون ذلك الحصر لا يمنع المواد الغذائية من الوصول الى المانيا عن طريق الدول السكندينافية اوعن طريق ايتاليا . (ثانياً) الحجز على المواد المهربة . لكن القوانين الدولية تنص على انه لا يمكن حجز هذه المواد اذا كانت موجهة الى احدى الدول المتحايدة حتى وان ثبت انها ستتسرب الى الاقطار الالمانية . فلما اعلنت حكومة المانيا احتكارها جميع المواد الغذائية اغتنمت انكلترا الفرصة واعلنت انها تحجز جميع المواد الغذائية التي يثبت لديها انها موجهة الى البلاد الالمانية سواء كانت موجهة الى الالمان مباشرة او عن طريق احدى الدول المتحايدة . وقد تمكنت بهذه الطريقة من حجز كل ما يرد الى الدول المتحايدة مما تعتبره زائداً عن حاجات تلك الدول العادية وقت السلم لاعتباره موجهاً الى الاقطار المعادية لها

وقد سكتت الولايات المتحدة عن ذلك لسببين : اولا لان دول الحلفاء هي من اهم معامليها . وثانياً لان الولايات المتحدة لم تنس خرق حرمة البلاد البلجيكية . فان موقفها الودي نحو انكلترا وسكوتها عن العطل الذي يلحقها بسبب الخطة التي اتبعتها هو بمثابة تأنيب لالمانيا على خرقها القوانين الدولية

وننتقل الآن الى الرد على الاسئلة التي نشأت عن اعلان الحصر البحري على انكلترا :

(١) ما هي المنطقة الحربية ؟

قلنا ان المانيا قررت اعتبار سواحل انكلترا مناطق حربية . فما الذي ينطوي تحت هذا القرار وما هو حكم المناطق الحربية في قوانين الدول ؟ نقول تندر بين الاصطلاحات السياسية التعابير التي تفوق هذا التعبير ابهاماً . فالدولة المحاربة قد تعني بالمنطقة الحربية المنطقة التي تتصرف فيها تصرفاً مطلقاً وتسيطر عليها سيطرة حربية تامة . ولا يخفى ما في ذلك من الاعتداء على الدول المتحايدة التي لها حق المحافظة على حقوقها التجارية وان تكن الدولة المحاربة قد أنذرتها قبلاً وحددت الزمان الذي تبدأ به الاعمال الحربية والمكان الذي يعتبر منطقة حربية تخفيفاً للاضرار التي تلحقها . فتعيين المنطقة الحربية لا يقصد منه الا تخفيف ويلات الحرب على الدول المتحايدة . لكن ذلك التعيين لا يبرىء الدولة التي اعلنته من الاعمال المخالفة للمتعارف والمتفق عليه بين الدول

(٢) ما هي شروط الحصر البحري ؟

اول شرط للحصر البحري حتى يكون شرعياً هو ان يكون فعلياً . اي ان يكون مدعماً بقوة حقيقية بحرية كافية لمنع دخول اي سفينة الى المنطقة المحصورة أو خروجها منها . فالمادة الرابعة من بيانات باريس صريحة في هذا المعنى وهذا نصها :

لا يعتبر الحصر الا اذا كان فعلياً اي مدعماً حقيقة بقوة بحرية كافية . ويجوز للدول المتحايدة اهمال اي اعلان حصر لم يستوف هذا الشرط . فقد تعلن الدولة المحاربة الحصر على مناطق حربية واسعة ليس في وسعها حصرها فعلا ولا يخفى ما في ذلك من الاضرار بتجارة الدول الاخرى

اما مسألة استعمال الغواصات والالغام السابحة للحصر البحري فلا تزال من المسائل التي لم يتفق عليها اتفاقاً نهائياً

(٣) هل لسفن الدولة المحاربة ان ترفع علم دولة متحايدة ؟

ان هذا الحق وان لم يكن منصوصاً عليه فانه معروف بين الدول . وما برح معمولا

به منذ زمن بعيد . لكن رجال السياسة يؤملون ابطال هذه العادة لما ينشأ عنها من الاضرار . وعلى كل حال فالدولة المحاربة مسؤولة عن اغراق السفن التي ترتاب في صحة العلم التي ترفعه اذا كان ظنها في غير محله

(٤) هل لاحد المحاربين أن يغرق السفن التجارية المعادية بدون تفتيشها وبتعريض بحارتها وركابها للهلاك ؟

لا شك في ان مثل هذا العمل غير شرعي فان تجارة الدول المتحايدة ايام الحرب تتوقف على واجب الدولة المحاربة الذي يقضي عليها بالصعود الى السفن التجارية وفحص اوراقها قبل القبض عليها او اغراقها . ومهما كانت الحال فانه لا يجوز اغراق أي سفينة سواء كانت تابعة لدولة متحايدة او لدولة معادية ما لم تتنشل اوراقها الرسمية وتخلص بحارتها وركابها . فانه لا يعقل ان تسمح الدول باغراق سفينة تجارية ما لم تفحص اوراقها الرسمية وتفتش . ولا فرق في ذلك بين ان يكون اغراق السفن صادراً من سفينة عائمة على سطح الماء او من غواصة . ولا يكفي الاذن لبحارة السفينة وركابها بالنزول في قوارب النجاة اذ لا يضمن نجاتهم منها

(٥) ما الفرق بين اعلان الالمان للمنطقة الحربية واعلان الانكليز لبث الالغام في بحر الشمال ؟

الفرق بين الاثنين هو ان الحكومة الانكليزية لم تكتف بانذار الدول المتحايدة انها بثت الالغام في بحر الشمال بل انها اهتمت في المحافظة على حقوق المتحايدين وأشارت على السفن التجارية ان تمر باحد المرافئ الانكليزية لترشدها الى الطريق الامين بين الالغام . فضلاً عن كون انكلترا لم تلجأ الى هذا القرار الا رداً على اعلان المانيا للحصار البحري . فخطأ المانيا الكبير هو انها لم تضمن سلامة تجارة المتحايدين . ولو ضمنتها او قدرت على ارشاد السفن المتحايدة الى الطريق الامين ما جلبت عليها سخط الرأي العام

(٦) هل يجوز للحكومة الانكليزية ان تعين جوائز للسفن التجارية التي تغرق الغواصات الالمانية ؟

من الامور المقررة أنه لا يجوز للسفن التجارية ملاحقة السفن الحربية او الدخول في الحرب باي طريقة أخرى . والا جاز اعتبارها سفينة حربية واغراقها بدون انذار او تفتيش حتى اذا كان بين ركابها متحايدون . فان المسئولية تقع على الدولة التي تنتمي اليها السفينة التجارية . لكن بما ان المانيا شرعت في اغراق السفن التجارية بدون فحص

فلا شك انه قد اصبح لهذه السفن حق المدافعة عن نفسها وكيانها ولا مانع في هذه الحال من اجازة الحكومة الانكليزية لسفن التجارية التي تغرق الغواصات الالمانية

(٧) هل للولايات المتحدة حق الاعتراض على المانيا بسبب اغراقها السفن التجارية الانكليزية بدون فحص وتفتيش ؟

للولايات المتحدة حق الاعتراض على هذه الاعمال ليس فقط لمخالفتها ما تقتضيه الرأفة والانسانية وما تجيزه القوانين الدولية بل لكونها تعرض حياة رعاياها للهلاك . اذ لا مانع يمنع الاميركين من ركوب السفن الانكليزية

(٨) أليس هناك حد لمقابلة التعدي بالتعدي والشر بالشر ؟

هذه مسئلة من اصعب المسائل الدولية . ولا شك ان مقابلة التعدي على حقوق الدول بتعدٍ آخر ضروري في كثير من الاحيان وقد حصل فعلاً مراراً . ولكن أليس لهذه التعديات حد تقف عنده ؟ هذا امر لم يتفق عليه بعد لكنما لا ريب فيه انه لا يجب ان يلحق الدول المتحايدة شيء من هذه التعديات المتسلسلة

الاسلاك الشائكة

اخترع الاسلاك الشائكة منذ نحو خمسين سنة مزارع بقصد منع مواشيه من الفرار ولم يحلم وقتئذ ان طريقته هذه ستكون لها الاهمية الكبيرة التي بلغتها في الحروب فانها اصبحت من الضروريات التي لا غنى عنها للجيوش ووظيفتها الرئيسية منع تقدم العدو وهي توضع على طرق مختلفة ولكن يفضل في وضعها ان تكون مختفية وراء الاعشاب حتى لا ترى

وطنية خادم الملك

لجلالة الملك جورج الخامس خادم اسمه براندش ما زال ملازمه منذ كان ضابطاً في البحرية سنة ١٨٨٦ وقد تطوع في هذه الحرب رغم تجاوزه الخمسين فهنأه جلالته على غيرته . ومما يرويه براندش المذكور عن سيده انه كان مرة على مائدة الافطار فأتاه الخادم يعتذر لبعض النقص في المائدة فقاطعه الملك بقوله : « قلل من قولك « عنلمتكم الملوكية » وأتني بشيء من البيض واللحم »

التقبيل

تاريخه وانواعه

التقبيل عادة شائعة بين اكثر الامم المتمدنة منذ اقدم الازمنة . وقد ذهب بعضهم الى انها عادة خاصة بالجنس القوقازي غير معروفة عند الشعوب الصفراء او السوداء . والمجال لا يأذن لنا ان نرجع الى منشأ هذه العادة في الحيوانات . والمشهور ان القبلة نشأت من حنو الام ثم اختلفت بمرور الزمن وتنوعت غاياتها . واشهر انواعها عند الرومانيين القدماء قبلة التحية بين الاصدقاء . وكان التقبيل عندهم من الشعائر الدينية ايضاً فلم يكن احد يجسر على تدنيسه . ولكن القبلة تحولت بمرور الزمن الى تحية مألوفة ثم اصبح عددها دليلاً على درجة المحبة بين المقبّل والمقبَّل . وقد جاء ان الامبراطور قسطنطين سنّ قانوناً غريباً في بابه فكان الخطيب اذا قبل خطيبته ثم مات قبل ان يتزوجها انتقل اليها نصف ممتلكاته ارثاً شرعياً واذا ماتت هي قبل الزواج انتقلت حصتها الى وارثيها الشرعيين

اما اليهود فكان التقبيل تحية مألوفة عندهم كما يفهم من تقبيل يهوذا لسيده المسيح . وكان شائعاً بينهم ثلاثة انواع من القبل وهي قبلة الاحترام والعبادة . وقبلة المقابلة . وقبلة الانصراف . اما قبلة الاحترام والعبادة فكانت شائعة عند غير اليهود ايضاً فكان الوثنيون يقبّلون عجولهم

والتقبيل انواع : فتقبيل الشفتين دليل الحب . وتقبيل الارض دليل الخضوع . وتقبيل الثوب دليل الاحترام . واختلفوا في تاريخ تقبيل اليدين ومعناه الاصلي . والارجح انه قديم العهد جداً . وقد ذكر لوسيانوس عن ديمستنيس الخطيب الشهير انه عند ما سقط في يد انتيباتر واراد الدخول الى احد الهياكل نقل يده الى فمه وقبل انامله لكي يوهم حراسه انه يقبل انامله القبلة الدينية . ولكنه في الحقيقة ابتلع سماً وانتحر . ولا يخفى ان الداخل الى معبد في الزمن القديم كان يقبل انامل يده دلالة الخشوع والاحترام

وذكر هوميروس الشاعر اليوناني ان برياموس ملك ترواده قبّل يدي اخيل وركبتيه متوسلاً اليه ان يعطيه جثة هكتور . وكانت هذه القبلة في ايام الجمهورية الرومانية شائعة بين المتساوين في المقام ولكنها زالت بتمادي الزمن . وفي ايام الامبراطورية اصبح تقبيل اليدين عادة شائعة يقوم بها كل شخص نحو من هو اكبر منه مقاماً

ولا تزال عادة التقبيل شائعة في روسيا اليوم ومتى جاء عيد القيامة فلكل انسان حق ان يقبل من يصادفه حتى من النساء على الطريق قائلاً « المسيح قد قام » ولا يجوز لاحد ان يمتنع عن هذه القبلة على الاطلاق

ويقال ان عادة تقبيل اقدام الاحبار الرومانيين نشأت في المئة الثامنة للميلاد . واصلها على ما يقال ان احد احبار رومية كان مقطوع الكتف فكان الذين يقابلونه يقبلون قدمه عوضاً عن يده . وقد جاء ان الامبراطور يوستنيانوس الثاني قبل قدمي قسطنطين عند دخوله الاستانة في سنة ٧١٠ للميلاد . ولما جاء فالنتينوس الاول في سنة ٨٢٧ فرض على الجميع ان يقبلوا اخمص قدمه . ومنذ ذلك الحين نشأت عادة تقبيل الاحبار الرومانيين في اقدامهم . وقد اعفي منها البروتستانت عند مقابلة البابا الا انهم يحنون ركبهم عوضاً عنها

وقد كان التقبيل شائعاً عند العرب منذ اقدم عصور الجاهلية وكان للقبلة عندهم معان كثيرة نذكر منها ما يأتي :

(١) قبلة الخضوع . قال المتنبي :

ان لم تخالطه ضواحكهم فلمن تصان وتذخر القبل ؟

وقال ابن الوردي :

انا لا اختار تقبيل يد قطعها اجمل من تلك القبل

(٢) قبلة المحبة . وهي اشهر انواع التقبيل عندهم والامثلة عليها كثيرة . قال عنترة :

فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وقال احد الظرفاء :

وخود بجمر على وجنتيها يحلل عندي دين المجوس
وضعتُ على وجنتيها فمي وما بست لكن هممت ابوس

(٣) قبلة المصالحة . قال احدهم :

اذا ما عدانا سالمونا فاننا نقبلهم من بعد ان ينقضي الثأر

وقال غيره :

ما ان نقبل اعدانا ولو عفروا وجوههم بتراب الحي واتضعوا

(٤) قبلة الهوى العذري . قال احد الظرفاء :

فقبلها والقلب خال من الهوى ودغدغها حتى ملا ضحكها الفما

(٥) قبلة الوداع . ومنها قول بعضهم :

وقبلتها عند الوداع وقد جرت   مدامعها تحكي الغيوث الهواطلا

وقال احد الظرفاء :

وقبلتها تسعاً وتسعين قبلة   وواحدة أخرى وقت على عجل

هذا وفي اقوال العرب كثير من الاشارات الى التقبيل . ولا شك ان التقبيل من اثار الارتقاء المدني ولم يمتز به الا الانسان الراقي . فالكلب مثلا يلمس جروه والقطط تلمس صغارها والحمير (وقبائل الاسكيمو مثلها) يفرك بعضها أنوف البعض . والبقر والخيل تماس باعناقها . والطيور تظهر تآلفها بطرق أخرى . وأما القبلة فانها كما قلنا من ميزات الطبقة الراقية من بني البشر وهي غير معروفة عند القبائل المتوحشة

ويقال ان التقبيل كان شائعاً جداً في انكلترا في عهد الملك ادورد الرابع فكان الزائر يقبل افراد الاسرة التي زارها . وقد كتب اراسموس في اواخر القرن الخامس عشر على أثر زيارته لانكلترا . فقال ان عادة التقبيل قد اصبحت مبتذلة جداً . فحيثما تذهب يقابلك القوم بقبلة واذا ودعتهم اضطررت ان تقبلهم

ولعل اشهر قبلة تاريخية هي قبلة يهوذا لسيده المسيح حتى صار يضرب بها المثل . وجاء في كتب التاريخ انه في اثناء الثورة الارلندية حكم على احد رجال الثورة بالسجن المؤبد . فجاءت خطيبته لتودعه وبينما هي تقبله على شفتيه دفعت اليه من فمها الى فمه ورقة كان مكتوباً فيها تعليمات وارشادات صريحة في ما يجب عليه فعله للنجاة وقد اتبع تلك الارشادات فنجا

وقد تنوع تحديد القبلة عند الشعراء والخياليين فقال بعضهم انها بلسم الحياة وتحية الملائكة وعلامة الحب وخاتمة الافراح . وقال آخر انها لغة القلوب وجزية المحبة ونسرين الفردوس وعسل الملائكة ووصفها آخر بكونها منتهى الطوبى وبدء النعيم ولذة الخلود . وعلل بعضهم اللذة التي تشعر بها النفس عند القبلة بقوله ان الشفاه والفكوك والاسنان والاعصاب جميعها تشترك في العمل عند التقبيل

قلنا ان الروس يقبلون بعضهم بعضاً في يوم عيد القيامة . ويؤخذ من اقوال بعض الرواة ان عند بعض الارلنديين ايضاً عادة شبيهة بهذه وهي انه في صباح يوم الاثنين الذي يلي احد القيامة يجتمع مئات من الشبان والشابات من مقاطعة «كونتي ضون» باحسن الحلى والثياب ويقيمون حفلة كبيرة يقبلون بها بعضهم بعضاً ولو على غير معرفة

وعند الانكليز عادة أخرى شهيرة وهي تقبيل كل من يمر تحت غصن النبات المعروف بعسوب الضباب في عيد الميلاد Mistletoe . وترجع هذه العادة الى زمن غير معروف

وقد اضطرت الكنيسة في الازمنة الماضية ان تمنع تزيين الكنائس باوراق يعسوب الضباب في عيد الميلاد وذلك منعاً للشبان من تقبيل الشابات اللواتي يجزن تحت اغصان ذلك النبات سواء كان عفواً او عمداً . ويعتقد بعض الانكليز ان الفتاة التي لا يقبلها شاب تحت غصن يعسوب الضباب في عيد الميلاد لا يمكن ان تتزوج في تلك السنة

ويقول المؤرخون ان هذه العادة ترجع الى عهد الدرويديين . ويقول غيرهم انها شائعة عند بعض اهل السكندناف ايضا ولها عندهم اصل معروف خلاصته ان اله الشر واسمه لوكي قتل شاباً جميلاً يدعى بالدر بسهم مصنوع من نبات يعسوب الضباب . ثم اشفقت الالهة على شباب بالدر وجماله فارجعته الى الحياة وجعلت شجرة يعسوب الضباب تحت مراقبة احدى الالهات واسمها فريجه . فاقسمت فريجه ان لا يكون ذلك النبات فيما بعد سبب شر حتى تمس اغصانه الارض التي هي ملك لوكي اله الشر . ومنذ ذلك الحين صاروا يعلقون اغصان هذا النبات من السقوف ولا يدعونها تسقط الى الارض وصار اذا اجتاز تحتها شاب وشابة قبّل احدهما الآخر علامة الامان والسلام

وقد سنت بعض الدول قوانين للتقبيل . ففي ايسلند مثلاً لا يجوز لرجل ان يقبل امرأة متزوجة سواء كان برضاها او بغير رضاها . وكذلك لا يجوز تقبيل فتاة قاصرة . فمن خالف القانونين المذكورين عرض نفسه لعقاب شديد وغرامة مالية باهظة

اما في باراغواي فالحال على عكس ذلك اذ العادة تقضي على الرجل بان يقبّل كل امرأة تقدَّم اليه ليتعرف بها . على ان معظم اولئك النساء يمضغن التبغ فتذهب بذلك لذة القبلة !

وكان لولاية كونكتكوت الاميركية قانون غريب يعرف بالقانون الازرق ويحظر به التقبيل يوم السبت فلم يكن يجوز حتى للام ان تقبل طفلها في ذلك اليوم والا عرَّضت نفسها لعقاب شديد . ولا يزال قانون ولاية نيويورك يمنع تقبيل السيدات في الطرق ويقضي على من خالف هذا القانون باشد العقاب . ويؤخذ من بعض الاحكام التي اصدرتها محاكم نيويورك ان بعضهم اضطر الى دفع الفين وخمس مئة دولار (ريال) غرامة عن قبلة

ولا يتوهمن احد ان التقبيل ينشيء لذة فقط بل قد يكون باعثاً على الموت فكم من الامراض القتالة تنتقل من فم الى فم بواسطة التقبيل ولا سيما جراثيم الدفتيريا فان الاطباء مجمعون على ان التقبيل هو افعل وسيلة لنقل هذا الداء من شخص الى آخر . وقد اتفق للبرنسيس اليس اوف هس ان توفيت لانها قبلت طفلها المصاب بالدفتريا فانتقل المرض اليها وماتت

العائلة والمنزل

الصداع

اسبابه وعلاجه

الصداع من اكثر العلل انتشاراً بين جميع طبقات الناس وله أسباب عديدة واعراض مختلفة . وقد يكون احياناً مرافقاً لبعض الامراض المزمنة . وسنخصص كلامنا في هذه المقالة على الصداع الاعتيادي ولحسن الحظ ان اسبابه معروفة وطرق علاجه بسيطة يمكن كل واحد ان يعمل بها

وأسباب الصداع قسمان : اسباب مهيئة واسباب مباشرة

الاسباب المهيئة

اما الاسباب المهيئة اي التي تجعل صاحبها معرضاً للصداع فتنوعة حسب الاشخاص واهمها : الوراثة والسن والجنس وبعض الامراض المزاجية كفقر الدم وعسر الهضم والامساك . اما فيما يخص الوراثة فقد كتب احد الثقات في هذا الباب يقول ان تسعين في المئة من الذين فحصهم كان للوراثة عندهم شأن في تسبيب الصداع . حتى انه في بعض الاحيان يرث الاولاد عن آبائهم مرض الصداع كمرض مستقل وليس فقط يرثون الاستعداد له . وقد يكون التوارث ناشئاً عن بعض الامراض العصبية كالهستريا والنورستنيا وغيرهما او بعض الامراض المزاجية كالروماتزم والسل وغيرهما من الامراض التي تضعف القوى الحيوية في صاحبها . ولا يؤخذ من قولنا هذا انه لا يمكن شفاء هذه العلل فان كثيراً من العلل المتوارثة يمكن ابادتها بالمعيشة الصحية المنتظمة

اما من حيث السن فان معظم حوادث الصداع تحدث عند شدة نمو الجسم ويندر ان تبدأ بعد الثلاثين او قبل الخامسة . والقاعدة هي انه كلما تقدم الانسان في السن خفت وطأة الصداع وقلما يوجد له اثر بعد الخمسين او الستين

اما الجنس فقد وجدوا ان النساء اشد تعرضاً للصداع من الرجال فان كل مئة امرأة مصابة بالصداع يقابلها خمسون فقط من الرجال

الاسباب المباشرة

اما الاسباب المباشرة فانها لا تكون فعالة عادة الا في من كان مهيئاً للصداع اما بالوراثة

او بعض الاسباب المهيئة الاخرى . واهم الاسباب المباشرة هي : سوء الهضم والامساك والتسمم في الامعاء والاكثار من اللحوم والتعب والتهيج العصبي والانفعال الشديد كالخوف والغضب . واذا كان الجهاز العصبي شديد الاحساس فقد ينشأ الصداع عن اقل مهيج . ومن امثلة ذلك ان احدهم كان يصاب بالصداع كلما عرض جسمه لحرارة الشمس وآخر كان يصاب به كلما استحم بالماء البارد

الاعراض

ولكي يسهل علاج الصداع يجب ان نعرف اعراضه فاول ما يحس به المصاب هو التعب وفقدان الشهية والانحلال والامساك وفي بعض الاحيان الارق قبل حدوث الصداع بليلة او ليلتين . ويتبع هذه الاعراض عادة بعض الاحساسات الغريبة كتخدير اليدين ووخز اللسان والشفتين وضعف النظر فترى الاشياء كأن فوقها غشاء ضعيفاً وشبه القرع في الاذن أو غير ذلك . وبعد هذه الاحساسات بقليل يبدأ الالم في الرأس في احدى نقطه ثم ينتشر في سائر الجهات الا انه في بعض الاحيان يلزم بقعة خاصة . وقد يدوم مدة تتراوح بين ساعة وثمان واربعين ساعة وقلما يبقى ثلاثة ايام او اكثر

ولا يبرح من البال اننا نتكلم هنا بوجه الاجمال فليس من المحتم ان توجد جميع هذه الاعراض في جميع المصابين وقد تتراوح درجة الاصابة تراوحاً بيناً . واهم ميزات هذا الصداع انه يتكرر كل مدة معينة

ومن اهم اعراض الصداع الاختلال الذي يحصل في فرز العصارة المعدية وقد وجدوا ان المصابين بالصداع يكثر في معدتهم الحامض الهيدروكلوريك

العلاج

يختلف علاج الصداع حسب الاشخاص وعلى الاجمال فانجع دواء هو المحافظة على وسائل الصحة العامة والاهتمام بتنظيم المعيشة

ويجب فحص المصاب بالصداع فحصاً دقيقاً في انفه وزلعومه فقد يكون التهيج ناشئاً عن احدها . ثم يجب الاهتمام بامر المعدة والامعاء فاذا كان فيهما اقل اختلال وجب اصلاحه وتجنب المآكل العسرة الهضم واللحوم وما شاكلها

هذا من حيث الصحة العامة . اما العلاج الذي يجب اتخاذه عند وقوع الصداع لتلافيه فهو ان تنظف الامعاء اذا كان عند الانسان امساك . واذا كان الهضم متعسراً او مختلا فيستحسن الامتناع عن الاكل مرة او مرتين . ويجب على المصاب ان ينام في محل ساكن ومظلم قليلا . وقد يأتي الحمام الحار احياناً بالفائدة المطلوبة

فيستأصل الداء وربما كفى تغطيس الرجلين في الماء الحار . او غسل الرأس بالماء الدافىء او بالماء البارد حسب الامزجة

والقصد من المعالجة بالماء الحار هو ان يرخي الاعصاب ويقلل ضغط الدم على الاوعية الدموية . وفي كثير من الاحيان كأس من الماء الحار او اي مشروب حار آخر يكفي للقيام بهذا العمل

فرع تحسين الجنس البشري

في معرض بناما في مدينة سان فرنسيسكو

هل يمكن تحسين الجنس البشري ؟ طالما خطر هذا السؤال لعقول المفكرين في جميع الازمنة وقد نال اهتماماً خاصاً في هذا العصر لا سيما بعد تقدم العلوم الطبيعية . وقد تألفت في الاقطار الاوربية والاميركية جمعيات غرضها تحسين الجنس البشري وعقدت مؤتمرات مختلفة لهذه الغاية حتى انهم وضعوا علماً خاصاً سموه Eugenics للنظر في الوسائل الناجعة التي يمكن اتخاذها لتحسين الجنس البشري . ويرجع اصحاب هذا الرأي الى المبدأ القائل « يمكنك بواسطة الانتخاب المتوالي ان تنمي صفة خاصة في النبات والحيوان » . فكما ان الانتخاب يولد أنواعاً معينة من الازهار والنباتات والحيوانات كذلك يمكننا بواسطة الانتخاب المتوالي في اجيال متعاقبة ان ننمي صفات القوة والنشاط والصحة في الجنس البشري بينما يمكننا في الوقت نفسه ان نمنع تناسل الضعفاء والمرضى الذين لا يرجى من نسلهم نفع للهيئة الاجتماعية . والواقع هو عكس ذلك الانتخاب فاننا نرى الاجتماع البشري حريصاً على الضعفاء والمرضى يعتني بهم كل الاعتناء ويبذل جهده في سبيل بقائهم

وقد أنشىء في معرض بناما في مدينة سان فرنسيسكو قسم خاص لعرض الوسائل التي يستحسن استعمالها لتحسين الجنس . وقد قرأنا مقالة في احدى المجلات الصحية لاحد منشئي هذا القسم نقتطف منها ما يأتي:

كتب فرنسيس غلتن العالم الانكليزي الشهير في هذا الموضوع قال : « متى يصبح لدينا معامل لقياس اعضاء الانسان وقواه الظاهرة والباطنة ليعرف كل واحد نقط الضعف والقوة في جسمه وعقله فيعيش عيشة منظمة ملائمة له ؟ ان الانسان مهمل من هذا القبيل فقلما يقف ليبحث عما اذا كان في جسمه خلل فيسعى في تلافيه قبل ان يتسع الخرق » هذا ما قاله ذلك العالم منذ سنوات وقد تحقق مطلوبه في العشر السنين الاخيرة

البلجيك

تاريخها ونظامها واحوالها الاجتماعية والاقتصادية

لم يشهد التاريخ امة حانت ما حانته امة البلجيك
في قيامها بواجبها قياماً قصرت عنه سائر الامم

لا بد للباحث في احوال البلجيك من التثبت بادىء بدء من اربع حقائق رئيسية لا يجب أن تبرح من ذهنه وهي :

أولاً : أن البلجيك امة قائمة بذاتها — رغماً عن افتقارها الى لغة وطنية واحدة . وشأنها في ذلك عكس شأن الامة الانكليزية التي ألّفت من اللغتين الفرنسوية والجرمانية لغة مستقلة هي اللغة الانكليزية . أما في البلجيك فقد حافظ كل من العنصرين الجرماني واللاتيني (المؤلفين للامة البلجيكية) على لغته الخاصة

ثانياً : انها امة قديمة ذات تاريخ قديم — فان تكوينها تم منذ القرن الخامس عشر. وقد مرّ بها من صروف الزمان ما جمع بين اهلها ومكن فيهم الشعور الوطني : ولم تحقق أماني هذه الامة النشيطة الا في سنة ١٨٣٠ اذ نالت استقلالها من سلطة هولندا

ثالثاً : ان الامة البلجيكية ذات انفة وشمم — رغم كل المصائب التي حلت بها منذ نشئها . ويكفيها فخراً انها تمكنت من حفظ كيانها وشعورها الوطني سنين طويلة وهي تحت نير دول غريبة

رابعاً : ان الامة البلجيكية قد بلغت درجة عالية من الرقي المادي والادبي قصرت عنه الدول العظمى في كثير من الوجوه فان بعض نظاماتها الاجتماعية والاقتصادية تصح أن تتخذ قدوة للدول الاخرى

البلاد واهلها

يبلغ عدد سكان البلجيك نحو سبعة ملايين ونصف مليون حسب آخر الاحصاءات ومساحتها ١١٣٧٣ ميلاً مربعاً ويمكننا ان نقسمها الى قسمين وهما :

(١) سهول الفلاندر في الشمال واهلها من الجنس الجرماني وهم يتكلمون اللغة الهولاندية بلهجة واصطلاحات خاصة كما تختلف لغة الشام عن لغة مصر او لغة سكوتلندا عن لغة انكلترا . وقد كان لتلك السهول ايام مجد وعظمة في التاريخ وكان لها تأثير يذكر في تشييد المدنية الاوربية . وهي لا تزال الى اليوم افضل مثال لتسلط الانسان على عوامل

الطبيعة فان اراضيها رملية في الاصل لا تصلح للزراعة ولكن اجتهاد اهلها ومثابرتهم على العمل جعلتها من اخصب البلاد في العالم كله

(٢) البلاد التي يسقيها نهرا سامبر وموز في الجنوب واهلها فرنساويو الاصل ويتكلمون اللغة الفرنساوية . ولم تبلغ هذه المقاطعات العظمة التي بلغتها الفلاندر ولكنها بسبب طبيعة ارضها ومركزها الجغرافي ما برحت منذ القدم تتلاحم الجيوش في ساحاتها . وهي بلاد غنية بالفحم والحديد . ولبعض مدنها شهرة قديمة في الصناعة ترجع الى القرون الوسطى لا سيما مدينتي لياج ومونس

وبلاد البلجيك مقسومة ادارياً الى تسع مقاطعات وهي :

١	مقاطعة فلاندر الغربية		وعاصمتها	بروج	
٢	«	« الشرقية	«	غنت	
٣	«	انفرس	«	انفرس	
٤	«	برابنت	«	بروكسل	
٥	«	لمبرج	«	هسلت	
٦	«	هينو	«	مونس	
٧	«	نامور	«	نامور	
٨	«	لياج	«	لياج	
٩	«	لكسمبورج	«	ارلون	

ومن اهم العوامل في حياة البلجيك الاقتصادية طرق المواصلات المائية في الانهر والترع ويبلغ طولها ١٣٠٠ ميل . واهم انهر البلجيك نهر الشلد في الشمال وفرعه الليس ونهر الموز في الجنوب وفرعه السامبر

وكما ان موقع البلجيك الجغرافي جعلها ميداناً للقتال بين الجيوش الاوربية فان هذا الموقع ايضاً جعل البلجيك من اهم البلاد التجارية لوجودها في وسط امم مختلفة

قلنا ان الامة البلجيكية مؤلفة من جنسين مختلفين متساويين تقريباً في العدد وهما الجنس الجرماني في الشمال واهله يسمون الفلامنديون والجنس اللاتيني في الجنوب واهله يسمون الفالون . والفرق بين الجنسين يظهر في جميع دوائر الحياة العمومية من حيث اللغة والعقائد والاخلاق والسياسة ولا يجمعهما الا التفاني في حب وطنهما . فالفالون على الاجمال احرار في مبادئهم السياسية والاجتماعية ومنهم الاحزاب الاشتراكية المضادة للاكليروس وبعكسهم الفلامنديون فانهم متمسكون بالدين الكاثوليكي ومحافظون على سلطة الاكليروس وغير ذلك من التقاليد

خلاصة تاريخية

البلجيك قبل استقلالها

تكونت الدولة البلجيكية بشكلها الحاضر في سنة ١٨٣٠ يوم نالت استقلالها ولكن لها تاريخاً قديماً يرجع الى اقدم الازمنة . فمنذ منتصف القرن الاول للميلاد دخلت في حوزة الرومانيين . فتحها يوليوس قيصر بعد فتحه فرنسا وكان في ذلك الحين يقطنها اربع وعشرون قبيلة مختلفة. وظلت في يد الرومانيين الى منتصف القرن الخامس للميلاد . وقد بلغ النفوذ الروماني اشده في جنوبها اما في الشمال فان الشعوب الجرمانية التي كانت تقطنها بقيت محافظة على تقاليدها وعاداتها



مثال من كنوز البلجيك الفنية : بناء البلدية في لوفان المسمى اوتل دي فيل

ومنذ سنة ٢٤٠ بدأ نزوح الفرنك وغيرهم من الشعوب التي قدمت من شرقي اوربا الى غربها فكان من اهم شواغل امبراطرة الرومان صدهم ووقفهم عند حدودهم فحملوا عليهم حملات عديدة لاسيا في ايام الامبراطور قسطنطين . ولكن الفرنك ظلوا يتقدمون في البلاد البلجيكية الى ان دخلت كلها في حوزتهم سنة ٤٥٠ ثم امتدت سلطتهم على كل بلاد فرنسا بقيادة ملكهم كلوفيس

ولما توفي هذا الملك تقاسم اولاده البلاد التي خضعت له فقسمت البلجيك من جملتها .
وفي القرنين السابع والثامن قسمت الى مقاطعات وضمت كل منها تحت نفوذ كونت (اي امير) فكانت هذه الاقسام اساس المقاطعات الحديثة التي تتكون منها البلجيك اليوم

وفي معاهدة فردان سنة ٨٤٣ التي قسمت فيها مملكة شارلمان اعطي القسم الكائن غربي نهر الاسكو (اي الفلاندر) لملك فرنسا والقسم الكائن شرقيه للوثيروس الاول ملك جرمانيا

ومنذ القرن العاشر بدأ النظام الاقطاعي ينتشر بين الاقطار الاوربية فاخذ امراء المقاطعات البلجيكية يستقلون عن سلطة ملوكهم شيئاً فشيئاً . وكانت تختلف درجة استقلالهم حسب شدتهم وقوة بأسهم . ومن جملة المقاطعات التي نالت شبه استقلال مقاطعة لياج التي كانت تحت سلطة اساقفتها . وظلت هذه المقاطعات البلجيكية على هذا النظام الى القرن الخامس عشر. ومن اهم ما يذكر في هذه الاثناء ان امراء البلجيك كانوا من زعماء الحروب الصليبية وكان لهم فيها شأن كبير

وفي القرن الخامس عشر الحقت المقاطعات البلجيكية بامراء عائلة بورجونيا في فرنسا وفي سنة ١٤٧٧ كانت نصيب الاميرة ماري (من الاسرة نفسها) التي تزوجت مكسيمليانوس امبراطور النمسا فبدأت منذ ذلك الحين سلطة النمسا على البلجيك . ولما تولى الملك كارلوس الخامس حفيد مكسيميليانوس المذكور اضاف اليها مقاطعات اخرى فجمع بين هولندا والبلجيك اللتين كانتا تعرفان منذ ذلك الحين باسم البلاد المنخفضة (Pays-Bas) . ثم انتقلت بالارث الى فيليب الثاني ملك اسبانيا ابن كارلوس الخامس ولكنها ثارت جميعها على السلطة الاسبانية فتكونت من المقاطعات السبع الشمالية «جمهورية المقاطعات المتحدة» سنة ١٥٧٩ (اي هولندا) . اما المقاطعات الجنوبية (اي بلجيكا) فانها سميت البلاد المنخفضة الاسبانية Pays-Bas Espagnols ثم الحقت بالنمسا وسميت البلاد المنخفضة النمساوية

وفي سنة ١٧٩٢ اكتسحت جيوش الجمهورية الفرنساوية (ابان الثورة) تلك البلاد وضمت الى فرنسا سنة ١٧٩٥ . ولكن بعد انكسار نابليون قررت الدول في معاهدة فينا سنة ١٨١٥ ان تضم البلجيك الى هولندا ويتكون منهما مملكة . الا ان البلجيك ثارت على هولندا سنة ١٨٣٠ واستقلت عنها

البلجيك بعد استقلالها

كان لقيام البلجيكيين سببان اولهما سوء تصرف وليم الاول ملك هولندا وثانيهما تفضيل

الهولنديين على البلجيكيين من وجوه كثيرة . وحالما ثار الشعب تألفت حكومة مؤقتة فطلبت الى الامير ليوبولد من امراء سكس كوبورج الذي كان زوجاً للاميرة شارلوت



مكتبة جامعة لوفان قبل دخول الالمان للبلجيك



جامعة لوفان بعد دخول الالمان للبلجيك

الانكليزية وعماً للملكة فيكتوريا أن يقبل كرسي الملك فقبله في ٤ يونيه سنة ١٨٣١ وتوّج ملكاً . ثم نشبت حرب بين الهولنديين والبلجيكيين كان النصر فيها في البدء للهولنديين لكن البلجيكيين انتصروا في ما بعد بمؤازرة فرنسا

وفي سنة ١٨٦٥ توفي ليوبولد الاول فجلس على العرش ابنه ليوبولد الثاني الذي بقي

في منصبه هذا الى وفاته سنة ١٩٠٩ فخلفه ابن اخيه البرت الاول الملك الحالي

وتقدمت البلجيك على عهد هذين الملكين تقدماً عظيماً حتى صارت في مقدمة البلاد الاوربية في رقيها المادي والادبي

والى الملك ليوبولد الثاني يرجع الفضل في الحاق مستعمرة الكونغو بالبلجيك (وتبلغ مساحتها عشرين مرة مساحة البلجيك نفسها) . وقد كانت هذه المستعمرة في البدء تابعة للجمعية الدولية الافريقية التي اسسها ليوبولد الثاني لغايات علمية صرفة ثم جعلت مملكة حرة تحت سيادة ملك البلجيك الشخصية وفي اكتوبر سنة ١٩٠٨ وهبها ليوبولد للامة البلجيكية

نظام الحكومة

الدستور البلجيكي اقدم دستور مدوّن في اوربا ما عدا دستور هولندا . ويحق للامة البلجيكية ان تفتخر به وتمجد واضعيه . وسبب نجاح هذا الدستور انه بُني على اساسات موجودة فلم يحاول منشئوه اختراع نظامات غريبة ووضع قوانين خيالية بل كان همهم الوحيد تطبيق دستورهم على الواقع

والسلطة التنفيذية في يد الملك الذي لا يقدر ان يعمل شيئاً الا بواسطة وزرائه المسئولين . والوزارات احدى عشرة وهي : الحربية والداخلية والمالية والخارجية ووزارة العلوم والفنون والحقانية والزراعة (ومعها الاشغال العمومية) والسكك الحديدية والبحرية (ومعها البوستة والتلغرافات) ووزارة الصناعة ووزارة المستعمرات

اما السلطة التشريعية ففي يد مجلسي النواب والشيوخ . وقد كان حق الانتخاب في البدء محصوراً ثم اتسع تدريجاً بانتشار المبادئ الديموقراطية . وفي ١٤ اكتوبر سنة ١٨٩٤ سن قانون الانتخاب الحاضر الذي يخول حق انتخاب اعضاء مجلس النواب لكل ذكر بلغ الخامسة والعشرين . ثم ان هذا القانون ادخل مبدأ جديداً يسمى عند المشترعين بالتصويت الجمعي Vote plural اي انه يخول اصواتاً اضافية في الانتخابات (فضلا عن الصوت الذي لكل بلجيكي) لافراد مخصوصين من اصحاب الاملاك والمصالح الذين تتجاوز ايراداتهم او الضرائب التي يدفعونها مبلغاً محدداً

ومن مزايا النظام البلجيكي ايضاً انه منذ سنة ١٨٩٩ قد عمل بمذهب « نيابة الاقليات النسبية » Représentation Proportionnelle . وخلاصة هذا المذهب ان مجلس النواب يجب ان يكون صورة مصغرة للامة وان يكون فيه نواب للاحزاب الضعيفة

كما للاحزاب القوية . والواقع في اكثر الممالك ان مجلس النواب ينوب عن الاحزاب القوية فقط التي تتغلب في الانتخابات . لنفرض مثلاً ان حزبين من الاحزاب يتسابقان في عشر مقاطعات ولنفرض ان في كل من هذه المقاطعات يحوز احد الحزبين الاغلبية على الحزب الآخر فيكون الاعضاء المنتخبون كلهم تابعين للحزب الاول وليس للحزب الثاني نواب وقد يكون تفوق الاول على الثاني ناشئاً عن اغلبية ضعيفة . فهذا المذهب يقول بانه يجب ان يكون للاقليات ايضاً نواب ينوبون عنها . وهو مبدأ عادل معقول الا انهم اختلفوا في طرق تنفيذه . وقد كانت البلجيك اول الدول الاوربية للعمل به . ولا يزال الخلاف قائماً في الدول الاخرى بشأنه

ويعطى لكل نائب ١٦٠ جنيهاً في السنة . اما اعضاء مجلس الشيوخ فانهم يقومون بوظيفتهم مجاناً . ويتجدد كل من المجلسين مناصفة (اي كل نصف وحده) مرة كل سنتين لمجلس النواب ومرة كل اربع سنوات لمجلس الشيوخ

الاحزاب السياسية

في سنة ١٨٤٢ سن قانون يجعل للاكليروس حق مراقبة التعليم الادبي والديني في جميع المدارس الابتدائية فكان هذا القانون مبدأ النزاع السياسي الطويل الذي ما برح ناشباً الى اول هذه الحرب بين الحزب الاكليريكي والحزب الحر . وقد كانت السلطة تنتقل في هذه الاثناء بين الحزبين فتارة تتولى الحكومة وزارة اكليريكية وطوراً تتولاها وزارة حرة . وكانت السلطة اخيراً من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٩١٤ في يد الحزب الكاثوليكي . ولكن عند نشوب الحرب الحاضرة دخل زعيما الحزبين الحر والاشتراكي في الوزارة لتكون اشد نفوذاً . وللاكليروس في البلجيك نفوذ عظيم فالكنيسة اكبر الملاك فيها

ولم يكن في البلجيك لغاية سنة ١٨٩٤ سوى الحزبين الكاثوليكي والحر . وفي تلك السنة ظهر حزب الاشتراكيين وكان نوابه في المجلس ٢٩

ويقول العارفون باحوال البلجيك ان الاحزاب البلجيكية لا يظهر تأثيرها في السياسة فقط بل ان هذا الانقسام يرجع الى طبائع القسمين المكونين للامة ويظهر في جميع دوائر الحياة الاجتماعية والاقتصادية . قال احدهم :

« يبلغ نفور اعضاء الحزب الكاثوليكي من اعضاء الحزب الحر مبلغاً عظيماً وقلما تجد بين الفريقين صلات ادبية او اجتماعية . ويبلغ هذا النفور اشده بين الكاثوليك والاشتراكيين . ومن اغرب ظواهر هذا الانقسام انك تجد في المدينة الواحدة نقابة تجارية كاثوليكية ونقابة حرة ونقابة اشتراكية وكذلك تجد شركات تعاون لكل من

هذه الاحزاب ومنتديات وملاهي وجمعيات وغير ذلك تابعة لكل منها . ولا يخفى ما في ذلك من تبديد القوة وضياع الوقت »

وفي البلجيك اربع جامعات عالية اثنتان منها تابعتان للحكومة (لياج وغنت) والاخريان مستقلتان الواحدة منهما اكايريكية (لوفان) والاخرى حرة (بروكسل) واليك عدد التلاميذ في هذه الجامعات (سنة ١٩١١ - ١٩١٢)

جامعة لوفان (اكايريكية)	٢١٠٠	جامعة لياج (رسمية)	١٨٠٣
جامعة بروكسل (حرة)	٩١٨	جامعة غنت («)	٥٣٥

ولم تسن البلجيك قانوناً للتعليم الالزامي الا سنة ١٩١٣ اي قبل الحرب بسنة وسبب تأخرها عن الدول الاوربية الاخرى في هذا المضمار يرجع الى الانشقاق الذي كان مستحكماً بين الاحزاب السياسية

واليك جدولاً بقوة الاحزاب السياسية في مجلس النواب في الانتخابات الخمسة الاخيرة :

	١٩٠٦	١٩٠٨	١٩١٠	١٩١٢	١٩١٤
كاثوليك	٨٩	٨٧	٨٨	١٠١	٩٩
احرار	٤٦	٤٣	٤٥	٤٥	٤٥
اشتراكيون	٣٠	٣٥	٣٤	٣٨	٤٠
مسيحيون ديموقراطيون	١	١	١	٢	٢

الحالة الاجتماعية والاقتصادية

نظراً لضيق المقام نذكر اهم الامور المتعلقة باحوال الشعب البلجيكي الاجتماعية والاقتصادية بشكل جمل مستقلة مختصرة فنقول :

سكان البلجيك اشد ازدحاماً في الميل المربع من سائر الشعوب الاوربية

البلجيكيون منتشرون خارج المدن انتشاراً عظيماً فليس بين البلاد الاوربية دولة يطلب عمالها المعيشة خارج المدن كالبلجيك

في البلجيك ارخص اسعار للسكك الحديدية

معدل مساحة الاملاك عند البلجيكيين أصغر منها عند سائر الشعوب الاوربية

ومعدل حاصلاتها بالفدان يفوق الدول الاخرى

الحكومة البلجيكية تهتم اهتماماً خاصاً بنشر التعاليم الزراعية

نقابات التعاون منتشرة انتشاراً عظيماً

الرسوم الجمركية أقل منها في الدول الاخرى الاوربية (ما عدا انكلترا)

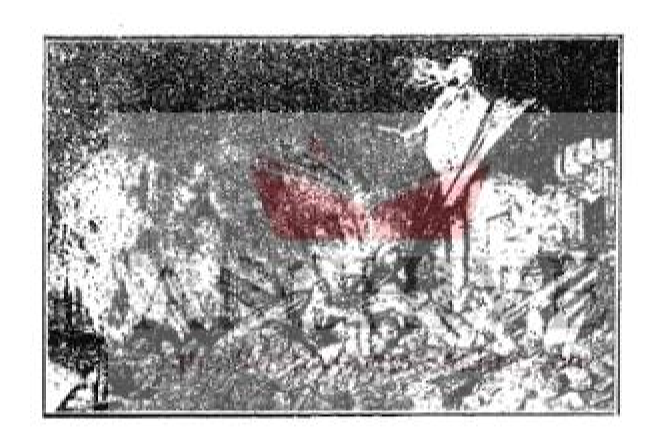
المصانع والمناجم كثيرة جداً

الاجور قليلة . وجمعيات العمال قليلة (الا جمعيات التعاون)

اجور المعيشة قليلة ايضاً لا سيما اجور البيوت

طرق الاحسان والتعاون كثيرة لكنها تحزبية

من سنة ١٨٩٠ — ١٩٠٥ بني ١٤١٤٣٩ منزلا للعمال وسهلت طرق امتلاك هذه المنازل للراغبين حتى أنه في سنة ١٩١٠ تمكن ١١٠٠٠٠ عامل بواسطة هذه التسهيلات من امتلاك منازلهم



روح البلجيك الخالدة

تمثل هذه الصورة الرمزية روح البلجيك قائمة فوق انقاض مدنها وجثث ابنائها وهي لا تزال حية نشيطة رغم كل ماحل بها من المصائب

النقود

تاريخها قديماً وحديثاً

وكيف يضربونها

عند الاوربيين علم خاص يسمّى النمزماتيك اي علم البحث في النقود والمسكوكات وقلما تفرّغ له احد من الشرقيين على رغم ما هو عليه من الاهمية . وليس غرضنا الان ان نبحث في تاريخ نشأته او الاسباب التي دعت الى وضعه بل ان نأتي على تاريخ موجز للنقود ثم ننتقل الى الكلام عن كيفية صنعها او ضربها

تاريخ النقود

كان الناس في اوائل عهد المدنية يتعاملون بالمقايضة اي بيع العرض بالعرض وظلت هذه الطريقة متبعة الى حين ظهور النقود . وكانت (النقود) منذ اول عهدها حتى الان تُسكّ من المعادن الثلاثة اي الذهب والفضة والنحاس او الشبه . ولعل اقدم النقود المسكوكة ظهرت في مدينة ليدية من اعمال اسيا الصغرى فقد كانت متداولة في اوائل المئة الثامنة قبل الميلاد وكانت مصنوعة من خليط من الذهب والفضة . وظلت شائعة حتى منتصف القرن السابع قبل الميلاد (اي الى سنة ٦٥٢ ق م) وكان منقوشاً عليها صورة رأس اسد . ولما حكم قارون على ليدية امر بسك النقود الذهبية والفضية . ثم عم استعمال النقود فكانت تضرب في اكراسوس وباجيس وبريولا وجرما . ولما جاء الملوك السلوقيون امروا بضرب نقود اشتهرت باسمهم (وذلك في سنة ٣١٢ قبل الميلاد) ولكن بطل تداولها عند نهاية حكم الملك انطيوخس في سنة ٦٥ للميلاد . وقد اشتهرت هذه النقود بكثرة النقوش التي كانت عليها ولا سيما نقود الملك انطيوخس الثاني وسلوقس الثالث

اما النقود اليونانية القديمة فاشهرها الاستاتر الذهبي وقيمته نحو ست دراخمات[1] فضة وقد كان منقوشاً عليها (ما عدا نقود ليديا) الحرف الاول من اسم المدينة التي ضربت فيها ولم يكن اسم الملك ينقش عليها الا من عهد الاسكندر فصاعداً واول النقود التي ضربت من هذا النوع هي التترادراخمة

(١) الدراخمة تعادل فرنكاً في عملة اليوم

وكان للبارثيين ايضاً نقود مسكوكة بدأ تداولها في عهد ارساقس الاول (في سنة ٢٥٥ قبل الميلاد) وبطل استعمالها في سنة ٢٢٧ بعد الميلاد واهمها التترادراخمة (اي اربع دراخمات) وهي نقود فضية



النقود الفارسية

اما النقود اليهودية فثلاثة انواع (اولها) ما ضرب منها على عهد الاسكندر ذي القرنين وهي نحاسية ونادرة الوجود جدًا (وثانيها) ما ضرب منها في عهد متياس في سنة ١٦٩ قبل الميلاد وقد ظلت متداولة حتى سنة ٣٧ قبل الميلاد (وثالثها) ما ضرب منها على عهد الاسرة الادومية واولها ما ضرب في ايام الملك هيرودس الكبير في سنة ٤٠ قبل الميلاد وآخرها في عهد الامبراطور فسباسيانوس في سنة ١٣٤ بعد الميلاد

الدينار الرومي

وتقسم النقود الرومانية ايضاً الى ثلاثة اقسام وهي نقود الجمهورية والنقود العائلية ونقود الامبراطورية . فنقود الجمهورية كانت معظمها من الشبه (البرونز) . والنقود العائلية هي التي ظهرت حوالي سنة ١٧٠ قبل الميلاد وسميت كذلك لان نقوشها تمثل بعض الحوادث التي وقعت للعائلة المالكة . واما نقود الامبراطورية فكان معظمها من الذهب والفضة وتتفاوت احجامها ونقوشها تفاوتاً عظيماً ولعل أدق النقوش واتقنها هي المرسومة على نقود اغسطوس قيصر ونيرون

النقود عند العرب

ذكر مؤسس الهلال المرحوم في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي ان العرب قبل الاسلام كانوا يتعاملون بنقود كسرى وقيصر وهي الدراهم والدنانير . وكانت الدنانير على الاجمال نقوداً ذهبية والدراهم نقوداً فضية وكان عندهم ايضاً نقود نحاسية منها الحبة والدانق . وكان الدرهم يساوي اربعة غروش مصرية تقريباً والدينار نحو عشرة دراهم او فرنكات . وكانت الدنانير صنفين — هرقلية (او رومية) وكسروية (او فارسية) وكذلك كانت الدراهم . وكانت أغلب معاملتهم بالدنانير الرومية والدراهم الفارسية

ولما جاء المسلمون اخذوا يضربون الدراهم والدنانير اولا مشتركة بينهم وبين الروم والفرس . منها قطعة ضربها خالد بن الوليد في طبرية في السنة الخامسة عشرة للهجرة وهي

على رسم الدنانير الرومية تماماً بالصليب والتاج والصولجان ونحو ذلك وعلى احد وجهيها اسم خالد بالاحرف اليونانية . ومنها قطعة اخرى ضربت باسم معاوية ولكنها على مثال دينار من دنانير الفرس برسمه وشكله


نقود خالد بن الوليد

وذكر المؤرخون ضروباً اخرى من النقود كالبغلية والراشدية (نسبة الى الخلفاء الراشدين) وخلافها . على ان جميع هذه النقود لم تكن تعتبر رسمية في الدول الاسلامية بل كانت اكثر معاملاتهم بالنقود الرومية والفارسية . ولكنهم عادوا فابطلوها بمرور الزمن وصاروا يضربون نقوداً خاصة بهم في جميع عواصم الاسلام في العراق والشام والاندلس وخراسان والهند وغيرها . وكانت تختلف رسماً وسعة ونصاً باختلاف الدول والعصور . ويظهر انهم لم يكونوا يذكرون اسم البلد الذي ضربت فيه الى اوائل المئة الثانية للهجرة . وكانوا اذا ذكروا تاريخ الضرب سبقوه بلفظ « عام » وكثيراً ما كانوا يقولون شهور سنة كذا او شهور عام كذا او في ايام دولة فلان . وكان التاريخ ينقش اولا بالحروف على حساب الجمل ثم كتب بالارقام واقدم ما عثروا عليه مؤرخاً بالارقام سنة ٦١٤ هجرية


نقود معاوية بن ابي سفيان

وكانت دار الضرب (الضربخانة) ضرورية للدولة كما نراها ضرورية في هذه الايام ولم تكن تخلو عاصمة او قصبة من دار للضرب في بغداد والقاهرة ودمشق والبصرة وقرطبة وغيرها . وكان لدار الضرب ضريبة على مايضرب فيها من النقود يسمونها ثمن الحطب واجرة الضراب ومقدار ذلك درهم عن كل مئة درهم اي واحد في المئة وربما اختلفت هذه الضريبة باختلاف المدن فكان للدولة من ذلك دخل حسن

وقد جاء في نفح الطيب ان دار الضرب في الاندلس بلغ دخلها من ضرب الدراهم والدنانير على عهد بني مروان في القرن الرابع للهجرة مئتي الف دينار فاذا اعتبرناه واحداً في المئة من المال المضروب بلغ مقدار ذلك في بلاد الاندلس وحدها عشرين مليون دينار او نحو عشرة ملايين جنيه

اما صناعة ضرب النقود في ذلك الزمن فكانت بسيطة جداً اذ لم يكونوا يستعملون

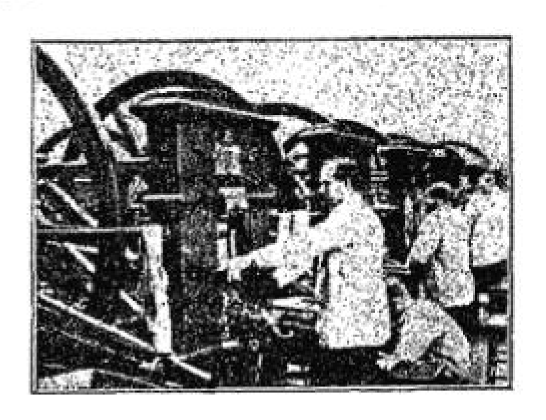
الا طابعاً من حديد تنقش فيه الكلمات التي يراد ضربها على النقود مقلوبة ثم يضعونها على قطع من الذهب او الفضة ويضربون عليها بمطرقة ثقيلة حتى تظهر الكتابة عليها

هذا اهم ما يقال في تاريخ ضرب النقود عند العرب . و ننتقل الان الى الكلام على النقود في العصور المتوسطة في اوربا . واهمها قطعة من الفضة كان يضربها الموالي الاقطاعيون [1] والرؤساء الدينيون وتسمى الدنير (او الدينار) . وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر تولت المجالس البلدية في اوربا ضرب النقود واشهرها قطعة رقيقة من الفضة تسمى « براكتيت » انتشرت في جميع بلدان اوربا وانكلترا مع ان الانكليز كانوا يتعاملون بنقودهم الوطنية التي كانت ترجع الى ما قبل زمن الانكلوسكسونيين وهي تقليد للنقود اليونانية والمقدونية القديمة التي جاء بها الفينيقيون الى انكلترا . ويغلب ان يكون منقوشاً على احد وجهيها رأس حصان او رأس حصان ورجل حامل بلطة حرب . ولكن هذه النقوش تغيرت بمرور الزمن فصار يكتب بدلا منها أحرف او اسماء ملوك معيَّنين

والمجال لا يأذن لنا ان نطيل الكلام عن انواع النقود الاوربية فنكتفي بما ذكرنا ونتقدم الى الكلام عن

ضرب النقود اليوم

لكل مملكة مواضع خاصة لضرب النقود او سكها تسمى دار الضرب (ضربخانة) ولما كانت معظم دور الضرب متشابهة فنصف هنا دار الضرب الانكليزية على وجه الايجاز:



المطابع التي تسم النقود

يؤتى بالذهب الى دار الضرب الانكليزية سبائك وزن كل منها اربع مئة أوقية .

(١) نسبة الى نظام الاقطاع (اي feudalism) الذي ظهر في اوربا في القرون الوسطى

ويؤتى بالفضة سبائك وزن كل منها مئة ليرة . اما النقود الذهبية فتصنع من مزيج اثنين وعشرين جزءاً من الذهب مع جزئين من النحاس . والنقود الفضية من مزيج سبعة وثلاثين جزءاً من الفضة مع ثلاثة اجزاء من النحاس . واما النقود النحاسية فتصنع من مزيج من النحاس والقصدير والزنك . وقد تصنع بعض المعامل الاقراص النحاسية وترسلها الى دار الضرب لقسمها (اي تطبع عليها النقوش الرسمية) فتصبح نقوداً

وتنقسم دار الضرب الى قسمين احدهما لتذويب الفضة والاخر لتذويب الذهب . ففي القسم الاول تذاب الفضة في قدر كبيرة مصنوعة من الاسرُب (اي الغرافيت الذي تصنع منه اقلام الرصاص) تسع ثلاث مئة وعشر ليبرات من الفضة ومتى ذابت ترفع القدر عن الاتون بواسطة آلة رافعة وتدار الى موضع فيه قوالب مستطيلة فتسكب بطريقة ميكانيكية وتترك حتى تبرد

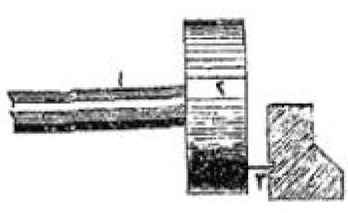
اما الغرفة التي يذاب فيها الذهب ففيها ثماني قدور تسع كل منها ما تساوي قيمته خمسة آلاف جنيه ويبلغ مقدار ما يذاب فيها من الذهب يومياً نحو مئتين وخمسين الف جنيه اي ربع مليون . وهناك عمال مخصوصون لتحريك الذهب عند ما يذوب حتى يتم مزجه بالنحاس . ثم يُسكب في قوالب خاصة ومتى برد وجمد تؤخذ السبائك وتُبرى اطرافها ليُعلم هل النحاس الذي فيها متوزع على السواء . فان لم يكن كذلك أُعيدت السبائك الى القدور وأُعيد تذويبها حتى يتم مزج الذهب بالنحاس على السواء ثم تسكب ثانية في القوالب لتحوّل الى سبائك

ومتى جمدت السبائك (وثخن كل منها نصف بوصة) ترفع من القوالب وتوضع بين اسطوانتين حديديتين ثقيلتين لكي ترقّ ثم توضع بين اسطوانتين أخريين وهكذا الى ان تصبح السبائك اشبه بشرائط عرضها بوصة ونصف وثخنها جزء من عشرين من البوصة . ويقاس ثخن الشريطة بآلة رقيقة جداً تكتشف الخلل الى جزء من عشرين الف جزء من البوصة . ولولا هذه الآلة لكانت قطع الجنيهات تختلف في وزنها

ثم تؤخذ هذه الشرائط الى غرفة أخرى حيث تقرض منها قطع مستديرة لصنع الجنيهات ويبلغ مقدار ما يقرض من الشريطة نحو مئة وخمسين قطعة . اما القراضة الباقية فتعاد الى غرفة التذويب . ثم تؤخذ القطع المستديرة وهي غفل[1] الى غرفة أخرى حيث تحدد اطرافها بواسطة دولاب محدّد كما ترى في الشكل التالي ثم تؤخذ الى حيث تليّن وذلك بان توضع في صناديق فيها مسحوق الفحم وتعرّض لاتون متقد مدة نحو ثلاث

(١) اي خالية من السمة او النقشة

ساعات ثم تؤخذ وتوضع في محلول مخفف من حامض الكبريت وبعد ذلك تنظف بفركها بنشارة خشب الزان وتؤخذ الى غرفة اخرى حيث توسم (اي تطبع على جانبيها النقوش) . وفي هذه الغرفة آلات عديدة لطبع النقوش وهي عبارة عن صورة الملك من الجهة الواحدة وصورة ماري جرجس من الجهة الاخرى مع تاريخ الضرب وبعض رموز واشارات اخرى



الدولاب المحدد

اما الآلة التي تسم الجنيهات فتتألف من قالبين متقابلين يسعان قطعة الجنيه تماماً وفي كل منهما السمة او النقشة المطلوب طبعها على قطعة الجنيه . والقالبان متصلان احدهما بالآخر وتوضع قطعة الجنيه بينهما فيطبقان عليها من تلقاء ذاتهما ويضغطان عليها بقوة ثلاثين طناً . وهناك طوق يسع قطعة الجنيه تماماً وهو متصل بالقالبين فاذا أطبقا على الجنيه طوّقها هو ايضاً حتى لا تمدد وتزيد على حجمها عند انحصارها بين القالبين . ومتى تم وسمها ينفتح القالبان من تلقاء ذاتهما فتسقط الجنيه في موضع مخصص وتحل محلها قطعة اخرى لوسمها وهكذا الى ان توسم سائر القطع . وتستطيع كل آلة ان تسم نحو اربعين الف قطعة كل يوم

وزنة النقود وفحصها

ولا يتوهمن القارئ ان مجرد وسم الجنيه يجعلها صالحة للتداول بل لا بد قبل ذلك من وزنها وفحصها . اما وزنها فلا يجب ان يزيد او يقل عن ١٢٣،٢٧٤٤٧ قمحة . والموازين التي تستعمل لوزن الجنيهات هي ادق الموازين المعروفة في العالم وتحفظ في صندوق من زجاج او بلور منعاً لها من التعرض للهواء . وفي استطاعتها ان تزن مئات الالوف من الجنيهات كل يوم اذا اقتضى الامر

ومتى فرغوا من وزن الجنيهات يضربونها على قطعة من الصلب (الفولاذ) لكي يعلموا من رنينها هل هي صحيحة ام لا . ثم تكوّم الجنيهات الصحيحة ويوضع كل الف منها في كيس خاص وتعاد الى الغرفة التي جاءت منها السبائك الاصلية

ويقال ان الجنيه تفقد في السنة ٢٩/١٠٠٠ من القمحة بسبب تداولها والنصف جنيه ٤٢/١٠٠٠ من القمحة وذلك لانه اكثر تداولاً من الجنيه . ومتى نقصت الجنيه ثلاث قمحات تعاد الى دار الضرب لتذاب ويعاد ضربها

نشوء الحرب (٢)

عواملها وتطوراتها

وتأثيرها في تطورات الامم

اتينا في الجزء الماضي على مقدمة نشوء الحرب الطبيعي وجرثومتها في الجماد والحياة الدنيا . واردفنا هذه المقدمة بفذلكة عن نشوء الحرب فيما قبل التاريخ اي لاول عهد تكوّن الهيئة الاجتماعية من مقالة في « الحرب والاقتصاد » لادوار فديك روبنصون والآن نقتطف من هذه المقالة اهمها ونردفه بتطبيقه على المبادىء الاولية التي اثبتناها في المقالة الماضية

﴿ نشوء الحروب اليونانية ﴾ — « كان اليونان في بدء تاريخهم همجاً غزاة وقد عنوا قليلاً بالزراعة ورعي الماشية لانهم كانوا يثيرون الحروب بلا انقطاع متنازعين قطعان الماشية والعبيد والاماء والمراعي الخصبة كأن الحرب عندهم حرفة او عمل للاسترزاق . ولذلك كانت الحرب لهم امراً طبيعياً حتى اذا ارادوا السلم عقدت له معاهدة خاصة

« والحكومة اليونانية في ابان زهوها وفي عهد اضطرابها وارتباكها وفي زمن سقوطها السريع تدل دلالة واضحة على ان مسائل الارض ومسحها كانت اموراً اساسية في خصائص مناطقها السياسية . فمن اول تاريخها الى آخره كانت جميع حركاتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية تنشأ عن الاهتمام بايجاد مسترزق لشعوبها المتكاثرة . ولما زادت بعض القبائل اليونانية عن ما تنتجه مناطقها من العيش واشتد بها الفقر اضطرت ان تطلب الرزق بالسيف في البلاد البعيدة . وعلى هذا النحو نشأت المستعمرات اليونانية بعضها بوسيلة الفتح وبعضها بمجرد المهاجرة السلمية . وجميع الحروب التي جرت قديماً وحديثاً نجمت عن باعث واحد وهو الجهاد في سبيل الحصول على الارض والغذاء . ومع ان تقدم التجارة ونشوء النظام المالي كيّفا ظواهر ذلك الجهاد فلم يغيرا شيئاً من حدّته بل بالاحرى زادا التنازع شدة فانقسم اليونان الى حزبين الواحد برّي زراعي عسكري يعوّل في عيشه على موارد الطبيعة وهو تحت زعامة سبارطا . والاخر بحري تجاري اصبح في عهد قصير ذا اساطيل في البحار وبرع في النظام المالي وكان تحت زعامة اثينا . وبقاء سبارطا اريسطوقراطية وتحول اثينا الى ديموقراطية كانا نتيجة لاسباب لا سبباً لنتائج

« والتنافس الذي كان بين هاتين المملكتين ولا سيما في مصالحهما والعداوة المحتومة بينهما جعلا تبايناً بيناً في نظامي حكومتيهما وسر ذلك هو التنازع الحاد الذي لا يقاوم بين الاقتصاد الطبيعي والاقتصاد المالي اي انه نفس التنازع القديم ولكنه بصورة جديدة . وكانت اثينا كلما اشتدت بها الحاجة الى اشباع اهلها لازدياد عديدهم اضطرت ان تحصل من الخارج ما ضنت به الطبيعة في البلاد ليس بتوسيع نطاق تجارتها فقط بل ببسط نفوذها وتأييد سلطتها على البحار

« وجميع الحروب اليونانية التي جاءت بعدئذ كانت راجعة الى نفس السبب . فلما أيد فيليب السلم في المدن اليونانية بسلاحه وذهبه اعد حملته الاسيوية لكي يفتح للشعب اليوناني المزدحم في بلاده الضيقة والمشتغل دائماً بالفرصنة والحروب الاهلية — بلاداً جديدة يسترزق منها . وذلك لان اليونان الاذكياء الذين كانوا يتجرون في الشرق اذاعوا عن بلاد الفرس وسعة مواردها وبسطة العيش فيها فاحمّس اليونان الى فتحها . ولهذا كان زنفون يقول : — مادامت بلاد الفرس غنية واهلها ضعفاء فالذنب ذنب اليونان اذا بقوا في بلادهم يعانون الفقر ولا يكونون سادة للاعجام . فما خطر لزنفون وشرع به فيليب انجزه الاسكندر. فما فتح هذا البلاد حتى تدفق اليها اليونان من كل صنف وطبقة وحرفة ونقلوا معهم لغتهم وفنونهم ومن ثم استتب السلم في بلاد اليونان بعد ذلك عهداً طويلاً لان اسباب النزاع الاقتصادية انتفت

﴿ منتقدو الحرب من اليونان ﴾ — « ومن اقدم المفكرين بمسألة الحرب « هسيود » وهو اول من رفع عقيرته ضد الحرب واهوالها لانه كان من طبقة الفلاحين فاعرب عن شعور طبقته الذين كانوا يحملون مشاق الحروب ويكابدون خسائرها في حين ان طبقة الخاصة كانت تجني فوائدها

« ويليه باهمية البحث في الموضوع توسيديدس فقد نظر في مسألة الحرب من الوجهة الاقتصادية وعلل الحرب البلبونية بانها نتيجة ازدحام السكان في دائرة العمران . وقد اتفقت مباحثه مع مباحث زنفون فابان ان اليونانيين اضطروا الى الحرب لاجل الاستعمار لان ضيق بلادهم دفعهم اليه

﴿ حروب الرومان ﴾ — « اما الرومان فكانوا في الاصل رعاة ولهذا كانوا بالطبع مضطرين الى الحرب لتوسيع مراعيهم . وما زالوا مضطرين اليها حتى في حالة انتقالهم من الحياة الرعوية الى الحياة الزراعية . فالحرب اذاً كانت عندهم حالة طبيعية والسلم حالة استثنائية

« ولعلّ لذلك سببين الاول ان موقع المدينة الداخلي لم يأذن بتوسيع دائرة التجارة فكانت الحرب الوسيلة الوحيدة لاتساع دائرة عمران البلاد . والثاني ان الرومان يعتقدون انهم تسلسلوا من اله الحرب واصول تاريخهم ممتزجة باخبار الحروب . فكيف يستطيعون ان يجردوا انفسهم من آثار ماضيهم ? وكيف يمكنهم ان يحبوا ما احتقروه او ان يحتقروا ما احبوه ? فكانوا يقولون : « يجب ان تشتغل الامم التجارية لاجلنا وشغلنا الوحيد هو ان نفتح بلادها ونضرب عليها الجزية . فلنواظب اذاً على الحرب التي جعلتنا سادتها وهي افضل من ان نستعبد انفسنا للتجارة التي جعلت كل الامم عبيداً لنا

« وهكذا اتحدت الاحوال الاقتصادية والتقاليد الوطنية على تقوية سياسة الفتح والابتزاز . وقد نجحت هذه السياسة حتى تجاوزت حد الطمع الاشعبي . فجميع الطرق السلطانية كانت تؤدي الى روما . وما كانت هذه الطرق الا قنوات تتسرب فيها الغنائم من جميع الولايات وملايين من الناس الذين فتحت بلادهم اصبحوا عبيداً يشتغلون لسادتهم . واولئك الذين بقوا احراراً لم يكونوا اقل عبودية من اخوانهم لانهم كانوا يشتغلون لسيدهم الشعب . وكان اهالي الولايات يدفعون الجزية نقوداً وحبوباً وجنوداً . فكانوا يقدمون حاجة الاسطول ويكسون الجيش ويطعمونه . وبالاجمال كانوا يدفعون الجزية الف صنف حتى متى فرغت جيوبهم جعلوا يستدينون من متمولي الرومان بربا فاحش ويدفعون معظم الدين ضرائب واتاوات . على هذا النحو استمر اهل روما يبتزون الولايات حتى بعد عودة الجيش الروماني بالغنائم وبعد اعلان ان حكم الارض ملك الشعب وازداد هذا الابتزاز شدة وقساوة على ممر الايام

« فترى مما تقدم ان فكرة الفتح تحققت في روما بأتم صورها . فالقوة غير المحدودة والوقت برهنا على ماذا كانت ثمرة الحرب الاقتصادية . وكيف كانت آخرة من يأكل من عرق غيره . فان احتضار المملكة الرومانية الطويل وانحطاطها المتواصل كانا عبرة لمن اعتبر ونتيجة لسببين رئيسيين الاول نظام الاستعباد العامل الذي لا يثمر كما هو معلوم بالاختبار والثاني زيادة المستهلك على الحاصل اي ان نتيجة عمل العبيد لا تكفي لاعالة السادة والعبيد معاً الامر الذي جعل يضيق دائرة التجارة وبالتالي يقلص دائرة الارزاق

﴿حروب القرون الوسطى﴾ — « تقسم الحروب في القرون الوسطى الى اربعة انواع :

١ — حروب دفاعية ضد الغزاة

٢ — حروب الاقطاع (feudalism) او حروب تنازع الاراضي

٣ — الحروب الصليبية

٤ — الحروب التجارية

﴿الحروب الدفاعية﴾ — « اما الحروب الدفاعية فنشأت عن محاولة القبائل التي في البلاد القليلة الخصب ان تزج انفسها في البلاد التي احتلها الفاتحون الرومان في الولايات الرومانية القديمة وان تستولي على الاتاوات التي تجبى من الاهالي . وبالرغم من فوز هذه القبائل في بعض الحروب المحلية كفوز اهل الشمال على ضفاف الاتلانتيك وفوز العرب في الجنوب والمجر والترك في الشرق لم تكن تلك الغزوات بالاجمال ناجحة . وقد انتهت عند ما اقتضى رقي الصناعة في اوربا توزيع انواع الاعمال على طبقات العمال وافضى الى النظام الاجتماعي والسياسي الامر الذي جعل المدافعين متفوّقين في نظامهم العسكري . وقد وجد هذا النظام اولا في البلاد الاقطاعية وبعد ذلك في الممالك المتوسطة . وكانت الجيوش النظامية التي تحت السلاح تعتمد في اهبتها على النظام الاقتصادي المالي . ولهذا فشل الغزاة اخيراً بما لقوه من حسن نظام مدافعيهم كما جرى للعرب اخيراً في اسبانيا وفرنسا وللدنيمركيين في انكلترا وللمجريين في جرمانيا

﴿حروب الاقطاع﴾ — « أما في عهد الاقطاع فكان الجيش الذي تحت السلاح موكلاً بالدفاع وبادارة البلاد اي ان الحروب والحكومات كانت المهمة الخاصة باصحاب المقاطعات والجماعة الزراعية التي تتكل على الحالة الاقتصادية الطبيعية لم تجد وسيلة لحفظ كيانها غير هذا النظام وذلك لان الفلاحين وهم مشتتون هنا وهناك للعمل في زراعة الاراضي لم يمكن استخدامهم في الحروب . ولم تكن تتيسر مكافأة الجنود والموظفين الا بمنحهم اراضي يقاسمون الزراع ريعها الامر الذي يعلل وجود نظام الاقطاع في بلاد وعصور مختلفة متباعدة كالصين واليابان واشور وفارس ومصر والحبشة والمكسيك وبيرو . ثم ان نظام الاقطاع يكون نتيجة الحرب وعلة لها على السواء

« ولما كانت الارض المصدر الوحيد للثروة فالوسيلة الوحيدة للحصول على الثروة اذاً انما هي الحصول على الارض . وللحصول على الارض طريقتان فقط : الحرب والزواج لامتزاجه بالمصالح العقارية وقد جريا كلاهما على قواعد منظمة كسائر الاعمال النظامية في وقتنا الحاضر . على ان الزواج كان يبتدئ او ينتهي بالحرب . وفي تاريخ النمسا شواهد مدهشة على هذه الحقيقة . فالحرب اذاً العلة والغاية على كل حال فهي التي اغنت الاشراف الاقطاعيين بالارض والعبيد واغنت ابطالهم بالغنائم وفدت أسراهم . وكانت محاربة فرنسا عهداً طويلاً الوسيلة الوحيدة لاغناء النبيل الانكليزي . في القرون الوسطى

كانت الفئات العسكرية في كل مكان متشبعة بالاعتقاد الجرماني باحقية الاثراء بقوة السلاح . واخيراً اصبح تقسيم الغنائم امراً نظامياً قانونياً بحيث يتقاضى المتمولون رباً سنوياً عن المال الذي ينفق على المعدات الحربية . وذلك الربا الذي كان الشرفاء يتقاضونه ما دامت الحروب منشوبة كان علة لاستمرار الحروب بالرغم من كل سعي في اطفاء نيرانها . وكان الذين يستأجرون الاراضي يؤجرونها لغيرهم لكي يستطيعوا ان يتجندوا للحرب حتى لم تعد الارض اخيراً كافية لاعالة غير العاطلين فيها فضلاً عن العاملين وهكذا اصبحت الحرب الحرفة الوحيدة التي يحترفونها . والحروب التي كان الملوك والامراء يثيرونها بعضهم على بعض وعلى من هم دونهم رتبة انما هي من قبيل الحروب الاقطاعية لانها ترجع الى نفس مبدأ هذه اي تنازع السيطرة على الاتاوات المفروضة على المقاطعات والمزارع

﴿ الحروب الصليبية ﴾ « كان زعماء الكنيسة القدماء يعدون الحروب منافية لروح النصرانية ولكن لما اتفقت الكنيسة والساطات الحاكمة ونشأ الحزبان الاكليريكي والسياسي وصار لرجال الدين سلطة دينية صار بعض زعماء الكنيسة يبررون الحرب ومنهم القديسان امبروس واوغسطين . ومن ثم صار الحزب العسكري في النظام الكنسي يقوى وامتزجت الروح العسكرية بالروح الدينية . ولا يخفى ان العاطفة الحربية التي ورثها الاوربيون من اسلافهم لم تخمد حتى ذلك العهد . ولما كانت ممالك اوربا قد ازدحمت بالسكان وكانت موارد الرزق قليلة عليهم لان سواداً كبيراً منهم ما زالوا لذلك العهد يحترفون الجندية وهذه الحرفة لا تدر رزقاً الا بواسطة الفتح كان الفقر يبسط ظله تدريجاً ويشتد حلكه حتى صار يخيم على الاشراف والنبلاء اخيراً ولهذا اضطر الناس ان يطلبوا الرزق في غير بلادهم وكانوا يسمعون بغنى الشرق وسعة الرزق فيه وفي الوقت نفسه كان الحجاج منهم ينقلون اليهم اخباراً متعددة عن تدنيس الاماكن المقدسة وعما قاسوه في سفرهم فيها من الاضطهاد . فاندفعوا الى الشرق فاتحين بعاملين عامل الفقر الدافع وعامل الطمع بخيرات الشرق الجاذب . وهكذا توالت الحروب الصليبية . وماردهم عنها الا اقتناعهم بالاختبار ان هذه الحروب كانت تحملهم من الخسائر اكثر مما كانوا يجنون منها

﴿ الحروب التجارية ﴾ « اما الحروب التجارية فكانت القسم الآخر من سلسلة الحروب الوسطى الذي تلا الحروب الصليبية . فالطليان حسبوا فتح الشرق مشروعاً تجارياً . واهل البندقية تذرعوا بالحرب الصليبية الرابعة الى احتكار التجارة في القسطنطينية الامر الذي نشأت عنه حروب طويلة مدمرة بين اهل البندقية وجنوى الذين كان غرضهم جميعاً ترويج متاجرهم وذلك لجهاد كل فريق منهم في سحق الآخر . على ان هذه الحروب لم

تنشأ في ذلك الحين فقط ولا كانت محصورة في ايطاليا . فلا تقرأ تاريخ فلورنسه لما كيافالي او التواريخ القديمة للمدن الايطالية وغيرها ألا تجد في خلالها المناظرات القديمة التجار التي كانت سمطاً لعقد سياستها . وتاريخ الحروب المتواصلة التي كانت بين بيزا وفلورانسه انما هو نموذج لما كان يحدث في كل اوربا ولا سيما ايطاليا والمانيا وما جاورهما حيث كانت المصالح التجارية شديدة الاحتكاك . والحق يقال ان تاريخ المدن التجارية بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر يمثل بصورة مصغرة شكل تاريخ الامم التجارية بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر . والفرق المهم بينهما انما هو في ازدياد توزيع العمل واشتداد حركة الحكومة المركزية وامتداد الوحدة الاقتصادية » . اه

فمن كل ما تقدم ومن مجمل تواريخ الحروب في القرون الحديثة نستخرج الحقائق التالية المنطبقة على النظريات الاولية التي وردت في المقالة المدرجة في الجزء الماضي

﴿ انتقال القوة من مادة الى مادة ﴾ — ان اسباب الحروب مهما اختلفت ترجع الى سبب واحد سماه روبنصون « الحاجة الاقتصادية » . فتنازع اهل سبارطا واثينا وتنازع اليونان والفرس وتنازع اهل روما واهالي الممالك الشرقية لا يختلف في الجوهر عن تنازع الذئاب والثعالب لاسراب القطا . ولما كان تغلب الذئاب يفضي طبعاً الى نموها وتكاثرها . وتكاثر الذئاب يستلزم حتماً نقص الثعالب ونقص القطا او انقراضهما معاً على افتراض ان هذه كلها في منطقة واحدة هكذا تكون النتيجة في تغلب شعب على شعب فان الشعب الغالب ينمو ويتكاثر والشعب المغلوب يتناقص لما يأخذه ذاك من رزق هذا ولما يفنيه ذاك من افراد هذا في اثناء التنازع على اختلاف صوره

وما يمكن ان ينتجه الاقليم او الصقع او الموطن من السكان المستوطنين لا يتغير كمية وان تغير كيفية اي لا يتغير عدداً وان تغير سلالة او عنصراً اللهم اذا كان العنصر الواحد اقدر من الاخر على مغالبة الطبيعة في استخراج رزقها فيكثر عدده الى حد ما تحتمله الطبيعة

ومعنى ذلك ان المادّة خالدة لا تتلاشى ولا تتزايد وانما تحول من حال الى حال بتلاعب القوة فيها . فكما ان القوة تحول الكربون والهيدروجين والاوكسجين والنيتروجين الى نبات والنبات الى حيوانات داجنة وهذه الى بشر . هكذا حولت سكان مكدونيا والاناضول من اغريق الى تتر بتغلب هؤلاء على اولئك واحتلالهم محلهم وتلاشي اولئك في سبيل هؤلاء بعضهم بالمهاجرة وبعضهم بالفناء الطبيعي فناء الضعيف تلقاء القوي وبعضهم بالاندغام . واذا راجعت تاريخ مصر منذ بدء التاريخ حتى يومنا هذا وانعمت

النظر فيما تقلب عليها من الامم تجلى لك هذا التحول من عنصر الى عنصر ومن شعب الى شعب ومن امة الى امة

وحاصل القول ان من نتائج التصادم بين القبائل المتأخرة انتقال موارد الرزق من ايدي القبيلة المغلوبة الى القبيلة الغالبة . وهو نفس انتقال القوة من جسم الى جسم آخر في حال اصطدامها كما سبق بيانه والتمثيل عليه باصطدام النيزك بالارض

﴿ تغيير وضع المواد الاصلي ﴾ ان الحروب (ولا سيما حروب الفتح) تغير حال الجماعات الغالبة والمغلوبة كثيراً او قليلاً حسب قوة التصادم بين الجماعتين او تغير حال احدى الجماعتين دون الاخرى . ويغلب ان الفاتحة تنقل معها لغتها وفنونها وعاداتها وتكسبها للجماعة المفتوحة بلادها كما فعل الرومان واليونان في فتوحاتهم في فينيقيا ومصر والاناضول وبلاد فارس . ويمكن ايضاً ان تقتبس البلاد الفاتحة فنون البلاد المفتوحة كما فعل العرب يوم كانوا يقتبسون علوم اليونان . وفي سوريا من العادات الاجتماعية والطقوس الدينية ما يشابه كل المشابهة عادات اليونان وطقوسهم. ونجد في الامة الاسبانية من عادات العرب وشمائلهم مثلما نجد في اسبانيا من آثارهم

نجد شواهد كثيرة على هذا التغير في المملكة الحيوانية . فالسنور والنمر من عائلة واحدة بيد ان جد النمر عاش في الادغال والجبال حيث كثرت الحيوانات المنازعة له فصار ضارياً وجد السنور عاش في المعمور فدجن وضعف حتى صار اليفاً ووديعاً

وحاصل القول ان حروب الفتح تقضي بتغير احوال الامم بعد كل فتح . وما هذا التغير الا كتغير وضع المواد الاصلي بعد كل صدام بين مادتين كما اثبتناه في مقدمة المقالة السابقة

﴿ تغير مقادير المواد واستعدادها لصدام آخر ﴾ — يغلب ان تنتهي الحرب بين جماعتين في منطقة واحدة بتكون جماعة جديدة كبرى اما بانضمام الجماعتين في جماعة واحدة أو بنمو الغالبة وتلاشي المغلوبة على نحو ما تقدم وصفه . ويلي ذلك استتباب السلم بينهما واتفاقهما على نظام واحد واستعدادها لغزو جماعات اخرى في مناطق اخرى اوسع مدى

بعد ان تعبت اثينا وسبارطا من الحروب وتغلبت الاولى على الثانية تكونت مملكة اليونان الكبيرة واستتب السلم فيها وصارت تطمح الى فتح البلاد الاخرى . وهكذا قل عن نتيجة الحروب بين البلاد اللاتينية التي توالت الى ان تكونت المملكة الرومانيـة العظمى من جميع ممالك ايطاليا وتحولت الى فتح المشرق واستعماره

وذلك ما يؤيد نظريتنا الثالثة والرابعة وهما تغير مقادير المواد واستعداد المادة الجديدة الى صدام آخر جديد . ويؤيد ايضاً قولنا في المقدمة المشار اليها ان السلم معاقب للحرب بحيث يصبح طبيعياً كما كانت الحرب طبيعية قبله

﴿ النتيجة ﴾ – والنتيجة الاخيرة ان الحرب فعل من افعال القوة العاملة في تجميع الامة الصغيرة في امم كبيرة . لانه لا يمكن ان تجمع كتلتان في كتلة واحدة من غير ان تصطدما . وكذلك لا يمكن ان تتكون امة من امتين ما لم تصطدما

وجميع الممالك الاوربية الكبيرة الحالية تكونت بفعل اصطدامات كثيرة كما هو معلوم من تاريخ المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا والنمسا الخ

ولا يخفى ان ذلك التكون المشار اليه لا يكون دائماً بالامتزاج والاندغام اذا تعادلت القوات وبقيت العناصر مختلفة المادة بل يكثر ان يكون باتحاد تلك العناصر في حكومة واحدة ممتزجة على بقاء اختلافها في المادة كاتحاد الانكليز والسكوتلانديين والارلنديين والويلسيين في بريطانيا العظمى . وكاتحاد الممالك البروسية والجرمانية في الامبراطورية الالمانية

فاذا كانت المملكة مؤلفة من عناصر مختلفة تألفا امتزاجياً تبقى المملكة عرضة للانفجار والتصادم حيناً بعد آخر حتى يستقل كل عنصر بنفسه وتتحد جميعاً اتحاداً شبيهاً بالتحالف الجبري كاتحاد الولايات المتحدة الاميركية . ومن هذا القبيل المسألة الارلندية التي تحركت جيلاً من الزمن الى ان كادت تنتهي باستقلال ارلندا الداخلي وبقائها منضمة الى بريطانيا العظمى انضماماً اتحادياً . وربما نشأت بعدها مسألة سكوتلاندية فمسألة ويلسية واخيراً تصبح اقسام بريطانيا العظمى ممالك متحدة اتحاداً تحالفياً وثيقاً على نحو الاتحاد الافريقي (في جنوبي افريقيا) الحديثة

بقي ان الحرب ليست الصورة الوحيدة للصدام بين الامم فقد يحدث صدام فانفصال فاتحاد بالوسائل السلمية اي بالحرب السياسية فقط كما جرى في المسألة الارلندية . والامل وثيق في المستقبل بان الحروب السياسية تحل محل الحروب الدموية في كثير من الصدامات

ولسوف نرى في مصير تركيا امثلة عديدة واضحة على هذه النظريات . وذلك لان تكونها من عناصر مختلفة يفضي حتماً الى تطور جديد في جميع اقسامها العنصرية

وفيما كتبناه في الهلال في هذا العام تحت عنوان تطور الامم زيادة بيان في هذا الموضوع

نقولا الحداد

تجارة الشرق

في العصور الوسطى

نشرنا في الهلال السادس من هذه السنة مقالة في تجارة الشرق القديمة وقد اتبعها حضرة الكاتب بهذه المقالة استيفاء لبحثه المفيد قال :

الشرق والغرب كفتا ميزان . اذا علت احداهما هبطت الاخرى . فاذا علا الشرق هبط الغرب واذا نهض الغرب كبا الشرق . وعلى هذا الناموس يسيران . ولسنا ندري اي سر في ذلك . ولمّ لا تعلو الكفتان فتستويان ? لو القيت نظرة الى تاريخ العصور الماضية لتبين لك صدق هذه الحقيقة . ففي القرون الوسطى مثلاً كان الشرق راقياً قمة المجد المنيف والغرب يتخبط في وادي الجهل والانحطاط . واذا سرنا وسط العصور نرى الامر قد انعكس وانقلبت الاية فحل الغرب محل الشرق على قمة ذلك الجبل — جبل العظمة الحقيقية

اما في زمن بحثنا — العصور الوسطى — فقد كان الشرق في اوج عظمته . زاهياً بعلومه زاهراً بتجارته . صناعاته متعددة راقية . وزراعاته وافرة وافية . مربعاً للنعمة واليسار ومرتعاً للبذخ والترف . وكان في نفس الوقت داء الانحلال السياسي ينخر في الغرب فما لبث طويلاً حتى تجزأ الى مقاطعات صغيرة كل منها تحت حكم زعيم يعامل الشعب معاملة العبيد (وهو النظام الانطاعي) . فيسومهم انواع الذل وضروب الشقاء فلا ترى الا نفوساً تحت رق متخبطة في دجور الجهل متمسكة بالترهات ومتعصبة للخزعبلات . وهكذا لبث الغرب في ليل بهيم لم تطلع شمسه الا بعد ان بدأت بالمغيب عن الشرق

الفرس

دار الزمان دورته فورث الفرس جزءاً عظيما من مملكة اسكندر الكبير القديمة . فاتسعت تجارتهم الدائرة منذ عهد السلجوقيين بين الهند ووادي الفرات . وما فتىء الفرس المجلين في حلبة تجارة الممالك الثلاث التي كانت واقعة على حدودها نعني اليونان والهند والصين لمدة اربعة قرون قبل نشوء المملكة الاسلامية وزهت عاصمتهم قونيه وعزت بغناها . فبذخ اهلها وتنعموا بكل انواع الترف واسباب الرخاء

المملكة الشرقية

اختار قسطنطين مكاناً ذا اهمية حربية عظيمة عندما جعل بيزنطة (الاستانة) عاصمته الجديدة وما زالت تلك المدينة منذ تأسيسها مطمح انظار كل دولة قوية

وكانت الممالك المجاورة لها غنية بمواردها فكان يجلب اليها منها كل ما تحتاج اليه . واجتهد قسطنطين ليجعل عاصمته الجديدة مساوية لرومية الجديدة بالعظمة فبذل الاموال الطائلة في سبيل ذلك ونهج مناهجه من خلفه حتى انهم اوصلوها الى نقطة كان يصعب فيها الحكم ايهما كان اعظم

ثم جاء يوستنيانوس فكان مصدر قوة عظيمة لصناعة البلاد وتجارتها وهو الذي ادخل صناعة الحرير الى المملكة بجلبه دودة الحرير وقد نجحت نجاحاً باهراً ولا سيما في جزيرتي قبرس وصقلية . واصبح الحرير بوقت قصير من اهم صناعات البلاد وموردا كبيراً للثروة

وكان الاسطول التجاري اليوناني من اعظم اركان المملكة الشرقية اليونانية . اذ كان محتازاً (محتكراً) لتجارة البحر المتوسط لمدة قرون . وما خسره تجار اليونان في الغرب بسبب تضعضع الاحوال عوضوه بتقدم القسطنطينية السريع اذ ان ازدياد سكانها وثروتها كان يتطلب بضائع عديدة لا يمكن استحضارها الا باسطول تجاري عظيم واتسعت تجارة ذلك الاسطول ولا سيما مع الشرق الاقصى . وكانت تجارة اليونان مع الهند بطريق البحر القديم عن طريق الاسكندرية ولكن اتساع النفوذ الاسلامي الجديد ارغم تجار اليونان على ان يلحقوا هذا الطريق بطريق قوافل تمر ببلاد الفرس والعرب احياناً . وابطل تماماً طريق البحر الطويل الى الشرق الاقصى عندما سقطت الاسكندرية بيد الفاتحين المسلمين واستعاض اليونان عن هذا الطريق بطريقين بريين : الواحد يمر بسوريا عن طريق حلب وانطاكية ودمشق والآخر بسواحل البحر الاسود فبلاد التتر . وزادت العلاقات التجارية مع روسيا واواسط أوروبا فانتفعت القسطنطينية بهذه الزيادة التجارية كثيراً . وكان يوجد طريق تجاري يمر بكييف ونوفجورود الى نهر الدنيبر فالادر مما ربط البوسفور بالبلطيق . وأسس على مصب نهر الادر مركز تجارة عظيمة (حيث مدينة ستيتش الان) . فانصب التجار من نوفجورود وكييف على جميع انحاء روسيا . واتصلت تجارة كييف بتجارة وادي الدانوب والرين . وكانت مدينة تسالونيكي وترابزون اعظم المدن التجارية بعد القسطنطينية وقتئذ . فان صناعة تسالونيكي وتجارتها كانتا رائجتين جداً . اما اهمية ترابزون فكانت لوقوعها على

الحدود بين اليونان والمملكة الاسلامية . وكان فيها سوق عظيمة لتبادل البضائع المختلفة بين التجار المسيحيين والمسلمين . ومما اشتهر من المدن ايضاً طيبه ولورنس وبطرا

النهضة الاسلامية

كان للاسلام فضل كبير في تحويل العرب الى أمة قابلة للرقي والتقدم والتمدن . وارسالهم لفتح البلاد واستعمارها حتى اخضعوا لسلطتهم غربي اسيا وشمالي افريقيا واسبانيا وجزءا من بلاد المغول وتحولت بلادهم العديمة الاهمية بوقت قصير الى بلاد تجارية عظيمة وبقيت البلاد الاسلامية منبع المدنية الشرقية ومحط رحال العلماء ومركز العلوم والفنون . ذات تجارة واسعة لمدة طويلة جداً

واشتهرت صنائعهم بجودتها واتقانها ومهارة صنعها . ووصل تجارهم في بحثهم عن بضائع التنعم والبذخ والتفنن في طرق صنعها الى اقاليم بعيدة جداً . وكانوا يبنون القصور والجوامع النادرة المثال ولعل مسيحيي بغداد قلدوا المسلمين في البناء الفاخر فبنوا هم ايضاً الكنائس العظيمة . اما اشهر المدن وقتئذ فكانت :

دمشق — عاصمة بني امية . اشتهرت بصنائعها المختلفة ولا سيا الحريرية منها مما آثاره باقية الى اليوم . وبقيت اكبر سوق لاسيا لمدة طويلة حتى ظهرت بغداد

بغداد — خلفت دمشق على عهد العباسيين واصبحت عاصمة المملكة . واستمرت لمدة ثلاثة قرون اغنى مدينة في العالم . وكان مركزها التجاري احسن من مركز دمشق اذ انها كانت في ملتقى الطرق التجارية البرية والبحرية وبلغ عدد سكانها وقت عظمتها مليون نفس وكانت ملآى بالقصور الفاخرة والرياش الثمين وكانت كل ضروب البذخ والترف متوافرة فيها . فمن اوان ذهبية وفضية وحجارة كريمة وحرائر ورياش وغير ذلك من اسباب الرخاء . وتفننوا في عمل الاواني الخزفية والسلع الجلدية كثيراً . وكانت بغداد شبه جامعة علمية تؤمها العلماء والطلاب من انحاء الشرق . وامتدت تجارتها الى الهند والصين والهند الشرقية وافريقيا وارمينيا وروسيا واسبانيا والبلاد الواقعة على البلطيق . وكان يساعد تجارتها صناعة البلاد التابعة للمملكة كالموصل وشيراز وقوبل وبخارى وسمرقند والاسكندرية والقاهرة والقيروان وفاس والبلاد الاسبانية

الاسكندرية — كانت لمدة طويلة اكبر وسيط تجاري بين الشرق والولايات الغربية المسيحية ولكنها تقهقرت عند ما هبطت تلك التجارة في اوائل الحكم الاسلامي . وعوضت الاسكندرية تلك الخسائر بفتح تجارة عظيمة مع صعيد وادي النيل والشاطئ

الشرقي لافريقيا واواسطها . وكان يرد اليها التبر والعاج والصدف والرياش والرقيق من ملند وممباسه وكلوا وسوفالا وموزمبيق . وهبطت هذه التجارة بل تلاشت عند ما ظهرت في فاس والقيروان

القاهرة — زاحمت تحت الحكم الاسلامي بغداد اذ كانت مركزاً للقوافل من كل الجهات في اسيا وافريقيا . وكانت تجارة اسواقها رائجة رواجاً عظيماً . وزهت زراعتها وصناعتها فكان ذلك من اهم البواعث على ترويج تجارتها . وكان يصدر منها كميات وافرة من الحبوب والمنسوجات وكل انواع التطريز والزركشة والسروج والجلود وما يشغل منها والصوف والدقيق

القيروان — لم تنل ما نالته قرطجنة من العظمة التجارية ولكنها لعبت دوراً مهماً في تجارة المملكة الاسلامية . واتسعت تجارتها فاتصلت باواسط افريقيا . وكانت لمدة طويلة اكبر مركز لتجارة الاقاليم الاسلامية الواقعة غرب البحر المتوسط كطرابلس والجزائر وتونس وصقليه واسبانيا

فاس — فاقت كل البلاد الموجودة في شمالي افريقيا وربما كان ذلك بسبب وجودها في الداخل قليلا . وكان صناعها من امهر الصناع اذ كانوا يصنعون البضائع المختلفة من الجلود والصوف والبرونز والادوات المعدنية والصابون ووصل تجارها الى شواطىء افريقيا الشمالية واواسطها حتى نهر النيجر وكان عدد الجوامع في فاس ابان عزها ما يقرب من الست مئة جامع . وكان عدد سكانها خمس مئة الف نسمة تقريباً

الاندلس

من بقايا المدنية العربية في اسبانيا المحفوظة آثارها للان احسن مما هي محفوظة في الشرق يمكننا ان نحكم على مبلغ مدنية الاسلام وتقدمهم في مختلف الصنائع وحذقهم وعلى مقدار نباهتهم في استنباط كل ما كانوا يحتاجون اليه . وهناك يظهر باجلى وضوح الفرق العظيم بين المدنية العربية والهمجية الاوربية التي كانت محجوبة عنهم بسلسلة جبال البرينيه . وكانت قرطبة عاصمة الخلافة وهي يومئذ مدينة عظيمة زاهية بصناعتها زاهرة بتجارتها . وكان يزاحمها في العظمة مدن اخرى كغرناطة واشبيلية وطليطلة . وكانت الواردات ترد من كل العالم المعروف حينئذ الى هذه البلدان وغيرها كقادس والمرية . وكانت الاندلس غنيـة بحاصلاتها فكانوا يتبادلون بها الواردات التي لم تكن تصنع عندهم . اما جلود قرطبة المصنوعة واسلحة طليطلة واصواف مرسيه فكان

بعض من صنائعها المشهورة . وكانت مزروعات تربتها الخصبة جيدة جداً ومنها قصب السكر والارز والقطن والبلح والازهار الجميلة والخضروات وكانت غنية بالمعادن

« الحرية التجارية » اساس التجارة العربية

ان الرسوم الجمركية والضرائب التجارية كانت مفروضة على التجارة العربية في كل البلاد الاسلامية ولكنها ما كانت تتقدم على الاطلاق وتتسع بذلك القدر ويتشجع اهلها والقائمون بها لو كانت قد وضعت لاجلها القوانين وسنت لها الشرائع وجعل لها عقبات كما هو الحال في وقتنا الحاضر . والارجح ان الضرائب كانت بسيطة لكنها مفروضة على كل الواردات بطريقة لا تتعب التاجر او تؤخره او تزعجه بشيء ما على الاطلاق

العرب وتجارة اوربا

لا نقصد بهذا اعطاء العرب أكثر مما يستحقون او ان ننسب اليوم ما لم يتصل بهم وانما نحن نقرر حقائق تاريخية ونعطي كل ذي حق حقه . فان زراعاتهم وصناعتهم المتقنة في الاندلس نفخت روح المزاحمة في الولايات الاوربية فهبت من رقدتها تريد مباراتهم

والتاريخ يدلنا على ان منسوجات العرب وصناعاتهم في كل المعادن كانت تدل على مهارة فائقة وذكاء نادر ولاسيما صناعة الذهب والفضة والنحاس والبرونز والحديد والصلب والجلد والزجاج والخزف والورق والصباغة والسكر والالوان الخ. كل ذلك كان من افخر ما صنع في العصور الوسطى . وأخذ صناع اوروبا هذه الصنائع عن اساتذتهم صناع العرب وان ما نرى الآن في اوروبا من عظمة صناعاتها واتقانها وتقدمها ترجع اثاره الى الدروس الاولى التي تلقنوها عن يد صناع العرب . ولا نرانا مخطئين اذا عزونا التقدم الحالي الى اول خطوة خطاها صناع اوربا في ميدان الصناعة مقلدين اولئك البدو السمر الالوان « الحفاة الاقدام »

وكان العرب مزارعين وفلاحين عن علم صحيح ومعرفة حقيقية بطرق الري والسباخ وغيرها فان طرق ريهم كانت متقنة تمام الاتقان . وكانوا يعرفون قيمة الاسباخ ومنافعها وعمل كل نوع منها على حدة كيماوية . وكانوا يطعمون الاشجار ويجرون التجارب العديدة في الزراعة التي كثيراً ما اسفرت عن نجاح كبير . وكان العرب سادة التجارة لما لهم من المعرفة العلمية والجغرافية التي ساعدتهم كثيراً وبفتحهم طرق القوافل

الباقية آثارها للان وباتساع علاقاتهم الدولية وبتعميم العملة لسهولة المبادلة وبحفظهم واصلاحهم من وقت الى آخر للطرق التجارية وباقامتهم والجسور وحفرهم الابار في طرق القوافل وبقيامهم باعمال اخرى للمنافع العامة. بكل هذا برهن العرب على انهم فعلاً كانوا سادة التجارة واربابها في العصور الوسطى. وانهم كانوا من اهم العوامل التي ساعدت على ارتقائها وتقدمها فيما بعد في اوربا وغيرها

وابى الزمان الا ان يجري على سنته فبعث يد غريبة في المدنيـة العربية فتقهقرت وانحطت تدريجياً الى ان تلاشت. وان تلك اليد. الامة التركية. تمكنت بمهارتها من ان تسود على العرب. فانها تدينت بالدين الاسلامي وتمازجت بالعرب وبذا تمكنت من ان تحصل على النفوذ والسلطة السياسية عليهم. وهنا ضربت المدنية العربية والعرب انفسهم الضربة التي قضت عليها قضاء مبرماً. ولا ريب عنـدي في ان المدنية التركية التي ظهر بها الاتراك كانت ولاشك مما اوقفت الحركة الصناعية واخرتها ثم اوقفت المشروعات التجارية. لذا لا يجب ان تعمينا سيئات المدنيـة التركية عن شعورنا بمحسنات المدنية العربية واعمالها العظيمة في الصناعة والتجارة والعلوم والفنون والمعارف والاداب

عزيز يوسف عبد المسيح

اظهرت هذه الحرب أفضلية المدافع الانكليزية على المدافع الالمانية فان انابيب الاولى مصنوعة من لفائف من الاسلاك وانابيب الثانية مصنوعة من الفولاذ. وقد كان الالمان قبل هذه الحرب يزدرون بالمدافع الانكليزية ولكن المواقع الاخيرة في البر والبحر قد جعلتهم يغيرون رأيهم فيها

***

بلغ ما دفعته شركات الضمانة الانكليزية لورثة العساكر الذين قتلوا في هذه الحرب حتى شهر مارس الماضي ثلاث مئة واربعين الف جنيه وذلك عن ١٦٤٠٠ جندي ونوتي قتلوا. وبلغ ما دفعته شركات الضمانة الالمانية ثلاثة ملايين جنيه. ويقال ان الشركات الالمانية عزمت على دفع ربع المطلوب للقتلى فقط

***

بلغت المسافة التي قطعها الطيارون الفرنساويون في هذه الحرب حتى أواخر مارس الماضي ما يعادل خمسة واربعين ضعف المسافة حول الكرة الارضية

مقدمة الحرب

تاريخ المانيا الاقتصادي

ان احدث الآراء في فلسفة التاريخ ترجع بالحوادث التاريخية الى عوامل مادية اقتصادية وهو ما يسمى في عرف علماء التاريخ « تعليل الحوادث التاريخية حسب السنن الاقتصادية » . وزعماء هذا المذهب ينتقدون الطريقة المتبعة الى الآن في تدوين التاريخ لانها تقتصر على ذكر العوامل الفردية كقيام الرجال العظام من ملوك وقواد ومشترعين والعوامل السياسية كطلب الاتساع والنفوذ ونحو ذلك ويعتقدون أن الماديات هي أساس حياة المجتمع البشري وان مجرى التاريخ على الاجمال يتوقف على اسباب المعاش وتوزيعها بين الامم . وقد ذهب بعضهم الى تعليل كل حادث حدث في التاريخ بمقتضى السنن الاقتصادية واهملوا سائر العوامل الاخرى . وعلى كل حال فسواء سلمنا بهذا الرأي أو اعتبرناه متطرفاً لا يسعنا الا التسليم بان لاسباب الرزق والمعائش وعدد السكان ونحو هذه المسائل يداً عظيمة في توجيه مجاري التاريخ وتطورات الامم

لذلك يعلق كثيرون من الكتاب ورجال السياسة اهمية كبيرة على نمو المانيا الغريب في نصف القرن الماضي وينسبون الى هذا النمو سبب هذه الحرب الحقيقي . ومن هؤلاء الكتاب جبريال هانوتو السياسي الفرنساوي الشهير والعضو في الاكاذيمية الفرنساوية فانه شرع في نشر تاريخ مستوف للحرب الحاضرة وقد كتب فيه فصلاً بهذا الشأن فآثرنا تلخيصه لقرآء الهلال نظراً لاهمية البحث ومكانة الباحث . قال :

لا تقتصر سياسة الدول على الامور السياسية الصرفة فلكل من الدول العظمى سياسة أو منهج في الامور الاقتصادية والامور المالية والامور الزراعية والصناعية الى غير ذلك من العوامل في حياة الامم . وقد يكون احتكاك المصالح المادية شديداً بين الامم فيؤدي الى الحرب وان كان لها في الظاهر اسباب اخرى سياسية . هذا شأن الحرب الحاضرة فان منهج المانيا الاقتصادي وطرقها التجارية ووسائل المسابقة الالمانية ونظامها الجركي وسائر انواع التزاحم الاقتصادي التي كانت تستخدمها . كل ذلك كان باعثاً على هذه الحرب لا سيما وان خطة المانيا لم تكن في اغلب الاحيان قرينة المبادىء القويمة بل كانت بعيدة عن طرق المعاملة الصحيحة السليمة

المانيا المزدوجة

ليس لالمانيا وحدة جنسية كما يظن البعض فان بين سكانها اجناساً مختلفة منهم التوتون والفلت والسلافيون والسكندينافيون . وبين هذه الاجناس اختلافات تذكر . ويمكننا على الاجمال ان نقسم المانيا من حيث المشارب والاخلاق الى قسمين يفصل بينهما نهر الالب : المانيا الشرقية ومركزها برلين والمانيا الغربية ومركزها مدينة كولونيا

وبين هذين القسمين منافسة خفية يسترها توحيد اللغة وسعي الحكومة الالمانية المتواصل في جمعهما . لكن الفروق الاساسية لا تزال تظهر في حياة الفريقين رغم كل المساعي لازالتها فان التنافر المستحكم بينهما بديهي يرجع الى طبائعهما الاساسية ويظهر في الاحزاب السياسية ظهوراً جلياً

ولكي نرجع الى منشأ هذا الاختلاف نقول على الاجمال انه كان حول البحر الشمالي ثلاثة اجناس مختلفة ما برحت متنافرة منذ قديم الزمن وهي :

(١) الفلت الذين بقوا في البلجيك

(٢) الشماليون (او النورمنديون) ومنهم فرنساويو الشمال والانكليز والسكنديناف

(٣) الالمان وهم اعداء الجنسين المتقدمين منذ القدم

وفي القسم المتوسط بين هذه الاجناس الثلاثة اي حول نهر الرين نشأ قوم مختلطون هم مزيج تلك الاجناس المتقدمة ولكنهم تهذبوا على يد الرومانيين واقتبسوا طبائعهم ونظاماتهم . وقد تغلب عليهم الالمان واخضعوهم غير انهم لا يزالون يختلفون عنهم في مبادئهم الاساسية وروحهم الاجتماعية كما تقدم — وتسميتهم « جرمان » لا تدل على كونهم من اصل الماني كباقي الامة الالمانية فان هذه الكلمة في اللغة الفرنسوية القديمة تعني « جار » وقد سموا بها لجوارهم من فرنسا

المانيا الزراعية

ومن ثم نفهم الفروق الاجتماعية بين المانيا الشرقية والمانيا الغربية : فالمانيا الشرقية بلاد زراعية واسعة لا تزال آثار النظام الاقطاعي ظاهرة فيها . فاراضيها مقسمة بين عائلات غنية تملكها وتسيطر عليها وما بقية الشعب الا فلاحون يستخدمون لحرث الارض واستثمارها . وقد كان الملاك شبه امراء في اراضيهم ولهم فيها سلطة كبيرة . ولا تزال بعض آثار هذه العبودية باقية في العادات الاجتماعية . ففي برلين مثلاً اذا تركت خادمة بيت سيدها بلا سبب مهم فله الحق ان يطلب الى الشرطة ان تسترجعها بالقوة

لكن اصحاب الاملاك من الجهة الاخرى يهتمون بشؤون مزارعهم فقد استخدموا

احدث الطرق والالات الزراعية فتحسنت الارض كثيراً وارتفع سعرها ارتفاعاً هائلا . فنتج عن ذلك ان الفلاح اصبح لا امل له في شراء الارض التي يشتغل فيها بل رأى انه مقضي عليه ان يشتى لحساب غيره . هذا هو سبب مهاجرة الالمان الى اميركا بلا انقطاع في اواخر القرن الماضي . وقد اتبع بعضهم طريقاً آخر للمهاجرة ونعني بها المهاجرة الى المدن فان الفلاح فضل ان يكون عاملا في المعامل الكبيرة من ان يكون فلاحاً . فكان من هذين السببين ان خلت الاراضي الزراعية من الالمان وازداد سكان المدن زيادة عظيمة . فبرلين مثلاً لم يكن فيها سنة ١٨٧٠ الا نحو ٨٠٠٠٠٠ نفس وسكانها اليوم يبلغون ثلاثة ملايين ونصف مليون . والمزارعون من الجهة الاخرى اصبح عددهم ١٦ مليوناً (في سنة ١٩١٣) فقط بينما الالمان يجاوز عددهم الستة والستين مليوناً

وقد ترددت الحكومة الالمانية في البدء بين ان تدعم تقدم المدن ونموها او ان تسعى في تحسين حالة الزراعة والمزارعين. وقد كانت سياسة الامبراطور غليوم في اول الامر في جانب المدن الصناعية ولكن اصحاب الاملاك حولوا مساعي الحكومة الى الزراعة والفوا « جمعية المزارعين » التي كان لها اليد الطولى في ادارة شؤون المملكة . وقد كانت سياسة المستشارين الاخيرين على الاخص خاضعة لهم (نعني البرنس بولوف والمسيو دي بتمن هولويج)

ومن خطط هؤلاء المزارعين انهم رفعوا الرسوم الجمركية ارتفاعاً كبيراً فادى ذلك الى الضرر بتجارة الدول الاخرى . لكنه افاد المزارعين الكبار لانه نتج عن رفع الرسوم الجمركية ارتفاع اسعار حاصلاتهم

غير ان الفلاحين لم تحسن حالهم فازداد عدد المهاجرين منهم الى المدن حيث كانوا يستخدمون في المعامل الكبيرة . ومن هؤلاء تألف الحزب الاشتراكي الالماني الذي كان له نفوذ عظيم في السنين الاخيرة

فاصبح اهم شاغل لاصحاب الاملاك ان يجدوا العمال الكافين للعمل في مزارعهم فاستدعوا اولا البولونيين النمساويين ثم الرونيين واخيراً الروس . لكنهم اساءوا معاملتهم حتى ان الحكومة الروسية اتخذت الاحتياطات اللازمة لتخفيف مجرى التيار الروسي الى المانيا . ومن جهة اخرى فان روسيا شعرت بازدياد نفوذ المانيا التجاري في بلادها زيادة عظيمة فقاومته

فكانت المصيبة مزدوجة على المانيا اذ هددت زراعتها من جهة وضاقت ابواب تجارتها من الجهة الاخرى فنتج عن كلا السببين بغض شديد للروسيين كانت الحرب الحاضرة اقصى ظواهره

ثم ان حزب المزارعين رأى ان من مصلحته انتشار النفوذ الالماني في العالم فبعد ان كان مضاداً لزيادة الجيش والاسطول لما يحتاجان اليه من النفقات الباهظة رجع عن رأيه وانضم الى حركة « السيطرة العالمية » Weltpolitik

المانيا الصناعية

ولنرجع الآن الى المانيا الغربية التي هي مركز الصناعة والتجارة الالمانيتين . فاننا نرى أن الصانع والتاجر هما اللذان نشرا نفوذ المانيا في العالم واليهما يرجع الفضل في نمو المانيا الاقتصادي . وقد كان انتشار التجارة الالمانية ممهداً لسياسة « السيطرة العالمية » المتقدم ذكرها . فيتبين من ذلك ان مصلحة الفريقين (المانيا الزراعية والمانيا الصناعية) كانت تدفع بالمانيا الى الاتساع

ولكي نفهم حقيقة هذه الحركة لا بد لنا من ايراد بعض الارقام لنبين نمو المانيامن جميع الوجوه :

﴿ الزراعة ﴾ ازدادت حاصلات الزراعة الالمانية بين ٥٠ و٨٠ في المئة . في سنة ١٩١٢ قدرت الحبوب الالمانية بنحو١٤٠ مليون جنيه والمواشي بنحو ٢٠٠ مليون جنيه واللبن بنحو ١٤٠ مليون جنيه فيكون مجموع هذه الاصناف الثلاثة وحدها نحو خمسمئة مليون جنيه . وحاصل السكر وحده زاد من ٢٥٠٠٠٠ طن سنة ١٨٩٤ الى ٢٧٥٠٠٠٠ طن سنة ١٩١٢ (كان حاصل السكر في فرنسا ٥٠٠٠٠٠ طن سنة ١٨٧٤ فاصبح ٩٦٢٠٠٠ سنة ١٩١٢)

وكان عدد النوارج البخارية ٧٦٠٠٠ في سنة ١٨٨٢ فبلغ ٤٨٩٠٠٠ في سنة ١٩١٢

﴿ سكان المدن ﴾ في خمسين سنة ازدادت المدن كما يأتي :

ليبسك	كانت ١١٠٠٠٠	فاصبحت	٦٢٥٠٠٠
اسن	« ٤٠٠٠٠	«	٣٢٠٠٠٠
برلين	« ٧٠٠٠٠٠	«	٣٥٠٠٠٠٠
همبورج	« ٥٠٠٠٠٠	«	١٢٠٠٠٠٠

﴿ الصناعة ﴾ تضاعف حاصل الحديد في عشر سنوات فقد كان اخيراً نحو ١٨ مليون طن في السنة

﴿ التجارة ﴾ كانت التجارة الالمانية تقدر بالف مليون جنيه في سنة ١٩١٢ للصادرات والواردات معاً (والصادرات اقل من الواردات قليلا)

ومن ربع قرن كان طول السكك الحديدية ٤٠٠٠٠ كيلومتر فاصبح ٧٠٠٠٠ كيلومتراً

﴿ المستعمرات ﴾ يبين الجدول الآتي تقدم المستعمرات الالمانية الاقتصادي

	الواردات	الصادرات
سنة ١٩٠٠	٥٤٠٠٠٠ جنيه	٣١١٠٠٠٠ جنيه
سنة ١٩١١	١٤٠٠٠٠٠ «	٥٠٠٠٠٠٠ «

﴿ الاسطول التجاري ﴾ في سنة ١٩١٣ كان مجموع محمول السفن التابعة لشركة هامبورج — اميركا ١٣٠٧٠٠٠ طن ومحمول السفن التابعة لشركة لويد في بريمن ٨٢١٠٠٠ طن

(مجموع محمول شركة كيونرد الانكليزية بلغ ٣٧٩٠٠٠ طن وشركة ترانسلنتيك الفرنساوية ٣٦٠٠٠٠ طن)

وفي سنة ١٩١٣ كانت حركة هامبورج التجارية تقدر بنحو ٣٣٥ مليون جنيه (تقدر حركة لندن التجارية بنحو ٣٥٨ مليون جنيه ومرسيليا ١٣٥ مليون جنيه)

﴿ الثروة ﴾ كانت تقدر زيادة ثروة الامة الالمانية في كل سنة بين ٢٤٠ و٤٠٠ مليون جنيه . وكانت تقدر ثروتها في سنة ١٨٩٥ بنحو ثماني مليارات جنيه فاصبحت سنة ١٩١٣ بين اثني عشر وثلاثة عشر مليون جنيه

اضرار الارتقاء السريع

ان هذه الارقام بليغة في حد ذاتها ولكن لا يجبان يبرح من ذهننا ان هذا التقدم الغريب يقابله تأخر واضرار من وجوه كثيرة فان ثلثي الامة الالمانية ما برحا في حالة فقر مدقع رغم ذلك الاثراء السريع . واكبر برهان على ذلك ان اربعين مليوناً من الالمان لا يدفعون ضريبة الدخل التي تسري على من دخله ٩٠٠ مارك (اي ٤٥ جنيهاً) في السنة فما فوق . فكأن ثلثي الالمان يقل دخلهم عن هذا المبلغ القليل بالنسبة الى حالة العمال في الدول الاخرى

واذا نظرنا الى دخائل هذه الحرب بعين الحكمة وجدنا ان الباعث الاساسي لاضرام نار الحرب الاوربية هو ان البلاد الالمانية ضاقت باهلها ورأت نفسها مدفوعة بدافع المحافظة على البقاء لحرب تقي ثلثي اهلها من الجوع لا سيا وانها رأت ظل متاجرها في انحاء العالم آخذ في التقلص في بضع السنوات الاخيرة

وهنالك اضرار اخرى نشأت عن سرعة اثراء قسم من الامة فلا شك ان الاداب الالمانية انحطت من جراء ذلك انحطاطاً عظيماً واليك بعض الشواهد : ازداد عدد الاولاد غير الشرعيين في برلين اكثر مما في باريس · انتشر الطلاق انتشاراً هائلاً · نقصت المواليد حتى اصبحت في برلين بنسبة مواليد باريس و نقصت عنها في بعض المدن الاخرى · انتشرت العهارة اربعة اضعاف انتشارها قبلا · وقس على ذلك علامات الانحطاط الاجتماعي الاخرى · ومن الادلة على انحطاط المدن ان في بروسيا الشرقية ٦٨ في المئة من الشبان صالحون للخدمة العسكرية بينما في برلين لا يصح منهم الا ٣٢ في المئة اي اقل من النصف

ثم ان ملاجيء الامراض العصبية تعدّدت تعدداً عظيماً وقد فاقت المانيا في هذا المضمار سائر الدول الاخرى . زد على ذلك ان آداب الجنود منحطة ليس فقط فيما يخص البلاد التي يستولون عليها كما تشهد البلجيك وفرنسا الشمالية بل ان الضباط انفسهم يسيئون التصرف مع جنودهم ويحتقرونهم لدرجة شديدة جلبت سخط الحزب الاشتراكي وجرائده غير مرة

ومن ثم نفهم اقوال بعض كبار رجال الامبراطورية في هذا الشأن فكثيراً منهم كتبوا المقالات الطويلة عن انحطاط النسل الالماني في المدن وكثرة المصابين بالامراض العصبية فيها . قال الجنرال فوندر غولتز « اذا تركت مدينة من المدن الكبرى لنفسها وانفصلت عن سائر العالم بحيث لا يتجدد نشاط اهلها بدخول أفراد أصحاء الجسم والعقل اليها فلا شك في انهـا تنقرض في آخر الجيل الخامس » . وقال آخر : « ان المدن التي تفتخر بها المانيا ستكون سبب موتها »

ثم انه لا يجب ان يبرح من ذهننا ان التقدم السريع الذي طرأ على حياة الشعب الالماني لم يكن راسخ القدم — شأن كل انقلاب فجائي . ولذا فان تقلبات الحالة الاقتصادية كثيرة جداً بين الثروة والضيق وليس بين الامم الاوربيـة أمة تكثر فيها الازمات المالية كالمانيا

طلب الاتساع

لهذه الاسباب رأت المانيا ان تسعى لرزقها خارج حدودها فكان سعيها من هذا القبيل مزدوجاً : (١) فانها سعت من جهة لاستعمار بعض الاقطار البعيدة فزاحمت فرنسا وانكلترا واليابان وغيرها من الدول . واهم مساعيها من هذا القبيل اتجهت اولا نحو الصين

ثم نحو تركيا ثم نحو مراكش ولكنها لم تنجح نجاحاً يذكر (٢) وسعت من الجهة الاخرى لنشر تجارتها وبيع سلعها في جميع انحاء العالم مجارية في ذلك تجارة الدول الاخرى بالطرق السلمية وغير السلمية . فامتلأت اسواق العالم بالبضائع الالمانية والتجار الالمان . لكن الدول لما رأت الخطر محدقاً اخذت التحوطات اللازمة لملافاة هذه الاضرار فقضت على الامال الالمانية

ورأت المانيا لتنفيذ خطتها هذه ان تزيد الجيش والاسطول تلك الزيادة العظيمة التي يصح ان تسمى جنوناً لما انفق في سبيلها من المال ولانها اجبرت بذلك الدول المجاورة ان تزيد قواها البرية بالنسبة ذاتها حفظاً للموازنة الدولية

وليست المجزرة البشرية الكبرى الدائرة رحاها اليوم في الشرق والغرب الا ثمرة تلك المساعي الجنونية

في الجيش الانكليزي اليوم كولونل عمره سبع وعشرون سنة وهو اصغر كولونل في الجيوش المحاربة . والمعروف من التاريخ ان جونو احد قواد نبوليون كان قائد فرقة برتبة جنرال في السابعة والعشرين . ومورات قائد فيم برتبة جنرال في الثامنة والعشرين وكان الدوق ولنتون برتبة قائم مقام في الرابعة والعشرين . اما نبوليون فكان قائداً عاما وهو بعد في السادسة والعشرين من عمره

❊ ❊ ❊

بلغ عدد البلجيكيين المهاجرين الى انكلترا حتى اواخر شهر مارس (عدا جرحى الجيش) مئة وثمانين الفاً وهم ٦٥٠٠٠ من الرجال و ٦٩٠٠٠ من النساء و ٤٦٠٠٠ من الاولاد . اما عدد الجرحى فنحو عشرين الفاً

❊ ❊ ❊

عدلت نظارة البحرية الانكليزية عن بناء المدرعات التي تستعمل الفحم وقوداً

❊ ❊ ❊

يقال ان عند المانيا غواصات تستطيع وضع الالغام . والمعروف ان لروسيا ايضاً غواصات من هذا النوع

❊ ❊ ❊

بلغت المسافة التي قطعها الطيارون الفرنسويون في هذه الحرب حتى اواخر مارس الماضي ما يعادل خمسة واربعين ضعف المسافة حول الارض

نبوليون والنساء

سجلات تاريخية مجهولة

لم يتفق ان كتب المؤرخون عن احد العظماء بمقدار ما كتبوه عن نپوليون بوناپرت ولا بدع اذا كثرت الكتب الضخمة الحاوية ترجمة حاله واخبار حروبه فانه لم يقم بين البشر رجل قام بما قام به من الحروب العظيمة وما ناله من الانتصارات الكبيرة حتى صار اسمه معروفاً عند جميع الناس

على ان شهرة هذا الرجل قائمة بحروبه العديدة وقلما يعلم الناس شيئاً عن احوال معيشته الخاصة ولذلك رأينا ان نورد هنا صفحة من تاريخه نجمل بها اخبار غرامه وما وقع له من الحوادث مع الجنس اللطيف



الامبراطورة جوزفين

عرّف نبوليون الحب بقوله انه تسلية الرجل الكسول . ولعله نطق بهذا قبل ان يفتنه سحر العيون اذ المعروف انه لم يتنقل احد بين الحسان بقدر ما تنقّل نپولبون بين فاتنات الفرنسيس

كان نپوليون في حداثته يتجول في شوارع باريس ومرسيليا بحالة ادلّ على الفقر

منها على اليسر فقد كانت نعلاه باليتين وثوبه رثاً ومرآه يدل على العسر والضعة . ولم يكن له من الجمال ما يشفع به لولا خصل شعره المتدلية على منكبيه . ومع ذلك ذكر المؤرخون ان الكثيرات من النساء عشقنه لجاذبية غير مدركة فيه . ولعل حياءه وغمامة الحزن التي كانت غالباً تعلو محياه مما كان يجذب اليه القلوب . ويقال أنه لما كان مقيماً بفالنسة وهو في السادسة عشرة من عمره عشقته كثيرات من اجمل فتيات المدينة ولكنه لم يفتتن الا بواحدة منهنَّ تدعى كارولين كولومبيه . وقد قال عنها في كبره انه « لم يكن يومئذ في العالم أثنان يفوقاننا سعادة فقد كنا نتمتع بحب طاهر لم يحلم بمثله احد ... وكثيراً ما كنا نمضي الى الحدائق والبساتين فنتسلق الاشجار معاً ونأكل الكرز وكثيراً ما كنا نقضي اياماً كاملة على هذه الصورة ونحن بعيدان عن ضجيج الناس واصواتهم »

ولكن السنين أنست نبوليون غرامه هذا فافتتن بحب غادة حسناء من جزيرة كورسيكا واحبته هي ايضا ولكنه كان شديد الغيرة حتى أنه حظر عليها ان تبتسم لاحد من الشبان . فلما رأت منه ذلك انقلب حبها له الى كره شديد وحاولت ان تتخلص منه فوضعت له السم في النبيذ وفي مساء ذلك اليوم كان نبوليون اقرب الى الموت منه الى الحياة

وبعد مدة وقع في غرام امرأة تدعى مدام پرمون وكانت كهلة تكبره بعشر سنوات ولكنه ولع بها ولعاً شديداً ولم يكن يهنأ له عيش الا بمجالستها . ولما طلب منها أن تتزوجه أغرقت في الضحك قائلة : « انك تضحك الناس عليك فاني في سن أصلح معها ان اكون لك أماً من ان اكون زوجة . فاقلع عن هذا الحب الذي يجعلك أضحوكة بين عارفيك » . فانصرف نبوليون من لدنها وقد عزم ان ينساها

وبعد بضعة أيام احبَّ ممثلة شهيرة تدعى مونتانسيه وكانت اكبر من أمه سناً حتى قيل أنها كانت قد تزوجت لاول مرة قبل أن يولد نبوليون بثلاثين سنة . وذكر باراس أن عمرها يومئذ كان سبعين سنة ! الا ان نبوليون ما عتم أن هجرها عازماً ان ينصرف الى طلب المجد والشهرة تحت ظلال السيوف

قال أحد الكتاب ان نبوليون أساء الى كثيرات من النساء اللواتي أحببنه فقد كان يتودد اليهن خاطباً ودهن فتى تمكن حبه من قلب امرأة هجرها ولم يبال بيأسها وقنوطها . يدلك على ذلك ما وقع له مع مدام فالسكا الشهيرة وكانت ذات جمال رائع فانه أراد ان يتقرب منها ولكنها كانت تنفر منه فغضب منها غضباً شديداً وصاح قائلاً « سترين كيف أخضعك . انك ستضطرين ان تحبيني . انظري هذه الساعة التي في يدي . فكما احطمها

أمامك هكذا أحطم مملكة بولندا [١] وأسحقها اذا رفضت ما أطلب منك ! » قال ذلك وضرب الساعة التي بيده عرض الحائط حتى تحطمت الى قطع صغيرة . فأغمي على مدام ڤالسكا وسقطت عند قدميه . ولما أفاقت رأته واقفاً بقربها يمسح الدموع عن عينيها بكل رقة واهتمام

ومن ألطف ما يروى عن استبداد هذا الرجل حتى في الامور الغرامية انه عند ما كان لا يزال من عامة الناس يطوف بشوارع مرسيليا تعرّف هو وأخوه بعائلة فرنسوا كلاري أحد تجار الحرير في مدينة مرسيليا . وكان لهذا التاجر ابنتان تسمى الكبرى جوليا والصغرى ديزيره . فاختار في أول الامر جوليا واختار أخوه الصغرى وخطباها . وبعد أيام شعر نبوليون انه مغبون بهذه الصفقة فاراد ان يبادل أخاه خطيبته . واتفق ان اجتمع الاربعة ذات يوم فقال نبوليون لاخيه : « انك يا جوزيف متقلب في صفاتك ومثلك خطيبتك ديزيره . أما أنا وخطيبتي جوليا فعكسكما » — ثم اجتذب ديزيره وقال : « ولذلك أرى من الواجب ان تكون ديزيره زوجتي وتأخذ جوليا زوجة لك » . وهكذا تمت المبادلة ولم يجسر أحد ان ينطق بكلمة اعتراض . ولكن بعد ذلك بزمن شعر نبوليون انه على طريق المجد والعظمة وان أمامه مجالاً واسعاً للشهرة فاقلع عن حبه لديزيره على رغم دموعها واحتجاجاتها ولم يلبث ان نسيها وتعلق بحب امرأة لعبت دوراً مهماً من تاريخ حياته ألا وهي جوزيفين أو الفيكونتسه بوهارنيه . ويرجع تاريخ علاقته بها الى يوم من أيام شهر اكتوبر من سنة ١٧٩٥ وكان نبوليون اذ ذاك في بدء شهرته وقد أخذ طالع السعد يبتسم لرايانه . فدخل عليه ولد صغير والتمس منه ان يأذن له في استبقاء سيف كان قد غنمه ابوه . فسر نبوليون من نجابة الولد وطلاقة لسانه وأجابه الى سؤاله . وفي اليوم التالي جاءت أمه وهي جوزيفين دي بوهارنيه [٢] لتشكر نبوليون على مروءته . فلما رآها نبوليون أسره جمالها الفاضح وأحبها منذ تلك الدقيقة

وقد ذكر المؤرخون انه لم يمر اليوم التالي حتى ذهب نبوليون لزيارة جوزيفين في بيتها الصغير بشارع شانتيرين . فدهشت من زيارته لها وهو يومئذ في ابان مجده واسمه يملأ جميع انحاء فرنسا . وقد كان لهذه الزيارة تأثير عظيم في نبوليون فانه ظن نفسه في حلم اذ بهره جمال جوزيفين وأطار عنه صوابه فلم تكن صورتها تبرح من مخيلته ولم يعد

---

(١) كانت مدام ڤالسكا بولندية

(٢) هي زوجة الفيكونت الكسندر بوهارنيه من قواد فرنسا المشهورين حكم عليه في ايام الثورة الفرنسية بالموت ونفذ فيه الحكم في سنة ١٧٩٤

يهنأ له بال الا في قربها . وقد ذكر المؤرخون ان ملامح جوزفين كانت تنفذ السحر في قلب الناظر اليها فكان يرى أمامه مثالاً مجسماً للجمال من عينين ذابلتين ووجنتين شفافتين ومحيا صبوح وصوت أعذب من وقع القيائير



الامبراطورة ماري لويز وطفلها « ملك رومه »

وشعرت جوزفين اذ ذاك بوقوع نبوليون في غرامها ورأت نجم سعده آخذاً في الصعود . وكان اسرافها قد ذهب بكل ما تركه لها زوجها وأوقعها تحت عبء ثقيل من الديون . لذلك لم تر بداً من التودد الى نبوليون والتظاهر بمحبته . وكانت نتيجة ذلك انه في أحد أيام شهر مارس من سنة ١٧٩٦ اقترن الجنرال نبوليون بونابرت بجوزفين دي بوهارنيه وعمرها يزيد سبع سنوات عن عمره . ولكن مسجل عقد الزواج جعل عمرها تسعاً وعشرين سنة وعمر نبوليون ستاً وعشرين

وبعد أن قضى معها يومين في غبطة وهناء ودعها وسار لينضم الى جيشه بايطاليا . وكان كلما وصل الى محطة بعث اليها برسول ينبئها عن احواله وما يعانيه من ألم الفراق ومما قاله لها في رسالته الاولى « كلما وضعت يدي على قلبي شعرت بوجودك فيه واغتبطت غبطة لا توصف . فانا لا أرى في هذه الحياة ألماً سوى ألم هذا الفراق »

وكانت صورتها لا تفارقه ليل نهار فاذا وصل الى محطة وضعها امامه واذا سافر وضعها في جيبه . قيل انه اذ كان في نيس سقطت من يده مرآة وانكسرت فتشاءم من

ذلك كثيراً وكاد يتملك منه اليأس فجلس وكتب رسالة الى جوزيفين يقول لها فيها :

« ليت لك اجنحة فكنتِ تطيرين الى حضني »

على ان جوزيفين كانت في سرور يشغلها عن الذهاب اليه فان المقام الذي نالته في العاصمة كان مما تحسدها عليه اكبر ذوات التيجان اذ كانت باريز كلها تنظر اليها نظرة الاعجاب وتجلس عند موطئ قدميها لتتمتع بمحادثتها ومشاهدتها

وانقضت بضعة اسابيع نال فيها نبوليون انتصارات عديدة وضم الى تاريخه صفحات مجد جديدة . ولكن ذلك كله لم يكن لينسيه جوزيفين لحظة واحدة فكان يكتب اليها كل يوم رسائل بينها من لواعج الشوق ما لم يكتب حبيب الى محبوبه . واخيراً بدأ الشوق ان يبرّح به فكتب اليها يستقدمها اليه . ولكنها لم تكن لتبدل معيشتها في باريز بالمعيشة تحت ظلال السيوف . وكرر نبوليون الكتابة في ذلك فكانت تنتحل الاعذار الباطلة الى ان ضاق صبره فكتب اليها بلهجة شديدة يأمرها باللحاق به فاجابته بعذر جديد وهي انها حامل لا تستطيع تجشم مشاق السفر . فلما بلغ ذلك مسامع نبوليون كاد يطير من شدة الفرح فكتب يعتذر اليها قائلاً : « أصفحي لي ايتها الحبيبة فقد تسرعت تسرعاً لا اعلم كيف اكفّر عنه . لقد اتهمتك باطلاً بعدم رغبتك في مفارقة باريز مع انكِ كنتِ مريضة . ان الحب قد يذهب بعقل المرء فلا يحاسب نفسه على هفواته . . . ليتني معكِ ولو يوماً واحداً . »

وكتب نبوليون الى أخيه جوزيف يقول :

« ان مرض جوزيفين يكاد يطير بلبي . ليتني أراها فاضمها الى ذراعيّ . ان حبي لها بالغ حد الجنون فانا لا استطيع ان أعيش بدونها . فاذا ماتت لا قدر الله لم يبق لي في الحياة ما يرغبني فيها . »

وبعد أيام بلغه ان جوزيفين لم تكن مريضة بالحقيقة فقد كانت تقيم الولائم والحفلات حسب العادة . ولا تسل اذ ذاك عما ناله من الغم المفرط . ورابته في تلك الدقيقة اقوال جوزيفين كلها فكتب اليها يأمرها بالذهاب اليه حالاً . واذ ذاك لم تستطع ان تخالف اوامره . فودعت باريز بين دموع الحزن والاسف . ولما وصلت الى ميلان استقبلها نبوليون بكل فرح وترحاب ولكنه ما عتم ان تركها ولحق بجيشه الذي كان قد احدق به الخطر ثم كتب يستقدمها اليه قائلاً : « ان دموعك يوم الفراق كادت تقضي عليّ باليأس وتطير مني صوابي . فتعالي اليّ الى هنا لكي نقول قبل ان نموت انا قضينا معاً ايام غبطة وهناء »

واردف هذه الرسالة بعدة رسائل اخرى بهذا المعنى حتى اضطرت اخيراً ان تجيبه الى ملتمسه وتنضم اليه . قال ماسون المؤرخ ان نبوليون كان يقف عند قدميها كما يقف في حضرة معبودة

وكان بين قواد نبوليون ضابط صغير يسمى شارل وهو على جانب عظيم من جمال الصورة . قيل انه كان اجمل فتىً في جيش نبوليون . وقد وقع له على رغم حداثة سنه امور غرامية لم تقع لغيره من الشبان . فلما ابصرته جوزفين تملك حبه من قلبها ولم تعد تود مفارقة جيش نبوليون . واحس شارل بحبها له فاخذ يتودد اليها ويقضي معظم اوقات فراغه بقربها

ولكن الامور لم تدم كثيراً على هذا المنوال فان نبوليون ما عتم ان ادرك ما بين جوزفين وشارل وللحال ارسله الى باريز وامره بالبقاء هنالك ريثما يصدر اوامره اليه . وعلمت جوزفين السبب فخافت من غضب زوجها وكتبت الى عمتها تقول لها « لقد مللت الحياة حتى صرت اتمنى الموت »

ولما فرغ نبوليون من الحرب في ايطاليا عاد هو وجوزفين الى باريز فكانت فرنسا كلها تمجدها وتلهج بذكرها . ولكن نبوليون ما عتم ان ودع جوزفين ثانية وتوجه الى مصر . ووعدته جوزفين ان تلحق به حالما تنتهي الحرب ولكنه لم يكد يصل الى مالطة حتى عادت الى ولائمها وافراحها السابقة فكانت كل باريز تتغامز عليها . ولم تلبث الاخبار ان بلغت مسامع نبوليون فاخذ يرغي ويزبد ولكنه كظم غيظه . ويظن بعض المؤرخين انه أخذ يفكر في امر الطلاق منذ ذلك اليوم

وبعد ايام عاد نبوليون الى فرنسا بغتة . فاسقط في يد جوزفين وعزمت على مقابلته قبل ان يصل الى باريز لانها ارادت ان تلطّف غضبه لا سيما وان الديون كانت قد تراكمت عليها . ولكن نبوليون قدم الى باريز بغير الطريق التي خرجت لملاقاته فيها فاسرعت وعادت الى باريز

قال المؤرخ ماسون : « وبقيت جوزفين تقرع باب القصر طالبة الدخول ونبوليون يصمّ اذنيه عن صوتها . وقضت مدة راكعة على ركبتيها وهي تبكي بصوتٍ عالٍ . . . ثم مر يوم كامل ولم يفتح الباب . واخيراً تولاها الفنى وتعبت جداً وعزمت ان ترجع ادراجها واذا بوصيفتها قد احضرت اليها ولديها اوجين وهورتانس فركعا هما ايضاً مع امهما واستغفرا لها . فلم يعد في وسع نبوليون أن يصم اذنيه عن بكاء الولدين ففتح الباب وامسك بجوزفين فانهضها وكفكف دموعها وصفح عنها »

وكان صفحه عنها تاماً فنسي اعمالها وسدد جميع ديونها — وكانت قد بلغت مليونين من الفرنكات — الا ان زهرة جمالها كانت قد بدأت بالذبول . وكان نبوليون قد بلغ ذروة مجده فتوّج امبراطوراً على فرنسا وتوّجت جوزفين امبراطورة معه . وكان لها مجالس فخمة في صروح التويلري وسان كلود ومالميزون وقد صرفت في الصرح الاخير اسعد ايام حياتها . فكانت معيشتها هنالك في مجالي الابهة والعظمة مما كانت تحسدها عليها اعظم لابسات التيجان . ولكن ذلك العز لم تطل ايامه فان نبوليون اخذ يطمع في مصاهرة الملوك فطلقها وتزوج الاميرة ماري لويز على ما هو مشهور في التاريخ . ونحن نضرب صفحاً عمّا ألم بجوزفين من الحزن واليأس بعد أن هجرها نبوليون ولكن معظم المؤرخين يلقون عليها اللوم في ذلك



الكونت ليون وهو ولد غير شرعي لنبوليون

أما ماري لويز فالمشهور عنها انها لم تكن تحب نبوليون مع انه كان مخلصاً لها . ولما كان على سرير الموت في جزيرة القديسة هيلانة طلب من طبيبه ان يضع قلبه في زجاجة من نبيذ ويرسله اليها ويقول لها انه احبها من كل قلبه وان حبه لها لم يبطل قط . قيل ولما جاءها الطبيب وجدها تغازل موظفاً اعور يدعى نيبرج وتقول له : انني لم احس بحب من نحو نبوليون وان كنت لا استطيع ان انسى انه والد ولدي »

بقي أن نقول انه وقع لنبوليون حوادث غرامية كثيرة

واشهر النساء اللواتي وقع في حبهنّ او اتخذهن محظيات سواء في ايام حداثته أو

في ابان مجده المداموازيل لوبري دي سان جرمان وكان قد عرفها في ڤالنس بعد ان نسي كارولين كولوميه .

والمدام تورو عرفها يوم كان ضابطاً بسيطاً ثم قصدته في ايام فقرها ومحنتها وهو في ذروة مجده تخصص لها معاشاً سنوياً قدره ستة الاف فرنك .

والمدام تالياني وكانت من اشهر نساء عصرها في الجمال

والمدام پولين فوري وكانت زوجة احد الضباط الذين رافقوا نپوليون الى مصر وقد عرفها في القاهرة ثم ارجع زوجها الى باريس وابقاها في مصر



المداموازيل جورج الممثلة الشهيرة وكانت احدى عشيقات نبليون

والمداموازيل جورج الممثلة الشهيرة بجمالها

والمدام جراسيني الممثلة الايطالية وكان الدوق ولنتون من عشاقها

والمدام جزاني وهي ايضاً ايطالية

والمدام مارس من ممثلات الكوميدي فرانسز

وغير هؤلاء مما لا يسعنا ذكرهن

الاديان

ومحافظة الامم على الخطوط

من مآثر عظمة مولانا السلطان في تشجيع الادب والادباء ان عظمته امر بطبع كتاب « انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي » لعبد الفتاح افندي عباده على نفقة الديوان السلطاني . وقد آثرنا نشر هذا الفصل من ذلك الكتاب النفيس قبل ظهوره لما فيه من الفوائد . قال الكاتب :

ان محافظة المسلمين على الخط العربي في انحاء العالم وكتابتهم به لغاتهم ليس امراً خاصاً بهم لا مثيل له عند غيرهم من الامم بل يكاد يكون عاماً عند اهل الاديان الاخرى من أهل الكتاب وغيرهم في كل الازمان . فاننا نرى اليهود من وقت تفرقهم الى الان يتخذون لغة البلد الذي يستوطنونه لغة لهم فيكتبونها بخطهم العبري كما يكتبون اليوم اللغة العربية واللغة الفارسية واللغات الافرنجية كالالمانية والاسبانيولية وغيرها بالخط العبري [١] وينشرون به الكتب والجرائد في كثير من المدن الكبيرة كما نرى في الاستانة فانه تصدر فيها جرائد أسبانيولية حرفها عبراني . وهكذا في نيويورك جرائد المانية حرفها عبراني . بل للآن تصدر في تونس جرائد عربية بلهجة تونس العامية حرفها عبراني . واليهود في مصر وسوريا وغيرها يكتبون اللغة العربية بالحرف العبري من قديم كما في مؤلفات موسى بن ميمون [٢] وترجمة التوراة

(١) ويسمي الاوروبيون هذا النوع من الكتابة باسم : « Judæo-Arabic » أي الاسرائيلية العربية للدلالة على كتابة اليهود في مصر وسوريا وغيرها اللغة العربية بخطهم العبري ، و« Judæo-Persian » للدلالة على اللغة الاسرائيلية الفارسية وهي لغة فارسية ممزوجة قليلا بالفاظ عبرانية ومكتوبة بحروف عبرية وهي لهجة يهود فارس ، و « Judæo-German » للدلالة على كتابة اليهود الالمانيين اللغة الالمانية بالخط العبراني . وقد حظرت عليهم الحكومة الالمانية استعمال هذه الكتابة في الحسابات والاشغال التجارية ، و « Judæo-Spanish » لكتابة اليهود الاسبانيين في تركيا وغيرها ، و « Judæo-Tunisian » لكتابة اليهود في تونس والجزائر وطرابلس اللغة العربية العامية بخطهم العبري .

(٢) هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي يهودي عالم بسنن اليهود كما قال ابن أبي أصيبعة ويعد من أحبارهم وفضلائهم وكان رئيساً عليهم في الديار المصرية وهو أوحد زمانه في صناعة الطب وفي أعمالها متفنن في العلوم وله معرفة جيدة بالفلسفة وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى له ويستطبه وكذلك ولده الملك الافضل علي . انظر ترجمته في طبقات الاطباء لابن أبي

لسعيد الفيومي (١) وغيرها . ويستعمل اليهود القراءون في القديم هذه الحروف ايضاً في كتابة التركية وهي اللغة الدارجة بينهم . فترى من ذلك انهم حافظوا على خطهم ولم يحافظوا على لغتهم

وكذلك عند النصارى فان السريان في الشام والجزيرة لما دخل الاسلام بلادهم وغلبت اللغة العربية على السنتهم ظلوا حيناً يكتبونها بالحرف السرياني الذي كانوا يكتبون به لغتهم الاصلية ويسمون هذه الكتابة بالقلم الكرشوني « Carshûn » ولم يكن استعمال هذا القلم محصوراً في المارونيين واليعاقبة فقط بل امتد استعماله ايضاً الى الملكيين — وقد طبعوا به كتباً عديدة منها الانجيل وبين ايدينا نسخة منه طبعت في باريس سنة ١٨٢٧ على هذا الشكل

وكذلك الارمن واليونان في الاستانة وفي البلاد العثمانيـة الان فانهم يصدرون فيها جرائد حرفها أرمني ولغتها تركية واخرى رومية حرفها يوناني ولفظها تركي ولهم أدبيات ارمنية تركية واديات يونانيـة تركية ، وسبب ذلك انهم جميعاً يعرفون اللغة التركية ويتجنبون الخط العربي فيضطرون الى كتابة التركية بخطوطهم الوطنية التي يتمسكون بها بسبب الدين

وهذا النوع الاخير وهو كتابة اللغة التركية بالحروف اليونانيـة شائع ومستفيض الى الان في مطبوعات الاستانة الدينية التي يستعملها القرمنليون المقيمون باسيا الصغرى فانهم يستعملون التركية والاحرف اليونانية لكتابة كتبهم المقدسة مع انه ليس في عروقهم من الدم اليوناني ما لا يزيد على وجه التقريب عنا في عروق السوريين الملكيين ولكن البطريركية العامة تبذل جهدها في ان تعد نفسها يونانية الاصل (٢)

وكذلك الكاثوليك اللاتين المقيمون ببلغاريا فانهم يستعملون البلغاري مكتوباً بالحروف اللاتينية بدل الحروف البلغارية .

وكما كان عند كهان مصر من الوثنيين فانهم كانوا يعدون الحرف الصوري

أصيبعة واخبار الحكماء لابن القفطي وفي الانسكلوبيديا البريطانية ، وقد جاء فيها انه ولد بقرطبة سنة ١١٣٥ م وكانت في أوج مجدها وفي سنة ١١٦٥ انتقل الى مصر واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين

(١) ان ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي للتوراة الى العربية قد طبعت الاسفار الخمسة منها في الاستانة بالعربية وبالاحرف العبرانية سنة ١٥٤٦م . مع ترجمات أخرى وعرف هذه الطبعة باسم « تترائلوت » . ويظن ان ترجمته هذه هي أقدم الترجمات العربية ولكن في مكتبة الفاتيكان برومية نسخة خطية للعهد القديم بالعبرانية والسامرية غير كاملة مع ترجمتها بالعربية مكتوبة باحرف سامرية مؤرخة في القرن السابع للميلاد ، ولا دليل على انها من ترجمات ذلك القرن

(٢) Charon, Le Rite Byzantin, Rome 1908

(الهيروغليفي[١]) مقدساً فينقشون به صلواتهم او آثارهم مع وجود الحرف الديموطيقي[٢] وهو أخف على الايدي

وكما عند البوذيين الان فانهم في شمال آسيا يؤثرون القلم التبتي وفي جنوبها القلم البالي بالنسبة الى أحد آلهة الهنود

وكما عند المجوس من أتباع زرادشت فان القلم الفهلوي (البهلوي) لا يزال شائعاً ومستعملاً لتدوين كتب الدين عندهم، والزرادشتيون يعدون اللسان الفهلوي أيضاً لساناً مقدساً لانه لغة دينهم فيفضلون تدوينه به. وقد أسلفنا في الكلام على اللغة الفارسية ان اللسان الفهلوي أخذ بالزوال أمام اللغة العربية شيئاً فشيئاً حتى ذهب عن الالسنة ولكنه ظل في الكتب ولا سيما كتب الدين القديم على مذهب الزردشتية

---

(١) هذا اللفظ اطلقه اليونان على الحروف التي كان يستعملها قدماء المصريين وهو لفظ يوناني مركب من (هيروس) بمعنى الشيء المقدس و (غليفاوس) بمعنى أنقش ومضمون ذلك «أنقش الشيء المقدس» او «الحروف المقدسة» وقد بقيت هذه التسمية مرعية الى الآن. وكانت الكتابة الهيروغليفية تحتوي على علامات تمثل اناساً وحيوانات واشياء مادية وغير ذلك تدل على الحروف (الساكنة والمتحركة) وتحتوي أيضاً على اشارات صورية للمعاني قائمة بنفسها مستقلة بها مثال ذلك انهم كانوا يعبرون عن مصر العليا «بتاج البردي» لكثرته فيها على عهدهم وعن مصر السفلى «بنبات البشنين» لكثرته فيها كذلك، وكانوا يستعملون في امورهم المادية (الخط الهيراطيقي) من ابتداء القرن السابع قبل الميلاد، وهذا القلم هو عبارة عن أشكال مختصرة ورموز مختزلة من العلامات الهيروغليفية

(٢) القلم الديموطيقي أي القلم العامي وهو مختصر من القلم الهيراطيقي لكنه في غاية السهولة وقد قام شيئاً فشيئاً مقام الهيراطيقي في أيام العائلة السادسة عشر وصار في ايام اليونان مستعملاً في الامور المعتادة، ومن هذا الخط أخذت الامم كلها حروف الهجاء عن يد الفينيقيين، ثم زال استعمال هذه الاقلام الثلاثة عند ما دخلت الديانة النصرانية في البلاد المصرية واستبدلت بحروف الهجاء القبطية المركبة من ألف باء اليونانية ومن ستة احرف توافق بعض أصوات مصرية ليس في اليونانية ما يعبر عنها. وذلك لان النصرانية جاءت الى مصر على يد اليونان فكانت اللغة اليونانية تعد لغة دينية عند الاقباط كما هي عند غيرهم فشاعت حروفها بينهم وحلت محل اقلامهم. وكذلك الاسلام فانه انتشر على أيدي العرب فكانت العربية هي لغته، وخطها هو خطه في كل البلاد الاسلامية ومن جملتها مصر ورث فيها آثار النصرانية ونعني بها القلم القبطي ولغته كما ورثت هذه قبل ذلك آثار الوثنية أي الهيروغليفي والهيراطيقي والديموطيقي، فظهر من ذلك ان للاديان سراً عجيباً اذا انتشر دين أبطل كل ما كان شائعاً قبله فنسخه ونسخت آثاره آثار سلفه — وهكذا الحال في الدول فانا نرى الدولة اذا تغلبت على دولة أخرى تعمل على هدم آثارها وما شيدته من التمدن وغيره وتبني لنفسها تمدناً وآثاراً أخرى فيقضي على الدولة المغلوبة بامرين النسخ والحلول فيتمثل أهلها بالغالب ويتشبهوا به، وهذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا

وامثلة ذلك كثيرة عند الامم . ولا عجب فان كثيراً من الامم ولا سيما أهل الاديان منهم يتبركون بالخط الذي كانت تكتب به لغة دينهم ويعدونه أثراً دينياً ان لم يعتبروه جزءاً من الدين ، فهم يحافظون عليه اكثر من محافظة بعضهم على لغته (كما رأيت عند اليهود وغيرهم) ويؤثرونه على غيره من الاقلام التي كانوا يستعملونها قبل دخولهم في اديانهم فيؤول الامر الى امانة تلك الخطوط

عبد الفتاح عباده

الكلاب في الحرب

للكلاب في الحرب شأن عظيم لا يستخف به . وليس استخدامها في الحروب من الامور الحديثة فقد ذكر الاستاذ ماسبرو في كتابه تاريخ شعوب الشرق القديمة (جزء ٣ صفحة ٤٢٩) ان اليونان استخدموا الكلاب في الحرب في سنة ٦٥٠ قبل الميلاد

واشهر ما يعرف عن وظائف الكلاب في الحرب خمس وهي (١) الحراسة (٢) البحث عن الجرحى (٣) نقل البريد والاوامر (٤) مساعدة المصلحة الطبية (٥) جر مدافع المتراليوز

وقد كانت فرنسا في طليعة الدول المهتمة بامر الكلاب في الحرب فحذت المانيا حذوها حتى صار عندها « مصلحة » منتظمة من الكلاب . ولم تكن البلجيك اقل اهتماماً بامر هذه الحيوانات فقد كانت تستخدمها قبل هذه الحرب في امور كثيرة . وقد كان القوم في مقاطعة الفلاندر يستخدمون الكلاب لجر عرباتهم ومركباتهم

قلنا ان استخدام الكلاب في الحرب يرجع الى ما قبل المسيح بستة قرون ونصف ولكن استخدامها لم يكن بطريقة منتظمة الا في الحروب التي وقعت في نصف القرن الماضي . وفي سنة ١٨٦٥ أقيم في اوستند وسبا معرض للكلاب عرضت فيه الكلاب المدربة على البحث عن الجرحى . وبعد بضع سنين تألفت في بلجيكا جمعية دعيت « الجمعية الوطنية لتحسين حال كلاب الرعاة » . وفي نحو ذلك الزمن تألفت جمعيات أخرى في فرنسا والمانيا لاستخدام الكلاب في الامور الطبية وللبحث عن الجرحى في ساحات القتال . وبعد مدة لاح لاحد الضباط البلجيكيين وهو الليفتنانت فان دي بوت أن يستخدم الكلاب لجر مدافع المترايوز ولذلك ترى في بلجيكا اليوم فرقة كبيرة من الكلاب لهذه الغاية عدا الكلاب المشتغلة لغايات أخرى . وعند المانيا جيش عرمرم من الكلاب لا يقل عن الخمسة واربعين الفاً مدربة على الوظائف المختلفة . فهناك كلاب مصلحة البوليس وكلاب المصلحة الطبية (للتفتيش عن الجرحى) وكلاب البريد وكلاب الحرس . وينقسم هؤلاء الى جيش عامل وجيش مستحفظ والمجال غير منفسح لنا لشرح وظيفة كل منهم بالاسهاب فنكتفي بما مر

التطبيب في الحرب

من أقدم الازمنة الى الآن

تدل اقدم المصادر التاريخية على ان القواد العظام في كل زمان ومكان قدروا التطبيب في الحرب حق قدره. فعلى القسم الطبي في الجيش تتوقف وقاية الجنود من الامراض المحدقة بهم من جهة ومعالجة جروحهم وسائر اصاباتهم في ساحات القتال من الجهة الاخرى

واول من ذكر شيئاً عن الاطباء في الجيوش هوميروس الشاعر اليوناني في الياذته الشهيرة فقد ذكر انه كان مع اليونانيين في محاصرتهم لترواده طبيبان اسماهما مخاون وبوداليَر. ولكن لم تقتصر وظيفتهما على التطبيب فانه كان تحت قيادتهما ثلاثون سفينة لنقل الجيوش من بلاد اليونان الى شواطىء اسيا الصغرى حيث مدينة ترواده

وجاء في قوانين ليكرغوس المشترع السبرطي الشهير (في القرن التاسع ق م) ان الاطباء التابعين للجيش كانوا يقيمون مع المرافقين ولاعبي الموسيقى ورؤساء الفرق. وذكر زينفون صاحب الرحلة الشهيرة انه اجبر يوماً على ترك عدد كبير من جنوده المرضى في بعض القرى وانه ابقى معهم «ثمانية اطباء». وقد جاء في كتاباته ايضاً ان المستشفيات في المدن اليونانية كانت تقبل المصابين من اليونان والاعداء على السواء بعكس الرومان فانهم لم يكونوا يهتمون بغير جنودهم

ويظهر انه في ايام رومية الاولى لم يكن في الجيوش اطباء مخصوصون بل كان على كل جندي ان يسعف المصابين من اخوانه ويضمد جراحهم. وقد كانت مهنة التطبيب محتقرة عند الرومان على الاجمال الى ايام يوليوس قيصر فانه رفع شأن الاطباء وكان اكثرهم من اليونان. غير انهم لم يدخلوا في الجيوش بصفة رسمية الا في ايام الامبراطور اوغسطس فانه نظم القسم الصحي في الجيوش البرية والبحرية واصبح الاطباء منذ ذلك الحين جزءاً لازماً من جميع الجيوش الرومانية

وورد ذكر الاطباء في الحروب غير مرة في كتب مؤرخي الرومان. وقد تهكم عليهم المؤرخ غالينوس وقال انهم كانوا يعرفون من التشريح قدر ما يعرف الجزارون. وكان المرضى يعالجون في الخيم والمستشفيات النقالة والمستشفيات الثابتة على نحو ما يجري اليوم لا سيما منذ القرن الخامس. وجاء في تواريخ الرومان قصص كثيرة تدل على

رأفة امبراطرة الرومان بالجرحى من جنودهم واحسن ما ذكر من هذا القبيل قصة الامبراطور تراجانوس الذي خلع رداءه يوماً فصنع منه رباطات لجنوده المجروحين

وقد نقل العرب الطب عمن سلفهم من الامم القديمة وتوسعوا فيه توسعاً عظيماً حتى ان الاطباء كانوا طبقات واصنافاً وفيهم الطبيب على اجماله والجراح والفاصد والكحال وطبيب الاسنان ومن يعالج النساء والمحاظي على نحو الاطباء الاختصاصيين في هذه الايام

ونبغ جماعة من النساء اشتهرن بصناعة الطب وكن يتبعن الجيوش لمعالجة الجرحى والمصابين كما تفعل اليوم ممرضات الصليب الاحمر



امرأة عربية تعالج جريحاً

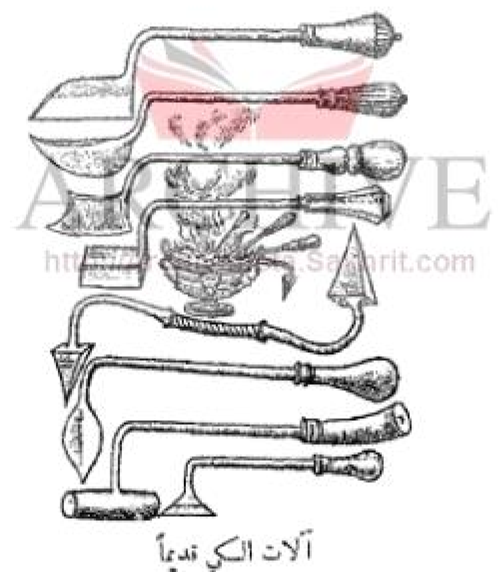
ولما اكتسح البرابرة الدولة الرومانية وسقطت رومية اضمحلت وظيفة الاطباء في الجيوش ولم يذكر شيء عن الاطباء العسكريين في أثناء الاجيال الوسطى الى سنة ١٥٣٦ التي تعد مبدأ فن المعالجة الحربية الحديثة . ففي تلك السنة رافق الجراح الشهير امبرواز باره (Ambroise Paré) فرنسوا الاول في احدى حروبه وغيّر منذ ذلك الحين المعالجة الشائعة حينئذٍ للجروح المسببة عن الاسلحة النارية . فقد كان الشائع بين جراحي ذلك الزمن ان هذه الجروح مسمّمة فكانوا يكوونها بالماء الغالي او الزيت الحار . ولا يخفى ما يتسبب عن ذلك من الالم الشديد

واتفق يوماً ان امبرواز باره المذكور لم يكن لديه الماء او الزيت الغاليان فالتزم ان يكتفي بضمد الجراح ولكنه خشي كثيراً من جراء عمله هذا . قيل انه لم ينم تلك الليلة من شدة خوفه على مرضاه اذ توقع ان يجدهم امواتاً في اليوم التالي . وما كان اشد دهشته

لما قام فوجدهم على احسن ما يرام بل رأى حالتهم افضل من حالة الذين كان يكويهم . ومنذ ذلك الحين عدل امبرواز باره عن الطريقة القديمة لما كان يلحقها من الالم الفظيع الذي امكن ملافاته باهون السبل

وبعد ذلك بقليل خطر له أن يستبدل طريقة الكيّ بالحديد المحمى لدرجة الاحمرار في منع النزيف بطريقة ربط العروق فجرب طريقته هذه فنجحت نجاحاً باهراً ومنذ ذلك الحين انتشرت تعاليم امبرواز باره فنال اكرام الملك واعجاب مواطنيه

وتقدم فن التطبيب الحربي تقدماً بطيئاً فيما بعد ولا غرابة في ذلك فان طرق المعالجة على الاجمال كانت منحطة انحطاطاً شديداً . خذ مثلا على ذلك الوصفات الغريبة التي جاءت في كتاب مطول عن « التطبيب الحربي » ظهر سنة ١٧٧٨ ومنها مرقة الافاعي ومرقة الضفادع !!



آلات الكي قديماً

وفي أيام نابليون نهض هذا الفن بفضل نفرٍ من افاضل الاطباء منهم دي جنيت Des Genettes ولاري Larrey وقد أتيا مع بونابرت الى مصر سنة ١٧٩٨ . وكان للجيش الفرنساوي في مصر قسم طبي منظم نظاماً حسناً وقد قام بوظيفته احسن قيام في واقعة الاهرام . وأنشأ بونابرت مستشفيات في الجيزه والقاهرة وغزة ويافا وعكا . ومما يؤْثر عن هذا القائد العظيم انه كان شديد الانعطاف نحو الجرحى من جنوده يدلك على ذلك منشور اصدره في القاهرة جاء فيه : — « يجب على الموسيقى ان تعزف بالانغام المطربة أمام المستشفيات كل يوم حول الظهر لتسلي المرضى ويتذكروا الايام

الحسنة التي مضت من حياتهم » . وكانوا ينقلون الجرحى بواسطة الجمال او الخيل

ولما انتشر الطاعون في يافا جاهد دي جنيت المتقدم ذكره بكل قواه لحصر هذا الداء والوقاية منه وقد كان يبلغ عدد الوفيات بالطاعون بين ١٢و١٥ في اليوم

الا ان مهارة الاطباء وتفانيهم لا تكفيان لوقاية الجيوش من الامراض الكثيرة التي تهددها نظراً لقلة عددهم . ففي حرب القرم (سنة ١٨٥٤ — ١٨٥٦) فقدت فرنسا ٩٥٦١٥ جندياً من ٣٠٠٠٠٠ توفي ٧٥٠٠٠ منهم بامراض واوبئة مختلفة . ثم ان العمليات الجراحية لم تكن تعمل بالمهارة والنظافة اللازمتين ففي حرب القرم ايضاً كان يموت ٩١ من كل مئة جندي أجريت لهم عملية الجذم وقد نزلت هذه النسبة في حرب فرنسا مع ايتاليا (سنة ١٨٥٩ — ١٨٦٠) الى ٧٦ في المئة

والسبب في ذلك يرجع الى قلة عدد الاطباء والجراحين ففي حرب القرم مثلاً كان في الجيش المؤلف من ١٠٨٠٠٠ جندي ٧٨ طبيباً فقط اي نحو سبعة اطباء لكل ١٠٠٠٠ وفي حرب ايتاليا المتقدمة كان مع الجيش المؤلف من ١٦٠٠٠٠ جندي ١٣٢ جنديًا لا غير اي نحو ثمانية لكل ١٠٠٠٠ جندي وفي واقعة ماجنته كان على كل طبيب ان يطبب ١٧٥ جريحاً ومريضاً وفي واقعة سلفرينو كان كل طبيب موكلا بنحو ٥٠٠ فتأمل !

ان هذه الحالة السيئة لفتت أنظار الدول في السنين الاخيرة الى اهمية القسم الطبي في الجيش وقد اهتمت به جميعها اهتماماً كبيراً ونظمته احسن نظام فبعد ان كان يموت جريح من كل ثلاثة جرحى اصبح لا يموت الا واحد من كل خمسة ولا يزال مجال التقدم في هذا الباب واسعاً

يقال ان في نية الحكومة الهولندية نقل البريد بواسطة سفن التوربيد وعند الحكومة سبع سفن من هذا النوع تسير بسرعة ثلاث وعشرين عقدة في الساعة

***

استولت الحكومة الالمانية على جميع مركبات الاوتوموبيل التي في بلادها فلا تجد في شوارع برلين شيئاً من هذه السيارات ولا من الاوتوموبيلات الاومنيبوس . وقد انقصت مركبات الترامواي الى اقل ما يمكن بسبب عدم وجود عمال . اما عربات الركوب فقد بليت اطارات دواليبها المصنوعة من الكاوتشوك فقلّ الاقبال عليها

شذرات عن الحرب الحاضرة

مجموعة من ادق المصادر واصحها

القوزاق

تاريخهم واحوالهم

لا يخفى ما للقوزاق من الاهمية في هذه الحرب كما كان لهم في سائر الحروب التي التحمت فيها روسيا مع الدول الاخرى . فمن هم هؤلاء القوزاق ؟ وما هو تاريخهم ؟

يختلف علماء السلالات البشرية في نسب هؤلاء الاقوام اختلافاً بيناً بل ان اراءهم متضاربة في سائر احوالهم حتى اشتقاق اسمهم فانه مختلف عليه فالبعض يرجعون به الى كلمة تترية معناها « الفارس المقتحم » وغيرهم يشتقونها من اسم العنزة في اللغة البولونية ويرى آخرون انها مأخوذة من كلمة تركية تعني سارق . ولعل التعليل الاول اقرب من التعليلين الاخرين . اما من حيث نسبهم فالارجح انهم خليط من اجناس مختلفة اهمها التتر والسلاف والفلت ولكن يغلب فيهم الدم التتري

والقوزاق حائزون على شيء من الاستقلال الاداري وهم متمسكون بلغتهم وعاداتهم تمسكاً كبيراً ولكنهم في الوقت نفسه مخلصون للدولة الروسية وللقيصر

ولم يرد ذكر القوزاق في التواريخ الروسية الا في القرن العاشر للميلاد وقد كانوا حينئذ يقطنون الشمال الغربي للقوقاز حيث تنازعوا السيادة مع الاقوام القاطنة تلك الجهات فأجبروا على الصعود من مقرهم هذا الى جنوبي روسيا . وقد كان لهم شأن يذكر في تاريخ الاسلام وحاربهم الفاتحون المسلمون غير مرة

وكان مركزهم مهدداً لجوارهم من الاتراك لا سيما سنة ١٤٧٥ اذ اكتسحت الجيوش التركية القرم ولكنهم تخلصوا بمساعدة الشعوب السلافية الموالية لهم

وفي اواخر القرن الخامس عشر كان للقوزاق سلطة لا يستخف بها واتسعت اراضيهم اتساعاً كبيراً . ولم يبتنوا المدن لانهم يحبون المعيشة في الخلاء بطبيعتهم ولكنهم كانوا يحصنون المواقع المهمة ليأمنوا هجمات اعدائهم وكانوا يجعلونها مراكز يجتمعون فيها للاتجار وتبادل الحاجات

ولم يخضع القوزاق في ما مضى لرئيس بل كانوا مفرقين قبائل قبائل لكل منها نظام

هو اقرب الى النظام الجمهوري منه الى غيره لكنها مع ذلك كانت تتحد عند الحاجة فتصبح يداً واحدة في مكافحة اعدائها المشتركين . قلنا ان نظامها كان جمهورياً ولكنه كان في كثير من الوجوه يشبه النظام الاشتراكي اذ كانوا يكلفون بعض العمال في حراثة الارض واستثمارها ويتقاسمون الحاصلات

ولم ينتقل القوزاق من دور الملكية المشتركة الى دور الملكية الفردية الا بعد زمن طويل واول خطوة خطوها في هذه السبيل كانت في ايام كاترين الثانية اذ وهبت رؤساء قبائل القوزاق الذين ساعدوها في حروبها قطع ارض ملكاً خاصاً لهم يتوارثونه . وفي سنة ١٨٤٢ اصدرت الحكومة الروسية رغم معارضة القوزاق امراً يقضي بتوزيع الاراضي بين القوزاق حسب رتبهم العسكرية على شرط ان يقدموا للحكومة مقابل ذلك الخدمة العسكرية طول حياتهم ما زالوا احياء قادرين عليها . وهذا النظام متبع الى يومنا هذا

فالشاب حالما يبلغ التاسعة عشرة من عمره يقسم يمين الامانة ويدخل في فرقة يتمرن فيها على مهنة الحرب وعليه ان يجلب له فرساً ومعداتها والاسلحة البيضاء ولا يزال على هذه الحالة الى سن العشرين فيدخل فرقة من « النوع الاول » يمكث فيها اربع سنوات . ثم يدخل فرقة اخرى من « النوع الثاني » يمكث فيها اربع سنوات اخرى يبقى في اثنائها في بلده الاصلية ولكنه يكون معداً للقيام الى الحرب هو وفرسه عند اول اشارة . ثم يدخل فرقة ثالثة من « النوع الثالث » لاربع سنوات اخرى يعفى في اثنائها من الخدمة الفعلية وقت السلم ومن المحافظة على فرسه . وبعد ذلك يدخلون في سلك المستحفظ لمدة خمس سنوات ولا يبرح من الذهن انه لا يجوز للقوزاق ان يستعملوا افراسهم في الزراعة او غيرها وانما يجب ان تخصص للحرب

وقد ابلى القوزاق بلاء حسناً في جميع الحروب التي دخلوها لاسيما في مواقع منشوريا في الحرب الروسية اليابانية وكانوا تحت قيادة الجنرال رننكمبف

وعدت الحكومة الالمانية ان تمنح الصليب الحديدي من الدرجة الثالثة لكل معلم مدرسة يقنع مئة تلميذ بالاكتتاب في القرض الحربي

***

تصدر الحكومة الالمانية صحيفة انكليزية وتوزعها على الاسرى الانكليز وهي مملوءة طبعاً باخبار انتصارات عظيمة منسوبة الى الالمان

قحط المعادن في المانيا

تسعى انكلترا وحلفاؤها لمنع ورود النحاس الى المانيا . وسبب ذلك ان هذا المعدن هو قوام الذخائر الحربية اذ لا يمكن الاستغناء عنه في صنع القنابل أو الخراطيش . وقد حاول المخترعون ان يبدلوا النحاس بمعادن أخرى فلم تكن النتائج مرضية واقرب المعادن الى النحاس بهذا الاعتبار هو الالومينيوم ولكن الخبيرين بالفنون الحربية لا يستطيعون ان يعولوا عليه . ولا يخفى ان خليط القصدير والنحاس الذي يصنع منه خراطيش البنادق والمدافع يقتضي ان يكون النحاس والقصدير من اسمى الاصناف واحسنها

ومما يدل على أن المانيا في حاجة شديدة الى النحاس كون هذا المعدن قد زاد سعره مئتين في المئة عما كان عليه في بدء الحرب . ويقدر الحربيون عدد القنابل التي يطلقها الالمان من بنادقهم ومدافعهم بستة وعشرين مليون قنبلة في كل اربع وعشرين ساعة تقتضي على اقل تقدير اربع مئة واربعين طناً في اليوم فيكون ما تحتاج اليه المانيا من النحاس اكثر من مئة وخمسين الف طن في السنة عدا ما تحتاج اليه حليفتها النمسا وهي ليست دونها في شدة الحاجة . ولا يخفى ان المانيا تستخرج نحو ستة وعشرين الف طن من هذا المعدن من بلادها سنوياً ولا يمكنها أن تزيده الى اكثر من اربعين الف طن فتظل محتاجة الى اكثر من مئة الف طن لا يمكنها ان تحصل عليها من مصدر آخر ولو نهبت كل النحاس الذي تستطيع نهبه من اهاليها أو من أهالي البلجيك . لذلك يقدر العارفون ان الحاجة الى هذا المعدن ستكون من اعظم اسباب انكسار المانيا

ومما يستحق الاعتبار انه كان عند المانيا عند بدء هذه الحرب خمسة بليونات رصاصة (أي خمسة آلاف مليون) وألوف من المدافع والبندقيات . وقد كان المظنون ان هذه الذخيرة تكفي مدة طويلة من الزمن ولكن لم تمض بضعة أيام حتى رأت المانيا انها قد استنفدت كل ما كان عندها من ذخيرة وادوات . وزاد موقفها حرجاً ان معظم العمال الذين يشتغلون في صنع الذخائر هم في ساحة الحرب . لذلك عمدت الجيوش الالمانية الى جمع الخراطيش الفارغة وملئها ثانية وذلك اقتصاداً في النحاس الذي بات أندر من الكبريت الاحمر في المانيا . على ان رجال الفن الخبيرين بالشؤون الحربية يعتقدون بان الخراطيش الالمانية الفارغة لا تصلح للملء غالباً بخلاف الخراطيش الانكليزية والاميركية مثلاً فانها يمكن ملؤها والانتفاع بها عشرين مرة على الاقل . ولما كانت كل رصاصة تكلف نحو مليمين وخرطوشتها تكلف نحو ثلاثة مليمات كان الاقتصاد في تكرار ملء الخراطيش نحو ٦٠ بالمئة وهو مبلغ لا يستهان به

المدفع المذخور

ومعدات القتال القديمة

اختلفت الاقوال في المدفع الالماني الضخم الذي عياره ½ ١٦ بوصة . فقال بعضهم أن لدى المانيا كمية كبيرة منه . وقال غيرهم ليس عندها الا مدفعان فقط وهو الاصح على ما ايدته احدى المجلات الاميركية العلمية وقد وقفنا على اخبار في بعض المصادر يفهم منها ان انكلترا قد اخترعت مدفعاً اهول من المدفع الالماني بكثير وهو شبيه به لولا بعض تحسينات قد زيدت عليه . أما قبلته فن عيار ١٧ بوصة ولما كان هذا المدفع وامثاله لا يصلح الا لحصار المدن المحصنة ودك معاقلها فزمن استخدام هذا المدفع لم يحن بعد والارجح ان انكلترا ستفاجيء به المانيا عندما يتراجع الجيش الالماني الى حدود بلاده ويلتجيء الى حصونه



قنبلة ترمى باليد وبجانبها مسدها

وكثيراً ما يتوهم الناس ان معظم الحصون البلجيكية التي اخذتها المانيا دكتها بالمدفع الضخم الذي من عيار ½ ١٦ بوصة . وهو غلط شائع فان معظم تلك الحصون دكتها المدافع التي من عيار ½ ١١ بوصة . وهذه المدافع ليست حديثة العهد بل هي موجودة عند سائر الدول . وفي هذا برهان على ان المعدات التي جهزتها المانيا لمحاصرة مدن اعدائها ليست اقوى من معدات خصومها . اما سبب اشتهار مدافع كروب الالمانية اكثر من اشتهار مدافع شنيدر الفرنسوية فهو لان المانيا باغتت اعداءها فجأة وأخذت بعض مدنهم على حين غرة قبل ان يتمكن الحلفاء من الدفاع عنها . ومتى اضطر الالمان ان

يرتدوا الى بلادهم ويلتجئوا الى حصون الرين ظهرت حينئذٍ مدافع شنيدر بقوتها الهائلة وأبرز المدفع الانكليزي من مخباه لدك الحصون والمعاقل



جنود انكليز يقذفون القنابل بالمنجنيق

هذه هي اهول معدات القتال الحالية . على انه عندما بدأت هذه الحرب كان الناس يعتقدون ان جميع معدات القتال التي ستلجأ اليها الدول لا بد ان تكون من آخر ما وصل اليه عقل المخترعين والمستنبطين وان القتال سيكون عن بعد لان الآلات الحديثة الهائلة تحول دون اقتراب الاعداء بعضهم من بعض . اما اليوم فقد زال بعض هذا الوهم اذ عمدت بعض الجيوش المتحاربة الى استعمال وسائل كانت شائعة في الحروب القديمة واشهرها المقلاع والمنجنيق . على انهم بدلاً من رشق الحجارة بهاتين الآلتين يرشقون القنابل والمفرقعات . ومنهم من يستعملون المقذوفات التي ترمى باليد

25	25	250	250	50	50
25	25			50	50
25	25			50	50
25	25			50	50
100	100	250	250	100	100

جواز الخبز الذي تعطيه الحكومة الالمانية لرعاياها ويحصل الفرد بمقتضاه على ما يكفيه لاسبوع



الدكتور ودرو ولسن

رئيس جمهورية الولايات المتحدة

اصبح الدكتور ويلسن رئيس حكومة الولايات المتحدة حكماً بين الفريقين المتحاربين ويراه القارئ في الصورة اعلاه محتضناً اول حفيد له وقد ولدته ابنته منذ بضعة اشهر



فرقة النساء الانكليزيات

في شوارع لندن

قرأنا في الجرائد اخيراً عن انشاء هذه الفرقة وغرضها مساعدة الجنود الانكليزية في ساحة القتال ويرى القارئ في الرسم هؤلاء النساء سائرات في احد شوارع لندن

النسافات الهوائية

لمقاومة البلونات المسيرة (المعروفة ببلونات تسبلن)

اختلف الناس في اعتقادهم بفائدة البلونات المسيرة في الحروب فمنهم من علق عليها الآمال الكبيرة كالمانيا والنمسا ومنهم من فضل عليها الطيارات الخفيفة كانكلترا وحلفائها. وقد قابل محرر جريدة النيويورك صن الاميركية المستر مكماشن رئيس جمعية الطيران الاميركية وسأله رأيه في هذا الخلاف فقال ان لبلونات تسبلن فائدة عظيمة لا تنكر ولا تستطيع الطيارات الخفيفة أن تلحق بها ضرراً يذكر . واكّد لمحادثه ان لديه اخباراً وثيقة بان المانيا تعد اسطولاً كبيراً من هذه البلونات لغزوة انكلترا في النصف الاخير من شهر ابريل (الماضي) . والحكومة البريطانية عارفة باستعداد المانيا لهذه الغزوة وهي تعلم ان الهجوم على يارموث لم يكن سوى مجرد استطلاع او تجربة

وكانت وزارة الحربية البريطانية قد اصدرت اوامرها للناس باطفاء الانوار اذا لاحت لهم البلونات المسيرة الالمانية . ووضعت عدة مدافع في مراكز معينة للدفاع عن مدينة لندن . ولكنها رأت (على ما قال المستر مكماشن) ان جميع هذه الاحتياطات لا تجدي نفعاً اذا لم يؤيدها اسطول من النسافات الهوائية . لذلك عهدت اليه بناء اسطول صغير من نسافات هوائية وضع هو هندستها لمقاتلة بلونات تسبلن وكان ميعاد تسليمها في اواسط الشهر الماضر (والارجح انها انجزت وارسلت الى انكلترا في هذا الميعاد)

وهذه النسافات مبنية على نظام جديد غير معروف سابقاً في تاريخ السفن الهوائية . وتتراوح سرعة النسافة بين الستين والسبعين ميلاً في الساعة وفي استطاعتها ان تظل عشر ساعات في الهواء وان ترسل انباء لاسلكية . وفيها مدفع طوربيد ينفجر عندما يمس الهدف . ويبلغ طول النسافة ٢٣٠ قدماً وعرضها ٢٨ قدماً وفيها آلتان احداهما في مقدمها (وقوتها من ٧٥ الى ٩٠ حصاناً) والاخرى في مؤخرتها (وقوتها ١٢٥ حصاناً) وعدد ركاب كل نسافة ثمانية منهم مهندسان ومدفعي وربان . ويصيب الطوربيد الهدف بكل دقة الى مسافة ١٦٠٠ قدم

هذا ويعتقد المستر مكماشن ان في استطاعة هذه النسافات التربص لاسطول البلونات الالمانية المسيرة وتدميرها

عجائب المخلوقات

غرائب النمل

نشرنا في الهلال السادس من هذه السنة قطعاً مقتطفة من كتاب سكان النجوم لحضرة العالم الفاضل الدكتور لويس الصابونجي . وقد اذن لنا حضرة المؤلف ان ننشر شيئاً آخر من كتابه النفيس الذي لم ينشر بعد فاخترنا هذه القطعة الممتعة ننشرها نموذجاً لما جاء في هذا المؤلف من الفوائد الجمة . قال الكاتب :

قد لفت هذا الحيوان الصغير نظر سليمان الحكيم قبلما يعتني علماء الطبيعة بدرس احواله الغريبة وعرف ما طبع عليه من الذكاء والفطنة والاقتصاد . ولما اتسع نطاق العلوم الطبيعية صرف العلماء افكارهم الى البحث في طبائع النمل واحواله فوجدوا اكثر من الفي نوع من النمل منها مئتان في اوربا والباقي في غيرها من قارات الكوكب الارضي

ثم وجد علماء الطبيعة ان بعضاً من انواع النمل يتحمل الجوع زماناً طويلا فمنها ما يبقى عشرة ايام بلا اكل ولا شرب ومنها ما يبقى ١٨ يوماً واقدرها على الجوع نوع يسمى « فرميكا لازيود » يعيش نحو ٦٠ يوماً بلا قوت . وبعض الانواع تعيش مدة طويلة بعد قطع رؤوسها فمنها ما يعيش عشرة ايام بلا رأس ومنها ما يبقى ١٥ يوماً حتى ان نوعاً منها يبقى ٤٥ يوماً يمشي ويتحرك بلا رأس . ثم ان الرأس المقطوع يبقى حيًّا في بعض الاحيان ويتناول القوت الذي يعطى له

نمل مهندس

في اميركا الجنوبية نمل مشهور باعماله الهندسية فانه يحفر اقبية تحت الارض يبلغ طولها ثلاثة اميال ويشتغل كل تلك المسافة في ظلام حالك . واذا قابلنا قوة هذا النمل بقوة الانسان وجدنا ان مثل هذا القبو يعادل نفقاً تحت البحر من انكلترا الى اميركا بالنسبة الى الانسان

ان النمل على صغر جسمه هو اكثر الحيوانات همة ونشاطاً فقد وجد المدققون في

احواله انه يبني اعشاشه أو مساكنه بنظام وترتيب عجيبين ويأتي اليها بكل ما يحتاج اليه لراحته . وفيها المخازن الخاصة لخزن المؤونة التي يجمعها في فصل الصيف ويعتني كل الاعتناء في بنائها حتى تحفظ القمح والشعير وغيرها من الفساد تحت الارض . ومنعاً لفسادها يقضم من الحبوب رؤوسها حتى لا تنبت تحت الارض . ويجعل هذه المخازن طبقات فوق طبقات بهندسة غريبة



وكر النمل تحت الارض

نمل حلاب

من اغرب غرائب النمل اتقانه مهنة حلب الالبان فانه يعرف ان شجر الورد يكثر فيه مدة الصيف نوع من القمل العجيب له لبن حلو عذب . فيخرج النمل اليه افواجاً وينقل ذلك القمل الى المخازن التي يهيئها له بنوع خاص على شكل زريبة البقر أو حظيرة الابل وهناك يعد له القوت الضروري فيعيش برفاهية ويكثر لبنه . ومتى شاء حلبه واغتذى بلبانه . وذلك ان النملة تمسك بمقدم رجليها احد ضرعي القملة وتحلبه حتى تستخرج كل ما فيه من اللبن . ومتى فرغت منه قبضت على الضرع الثاني وحلبته

جنازة النمل

من اغرب الجنازات على سطح الكوكب الارضي جنازة النمل . وقصة ذلك تكاد لا تصدق لو لم يروها من شاهد الامر بعينه . وهذا ما قاله : مررت يوماً بولد في الرابعة

من عمره وكان جالساً على هضبة من التراب كثيرة العشب فمررت به . وبعد ما سرت وابتعدت عنه قليلاً سمعته يبكي بصوت عال ويستغيث فظننت ان حية لدغته . فرجعت نحوه مسرعاً فرأيت كتيبة من النمل على جسمه تقرصه قرصاً اليماً فشرعت مع خادمي في قتل ذلك النمل فقتلنا نحو عشرين نملة وطرحنا جثثها على الارض حتى امن الغلام على نفسه ثم سرت في سبيلي . ولما عدت بعد ساعة ومررت بالمكان رأيت طائفة من النمل محيطة بجثث القتلى فوقفت اتأمل في امرها فرأيت خمس نملات قد افترقت عن الجماعة وسارت الى حيث كانت جثث القتلى فتبعتها فرأيتها قد دخلت الوكر ثم خرجت بعد بضع دقائق وخلفها جماعة من النمل تتبعها وهي تمشي الهوينا بخطوات منتظمة اثنتين اثنتين على التوالي الى ان ادركت الجثث . وبعد قليل تقدمت نملتان ورفعتا جثة من تلك الجثث وسارتا بها قليلاً فوقفتا . ثم اتت نملتان اخريان ورفعتا جثة اخرى ووقفتا بها الى جانب النملتين الاوليين وهكذا فعلت بقية النمل بالجثث الباقية حتى لم يبق على الارض جثة من جثث القتلى . ثم تهيأ الموكب للمسير فسار النمل على نظام ازواجاً ازواجاً كما تقدم وتبع موكب الموتى جماعة من النمل يزيد عددها على المئتين نملة ولم تكن مصفوفة بانتظام كالنمل الحامل لجثث القتلى

وكان كل زوج من الحاملة يضع الجثة بعد ما يسير بها مسافة فيأتي الزوج الذي وراءه ويحمل الجثة عوضاً عنه ثم يضع كل زوج من اولئك الازواج الجثة ايضاً وتأتي الازواج التي وراءه وتحملها وهكذا فعلت تلك الازواج بالتناوب حتى وصلوا بالجثث الى مكان بقرب البحر . وهناك اخذت فرقة من النمل تحفر قبوراً للموتى ثم وضعت كل جثة في قبر على حدته وانا اشاهد كل ذلك

نمل يزرع الجنائن

في بلاد البرازيل نمل غريب جداً من ديدنه ان يجمع تراباً ويصعد به الى أعلى ذروة من الاشجار ويشكل منه هنالك حدائق صغيرة ثم ينقل بذور بعض الازهار من بقية الحدائق ويأتي بها ويزرعها في حدائقه المعلقة على ذرى الاشجار مثل الحدائق التاريخية التي كانت سميراميس ملكة بابل قد علقتها على اعلى قصرها وسقتها بماء الدجلة المرفوع اليها بواسطة النواعير

اما حدائق النمل فيسقيها النمل نفسه بما يحمله بفمه من المياه . فسبحان الخالق !

مصائبه التي اصابته فالدموع الاربعة اذن عبارة عن ارزائه الاربعة

على انه اذا كان هذا البيت من ضمن قصيدة فمن سياق المقال يعلم حقيقة ما أصاب ذلك الشاعر حتى احزنه فابكاه . فاذا كان كذلك فما مطلع تلك القصيدة ؟

وفي الختام تفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام

الاسكندرية حسين صالح

﴿ الهلال ﴾ يحتمل ان يكون معنى الشاعر كما ذكرتم . اما القصيدة التي جاء فيها هذا البيت فمطلعها :

ما بال وتر صلاتكم لا يشفع وعلام فيكم مفردي لا يجمع

وقد قالها معتوق في مدح السيد حيدر خان عند ايابه من عند الشاه ويعتذر فيها عن تخلفه عنه في السفر . ويتعذر الاستدلال من باقي القصيدة على ما قصده الشاعر

تحية الوطن العزيز

مقدمة قصيدة طويلة نظمت على ظهر الباخرة « بلاد العرب »

بلادَ النيل يا امَّ البلادِ ويا وطناً يقدّسه فؤادي
اتيتُ اليكِ يملؤني غرامي ويغنيني الهوى ان قلَّ زادي
ويُنعشني النسيمُ نسيمِ مصرٍ تعبّقه تحياتُ الوداد
تزيد الحادثاتُ همومَ عيشي وفرطُ محبتي لكِ في ازديادِ
وبعضُ الحبّ يقتله بعادٌ وصافي الحبِ ينمو في البعاد
ابرُّ بنيكِ من شبُّوا وشابوا على ذكراكِ من عهد المهادِ
غلا الحبُّ الصحيحُ فرمتُ بخلاً ولم ارَ فيك مبدأ الاقتصادِ
وما شعرٌ اصوغ عليك جزلاً سوى إلهامِ هاتيك البوادي
وان سال الحنينُ فنثرُ دمعي كلامُ الشوقِ من خافٍ وبادِ
وقفتُ عليك تحناني وسمعي وكلَّ جوارحِ الولدِ المُفادي

لندن احمد زكي ابو شادي

تاريخ الشهر

اهم وقائع الحرب

(تابع لما في الاجزاء الماضية من الهلال)

في ٢١ مارس — القى بلونان من بلونات تسبلن المسيرة اثنتي عشرة قنبلة على باريس فلم تحدث اضراراً كبيرة . والقى طيار الماني خمس قنابل على سفينة انكليزية في البحر الشمالي فلم يصبها . واغرقت الغواصات الالمانية سفينة بقرب بيتشي هيد وأسر الروس ٢٤٠٠ من النمسويين في جبال كرباثيا واستأنف الالمان اطلاق القنابل على ريمس

في ٢٢ منه — سقطت برزميسل في يد الروس بعد حصار طويل وانتصر الفرنسويون على الالمان في ايبارج

في ٢٣ منه — انتصر الانكليز على الاتراك على ضفاف قناة السويس وبدأت معركة عظيمة في الفلاندر وتراجع الروس عن ميمل

في ٢٤ منه — القى الطيارون الانكليز قنابل على الغواصات الالمانية في انفرس وانهزم الالمان في شمالي اراس وبالقرب من بوسجور

في ٢٥ منه — اغرقت الغواصة ٣٢ الالمانية السفينة دليرا في خليج المانش ولم يفقد احد من ركابها واستأنف اسطول الحلفاء ضرب الدردنيل

في ٢٦ منه — استولى الحلفاء على قرية بقرب سان جورج في البلجيك واستولى الفرنسويون على هارتمنسفيلركف بالالزاس عنوة

في ٢٧ منه — نسفت غواصة المانية سفينة انكليزية على ساحل انكلترا الغربي واستولى الفرنسويون على ١٥٠ ياردا من خنادق الالمان في ايبارج

في ٢٨ منه — أطلق اسطول الحلفاء المدافع على الدردنيل من خليج ساروس ونسفت غواصة المانية السفينة فلابا الانكليزية في خليج سان جورج فغرق معها مئة نفس . وضرب الاسطول الروسي حصون البوسفور

في ٢٩ منه — اطلق الالمان مدافعهم على نيوبورت وقذفت طيارة المانية القنابل

على ريمس واغرقت غواصة المانية باخرتين واستمر الروس في تقدمهم في جبال كرباتيا

في ٣٠ منه — استولى الفرنسويون على خط من خنادق الالمان واخذوا مئة اسير بقرب بوا لبريتر

في ٣١ منه — صد الفرنسويون هجوم الالمان في الارجون واطلق طيارو الحلفاء قنابلهم على بروج

في اول ابريل — اغرقت الغواصات الالمانية باخرة صغيرة وثلاث سفن صيد فغرق معها تسعة اشخاص . وقذف طيارو الحلفاء القنابل على هوبوكن وزيبروج وعطلوا بعض الغواصات الالمانية

في ٢ منه — قذف الطيارون الفرنسويون القنابل على محطة السكة الحديدية في فينول من مقاطعة الواقر واجتازت العصابات البلغارية حدود سربيا

في ٣ منه — مس الطراد مجيدية العثماني لغماً روسياً في خليج اودسا . ونسف الفرنسويون بعض خنادق الالمان في دومبير

في ٤ منه — استولى الفرنسويون على قرية ربنفيل في الواقر وانتصر الروس انتصاراً عظيماً في جبال كرباتيا شمالي برتفلد

في ٥ منه — استولى الفرنسويون على ثلاثة خطوط من خنادق الالمان بقرب سان مهيال على الموز

في ٦ منه — اغرقت الغواصات الالمانيــة باخرتين انكليزيتين وتقهقر النمسويون أمام الروس في جبال كرباتيا

في ٧ منه — والى الالمان هجومهم بشدة بالقرب من سان مهيال ليسترجعوا الارض التي فقدوها فصدهم الفرنسويون . واعتقلت الباخرة المسلحة برنس ايتل فردريك في ميناء نيوبورت نيوز باميركا

في ٨ منه — حاول شقي يدعى محمــد ابراهيم خليل الاعتداء على حياة عظمة السلطان

في ٩ منه — انتصر الفرنسويون على الموقعين الاخيرين اللذين كان الالمان فيهما في ايبارج واستمر الروس منتصرين في جبال كرباتيا

في ١٠ منه — استولى الفرنسويون على خط جديد من خنادق الالمان في الموز ودحر الروس النمسويين في جبال كرباتيا ووصلوا الى مرتفعات مضيق اوجوك

في ١١ منه — التجأت الباخرة المسلحة كرونبرنس ولهلم الى مياه الولايات المتحدة

وصد النمسويون الروس عن اجتياز مضيق اوجوك وصد الفرنسويون هجوم الالمان في ابارج

في ١٢ منه — طرد الفرنسويون الالمان من بعض الخنادق التي كانوا قد استولوا عليها في معركة بوا ابريتر وتوقف الروس عن التقدم في جبال كرباتيا واوقف الالمان تسعة وثلاثين ضابطاً بريطانياً وعاملوهم معاملة انتقام بسبب معاملة الانكليز لاسرى الغواصات الالمانية

في ١٣ منه — قذف طيارو الحلفاء القنابل على معسكرات همبورج وأسر الروس الفاً من النمسويين في معركة مضيق اوجوك . وصد الفرنسويون الالمان في ابارج

في ١٤ منه — قذف بلون تسبلن قنابله على تنسيد وبليث وغيرهما من مدن انكلترا فلم يحدث ضرر وضربت السفن الفرنسوية الحربية معسكر الترك في غزة

في ١٥ منه — استمر الروس يتقدمون في جبال كرباتيا

في ١٦ منه — انتصر الفرنسويون انتصاراً باهراً شمالي اراس . وصد الروس هجمات النمسويين في بكوفينا

في ١٧ منه — اطلقت النسافات الروسية قنابل على نقالات عثمانية في البحر الاسود فاغرقتها وانتصر الانكليز على الاتراك في ما بين النهرين وقذف الطيارون الفرنسويون اربعين قنبلة على متز ونسف طراد فرنسوي السكة الحديدية في عكا

في ١٨ منه — غرقت نسافة عثمانية على سواحل البحر الايجي واطلق طراد فرنسوي قنابله على معسكر الترك بالعريش وانتصر الروس انتصاراً جديداً على النمسويين في بيكوفينا

في ١٩ منه — التحم النمسويون والايطاليون على الحدود فقتل مئة من الطرفين وتوقفت المفاوضات بين النمسا وايطاليا

في ٢٠ منه — انتصر الانكليز على الالمان في ايبر وصد الفرنسويون الالمان في ابارج

الجمعية التشريعية

صدر مرسوم سلطاني بتأجيل عقد الجمعية التشريعية من ١٥ ابريل الماضي الى اول نوفمبر القادم لان الاسباب التي دعت الى التأجيل سابقاً لا تزال باقية — على ما ورد في المرسوم السلطاني

الاعتداء الفظيع

على عظمة مولانا السلطان

يسؤنا ان نسجل على صفحات الهلال خبر اعتداء فظيع ربعت له قلوب جميع المخلصين لعرش عظمة مولانا السلطان ألا وهو محاولة شقي يدعى محمد خليل ان يغتال حياة عظمته باطلاق عيار ناري عليه حين مرور عظمته بشارع عابدين في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم الخميس الواقع في ٨ ابريل ولكن خيب الله قصده الشنيع رأفة بالعباد والبلاد فلم تصب الا العربة . وفي الحال تم القبض على الجاني واستمر عظمة مولانا السلطان في اتمام الزيارات التي كان ينويها

ومما زاد في فظاعة هذا الجرم ان المعتدي الاثيم حاول ارتكابه بينما عظمة مولانا السلطان يتفقد رعيته المخلصة ويزور دور علومها ومعاهد تربيتها وينثر على اهلها درر النصائح الغالية ويستحثهم للسير في مضمار العلوم والآداب . في مثل هذه الاحوال حاول ذلك الشاب الغر ان يعتدي على حياة مولانا السلطان

ولم يكد الخبر ينتشر في البلاد حتى هبت الامة كلها تستنكر الجناية وتعرب عن سخطها العظيم على ذلك الوغد الجاهل فتوالت رسائل البرق من الملوك والحكام ومن جميع الامصار والاقطار تهنئ عظمة مولانا السلطان لنجاته من ذلك الغدر المنكر وجادت قرائح الشعراء بما تكنه افئدتهم من عواطف الولاء والاخلاص . وقد رأينا ان نثبت هنا ثلاث قصائد لثلاثة من كبار شعراء مصر للتعبير عن عواطف الامة قاطبة . وها كها :

سلم الحسين

يا راميا من تحت اجنحة العناية من تطل
والله فوق الظالمين وفوق ظلمهم يطل
ماذا صنعت ودون ما حاولت اسياف تسل
وكواكب الجوزاء وهي الـ ـعقد في نسق تحل
لله درع كل سيف دون منعتها يفل
سلم الحسين وطاش سهم راشه حمق وجهل

قل للذي يرمي البدو ر توقَّ لا يرشقك نصل
ما العيث في ظل الالـ ـه كما يرى الجهال سهل

اسماعيل صبري

* * *

الى السلامة عيد

بشرى لنا ان السلامة عيد عيد كبير بالهناء سعيد
تبت يد المفتون حين امالها صوب الحسين وتب منه الجيد
واذا اراد الله خيراً بامرىء فالنار تخبو والسهام تحيد
الله يعلم انك المقصود له بلد الامين وانك المعدود
ان لم تق الجند الاسود فوارساً شوساً قساورة وقاك الجود
وقاك المكارم كلهن معاقل وقاك الملائك والقلوب جنود
لا زلت ترفل في نعيم دائم تبلي السنين على المدى وتعيد

ابراهيم رمزي

* * *

ملك يزيد مع الزمان نضارة

ملك زها بك ارضه وسماؤهُ قد شاء ربك ان يدوم هناؤهُ
رجو على يديك السعادة دهره والله يأبى ان يخيب رجاؤه
مولاي من كان الاله حفيظه ماذا يحاول عنده اعداؤه
ارماك مشلول اليمين فلم يصب واصاب ذات فؤاده ارماؤه
قد كاد يبكي عين مصر تحسراً واليوم رن باذن مصر بكاؤه
قد هز شعبك للوداد والوفا حتى تلألأ وده ووفاؤه
فسعى اليك كبيره وصغيره كل يسابقه اليك دعاؤه
دم يا حسين يدم للملك مجده واسلم له يسلم كذاك سناؤه
وابن البناء كما وضعت اساسه فكما تشاء اساسه وبناؤه
ملك يزيد مع الزمان نضارة يهدي ابوه ويهتدي ابناؤه
الله اولاك المكارم كلها هذا ثنائي صادقاً وثناؤه

ولي الدين يكن

هذا وفي العشرين من الشهر الماضي عقد مجلس عسكري لمحاكمة الجاني محمد خليل برئاسة البرجادير جنرال فريت وكان المجلس يتألف من اللفتننت كولونل الوورد رتشديل والماجور بكانن والماجور كرونشو والماجور نيط والمستر بريتون (مستشار المجلس العسكري) وعين للجاني حضرة المحامي المستر بروت الانكليزي . وبعد محاكمة علنية استمرت يومين وسارت على أقوم طرق العدل والانصاف حكم على الجاني بالموت شنقاً ونفذ فيه الحكم في الساعة الثامنة من صباح ٢٤ ابريل الماضي

حفلة المدفع ٧٥

المدفع ٧٥ الفرنساوي هو الذي يقول الفرنساويون انه قهر اعداءهم وصان بلادهم واكبر امامهم بالفوز والنصر وقد اقاموا له في فرنسا كلها حفلات كبيرة جعلوا دخلها للجنود الذين يقاتلون في ميدان النار وفي ٢٥ ابريل الماضي اقامت الجالية الفرنسوية حفلة في القاهرة في ميدان الالعاب الرياضية في بولاق فنصبوا في ذلك الميدان خياماً تسع ٢٠٠٠ مدعو وزينوا المكان ووقفت موسيقى الجيش البريطاني وموسيقى مدرسة الفرير في طرف الميدان للعزف بالانغام ووقف البوليس لضبط النظام . وعند الساعة الرابعة أقبل الناس افواجاً حتى امتلأ بهم المكان يتقدمهم صاحب الدولة رئيس الوزراء ووزير المعارف والجنرال مكسويل والمسيو ديفرانس والسير جراهام مستشار الداخلية وجمهور من العظماء والكبراء والاعيان فعزفت الموسيقات واخذت العساكر الاوسترالية بالالعاب الرياضية التي سر بها الحاضرون كثيراً وعزفت الموسيقات وابدى الكشافة الفرنساويون والكشافة اليونان من خفة الالعاب والبراعة ما اعجب به الحاضرون وطافت الاوانس على الحاضرين تبيعهم شارة صغيرة من الحديد عليها صورة المدفع ٧٥ فاقبل الجميع على مشتراها وظلوا على مشاهدة الالعاب حتى الساعة السابعة

دعاوي الالمان والنمسويين في القطر المصري

نشر جناب اللفتننت جنرال السر جون مكسويل قائد الجيوش البريطانية العام في القطر المصري منشوراً بخصوص دعاوي الالمان والنمسويين في القطر المصري وخلاصته ان جميع الدعاوي المدنية التي كانت داخلة في دائرة محاكم القنصليات الالمانية والنمسوية المجرية في القطر المصري يُفصل فيها في المحاكم الخاصة التي انشئت لهذا الغرض تحت سلطة القائد العام

بسمارك وخلفاؤه

واصول السياسة الرشيدة

في اول ابريل الماضي احتفلت الامة الالمانية بمرور مئة عام على ولادة بسمارك . ومن غرائب الاتفاق ان هذا الاحتفال وقع في ابان حرب طاحنة تهدد كيان الامبراطورية التي اسسها ذلك الرجل العظيم . واول ما يتبادر الى الذهن في هذا المقام المقابلة بين اعمال بسمارك ومن خلفه من رجال السياسة في ادارة شؤون الدولة الالمانية : دخلت المانيا على يد بسمارك في ثلاثة حروب (الاولى مع الدنمارك والثانية مع النمسا والثالثة مع فرنسا) وانتصرت فيها جميعها مع المحافظة على ولاء سائر الدول الاوربية . اما اليوم فان المانيا واقفة ازاء محالفة قوية مؤلفة من اعظم دول اوربا فضلاً عن كونها قد جلبت عليها سخط معظم الدول المحايدة

فما الذي طرأ على المانيا حتى جعلها في هذا المركز الحرج ؟ السبب في ذلك يرجع الى ان المانيا قد استعاضت عن رجال السياسة برجال الحرب في قيادة زمام شؤونها الدولية . ففي ايام بسمارك كانت سلطة رجال الحرب لا تظهر الا في وقت الحرب . اما بعده فاصبح الحل والعقد بايديهم في السلم وفي الحرب على السواء

والفرق بين الفريقين هو ان القائد العسكري على الاجمال قصير النظر في المسائل السياسية ولا ينظر الى الحوادث الدوليـة الا من حيث الخطط الحربية . فقد تلجئه الضرورة الحربية الى اتخاذ مناهج بعيدة عن اصول السياسة الرشيدة للاستفادة مثلاً من السرعة في العمل قبل تأهب العدو (كما حصل في بدء هذه الحرب) . اما السياسي فان نظره يتجاوز الخطط الحربية الى البحث في موقف الدول المحايدة والسعي في استمالتها والتأثير في الرأي العام وغير ذلك من العوامل المعنوية التي لا تدركها الروح العسكرية

اصول السياسة الرشيدة

كان من مبادىء بسمارك السياسية انه يجوز للدولة ان تشهر حرباً للدفاع عن مصالحها الحيوية او لتحقيق امانيها الوطنية ولكن لا يجوز لها ان تشهر حرباً لمجرد طلب النفوذ والسيطرة . وقد جاء في مذكرات بسمارك ان اسكندر الثاني امبراطور روسيا اقترح على بروسيا سنة ١٨٦٣ ان تحدمعها على النمسا فرفض بسمارك هذا الطلب عملاً بمبدأه المتقدم . قال : انا لو شهرنا تلك الحرب على النمسا لكنا نسعى لمجرد الفتح والنفوذ

وقد كرر هذه النغمة في جميع خطبه وكتاباته فكان يميز دائماً بين السياسة التي تدور حول المصالح الوطنية الحيوية والسياسة التي تسعى وراء النفوذ والسيطرة

ولا يكفي ان تكون المصالح الحيوية مهددة لتشهر الحرب بل يجب ان يُحسب حساب التحالف والحياد . فواجب السياسي عند اشتداد الازمة يقضي عليه من جهة ان يضمن متانة المعاهدات التي تربط حكومته بحلفائها ومن الجهة الاخرى ان يسعى لفصل اعدائه بعضهم عن بعض والغاء المعاهدات التي تربطهم . ثم عليه ان يستميل الامم المحايدة الى جهته ويكتسب ثقتها ومساعدتها الادبية ان لم يكن الفعلية



بسمارك في اواخر ايامه

ومن اهم واجبات رجل السياسة ان يسعى لتظهر دولته في مظهر المدافع عن كيانه لا مظهر المهاجم المعتدي حتى تلقى تبعة الحرب في نظر الرأي العام على خصومه

وقد تجبر الدولة على شهر الحرب اولاً ويكون الحق في جانبها . الا انه في مثل هذه الحال يجب ان تبرئ عملها امام محكمة الرأي العام التي تنتظر من المعتدي ان يقدم لها البواعث التي حملته على تعديه . وافضل داع شرعي لشهر الحرب هو خرق الاتفاقات والمعاهدات . فان الدولة التي تشهر حرباً بسبب ان الدولة الاخرى لم تحترم المعاهدات التي عقدتها معها تبرأ امام الرأي العام بل يعد عملها شريفاً

ولا يخفى ان لمن يتخذ موقف المدافع مزيّة كبيرة على خصمه فقد قال بسمارك نفسه

ان الجيش الذي يهاجم بلاداً غير بلاده لا يكون فيه حماس الجيش الذي يدافع عن كيان وطنه فضلاً عن كون الدول المحايدة تتخذ عادة جانب الدولة المهجوم عليها الا اذا ظهر جلياً انها مسؤولة عن الحرب لسوء تصرفها

ان معظم المعاهدات التي بين الدول المتمدنة في هذا العصر دفاعية فقط اي انها لا تكون نافذة اذا كان احد الفريقين المتعاقدين مهاجماً او متعدياً على غيره . فالواجب الاولي اذن لكل رجل سياسي يقضي عليه ان يتحاشى ظهور دولته مظهر الدولة المهاجمة ليضمن حلفاءه من جهة وليستميل الرأي العام من الجهة الاخرى



تمثال بسمارك في همبورج

وقد لخص ذلك بسمارك في قوله المأثور « اذا كنا المهاجمين فان جميع العوامل والقوى المعنوية التي يزيد وزنها بكثير على العوامل والقوى المحسوسة تصبح في جانب خصمنا »

ولا يجب ان يبرح من الذهن ان حكم الرأي العام انما يكون مبنياً على المفاوضات المدونة والوقائع الراهنة ولا يقتنع بالتهم التي يتعذر دعمها بالبراهين . ولا شك انه قد تكون في زوايا السياسة بواعث واسباب كامنة يجهلها الرأي العام وربما يبينها التاريخ في ما بعد . لكن السياسي الحكيم انما يهمه التأثير مباشرة في الرأي العام عند وقوع الحوادث

حروب بسمارك

كان موقف المانيا في كل من الحروب الثلاثة التي دخلتها في ايام بسمارك افضل من موقف خصمها . فان ذلك الداهية لم يعرض قط دولته لمخالفة من الدول الاخرى تفوقها قوة . ففي حرب الدانمارك (سنة ١٨٦٤) كانت النمسا تساعد المانيا حالة ان جميع الدول الاخرى بقيت على الحياد . وفي حرب النمسا (سنة ١٨٦٦) حازت المانيا مساعدة ايطاليا مع انه لم يكن في جانب النمسا سوى الممالك الجرمانية الصغيرة فكانت كفة المانيا الراجحة . وفي حرب السبعين كانت الدول الجرمانية الصغيرة كلها في جانب روسيا وكانت روسيا قد وعدت المانيا ان تمنع النمسا من مساعدة فرنسا



البرنس فون بولوف المستشار الالماني السابق

وفي كل من هذه الحروب الثلاثة ظهرت المانيا امام الدول المحايدة مظهر المدافع عن شرفه وكيانه لا مظهر المهاجم المعتدي فكان الرأي العام على الغالب في جانبها . فحرب الدانمارك كان سببها ان هذه الدولة خرقت معاهدة كانت قد عقدتها مع روسيا والنمسا في سنة ١٨٥٢ تعهدت فيها ان لا تسعى في ضم سكان مقاطعة شلسويج الالمان اليها

اما حرب سنة ١٨٦٦ مع النمسا فسببها ان النمسا نقضت معاهدة جاستين التي كانت قد عقدتها مع بروسيا في سنة ١٨٦٥ . نعم ان النمسا اتهمت بروسيا بنقض هذه المعاهدة ايضاً ولكن النمسا كانت البادئة في النقض فضلا عن انها اتت اول عمل عدائي ادّى الى

الحرب . ولا ريب عند المؤرخين اليوم ان المانيا كانت تسعى سعياً خفياً لتجبر النمسا على شهر الحرب ولكنها في الظاهر كانت بريئة ولم تدخل الحرب الا مرغمة فاكتسبت ميل الرأي العام

وحصل مثل ذلك في حرب سنة ١٨٧٠ فان الباعث عليها كان الخلاف بشأن تولية امير الماني من عائلة هوهنزلرن على عرش اسبانيا . فبعد ان سحبت المانيا مرشحها طلبت منها فرنسا ضمانة للمستقبل حتى لا يتكرر مثل هذا الحادث فما كان من بسمارك الا ان نشر طلب فرنسا الذي عدّ اهانة لالمانيا مع رفض الملك وليم له فاحرج بذلك موقف فرنسا التي اصبحت لا تقدر ان تسحب مطالبها بعد ان نشرت على صفحات الجرائد حفظاً لكرامتها فالتزمت ان تشهر الحرب على المانيا فظهرت المانيا امام العالم مظهر المدافع عن شرفه

ويحسن بنا ان نورد هنا شيئاً عن موقف انكلترا في هذه الحروب . فان بسمارك لم يسعَ قط لان يضمن حياد انكلترا باتفاق رسمي وانما كان كل اتكاله على المظهر الذي كان يظهر فيه امام الرأي العام الانكليزي والمهارة التي كان يبديها في الوقوف موقف المدافع عن شرفه وحقوقه . في حرب سنة ١٨٦٤ كانت انكلترا تميل الى الدانمارك لان ليس من مصلحتها ان ينتقل جزء من شواطىء البحر الشمالي من يد دولة صغيرة الى يد دولة كبيرة كالمانيا في ذلك من الخطر على سلطتها البحرية الا انها لم تقدر ان تجد لها حليفة في اوربا ضد المانيا التي كانت تساعدها النمسا فالتزمت ان تبقى على الحياد . اما في سنة ١٨٦٦ اي في الحرب البروسية النمسوية فان المصالح الانكليزية لم تكن مهددة من احدى الجهتين ولما كانت ايتاليا بجانب بروسيا فكان ميل انكلترا من جهتها ايضاً لما بين ايتاليا وانكلترا من الصداقة القديمة . وفي سنة ١٨٧٠ ايضاً لم يكن للمصالح الانكليزية دخل في الحرب فضلاً عن ان بسمارك تعهد رسمياً بالمحافظة على حياد البلجيك ثم نشر عقب ذلك صورة اتفاق عرضته عليه الحكومة الفرنسوية يقضي بان تضم البلجيك لفرنسا وطلب الى سفراء الدول في برلين ان يحققوا ذلك بمعاينة صورة الاتفاق المكتوب بخط سفير فرنسا . فاستمال بذلك الرأي العام الانكليزي

وبعد سنة ١٨٧١ كان همّ بسمارك الوحيد ان يمنع اتحاد الدول الاوربية على المانيا وقد نجح في ذلك نجاحاً تاماً . ففي سنة ١٨٩٠ يوم استعفى من وظيفته لخلاف وقع بينه وبين الامبراطور غليوم الثاني كانت الحالة الدولية في مصلحة المانيا اذ كانت المحالفة الثلاثية (بين ايتاليا والنمسا والمانيا) متينة فضلا عن انه كان بين المانيا وروسيا

شبه تحالف يقضي بان تحافظ كل منهما على حياد حتى اذا دخلت الاخرى في حرب مع دولة ثالثة . وقد كانت نتيجة هذه الاتفاقات ان فرنسا بقيت في عزلة من الدول الاخرى حالة ان موقف المانيا كان ممتازاً واصبح لها القول الفصل في شؤون السياسة الاوربية

ومن حسن حظ المانيا انه لم يكن لها مصالح تذكر في البلقان . ومن اقوال بسمارك المأثورة « ان البلقان لا تستأهل ان يضحى في سبيلها بعسكري بروسي واحد » فكانت المانيا بفضل اتفاقها مع النمسا وروسيا شبه حكم في كل خلاف كان يقع بينهما بسبب تنافر مصالحهما في شبه جزيرة البلقان . وقد وفق بينهما بسمارك بتعيين مناطق نفوذ لكل منهما فخصص النمسا بالقسم الغربي من البلقان وخصص روسيا بالقسم الشرقي منها . وظلت السياسة الالمانية بعد هذا الاتفاق موجهة عنايتها للتوفيق بين روسيا والنمسا والمحافظة على السلم الاوربي . يدلك على ذلك خطاب القاه بسمارك في مجلس الريشستاغ على اثر سخط الرأي العام الالماني على روسيا بسبب معاملتها لبلغاريا قال فيه « لاشك ان بلغاريا كلها لاتستحق ان تنشب في سبيلها حرب طاحنة تمتد من موسكو الى جبال البيرنيه ومن البلطيق الى البحر المتوسط ولا يعلم نتيجتها الا الله »

لو ابدلت كلمة بلغاريا بكلمة الصرب لصح ان يقال هذا الكلام عند اشتداد الازمة الاوربية في اواخر شهر يوليه سنة ١٩١٤

وعلى الاجمال فان سياسة بسمارك كانت تدور كلها حول المحافظة على صداقة روسيا وقد جاء في مذكراته التي هي بمثابة وصايه للشعب الالماني « لا امل لنا بصلح دائم مع فرنسا اما روسيا فاننا لن نحتاج ابداً الى معاداتها الا اذا وقعنا في هفوة او زلة »

وكان بسمارك يتحاشى اغضاب انكلترا او اثارة خواطرها وقد كانت سياسته معها ملخصة بقوله : « يجب ان نسعى لنيل فوائد اكيدة بدون مخاطرة كبيرة ولا سيما بدون ان نثير غضب دول بحرية اقدم واقوى منا »

خلفاء بسمارك

شبه بسمارك الدولة الالمانية برجل عصامي أثرى سريعاً بجده اجتهاده وقال « واما انكلترا فانها اشبه برجل عريق في الجاه والثروة » ولا يخفى ان الاثراء السريع يضر الافراد كما يضر الامم . فان الانتقال الفجائي من الفقر الى الثروة يولد كبرياء ووقاحة . وتمتاز سياسة بسمارك بانه كان يتحاشى ظهور المانيا بين الدول الاخرى مظهر العجب والانفة بل كانت تظهر دائماً كما لو كانت عريقة في الثروة والجاه

اما بعد بسمارك فلم يتغير مجرى السياسة الالمانية على الاجمال (الا من جهة علاقتها

مع روسيا كما سيجيء) . ولكن وان لم يختلف مجراها الاجمالي فقد اختلفت لهجتها وفقدت المزية التي امتازت بها سياسة بسمارك من حيث تحاشي الظهور مظهر دولة حديثة النعمة والثروة . ولا تزال خطب الامبراطور غليوم تتردد في اذان كل من تتبع مجرى السياسة الاوروبية فقد نهجت المانيا في ربع القرن الاخير على الخصوص سياسة التهديد والشموخ و « اليد الحديدية » . ثم ان بسمارك كان دائماً يقول بوجوب الحاق السياسة الاستعمارية للمصالح التجارية وقوله في هذا المعنى يستحق الذكر وهو : « على العلم الالماني ان يلحق التجارة الالمانية لا ان يتقدمها » اي ان المانيا لا يجب ان تتعرض



المسيو فون بتمن هولويج المستشار الحالي

للشؤون السياسية الخارجية حيث ليس لها مصالح تجارية هامة . اما خلفاؤه فقد اتبعوا سياسة السيطرة العالمية التي تقضي بان يكون لالمانيا القول الفصل في جميع المسائل السياسية سواء كان لها فيها مصالح أولم يكن لها

قلنا ان النقطة الوحيدة التي تغيرت فيها السياسة الالمانية تغيراً محسوساً هي روسيا . ففي سنة ١٨٩٠ انتهى اجل المعاهدة التي كانت تربط المانيا بروسيا فلم تشأ المانيا تجديدها خلافاً لرأي بسمارك الذي كان يوجس شراً من ذلك . وظلت الدولتان منذ ذلك الحين تبتعدان الواحدة عن الاخرى رغم انذار بسمارك الملخص في مذكراته بقوله « لما توقن حكومة فينا ان ليس بيننا وبين روسيا رابط فانها تصبح تطلب منا ان ندعم جميع

مطالبها السياسية لا سيما في البلاد البلقانية فتكون سياستنا تابعة للسياسة النمسوية بدلاً من ان نكون حكماً بينها وبين روسيا »

وفضلاً عن ان المانيا اصبحت تدعم جميع المطالب النمساوية في البلقان فانها سعت لنشر نفوذها في البلاد العثمانية فتعدت بذلك على منطقة النفوذ الروسي المتفق عليها فآل ذلك الى تجاوز روسيا حدود منطقتها ودخولها في شؤون القسم الغربي من شبه جزيرة البلقان . ومن ثم نشأت المنافسة بين روسيا والنمسا في بلاد الصرب وما الحرب الحاضرة الا اقصى ظواهرها



المسيو فون ياكوف وزير خارجية المانيا

ثم انه يجب ان لا يبرح من ذهننا ان تلك السياسة النمسوية الالمانية التي كان يقصد بها السيطرة على البلقان ادت الى تحاك مصالح ايتاليا مع مصالح النمسا حتى انتهت الحال الى منافسة شديدة بين النمسا وايتاليا رغم المساعي الرسمية في اخفائها . وكان انفصال مصالح ايتاليا عن مصالح حليفتيها تمهيداً للانفصال السياسي

السياسة الالمانية عند نشوب الحرب الحاضرة

شتان بين حالة المانيا اليوم وحالتها يوم استعفى بسمارك سنة ١٨٩٠ فالمانيا اليوم واقفة مع حليفتها النمسا ازاء محالفة قوية تفوقهما في قواها البرية والبحرية وموارد المال والرجال فضلاً عن ان الرأي العام في الدول المحايدة ضدها وينتظر دخول بعضها المعمعة في

وبعبارة اخرى فان موقف الحكومتين الالمانية والنمسوية اليوم يشبه الموقف الحرج الذي كان بسمارك يضع فيه اعداءه في جميع الحروب التي دخلتها المانيا في عهده. ولا عبرة باتهام المانيا اعداءها بانهم كانوا ينوون الايقاع بها فسبقتهم هي الى شهر الحرب في الظروف الملائمة لها بدلا من انتظار الظروف الملائمة لهم. وافضل رد على هذه الحجة قول بسمارك « مثل الذي يشهر حرباً خوفاً من الوقوع في حرب يرغم عليها كمثل الذي ينتحر فراراً من الموت المتوقع »

السبب في ذلك يرجع كما قلنا في اول هذه المقالة الى انتقال زمام الدولة من ايدي رجل السياسة الى ايدي رجل الحرب الامر الذي كان يتحاشاه بسمارك بكل قواه: ان الفرق الاساسي بين العسكرية والسياسة هي ان الاولى لا تعبأ الا بالمحسوسات اما الثانية فانها تحسب للمعنويات حساباً لا يقل عن حساب المحسوسات

جانب الحلفاء. ويؤثر عن امبراطور المانيا انه قال « كلما زاد اعداؤنا زاد فخرنا » فاذا صح ذلك في نظر الجندي فانه لا يصح في نظر السياسي اذ يدل على ضعف وسوء تصرف. زد على ذلك انه يستنتج من المفاوضات السياسية بين الدول الكبرى ان تبعة الحرب تلقى على الحكومة الالمانية. وهي تدل من الجهة الاخرى على مساعي انكلترا وحليفاتها لحفظ السلم العام. فلا عجب اذا كان الرأي العام في جانب الحلفاء

أجور الجواسيس

تدفع الحكومات الاوربية أجوراً عالية لجواسيسها وقد تنفق احياناً مبالغ طائلة للحصول على بعض الاخبار المهمة. وعلى الاجمال فأجرة الجاسوس لا تقل عن ٥٠٠ جنيه في السنة وبعض الدول تكافىء جواسيسها مكافآت حسنة اذا حصلوا على اخبار ذات شأن فالجاسوس الالماني اذا وقف على خبر مهم يعطى جائزة تتراوح بين الخمسمئة والالف جنيه. وتقدر نفقات الحكومة الالمانية للتجسس بنحو ٨٠٠٠٠ جنيه في السنة. وتقرب نفقات روسيا من هذا المبلغ. اما فرنسا فانها تنفق ٦٠٠٠٠ جنيه سنوياً والنمسا ٤٠٠٠٠

***

تحذر الحكومة الالمانية ان يركب الجنود الجرحى مع سائر المسافرين لئلا تنتقل اخبار الحرب الى الناس من غير المصادر الرسمية

***

اذنت الحكومة للنساء الانكليزيات ان يجهزن مستشفى كاملاً تحت ادارتهن ومنهن الطبيبات والممرضات والخادمات

ادهش الاكتشافات العلمية

الانسان سيعيش قريباً الوفاً من السنين !!

للعلم ادوار يتدرج بها في مراتب الكمال تبعاً لناموس النشؤ والارتقاء . ومن حسن حظ العلماء ان الاكتشافات الجديدة في كل عصر من العصور تقضي بتقبيح الآراء العلمية السائدة او تغييرها . ولقد كانت أوائل القرن العشرين اسعد عصر مرت به العلوم والفنون فان الاكتشافات والاختراعات الحديثة قد زعزعت اساسات العلوم القديمة

الدكتور جورج كابتز
الذي تمكن من اطالة عمر
بعض النباتات



الدكتور شيروتاشيرو الياباني مخترع آلة قياس الحياة

وجرفت ماكان قد تجمع من آراء العلماء منذ اقدم العصور الخالية حتى هذا اليوم . فالاختراعات والاكتشافات الحديثة اذاً هي المعاول التي يحاول بها العلماء ان يقوضوا اركان العلم القديم ويدكوا اسس الفلسفة الغابرة

ولا ادل على صحة هذا القول من نجاح العلماء في تخليد حياة النبات بوسائل يسعون اليوم لتطبيقها على حياة الانسان املاً بالوصول الى الخلود . وقد عرفوا الان ماهية الكهربائية . وتمكنوا من اعمال النباتات واخضاعها لاوامر معينة . واكتشفوا ان الرصاص

يتحول على الارجح بمرور الاحقاب الى ذهب . وهكذا بدأوا يميطون النقاب عن كثير من اسرار الكائنات التي تكتنفها ظلمة دامسة

في عالم النبات

خذ النبات مثلاً . فان من مبادئ هذا العلم المقررة منذ عصر ارسطو ان لكل نبات مدة لا يتجاوزها من الحياة اي انه يتأصل وينمو ويفرخ ويزهر في مدة معروفة ثم يتداركه الموت . على ان الدكتور جورج كليز احد اساتذة جامعة هال بالمانيا قد قوض اساسات هذا المبدإ باكتشافاته ومباحثه الغريبة . فقد قضى السنين الطوال يدرس طباع

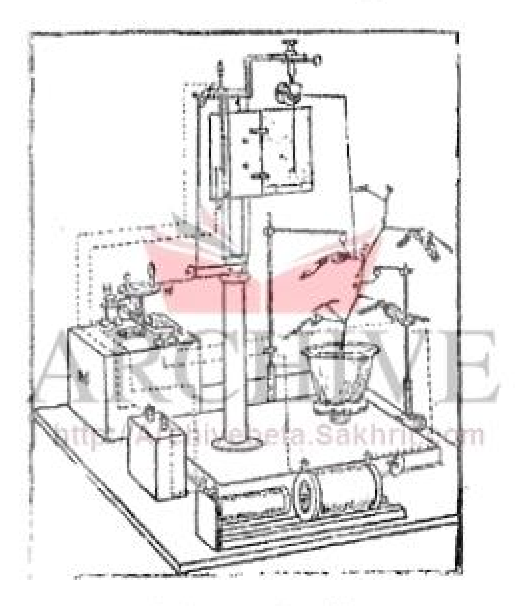


الدكتور بوز الهندي الذي درس طباع النبات درساً دقيقاً

النباتات ونظاماتها حتى تمكن من التلاعب باعمارها كما يشاء . وليس ذلك فقط بل هو يتلاعب بالاطوار التي تجتازها ايضاً اي طور التأصل وطور النمو وطور التفريخ وطور الازهار وهلم جرا . ومن اغرب ما اتاه من هذا القبيل انه اخذ نوعاً من انواع النباتات العفنة يسمى « سابرولنيا مكستا » (Saprolegnia Mixta) وهو ينمو على جثث الذباب المائتة ولا يعيش اكثر من اسبوعين . ثم عالجه حتى عاش ست سنوات ! وهذا العمل من الغرابة بمكان فهو بمثابة اطالة حياة الانسان الى عشرة آلاف وتسع مئة وعشرين سنة !

وليس ذلك فقط بل ان الدكتور كليز اخذ هذا النبات وهو في طور الهرم والذبول فعالجه بطريقة ارجعت اليه القوة الاولى فكأنه اخذ شيخاً هرماً قد بدأ جسمه بالانحلال ثم عالجه باكسير حياة اعاده الى طور الشباب

ومن رأي هذا العالم انه اذا توافرت شروط الغذاء والحرارة والرطوبة والنور فان الخلائق الحية تعيش الى ما شاء الله ولكنها لا تتوالد . فاذا طرأ على هذه الشروط شيء من الخلل كان ذلك بمثابة انذار للطبيعة فتتخذ الوسائل اللازمة لحفظ النوع المشرف على الانقراض وذلك اما بطريقة التوالد الذاتي (أي بدون لقاح) أو التوالد الجنسي (بواسطة اللقاح) . ثم ان الاطوار المختلفة التي تتألف منها حياة النبات تتعاقب بالترتيب لان الشروط التي تكيف تلك الاطوار انما هي متعلقة على الفصول المختلفة وملازمة لها في تتابعها . وقد اثبت الدكتور كايز هذه الحقيقة بتجارب عديدة



آلة لقياس شعور النبات

بين النبات والحيوان

ولقد مر على العلماء زمان طويل حاولوا ان يصلوا فيه الى طريقة للتمييز بين النباتات والحيوانات فلم يستطيعوا . وقد ظهر اليوم الدكتور جاكاديز بوز الهندي احد اساتذة جامعة كلكتا واثبت ان النبات يعمل كالحيوان من عدة اوجه . ففي كل نبات مقدار من الكهربائية المعروفة « بالكامنة » فاذا أصيب جزء منه بعطل سرت اليه الكهربائية محاولة اعادته الى حالته الاولى . ومن الغريب ان الدكتور بوز قد تمكن من قياس هذه الكهربائية بعدة طرق فانتهى بذلك الى نتائج مدهشة

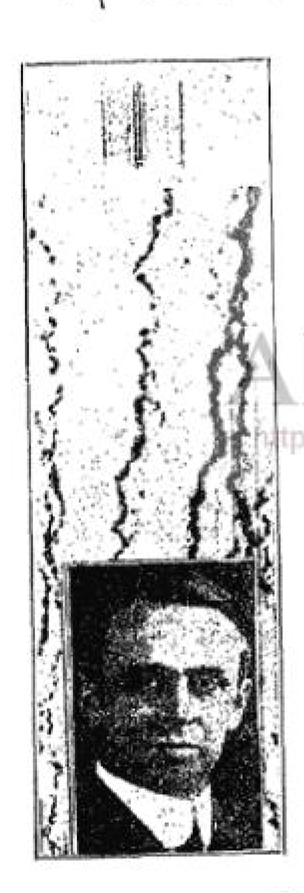
من ذلك انه اثبت أن النباتات تنام نوماً قانونياً وانها عرضة للسكر (أي انها تثمل

بالـكحول) ويمكن ان تراض كما يراض الحيوان وان تخضع لاوامر معينة . وقد يتفق ان بعض النباتات تكون ضعيفة بحيث يكون خضوعها بطيئاً في هذه الحالة قد تمكن الدكتور بوز من تدريبها حتى اصبحت اسرع تلبية لما يطلب منها . واغرب من ذلك ان بعضها قد يكون « عنيداً » وفي هذه الحالة يحسن قرعه قليلاً بعصاً صغيرة ليعود الى حالة الخضوع الطبيعية

ولا يزال العلماء يعلقون امالاً عظيمة على هذه الاكتشافات الغريبة ويتوقعون اماطة اللثام عن اسرار عظيمة ليتمكنوا من تعليل امور كثيرة لا تزال مجهولة في علم النبات

علم الطبيعيات

كان علماء الطبيعة في اواخر القرن الفائت يعتقدون انهم قد بلغوا الغاية القصوى من ادراك كنه النور والصوت والحرارة والكهرباء فلم يبق شيء جديد تصبو النفس الى معرفته . وبينما هم كذلك اذا باشعة رنتجن قد ظهرت الى الوجود فبددت جميع نظرياتهم السالفة في النور والمادة وقلبت معارفهم رأساً على عقب فاصبحوا حيارى لا يعلمون ماذا يقولون ولم تقف دهشتهم عند هذا الحد فقط بل جاءهم على أثر ذلك العلامة السر جوزف طمسون فنشر اراءه التي زعزعت آراء العلماء السابقين واماطت اللثام عن اسرار جديدة . ذلك انه اكتشف العنصر الاول الذي نشأت منه المادة . فقد كان علماء الطبيعة والكيمياء يعتقدون ان المادة تتألف من دقائق تسمى الجواهر الفردة ولا يمكن تجزئتها او تحليلها الى ما هو ابسط منها ولكن السر جوزف طمسون اثبت ان هذه الدقائق مركبة من امزجة مختلفة من ذرات كهربائية تسمى « الكترون » وهي بالنسبة الى الجوهر الفرد كالجوهر الفرد الى حبة الرمل واثبت ايضاً ان هذه الالكترونات



الدكتور مايسكان الذي تمكن من درس الالكترون . والخطوط الاربعة تمثل سير الالكترون في نقطة زيت

أو الدقائق الكهربائية هي قائمة بحركة مستديمة لا يستطيع العقل ان يدرك سرعتها وليست سرعة النور شيئاً يذكر بجانبها . اما العناصر الكيمية كالاوكسجين والهيدروجين وغيرها

فجميعها من عنصر واحد وتنوعها راجع الى اختلاف عدد الالكترونات في الجوهر الفرد وكيفية تركيبها

ثم جاء كوري ومدام كوري فادهشا العلماء باكتشاف عنصر جديد توصلا اليه وهو عنصر الراديوم الذي زعزع به رأي العلماء في امكان تجزئة الجوهر الفرد اذ اثبتت ان الجواهر الفردة التي تتألف منها بعض العناصر الكيمية (ان لم نقل كلها) تتدرفتتناثر عنها بعض الالكترونات ويصبح الباقي جوهراً فرداً لعنصر كيمي جديد . وبناء عليه يعتقد الكثيرون من العلماء ان الرصاص يتحول بمرور الزمن الى ذهب

ثم جاء الدكتور مليكان احد اساتذة جامعة شيكاغو الاميركية فقام بتجارب عديدة تمكن بواسطتها من اماطة اللثام عن ماهية الالكترونة حتى كشفها للعين البشرية المجردة فكان عمله هذا قضاء مبرماً على كثير من النظريات العلمية القديمة وقد كشف بواسطته الحجاب عن كثير من الاسرار التي كانت تحير العلماء

وعقب ذلك اكتشافات عديدة وظهور نظريات علمية جديدة حتى أصبح العلماء والفلاسفة في حيرة لا يعلمون الى اين تنتهي بهم الحال . وكان من نتيجة هذه النهضة الفكرية ان فريقاً من اكابر العلماء اخذوا يسعون لحل كثير من المشاكل العلمية وفي مقدمتها اشعة رنتجن . وكان اهم القائمين بهذه المباحث الاستاذ لاو من جامعة مونخ والاستاذ براج من جامعتي ليدز وكمفورد ، والاستاذان موزلي ودارون من جامعة منشستر والاستاذ بركلاس من جامعة ليفربول وكان كل منهم يعمل على حدة ويطلع زملاءه على نتيجة مباحثه . وبعد عناء كبير رأوا ان قوة اشعة رنتجن السرية عبارة عن تموجات اثيرية غير محدودة في صغرها وسرعتها . وقد افضى بهم هذا الحل الى ادراك كنه الكهربائية فرأوا انها عبارة عن تتابع ملايين من الالكترونات في سلك أو أي موصل آخر من الموصلات الكهربائية

ويزعم بعض العلماء اليوم ان ما قد وصلوا اليه من الاكتشافات والنظريات سيمكنهم في المستقبل القريب من تعليل نشوء الكائنات ومتى فعلوا ذلك قلبوا علم الكيمياء رأساً على عقب وأعلنوا للعالم حقيقة العناصر التي هي مدار بحث الكيمياء وكيفية تأثير بعضها في البعض الاخر وربما تمكنوا من تحويل عنصر الى عنصر آخر وتوصلوا الى حل كثير من الالغاز والمشاكل التي يسعى الى حلها علماء الفلك والطبيعيات

ولعل أعظم أمانيهم اليوم هي ان يتوصلوا الى نظام علمي يربط الطب والبيولوجيا (علم الحياة) والكيمياء والطبيعيات والجيولوجيا (علم طبقات الارض) وعلم الظواهر

الجوية وعلم الهيئة (الفلك) بعلم واحد منتظم الحلقات . واذا ظلت الاكتشافات العلمية تتوالى بالسرعة التي توالت بها في أوائل القرن العشرين فلا تمر بضعة عقود من السنين حتى يتم ما يتمناه العلماء

وما عسانا أن نقول عن العلوم الاخرى ؟

ان مباحث كاريل وفلكسنر وارلخ وباستور وكثيرين غيرهم من الاطباء قد جرت بعلم الطب شوطاً بعيداً حتى صرنا نتوهم اننا قد بلغنا فيه درجة الكمال ولكن الاطباء لا يزالون يجهلون كنه الامراض وكيفية قيام الجسد بوظائفه وكل ما يعرفون هو مبادئ اولية لا بد أن تؤدي في المستقبل الى اكتشافات غريبة

خذ مثلا وظيفة الجهاز العصبي فان جميع الآراء التي كان يذهب اليها العلماء والاطباء في تعليل عمل الجهاز العصبي قد اصبحت من الخرافات اذ ليس هنالك من يستطيع أن يشرح كنه القوة العصبية . ولكن الدكتور شيرو تاشيرو الياباني قد اثبت ان القوة العصبية ليست سوى قوة كهربائية . وقد اخترع آلة سماها البيومتر (اي مقياس الحياة) وهي دقيقة جداً ويمكن بواسطتها ان يعلم الفرق بين تنفس النملة في حالة نومها وتنفسها في حالة يقظتها وعملها

اما علم الباثولوجيا فقد وقف التوسع فيه عند حده بسبب الحرب الحاضرة لان معظم الباثولوجيين هم من الالمان . ولكن لنا تعزية في اعمال الدكتورة مود سلاي الاميركية وهي من اكبر الباحثين في مرض السرطان فقد جمعت في منزل خاص الوفاً من الفيران والجرذان وانقطعت لمراقبتهم واجراء التجارب بينهم توصلاً الى اكتشاف حقيقة داء السرطان . وقد وجدت بعد اجراء التجارب العديدة ان هذا الداء وراثي فقد يصاب به افراد العائلة كلهم وقد يمكن ابعاده عنهم وهي تشير باتخاذ جميع الاحتياطات الصحية اللازمة منعاً لانتشاره

والخلاصة ان العلوم الطبيعية والعقلية لا تزال في اوائل عهدها وجمهور العلماء والمخترعين لا يزالون يصلون اناء الليل باطراف النهار لاكتشاف الاسرار المحيطة بالكائنات المنظورة وغير المنظورة والزمان خير كفيل لتحقيق هذه الامنية

سيناء والحرب الحاضرة

خطبة القاها صاحب العزة نعوم بك شقير مدير قلم التاريخ بوكالة حكومة السودان بمصر في قاعة الجمعية الجغرافية السلطانية مساء السبت ٨ مايو سنة ١٩١٥ بطلب من جمعية اتحاد الشبان المسيحيين بمصر

ايها السيدات والسادة الكرام

﴿جمعية اتحاد الشبان المسيحيين وغايتها﴾ جمعية اتحاد الشبان المسيحيين جمعية حديثة النشأة جليلة القصد شريفة المبدإ عظيمة النفع للمجتمع الانساني

وكان اول من فكر في انشائها رجل من فضلاء الانكليز في لندن يدعى السر جورج وليمس سنة ١٨٤٤ . ثم انتشرت بهمة اهل الفضل والانسانية في العالم اجمع حتى انه قلما يوجد الآن قطر او بلد يقطنه مسيحيون الا ولها فيه فرع للشبان وفرع للشابات . وقد دل احصاء هذه الجمعية الاخير على ان عدد اعضائها الشبان في العالم ينيف عن المليون

والغرض الاساسي من هذه الجمعية تلافي اخطار الشبيبة على انواعها واعداد الشبان ليكونوا اعضاء اصحاء في الهيئة الاجتماعية عاملين لخير امتهم وبلادهم باشرف السبل واقوم المبادىء

ان سن الشبان سن خطرة للغاية بل هي اشد الأسنان خطراً على الانسان . فاذا اعتاد المرء في هذا السن جميل العادات وتخلق باخلاق الكرام ومرّن نفسهُ على الفضيلة واعمال البر فلا يتجاوز هذه السن حتى تراه اتخذ عملاً يميل اليه من اعمال الحياة وبذلك أمن الخطر وضمن المستقبل وكان عضواً نافعاً محبوباً في الهيئة الاجتماعية . واما اذا استسلم لاخطار الشباب ولم يسلك الطريق الامين ولا صغى لصوت الضمير تمكنت منه العادات الذميمة التي يتعرض لها الشبان عادة وساءت أخلاقه ولم يعد له نهضة الى عمل ما وبذلك أضاع مستقبله وماله وربما أضاع صحته وحياته . وان عاش كان عضواً فاسداً في الهيئة وعبئاً ثقيلاً بل مصاباً اليماً على اهله وبلاده

« ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسده »

لذلك اذا احببت النهوض بأمة فاحسن العناية بشبانها فان الشبان الفاسدين يكوّنون امة فاسدة والشبان الافاضل يكوّنون امة فاضلة . وعليه فوجود جمعية للشبان في مصر مثل هذه الجمعية نعمة من النعم . ويجب على افاضل الامة ان يعمموا جمعيات الشبان حتى تشمل الشبيبة المصرية برمتها على اختلاف مذاهبها وعناصرها . وعلى الحكومة أن تعنى

عناية خاصة بهذا الشأن وتنشط الشبان بكل ما في الامكان فان شبان اليوم هم امة الغد

ولا يخفى ان معرفة الفضيلة شيء وممارستها وتطبيقها على اعمال الحياة شيء آخر فقد ترى رجلا يحب الفضيلة ويودُّ ممارستها من كل قلبه ولكن فطرته الفاسدة وعاداته الذميمة التي ربي عليها تشلّ يده عن الخير فما يصنع الا الشر . فلا بدّ لمن كان هذا شأنه ان يعزم عزماً باتاً على ترك الشر ويتمرن على طرق الخير برهة وهو على هذا العزم حتى يصير الخير طبعاً له . وأصلح سن بل السنّ الوحيدة لهذه التربيةالنفسية هي سن الشباب

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولا يلين اذا قومتهُ الشجر

وقد علم الافرنج الذين سبقونا في مضمار التمدن الحديث هذه الحقيقة فالفوا الجمعيات لشبانهم واعتنوا بتربيتهم وتدريبهم على اعمال الخير كل الاعتناء

بالامس زارني الكبتن حربنهوف أحد الضباط النيوزيلنديين فجرى ذكر جمعية الشبان المسيحيين اتفاقاً فقال منذ نحو ٣٠ سنة افتتح بعض افاضل مدينة اوكلند اكتتاباً لتشييد بناء لجمعية الشبان فجمعوا في اقل من اسبوع خمسة واربعين الف جنيه وأقاموا بها بناء فخماً حوى نادياً للخطابة وقاعة لتدريس الاخلاق وداراً للكتب والجرائد وساحة للرياضة البدنية على انواعها وقاعة للبلياردو وحمامات وغيرها مما يلزم لتربية الشبان جسداً وعقلاً . قال الضابط وقد وجدت هذه الجمعيةافضلواق للشبان من اخطار الشباب كالمسكر والقمار والمنكر واجمل وسيط بين المدرسة والعالم اذ يدرب الشاب فيها على اقوم السبل وتعد اتم الاعداد للدخول في ميدان الحياة . وكل من عرف فضل هذه الجمعية وخبر اعمالها يصدق هذا القول . وقد اسعدني الحظ وانا تلميذ في الكلية الاميركية في بيروت ان دخلت عضواً في فرع لهذه الجمعية يدعى « شمس البر » فرأيت كثيراً من اعمال البر في بلادنا مصدره تلك الجمعية

﴿ نادي الشبان في مصر ﴾ ويحسن بنا التصريح هنا ان بين مؤسسي هذا الفرع في مصر ادباء كانوا اعضاء في جمعية شمس البر . وقد أُسس فرع مصر هذا سنة ١٩٠٩ فبلغ عدد أعضائه الآن زهاء المئة وله ناد نزه جميل يطل على ميدان المحطة العمومية ومكتبة والعاب رياضية عقلية وآلات موسيقية . ومحل للمرطبات . ويلقى في النادي كل اسبوع خطب ادبية علمية مساء الجمعة وخطب دينية مساء الاحد . ويرأس هذا النادي الآن وهبة بك مينا وهو رجل من فضلاء الامة يشتغل مع افراد الناديالكرام لخير الامة ورقيها بلا طنطنة ولا مباهاة

﴿ ادواء الشرق ﴾ أيها الشبان الكرام وامة المستقبل . اعتاد الناس في كل جهة

ولا سيما في الشرق ان يكرموا المركبات الجميلة والخيول المطهمة والالقاب الضخمة والاطيان الواسعة والقصور الشامخة والاكياس الملآنة ولو فرغت رؤوس اصحابها ولم ينب الامة منهم غير الضرر والفساد . وان يغفلوا الرجل العاقل المهذب الغيور العامل لخير امته وبلاده . فاذا شئتم ان تكونوا امة راقية تقدر قدر الرجال فلا تبهرنكم الظواهر ولا تكرموا من الرجال الا من غار على امته ونفعها بعلمه وفضله وماله وقدوته

هذا امر هام دقيق جداً ايها الشبان النبلاء فاستوعبوا جيداً ما اقول : لست اقصد الاستخفاف بالاغنياء والسراة او الحط من كرامة نالوها بافعالهم المجيدة للامة والبلاد او ورثوها عن الآباء والاجداد كلاّ

« لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا »

وانما اقصد الا توجهوا التكريم الا لمن استحق التكريم . والا تغفلوا التكريم لمن استحق التكريم سواء كان من الاغنياء أو من غير الاغنياء . ارباب الاملاك الواسعة أو الضيقة

ثم اني احذر الشبان امة المستقبل من ادواء ثلاثة مُني بها العالم عموماً والشرق خصوصاً وهي بلغتنا العامية : — « حاضر » . « وماعليش » . « وبكره »

قد نقول « حاضر » ولا نحضر ولا نتم الوعد . ونقول « ماعليش » أي ما عليه شيء في الموضع الذي عليه جبال . أو في الامر الخطير الهام . ونقول « بكره » فيأتي الغد ولا يرانا احد . فنخلف الميعاد ونضيع الوقت والوقت اعز من المال لان المال اذا ذهب قد يعود وأما الوقت فاذا فات لن يعود . على ان الافاضة في هذه الشؤون الهامة تبعدنا جداً عن طريق موضوعنا فلنكتف الان بالتلميح ولنعد الى النادي :

سادتي

لقد طالما سمعت بخبر هذا النادي وتمنيت لو سنحت لي فرصة لزيارته حتى كان اليوم الثاني والعشرون من الشهر الغابر أذ اتتني منه دعوة لسماع خطبة فيه فلبيت الدعوة ودخلت قاعة الخطابة فاذا على المنبر فتى في مقتبل الشباب تلوح على وجهه علائم الذكاء يخطب في « الحروب وهل تبطل » وقد اخذ الوجه الايجابي وقال ان الحروب لا بد من ابطالها لان ابطالها هو في مصلحة الجنس البشري اذ الغالب والمغلوب كلاهما خاسر . وقد بين ذلك بلفظ فصيح وعبارة رشيقة واشارات دلت على تؤدة ورزانة ومعان وشواهد خيّل الى سامعها ان الخطيب شيخ حنكته الايام . فجلست اسمع هذا الخطيب حتى جلس بين تصفيق المعجبين به والاخذين برأيه . وهذا الفتى أيها السادة كان « اميل زيدان » نجل صديقنا الكريم المرحوم جرجي زيدان مؤسس الهلال

﴿ المرحوم جرجي زيدان ﴾ سادتي . قضى جرجي زيدان بك فجأة على مكتب التأليف في اول الصيف الماضي بعد ان جاهد بقلمه السيال جهاد الابطال وملأ المكاتب الشرقية من مؤلفاته اللغوية والتاريخية والادبية . وقد دلت كلها على ادب رائع واطلاع واسع وفكر ثاقب وقريحة وقادة مع ذكاء نادر المثال وهمة تدكّ الجبال . وقد احدث موته فراغاً عظيماً في عالم الادب والصحافة وبكاه اصحابه العديدون بكاء مرًّا اذ فقدوا بفقده صديقاً حميماً وخلا مخلصاً كريماً

وقد عرفت الفقيد في كلية بيروت ثم في مصر منذ خمس وثلاثين سنة وكنت أراه واجالسه كل يوم احياناً فكنت كلما عاشرته يوماً زدت به تعلقاً وله حباً . وسأحفظ في قلبي لهذا الصديق الحميم والفقيد الكريم اجمل الذكرى الى ان يجمعني به رب الخلود في عالم الخلود « لذلك همني جداً كما هم اصحابه العديدون ان يبقى اسم هذا الرجل العصامي الكريم محفوظاً وهلاله مشرقاً نامياً . فلما صدر العدد الاول من الهلال الجديد محبراً بقلم نجله « اميل » تصفحته باباً باباً حتى اتيت على آخره فطويته وقلت « الحمد لله ان جرجي زيدان لم يمت »

﴿ الخطابة والخطباء ﴾ سادتي . لما اتم الخطيب الفتى خطبته حتى وقف على المنبر أديب من اعضاء الجمعية وهو فرح افندي جرجس فأثنى على الخطيب ثناء طيباً . ثم استطرد الى ذكر السوريين فامتدح نشاطهم واقدامهم واقتدارهم على الخطابة والانشاء . وعلى اثر ذلك سألني باسم الجمعية ان القي في ناديها خطبة بالموضوع الذي اختاره وضرب لي ميعاداً اليوم واصرّ على ذلك . وانا اشكر للجمعية حسن ظنها بي واشكر هذا الاديب خصوصاً لانه بذكره السوريين في الخطابة مهد لي السبيل لاصرح بما اضمره من الاعجاب باقتدار المصريين في فن الخطابة واستعدادهم الطبيعي له فان ذكاء المصري وسرعة خاطره وطلاقة لسانه وغزارة مادته مع رقة لفظه ورشاقة عبارته وجمال اسلوبه . كل ذلك يؤهله لان يباري اشهر الخطباء في العالم . واني افضل ان اسمع خطيباً مصرياً من الخطباء المفوّهين في اي موضوع تملكوه وغلكهم على اسماع اطرب الانغام من امهر المغنيين

سادتي . الخطابة فن شريف لازم لكل امة تطلب الحياة . لازم لقتل العواطف الشريرة واحياء العواطف الشريفة في الانسان . لازم لبث روح الالفة والاتحاد بين عناصر الامة ونشر مبادئ الفضيلة والانسانية بين افرادها . ولكن للخطابة رجالاً كما ان لكل فن جميل رجالاً

كثيراً ما يقال لماذا نضيّع وقتنا في الذهاب الى الاندية لاستماع الخطب فان كان فيها فائدة نشرتها الجرائد وطالعناها في بيوتنا . فلو كان خطباء الاندية كلهم مفوّه بليغ ما سمعت هذا القول من احد . فان في الخطابة روحاً يبثها الخطيب بسامعيه لا ترسم على الورق ومعاني فنية لا يعبر عنها بالقلم واللسان

ومن سعد هذه الامة ان سلطانها الجديد المعظم ايده الله الساهر على ترقيتها والعارف بكل ما يعليها الى درجات الكمال قد خصّ الخطابة بعنايته وسعى في تنشيطها سعياً محسوساً . لذلك ولما كان المصري خطيباً بالطبع كما قدمت فانه قد لا يمضي وقت طويل حتى نرى في مصر خطباء يدهشون العالم — ولنبدأ الآن بموضوعنا :

﴿ سيناء والحرب الحاضرة ﴾ قدمت اني خيرت في انتقاء الموضوع لهذه الحفلة . لذلك ولما كان العالم بأسره الآن لا يهتم الا بالحرب الحاضرة وقد امتد لهيبها الى الشرق حتى بلغ سيناء وحدود مصر وكنت اشتغل في تاريخ سيناء وما كان بين مصر وسوريا من الحروب والفتوحات عن طريق سيناء رأيت نفسي منساقاً بالطبع الى اختيار هذا الموضوع وهو : « سيناء والحرب الحاضرة »

﴿ الحرب الحاضرة ﴾ ما اشد هول هذه الحرب واعظم ويلاتها واكثر ضحاياها . لقد شاهد العالم منذ الخليقة الى الآن آلافاً من الحروب الطاحنة التي رخصت فيها النفوس وتحجرت العواطف ولكنه لم يشاهد حرباً كهذه الحرب عمت العالم باسره واشتعلت في البر والبحر والهواء وتحت الماء فكثرت الضحايا وعمت البلايا وفاق الانسان فيها الحيوان الضاري قسوة وتفنناً في اساليب البطش وسفك الدماء والتخريب بقدر ما فاقه عقلاً وعلماً وتجربة . انها الحرب التاريخ فاذا ذكرت الحرب بعد الآن مجردة عن الوصف والتعريف انصرف الذهن الى هذه الحرب والعياذ بالله !

سادتي . لما طير البرق خبر هذه الحرب في اواخر يوليو الغابر كنت من القائلين ان الحرب لا تقع وانها وان اشتعلت نارها فلا تلبث ان تطفأ لان شدة هولها وجسامة عواقبها تحمل القائمين بها على قتلها في المهد . ولكن ما لبثنا ان رأينا أن علمنا بغايات المثيرين لهذه الحرب واخلاقهم كان قاصراً محدوداً وان تقديرنا لدرجة تمدنهم ورقيهم الانساني كان ارقى جداً مما برهنت الايام . فانه لم يكن الا القليل حتى اشتعلت نار الحرب في شرق اوربا وغربها وتطاير شررها الى كل جهات العالم

ورأينا والاسف يملء افئدتنا ان القائمين بالامر في سوريا قد خدعوا وحشروا في هذه الحرب بدون ان يتعرض لهم احد . فجعلوا سوريا الهادئة المطمئنة دار حرب وارسلوا منها حملة على مصر عن طريق سيناء

ولما شاع خبر هذه الحملة توهم البعض هنا ان في استطاعتها اختراق القنال وشرعوا في الاستعداد للرحيل . ولكن العارفين صحراء سينا وصعوبة تسيير الجيوش فيها والواقفين على معدات الدفاع على القنال كانوا يؤكدون لهؤلاء المتخوفين فشل الحملة بل كانوا يؤكدون لهم ان الآمرين بالحملة انفسهم لا يتوقعون لها الا الفشل . وان غرضهم الاساسي انما هو التضحية ببعض ابناء سوريا والعراق وآسيا الصغرى المساكين لمنع جزء كبير من الجيش البريطاني في مصر عن الذهاب الى ميدان الحرب في اوربا

وقد دلت الليلة الثالثة من شهر فبراير الماضي وجميع المناوشات التي وقعت على القنال قبل تلك الليلة وبعدها على صدق هذا القول ومطابقته للواقع كل المطابقة

والان عادت الاشاعات فتجددت ان الحملة من سوريا عائدة على مصر . لذلك رأيت بهذه الفرصة ان ابين بالادلة المحسوسة استحالة نجاح الحملة على مصر من طريق سيناء . وقبل الشروع في ذلك آتي على وصف موجز جداً لهذه البلاد زيادة في التبيان

﴿ سيناء ﴾ لقد خص الله سبحانه مصر باربعة حصون طبيعية من الجهات الاربع: صحراء سيناء من الشرق . وصحراء ليبيا من الغرب . والبحر المتوسط من الشمال . وشلالات النيل من الجنوب . فسيناء هي حصن مصر الطبيعي المنيع من الشرق

وقد دل تاريخها على انها كانت في كل عصر قويت فيه مصر تابعة لمصر والسلطة العسكرية فيها كما هي في هذا العهد . وان حدها الشرقي خط مستقيم تقريباً يمتد من مدينة العقبة على رأس خليج العقبة الى رفح على البحر المتوسط

وهي فلاة فسيحة في شكل مثلث قعد على البحر المتوسط وانقلب على رأسه فدخل كالسفين في رأس البحر الاحمر وشطره شطرين وهما خليج العقبة وخليج السويس . وطولها من البحر المتوسط الى رأس محمد نحو ٢٣٠ ميلا وعرضها من رأس خليج السويس الى رأس خليج العقبة نحو ١٥٠ ميلا ومساحتها بوجه التقريب ٢٥ الف ميل مربع . وهي تنقسم بحسب طبيعة ارضها الى ثلاثة اقسام كبيرة وهي :

(١) بلاد الطور في الجنوب بين شطري البحر الاحمر وهي بلاد جبلية وعرة وفي وسطها جبل موسى وعليه دير طور سينا الشهير من بناء الامبراطور يوستنيانوس في القرن السادس للميلاد . ومركزها مدينة الطور الفينيقية على نحو ١٢٥ ميلاً من مدينة السويس . وفيها المحجر الصحي المصري الذي أسس منذ سنة ١٨٥٨ وهو من افضل محاجر الدنيا . وكان فيها قلعة من عهد السلطان سليم تخربت في اواخر القرن الغابر

(٢) بلاد التيه في الوسط وهي سهل مرتفع فيّاح . وهو التيه الذي ضلّ فيه بنو

اسرائيل في المشهور · ومركزها مدينة نخل وهي مدينة صغيرة على نحو ٨٠ ميلا من السويس وفيها قلعة من بناء قانصوه الغوري

(٣) بلاد العريش في الشمال وهي بلاد رملية· وفي شمالها بحيرة بردويل الشهيرة· ومركزها مدينة العريش وهي مدينة قديمة على نحو ٨٥ ميلا من القنطرة و٢٨ ميلا من رفح . وفيها قلعة من بناء السلطان سليمان الاول

وقد سميت سيناء في الآثار المصرية « بلاد القحط والعرآء » · وسماها اليونان « العربية الصخرية » · وعرفت في التوراة باسم « حوريب » أي الخراب · فوصفوها بهذه الاسماء الموجزة أبلغ وصف فانك كيف ذهبت فيها لا تجد الا جبالا قاحلة وسهولا مجدبة ورمالا محرقة · وقد تسير فيها أياماً فلا تجد انساً ولا جناً · ولولا القليل من الامطار التي تهطل في فصل الشتاء ـ فتعدّ بعض بقاعها للزرع وتترك في اوديتها القليل الشحيح من الاعين والآبار وبعض انواع الشجر والعشب الذي ترعاه الابل والاغنام ـ كما رأيت فيها أثراً للحياة · فالبلاد على اتساعها وكثرة جبالها قليلة الامطار قليلة المياه قليلة النبت والزرع والضرع والسكان

ومما يدلك على قحط هذه البلاد وجدبها أنه منذ الخليقة الى هذا العهد لم يسكنها الا عدد محدود من الناس جلهم أو كلهم بادية ويقدّر عدد سكانها الان من بادية وحضر بنحو خمسين ألف نسمة أي بعدد سكان بور سعيد

وقد وصف الشعراء سيناء بانها قنطرة النيل الى الاردن والفرات · ذلك لانها تصل مصر بسوريا والحجاز · ويخترقها عدة طرق تجارية حربية أشهرها اربع وهي :

(١) طريق موسى تنشأ من السويس وتخترق بلاد الطور مارة بجبل موسى الى رأس خليج العقبة وهي طريق تجارية قديمة جداً · وقد اتخذها الاسرائيليون الى سوريا عند خروجهم من مصر في أواخر القرن الخامس عشر قبل المسيح

(٢) طريق الحج المصري تقطع القنال شمالي السويس وتخترق بلاد التيه مارة بقلعة نخل الى العقبة · أنشأها السلطان الملك الظافر في اواخر القرن الثالث عشر للمسيح وبقيت طريقاً للحج المصري من ذلك العهد الى سنة ١٨٨٤ أذ استعيض عنها بطريق البحر

(٣) طريق العريش · تبدأ من القنطرة وتخترق بلاد العريش محاذية بحيرة البردويل من الجنوب · وهي طريق تجارية حربية وقد دخل بها السلطان سليم بلاد مصر واتخذها نابليون ثم ابراهيم باشا في حملتيهما على سوريا

(٤) وطريق الفرما · تبدأ الان من القنطرة وتسير على ضفة النيل البليوسي الذي

جفّ الى ان تأتي شاطئ البحر المتوسط عند الفرما فتسير في مرتفع من البر بين البحر وبحيرة بردويل ثم تمر بساحل العريش الى رفح

وهذه الطريق هي طريق تجارية حربية قديمة جداً بل هي أقدم الطرق بين مصر وسوريا واغزرها ماء واعذبها هواء . وقد بقيت الطريق الوحيدة بين هذين البلدين حتى جف النيل البلوسي وخربت الفرما في اواخر القرن الثاني عشر للمسيح فانشئت طريق العريش واستعمل الطريقان معاً الى اليوم

وطريق الفرما هذه هي طريق الفاتحين المصريين الى سوريا والعراق . وهي طريق الغزاة الحثيين والاشوريين والفرس واليونان والرومان والعرب الى مصر

وقد احصيت الحملات العظيمة التي حملها هؤلاء الغزاة على مصر فكانت اربع عشرة اثنتان منها التقاها الجيش المصري عند رفح في اقصى حدود سينا الشرقية ونازلها هناك . والاثنتا عشرة الباقية نازلها الجيش المصري عند البلوسيوم او الفرما في اقصى حد سينا الغربي . وانما كانت اكثر الوقائع عند حد سينا الغربي لان ملوك مصر كانوا في الغالب يجعلون صحراء سينا الشاقة بينهم وبين الغزاة للانتفاع بالطبيعة كما فعل جيش مصر في هذا العهد

وهذه الحملات التي حملها الغزاة الاقدمون على مصر قد فشل اكثرها مع انها كانت كلها في احوال اكثر ملاءمة من احوال الحملة الحاضرة

﴿ الحملة الحاضرة ﴾ وامام الحملة الحاضرة من العقبات الطبيعية والحربية ما يستحيل التغلب عليها لاي جيش من جيوش العالم . واول تلك العقبات واكبرها عقبة « الطريق »

ولقد عرف غزاة مصر منذ القديم صعوبة تسيير الجيوش في برية سينا . لذلك لم يجسر احد منهم ان يهاجم مصر من ايام سنحاريب الاشوري الى قمبيز الفارسي الى اسكندر المكدوني وانتيغونس اليوناني وغيرهم الا بعد ان امتلك سوريا وموانيها وتمكن من الانتفاع بحرها ومراكبها

وكان الاسكندر يقول « لا بد لنجاح الحملة على مصر من امتلاك فينيقية » . لذلك تراه في زحفه على مصر قد ثبت على حصار صور سبعة اشهر وعلى حصار غزة شهرين واضاع قدراً كبيراً من المال والرجال في فتحهما . كل ذلك لكي يتمكن من الانتفاع بمراكب الفينيقيين فسيرها بالزاد والمهمات الحربية في البحر وسارهو محاذياً لها بجيشه في البر

وكان بطليموس الاول اول ملوك مصر بعد الاسكندر يرى انه لا بد لامتلاك فينيقية من امتلاك جزيرة قبرس . فبذل كل ما عز وهان حتى امتلكها وقد بقيت في يده وبد

اسلافه الى ان استولى عليها الرومان قبيل استيلائهم على مصر * اما الآن فجزيرة قبرس وساحل سوريا وساحل سيناء في يد المتولين الدفاع عن مصر فلم يبقَ للحملة على مصر من سوريا طريق الا داخلية سيناء القاحلة المحرقة

ولا يخفى انه ليس في صحراء سيناء كلها مكان واحد يصلح لان يكون قاعدة او اساساً للحملة على مصر تحشد فيه الجند تستريح وتأخذ الاهبة قبل مباشرة الهجوم ثم تلجأ الى الاساس اذا قدر لها الفشل . لذلك فلا بد للجيش المهاجم من حمل الزاد والماء والذخيرة والاسلحة والمدافع وسائر المهمات الحربية ذهاباً واياباً في فلاة جرداء لا يقل اتساعها في جهة من الجهات عن مئة وخمسين ميلاً

ثم انه ليس في هذه الفلاة من الماء الا لعدد محدود من الجند قد لا يزيد على عشرين الف رجل . هذا اذا نزلت الامطار في سيناء بغزارة وفاضت الينابيع وامتلأت الخبران كما حصل في هذه السنة . والا فالعدد الممكن تسييره من الجند في تلك الفلاة ينقص بنسبة نقص الماء في الينابيع والخبران . والمسافة بين ماء وماء في الطريق من يومين الى ثلاثة أو اربعة

ثم ان هذا الجيش الصغير يضطر ان يسير سيراً حثيثاً فلا يقف في الطريق الا ريثما يتنفس خوفاً من نفاد الماء والزاد اذا طال السفر . فهو مرغم أن يوالي السير في تلك الرمضاء وهو مثقل باحماله حتى يصل القنال تعباً منهوكاً ليهاجم جيشاً مستريحاً اكبر منه عدداً وافضل عُدداً وارقى نظاماً معتصماً بخنادق على احدث طرز ومحمياً من الوراء بالطرادات في البحر والقطرات المساحة في البر والنجدات العظيمة على رؤوس السكة الحديدية في المدن المجاورة وتحت يده من الزاد والماء والذخيرة ما يكفيه سنيناً . وفوق ذلك كله فان الجيش المهاجم مرغم على المهاجمة فهو لا يدري لاي سبب يهاجم ويضحي بنفسه . حالة ان الجيش المهاجم شاعر في نفسه انه يدافع عن كرامته وكرامة امته وحرية الامم

فهل بعد هذا البيان يخشى أحد على مصر من حملات تأتي عن طريق سيناء ؟ وهل من يشك في ان القصد من تلك الحملات تنفيذ مآرب معلومة على حساب سوريا المسكينة والسوريين المساكين !

﴿ نصراء مصر ﴾ سادتي . قلت ان مصر تحميها اربعة حصون طبيعية من الجهات الاربع والان اقولُ ان مصر ينصرها ايضاً سلطانها المعظم في الارض وينصرها رب السلطان ورب الارض في السماء

ان هذه الحرب الحقت الضرر بكل بلاد محاربة او غير محاربة ولكن مصر بحكمة سلطانها وفضل انصارها وقيت شر هذه الحرب وكان الضرر الذي لحقها اقل جداً مما لحق اي بلاد في الشرق والغرب

وجهت الحملة على مصر فاخذت نصيرة مصر وسيدة البحار تنقل اليها الجند بعشرات الالاف من انكلترا واوستراليا ونيوزيلندا والهند حتى ملأت البر والبحر واصبح لسان حالها ينشد قول الشاعر العربي :

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا وظهر البحر نملأه سفينا

وقد انتشر الجند على حدود مصر وفي عواصمها واخذوا ينثرون الذهب في اسواقها فارتفعت الضائقة المالية عنها وعوضت اضعاف ما خسرته من نزول سوق اقطانها

واذا استثنينا حوادث طفيفة بدت من بعض افراد الجند وجدنا ان هذه الجيوش الجرارة على كثرتها واختلاف اجناسها ابدت من المحافظة على الراحة والنظام ما استحقت عليه اطيب الثناء . بل ان اكثر الجند اظهروا من الادب وحسن الاخلاق ما شرفوا به جنسهم ودل على فضل التربية التي تربوها في بلادهم في جمعيات الشبان

في الشهر الغابر دخل عسكري نيوزيلاندي احد المحلات التجارية فاشترى آلة للتصوير وادوات اخرى ودفع للمحل ثمنها جنيهين بدلا من ثلاثة سهواً . وعند الانصراف عمل صاحب المحل حسابه على عادته فوجده ناقصاً جنيهاً ولكنه لم يقدر أن يعين جهة النقص . في اليوم التالي حضر العسكري النيوزيلاندي وسأل المحل هل وجدت حسابك مضبوطاً أمس؟ قال لا فانه نقص جنيهاً واحداً . قال العسكري هذا جنيهك . ثم نقده اياه وانصرف

هذا شأن العساكر في العواصم . واما العساكر على الحدود فأن الحملة لما جاءت من سوريا وجدت نفسها امام سد منيع من الماء والنار والحديد فعادت ادراجها وبقيت مصر في انعم بال وأهنأ حال . وستبقى كذلك الى نهاية هذه الحرب والى الابد ان شاء الله

﴿ حال سوريا الحاضرة ﴾ هذه هي حال مصر بفضل سلطانها المعظم وانصارها الانكليز . واما حال سوريا فمسدول عليها النقاب ولست اجسر ان ازيح هذا النقاب لان الاخبار التي تتسرب من تحته تنبيء بانها حالٌ مخيفة . حال تذيب القلوب وتفتت الاكباد وتهيج الاشجان . وقد وصلت الى تلك الحال وتحملت ويلات هذه الحرب ومصائبها من غير ان تجني على أحد أو ان يكون لها في هذه الحرب مأرب أو يدٌ

فمن ترى هو الجاني عليها ومن اثار هذه الحرب الضروس وسبب للبشر كلّ هذه الويلات . ومن هو المسؤول عن هذي الحرب وهذه الويلات ؟

﴿ من المسئول عن الحرب ﴾ سادتي . ان جميع الصحف والانباء البرقية التي

وصلتنا عن هذه الحرب أثبتت ان بين المتقاتلين في اوربا امة تدعي التفوق الطبيعي على الامم كافة وان لها وحدها حق السيادة العامة في الارض وسائر الامم عبيد لها . وان تلك الامة المغرورة هي التي أثارت هذه الحرب تحقيقاً لاحلامها . وقد استعدت لها اربعاً واربعين سنة في الخفاء وتذرعت للحصول على غرضها بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة فنقضت الوعود وخرقت العهود وتعدت كل نظام وارتكبت كل قسوة ومنكر وخدعت امتين فضمتهما الى حزبها ووسعت الخرق في الغرب والشرق * فهبت الدول الاخرى للنضال عن حريتها واستقلالها بعزم يدك الجبال وبكل ما لديها من الرجال وهي تنادي بلسان اقطابها اذا لم نستطع سحق تلك الروح المتعجرفة وحفظ كرامتنا القومية وتأييد السلام في العالم فالسكنى في بطن الارض خير لنا من السكنى على ظهرها

سادتي . ان تلك الروح المتعجرفة روح ادعاء التفوق على الغير المنسوبة الى تلك الامة هي روح همجية قديمة ممقوتة من كل ذي نفس حرة

وكان المسيح الذي تدّعي تلك الامة التدين بدينه أول من نادى بمقت تلك الروح وشهر عليها حربه العوان : قام المسيح بين اليهود واليهود يئنون تحت نير الرومان وكان الرومان اذ ذاك في ذروة مجدهم وقد دانت لسلطانهم ممالك الشرق والغرب فتملكهم الغرور حتى صاروا يحسبون أنهم من طينة غير طينة البشر ولسان حالهم يقول : « لا شرف الا في رومية ولا اشراف الا الرومان » !

وكانت امة اليهود أضعف جداً من أن تناوىء الرومان وتقهرهم بالحسام فاثار المسيح عليهم حرب القلم واللسان واسس دينه الآمر بالمساواة بين الجميع ومحا العبودية فجلس الروماني في كنيسة المسيح بجانب اليهودي والعبد وبذلك زالت ميزة الرومان مع الايام واصبح الكل في المسيح سواء

اذاً فالمسيح وانصار المسيح بل انصار الانسانية في العالم اجمع هم براء من امة أثارت هذه الحرب وبعثت تلك الروح القديمة الممقوتة من قبرها

اجل إن الامة التي أثارت هذه الحرب ستمقت مقتاً أبدياً وتتبرأ منها جميع الامم حتى الامم التي صيدت بحبائلها وخدعت بمكرها

بل سوف ترون ان الامم التي تبقى على الحياد الى نهاية الحرب ستنحي باللائمة على رجالها المتولين امرها الان لانهم لم يشركوها في هذه الحرب تقصيراً لعمرها وتخفيفاً لويلاتها من جهة وانتصاراً للحق والسلام العام من جهة اخرى

ولسوف تنجلي هذه الحرب — قريباً ان شاء الله — وبكشف لنا التاريخ الحقيقة عنها باجلى بيان ويسجل على من أثارها وسببها لعنة الامم باحرف من نار لا تمحوها الايام

التلغراف اللاسلكي والحرب

نشبت الحرب الحاضرة والتلغراف اللاسلكي في اوائل عهده ولو نشبت منذ خمس سنوات لاختلف سيرها عما هي اليوم بعض الاختلاف لان علم الامواج الاثيرية لم يكن قد بلغ الدرجة التي هو عليها الان من الاتقان

لم تكد الحرب تعلن على سهول اوربا حتى انقطعت اسلاك التلغراف الهوائية والمائية وكانت المانيا في مركز احرج من مراكز اعدائها لانهم احاطوا بها من كل جهة وضيقوا عليها الخناق فلم يبق لها الا محطات التلغراف اللاسلكي وقد كان لها منها قبل الحرب سبع عشرة محطة وللنمسا اربع ولفرنسا ثماني عشرة ولروسيا ثمان وعشرون ولانكلترا سبع واربعون . وقد حاولت المانيا منذ بدء هذه الحرب ان تسد الفراغ الذي احدثه قطع تلغرافاتها الهوائية والمائية ثم رأت ان تجهز سفنها البخارية والشراعية وقطراتها الحربية بمعدات التلغراف اللاسلكي

ولم يكن استعدادها اتم من استعداد عدواتها من هذا القبيل فان الجيش الفرنسوي مجهز بآلات وعدد للتلغراف اللاسلكي وفي معسكر الجنرال جوفر جهازات تلغراف لاسلكي يمتد مداها الى مسافة مئتي ميل ويمكن نصبها وتهيئتها للعمل في خمس عشر دقيقة فقط . اما في خطوط القتال نفسها فالجيش مجهز بآلات خفيفة الحمل لا تتجاوز الثمانين ليبرة يحملها اربعة رجال ويمكن نصبها واعدادها للعمل في خمس دقائق

وهنالك عدا هذه الآلات الصغيرة جهاز صغير تستعمله الكشافة الفرسان ويسمونه القنفذ لانه مجهز باسلاك تشبه شوك القنفذ

ويستعمل النوتية جهازات يمتد مداها الى نحو خمسين ميلا وهي سهلة التركيب يمكن نصبها واستعمالها في بضع دقائق

ولعل السفن الهوائية هي اهم المواضع التي استعملت فيها الجهازات اللاسلكية . فالجهازات الفرنسوية والبلجيكية المستعملة في الطيارات تزن نحو مئة ليبرة وهي بسيطة التركيب . ومع ان التجارب قد اجريت لارسال الاشارات اللاسلكية من الطيارات الى بعد اربعة وخمسين ميلا فقلما يقتضي ارسال هذه الانباء الى أبعد من خمسة أو عشرة اميال ذلك لان مهمة الطيارات الحاملة هذه الجهازات هي التجسس والاستطلاع وهي قلما تبعد اكثر من عشرة اميال عن خطوط الجيش الامامية . وبهذه الواسطة يأمن كلا الالمان والفرنسويين شر المباغتات

اما الجهازات الموضوعة في البلونات المسيرة من طرز تسبلن فاقوى من الجهازات الموضوعة في الطيارات وذات مدى ابعد

وهنالك آلات لمعرفة جهة المحطات اللاسلكية وتعيين مراكزها بوجه التقريب وقد قال احد مهندسي الانكليز الكهربائيين انه بواسطة هذه الالة تستطيع نظارة البحرية البريطانية تعيين مركز سفينة الاميرال تربتز وموقعها بالنسبة الى سائر سفن الاسطول الالماني

وليست السفن الهوائية وحدها المجهزة بآلات التلغراف اللاسلكي بل ان السفن المائية والغواصات ايضاً تحمل الات من هذا القبيل تشبه الجهازات المستعملة في الطيارات. ولا شك ان كل حركة تقوم بها الاساطيل الانكليزية والالمانية والفرنسوية وغيرها انما تقوم بها أتباعاً لاوامر تصدر اليها بالتلغراف اللاسلكي. اما الاوامر التي يتلقاها الاسطول الانكليزي فترسل اليه من محطة كارنارڤون في بلاد ويلس واما الاسطول الفرنسوي فمن باريس. وتصدر المانيا اوامرها الى اساطيلها من محطة ناوين. ثم ان محطة كارنارڤون اللاسلكية موقوفة على خدمة الحكومة الانكليزية ولا يؤذن لها في تبادل الانباء الخاصة الا ساعة واحدة كل يوم. والانباء التي تتراسلها الحكومة الانكليزية مع اساطيلها هي من نوع الجفر (الشفرة اي الرموز السرية) وتغيرها كل يوم احتراساً من الجواسيس. ومن فوائد التلغراف اللاسلكي انه يمكن الاعتماد على بضع سفن للقيام باعمال كانت تقتضي سابقاً عدة سفن. ومما يدلك على تقدم فن الحروب البحرية ان خطوط أساطيل القتال قد تمتد الى ثلاث مئة ميل أو اكثر وهذا الامر لم يكن ممكناً قبل زمن التلغراف اللاسلكي اذ كان يخشى من تفريق سفن الاسطول الى مسافات شاسعة خيفة من انقطاع المواصلات

ولعل اهم غرفة اليوم في السفينة الحربية هي التي فيها الجهاز اللاسلكي. وكلما وردت رسالة تسلم الى قائد السفينة حالا واذا لاح شبح في الافق أو في الفضاء يرسل خبره الى جميع سفن الاسطول. وعامل التلغراف اللاسلكي مستعد دائماً لتلقي أوامر القتال من الاميرال او اصدارها الى السفن المعينة ووظيفته اشق وظيفة على ظهر البارجة اذ لا يجب ان يبرح من مكانه مهما احاط به من الاخطار وكثيراً ما تتوقف نتيجة القتال على امانته وشجاعته

أما الجهاز اللاسلكي في برج ايفل بباريس فتام النظام من كل الاوجه وله طريقة خاصة في التقاط الاخبار من جميع انحاء ميادين القتال ويمكنه التقاط عشرة انباء مختلفة

من انحاء مختلفة في آنٍ واحد . وكثيراً ما ترسل الحكومة انباء منه الى جنودها في الخنادق ولما كان علو هذا البرج ثلاث مئة متر ففي الاستطاعة ارسال انباء الى مسافة ثلاثة الاف ميل . وبهذه الطريقة تستطيع الحكومة مخاطبة اساطيلها المتفرقة

ولعل احسن مثال على فضل التلغراف اللاسلكي هو الاعمال التي اتتها البارجة امدن الالمانية التي اشتهرت بقرصنتها في الاوقيانوس الهندي . قيل انها كانت تتلقى الاوامر من محطة ناون الالمانية وفي هذه المحطة جهاز لاسلكي عظيم القوة يستطيع ارسال الانباء الى مسافة اربعة الاف ميل . والغريب ان التلغراف اللاسلكي الذي كان سبب نجاح البارجة امدن في قرصنتها كان ايضاً سبب هلاكها فانها هاجمت احدى جزر الاوقيانوس الهندي وارادت ان تحطم محطتها اللاسلكية فسبقها عمال المحطة وطلبوا المساعدة من البارجة سدني الاوسترالية فاسرعت وقبضت روح امدن

ويؤخذ من التقارير الفنية ان بوارج الاسطول الالماني التي كانت تائهة في البحار كانت تمخر معاً في شكل دائرة قطرها ثلاثون ميلا وقد خفضت مدى جهازها اللاسلكي الى مثل ذلك المدى . فكلما ابصرت بارجة منها سفينة تجارية بريطانية اطبقت عليها واغرقتها . واذا ابصرت بوارج بريطانية حربية ارسلت الانباء اللاسلكية الى رفيقاتها ليكنَّ على حذر . ويقال انه كلما كانت البوارج الالمانية تعثر على سفينة تجارية كانت تأمرها حالاً بتحطيم جهازها اللاسلكي وطرحه في البحر وذلك منعاً لها من طلب الاغاثة من البوارج الانكليزية

ومما يدل على حذق الالمان في صناعة التجسس انه عندما حصر الاسطول الانكليزي البارجتين الالمانيتين جوبن وبرسلو في مضيق مسينا في ٦ اغسطس الماضي عمدت البارجتان الى حيلة للنجاة من الاسطول الانكليزي . ذلك انهما عرفتا بواسطة الجواسيس رموز المفاوضات البريطانية السرية لذلك اليوم فارسلتا نبأ كاذباً الى قائد الاسطول الانكليزي باطلاق سراحهما فظن قائد الاسطول ان الامر صادر من نظارة البحرية البريطانية فاطلق سراحهما ولم يعلم بالحيلة الا بعد فوات الامر

كلف معهد روكفلر الجنرال غوركاس ان يتولى محاربة التيفس في بلاد الصرب حيث تفشى هذا المرض تفشياً عظيماً براتب سنوي قدره ٢٠٠٠ جنيه انكليزي . وقد اشتهر الجنرال المذكور بمحاربته الامراض الوافدة لا سيما في بنما حيث كانت تلك الامراض تحصد العمال حصداً

متى يجب ان أتزوج ؟

جواب العلم الحديث على هذا السؤال

هل يجب على الشاب ان يتزوج عند دخوله معترك الحياة فيجعل زوجته شريكته في متاعبه ومخاوفه ونجاحه او سقوطه ؟ ام هل الافضل له ان يجاهد وحده في هذا العالم ريثما يتمكن من مركزه ويضمن مستقبله فحينئذ يقترن بمن تجني معه ثمار جهاده ؟

يعتقد كثيرون من الكتاب الاجتماعيين ورجال الدين ان المسافة الطويلة بين السن التي يكون فيها الانسان قد كمل نموه وصلح فيها للزواج (وهي حول العشرين) والسن التي يتعذر لشاب هذا العصر ولا سيما في المدن ان يقترن قبلها (وهي عادة حول الثلاثين) — يعتقدون ان هذه المدة التي تتجاوز احياناً العشر السنوات انما هي السبب الاساسي لما نراه في المدن من انواع المفاسد والشرور التي لا وجود لها في القرى حيث يتزوج الشاب في السن التي يستكمل فيها نموه

ومن الجهة الاخرى فان فريقاً كبيراً من الاطباء لا سيما اصحاب مذهب اليوجنية (Eugenics) القائل بتحسين الجنس البشري يضادون هذا الرأي ويبينون مضار الزواج الباكر ويدعون ان هذا الزواج اضر بالهيئة الاجتماعية واشد تأثيراً في هدم كيانها من المفاسد والشرور التي تنشأ عن الزواج المتأخر . فالزواج الباكر في نظرهم اصعب الشرين . وللدلالة على صحة مزاعمهم يبينون ما للزواج الباكر عند بعض قبائل الهنود وسكان جزر الباسيفيك واهل سيام وكمبودج وجميع الاجناس الملونة على العموم من الاضرار وكيف انه من اهم اسباب الانحطاط البشري

يقف الشاب امام هذين الرأيين المتناقضين فيحار ايهما يصدق ولا افضل له من الاسترشاد بالواقع للخروج من هذا المأزق الضيق . فما هو الواقع وما هي النتيجة التي يمكن الوصول اليها من درس احوال الناس والامم ؟

قال احد كبار الاطباء في نيويورك : « رأيت امهات لم يتجاوزن الخامسة عشرة من عمرهن وقد بدت على وجوههن علامات الضعف وفقر الدم . ويكفي ان يلقي الطبيب نظرة الى امثال هؤلاء الامهات ليتحقق انهن اصبحن عرضة للامراض لانهن قد فقدن قواهن الحيوية في الولادة ومهام البيت في سن لم يكن قد استكملن فيها نموهن . وقد يصدف ان بعض الشابات يصلحن للزواج في الخامسة عشرة او السادسة عشرة ولكن

ذلك لا يكون الا من قبيل الشواذ . وانا اعتقد ان الشاب لا يجب ان يتزوج في حال من الاحوال قبل الخامسة والعشرين والشابة قبل الثانية والعشرين »

ان اضرار الزواج الباكر ظاهرة للعيان فانها تحط القوة الحيوية في الرجال وتسبب في المرأة فقر الدم وما يتبعه من الامراض واهمها الامراض العصبية وعسر الهضم والسل وغيرها

انظر الى الاقطار التي تتزوج فيها المرأة باكراً تجد النساء يشخن في سن الثلاثين وقد تجعدت وجوههن وانحطت قواهن . وبعكسها الاقطار التي تتزوج المرأة فيها بعد العشرين فانك تجد النساء قوية نشيطة تحافظ على شبابها ونضارتها زمناً طويلا

ثم انهم فحصوا اولاداً كثيرين بالنظر الى سني والديهم فوجدوا صحة الاولاد في تقهقر كلما نقص عمر والديهما . ولا يقتصر هذا التقهقر على الحالة الجسدية بل يرى ايضاً في القوى العقلية — واذا استمر التناسل بضعة اجيال في سن باكرة فلا شك ان النسل يضعف وينحط جسماً وعقلاً

ويقدر بعض العلماء اليوجنيين Eugenists أنه لم يولد رجل عظيم كان اسلافه يتناسلون بمعدل اربعة اجيال في القرن الواحد . ويذهب البعض الى ابعد من ذلك فيقولون انه لا يوجد رجل عظيم تناسل اسلافه ثلاثة اجيال في القرن . اي ان الاب منهم يجب أن يكون قد بلغ الثالثة والثلاثين قبل أن يلد ابنه

ويتعذر لاول وهلة التسليم بهذا القول اذ ان معظم الناس يتناسلون اكثر من ثلاثة اجيال في القرن الواحد . الا ان المباحث الدقيقة تثبته على الاجمال (ما عدا شواذ لا يعول عليها) فقد وجدوا مثلاً ان اعظم نوابغ الاميركان كان آباؤهم في الاربعين من عمرهم عند ولادتهم بينما لم يوجد واحد منهم كان ابوه دون الخامسة والعشرين

ويعلق العلماء اليوم اهمية عظمى على سن الاب عند ولادة اولاده ويعتقدون ان لهذه السن تأثيراً كبيراً في حالة النسل فقد تختلف حالة الاخوة الذين ولدوا من نفس الابوين اختلافاً يذكر مسبباً عن سن الابوين عند ولادتهم واليك اعمار آباء نفر من الرجال العظام عند ولادتهم (وسن امهاتهم كانت ايضاً على نفس هذه النسبة) :

فرنكلين	٥١
ارفنج	٥٢
وبستر	٤٣
بيتشر	٣٨

واشنطن	٣٨
غوته	٥٣
ملتون	٤٥
كونفوشيوس	٤٥
بسمارك	٤٤
اديسن	٤٣
شكسبير	٤٠

وقد بلغ اعتقاد بعضهم في هذا الرأي انه وضع جائزة قدرها اربعون جنيهاً انكليزياً لمن يجد واحداً من الرجال العظام كان اسلافه يتعاقبون بنسبة ثلاثة اجيال في القرن الواحد . ولم يحز هذه الجائزة احد مع ان كثيرين سعوا لاحرازها فلم يفلحوا

ثم اننا اذا نظرنا الى معدل اعمار الناس وجدنا ما يدعم قضيتنا فقد درس احد الاطباء ١١٠٥ اشخاص بالنسبة الى اعمار والديهم فوجد ان الواحد منهم (بعد أن يبلغ الخامسة والعشرين) يعيش على الاجمال ٦٢ سنة اذا كان معدل عمر ابويه دون الخامسة والعشرين عند ولادته ومن كان والداه بين الثلاثين والاربعين عاش ٦٥ سنة واذا كانا بين الاربعين والرابعة والاربعين عاش ٦٦ سنة واذا كانا بين الرابعة والاربعين والتاسعة والاربعين عاش ٦٨ سنة واذا كانا في الخمسين او بعدها عاش نحو ٧٠ سنة

وتعليل ذلك ان الانسان كلما تقدم في السن قل تعرض جسمه للامراض فيورث اولاده قوة المقاومة التي اكتسبها مع الايام

هذا فضلاً عن ان الزوجين اذا كانا في سن مكنتهما من الحصول على اختبارات ومعارف كافية فانهما يكونان اشد تساهلاً الواحد نحو الآخر واكثر اغضاء للهفوات والزلات مما لو كانا حديثي العهد بين الناس فيقل بذلك الشقاق الذي يسبب تعاسة عائلات كثيرة

فيا ايها الشبان الراغبين في الزواج لا تسرعوا في هذا السبيل وانتم لا يزال عودكم رطباً واختباركم قليلاً حتى تطيلوا اعمار اولادكم واحفادكم وتورثوهم اجساماً صحيحة وعقولاً نامية وقوة مقاومة الامراض التي تزيد كلما تقدمتم في السن . ولا امل للجنس البشري من بلوغ حالته المثلى الا بتأجيل سن الزواج

اذا استمرت البارجة "كوين اليزابت على اطلاق جميع مدافعها في ساعة كاملة لانفقت من الذخيرة ما يقدر بربع مليون جنيه

اشهر اندية القمار

مونت كارلو — حيث تُربح الملايين وتُفقد في لحظة

المقامرة آفة من آفات المدنية الحاضرة لا تكاد تخلو منها مملكة من الممالك على الاطلاق وهي ترجع في تاريخها الى اقدم العصور والازمنة ومصدرها الطمع وحب الكسب في الانسان . لذلك يعتقد البعض ان المقامرة امر غريزي في الانسان تظهر في جميع اعماله واقواله وليس من الضروري حصرها في اللعب وحول موائد الميسر فقط . فقد يقامر الانسان باقواله كما يقامر باعماله ويجازف بحياته كما يجازف بماله

والمقامرة انصار يدافعون عنها ويستبيحونها بحجة انها ضرب من ضروب المكسب ولا يجبر احد على ممارستها بل ان المقامر يقبل على موائد الميسر بمجرد رغبته ومن تلقاء نفسه فلا يجب ان يتصدى احد لحريته او يمنعه عن ممارسة امر يتوق اليه

وليس غرضنا الآن التصدي لدحض هذه الآراء التي لو عمت في المجتمع العمراني لافضت الى زعزعة اركانه وتقويض دعائمه . وانما غرضنا ان نذكر شيئاً عن اندية القمار الحديثة وان نردفها بوصف منتدى مونت كارلو الشهير كما شاهدناه بالعيان

تاريخ القمار الحديث

كانت باريس في اوائل القرن التاسع عشر مركزاً لاشهر اندية الميسر في العالم . واشهر ناد ظهر فيها يومئذ نادي « فريسكاتي » وكان يتردد عليه اكبر اغنياء الفرنسويين والاجانب المقيمين بباريس . وكان اللعب يدور فيه باذن خاص من الحكومة الفرنسوية وبلغت مكاسبه مبالغ فاحشة فكانت الحكومة تتقاضى منه ضرائب باهظة للانفاق على المسارح (التياترات) واندية الموسيقى والفنون الجميلة . قيل انه في سنة ١٨٢٥ ادَّى هذا النادي ضريبة للحكومة الفرنسوية قدرها تسعة ملايين من الفرنكات . ولكن في سنة ١٨٣٩ اصدرت الحكومة امراً باقفال جميع اندية القمار وكان بنازيت مديراً لمنتدى فريسكاتي فانتقل الى بادن بادن بالمانيا وعزم على انشاء ملعب هنالك . . وتبعه غيره فافتتحوا اندية للميسر في عدة مدن من مدن المانيا كبادن وويزبادن وايمز وهومبرغ ونوهيم وبيرمونت . فلما جاء بسمرك امر باقفال جميع هذه الاندية واشهرها منتديات ويزبادن وهومبرغ فقد كان الناس يجازفون هنالك بمبالغ باهظة جداً

وفي سنة ١٨٦٣ انشأ المسيو بلانك واخوه ملعباً في موناكو وآخر في مونت كارلو واخذا بمزاحمة اندية القمار التي كانت قد اسستها شركة اخرى في الكوندامين قبل ذلك التاريخ بسنتين. ولما لاحت للمسيو بلانك واخيه تباشير النجاح عزما على بناء «الكازينو» الحالي فشيداه وجعلاه آية في الهندسة والزخرفة وجعلا فيه لعبة «الروليت» و«الاسود والاحمر» ثم انتقل الكازينو الى يد شركة انكليزية عقدت مع امير موناكو عقداً ينتهي في اول ابريل سنة ١٩٤٨. ومما يدلك على عظم مكاسب هذه الشركة ان لها نحو الفي مستخدم وتنفق على حديقة الملعب نحو ثلاثين الف جنيه سنوياً وعلى الجوقة الموسيقية عشرة الاف جنيه وتدفع جميع الضرائب عن الاهالي وتنفق من خزينتها على الاعمال العمومية وتصليح الطرق والحدائق والمدارس والكنائس وتدفع رواتب



كازينو مونت كارلو

البوليس وتقدم مساعدات كبيرة للجمعيات الخيرية وتقوم بنفقات اخرى عديدة غير هذه حتى يعفى الاهالي من دفع اية ضريبة كانت . فهم عائشون في شبه فردوس لا يطلب منهم ضريبة ولا واجب نحو الحكومة سوى حفظ النظام . ولا يجوز لهم زيارة الكازينو الا مرة في السنة وذلك في عيد ميلاد امير موناكو

ومما يدلك ايضاً على عظم مكاسب الكازينو ان اسهمه ارتفعت يوم انتقلت الى يد الشركة الانكليزية الحالية من خمس مئة فرنك الى اربعة الاف واربع مئة وسبعين فرنكاً فتأمل . وكثيراً ما يكسب اللاعب عشرة آلاف او عشرين الف جنيه في اليوم

الواحد . فقد ربح احد الشبان الاميركان مرة منذ سبع سنوات عشرين الف جنيه في يوم واحد . وربح المستر ويلز الانكليزي الذي اشتهر « بكسر البنك » خمسين الف جنيه في يومين . والارجح ان المستر سام لويس الانكليزي ربح في ختام سنة ١٩٠٠ اكبر مبلغ ربحه لاعب في يوم واحد في مونت كارلو ويقدر بعشرات الالوف من الجنيهات

وصف مونت كارلو

اشتهر عن مونت كارلو أنه منتدى للميسر فقط . وهو وهم لا يلبث ان يتبدد حالما يصل الانسان الى هنالك ويرى من جمال المشاهد ما ينسيه فراديس بابل المعلقة . ومتى انتقل الى داخل الحديقة سحره ذلك المنظر البديع ونقله الى عالم الوهم والخيال . فمن مروج مختلفة الازهار والالوان ومتنزهات بديعة الصنع والاتقان وممار ظليلة لا تسقط اشعة الشمس من خلالها الى الارض وبحيرات لا تشبع العين من النظر اليها وفسحات هي احق بعواطف الغرام ومناجاة القلوب . ولا بدع فان ادارة « الكازينو » تنفق على تلك الحديقة وحدها ما لا يقل عن ثلاثين الف جنيه سنوياً

اما « الكازينو » نفسه فبناء فخم يبهر الابصار بقبابه المذهبة وابراجه المرتفعة وجدرانه المزخرفة وفيه ما يزيد على الالفي مستخدم يتعيشون منه . ولقد يتوهم البعض انه منتدى للقمار فقط ولكن الزائر يرى فيه سائر وسائل اللهو والتسلية . من ذلك حقل واسع لصيد الطيور على اجناسها (وللفائز فيه جائزة عشرين الف فرنك) ومسرح للتمثيل تلعب فيه خيرة اجواق فرنسا وايطاليا بطريقة تحمر منها الوجوه وتندى لها الجبهات . وهنالك ايضاً جوقة موسيقية من أشهر جوقات العالم تتألف من ثمانين عازف وعازفة ينفق عليها الكازينو اكثر من عشرة الاف جنيه سنوياً . اما الحفلات الراقصة والموسيقية فما يطير بالنفس من عالم المادة الى عالم الخيال . والدخول اليها مباح مجاناً للجميع وهي حكمة بعيدة لان الداخل الى هنالك تثور عواطفه واهواؤه فينتقل الى اللعب حيث يبدأ بالمجازفة مستسلما بخته الى آلهة النصيب

وفي « الكازينو » ردهة مزخرفة فسيحة للقراءة والمحادثة فيها اشهر المجلات والجرائد التي تطبع في انحاء العالم المختلفة وفيها ايضاً احدث الانباء البرقية . ولكن اية اهمية هناك لاخبار العالم وسياسته والسلطة المطلقة للذهب الوهاج ؟

والمنتدى قوانين دقيقة يجب على كل زائر مراعاتها : فلا بد له من الحصول على جواز (اي تذكرة دخول) من ادارة السكرتير يكتب فيه اسمه واسم الفندق الذي

هو نازل فيه . ولا يؤذن للقسوس في الدخول . ويجب على الزائرين ان يلبسوا الثياب الرسمية المعروفة « بثياب الصباح » او « ثياب المساء » مع زيق (ياقة) من الكتان النقي . وعلى المقامرين ان يقامروا في الثياب الكتانية الناعمة !

ومتى صار الزائر داخل « الكازينو » وجد الهوآء كثيفاً جداً ومشبعاً من الروائح العطرية المنبعثة عن ثياب النساء واكثر تلك الروائح مما تثير الاهوآء والعواطف . والارجح ان منع الهوآء عن غرف « الكازينو » سياسة من اصحاب المنتدى اذ انهم يخضعون بذلك عقول اللاعبين لسلطة الخمول والجمود



احدى قاعات كازينو مونت كارلو

وترى جميع الردهات مزدحمة باقدام الزائرين واللاعبين وقد قدرهم كاتب هذه السطور مرةً بنحو الالفين ما عدا الفين آخرين من عمال الكازينو . ويكون الازدحام على اشده في الليل واما في النهار فالاحوال اهدأ كثيراً جداً حتى لقد يتوهم الانسان ان ما ينقل عن شرور الكازينو مبالغ فيه

ولعل ادهش ما يأخذ بالعقول ثياب النساء وحليهنّ والذهب والالماس المتلألئان على صدورهن مما يخلب الالباب وينتقل بالمرء الى عالم الخيال . فكيفما اجلت طرفك ترى اولئك الكواعب يداعبن الرجال ويضاحكن كل من قد عطفت عليه الهة النصيب وقد اختلط حول الموائد الحابل بالنابل واجتمع الاشراف والنبلاء والاغنياء والسياسيون والتجار وغيرهم من سائر اقطار العالم . اما اللغة التي يتكلمون بها ففي الغالب الافرنسية

ومن افظع المشاهد ازدحام أولئك النسوة الفاتنات حول الرجال ومحاولة اقتناصهن بشراك لواحظهن. وكثيراً ما يهوين باللاعبين الى احادير الهلاك. وتجد الى جانبهن نساء متزوجات قد حملهن الطيش أو حب الاطلاع على زيارة ذلك المنتدى لمشاهدة ما يجري تحت قبابه من عظائم الامور. ولا شك ان عدد النساء في الكازينو اكثر من الرجال وهو باعث قوي على ازدحام اللاعبين وتوافدهم من سائر الانحاء. ومنذ نحو سبع سنوات ضاقت الردهات بالنساء والرجال فبنت شركة الكازينو ردهة أخرى كبيرة فاتسع المنتدى. ويقال ان للشركة عمالاً في اهم عواصم اوربا يشجعون الكواعب الحسان على الذهاب الى هنالك متى بدأ فصل القمار (من اواخر الخريف الى اوائل الصيف)

المقامرة

ومتى ابتدأ اللعب ترى الناس يندفعون بشوق وغيرة للجلوس حول المائدة. ثم يأتي الموظفون حاملين صناديق الذهب ويبسطونها امام اللاعبين ليزيدوهم شوقاً الى اللعب

ولكل من هؤلاء الموظفين عمل خاص فمنهم من يراقب اللعب ومنهم من يدير حركته ومنهم من يقبض الدراهم ممن يخسرونها ومنهم من ينقدها لمن يكسبونها. وكل تلك الاعمال تجري بدقة وعناية لامزيد عليهما. اما الذين وظيفتهم قبض الدراهم من الخاسرين فان الشركة تنتقيهم غالباً من القساة القلوب الذين لا تتأثر عواطفهم ولا يشفقون على من يقدم لهم آخر فلس في جيبه. ومن راقب اللعب رأى الذهب والفضة ينتقلان من يد الى يد بسرعة البرق. واذا راقب اللاعبين لم يرَ فيهم الا وجوهاً صفراء وعيوناً شاخصة وجباهاً تتصبب عرقاً وايادي ترتجف والرعب مستول على الجميع فلا يسمع الا رنة الذهب وصراخ المنادين

ويدور اللعب على « الروليت » ولعبة اخرى تعرف باسم « ترانت اي كارانت » او « الاسود والاحمر » ولا مجال هنا لشرحهما. انما نقول ان كل مائدة من موائد « الاسود والاحمر » تبتدىء براس مال مقداره مئة وخمسون الف فرنك. وهذه المبالغ تؤخذ من مصرف (بنك) الكازينو. واذا رافق السعد اللاعبين ونفد رأس المال المخصص باحدى الموائد (وهو ما يعبرون عنه بقولهم كسر البنك) بطل اللعب حول تلك المائدة الى ان يرد راس مال ثان من المصرف. على ان خسارة ذلك المبلغ لا تؤثر في مالية الكازينو بل بالعكس يشيع الخبر في طول الارض وعرضها فيتوارد

اللاعبون « ليجربوا بختهم » . ولا يخفى ان الذين يقصدون مونت كارلو لا يذهبون كلهم بقصد المقامرة ولكنهم متى رأوا موائد القمار بهر الذهب عيونهم فتراهم يجلسون الى موائد « الروليت » او « الاسود والاحمر » ويندفعون مع تيار اللاعبين

ويؤخذ من احصاء « الكازينو » ان الخمسة والتسعين ممن يلعبون يخسرون . ولا عجب في ذلك فان الشركة تنفق اكثر من مليونين فرنك سنوياً على المستخدمين والموظفين ولا تقل مكاسبها الصافية عن الخمسين مليون فرنك في السنة . وقد ترك المسيو بلانك مؤسس هذا المنتدى عند موته خمسة وستين مليوناً من الفرنكات ونصيحة للناس بان لا يلعبوا !!

ولكن المحزن في هذا المنتدى خسارة الارواح التي لا تعادلها خسارة مالية . و « الكازينو » يستخدم حراساً شديدي المراقبة لحركات من يمشي في الحديقة ممن قد هجرهم الحظ . وقد رأى كاتب هذه السطور مرة فتى عليه علامات اليأس والقنوط وهو يمشي في ممار الحديقة برأس مطرق الى الارض وكان يراقبه عن بعد احد الحراس الى ان اختفى عن الابصار . ولا يخفى ان الداخلين الى الكازينو لا يؤذن لهم بحمل سم او سلاح او عيار ناري وذلك تجنباً لحوادث الانتحار . ولهذا فان اكثر هذه الحوادث تقع خارج الكازينو — اما بين صخور سان ديفوت او في الفندق او القاطرة الحديدية . ومما يستحق الذكر ان على بعد خمسة ميل من الكازينو مقبرة المنتحرين وهي عبارة عن اربعة جدران تضم قبوراً كثيرة بسيطة قد كتب على بعضها « الى ولدي » وعلى غيرها « الى زوجتي » وعلى غيرها اقوال اخرى . وهي نهاية الذين سعوا الى حتفهم بظلفهم وخرجوا من هذا العالم لا اكثر ثروة ولا اقل فقراً

سفن ذهبية

تعودت وزارة البحرية الانكليزية ان تصنع امثلة من الشمع لكل السفن الحربية التي تبنيها . وهذه الامثلة يتراوح طولها بين ١٢ و٢٤ قدماً وهي تختبر في حوض طوله ٤٠٠ قدم وعرضه ٢٠ قدماً

ولدى امبراطور المانيا امثلة من الفضة تمثل نشوء السفن الحربية من السفن الشراعية الى احدث طرز

اما ملك الانكليز فعنده امثلة من الذهب او من الذهب والفضة للاسطول الانكليزي منذ اقدم الازمنة وهي بديعة الصنع في ادق اجزائها

هل تنكر اوربا ديونها الاهلية

بعد هذه الحرب ؟

يعتقد بعض علماء الاقتصاد ان الحرب الحاضرة ستؤدي الى تخفيض اجور العمال ونقل كثير من السلع التي تصنع في اوربا الى اسواق اميركا حيث تباع بابخس الاثمان فتزاحم التجارة الاميركية وتوقع الولايات المتحدة في ارتباك مالي عظيم . ولا يسعنا الآن ان نبسط الاسباب التي استندوا اليها في هذا الرأي وانما نقول ان جانباً كبيراً من كتاب اميركا وعلمائها الاقتصاديين ينظرون الى المستقبل بعين التشاؤم ويخشون ان تكون الاضرار المالية التي تحل ببلادهم اعظم مما لو دخلت في الحرب الاوربية الحاضرة

وقد نشر المستر ثيودور بريس اقدر كتاب الاميركان مقالة ضافية في مجلة «الاوتلوك» الشهيرة بحث فيها في امكان حدوث الازمة التي يتشاءم منها البعض ثم تطرق الى الكلام عن ديون الحكومات الاوربية الاهلية وهل يتوقع ان ترفض تلك الدول تسديدها . قال ما خلاصته :

ان الاشهر التي مرت على هذه الحرب قد اظهرت فساد زعم الذين كانوا يتوقعون حدوث ازمة مالية في اوربا تفلس بسببها كثير من المصارف المالية . فمصارف اوربا تعمل اليوم بدقة وثقة غريبتين وتدير دولاب الاعمال المالية كأنه لا حرب ولا قتال . نعم ان ديون اوربا الاهلية ستزيد بعد هذه الحرب زيادة فاحشة ولكن رجال الاموال قد قدروا للعواقب قدرها واتخذوا للازمات اهبتها

كانت ديون اوربا الاهلية قبل نشوب هذه الحرب كما يأتي : —

	جنيه
فرنسا	١٣٠٠٠٠٠٠٠٠
روسيا	٩٠٠٠٠٠٠٠٠
المانيا	٨٠٠٠٠٠٠٠٠
النمسا	٧٦٠٠٠٠٠٠٠
انكلترا	٧٠٠٠٠٠٠٠٠
المجموع	٤٤٦٠٠٠٠٠٠٠

وكانت اوربا تدفع من ربا هذا الدين ١٦٧٦٠٠٠٠٠ جنيه . ونفقاتها السنوية

تبلغ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٢٧٣ جنيه وكانت تجبو هذه الاموال كلها بواسطة ضرائب متنوعة تفرضها على نحو ثلاث مئة وخمسين مليوناً من السكان مقسمين على الوجه الآتي : —

روسيا	٠٠٠ ٠٠٠ ١٥٠ نفس
المانيا	٠٠٠ ٠٠٠ ٦٥
فرنسا	٠٠٠ ٠٠٠ ٤٠
النمسا والمجر	٠٠٠ ٠٠٠ ٥٠
بريطانيا العظمى	٠٠٠ ٠٠٠ ٤٥

فاذا فرضنا ان ربع هؤلاء السكان يربحون اجوراً وان متوسط ما يربحه الواحد منهم ستون جنيهاً في العام كان مجموع ما يربحونه جميعاً ٠٠٠ ٠٠٠ ٥٢٥٠ فاذا طرحنا من هذا مبلغ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٢٧٣ جنيه وهو نفقات اوربا السنوية بقي من مجموع الارباح مبلغ ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٩٧٧ جنيه اي بمعدل نحو ١١٫٤ جنيه من كل فرد وهذا المبلغ الزهيد يجب ان يقوم باود الفرد في السنة

وقد نشر المستر ادجار كراممند سكرتير بورصة ليفربول واحد مشاهير الاقتصاديين الانكليز مقالة في مجلة الاقتصاد الانكليزية حسب فيها خسائر الدول الاوربية فيما لو استمرت الحرب الحاضرة سنة كاملة اي حتى ٣١ يوليو المقبل . وهاك جدولا بالخسائر : —

بريطانيا العظمى

جنيه	
٠٠٠ ٠٠٠ ٧٠٨	نفقات نقدية
٠٠٠ ٠٠٠ ٣٠٠	خسائر النفوس (باعتبار العامل رأس المال)
٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥٠	خسائر الصناعة
٠٠٠ ٠٠٠ ١٢٥٨	المجموع

المانيا

٠٠٠ ٠٠٠ ٩٣٨	نفقات نقدية
٠٠٠ ٠٠٠ ٨٧٩	خسائر النفوس
٠٠٠ ٠٠٠ ٩٥٨	خسائر الصناعة
٠٠٠ ٠٠٠ ٢٧٧٥	المجموع

فرنسا

جنيه	
٥٣٣٤٠٠٠٠٠	نفقات نقدية
١٦٠٠٠٠٠٠٠	خسائر تخريب البلاد والاملاك
٣٤٨٠٠٠٠٠٠	خسائر النفوس
٦٤٥٠٠٠٠٠٠	خسائر الصناعة
١٦٨٦٤٠٠٠٠٠	المجموع

النمسا والمجر

٥٦٢٠٠٠٠٠٠	نفقات نقدية
١٠٠٠٠٠٠٠٠	خسائر تخريب البلاد والاملاك
٢٤٠٠٠٠٠٠٠	خسائر النفوس
٦٠٠٠٠٠٠٠٠	خسائر الصناعة
١٥٠٢٠٠٠٠٠٠	المجموع

البلجيك

٣٦٥٠٠٠٠٠	نفقات نقدية
٢٥٠٠٠٠٠٠٠	خسائر تخريب البلاد والاملاك
٤٠٠٠٠٠٠٠	خسائر النفوس
٢٠٠٠٠٠٠٠٠	خسائر الصناعة
٥٢٦٥٠٠٠٠٠	المجموع

روسيا

١٤٠٠٠٠٠٠٠٠	تقدير مجموع خسائرها

وبناء عليه يكون مجموع خسائر الدول الاربعة (في حالة استمرار الحرب سنة كاملة) ٩١٤٧٩٠٠٠٠٠ جنيه بقطع النظر عن خسائر سربيا والجبل الاسود وتركيا واليابان . ولا يخفى ان بعض الخسائر الموردة في الجدول السالف هي تخمينية وعرضة للتغير كخسائر النفوس والاملاك . على ان الامر الذي لا خلاف فيه هو ان مجموع الديون الاهلية للامم المتحاربة بلغ قبل الحرب ٤٤٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وانه لن تمر سنة كاملة على هذه الحرب حتى يتضاعف ذلك الدين الهائل . والضرائب الواجب فرضها «لاستهلاك» هذا الدين ودفع معاشات المستحقين ستكون شديدة الوطأة على كواهل شعوب لم يكن

متوسط ايراد افرادها قبل الحرب يتجاوز ١١٦٤ جنيه

على أن هنالك مشكلا يتساءل عنه الكثيرون اليوم وهو هل تدفع دول اوربا هذه الديون المتراكمة ؟

وقبل الجواب على هذا السؤال نرجع الى اسفار التاريخ . وقد قال برك السياسي الانكليزي الشهير ان الدين الاهلي هو بركة للمملكة . فساعد مبدأه هذا ممالك كثيرة على عقد القروض الاهلية ومن جملتها القروض التي قد عقدتها الدول المتحاربة اليوم ولما جاء الكسندر هاملتون الاميركي نقح المبدأ الذي جاهر به برك فقال ان الدين الاهلي هو بركة للامة اذا لم يتجاوز الحد المعقول. على ان الدول لم تراع هذا القيد فقد اندفعت في خلال القرن المنصرم الى عقد القروض الباهظة واسرع رجال الاموال الى شراء الاوراق التي اصدرتها الدول على خزائنها مفضلين استثمار اموالهم برباً قليل تضمنه الحكومات على استثمارها برباً اكثر تضمنه المصارف الصغرى

وقد نشرت مجلة بلاكود الانكليزية مقالة منذ ست وستين سنة اشارت بها الى اندفاع الناس اندفاعاً جنونياً لاستثمار اموالهم بين ايدي الحكومات منذ سنة ١٨٢٩ . ثم اشارت الى قروض متعددة عقدتها اليونان والبورتغال واسبانيا وغيرها وقالت ان هذه الدول لم تدفع ولا فلساً واحداً من ربا ستة عشر قرضاً عقدته

ومنذ زمن المقالة التي نشرتها المجلة المذكورة رفضت عدة دول ان تدفع ديونها الاهلية . ومع ان في لندن جمعية غايتها تحريض الامم على عدم اقراض الدول شيئاً من المال فالديون الاهلية لا تزال في ازدياد وتستطيع كل دولة حتى ولو كانت على شفير الافلاس ان تقترض الاموال التي هي في حاجة اليها

وقد ذكر التاريخ عدة امثلة رفضت فيها الدول تسديد المطلوب منها من ديونها الاهلية . فقد ذكر « هلام » في كتابه « تاريخ الدستور » ان البارلمنت الانكليزي في عهد هنري الثامن تنازل للملك عن جميع الديون والقروض التي كان قد عقدها بدون شرط ولا قيد . وقد افضى هذا الامر الى استياء عظيم لان الكثيرين من اصحاب الديون الذين كانوا قد اقترضوا من غيرهم اموالا بضمانة السندات التي بايديهم على الملك

وبعد ذلك بنحو عشرين سنة فعل البارلمنت امراً شبيهاً بذلك فانه اصدر امراً باعفاء الملك من جميع الديون التي كان قد عقدها . وان كان قد سدد شيئاً منها فيجب استرجاعه من الدائن الاصلي او من ورثته »

وكان الملك تشارلس الثاني مديناً بمبلغ مليون وثماني مئة الف جنيه . فامر باقفال

الخزينة وابى دفع الدين . واخيراً عقد اتفاقاً مع دائنيه على الاعتراف بمبلغ ٢٢٥ ٦٦٤ جنيهاً فقط وهذا الدين هو جرثومة دين انكلترا الاهلي

وحاول كثيرون من ملوك اوربا بعدئذ ان يتخلصوا من اعباء ديونهم اما برفض تسديدها او بتلاعبهم بقيمة النقود حتى اضطر تجار لندن ان يذكروا في سندات ديونهم ان التسديد يكون باعتبار قيمة الجنيه في مدن المحالفة الهانزية وكان الجنيه يسمى يومئذ ايسترليناً وقيمته في تلك المدن لا تتغير

ولما حصلت الثورة الفرنسوية حاول الشعب ان يتملص من ديون الحكومة الاهلية وذلك بتسديدها ورقاً عديم القيمة . وقد قدر المؤرخون ذلك الدين بنحو . . . . . ٤ ٦٢٣ ٦ فرنك اي نحو . . . ٩٣٦ ٢٦٤ جنيه فهذا الدين الهائل امرت حكومة الثورة بتسديده ورقاً وجعلت استعمال ذلك الورق الزامياً . ثم منعت تداول النقود المعدنية وجعلت الموت عقاباً لمن يتداولها او يرفض قبول عملة الورق . ولكن على رغم جميع هذه الاحتياطات ظلت قيمة عملة الورق تهبط هبوطاً مستمراً حتى كانت الاوراق التي قيمتها ثلاث مئة فرنك تباع بفرنك واحد فضة . واذ ذاك ابطلت الحكومة اصدار هذه الاوراق وابادت الصفائح والنقوش التي كانت تطبعها بها واحرقت ما قيمته مليار ومئة وسبعة وستون مليون فرنك املاً باعادة الاوراق الباقية الى قيمتها الاصلية . ولكن العلاج لم ينجح . وفي ١١ ابريل سنة ١٧٩٦ الغت الحكومة الاوراق الباقية واصدرت عوضاً عنها اوراقاً جديدة لكل مئة فرنك منها قيمة ثمانية عشر فرنكاً فضة ولكن هذه الاوراق ايضاً فشلت واصبح ما قيمته مئة فرنك منها يعادل فرنكاً واحداً فضة . وفي ٣١ مايو سنة ١٧٩٧ اصدرت الحكومة امراً جديداً بالغاء عملة الورق بتاتاً واطلقت للناس حرية التعامل بالنقود المعدنية . وعقب ذلك حوادث كثيرة افضت الى خفض الدين الاهلي الى ثلثي قيمته الاصلية ثم خفض الثلثان الى ثلاثين في المئة من الاصل ولم يمر زمن طويل حتى زال الدين من تلقاء نفسه

وقد حصل مثل هذا في تاريخ اميركا ايضاً فانه بعد حرب الجمهورية وجدت الولايات المتحدة نفسها مثقلة باعباء دين اهلي قدره مليونان ونصف من الريالات فرفضت تسديده

ويعتقد بعض علماء الاقتصاد ان ما حدث في عهد الثورة الفرنسوية بشأن الدين الاهلي لا يبعد ان يحدث اليوم ايضاً في اوروبا واذا حدث فيكون ذلك لخير الشعوب المختلفة والا اضطرت الحكومات ان تهبظ عواتق افرادها بالضرائب الفادحة لتسديد ديونها الاهلية او على الاقل لتسديد رباها الهائل

المناظرة والمراسلة

اللغة الفارسية واللغة العربية

حضرة محرر الهلال

طالعت في العدد الخامس من الهلال مقالة عنوانها تأثير اللغة العربية في لغات الشرق (وتأثيرها في اللغة الفارسية) وقد طلب مني بعض الفضلاء ان اكتب مقالة بهذا الصدد اودعها ما اعلمه بهذا الشأن فلبيت الطلب وكتبت ما يأتي

قال حضرة الاديب كاتب المقالة « اللغة الفارسية الحديثة التي يتكلم بها الفرس الآن هي اللغة الفارسية التي كانت شائعة في بلاد ايران قبل الاسلام فان هذه وتسمى البهلوية قد انقرضت امام اللغة العربية » (كذا)

والكتابة في هذا الموضوع تتطلب من الكاتب شرحاً طويلاً لان الايجاز لا يفي بالغرض المقصود وهو وقف القراء على الحقيقة الثابتة التي لا ريب فيها فاقول: (اولا) انه في عهد الدولة الساسانية (من سنة ٢٢٦ — ٦٥١ م) التي انتهت بانقراضها آخر دولة من دول الفرس في ايران . وفي اول مناداة الحضرة النبوية (صلعم) بدعوته كان ملك الفرس كسرى انوشروان العادل (٥٣١ — ٥٧٩ م) وقد اشار الى ذلك النبي (صلعم) بقوله ولدت في زمن الملك العادل انوشروان كسرى . واشار اليها ايضاً الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته الى معاوية بن ابي سفيان بقوله « نحن احق بالعدل من كسرى » . وكان الفرس على عهد هذه الدولة يتكلمون ويكتبون باربع لغات ترجع كلها الى اصل واحد ولكنها تفرع منها فروع مختلفة مع مرور الزمان . وايضاحاً لذلك نقول :

اللغة الاولى — لغة باستاني

كانت هذه لغة الدين عند الفرس يسطرون بها الشرائع الدينية وقد كتبوا بها كتاب «اوستا» ويعتقد الفرس الزردشتيون ان هذا الكتاب انزل على النبي زردشت منذ اثني عشر الف سنة . وبعض هذا الكتاب لم يزل محفوظاً عند طائفة الزردشتيين الايرانيين الموجود منهم الى اليوم قوم في بلاد ايران والهند [1] وكتاب « اوستا » يحتوي على تعليمات

(١) لا يزال في ايران والهند نحو مئتي الف نسمة من طائفة الزردشتيين الايرانيين

الهية وكلمات ربانية ومجموع مواضيع فلسفية وعلوم الهيئة والطبيعيات ، والقوانين المدنية ، والشرائع الدينية ، والمحكمات ، والمتشابهات ، والنصوص ، والرموز ، وعلم النباتات ، والرياضيات ، والقصص ، والتاريخ . ولغة هذا الكتاب فصيحة جداً بحيث يتعسر فهمها الا على المتصلين بها . ولذلك شرحها العلماء شرحاً وافياً وفسروها تفسيراً واضحاً في كتاب سموه « زند » باللغة الباستانية ومما يجب الاشارة اليه ان اللغات الثلاث الاخر التي سيأتي الكلام عنها تحتوي على بعض أصطلاحات قليلة من لغة باستاني . وكانت هذه اللغة محصورة بين طبقات العلماء ورجال الدين الزردشتيين (مؤبد ومؤبدان) . واعماماً للفائدة نورد آية من كتاب « اوستا » وهي : (سروش يشت هادوخت سروشم اشيم هورودم ورة تراجنم فراد دكيستم اشه دنم اشهه ربتم يرميده — يود ينود سودينيا اهمائه دينام ويسه يد اهور ومزدا اشروه) ومعنى هذه الاية مطابق للاية الكريمة الواردة في القرآن الشريف وهي : (قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) [١] . وكثير من الآيات الواردة في كتاب اوستا مطابقة تمام الطباق في المعنى والتأويل والتفسير لآيات التوراة والانجيل والقرآن وذلك لان كلمات الله تبارك وتعالى هي واحدة في كل آن وزمان ولكنها تتنوع بحسب القوم الذين تنزل عليهم

وكتاب الزند الذي شرح به العلماء كتاب الاوستا بلغ واحداً وعشرين مجلداً ثم قام بعدهم علماء آخرون وشرحوا كتاب الزند شرحاً وافياً وكانت جميع هذه الكتب محفوظة في دار الكتب « الاستخر (اصطخر) » بمدينة الفرس التي يسميها الافرنج Persépolis ولبثت محفوظة هناك حتى تغلب الاسكندر المقدوني على الملك داريوس الثالث سنة ٣٣١ ق . م . فاستولى على تلك الكتب جميعها . وقد روى مؤرخو اليونان كبلوطرخوس وغيره ان الاسكندر لما دخل عاصمة الفرس ظافراً امر وهو في حالة السكر باحراق المدينة ودار كتبها . واما المؤرخون الفرس فيقولون ان الذي حمل الاسكندر على ذلك هو غضبه وحقده وقالوا ايضاً انه استبقى كتب الصناعة والزراعة فارسلها الى مقدونيا وامر علماء اليونان بترجمتها الى اللغة اليونانية

وقد اجمع المؤرخون على اختلاف أجناسهم ان الاسكندر عندما برح من المدينة اسف اسفاً شديداً على حرقها وحرق ما فيها من النفائس ولا سيما الكتب الثمينة

(١) نقل من كتاب (فروع موزديسني) للعلامة الشهير (ميرزا كيخسرو شاهرخ كرماني زردشتي) وكيل الطائفة الزردشتية في مجلس شورى ايران

اللغة الثانية — لغة دري

كانت لغة دري (او درباري) هي اللسان الرسمي او لسان الملوك والوزراء وابناء السلاطين والحكام ويرجع عهدها الى ملوك كيانيان . ولما آل الملك الى بهمن بن اسفنديار سنة ٤٤٠ ق . م جمع الحكماء والعلماء والفضلاء وعهد اليهم في وضع قواعد لهذه اللغة حتى لا تمتزج باللغة الباستانية المار ذكرها وبغيرها من اللغات الاخرى وامر بجعلها لغة الكتاب والشعراء والموسيقيين فصدع العلماء بامره ووضعوا لهذه اللغة قواعد واصولا ساعدت على حفظ كيانها وعدم امتزاجها باللغات الاخرى ولا سيما لغة عامة الشعب ومن ذلك الوقت صاروا يكتبون بها الفرمانات السلطانية والاوامر العامة والعبارات التاريخية على الانصاب والحجارة وغيرها ولبثت هذه اللغة مستعملة نحو ٥٥٠ سنة حتى تغلب اسكندر المقدوني في سنة ٣٣١ ق . م

اللغة الثالثة — البهلوية

لم يطل حكم الاسكندر المقدوني وخلفائه في بلاد الفرس اكثر من ستين سنة ولما انقرضت سلطته تولى زمام الاحكام في البلاد ملوك متعددون من اسر مختلفة اشهرها اسرة (اشكانيان) وبمرور الزمان امتزج الفرس بالكلدان والسريان والاشوريين واليونان فانضى ذلك الى امتزاج اللغة فدخلت عليها الفاظ دخيلة عديدة ولبث الحال على هذا المنوال خمسمائة سنة كاملة الى ان انتهت السلطة الى الملوك الساسانيين وعلى عهدهم ظهر في ايران عالم شهير وحكيم نابغة من اذربيجان يدعى (پهله) فرأى اللغة الفارسية عبارة عن خليط من لهجات ولغات مختلفة فقدح زناد الفكرة وبعد عناء شديد وتعب طويل استخرج من جميع اللغات المعروفة في ذلك العهد واخصها لغتي دري والاوستا ولغات الاجانب لغة واحدة عرفت فيما بعد باللغة البهلوية نسبة الى واضعها

وبعد مرور عدة اعوام رأى الملوك الساسانيون ان البلاد خالية من الكتب الدينية والادبية ولا سيما كتاب الاوستا وشرحه كتاب الزند وقد قلنا سابقاً ان الاسكندر احرقها كلها : فبذل الملوك الجهد في البحث والتنقيب في جميع انحاء البلاد فوجدوا جزءاً واحداً وبعض جزء من كتاب الاوستا الذي كان واحداً وعشرين جزءاً وعلى اثر ذلك عقدوا مجمعاً علمياً عهدوا اليه في شرح كتاب الاوستا وشرح كتاب الزند ففعلوا ووضعوا كتاباً ضافياً باللغة الباستانية وكان ذلك الشرح الثالث المسمى « پازند » ولما انتهى العلماء من عملهم راى الملوك ان لغة الشرح غامضة يصعب فهمها على العامة فعهدوا الى العلماء في وضع شرح ضاف باللغة البهلوية عرف بكتاب (دساتير) وفي هذا العهد

شاعت ثلاث لغات وهي الدينية والملكية والعامية . ثم اخذ الشعراء مع توالي الايام ينظمون أشعارهم باللغة البهلوية واشعارهم هذه التي نظموها قبل ظهور الاسلام بمائتي عام ما زالت موجودة الى يومنا هذا : وهذا دليل واضح على عدم انقراض اللغة البهلوية واوضح منه ان من كل عشر كلمات من اللغة الفارسية المستعملة الان اربع كلمات او خمس باللغة البهلوية . وتأييداً للكلام نستشهد بالبيت الآتي المأخوذ من ابيات كانت منقوشة في قصر شرين بالخط المسماري بقرب كرمانشاه

(هش برا بكيهان انوشه بزي جهان را بديدار توشه بزي)

(ومعناه : يا اشجع الشجعان نرجو لك طول البقاء في هذه الحياة بالعز والوقار والدنيا تزدهي برؤيتك) ففي هذا البيت خمسة الفاظ بهلوية وهي : (هش بر) (كيهان) (زى) (جهان) (ديدار) مستعملة حتى الآن في اللغة الفارسية

اللغة الرابعة — لغة دباري

شاعت هذه اللغة من عهد قديم بين سكان الجبال والقبائل والعشائر الرحل الفارسية وهي ذات لهجات عديدة واصطلاحات مختلفة بحيث ان القبيلة التي تبعد عشرين ميلا عن القبيلة الاخرى لا تفهم مصطلحات جارتها : ومما يجب الاشارة اليه ان تقلبات الزمان والدول لم تؤثر في هذه اللغة أقل تأثير بل بقيت محفوظة الى اليوم كما كانت منذ اجيال عديدة وهذه اللغات الاربع ترجع الى اصل واحد وقواعدها من حيث الصرف والنحو والمعرب والمبني واحدة وكان فريق من علماء البلاد يحسنون اللغات الاربع المار ذكرها

بقاء اللغة الفارسية ازاء اللغة العربية

عند ظهور الاسلام كانت اللغة الفارسية اربع لغات كما ذكرنا آنفاً وهي : اللغة الدينية ، والسياسية ، والادبية ، والعامية . ومع انه في هذا العهد اي في صدر الاسلام كثر اختلاط الفرس بالعرب لبثت اللغة على حالها حتى انه في هذا العصر يوجد كثيرون من فضلاء الفرس المسلمين والزردشتيين يحسنون الاربع اللغات السابقة ويكتبون بها دون ان يدخلوا في كتاباتهم الفاظاً عربية . وبين مؤلفات الفرس الحديثة عدة كتب مكتوبة باللغة الفارسية بالنثر والنظم ككتاب « شاهنامه » (تاريخ المنظوم) للحكيم ابو القاسم الفردوسي الطوسي المتوفي ٤٠٠ ﻫ وهذا الكتاب يحتوي على ستين الف بيت من الشعر وكذلك تاريخ « نامه خسروان » لجلال الدين ميرزا وغيرها كثير

واذا توسعنا في الموضوع نقول أنه لا يخفى على احد امر الغزوات والحملات التي حملها العرب على ايران والايرانيين وخضوع البلاد والنفوس لخلفاء العرب واختلاط الفرس بالعرب ومع كل هذه المؤثرات فان الفرس احتفظوا بلغتهم ومدنيتهم تمام التحفظ وتأييداً لكلامنا نورد الروايتين الآتيتين :

شدد الخلفاء في اول ظهور الدولة العباسية (١٣٢—٦٥٦ هـ) النكير على الفرس وحظروا عليهم التكلم والكتابة باللغة الفارسية اذ حكموا حكماً قالوا فيه « يكفي المسلمين كتاب الله » وبذلك ألبسوا هيكل السياسة اللباس الديني. وكان الخلفاء وعمالهم يسومون كل من يتكلم ويكتب باللغة الفارسية سوء العذاب والهوان ومن ذلك ان عبد الله المأمون الخليفة السابع من خلفاء بني عباس (سنة ١٩٨ — ٢١٨ هـ) الذي اشتهر بالعلم والفضل ونشر الوية العرفان في البلاد كان موجوداً (سنة ١٩٩ هـ) في مرو شاه جهان عاصمة خراسان . ووافق حضوره حلول عيد الاضحى فاعلنوا ان بابه مفتوح لكل من يريد مقابلته فتوافدت عليه الجماهير من كل جهة وصوب ومن الجملة نحو اربعمائة وجيه من امراء خراسان وما وراء النهر وتركستان وأعيانها فلما مثلوا بين يديه واستقر مجلسهم وقف الشعراء يتلون قصائد التهاني باللغة العربية وعلى أثر ذلك رفع المأمون رأسه وقال للحاضرين : هل يوجد بينكم من يكتب ويتكلم باللغة الفارسية وينظم الشعر بها ؟ فلم يرد أحدهم عليه جواباً ثم كرر السؤال واذ ذاك نهض شاب فارسي يدعى عباس في الخامسة والعشرين من عمره فدعا للخليفة وقال : اني يا امير المؤمنين احسن الكتابة والنظم باللغة الفارسية . فاجابه الخليفة : مرحباً بك . على من تخرجت ؟ فقال الشاب : ان والدي كان أديباً فاضلاً عالماً نحريراً فكان كل يوم يدخلني سرداباً في البيت ويعلمني اللغة الفارسية . فقال له الخليفة ان كنت صادقاً في كلامك فارتجل ابياتاً باللغة الفارسية امدحني بها فاخذ الشاب قرطاسا ويراعا وكتب قصيدة هذا مطلعها

اى رسانيده بدولت فرق خودتا فرقدين گسترانيده بجودو فضل در عالم يدين

ومعناه (ايها الامير ان عظمة دولتك تسامت حتى بلغت الفرقدين وبسطت ايادي سخائك ونداك على العالمين) ولما انتهى من تلاوة قصيدته صفق له الحاضرون وصاحوا بصوت واحد : احسنت اجدت . وفيما الناس يهتفون للشاعر امر المأمون باحضار الجلاد وامره بقطع رأس الشاعر فقطعه في ذلك المجلس الحافل فدهش الحاضرون واستولى عليهم الذهول ووقع الرعب في قلوبهم وطارت أفئدتهم شعاعاً وشحبت وجوههم ولم ينبث احدهم ببنت شفة

ولما رأى المأمون القوم صامتين كان على رؤوسهم الطير قال : لا ريب انكم حكمتم جميعكم علي باني ظالم جبار لأني قتلت هذا الشاب ولكن السياسة تقضي بذلك وللسياسة أسرار يجهلها الناس ومن هذه الاسرار انه اذا وجد بين امة مغلوبة على امرها شاعر مجيد فانه يستطيع بشعره اثارة الاحقاد واستفزاز الهمم لاثارة قومه على الامة الغالبة فيوقعها في مشاكل واضطرابات هي في غنى عنها ولذلك من صواب الرأي قتل هذا الشاعر الاديب (١)

وعلى أثر ذلك اصدر أوامره الى جميع الولاة والحكام في جميع انحاء بلاد الفرس بتفتيش منازل الايرانيين وإبادة مايجدون فيها من الكتب والمخطوطات الفارسية وقد ساء العمال استعمال السلطة فساموا الكثيرين صنوف العذاب والهوان واتخذوا ذلك وسيلة للتعذيب ونهب الاموال ولم يقتصر المأمون على ذلك بل اصدر الاوامر المشددة بان تكون الفرمانات والاوامر باللغة العربية وجعلها لغة الدواوين الرسمية

ولما وقع الخلاف بين المأمون والامين على الخلافة وقامت بينهما حرب افضت الى انتصار المأمون في سنة ١٩٨ هـ واستتباب الامر له عين الامير عبدالله بن طاهر ذي اليمينين حاكما على خراسان وحكم عليه وامره بتعريب الفرس وابادة كتبهم وآدابهم واحلال اللغة العربية محلها

وحدث في اول حكم الامير عبد الله بن طاهر ان احد افاضل الفرس قدم اليه واهداه كتاباً فارسياً نفيساً مكتوباً بخط جميل على ورق حرير ومنقوش بالذهب والالوان الثابتة واطرافه مذهبة فسأله الامير ما هذا الكتاب فاجابه انه كتاب يحتوي على قصة (وامق وعذرا) كتبه احد حكماء الفرس الى الملك كسرى انوشروان باللغة البهلوية وانه كتاب ثمين نادر الوجود : فاخذ الامير الكتاب وامر خادمه ان يطرحه في حوض ماء ففعل وقال ان لدينا القرآن والاحاديث النبوية ولا حاجة لنا بكتب الزندقة هذه . ثم صفع الرجل وامر بضربه وطرده وعلى أثر ذلك اصدر امره الى جميع العمال بتفتيش منازل الفرس وابادة ما فيها من الكتب والمخطوطات الفارسية (٢) وقد دفن بعض الناس كتبهم في بطون الارض خوفاً عليها من ايادي الحكام . ومنذ خمس سنوات وجدوا في اراضي تركستان الصينية اثني عشر كتاباً فارسياً قديماً باللغة البهلوية فاخذها

(١) نقل من كتاب تذكرة الشعر للامير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي المتوفى ٨ ٢ ٩ هـ

(٢) نقل من كتاب لباب الالباب للمحمد نور الدين محمد بن محمد بن يحيي بن طاهر بن عثمان العوفي البخاري المتوفى ٦٢٥ هـ

علماء الالمان لترجمتها في برلين

وفي عهد الخلفاء العباسيين استعمل عمالهم في بلاد ايران اللغة العربية واصدروا بها الفرمانات والاوامر ودام الحال على هذا المنوال حتى ظهر ملوك الصفارية في سيستان سنة ٢٥٣ — ٣٠١ هـ وملوك سامان سنة ٢٦١ — ٣٨٩ هـ فاعاد هؤلاء اللغة الفارسية وانقذوها من تحت نير الاستبداد واخذ الشعراء ينظمون القصائد باللغة الفارسية ويمدحون بها الملوك ولما ظهرت دولة السلجوقيين سنة ٤٣٢ — ٥٩٠ هـ وقام منها الملك الب ارسلان چغر بك سنة ٤٥٥ — ٤٦٥ هـ وهو الملك الثاني من ملوك السلجوقيين وكان قد استوزر ابو النصر كندري عميد الملك هذا امر رسمياً بتغيير سجلات الحكومة وفرماناتها العربية وجعلها كلها باللغة الفارسية واصبحت اللغة الفارسية بعد ذلك في جميع انحاء بلاد ايران وانقرضت اللغة العربية من البلاد ولكن نشأت لغة حديثة من بعض الكلمات العربية والكلمات الفارسية وكتب بعض العلماء تآليفهم وتصانيفهم باللغة العربية

هذا ما اردت كتابته بهذا الصدد موجزاً بقدر الامكان ولو اردت تفصيل ذلك لاحتجت الى متسع من الوقت والمكان وفوق كل ذي علم عليم

الحاج ميرزا عبد المحمد ايراني
مدير جريدة چهره نما الفارسية بمصر

دموع ابن معتوق الاربع

حضرة محرر الهلال

قرأت في هلال ابريل رأيكم في الدموع الاربع الواردة في بيت ابن معتوق وهو

وتشاركت في قتل نومي خمسة سهر الليالي والدموع الاربع

حيث ذهبتم الى ان المراد من ذلك هزع الليل الاربعة التي ما فتيء الشاعر يبكي فيها

وقرأت في هلال مايو رأي احد الادباء في ان الدموع الاربع هي دموع اربعة ارزاء اصابت الشاعر مثل موت قريب او نأي حبيب وما اشبه ذلك فتزاحمت تذكارات هذه المصائب في باله فجعلته يقضي الليل باكياً

وانا لي كلمة اقولها في هذه الدموع وهي انه اذا لم يكن الناظم قد جعلها اربعاً لا واحداً او اكثر استحضاراً للقافية وعدم مبالاة بمذاهب المفسرين فالاقرب في رأيي ان تكون

الامراض الوافدة

في الحروب الماضية والحاضرة

يتوقف اجل الحرب على عوامل شتى بعضها حربي وبعضها اقتصادي وبعضها صحي . وسنقتصر في هذه المقالة على البحث في العوامل الصحية التي قد تؤثر في سير الحرب الحاضرة واجلها

ولكي يفقه القارىء اهمية هذه العوامل لا بد لنا من ايراد بعض الارقام للمقابلة بين عدد الجنود الذين يقضون على أثر امراض وافدة والجنود الذين يموتون على اثر جراحهم . ففي حرب السبعين كان عدد المرضى من الالمان ٤٢٠٠٠٠ حالة ان الجرحى لم يجاوز عددهم ١١٦٠٠٠

وقد تساءل مؤخراً نفر من كبار الاطباء في انكلترا واميركا هل الامراض المعدية من البواعث الفعالة التي تؤدي الى تقصير اجل الحرب . واذا رجعنا الى التاريخ وجدنا ان اهم الامراض التي كانت تفتك بالجيوش منذ قديم الزمن والتي ربما كان لها يد في انهاء هذه الحرب هي : الحمى التيفوئيدية والتيفس والهواء الاصفر (الكوليرا) والديزنتاريا فلننظر في كل منها وتاريخها في الجيوش الغابرة والحاضرة

١ — الحمى التيفوئيدية

كانت الحمى التيفوئيدية اكبر حاصد للجيوش في ساحات القتال منذ اقدم الازمنة . وفي كل الحروب التي سبقت الحرب الحاضرة كان عدد الوفيات بها وحدها يفوق عدد الوفيات بالاسلحة النارية . ففي حرب روسيا مع تركيا (سنة ١٨٧٧ — ١٨٨٨) كانت الوفيات في جيش الدانوب الروسي وحده ٧٢٠٧ بالحمى التيفوئيدية حالة ان الوفيات على اثر الجراح كانت ٤٦١٣ . وكانت الوفيات في جيش القوقاز الروسي ايضاً ٨٩٠٠ ولم تقتل الاسلحة النارية في ذلك الجيش الا ١٩٧٥ . وكذلك في سائر الحروب التي حدثت بعد هذه الحرب فقد كانت الوفيات على اثر الحمى التيفوئيدية تفوق الوفيات من جراح الاسلحة . فاذا نظر الباحث الى تلك الحروب خشي ان يكون شأن الحرب الحاضرة كشأنها لا سيما وان كثرة الجنود المتلاصقين في الخنادق تسهل انتشار هذا المرض وفتكه

ومما لا ريب فيه ان الحرب الحاضرة ستظهر فضل سلاح جديد لمحاربة الحمى التيفوئيدية وهو التلقيح ضد التيفوئيد الذي عم انتشاره بين الجيوش وظهرت آثاره الحميدة فيها . ويكفي لاثبات فائدة هذا التلقيح ان نلقي نظرة الى بعض الاحصاءات في هذا الشأن وابلغها احصاء نشره في نيويورك احد الاطباء وقال فيه ان الوفيات في سنة ١٩١٢ كانت ١٦٥ في كل ١٠٠٠٠٠ من سكان الولايات المتحدة غير الملقحين حالة انها كانت صفراً في ١٠٠٠٠٠ جندي من الملقحين ضد التيفوئيد

ولا بد من ثلاثة سؤالات تخطر للقارىء وهي :

١ً ما هي درجة الوقاية الناشئة عن التلقيح ضد التيفوئيد ؟

فالجواب ان هذا التلقيح اليوم لا يمنع تفشي المرض منعاً باتاً ولكنه يقلل امكان حدوثه ويرجح وقايته . والامل عظيم بتحسين مادة التلقيح حتى تصبح اشد تأثيراً

٢ً ما هي المدة التي يبقى فيها تأثير التلقيح في الجسم ؟

والجواب ان هذه المدة لا تقل عن سنتين

٣ً هل من اضرار لهذا التلقيح ؟

والجواب ان الاصابات التي تحدث على أثر التلقيح قليلة جداً تكاد لا تستحق الذكر

وقد نشرت الحكومة الانكليزية منشوراً صحياً يتعلق بهذا المرض جاء فيه : «من ٤٢١ مصاباً بالحمى التيفوئيدية منذ بدء هذا الحرب كان ٣٠٥ غير ملقحين . وقد توفي منهم ٣٥ كان ٣٤ منهم لم يلقحوا منذ اكثر من سنتين »

٢ — الكوليرا او الهواء الاصفر

لم يظهر لهذا الداء أثر لغاية الآن في الميدان الغربي ولكن يظهر انه فتك فتكاً عظيماً في الميدان الشرقي بالجيوش النمساوية والصربية وبعض الجيوش الروسية . وتدل المعلومات التي نشرتها الحكومة النمساوية انها قاومت هذا الوبأ بواسطة التلقيح ايضاً ونجحت في محاربته اكثر مما في محاربتها مع الروس . والارقام الآتية تبين فائدة التلقيح : فمعدل الاصابات في العشرة آلاف ٢ للجنود الملقحين مرتين ضد الكوليرا و١٥ للملقحين مرة واحدة و٥٠ لغير الملقحين

والخلاصة انه لا خوف من فتك الهواء الاصفر في هذه الحرب كما انه لا خوف من الحمى التيفوئيدية بفضل التلقيح

٣ — التيفس

لا يميز كثيرون بين الحمى التيفوئيدية والتيفس وقد ظل العلماء الى امد قريب يجهلون الفرق بينهما . اما اليوم فقد عرف الاطباء التيفوئيد وميكروبه ودواءه ولكنهم لا يزالون يجهلون منشأ التيفس ودواءه

وقد فتك التيفس بالجيوش الماضية فتكاً ذريعاً ولعله كان على اشده في حملة نابليون على روسيا . ففي جيش عدده ٣٦٠٠٠ نفس توفي ١٣٠٠٠ على أثر الاصابة به . ويرجح ان فعله كان شديداً في الجيوش الصربية والمجرية وفي بروسيا الشرقية في هذه الحرب

ولا يعرف احد منشأ هذا المرض وطرق الوقاية منه هي طرق الوقاية العامة في المأكل والمشرب والملبس وعلى كل حال فان اتباع الوسائل الصحية تقلل خطر هذا الوبأ على الجيوش المتحاربة

وعلى الاجمال يمكننا ان نستنتج مما تقدم انه لا يخشى على الجيوش الحاضرة من فعل الاوبئة الذريعة بفضل التلقيح والوسائل الصحية التي اصبح لها المقام الاول في كل جيش

ويا ليت العلماء اكتشفوا ادوية للتلقيح ضد البغضاء والحسد ومرض العظمة فيخففون ويلات الجنس البشري ومصائبه !

الرجال العظام والاستيقاظ الباكر

من حسن الاتفاق ان معظم الرجال الذين يديرون شؤون الامم الاوربية في هذا الوقت قد تعودوا القيام باكراً . اولهم امبراطور المانيا فانه ينام دائماً في الساعة الحادية عشرة ويقوم في الساعة الخامسة صباحاً . وملك ايطاليا يقوم عادة في الساعة السادسة اما ملك البلجيك فانه يترك سريره في الساعة الخامسة ويتناول فطور الصباح في الساعة السابعة

ويكتفي لورد كتشنر كل يوم بست ساعات نوماً . اما السر جون فرانش فانه يحتمل السهر كثيراً ولا يهمه اين ينام ولا كيف ينام . ومثله اللورد فيشر فانه لا يوجد في سريره ابداً بعد الساعة الخامسة

وقد ذكر المؤرخون ان ولنتن ونبوليون كانا ينامان قليلاً ويحكى عن الاول انه كثيراً ما كان ينام على ظهر فرسه

تاريخ الشهر

اهم وقائع الحرب

(تابع لما في الاجزاء الماضية من الهلال)

في ٢١ مايو — هجم الالمان على التل رقم ٦٠ الذي كانوا قد فقدوه فارتدوا بخسارة كبيرة

في ٢٢ منه — بدأ الالمان يهجمون مرة أخرى للوصول الى كاله فاستعانوا بالغازات السامة واخذوا بعض الخنادق من الفرنسويين بعد اجتيازهم نهر الايزر وانزل الحلفاء بعض الجنود في غاليبولي

في ٢٣ منه — هجمت الفرقة الكندية على الالمان بين ستنسترات ولانجمرك فاستردت اربعة مدافع كان الالمان قد اخذوها

في ٢٤ منه — استولى الالمان على قرية ليزرن الواقعة على الضفة اليسرى من نهر الايزر ولكن الزواف والبلجيكيين استرجعوها منهم

في ٢٥ منه — رد الحلفاء الالمان على الضفة اليمنى من نهر الايزر وهاجم الالمان الانكليز شمالي ابر فردهم هؤلاء وبدأ الهجوم العام على الدردنيل براً وبحراً

في ٢٦ منه — عاد الالمان الى استعمال الغازات الخانقة فهاجموا الحلفاء شمالي ابر ولكنهم اندحروا بخسارة فادحة . والقى الطيارون الانكليز القنابل على محطات السكة الحديدية في تركوين وستادن وروبيه ولانجمرك وعدة مدن اخرى واستولى الفرنسويون على هتاس

في ٢٧ منه — صد الحلفاء هجوم الالمان نهائياً فالتجأ هؤلاء الى استعمال الغازات السامة لصد الحلفاء عن التقدم ونسفت غواصة نمسوية البارجة ليون غمبتا في بحر الادرياتيك فغرق معها نحو ٦٠٠ نفس

في ٢٨ منه — تقدم الحلفاء في غاليبولي واحتلوا مواقع منيعة ودفعوا الاتراك امامهم

في ٢٩ منه — ظهر بلون الماني مسير على سواحل انكلترا فالقى القنابل على ابستش وبري سان ادمند فتلفت بعض البيوت ولكن لم يقتل احد . واطلق الالمان القنابل على دنكرك من مسافة بعيدة

في اول مايو — حدثت معركة بحرية في بحر الشمال خسر فيها الانكليز سفينة لنقل الجنود وغرق معها ٣٥ شخصاً . اما الالمان ففقدوا نسافتين . واعاد الالمان الكرة على التل نمرة ٦٠ فارتدوا مدحورين الى الوراء

في ٢ منه — اعلن الالمان ان مقدمة جيشهم وصلت الى الجنوب الغربي من ميتو فاصبحوا على بعد ٢٨ ميلاً من ريجا الواقعة على ساحل بحر البلطيك . ودحر الفرنسويون الالمان شمالي ايبر

في ٣ منه — ادعى الالمان بانهم انتصروا على الروس في غربي غاليسيا

في ٤ منه — استعاد الانكليز تنظيم خطوطهم امام ايبر وهجم الالمان عليهم فردهم هؤلاء على الاعقاب وتقدم الحلفاء في الدردنيل

في ٥ منه — استعمل الالمان الغازات السامة فاستولوا على جانب من تل نمرة ٦٠ . وتراجع الروس في بعض المواقع في غاليسيا الى خطوط الدفاع الثانية

في ٦ منه — استعاد الانكليز بعض الخنادق التي خسروها في التل نمرة ٦٠ . وادعى الالمان انهم استولوا على مضيق دوكلا في جبال كرباثيا

في ٧ منه — نسفت غواصة المانية الباخرة لوزيتانيا الكبيرة بقرب سواحل ارلندة فغرق معها اكثر من الف نفس

في ٨ منه — هاجم الالمان الانكليز شرقي ايبر فردهم هؤلاء . واستولى الالمان على ميناء ليبو

في ٩ منه — هاجم الانكليز الالمان بقرب فورميل واستولوا على بعض الاراضي وردوا خمس هجمات للالمان وهاجم الفرنسويون الالمان شمالي اراس وجنوبي كارنسي فاستولوا على بعض الاراضي

في ١٠ منه — احرز الفرنسويون انتصاراً جديداً في شمالي اراس واسروا ثلاثة آلاف من الالمان . وزحف الالمان في غاليسيا حتى اصبحوا على بعد ٤٠ ميلاً من برزميسل . والقى بلون الماني مسير مئة واربعين قنبلة على سوث اند فقتل امرأة

في ١١ منه — دحر الانكليز الالمان شرقي ايبر وحصدوهم بالمدافع السريعة واستولى الفرنسويون على حصن منيع في نوتر دام دي لورات شمالي اراس واحاطوا بكارنسي

في ١٢ منه — استولى الفرنسويون على جانب من نوفيل سان فاست وضيقوا الخناق على كارنسي وارسل المستر ولسون رئيس الولايات المتحدة مذكرة شديدة اللهجة الى المانيا بشأن اغراق الباخرة لوزيتانيا

في ١٣ منه — تقدم الحلفاء على جميع خطوط القتال الغربي

في ١٤ منه — انتصر الانكليز على الالمان في مستعمرة جنوبي افريقيا

في ١٥ منه — تقدم الحلفاء في الميدان الغربي شمالي اراس والى الجهة الشرقية من ايبر

انتقال عظمة مولانا السلطان

الى الاسكندرية

في ٢٣ مايو من الشهر الفائت انتقل عظمة مولانا السلطان الى مصيفه في الاسكندرية فكان له حفلة وداع باهرة في القاهرة وحفلة استقبال شائقة في الاسكندرية

الوزارة المصرية

وقع في خلال الشهر الفائت تغيير طفيف في الوزارة المصرية نتج عن استعفاء صاحب المعالي اسماعيل باشا صدقي وزير الاوقاف وحلول صاحب المعالي ابراهيم باشا فتحي (مدير الغربية سابقاً) محله

دخول ايطاليا في الحرب الحاضرة

اهم حادث وقع في الشهر الماضي دخول ايطاليا في الحرب الاوربية الحاضرة الى جانب الحلفاء . وقد كان دخولها منتظراً منذ زمن طويل ولكن تأجل الى حين انعقاد مجلس النواب الايطالي في ٢٠ مايو الفائت . وكان المسيو سلاندرا رئيس وزراء ايطاليا في مقدمة القائلين بوجوب انضمام ايطاليا الى الحلفاء ومحاربة النمسا ولكن حزب المسيو جيلوتي الوزير الايطالي السابق كان يعارض سياسة المسيو سلاندرا ويشير بالتزام الحياد الى حين انتهاء الحرب . فادت هذه المعارضة الى استعفاء وزارة المسيو سلاندرا ولكن الملك ابى قبول الاستعفاء واعاد الوزارة الى منصبها . ولما عقد مجلس النواب الايطالي

حفلة تذكارية

لمؤسس الهلال المرحوم

تحت رعاية حضرة صاحب المعالي عدلي باشا يكن وزير المعارف

في اليوم الثامن والعشرين من الشهر الفائت عقد نادي الاتحاد السوري حفلة شائقة تذكاراً للمرحوم جرجي زيدان مؤسس الهلال تحت رعاية حضرة صاحب المعالي عدلي باشا يكن وزير المعارف . وقد استعان النادي السوري على تخليد ذكر الفقيد بلسان نخبة شعراء مصر وكتابها الافاضل

وما أزفت الساعة الخامسة والنصف من اليوم المذكور حتى كانت قاعة نادي الاتحاد السوري قد ازدحمت بكرام الزائرين والزائرات من علية القوم ووجهائهم وعدد من الوفود الذين قدموا العاصمة لحضور هذه الحفلة بالنيابة عن جمهور الادباء في سائر انحاء القطر المصري . وكان يتقدم القوم صاحب السعادة اسماعيل باشا حسنين وكيل وزارة المعارف نائباً عن صاحب المعالي وزير المعارف وفضيلة الاستاذ الشيخ سليمان العبد شيخ السادة الشافعية نائباً عن فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر لانحراف صحته وفضيلة الاستاذ العلامة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية وسيادة مطران الروم الارثوذكس ومندوبو بطاركة الطوائف المختلفة واصحاب السعادة عثمان باشا مرتضى وعثمان باشا راغب وعبد الخالق باشا مدكور واسماعيل باشا اباظه وعزيز باشا كحيل وسعيد باشا شقير وقليني باشا فهمي والشيخ محمد الخضري وكيل مدرسة القضاء الشرعي والشيخ محمد المهدي الاستاذ في الجامعة المصرية ومدرسة القضاء الشرعي والدكتوران صروف ونمر صاحبا المقطم والمقتطف والدكتور شبلي شميل وتادرس بك المنقبادي صاحب جريدة مصر والكونت ميشيل زغيب والسيد رشيد رضا صاحب المنار فضلاً عن عدد وفير من السيدات الكريمات والكاتبات الاديبات وجمهور غفير من افاضل القوم الذين يضيق المقام عن ذكر اسمائهم وعددهم يزيد عن الخمس مئة من اطباء ومحامين ومهندسين وكتاب واساتذة وموظفين الخ . . وكان رئيس الجمعية الهمام ميشيل بك لطف الله واعضاء لجنتها الادارية يقابلون المدعوين حتى اذا ما تم عقد نظامهم ارتقى رئيس الجمعية منبراً قد علقت فوقه صورة الفقيد ووضعت عليه مؤلفاته وجلس الشعراء والخطباء وعائلة الفقيد الى يمين المنبر ووفود الاقاليم الى شماله فافتتح الرئيس الحفلة بكلمات جامعة استرعت الاسماع . وتلاه بقية الخطباء والشعراء

فحمل حضرة الكاتب الفاضل سليم افندي سركيس منظم هذه الحفلة يقدمهم واحداً واحداً الى الجمهور

وكانت القصيدة الاولى لامير الشعر احمد بك شوقي الذي اعتذر عن الحضور فتلاها حضرة الشاعر الكبير حافظ بك ابراهيم فوقعت الفاظها العذبة ومعانيها الشائقة اعظم وقع في النفوس فصفقوا له مراراً

وتلاه حضرة الكاتب البليغ والمؤرخ الشهير رفيق بك العظم فخطب في خدمة الفقيد للتاريخ وافاض في بيان فضله وعلمه

وجاء بعده حضرة الشاعر الفاضل حفني بك ناصف المفتش الاول للغة العربية في وزارة المعارف فالقى قصيدة بديعة الاسلوب

ثم تلا انطون افندي الجميل منشىء مجلة الزهور قصيدة عصماء لحضرة الشاعر المبدع والكاتب البليغ ولي الدين بك يكن كلها غرر ودرر

وبعد ذلك وقف حضرة سليم افندي سركيس فقال جاء دور «الخطيب الصامت» (على ما كان مذكوراً في بروجرام الحفلة) ثم اشار الى صورة الفقيد وقال هذا هو الخطيب الصامت وخطبته هي مؤلفاته المعروضة امامكم على هذه المائدة فهل بين خطب الخطباء ما هو ابلغ من هذه الخطبة ثم طلب من الحاضرين ان يقفوا احتراماً لهذا الموقف المهوب فوقفوا جميعاً

وعاد الخطباء والشعراء الى القاء خطبهم وتلاوة قصائدهم فخطب حضرة الشاعر الناثر انطون افندي الجميل في مؤلفات الفقيد فذكرها كلها وبين خدماته العلمية الجليلة واسترسل في الوصف والتشبيه بافصح لسان فأثرت اقواله في النفوس

وتلاه حضرة الخطيب الفاضل نعوم بك شقير مدير قلم التاريخ في وزارة الحربية فخطب في الفقيد صديقاً واب عائلة فوفى هذا الموضوع حقه من البيان وابدى في اقواله من الاخلاص وصدق الوداد ما اجمع الحاضرون على استحسانه والاعجاب به

والقى حضرة الشاعر المجيد الدكتور شدودي قصيدة بديعة من السهل الممتنع نالت اعجاب السامعين فصفقوا له تكراراً واستعادوه مراراً

وخطب حضرة الكاتب الفاضل داود افندي بركات رئيس تحرير الاهرام في حياة الفقيد فكان لكلامه احسن وقع في النفوس

وتلاه شاعر مصر والشام خليل افندي مطران فتلا قصيدة غراء حركت الاحزان واثارت الاشجان

والقى حضرة الشاعر الكبير حافظ بك ابراهيم قصيدة عامرة الابيات رشيقة المعاني قابلها الحاضرون بالتصفيق الشديد

وفي الختام قام على المنبر اميل افندي زيدان نجل الفقيد والقى كلمات الشكر لنادي الاتحاد السوري وجمهور الحاضرين والخطباء . وذكر في آخر خطابه ان بيرون الشاعر الانكليزي لما ذهب لزيارة شلالات نياغرا الشهيرة وقف أمام ذلك المنظر البديع الذي تمثل فيه عظمة الطبيعة وهيبتها فلم يتمالك من ان صاح ثلاثاً : نياغرا نياغرا نياغرا ! فكانت هذه الكلمات الثلاث كل القصيدة التي كان ينوي نظمها هناك . ثم قال « وكأني هذا المساء في موقف ذلك الشاعر ارى العواطف تتدفق أمامي ببياضها الناصع وهيبة ووقار يفوقان هيبة ذلك المكان ووقاره فاحرى بي ان اردد مثله كلمات ثلاثاً هي : الشكر الشكر الشكر

ثم انصرف المدعوون وهم يشكرون الاتحاد السوري لاقامته هذه الحفلة الاكرامية الشائقة ويعددون مناقب الفقيد ويستمطرون عليه المراحم

وسنصدر قريبا كتاباً شاملا لترجمة الفقيد واشهر ما قيل فيه في هذه الحفلة وغيرها من الحفلات وفي جميع الجرائد العربية لاكابر الشعراء والادباء ونجعله تذكاراً لفقيد الاداب العربية المرحوم مؤسس الهلال

العدد العاشر من الهلال

ومجموعة مراثي المرحوم مؤسس الهلال

وملحق هذه السنة

رأينا حفظاً لعهد الصداقة بين الهلال ومشتركيه الافاضل ان نهديهم فضلاً عن ملحق هذه السنة كتاباً يحوي ترجمة فقيدنا العزيز مؤسس الهلال رحمه الله وجميع المراثي التي قالها فيه اكابر شعراء مصر وسوريا وسائر الاقطار العربية وادبائها وسيكون لهذا الكتاب قيمة أدبية رفيعة اذ يجد القارئ فيه قصائد رنانة لفطاحل الشعراء ومقالات شائقة لافاضل الكتاب . وغرضنا من ذلك ان يكون لدى اصدقاء الهلال العديدين ومحبي مؤسسه المرحوم في جميع الاقطار تذكارٌ كريم وأثر نفيس

وسيصدر العدد العاشر في اول الشهر المقبل ان شاء الله ومعه هذا الكتاب النفيس وملحق هذه السنة (علم السياسة) ويرسل كالعادة الى جميع المشتركين الذين سددوا قيمة اشتراكهم

السرب

تاريخها واهلها واحوالها الاجتماعية والاقتصادية

البلقان مخزن بارود اوربا
والسرب هي الزناد

قال أحد الساسة قبل نشوب الحرب الحاضرة بسنوات قليلة — وكأنه احس بما كان يضمر الزمان — « البلقان مخزن بارود اوربا والسرب هي الزناد » . ثم اتت هذه



الملك بطرس الاول

الحرب تثبت قوله ايما أثبات . فيجدر بنا — وهذه اهمية السرب — ان نلقي نظرة الى تاريخها وسائر احوالها

اهمية السرب عند الدول

لا يخفى ان من اماني روسيا الحيوية الحصول على منفذ بحري حرّ . فانها — مع ما هي عليه من سعة الارض — محصورة حصراً شديداً لا تستطيع سفنها الحربية

والتجارية ان تبتعد كثيراً عن شواطئها حتى تصبح عرضة لاغراض الدول المجاورة وسوء مقاصدها اذ لا بد لها من الدخول في بحور ومضائق تحت سيطرة تلك الدول الواقفة لها بالمرصاد

وامام روسيا ستة منافذ طبيعية : بحر البلطيق والبحر الاسود والبحر الابيض (في الشمال) والبحر الاصفر (في الشرق الاقصى) وخليج فارس والبحر الادرياتيكي. وقد اصبحت روسيا اليوم محصورة تقريبا لا سبيل اليها الا من البحر الابيض الذي يتعذر السفر عليه في الجزء الاكبر من السنة وخط سيبيريا الحديدي الذي يوصلها بالشرق الاقصى وهو بعيد تحول دون الاستفادة منه فائدة تامة عقبات كثيرة

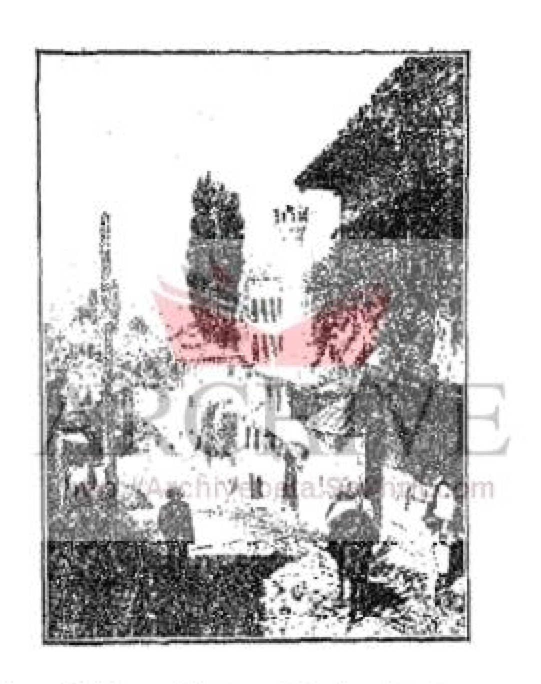


الملك اسكندر وزوجته دراجا

ولا شك ان اقرب المنافذ اليها البحر المتوسط . فقد سعت روسيا مراراً في بحر القرن الماضي تارة بالسيف وطورا بالسياسة للاستيلاء على هذا المنفذ فكانت الدول الاخرى تحول دائما دون مطمعها : في مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ رفضت الدول ان تمنحها هذا الامتياز . وكذلك فعلت في سنة ١٨٢٨ . وفي سنة ١٨٥٤ نشبت حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية (وكانت معظم الدول الاوربية بجانبها) فقضت ايضا على مبتغاها . وكان من شروط الصلح أن يعد البحر الاسود « بحرا محايدا » أي انه لا يجوز لدولة من الدول أن تسير فيه البواخر الحربية . ولكن روسيا اغتنمت فرصة نشوب الحرب البروسية

الفرنسوية سنة ١٨٧٠ فالغت هذه المعاهدة واصبح لتركيا ولروسيا (فقط) حق تسيير اساطيلهما في ذلك البحر

واعادت روسيا الكرة في سنة ١٨٧٦ فنشبت الحرب الروسية العثمانيـة ووصلت الجيوش الروسية الى ابواب الاستانة . ولكن الدول اوقفتها ايضاً عند حدها فعقدت مؤتمر برلين الذي خسرت فيه روسيا ثمار نصرها . وكان هذا المؤتمر مولد الدول البلقانية المختلفة . فقد تم تكوينها منذ ذلك الحين وتحولت انظار الدول الاوربية نوعا ما من



منظر من مدينة سراياڤو عاصمة البوسنه التي كانت منشأ الحرب الحاضرة

الدولة العثمانية الى تلك الدول الصغيرة . فكانت كل منها تسعى جهدها لنشر نفوذها فيها . وروسيا تعد نفسها الوصية الطبيعية على امم البلقان . فمن ثمَّ نشأ تحاك الدول الاوربية الذي كانت الحرب الحاضرة اقصى مشاهده

تاريخها

كانت بلاد السرب في اوائل ادوارها جزءاً من المملكة اليونانية يحكمها امراء من اهلها . وفي سنة ١٠٤٠ م استقلت بقيادة امير منهم اسمه استيفان بويسطام وتولى حكمها ابنه ميخائيل وهو اول ملوكها . وما زالت مستقلة حتى فتحها السلطان مراد الثاني في

سنة ١٣٨٩ م . فقضت في حوزة العثمانيين اربعة قرون وبضعة عشر عاما حاولت في اثنائها التملص من تلك السلطة فلم تفلح حتى ظهر فيها في اواخر القرن الثامن عشر رجل من زعماء اللصوص يسمى جورج الاسود (قره جورجفيتش) وكان ذا بطش شديد دعا السربيين الى الثورة فنهضوا تحت لوائه وفازوا بالاستقلال سنة ١٨٠٥ وسموه حامي ذمار السرب والآخذ بثارها . ولكن سلطانه لم يدم لان العثمانيين حاربوه واعادوا البلاد الى حوزتهم سنة ١٨١٤ بعد مذبحة هائلة وفرّ جورج . ثم عاد السربيون الى الثورة سنة ١٨١٥ بقيادة رجل من رعاة الخنازير اسمه ميلوش اوبرينوفيتش ارتقى بعزمه واقتداره حتى رأس حزب الاستقلال وحارب العثمانيين ١٤ سنة فنحه الباب العالي في سنة ١٨٢٩ نوعاً من الاستقلال وجعله اميراً على السرب



رجل وامرأة من سربي البوسنه

وما تاريخ السرب في القرن الماضي الا نزاع مستمر بين عائلتي قره جورجفتش وابرانوفتش . فان فريقاً من السربيين أراد عزل ميلوش المذكور وتنصيب قره جورجفتش الذي رجع من مفره . ولكن ما عتم جورج ان قتله أحد أعوان الامير . فاتخذ أعداءه هذه الجريمة حجة عليه والجأوه الى التنازل عن الامارة لابنه ميلان الذي توفي قبل ان يكمل الشهر على العرش . فخلفه اخوه ميشال وعادت الحرب بين الاسرتين فخلع ميشال

ونصب مكانه اسكندر قره جورجفتش ابن البطل المشهور . ولم تتجاوز مدة حكمه ست سنوات فخلع وجلس مكانه على العرش ميلوش الامير الشيخ الذي كان قد خلع . ثم خلفه ابنه ميشال الى ان قتل . فجاء بعده ابن ميلان ابرانوفتش لانه لم يكن له وارث

اما ميلان هذا فكان قد تلقى علومه في باريس واحب المعيشة فيها فكانت نفسه تتوق دائماً اليها وكان يقصدها كلما سنحت له الفرصة . فلم يرض سلوكه السربيين فاجبروه على اخلاء العرش

وخلفه ابنه اسكندر وكان رجلا عاملا نشيطاً لكن حياته انتهت بمأساة محزنة على اثر تزوجه من قروية كانت وصيفة عند والدته جعلها ملكة رغم تضرعات والديه اليه ونصائح وزرائه . فانه لم يلبث مدة يسيرة بعد زواجه حتى غضب الشعب وحقد على الملكة بتهمة انها تستهوي عقل الملك لا سيما وانها لم تلد من يرث العرش . فتآمروا عليهما وهاجموا القصر ودخلوا على الملك والملكة في غرفتها فقتلوها ورموا جثتيهما من النافذة

وبعد هذه الحوادث عاد العرش السربي الى اسرة قره جورجفيتش بشخص الملك بطرس الحالي وهو الذي تطوع في سنة السبعين اثناء اقامته بباريس في الجيش الافرنسي وقاتل وقتئذ اعداء فرنسا قتال الابطال . واليوم وهو ملك سربيا يقاتل ايضاً برجاله الاشداء قتال الشجعان اعداء الفرنسيس واعدائه

البلاد واهلها

السربيون سلافيو الاصل تنصروا سنة ٦٤٠ وقد كانت مساحة السرب قبل دخولها في الحربين البلقانيتين ١٨٠٠٠ ميل مربع فخرجت منهما ومساحتها ٣٣٠٠٠ ميل مربع وكان عدد سكانها ثلاثة ملايين فاصبح ينيف على اربعة ملايين ونصف مليون

ومع ان السرب حديثة العهد في المدنية فقد ارتقت ارتقاء سريعاً في ثلث القرن الماضي . والتعليم فيها اجباري وقد كان فيها ١٥٠٠ مدرسة منذ بضع سنوات قبل انضمام الاملاك الجديدة اليها

ويظهر لدارس احوال هذا الشعب انه مقتنع بما لديه من اسباب العيش . ولعل السربيين اقل الامم الاوربية مهاجرة الى الدول الاخرى . وقلما تجد بينهم متسولين فالسواد الاعظم منهم من اصحاب الاملاك الصغيرة الكافية لسد الحاجة الضرورية . وعندهم قانون يمنعهم من تجزئة املاكهم الى حد معلوم او بيعها . وكما ان بلاد السرب خالية من المتسولين فهي ايضاً خالية من الاشراف واصحاب الثروات الطائلة . ويعطى حق

الانتخاب لكل ذكر راشد يدفع ضرائب قيمتها نحو ثلاثة ريالات

والبلاد السربية بلاد جبلية وطبائع اهلها خشنة كطبائع سائر اهل الجبال . والصناعات عندهم قليلة . اما الزراعة فلا تزال على الطرق القديمة ولكن النشاط سرى فيها لا سيا بعد انشاء مصارف الفلاحين التي تسهل عليهم عملهم . ومبدأ هذه المصارف ان الفلاح الذي لا يقدر ان يقترض وحده المبلغ اللازم له يمكنه ذلك اذا تضامن مع عدد من رفاقه لهذه الغاية وبهذه الواسطة يقترض الفلاحون ما لا غنىً لهم عنه من المال بفوائد قليلة جداً

وعلى الاجمال فالصربي قنوع لا مطامع مادية له الا ان يكفي نفسه ورغم التقدم الذي تقدمته الصرب مادياً وأدبياً لا يزال فيها شيء من النظام الاشتراكي بين العائلات . اي ان افراد الجماعة الواحدة (وتسمى زاد روجا) يعيشون معاً وكل شيء يملكونه مشترك بينهم . فلهم مكان متوسط يجتمعون فيه ويطبخون ويأكلون وحول هذا المكان منازل صغيرة تعيش فيها العائلات المختلفة المكونة لذلك المجتمع . والرئيس اما ان يكون شيخ الاسرة او ينتخب بالاقتراع

والصربيون من اشد الناس كرهاً للزواج بين الاقارب وفتيانهم على الاغلب يتزوجون من غير ضيعتهم او مدينتهم

وهم بمزاجهم واخلاقهم كثيرو الشبه بالشعب الفرنسوي . واغنياء القوم يرسلون ابناءهم الى فرنسا لاكتساب العلوم — ولعل هذا مما يزيد التشابه بين الامتين

والسربيون يسمون بلادهم « حديقة البلقان » وهو اسم مطابق لمسماه لان البلاد السربية اخصب اراضي البلقان واجملها

مدنها

نقتصر هنا على ذكر شيء عن مدينتي بلغراد عاصمة الصرب الرسمية ونيش عاصمتها الحالية المؤقتة

أما بلغراد فانها على الحدود النمسوية يفصلها عن مدينة سملن في بلاد النمسا جسر . واسمها مأخوذ من كلمتين سربيتين معناهما « المدينة البيضاء » وقد تقدمت في السنين الاخيرة تقدماً عظيماً . قال أحد الذين عرفوها ايام خرابها السابق ثم زارها مؤخراً : « عرفت بلغراد قبل ان تستقل الصرب وكان عدد سكانها حينئذ لا يتجاوز الثلاثين الفاً وكان اهم شارع فيها عبارة عن بحر من الطين ولم يكن فيها فنادق او مطاعم او مسارح او نحو ذلك . اما اليوم فقد اصبحت مدينة جميلة يدخلها المسافر في محطة فخمة

ويجد فيها جميع اسباب الراحة »

ويلي بلغراد في الاهمية مدينة نيش التي جعلت العاصمة مؤقتاً لقرب بلغراد من صفوف النار . وهي من اقدم مدن الصرب ولا تزال قديمة الطرز مع كونها على خط اكسبرس الشرق (من باريس الى الاستانة)

ومن آثارها « برج الجماجم » (انظر الشكل) وهو برج مؤلف من جماجم الصربيين . وقصة هذا البرج الغريب ان احد رؤساء العصابات الصربية كان يدافع عن



برج الجماجم في نيش

مدينة نيش أيام كانت البلاد تحت النير العثماني فلما رأى النصر في جانب الاتراك لم يسلم لهم بل نسف مخزن البارود فقتل وقتل عدداً كبيراً من العدو . فاستشاط القائد التركي غيظاً ولما استولى على المدينة ذبح اهاليها وجعل من جماجمهم هذا البرج الغريب . وقد بنى الملك اسكندر (السابق) كنيسة بجانب هذا البرج

حكم

الضمير النقي أفضل منضدة

انما السعادة في ما يتوقعه الانسان

من يرفض مدحه فكأنه يطلب أن يمدح مرتين

يصنع البعض الخير حتى يغضي الناس عما يأتونه من الشر

بالازدراء فقط ينتقم الانسان من الازدراء

التشابه في التاريخ

وزيرا آل بويه ووزيرا البوربون

قارن الهلال في العدد التاسع من السنة الماضية بقلم مؤسسه المرحوم بين بطلي الحروب الصليبية صلاح الدين الايوبي وريكاردوس قلب الأسد فكان بينهما بعض المشابهة في الشجاعة والتمسك بالدين وانتقال الملك الى غير ابنائهما والمجاهدة في تثبيت الملك الى غير ذلك مما فصله الهلال . فهذا التشابه بين زعيم الشرق وزعيم الغرب يكاد يكون اتفاقاً غريباً في التاريخ . على انهما متعاصران وقد تحاكّا في أثناء هذه الحروب . والاغرب منه ان نرى تشابهاً بين وزيرين في التاريخ العربي وآخرين في التاريخ الفرنسي مع عدم التعاصر بينهم والاختلاف بين ازمنتهم وطبائع بلدانهم في المنشأ والاخلاق والتقاليد . ولكن التاريخ يأتي بالعجائب ويجمع بين متشابه الغرائب . وهذان الوزيران العربيان هما ابن العميد والصاحب ابن عباد وزيرا آل بويه ومن اشهر رجال الوزارة في التاريخ العربي . والوزيران الفرنسيان هما ريشليو ومزران وزيرا البوربون ومن اشهر رجال الوزارة والسياسة في فرنسا . فلقد جمع بينهم من التشابه ما يدعو الى العجب مما سنبينه في هذا المقال . ولولا ضيق المقام وخوف الاسهاب لبسطنا ترجمة كل منهم حتى يقف القارىء بنفسه على بيان ذلك الا اننا نكتفي الان بذكر اوجه المشابهة بينهم اجمالياً ونردفه بما يتشابه فيه كل اثنين منهم حتى يتضح تماماً ان ابن العميد والصاحب ابن عباد في التاريخ الاسلامي يشبهان ريشليو ومزران في التاريخ الفرنسي . واليك اوجه المشابهة :

التلمذة والصحبة

أولاً ان كل اول منهم كان له الثاني تلميذاً وصاحباً : فابن عباد كان من اتباع ابن العميد واخذ عنه كما قال ابن خلكان . وقد لقب « بالصاحب » لانه كان يصحبه دائماً فقيل له « صاحب ابن العميد » وبقي هذا اللقب علماً عليه لما تولى الوزارة ثم سمي به كل من وليها بعده [1] فهو كان له تلميذاً تابعاً وصديقاً مصاحباً . وهكذا كان مزران

(١) في القرن الرابع للهجرة اضيف الى اسم الوزير لقب « الصاحب » واول من لقب به هو ابن عباد فكان لقب الصاحب يطلق على الوزير اذا كان من ارباب الاقلام اما اذا كان من ارباب السيف فلا يقال له الصاحب . قال المقريزي : « وتلقب الوزراء بعد ابن عباد بالصاحب ولا اعلم احدا من وزراء خلفاء بني العباس ولا وزراء خلفاء الفاطميين قيل له الصاحب ... والذي أعرفه ان الوزير صفي الدين عبد الله بن شكر وزير العادل والكامل من ملوك مصر من بني أيوب

لريشليو فان ريشليو اختاره لنفسه وكان قد اوفده البابا في امر ذي شأن بينه وبين حكومة فرنسا فاظهر براعة فائقة ونشاطاً تاماً فاعجب به ريشليو وسر من نجابته فاصطنعه ثم سعى في ترقيته الى رتبة الكاردينال (١) ليكون مثله وما زال يربيه على مبادئه ويؤدبه بادابه ويعمل جهده في نفعه ادبياً ومادياً حتى انه لم ينس ساعة الموت ان اوصى به الملك خيراً

الخلف في المنصب

ثانياً ان كلاً من التلميذين الصديقين كان لاستاذه وصاحبه خلفا في منصبه : فكما خلف الصاحب ابن عباد الوزير ابن العميد في الوزارة فكان وزيراً لمؤيد الدولة بعد ابنه ابي الفتح ابن العميد ثم لاخيه فخر الدولة وكان ابو الفضل ابن العميد وزيراً لوالدهما ركن الدولة البويهي (٢) كذلك خلف مزران الوزير ريشليو في الوزارة فكان الاول وزيراً للويس الثالث عشر البوربوني والثاني وزيراً لابنه لويس الرابع عشر . فتحققت بذلك آمال التلميذين ببلوغ كل منهما منصب استاذه الذي كان يمني نفسه به في شبابه فقد طالما منى مزران نفسه بمنصب استاذه ريشليو وكذلك ابن عباد فانه كان في شبابه يحدث نفسه ببلوغه منصب استاذه ابن العميد وانه سيقوم يوماً ما مقامه . كما يتبين من حكاية احد معاصريه وهو ابو الحسين الفارسي النحوي قال « سمعت الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا رمضان وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة وانا اذ ذاك في ريعان شبابي فلما ارفضّ المجلس وانصرف القوم وقد حل الافطار انكرت ذلك فيما بيني وبين نفسي واستقبحت اغفاله الامر بتفطير الحاضرين مع وفور رئاسته واتساع حاله واعتقدت ان لا اخلّ بما اخلّ به اذا قمت يوماً مقامه . فكان الصاحب لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً من كان فيخرج من داره الا بعد الافطار عنده (٣) »

كان يقال له الصاحب وكذلك من جاء بعده من وزراء مصر الى اليوم » فيظهر من كلامه ان هذا اللقب لم يستعمل في الدولة العباسية والفاطمية وانما استعمل في الدولة الايوبية ودولتي المماليك البرجية والبحرية وغيرها من الدول الشرقية والعربية في المغرب والاندلس

(١) الكاردينال هو احد السبعين حبراً الذين يتألف منهم المجمع المقدس الذي يجتمع لانتخاب البابا ومنهم وزراؤه ومشيروه

(٢) ومن الغريب ان اباه ابا الحسن عباد بن عباس كان وزيراً لركن الدولة بن بويه هذا

(٣) يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٦

اتباع سياسة الاستاذ

ثالثاً ان كلا منهما خلف استاذه وهو في عنفوان الشباب فشب على تعاليمه وسار في طريقه لما تولى الوزارة فكما خلف ابن عباد استاذه ابن العميد في الكتابة والرئاسة فصار يشار اليه بالبنان في العلم والادب كذلك خلف مزران استاذه ريشليو في السياسة والرئاسة الا في بعض اشياء خالف فيها طريقة استاذه فعلمها له الزمان .

التمسك بالدين

رابعاً لا شك في ان كلا منهم كان متعصباً لمذهبه متمسكا بدينه ولا غرو فان ريشليو ومزران كانا كاردينالين ومكانهما في الدين سام وكذلك ابن العميد وابن عباد فانهما لا تقل محافظتهما على الدين والتمسك به منهما . وفي عصرهم كثرت المشاحنات والمنازعات الدينية فما كان في ايام ريشليو ومزران من المخاصمات بين الكاثوليك والبروتستانت حتى سالت الدماء انهاراً وحمي وطيس الحرب والجدال بين الطرفين كذلك كان في ايام ابن العميد وابن عباد من المجادلات والمخاصمات بين اهل السنة والشيعة في بغداد وغيرها من البلاد فان الشيعة كان لهم بعض القوة في ايام بني بويه لان دولتهم كانت شيعية فتمكنوا بذلك من المجاهرة ببعض احتفالاتهم في الاحزان والافراح كيوم عاشوراء ويوم غديرهم فكان العداء مستحكماً بينهم وبين الجمهور فدعى ذلك في كثير من الاحيان الى مصائب ونكبات عظيمة

الاستقلال بالسلطة ونفوذ الكلمة والشهرة

خامساً يتشابه الوزيران العربيان والوزيران الغربيان في الحزم ونفوذ الكلمة والحذق في السياسة والتضلع منها ثم في الشهرة والعظمة حتى صار كل منهم علماً في دولته وقطبا بين وزراء بلاده في بعد الصيت والنبوغ . اما نفوذ الكلمة فقد كان ريشليو ومزران مطلقا التصرف في الملك وليس فوق كلمتهما كلمة لان كلا من لويس الثالث عشر وابنه لويس الرابع عشر كان قاصرا فاستأثرا بالرئاسة دونهما . وكذلك ابن العميد وابن عباد فقد اجتمع لهما ما لم يجتمع لغيرهما من الوزراء من التمكن في الدولة والاستقلال بالسلطة . روي انه لما استولى فخر الدولة على مملكة اخيه مؤيد الدولة بعد موته استعفى الصاحب من الوزارة فقال له فخر الدولة : « لك في هذه الدولة من ارث الوزارة ما لنا فيها من ارث الامارة فسبيل كل منا ان يحتفظ بحقه » ثم اقره على وزارته وحكمه في امواله

واستولى على اموره وكان مبجلاً عنده ومعظماً نافذ الامر الى ان مات والامور تصدر عن امره والملك يتدبر برأيه وكان اذا قال فخر الدولة قولا امتثل قول الصاحب وترك امر فخر الدولة (١) . اما ابن العميد فكان كما قال ابن خلكان سائساً مدبراً الملك قائما بحقوقه

هذا هو وجه المشابهة بينهم جميعا بالاجمال ، اما ما يتشابه فيه كل اثنين منهم فها كه بالتفصيل :

اولاً : ابن العميد وريشليو

كان ابن العميد في القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) وريشيليو في القرن الحادي عشر للهجرة (١٧ م)

اصل لقب كل منهما

الالقاب التي اشتهرا بها انما هي القاب فخرية فابن العميد لقب ابوه بالعميد على عادة اهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم وريشليو لقب بهذا اللقب لانه كان كاردينالا ودوقا (دي ريشليو de Richelieu)

امرهما في الدولة

كل منهما طالت ايامه في الوزارة فمكث اكثر من عشرين سنة وتمكن من القيام باصلاحات كثيرة . فالكاردينال ريشليو هو الذي مهد احوال المملكة الفرنساوية وعرف كيف يستخدم مقدرته — كما قال الدكتور جوستاف لوبون — حيث تكون حاجات عصره فتمكن بذلك من ايجاد الوحدة الفرنساوية بعد ان اضعف البروتستانت ومحا تصرف الاشراف وكسر شوكتهم ووضع النظام الاولي للجيش والبحرية ورفع شأن فرنسا وجعلها راجحة على غيرها من الدول فوطد اركانها للملك لويس الرابع عشر . وكذلك ابن العميد فانه لا يقل عنه اثراً في رفع شأن دولة بني بويه واعلاء كلمتها بما كان له من حسن التدبير والسياسة الحسنة . والمتصفح لتاريخ هذه الدولة يظهر له ذلك باجلى بيان وقد تخرج به عضد الدولة الملك العظيم ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء

الممات والغنى

مات كل منهما عن كنوز واموال عديدة فابن العميد لقي حتفه في سنة ٣٦٠ هـ (٩٧١م)

(١) معجم الادباء ج ٢ ص ٢٧٥

وترك لابنه أبي الفتح ذي الكفائتين اموالاً لا تحصى اتلفها لما اعتقل ونكب نكبته المشهورة التي تشبه من كل الوجوه نكبة البرامكة (١) وفي ذلك يقول بعض اصحابه :

آل العميد وآل برمك مالكم   قلّ المعين لكم وذلّ الناصر
كان الزمان يحبكم فبدا له   ان الزمان هو المحب الغادر

وكذلك ريشليو فقد مات حتف انفه سنة ١٦٤٢ ولحق به الملك لويس الثالث عشر بعد بضعة اشهر سنة ١٦٤٣ وقد ترك ريشليو ثروة طائلة ومالاً كثيرة لورثته واعد من هذه نصيباً وافراً للملك فاوصى له بمبلغ يقارب المليون كما اوصى له بقصره الذي اشترط على الملك ان يسكنه وسمي من ذلك العهد بالقصر الملكي « Palais Royal »

العلم والسياسة

جمع ابن العميد مثل كثير من رجال الادارة في الاسلام بين العلم والسياسة وهو يشبه بعلمه وعقله يحيي بن خالد البرمكي وزير الرشيد ويحيي بن اكثم وزير المأمون ولسان الدين بن الخطيب وزير بني الاحمر والقاضي الفاضل وزير صلاح الدين وغيرهم من الافراد في العلم والرئاسة على اختلاف الطباع والبقاع . لكن هؤلاء الاعاظم تمكنوا من العلم ونشأوا على معاطاة الاعمال بفضل عقولهم وقوة ولوعهم فابن العميد هو وحيد عصره في الكتابة وجميع ادوات الرئاسة ضرب في الآداب بسهم فائز وحاز من العلوم قسطاً وافراً كالفلسفة والنجوم والادب والترسل ولذلك دعي « بالجاحظ الثاني » و « الرئيس » و « الاستاذ » وقد ضرب به المثل في البلاغة وينتهي اليه في الاشارة بالفصاحة والبراعة مع حسن الترسل وجزالة الالفاظ وسلاستها فاصبح يقال « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد » وذلك لعلو كعبه في الكتابة والادب . وكان ابن العميد يقرب اهل الادب والشعر فحام حوله طائفة منهم امتدحوه كالمتنبي وابن نباتة والصاحب وغيرهم

ويشبهه في ذلك الوزير ريشليو فقد كان محباً للعلم حامياً الادب مشجعاً لاهله وقد نبغ في ايامه نخبة من كتاب القرن السابع عشر امثال الشاعر الفحل كورنيل Corneille والفيلسوف ديكارت Descartes والمصورين بوسان وكاودولورين وغيرهم ، فضلاً عن انه كان اديباً متضلعاً وعالماً متبحراً وسياسياً كبيراً وله تآليف سياسية وعلمية نحن في غنى عن تعدادها وقد كان خطيب الكهنة (الاكليروس) المفوه في مجلس الامة

(١) حذفنا تبيان اسباب هذه النكبة والكلام عليها خوف التطويل فانظر تفصيلها في يتيمة الدهر للثعالبي ج ٣ ص ٣٠ , ٣١ وابن خلكان ج ٢ ص ٦٠

قبل ان يتولى الوزارة . ويكفي ريشليو فخراً انه انشأ الاكاذيمية الفرنسية سنة ١٦٣٥ التي هذبت اللغة الفرنسية ورقتها واصلحت آدابها واحيت الصناعات والعلوم وضمت امثال بالزاك Balzac وفواتور Voiture وشابلان Chapelain وجودو Godeau وراكان Racan وفوجيلاس Vaugelas . فاحيا ريشليو بذلك دولة العلم والادب في باريس كما احياها من قبله ابن العميد وابن عباد في بغداد

ثانياً : ابن عباد ومزران

المشابهة بين الاثنين قليلة لا تذكر بعكس ما بين ابن العميد وريشليو فانه لا تشابه بين ابن عباد ومزران الا فيما مضى من اوجه المشابهة الاجمالية كالصحبة والخلف في المنصب والنبوغ والشهرة والحذق في السياسة والتضلع منها فان مزران لما تولى الوزارة كان أعلم الناس في عصره بسياسة اوربا . ثم يتشابهان ايضاً في المنشأ فان كلاهما نشأ فقيراً فابن عباد كان في بدء امره من صغار الكتاب يخدم ابا الفضل بن العميد على خاصة فترقت به الحال الى ان كتب لمؤيد الدولة البويهي وكذلك مزران فانه نشأ فقيراً فانتظم في سلك الجندية ثم اشتغل بالسياسة الى ان دخل في خدمة البابا كما تقدم. ثم يتشابهان في صفات اخرى لا يتسع المقام لاستيفائها . اما في باقي الصفات فبينهما فرق شاسع ربما ذكرناه في فرصة أخرى لنبين به اخلاق الرجلين ان شاء الله

عبد الفتاح عباده

خواطر

ما اسرع الانسان لاعتقاد ما يسره

عسر هضم الغني انتقام لجوع الفقير

احسان الفقير هو ان لا يكره الغني

الكتب التي يعيش منها المرء لا تعيش

الغفران هو نسيان الذات

الوحدة الايطالية

نشؤها ومنشؤوها

كان لدخول ايطاليا في الحرب وقع عظيم فقد يتوقف عليه تغير مجرى الحوادث . وقد رأينا من المناسب في هذا الوقت ان نذكر شيئاً عن تكوين الوحدة الايطالية التي تسعى ايطاليا اليوم في تكميلها بضم المقاطعات المتساوية الايطالية الجنس واللغة . وما برحت هذه المقاطعات منذ نشؤ الدولة الايطالية الحالية مطمح ابصارها وكانت تسمي « ايطاليا الرازحة تحت النير الاجنبي » Italia Irredenta

سقطت المملكة الرومانية في سنة ٤٧٦ م فاستولى عليها اودواكر ملك الهرول (وهم احد الشعوب الجرمانية) وهو اول من دعاها ايطاليا ثم اكتسحها بعده شعوب



فيكتور عمانوئيل الثاني

اخرى وما زالت تنتقل من حوزة دولة الى حوزة دولة اخرى حتى ظهر نابوليون بونابرت الاول وكانت بين سلطتين يتنازعانها وهما النمسا واسبانيا فضلاً عن مملكة البابا . ففتح بونابرت القسم الشمالي منها وانشأ فيها جمهوريات على شكل الجمهورية الفرنسوية ولما اعلن الامبراطورية في فرنسا حول تلك الجمهوريات الى ممالك صغيرة وضع على رأس كل منها احد اعضاء اسرته

وفي معاهدة فينا (سنة ١٨١٥) حازت النمسا الجزء الاكبر من ايطاليا . ولم يبق

مستقلاً الا ولاية سافوا (ومنها العائلة المالكة الحاضرة) وروميه (للبابا) . وقد كانت جزيرة ساردينيا تابعة لعائلة سافوا وكانت مركز ملكهم

ومنذ ذلك الحين بدأت الثورات في ايطاليا فقد كان الايتاليون يستثقلون نير النمسا ويترقبون الفرص للقيام عليها . وتألفت الجمعيات السرية العديدة واهمها جمعية الفحامين (كاربوناري) وغايتها جمع كلمة الايطاليين تحت حكومة شوروية أو جمهورية فلاقت تلك الجمعية مقاومة شديدة وقاسى اعضاؤها عذاباً اليماً حتى ملئت السجون منهم . وفي اثناء ذلك ظهر يوسف غريبالدي

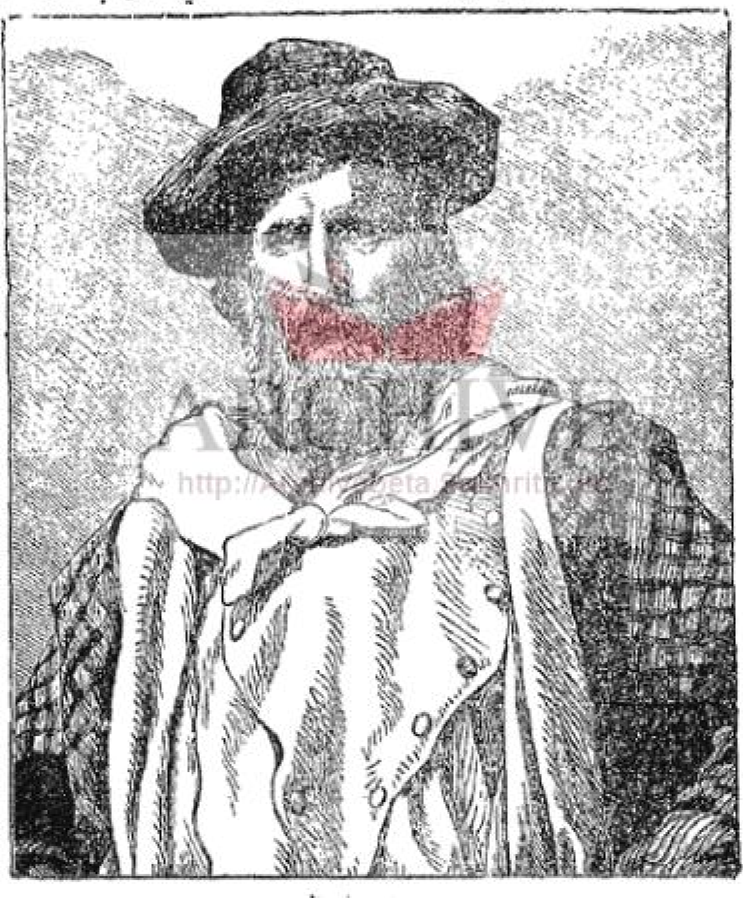
يوسف غريبالدي ١٨٠٧ — ١٨٨٢

ويوسف ماتسيني ١٨٠٥ — ١٨٧٢

كان ابو غاريبالدي نوتياً فشب هو محباً لمهنة الملاحة مغرماً بالاسفار ولم تمض عليه مدة وجيزة حتى صار قبطاناً . على ان ذلك لم يكن ليشبع مطامعه فقد كان كثير التأمل في حالة بلاده السيئة تحدثه نفسه ان يسعى في جمع كلمتها وتحريرها

وفي ذلك الحين نشأت على انقاض جمعية الفحامين والجمعيات السرية الاخرى جمعية « ايطاليا الفتاة » التي رأسها يوسف ماتسيني ابن احد كبار الاطباء في جنوا وانشأ جريدة باسمها فاحدقت به الجواسيس والقي القبض عليه ولكن لم تثبت عليه جريمة توجب قتله فنفوه الى خارج بلاد ايطاليا فكان نفيه داعياً الى زيادة الخطر لانه ازداد تمسكا بمبدأه وعظم في عيني نفسه على حين ان الحكومة لو اغفلت امره أو تركته مقيماً في جنوا تحت المراقبة ما استطاع امراً ذا بال ولكن نفيه هذا دعا الى نشر مبادئه في البلاد وزاده همة واقداماً فكثرت احزابه وقويت جمعيته حتى خاف الملوك سطوتها . وكان في جملة اعضائها العاملين يوسف غاريبالدي وكيفية توصله اليها انه مرَّ في سنة ١٨٣٣ بمرسيليا على سفينة تجارية كان هو قائدها وكان ماتسيني مقيما هناك تحت حماية حكومة لويس فيليب . فالتقيا واعجب غاريبالدي بمبادىء الجمعية واتفق مع ماتسيني على الجهاد الحسن في سبيل تحرير ايطاليا ثم رأت الجمعية ان امرها لا يقوم الا اذا اجتمعت تحت لواء زعيم ذي منصب سياسي خطير يجمع كلمتها فترجع اليه وتلتف حوله فرفع احد زعمائها التماساً الى كارلو البرتو ملك سردينيا يطلب اليه ان يتخذ قيادة هذه الجمعية . وكانت سردينيا اقرب الى تلك الامنية من سائر اقسام ايطاليا لان ملكها كان ميالا الى حكومة الشورى محبا للاصلاح . لكنه خاف سطوة النمسا وبعد التردد الطويل اجاب انه لا يجسر على هذا المشروع

ثم أوعز بعض الجواسيس الى الملك كارلو البرتو الاول ان أنصار الجمعية يسعون في دسيسة لقتله فقبض على جماعة كبيرة منهم ثم حملت حكومة سردينيا فرنسا على طرد ماتسيني من مرسيليا فانذرته الحكومة الفرنساوية ان يترك الثغر حالا فهاج اهل جنوا وماجوا ومد غريبالدي يده مساعداً لهم بحراً ولم يكن أمامهم الا المناداة بالجمهورية فيقتفي الايطاليون في الامارات الاخرى آثارهم فيتم لهم ما يريدون . ولكن الاحوال قضت بان لا تكون تلك النهضة قاضية بتحرير هذه الامة فخابت مساعي الجمعية بما كان الجواسيس



يوسف غاريبالدي

ينقلونه من اخبارها سراً الى حكومة سردينيا فاسقط في يدهم وكان ماتسيني قد عاد الى جنوا فحكم عليه بالنفي حالاالى سويسرا . واما غريبالدي فنفوه الى اميركا الجنوبية فسافر الى مرسيليا خلسة وتنكر وسمى نفسه يوسف باناني اما ماتسيني فقام مدة في سويسرا ثم جعل يتنقل بين باريس ولندرا وكان غاريبالدي يجتمع به احياناً ويتخابران . ولكنه رأى اخيراً ان ساعة العمل لم تأت بعد فركب البحر الى ريوجانيرو عاصمة البرازيل فالتقى

هناك بكثير من الايطاليان القائلين بقوله وفي جملتهم روسي وصار بعدئذ اكبر نصير لغاريبالدي . على أن هذا آنس في البرازيل مشروعاً يشبه مشروعه في ايطاليا وذلك ان ولاية ريوغراندي كانت قد خرجت من طاعة مملكة البرازيل واسست جمهورية تحت قيادة قائد اسمه زمبكاري فاحتاج هذا الى نجدة غريبالدي وروسي فانجداه وحاربا عن تلك الجمهورية الصغيرة مرات عديدة محاربة الابطال لا يبغيان عوضاً ولا اجراً

وكانت جمعية « ايطاليا الفتاة » في هذه الاثناء تنمو وتقوى رغم جميع المساعي ضدها . واتفق عندئذ تنصيب البابا بيوس التاسع فتوسم فيه الاحرار مساعداً ومنشطاً لما صدر عنه من دلائل الاصلاح . فبلغ خبر ذلك الى غريبالدي فبرح شواطىء البرازيل مع من بقي من رجاله وشخص الى اوربا

الثورة

في ١٢ يناير سنة ١٨٤٨ بدأت الثورة في مدينة بالرمو من جزيرة صقلية ثم انتشرت في الجزيرة كلها ثم في ايطاليا فوعد بعض الامراء باجراء الاصلاحات المطلوبة

أما البابا فلم يثبت على عزيمته في نصرة حزب الاستقلال . ولكن كارلو البرتو كان قد محا العار الذي لحق به في المرة الماضية وعادت اليه شهرته الاولى بحب الاصلاح فعادت آمال الايطاليين الى تسليم قيادة احزابهم اليه حتى اذا اجتمعت كلمتهم اقاموه ملكا عليهم فقبل الدعوة . وفي تلك السنة نشر العلم الايطالياني المثلث الالوان وهو علم الاستقلال فانضم تحته اهل لومبارديا والبندقية وحاربوا حصن بيشارا وفتحوه وكارلو البرتو في مقدمتهم وقامت ايطاليا كلها على ساق وقدم تدعو الى الحرية والاستقلال فانشأوا حكومة وقتية في ميلانو قلدت غريبالدي لقب جنرال وعهدت اليه بتجريد حملة من متطوعي لومبارديا . ولكن اهل سردينيا كانوا لا يزالون على اعتقادهم في ماتسيني بانه رجل متهور وان طريقته في اثارة العواطف شديدة الخطر وكانوا يعلمون ايضاً ما بينه وبين غاريبالدي من العلائق فساؤوا ظنهم في هذا حتى امتنعوا عن تقديم المؤن والذخيرة لجنده ففشل قومه فشكا امره الى كارلو فاجابه معتذراً بان المسألة تتعلق رأساً بمجلس تورين أما المجلس فلم يصغ الى مطالبه فترتب على ذلك فشل الحزب

ودخلت سنة ١٨٤٩ والاحوال تزداد تعقيداً وخطراً وحصلت في تلك السنة واقعة نوفارا الشهيرة التي قضي فيها على كارلو وجيشه فتنازل عن الملك لابنه فيكتور عمانوئيل الثاني ونفته النمسا الى نبس فمات فيها بعد بضعة اشهر حزيناً كئيبا فازداد حزب الاصلاح فشلا وهبوطاً . اما في رومية فكانت الافكار مضطربة فسعى البابا بيوس

في اصلاح ذات البين فاختار مستشاراً توسم فيه الاعتدال اسمه روسي ولكن حزب الاصلاح لم يرضَ به فقتلوه طعناً بالخناجر وهاج الشعب وماج حتى ان جماعة كبيرة من الديموقراطيين نادوا بالجمهورية فخرج البابا من رومية الى جايتا وأصدر هناك منشوراً يقيم فيه الحجة على ذلك الحزب . وفي اثناء ذلك وصل ماتسيني الى رومية وتقلد زمام الاحكام ومعه صافي وارمليني وبعث يستقدم غاريبالدي خفاء مع بقية رجاله الذين حاربوا معه في البرازيل وجند من المتطوعين يبلغ عددهم ٢٥٠٠ رجل فانتصرت النمسا ونابولي وفرنسا للبابا وبعثوا بالجنود لقمع الحزب الحر وكان غاريبالدي متولياً الدفاع عن رومية



فيكتور عمانوئيل الثالث

فقاسى عذاباً شديداً ولكنه دافع دفاع الابطال وقهر اعداءه في مواقع كثيرة اما رومية فخرجت من يده بخيانة لم تكن في حسبانه بعد حصار ثلاثة أشهر . على ان ذلك لم يفلَّ عزمته

وعادت ايطاليا بعد ذلك الى حالتها الاولى وهاجر هو الى اميركا للارتزاق ثم تولى رئاسة مركب تجاري

وفي سنة ١٨٥٩ قامت الحرب بين نابوليون الثالث والنمسا وكان فيكتور عمانوئيل الثاني ملك سردينيا حليفاً لنابوليون فانكسرت جنود النمسا وتخلت عن لومبارديا لفرنسا فتنازلت فرنسا عنها الى فيكتور عمانوئيل في مقابل تنازله لها عن نيس وسافوا . فلم يشعر

غاريبالدي الا وقد اصبح من رعايا فرنسا لانه ولد في نيس فرأى فيكتور عمانوئيل ان يستغنم تلك الفرصة لاستخدام غاريبالدي في جنده فاستقدمه اليه وتفاوضا مليًا وتآلف ذوقاهما فولاه فيكتور قيادة فرقة من المتطوعين ومنحه رتبة فريق فعاد أنصار غاريبالدي اليه وقد اشتد ازرهم واتحدوا جميعاً على حرب النمسا فظهروا عليها وقد ساء منقلبها ودخلت دوقيات توسكانا ومودينا وبارما في حوزة عمانوئيل وفرّ امراؤها يقتفون اثر السيطرة النمساوية . ثم توفي فردينان ملك نابولي وخلفه ابنه فرنسيس الثاني وكان ضعيف الرأي فانقسمت مملكته على نفسها فاغتنم غاريبالدي تلك الفرصة واستولى على مملكة نابولي وفي سنة ١٨٦٠ سار من جنوا في حملة الى صقلية وافتتحها



المسيو سالاندرا رئيس الوزارة الايطالية الحالية

فلما بلغت اخبار هذا النصر شمالي ايطاليا تقاطر الناس طوعاً لنصرة غاريبالدي وعمانوئيل وتوحيد مملكة ايطاليا واجتمع وزراء عمانوئيل بنابوليون الثالث وتفاوضوا مليا فاتصلوا الى وفاق يقضي بان يحل البابا جنوده الاجنبية . أما هو فلم يقبل فحاربته جنود عمانوئيل وتغلبت على جنوده فقبل ثم نهض غاريبالدي حالا لافتتاح نابولي نفسها ففر فرنسيس وجنده والتجأوا الى حصن جايتا

وهكذا تم النصر لغاريبالدي ونال الغاية التي قام من اجلها . على انه لو ترك وشأنه ما استطاع ذلك الا بمشقة وخطر نظراً لما فطر عليه من المروءة والبساطة والبعد عن

أساليب السياسة وقد قال محدثاً عن نفسه « لا أعرف الا تجريد الحسام » ولكن بعض رجال السياسة في مجلس عمانوئيل ولا سيما كافور وفاريني سدوا ذلك النقص . أما اخلاص هذا الرجل في خدمته لوطنه فتظهر من رغبته عن السلطة والفخر فانه بعد ان تغلب على نابولي لم يدخلها الا مع الملك عمانوئيل فدخلاها باحتفال باهر ومعهم الجند يهللون فرحين بما أوتوه من النصر وحضر الاحتفال فرقة من الجنود الانكليزية فدخل غاريبالدي وعمانوئيل معاً متصافحي الايدي ووراؤهما كبار العمارة الانكليزية والناس يضجون بالتهليل وينادون « ليحي اخواننا الانكليز » ولما تم الاحتفال زار غاريبالدي أميرال العمارة الانكليزية ثم صافح فيكتور عمانوئيل ملك ايطاليا الجديد وتنازل عن رتبه والقابه وحقوقه وكان الشعب قد ولاه منصب ديكتاتور أي الشارع المتصرف المطلق فتنازل عنه الى عمانوئيل وودع رجاله وانصاره في الحروب وعاد الى معتزله في جزيرة كبريرا والدموع تشيعه

وفي سنة ١٨٦١ التأم مجلس البرلمان الايطالياني في تورين وهي المرة الاولى لاجتماعه واقرّ فيه على تسمية فيكتور عمانوئيل ملكاً على ايطاليا وهي أول مرة دعي فيها بهذا اللقب

وكان الشعب لا يزال راغباً في اتمام بغيته بأخذ رومية واستخراج البندقية من النمسا فاراد رتازي (خليفة كافور الذي كان قد توفي) ان يسترضي الحزب الراغب في ذلك فاقر على حملة تذهب لمحاربتهما ولكنه لم يكن عازماً الا على محاولة ذلك ظاهراً فجند الجند تحت قيادة غاريبالدي أما هذا فساء فهم المراد حقيقة فسار بحملته وباشر حروبه فوردت عليه الاوامر بالوقوف فلم يذعن وظل سائراً نحو رومية وفي مسيره هذا من الخطر على مركز ايطاليا ما كاد يذهب بها الى الدمار لمعاداتها دولة فرنسا العظمى وايطاليا لا تزال طفلة فلم تر سبيلاً لتجنب ذلك المحذور الا بالقبض على غاريبالدي قهراً وسوقه اسيراً جريحاً الى فاربنيانو ولم يكن اسره الا ظاهراً

وفي سنة ١٨٦٤ قامت الحرب بين النمسا وبروسيا وكانت ايطاليا محالفة لبروسيا وآلت تلك الحرب الى تنازل النمسا عن البندقية لفرنسا ثم تنازلت عنها فرنسا لايطاليا وفي سنة ١٨٧٠ انتشبت الحرب بين فرنسا وبروسيا فاضطر الفرنساويون الى سحب حاميتهم من رومية فلم يعد البابا قادراً على الدفاع وكان الايطاليون واقفين بالمرصاد فاغتنموا تلك الفرصة ودخلوا مدينة رومية في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٠ مهللين بما أوتوه من النصر المبين ولا يزال هذا اليوم يوماً يحتفلون به في كل سنة

الترابط والتوازن في الاجتماع

في عالم المادة وفي الهيئة الاجتماعية الاكوان مترابطة . وترابطها هو اس انتظامها . وذلك الترابط يجري على مقتضى الشرائع والنواميس الحاكمة المادة والاجتماع على السواء . ولما كان الاثنان متشابهين كان نظر الباحث في احدهما يقود افكاره الى الاخر ويساعده على تفهم اوضاعه ودرس اسراره

البناء المادي والبناء الاجتماعي

فاذا نظرت الى البناء المادي — كالبيت مثلاً — تراه مؤلفاً من حجارة عديدة متنوّعة قد احكم وضعها . ومن الامور البينة في ذاتها ان تنوع حجارة البناء لا ينافي ترابطها بل يحققه ويوثقه . اذ قد اعدّ كل حجر لمركزه الخاص في ذلك البناء — هذه للابواب وتلك للرواشن وغيرها للاقواس والزوايا او القواعد — حسب هندسة البناء . وحكمة البناء تتجلى في إحكام وضعه كلّ حجر في مركزه الخاص.

وقياساً على ذلك نرى اننا نحن — الافراد البشريين — حجارة البناء الاجتماعي العظيم الذي نسميه المجتمع العمراني

وهذا المجتمع مؤلف من افراد عديدين تنوعت اخلاقهم ومراتبهم . ففيهم الصانع والزارع والعالم والحاكم والتاجر والقائد . ولا ينافي تنوعهم ترابطهم بل يوثقه كما هو الحال في البناء المادي تماماً . لان الهيئة الاجتماعية كالبناء المادي لا تؤلف من نوع واحد من البشر بل من صفوف عديدة . كما ان اللغة لا تؤلف من حرف واحد بل من حروف عديدة متنوّعة . فالتنوع اول شرط لتأليف الهيئات المنتظمة

واذا انتقدنا البناء المادي بان لنا فيه امران ضروريان لثبوته وهما الترابط والتوازن وبدونهما لا يشاد بناء ولا يكتمل انتظام

فالترابط يستند الى التوازن ويتوقف عليه فيوجد بوجوده ويزول بزواله

والتوازن مأخوذ من الميزان . فان كفتي الميزان لا تستويان ما لم تتعادلا ثقلاً . فان زاد في احدهما رجحت كفته على اختها ورفعتها الى فوق ويسمى ذلك «اختلال الموازنة»

وقد شاع اليوم هذا الاصطلاح بين الكتاب على سبيل الاستعارة فقالوا بالتوازن المالي والتوازن السياسي والتوازن الحربي والتوازن الاجتماعي وهلم جرّا

فالمراد بالتوازن المالي في الدولة معادلة دخلها لخرجها في الميزانية فان زاد الخرج على الدخل اختلت الميزانية

والتوازن الاقتصادي عبارة عن معادلة الواردات للصادرات فان زادت الواردات نقصت الثروة (الا اذا كان فيها مناجم) وهددتها الازمة

ويراد بالتوازن الحربي تساوي القوات المتقابلة براً وبحراً . فان زادت في جانب عنها في الاخر اختلت الموازنة فأدى ذلك الى الانقلاب . والدول الضعيفة مهددة على الدوام الا اذا ضمنت ثبوتها مصالح الدول المعظمة

والتوازن الاجتماعي عبارة عن مساواة الافراد في الحقوق والالتزامات . والاخلال في ذلك ينشىء الاضطراب ويؤول الى الخراب

ان البنّاء لا يلتزم بدرس الهندسة والفلسفة انما يتعلم صناعة البناء . على انه في سائر فروع عمله لا يحيد عن نواميس الفلسفة وقضايا الهندسة . فميزانه ومطرقته وفادنه وخيطه ومسطرته كلها مبنية على نواميس الطبيعيات والرياضيات . وقد اتبع الناس تلك القوانين عملياً منذ العصور الخالية فضمنت فوزهم وحققت آمالهم

ومن اهم القضايا التي على البنّاء اعتبارها ما يأتي

١ تأسيس بنائه على الصخر

٢ استقامة الحائط عمودياً على القاعدة

٣ تلاؤم جوانب الحجارة المماسة

فالقاعدة الاولى — التأسيس على الصخر — مبنية على قانون الضغط المعروف في الطبيعيات وخلاصته ان الضغط يزيد بالنسبة الى زيادة الثقل : فاذا كان البناء على الرمال انضغطت كلما علا فتشقق وتهدم . ولذا عني مهندسو سد اسوان العظيم بتعميق اساسه حتى لقد حفروا ستة امتار في الصخر الاصم . وذلك من اعظم اسرار ثبوته تحت ضغط ملايين الامتار المكعبة من الماء

والقاعدة الثانية مبنية على قانون الخط السمتي . وخلاصة ذلك الناموس انه اذا خرج خط الجهة عن القاعدة سقط الجسم : وبرهان ذلك يحصل بالهندسة فيما يشعر بالفرق مهما كان جزئياً . ولذلك صنع الفادن الزئبقي لاحكام الوضع ولا سيما في استقامة الحائط لانه اذا انحرف عن الاستقامة كان سقوطه محتماً

والقاعدة الثالثة مؤسسة على قانون التساند او التفاعل المعروف في الفلسفة . فاذا تلاءمت الحدود تم التوافق وأحكم الوضع . واذا تباينت الحدود تنافرت الحجارة فكان البناء واهناً لعدم الترابط

والقواعد المار ذكرها نافذة الاحكام في البناء الاجتماعي نفوذها في البناء المادي

(فاولا) يجب تأسيس الاجتماع البشري على المبادىء السامية والمقاصد النبيلة . لانه اكثر خطورة واعظم اهمية من سد اصوان . فاذا اضطر في هذا الى تعميق الاساس ستة امتار في الصخر الاعبل فالتعمق في ذلك والمتانة ودقة الوضع اكثر لزوماً واحرى وجوباً . واذا فرضنا ان الهيئة الاجتماعية تحتمل البناء على المبادئ السخيفة والمستندات الواهنة فلسنا نجهل ولا نستطيع ان نتعامى ان ذلك انما هو في دائرة ضيقة والى وقت قصير . فلا يصلح للهيئة العامة ولا يصح اتخاذه مبدءاً فقول الشاعر

والصدق ان القاك تحت العطب لا خير فيه فاعتصم بالكذب

هو قول سخيف ناشيء عن ضعف الاختبار وتعويج المنطق . وهو اذا اتخذ مبدءاً ادى الى انفراط عقد الاجتماع وانقراض النوع الانساني على بكرة ابيه

و(ثانياً) يجب وقوف الافراد على اختلاف طبقاتهم على حدٍ سوى امام القوانين المدنية واشتراكهم على السواء في الحقوق والواجبات . ويجب تعميم القانون القاضي بتبادل المنافع الى آخر حدوده ليكون شمساً ساطعة يتمتع الافراد بنورها وحرارتها .

فالامة التي تحرص على المساواة بين افرادها وتقدس المصلحة العامة على كل مصلحة فردية وتحول دون التهام القوي اخاه الضعيف وترفع شأن المبدإ والنظام ، هي امة تصلح للبقاء بلا امترا وهيئتها راسية القواعد ثابتة الوطائد

اما الامة التي تؤثر المصالح الفردية وتعبث بالمصلحة العامة وتدوس المبادىء السامية فهي امة تهوي من حالق مجدها وسؤددها الى ادنى دركات المذلة والهوان ولا بد من ان يسودها الانقراض عاجلا وآجلا

و(ثالثاً) يلزم تهذيب الافراد تهذيباً اجتماعياً قياساً على تهذيب الحجارة ليمكن تلاؤمها . ونعني بالتهذيب الاجتماعي ان يبيح الفرد الانساني لاخيه ما اباحه لنفسه وينكر على نفسه ما انكره على اخيه عملا بالقانون الذهبي : « كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم أيضاً بهم »

ويراد بذلك ان تكون لكل افراد الهيئة الحرية الفكرية المطلقة حرية الضمير وحرية الفكر وان لا يعارضه معارض في فرد من عقائده ومنازعه السياسية ما دام لا يمس في كل ذلك حرية الآخرين وحقوقهم

فاحتمال المغايرة لنا في الرأي والتساهل مع المخالفين في العقيدة شرط ضروري لتأليف الهيئة الاجتماعية وسلامها وارتقائها . وذلك يستلزم انتشار العلم الصحيح الذي يدمث الاخلاق فيحررها من التعصبات الذميمة والسيطرة على الافكار

الاحتكار

بقي ان كلا من حجارة البناء العديدة يدغم باخوانه فيحمل كما يحمل . وخلاصة ما يقال في هذا الباب « ان الحجر لاجل البناء لا البناء لاجل الحجر » واذا شذ الحجر عن اخوانه سقط وعرّض ما حوله للسقوط فيتداعى البناء . وذلك حال من شذ عن مستوى اخوانه وجعل نفسه مركزاً تدور حوله كواكب المساعي وافلاك الحوادث . فيرفع نفسه الهاً معبوداً ويعتبر الجميع حوله عبيداً وتابعين . وهذا المظهر اضر في الاقتصاد منه في السياسة

ولذا اعتبروا الاحتكار من شر الادواء الاجتماعية

وفلسفة الاحتكار عند الاجتماعيين انه استئثار الفرد بالمنفعة وتضحيته بالمصلحة العامة في هذا السبيل . فهو يحاكي في نظرهم عادة الغزو المتبعة بين العشائر الهمجية . ولهذا هبّ الفلاسفة والسياسيون في اوربا واميركا لمناجزة الاحتكار تفادياً لما ينشأ عنه من الكوارث التي لا يقوى البشر على احتمالها

وهنا يحملنا حب الايضاح على الانتقال بالتمثيل من البناء الجمادي الى البناء الآلي المؤلف من اعضاء تشترك في الحس وتبادل التفاعل — كالجسم الحيواني مثلاً

الجسم مؤلف من عدة مجموعات كالمجموع الهضمي والمجموع الدوراني والعصبي والعضلي . وفي كل مجموع اعضاء متناسبة ومتعاونة . وترابط هذه الاعضاء ضروري لبقاء الحياة فاذا انفصمت عراها فقدت الحياة فعقبها الانحلال وتبعثر الاجزاء والدقائق التي يتألف منها الجسم

وقد ثبت فيسيولوجياً ان لكل من الاعضاء قدراً معلوماً من القوة المستودعة في الجسم . فاذا زادت في عضو نقصت طبعاً في اخيه فاختلت بذلك الموازنة في وظائف الاعضاء وظهر اثر ذلك في الصحة — وهو المرض فاورث الضعف سائر الاعضاء وهدد الجسم الموت . مثلاً : الدم يتوزع على اجزاء الجسد على مقادير معلومة فيتوجه عشره الى الدماغ والتسعة الاعشار الباقية الى بقية اجزاء الجسم . فاذا تناول الدماغ اكثر مما فرض له خسرت بقية الاعضاء قسماً مما لها فحصل من ذلك مرض اولاً في الدماغ كالاحتقان والالتهاب وثانياً في الاعضاء الاخرى التي خسرت قسماً من حصتها فتعجز المعدة عن الهضم لنقص القوة وتتوقف الكليتان عن الافراز ويضطرب القلب وتتشوش كل اعضاء الجسم . لان الدماغ طمع في حصة اخوانه

ونكتفي بهذا التمثيل لايضاح ما اردنا بيانه وهو يغني عن كثير من الامثلة المستمدة

من عالمي النبات والحيوان . وقد بيّنا ان المطامع ضربة قاضية على الهيئة الاجتماعية فانها بالنظر الى صفتها الروحية تؤلف من وحدات ادبية . فكل مرض في الاخلاق يحدث خللاً في الهيئة

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ولقد ثبت علمياً ان في الجسم الحيواني ترابطاً سرياً يرمي الى سلامته . فاذا ثار احد اعضائه على اخوانه طمعاً في استلاب مالهم كانوا عليه يداً واحدة غيرة على المصلحة العامة . والمعالجة الصحيحة ترمي الى تنشيط حركة الدفاع التي تقوم بها الحلفاء ضد العضو الثائر

وذلك خلاصة تاريخ الاقتصاد والسياسة بل تاريخ المدنية والعمران . ومجاليه شرع في كل دوائر الهيئة الاجتماعية — في الاسواق المالية — في الدوائر السياسية — في ميادين القتال — في المحالفات والاتفاقات — في سائر النظامات والهيئات والكوائن جمعاء . فالتوازن والترابط هما الخيط المزدوج اللانهاية له الذي منه حيكت شبكة الصور والحوادث في العالم المادي وفي الاجتماع الانساني

التضامن الاجتماعي

ولما كانت سلامة الهيئة الاجتماعية عند جميع الافراد اجل من كل ناطق وصامت بل هي مناط الآمال اطبقوا على التدبير دفعاً للطامة الكبرى . فشحذ العلماء قرائحهم واورى السياسيون زناد افكارهم لاستنباط الذرائع الفعالة لدفع الخطر والاحتفاظ بسلامة الهيئة الاجتماعية من اختلال الموازنة

ومن اجل الذرائع التي توصل اليها الاجتماعيون لرفع الخرق ورتق الفتق اثنتان هما التأمين والاشتراكية

(١) التأمين

فالتأمين او الضمان هو على انواع . فمنه ضمان البضائع المشحونة . ومنه ضمان الابنية من الحريق . ومنه تأمين الحياة البشرية او ضمانها . ويسمى ضماناً بالنظر الى الشركة الضامنة . ويسمى تأميناً بالنظر الى الشخص او الشيء المؤمَّن . وفلسفة الضمان انه اشتراك العموم في مصيبة الفرد الواحد فهو مداواة العلة من وجه سلبي

ففي هذا الشرق كثيرون من التجار مثلاً يشحنون الغلال والبضائع الى اوربا واميركا . فاذا فقدت بضاعة احدهم على الطريق خسر خسارة كبيرة قد تؤدي الى

افلاسه . على انه اذا أمنها لدى شركة الضمان — لقاء مبلغ معين يدفعه عنها — فلا تحل به خسارة ولا تدانيه مصيبة لانه يذهب الى الشركة ويقبض القيمة المتفق عليها . والشركة تدفع التعويضات التي من هذا القبيل مما يتوارد اليها من رسوم التأمين من سائر التجار . فيكون جميعهم قد تقاسموا — بواسطة الشركة — مصيبة الفرد الواحد فيهم . وهو ما يسمونه « ناموس التعاون » وناموس التعاون يظهر في الاجتماع ظهوره في طوائف الحيوان والعائلات النباتية فهو وان حسنته يد الصناعة فرع من فروع الطبيعة . وما قيل في تأمين البضائع يقال في تأمين البيوت وغيرها

أما تأمين الحياة فلا يراد به رد القضاء كما قد يسبق الى اذهان البسطاء . بل تأمين مبلغ من المال تنقده الشركة لورثة المتوفي اذا كان مؤمناً عندها

وقد ادرج التأمين او الضمان في سلك العلوم وصار يعلّم في الكليات كسائر فروع السسيولوجيا او العلم الاجتماعي

(٢) الاشتراكية

اما الاشتراكية فهي الاتفاق على تقسيم المنافع او توزيعها على الافراد. فهي مداواة للعلة من جهة ايجابية لانها تعاون في النفع . قال المثل « ولا يعجز القوم اذا تعاونوا »

لماذا يقبض زيد وهو متربع في دست الكسل الوفاً من الدنانير يومياً واخوه عمرو يتصبب عرق جبينه وهو يحاول جهد استطاعته ويستنفد وسعه في الامر ومع ذلك لا ينقد الا دريهمات قليلة لا تكفي لحاجاته وعياله . هذه هي العلة . فالاشتراكية توجب ان تزاد حصة عمرو . وان تكون الثروة ملك الجمهور . فلا يستأثر بها زيد الكسول . وان الطريقة التي بها احتكر هذه الثروة لا تحسب مشروعة فهي اختلاس « الثروة للعموم ويجب ان تعاد الى العموم » هذا هو العلاج في رأي الاشتراكيين الاصلاح وهو استعادة التوازن الاجتماعي جرياً على سنن الطبيعة - والطبيعة مجلى الالوهية — التي تساوي بين الجميع في منافعها العظام كالنور والماء والهواء وما شاكل

حلقات التضامن الاجتماعي

التضامن امر لا بد منه لبقاء النوع الانساني . وهو يتجلى لنا في حلقات ثلاث وهي : المجالس البلدية . والحكومات المدنية . والقانون الدولي

﴿ البلدية ﴾ هي دائرة تجمع ضمنها بيوتاً عديدة . وغرضها توفير المنافع للاهلين وضمان راحتهم وارتقائهم . فهي تعنى بامر البلدة كاصلاح طرقها وتنقية مائها وملاحظة

تنويرها ومراقبة معاملاتها . وتتقاضى الاهلين رسوماً معينة لقاء خدمتها اياهم. فهي بهذا الاعتبار كشركة الضمان . ومنافع هذه الحلقة لا ينكرها خبير . فهي الحلقة الاولى في سلسلة التضامن الاجتماعي . وفي احضانها ينشأ مبدأ التعاون وتبادل المنافع الذي هو الرابط الاجتماعي الاعظم

ومما لا مراء فيه ان زيداً مثلاً لو قصر همه على بيته ومخزنه ما كانت سعادته وراحته مضمونتين مهما اتقن تشييدهما وتأنق في زخرفتهما . لان راحته وهناءه لا يقومان في بيته فقط بل في سلامة الروابط العامة ايضاً كماء الشرب والطرقات والانوار والصحة العمومية فاذا لم يعبأ بهذه فان اتعابه تذهب ادراج الرياح ويحرم السعادة والراحة في بيته ومخزنه لسوء المواصلات وفساد سائر الامور

﴿الحكومة المدنية﴾ هي سياج يحمي المصالح جمعاء . ونسبة الحكومة المدنية الى المجالس البلدية كنسبة هذه الى البيوت . فالحكومات المدنية شركات ضمان اوسع تضم ضمن نطاقها شركات صغرى

﴿القانون الدولي﴾ هو عبارة عن الروابط الاجتماعي العام . فهو مجمع المحالفات والمعاهدات المتعلقة بعلاقات الامم والدول المتبادلة كالحدود . والمياه . والمرافئ . والبوستة . والتلغراف . والسفارات . والحياد . وغنائم الحرب . ومعاملات الاسرى الخ . ونسبة القانون الدولي الى الحكومات المدنية كنسبة هذه الى المجالس البلدية او كنسبة هذه الى البيوت

بقي ان الترابط والتوازن غير منحصرين في الانسان بل يشغلان جزءاً اوسع في هذا الوجود : هذه الكواكب السابحة في هذا الفضاء اللانهاية له . فهي على ابعادها مترابطة ومتوازنة . وتوازنها دقيق جداً كتوازن العناصر الهيولية في الدقائق المادية . فاذا فقد جرم منها اضطرت لفقده كلها واخذت تخطر وتتمركز الى ان تسكن . على انها لا تسكن حتى تتوازن . وذلك التوازن حصل بتقاسمها منطقة النفوذ التي كان ذلك الجرم يشغلها . وقد تقاسمتها بالنسبة الى اقدارها وفاعلياتها . فاستقام امرها بعد الاضطراب وحلّت في مراكز تؤذن لها بالتوازن حفظاً للترابط العام . و « كما في السماء كذلك على الارض » اعني انه كما يسود الاجرام السموية الاضطراب لاختلال الموازنة ولا يستتب الامر الا باستعادتها هكذا في الاجتماع البشري لا تسكن تياراته حتى تتوازن اجزاؤه ويصير راسي القواعد . فقد علمتنا فلسفة كل الاجيال ان تيارات السياسة واضطرابات الاجتماع لا تسكن ولا تهدأ حتى يستعاد التوازن ويصير الترابط وثيقاً ثابتاً

حنا الخباز

خطاب مفتوح

من الشعب الاميركي الى الدول المتحاربة

نشرت مجلة الاوتلوك الاميركية خطاباً مفتوحا موجهاً من الشعب الاميركي الى الدول المتحاربة فرأينا ان نثبت ترجمته على صفحات الهلال دليلا على ما يشعر به الاميركيون في هذه الاثناء

(١) الى الدول المتحاربة باجمعها

ان بين ظهرانينا شعوباً من كل دولة منكنّ قد انزلناهم على الرحب والسعة ومنحناهم حقوقاً متعادلة فاسحين لهم مجال النمو والارتقاء . على ان سعادة الولايات المتحدة يجب ان تكون نصب عيون جميع الذين قد التجأوا اليها والتمسوا حمايتها فهي لا تميز بين فريق وفريق ولا تأذن لفئة في الاندماج بها ما لم تخلع عنها ثوب القديم وتقبل ان تتفيأ الراية الاميركية

وعلى رغم ما بيننا وبين بعضكن من ربط الصداقة المتينة لا نزال متمسكين بذلك المبدإ الذي سنّه لنا واشنطون وهو ان اميركا لا تستطيع ان تؤدي الواجب الذي عليها من نحو العالم الا اذا اجتنبت مشاكل السياسة الاوربية . فاذا كانت هذه المشاكل (واهمها توازن القوى الدولية) هي التي قد افضت الى هذه الحرب الضروس فليس لنا الا ابداء الاسف العظيم لاننا نعتقد ان السيف لبس الحكم الافضل لفض هذه المشاكل

ان حزننا بسبب الحرب الحاضرة عظيم جداً ولذلك نحن نفتح احضاننا لقبول كل بريء يلتجيء الينا ويلتمس مساعدتنا . على اننا سنظل بعيدين عن خوض غمار هذه الحرب فلا يدفعنا اليها شيء الا ان يتهددنا عدو اجنبي

فامنيتنا العظمى اذاً هي ان يعود السلام الى ربوع اوربا الجميلة — لا السلام الذي يعقب فناء القوى (فان ذلك سلام اضطراري يبقي في الصدور احقاداً لا يزيلها مرور السنين) بل السلام الدائم القائم على دعائم العدل والانصاف . فيزول عن صدر العالم كابوس الحرب المزعج وتستأصل شافة الروح الحربية من رؤوس القادة والحكام

(٢) الى الصرب

لا شك انك ملومة اذ فسحت المجال لمؤآمرات افضت الى قتل ولي عهد النمسا

ولكنكِ كفّرتِ عن سيئتك باقتراحك ان يعرض امرك على مجلس تحكيم دولي فليتهم قبلوا اقتراحك وحقنوا انهار الدماء التي تخضب اليوم سهول العالم اجمع

(٣) الى النمسا

انا ندرك عظم استيائكِ من مقتل ولي عهدك وقد كان لك الحق ان تطلبي معاقبة الذين ارتكبوا ذلك الجرم الفظيع . ولكن يلوح لنا انك غاليت في ما طلبتهِ حتى اخرجته من حيز العدل الى مجال السياسة . فانك رفضت عرض الخلاف الذي بينك وبين غريمتك على محكمة دولية تكون فيها حليفاتك المانيا وايطاليا ومنافساتك انكلترا وفرنسا من جملة الاعضاء

فان كنتِ قد آثرت الحرب عن اختيار فجرمك عظيم . وان قلت ان حليفتك دفعتك اليها فقد اعترفت بعجز عظيم لان الحرب التي اثرتها قد اندلع لهيبها حتى غشي سهول اوربا الجميلة فلم يذر فيها عيناً لا تدمع وقلباً لا يتوجع بل وشح العالم بثوب حداد سيلبسه حتى الاجيال المقبلة

لعلك لم تدركي هول البلايا التي نشأت بسبب عنادك . ليتك ترويتِ وسيفك مغمد . اذن لحقنتِ سيولاً من الدماء . ألم يكن في وسعك ان تعرضي خلافك مع السرب على محكمة دولية تقضي بينكما بالعدل ؟ ألم يكن في وسعك ومن واجبك ان تحقني دماء الابرياء الذين سخرتهم لقضاء مطامعك الكبيرة ؟

انك تطرفت في طلب العقاب لغريمتك السرب . ولا شك ان المنافسات الجنسية والحزازات السياسية كانت تعمل ضمن اسوار سراييفو وفينا وبلغراد حتى افضت مشاهدها المخيفة الى هذه المجزرة الرائعة . فالحرب الحاضرة اذاً ليست سوى قناع لاخفاء مطامعك الاشعبية وها نحن اليوم امام مجزرة قد ارجعت القرن العشرين الى عهد الاجيال المظلمة

(٤) الى المانيا

اما انتِ يا المانيا العظيمة فاننا نحب شعبك النشيط وقد تناسينا ما فعله بنا بنوك الهسيون يوم استؤجروا لمحاربتنا في سنة ١٧٧٦ . والدليل على ذلك اننا لانزال منذ ذلك الزمن حتى اليوم نرحب بمهاجريك الذين ينزلون ارضنا ويلتمسون جوارنا . ولا يسعنا الا ان نعترف لهم بالنجاح في الاعمال لما هو مشهور عنهم من الذكاء وبعد النظر

على اننا لا نعتقد بان الحضارة الالمانية هي الحضارة العليا التي يجب ان تسود العالم

فان هنالك حضارات اخرى بلغت شأواً رفيعاً من الارتقاء . اجل لقد كان « كانت » و « غوتة » من قادة العالم الذين قادوا المجتمع العمراني . ولكن « نيتشه » و « برناردي » ومؤلف « نشيد الحقد » هم اعضاء فاسدون في جسم المجتمع العمراني فقد انخدعوا وخدعوكم بمبادئهم الضارة اذ علموكم ان القوة فوق الحق وهي فلسفة لو سمع بها « كانت » لعدها تجديفاً وقضاء على المجتمع العمراني . وقد خدعوكم ايضاً بقولهم ان انشاء جيش جرار هو سياجكم الوحيد ولذلك وجهتم ابصاركم الى تعزيز جانبه ليخشى العالم بأسه وليكون عضدكم في اخضاع العالم لسلطتكم المطلقة

ولقد خضعتم بكل صبر وأناة لما فرضه عليكم قادتكم الحربيون من ضرائب مالية فعبأوا على حسابكم اعظم جيش شهده التاريخ ولما جاء « ذلك اليوم » الذي كان مطمح آمالهم ساقوا كتائبهم تحت ظلال الاسنة الى حيث تباع الارواح بيع السماح

ولماذا ؟ لان قوادكم اوهموكم بانهم يدافعون عن كيانكم

ولكن اي خطر كان يتهددكم ؟ اكنتم تدافعون عن شيء اختلسه منكم العدو أم تحاولون أن تغتصبوا من غرمائكم ما لم يكن في حوزتكم ؟

الم يقل مستشاركم يوم اجتاحت كتائبكم لكسمبرغ والبلجيك ان الضرورة لا تعرف قانوناً ؟ فليت شعري ماذا كانت تلك الضرورة ؟ لقد كنتم باعترافكم دولة مرهوبة الجانب لا يجسر ان يناوئها احد ولكم من توازركم ووحدتكم القومية اقوى سياج لدولتكم الكبيرة . فما هي الضرورة التي احوجتكم الى جتياح لكسمبورغ والبلجيك . اللهم الا ان تكونوا قد تذرعتم بتلك الوسيلة لغاية اخرى هي الفتح والاستعمار

يقول علماؤكم ومبشروكم بان هذه الحرب بركة للعالم لانها ستنشر الوية الحضارة الالمانية . ولكن ابقنابل « شرابنل » و « دمدم » تنشر المدنية ؟ ان الذين تكتسحهم تلك القنابل لا يحتاجون الى الحضارة والذين ينجون من القنابل يضمرون لكم الحقد ويرفضون حضارتكم بتاتاً . وهل الحضارة هي ان تخربوا المدن وتحرقوا القرى وتجتاحوا البلاد ؟ ها ريمس ومالين ولوفان وسواسون تشهد على حضارتكم الراقية ! ترى ماذا ابقيتم للاجيال المظلمة ؟

قد التمس لكم قيصركم موضعاً فوق المجرة . مع انكم تدعون انكم حائزون على ذلك المركز السامي . الستم تقولون انكم اذكى اهل الارض واكثرهم نشاطاً وارفعهم علماً واسماهم فكراً وارقاهم منزلة واغناهم ثروة ؟ فان كنتم في الحقيقة كذلك فاننا نهنئكم لبلوغكم هذه المنزلة الرفيعة في مدة اربعة واربعين عاما ونسالكم ما هو اذن

الموضع الذي يلتمسه لكم قيصركم فوق المجرة . اليس المقصود منه سيادة المانيا على العالم اجمع ؟

ان كثيراً من اعمالكم واقوالكم هي الغاز لا ندركها . ولا يسعنا الا الاعتقاد بانكم انتم الذين دفعتم النمسا الى النهج الذي نهجته مع الصرب لتتذرعوا بذلك الى اعلان هذه الحرب الهائلة . ويلوح لنا انكم كنتم مصممين منذ البدء ان تجتاحوا بلاد البلجيك فخنتم بعهودكم ودستم كلمة الشرف التي اعطيتموها ميثاق امان لجارتكم . ومن تمعن في اعمالكم لا يسعه الا الاعتقاد بانكم تضعون مصالح امبراطوركم وامبراطوريتكم فوق كل مبدإ ادبي عمراني وان التجاءكم الى طرق « الارهاب » انما هو رجوع الى عصور التوحش والهمجية . لهذه الاسباب لا يسعنا ان نشاطركم افراحكم واحزانكم في هذه الحرب الزبون

على اننا لا نزال نحب ونحترم الشعب الالماني ونود من صميم افئدتنا ان يبيض صفحته امام التاريخ ويتبرأ من وصمات العار التي الصقتها به اعماله . فاذا انسحبتم عن البلاد التي اجتحتموها وعوضتم عما سببتموه لاهلها من الخسائر ورجعتم الى حصون بلادكم بررتم انفسكم امام التاريخ واستطعتم اذ ذاك ان تقفوا وقفة المدافع عن كيانه ولا خطر عليكم من ذلك البتة

(٥) الى البلجيك

نعما أيتها المملكة الصغيرة ! لعمر الحق يحق لك ان تفاخري بملكك الشجاع وملكتك الفاضلة وشعبك الباسل . لقد عانيت من اهوال هذه الحرب وويلاتها ما لم يعانه غيرك من الامم المتحاربة ولكنك تعتزين لقيامك بواجب الدفاع عن ارضك الجميلة وتربتك المجيدة وحريتك التي كانت الدول العظمى قد ضمنتها لك . ولقد حاولنا كثيراً ان نظهر اعجابنا بشعبك الباسل فعجزنا عن اظهار كل ما تكنه أفئدتنا . فنحن لا نسوّغ صلحاً تعقده اوربا ولا يكون مبنياً على التعويض عن جميع الخسائر التي اصابتك وعلى ارجاع بلادك التي اجتاحها الاجنبي واعمل فيها السيف

(٦) الى فرنسا

وانت يا فرنسا الجميلة مهبط العلم والعرفان ومهد الحرية والاستقلال اننا لن ننسى صداقتك لنا ومساعدتك ايانا يوم كنا نحارب في سبيل استقلالنا . وليسرنا وايم الحق ان شمسك الجميلة لا تزال تنثر على العالم نور المجد والحرية على رغم المحن والمشاكل التي

مررت بها ومرت بك . انك لم تتبجحي بحضارتك ولا سعيت لنشرها بالسيف ولكنك قد ارسلت على العالم في سائر العصور والاجيال شعاعاً منيراً من نور العلوم والفنون والمدنية فاذا قدر لتلك الشعلة المقدسة ان تنطفىء لا سمح الله فان انطفاءها مصيبة تلم بالعالم اجمع

اننا لا نعتقد انك دخلت هذه الحرب برغبتك واختيارك فانك لم تطلبي شيئاً ولا نازعت احداً على شيء بل كانت جل غايتك ان تستمري في معيشتك الهادئة وتسايري على نهج طريق السلام

ولقد كان سلوكك في هذه الحرب مدعاة للفخر والثناء فانك صرّحت على رؤوس الاشهاد بانك تحافظين على حرمة البلجيك فلا تخترقينها كما فعلت المانيا . فلما اجتاحها العدو الاجنبي هببت لمقاومته بكل ما اوتيت من قوة وبدأت تردين سيل العدو الجارف

ويعجبنا منك انك لا تكثرين من الكلام ولكنك تحاربين حروب الابطال كما تشهد لك معارك المارن وقائدك صامت وجيشك ملازم السكوت . فحربك حرب دفاعية بل هي جهاد للحياة . ولذلك نتمنى لك ايتها الشقيقة كل نجاح وفلاح ليستمر نورك مشرقاً على جميع ارجاء المعمور

(٧) الى بريطانيا العظمى

واما انت يا بريطانيا العظمى فان بيننا وبينك صلة نسب وقرابة . اجل لقد وقع بيننا ما ادمى القلوب ولكن تلك الجروح كانت سريعة الاندمال . فنحن الان شعبان تضمهما اللغة والعادات وكثير من الاذواق والمشارب . وكلما نظرنا اليك تذكرنا كلام شاعرك تنسون الذي سماك « الجمهورية المتوجة » . فمدنيتك مدنيتنا وادابك ادابنا وحاجاتك حاجاتنا . انت اختنا الكبرى . لذلك نستطيع ان نخاطبك بكل مودة واخلاص

لا نعتقد انك كنت راغبة في هذه الحرب لانك بذلت كل ما في وسعك لاجتنابها فلما اشتعلت جذوتها لم يكن من الممكن ان تتنحي عنها بدون ان تلطخي تاريخك بوصمة سوداء لانك كنت قد وقعت بامضائك على « قصاصة الورق » التي كانت تضمن حياد البلجيك . وقد صرحت لك فرنسا بانها ستحافظ على حرمة ذلك الحياد بخلاف ما صرحت به المانيا . لذلك اضطررت ان تسلي حسامك وتناضلي عن الحق لان البلجيك طلبت اليك ان تعملي بعهدك وتنجزي وعدك . وقد كنا واثقين من انك ستفين بوعدك ولا يدهشنا شيء قدر زعم الذين توهموا انك لن تحركي ساكناً لايفاء ذلك الوعد

فانت بهذا الاعتبار عنوان الامانة والوفاء . وهذه خير حجة في قضيتك الحاضرة

وقلما نلتفت الى الاسباب الاخرى التي تبسطها وتتبسط بها جرائدك وساستك . وكما انا نعجب بمبادئك السامية فانا لا نوافق بعض افرادك الذين يطالبونك ان تعاملي المانيا بمثل ما تعامل به اعداءها . فنحن نطرب لسماع صوتك في الدفاع عن الحق وننفر منه عندما يطلب مجرد الانتقام

ولسنا نرى انك يجب ان تفاتحي اعداءك بالصلح . ذلك واجب البادىء بالعدوان . ولكن متى أجليت العدو عن فرنسا والبلجيك وجب عليك ان تفسحي المجال لكل اقتراح غايته ارجاع السلام الى ربوع العالم . واملنا انك تظهرين وقتئذٍ بمظهر الحكمة والكمال الذي طالما ظهرت به على مسرح سياسة العالم . واملنا انك لا تغالين في مقاضاة عدوك لان العفو عند المقدرة عنوان العظمة والجلال . فاذا استطعت عقد صلح شريف تصان به هيبتك وكرامتك ولا ينشىء في قلوب اعدائك حقداً فيما بعد فهنالك منتهى مجدك ومظهر جلالك

(٨) الى الدول المحايدة الاوربية

انكن ايها الدول مثلنا تحرصن على اراضيكن وشعوبكن من ان ينتابها السيف على انه لا بد لجميعنا من تحمل قسط وافر من ويلات هذه الحرب وان يكن قسطكن اكبر من قسطنا فقد عبأن جيوشكن وتحملتن نفقات ذلك بكل صبر واناة حتى ناءت مواردكن الاقتصادية بحمل النفقات الباهظة . فنحن نعجب بكنَّ اعجاباً جماً ونحبذ حتى دخولكن في الحرب اذا كان ذلك للدفاع عن كيان مهدد أو حقوق مهضومة ولكننا لا نوافق على دخولكن الحرب لمجرد مشاطرة غيركن الاسلاب والغنائم

* * *

هذا واملنا قوي بان تنتهي هذه الحرب سريعاً . فحقول اوربا التي لا يشاهد فيها اليوم سوى اشلاء قد حامت عليها النسور ولا يسمع فيها سوى صوت المدفع ممزوجاً بانين الجرحى وعويل الثاكلات — تلك الحقول الجميلة قد ناءت باثقال الحرب فهي اليوم عبارة عن خنادق هي في الحقيقة اقنية لسيول الدماء

انا ننكر على كل دولة حكم السيادة العالمية . فالعروش التي تبنى على شفار السيوف لا تدوم . والممالك المبنية على جماجم القتلى لا يمكن ان تعيش

الامضاء

(الشعب الاميركي)

شذرات عن الحرب الحاضرة

مجموعة من ادق المصادر واصحها

مقدمات الحرب بين ايطاليا والنمسا

في سنة ١٠٢٧ منح الامبراطور كونراد الثاني جميع حقوق مقاطعة ترنتينو الزمنية لمطران مدينة ترنتة فاصلا اياها عن ايطاليا

في سنة ١٢٠٣ استولت البندقية على مدينة تريستة

في سنة ١٣٦٣ استولت النمسا على التيرول

في سنة ١٣٨٢ اصبح ليوبولد الثالث ملك النمسا سيداً على تريستة

في سنة ١٨٠٣ ضمت النمسا مقاطعة ترنتينو

في سنة ١٨٤٧ ظهر في مدينة تورينو جريدة تسمى « ريسورجيمنتو » لصاحبها كاميلو كافور

في سنة ١٨٤٨ نودي بالبندقية جمهورية وحدثت ثورة في النمسا ولا سيا في التيرول

في سنة ١٨٥٢ عين كافور وزيراً لبيامونت

في سنة ١٨٥٧ انقطعت العلاقة بين النمسا وسردينيا

في سنة ١٨٥٩ حصنت النمسا ضفاف التشينو وهو النهر الفاصل بين املاكها الايطالية وبيامونت . وشهر نبوليون الثالث الحرب على النمسا لاخراجها من ايطاليا فدخلت جيوشه بيامونت وانكسر النمسويون في مونتبلو وباليسترو وماجنتا وسلفرينو ثم عُقد صلح فيلافرنكا فاعطيت لمبارديا بموجبه لسردينيا

في سنة ١٨٦٠ ضمت توسكانيا الى سردينيا فاحتجت النمسا على هذا العمل وزادت جيشها على حدود البندقية

في سنة ١٨٦١ منحت الحقوق المدنية والسياسية للبروتستانت المقيمين بالامبراطورية النمسوية ما عدا البندقية وهنغاريا وتبوأ فيكتور عمانوئيل عرش ايطاليا وتوفي الكونت كافور

في سنة ١٨٦٦ شهرت ايطاليا الحرب على النمسا

انتصرت النمسا على ايطاليا في معركة قسطوزا البرية ومعركة ليسا البحرية ولكنها تنازلت عن ولاية البندقية لفرنسا . وفي اثناء المفاوضات بخصوص شروط الصلح طلب ماتسيني الايطالي من النمسا مقاطعات البندقية والترنتينو واستريا . ولا يخفى ان اربعة

اخماس سكان الترنتينو يتكلمون الايطالية وهم من اصل ايطالي . وموقع البلاد الجغرافي يجعل ايطاليا احق بهذه المقاطعات من النمسا . اما استريا فهي شبه جزيرة مقابلة للبندقية وعلى الساحل الشرقي من بحر الادرياتيك . ومعظم اهاليها يتكلمون الايطالية وان يكن جانب كبير منهم من اصل سلافي

في سنة ١٨٨٢ عقدت المحالفة الثلاثية بين المانيا والنمسا وايطاليا

في سنة ١٩٠٠ رفضت النمسا ان تؤسس مدارس جامعة ايطالية في روفريتو وتريستة

في سنة ١٩١١ شهرت ايطاليا الحرب على تركيا فعبأت النمسا جيشها على حدود ايطاليا ومنعت الدوق دابروزي من التعرض لسواحل البانيا

في سنة ١٩١٢ اتفقت النمسا وايطاليا على العمل معاً في البانيا

في سنة ١٩١٣ قاومت ايطاليا النمسا عندما رغبت هذه في التعرض للسرب

في سنة ١٩١٤ ارسلت النمسا بلاغاً الى السرب بدون اطلاع حليفتها ايطاليا فخالفت بذلك المادة الاولى من مواد المحالفة الثلاثية

في سنة ١٩١٥ عرضت النمسا ان تتنازل لايطاليا عن بعض الاراضي عند نهاية الحرب بضمانة المانيا . وكانت غاية النمسا ان تبقى ايطاليا على الحياد . واهم ما عرضته عليها : —

(١) قسم من التيرول الذي يقطنه الايطاليون

(٢) الضفة الغربية من نهر الاسونزو التي يكون اهلها من العنصر الايطالي مع مدينة جراديسكا

(٣) منح تريستة استقلالا داخلياً وانشاء جامعة ايطالية فيها

(٤) منح ايطاليا حقوق السيادة على افلونا (ميناء في البانيا) ومنطقة نفوذ في البانيا

(٥) احترام المصالح الايطالية في النمسا

(٦) العفو عن جميع المجرمين السياسيين في البلاد التي تتنازل عنها النمسا لايطاليا

(٧) اعفاء اهالي المقاطعات التي تتنازل عنها النمسا من الخدمة العسكرية واذا كانوا في ساحة الحرب فيعادون الى اوطانهم

هذه هي اهم الشروط التي عرضتها النمسا على ايطاليا ولكن ايطاليا لم ترض بها لان الحلفاء عرضوا عليها شروطا اوفق هاك اهمها : —

(١) اعطاء ايطاليا مقاطعات الترنتينو واستريا وبولا وفيوم وزارا ودلماسيا حتى نهر نارات

(٢) الاعتراف بسيادة ايطاليا على الجزائر التي احتلتها في حربها مع تركيا منذ ثلاث سنوات

(٣) اعطاؤها أفلونا وما يجاورها من البلاد

(٤) تعديل حدود ليبيا

(٥) انشاء دولة « قرواطة » المستقلة

(٦) اعطاء ايطاليا جزءاً من المملكة العثمانية حيث يكثر العنصر الايطالي

(٧) اعطاؤها جانباً من المستعمرات الالمانية

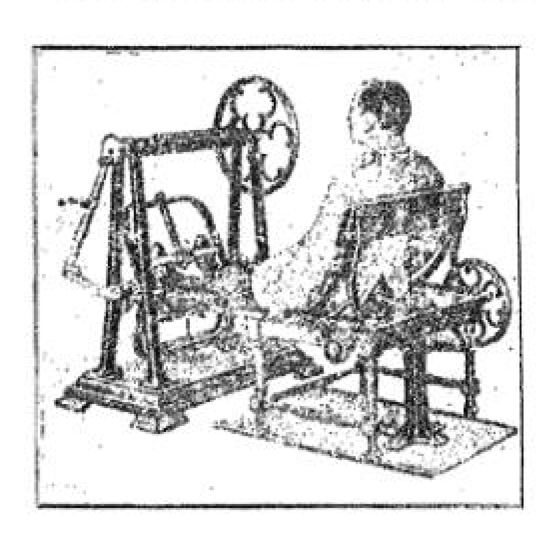
فترى ان هذه الشروط تفوق الشروط التي عرضتها النمسا على ايطاليا بكثير

في ٢٢ مايو سنة ١٩١٥ شهرت ايطاليا الحرب على النمسا



الصحافة على صفوف القتال

لا يقف دون جرأة الصحافي شيء فقد أنشئت بعض الصحف على صفوف القتال على مسمع من دوي المدافع . وفي هذا الرسم عامل على باب مطبعة في شمالي فرنسا يصف الحروف استعداداً لطبع الجريدة



آلة لتمرين الرجلين

قد اخترع الاطباء في هذه الحرب وسائل جديدة لشفاء المجروحين بسرعة . ومنها آلات ميكانيكية مختلفة لترويض الاعضاء المصابة



سكان روسيا

مساحة روسيا اكبر من سائر اوربا وهي مؤلفة من شعوب مختلفة اكثرها ترجع الى الجنس السلافي وأهم اقسام الجنس السلافي ثلاثة الروس الكبار والروس البيض والروس الصغار وفي الشكل اعلاه نسبة جميع الاجناس في الالف

على صخرة الموت

هنالك على تلك الصخرة الصماء وقف وقفة الحزين الهادىء ينظر الى الافق بعينين مبللتين بالدموع كأنه يسأله المعونة والرحمة . وقف ينظر الى امواج البحر المتلاطمة التي حركتها يد الاعصار الظالمة . وقف يسمع هديرها المفجع وصراخها الحزن عندما كانت تتلاطم تحت اقدامه

وقف تلك الوقفة بالامس وكان جذلاً ينشد أغاني الحرب الشجية واليوم يقف وقفة المودع اليائس الذي يرى الحياة ظلاماً دامساً لا يهتدي فيه الى طريق الهناء . في يمناه سيف ملوث بدم بريء من أبرياء الله كتب عليه القدر ان يموت بيد صديق من أعز الاصدقاء وعلى يسراه رأس ذلك المسكين وقد اخترقها غير مرة سيف اعزّ الناس اليه . نظر الرجل الى ما حوله نظرة الذاهل المتحير كأنه قد خولط في عقله او دوهم بمصيبة من مصائب الدهر انصدع لها قلبه

وقف ينظر الى الشمس وهي منحدرة الى طريق الغرب فاذا بها شعلة من نار او صاعقة من صواعق السماء انقضت على الارض لتحرق ما فيها من سيئات البشر وكان شعاعها الذهبي التي تلاعبت به موجات البحر الضئيلة جذوات من جذوات جهنم المستعرة تحاول تطهير الارض من ادرانها

هناك حيال تلك المشاهد الرائعة كان يرى من بعيد ضوء طلقات المدافع ولمعان السيوف كأنها البرق الخاطف وكان يسمع زئيرها المتصاعد في الجو يشكو الى الله ما فعله الانسان بأخيه الانسان . هناك بعيداً عنه كانت تمثل على مسرح المطامع السافلة رواية التوحش البشري الذي دبجها يراع اعظم القواد المتحاربين . هناك ارتفع الستار عن فظائع الانسان تعلوها طبقة رقيقة لامعة من التمدن خدعة لاعين البسطاء بل لاعين هؤلاء المساكين الذين سيقوا الى تلك المجزرة الهائلة سوق الاغنام وهم جذلين ثملين بخمرة الامل الكاذب . ثاب الرجل الى رشده فنظر نظرة الى صديقه ونظرة الى سيفه فغلى الدم في رأسه وارسل من عينيه الواسعتين شعاعاً اشبه بشعاع الشهب وانشأ يبكي من فؤاد مكلوم وهو يردد على مسمع من ذلك الفضاء المتسع تلك الكلمات التي كانت آخر عهده بالحياة كأنه يخاطب امامه حزباً من احزاب الظالمين الذين حركوا تلك الحرب الشعواء واوقدوا نارها في جميع انحاء الارض : — يا عبّاد المطامع ويا سالبي نعيم البشر أما آن لكم ان تمزقوا حجاب الباطل فتروا بعين الحقيقة تلك الفاجعات الهائلة

التي داهمت البلاد المطمئنة فكسحتها امامها واقتلعت جذور الهناء من اصولها فلم تترك للاطفال الايتام غير اسمال بالية لا تدفع عنهم قوارص البرد وغير كسيرات من الخبز الناشف لا تخفف فيهم ألم الجوع . هكذا صار صغيرهم بعد ما كان يتلمس السعادة بيديه وهو في بيته بين امه وابيه . واما كبيرهم فحسبكم ان ترسلوا الطرف على ساحات القتال فتروا بعيني رؤوسكم معرضاً بشرياً من ضحاياهم الهائلة

قفوا هنيهة امام ذلك المشهد وتمعنوا في تلك الاشلاء الملقاة التي كانت بالامس ممتلئة صحة وعافية فحصدتها اليوم يد المنون حصداً . هناك قد التفت حولهم عقبان الجو كلٌّ يأخذ غنيمته ويطير بها في ذلك الفضاء المتسع ليملأ بها معدة كانت بالامس خاوية فاصبحت ملأى بلحوم البشر . يا لله منكم يا مدبري الحروب وقاتلي النفوس البريئة أبلغت منكم خشونة القلب ذلك المبلغ حتى تسلموا بايديكم لحوم اخوانكم هدايا سائغة الى عقبان الجو ونسوره ، أبلغت منكم حطة النفس ان تجعلوا تلك المدائن الزاهية الزاهرة خربةً مهدمةً لا يقام فيها حجر على حجر ؟ ما لاقدامكم الضخمة قد داست القانون والمعاهدات . ألم تراعوا حرمة الضعيف ولا أنة المستجير ؟ ألم تسمعوا شكواهم وقد عمت السماء والارض؟ ألم تسمعوا انين الثكلى وقد طوحت باولادها الحرب بعد ما مزقتهم في حياتهم سيوف الامل والتهمتهم نيران المطامع . أجل انها الانات تتمزق من هولها افئدة الكون

قفوا بتلك القصور وهي غرقى في بحار من الدماء امامها اشلاء اصحابها مبعثرة على اديم الارض هنا وهنالك . قفوا وانظروا اشباح النساء وهنّ هاربات من يد القضاء الصارم مذعورات بمرأى القتلى صائحات صيحات الرعب والالم يجرّرنَ اذيال التعاسة والبؤس . هناك سعير النار قد علا في الفضاء مهدداً القوم بالخراب والدمار . هناك الامتعة والذخائر تتطاير على ضوء القمر الخافت كأنها مقذوفات المدافع . هناك الرعب قد استولى على الجميع رعب الموت يرفرف فوق الرؤوس -- فاخذت الصيحات تعلو في الفضاء واخذ المدفع يقصف قصف الرعد يبرق نوره كالبرق الخلّب . هناك المرء وقد انقلب الى حالة وحشية مؤلمة تراه يفر من ابيه وامه واخيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . ها كم ايها الناس مشهداً من تلك المشاهد فتمعنوا فيها لعلها تحرك في قلوبكم أثر الشفقة والحنو فترقون على الامم البريئة وتكفون عن تخريب مدائنها العامرة . ها كم ايها الناس تلك الجثة الهامدة الملقاة تحت قدمي انها جثة صديقي المسكين الذي لم يجازه القدر على محبته واخلاصه الا بقتله بيد اعز عزيز عنده - باليد التي كانت تدافع عنه عند الشدة وتمنع عنه غوائل الكوارث عند نزولها . ها كم ايها الناس ذلك الشاب

الذي عاشرني حقبة من الدهر تمتعنا فيها بلذيذ الحياة — بالسعادة التي لا تشوبها شائبة.

يا له من زمان قد انقضى فانطوت على أثره صفحة هنائنا. على تلك البقعة الخضراء — عند ما كنا طفلين صغيرين يشرق في محيانا نور السعادة ويلمع في سمائنا الصافية نور الهناء — كنا نجلس وامامنا مياه النهر الفضية تنساب انسياب الافعى العائمة على وجهها لا يقر لها قرار. نمتع الطرف بمنظر الرياض النضرة السندسية التي كانت ملأى بقطعان البقر. يأتينا النسيم حاملاً لنا على اجنحته الخفيفة نغمات الطبيعة توقعها الطيور على اغصان الاشجار. كنا نرى السعادة في كل شيء — نراها في الازهار والرياحين العابقة شذاها في الكون — في سكون الليل المهوب — في اصوات البلابل الشجية حتى في اكواخنا الحقيرة. هناك عند ما يبدد الظلام جيوش النهار نرجع الى تلك الاكواخ فيلقانا والدانا بالترحيب والملاطفة ثم نتناول طعام العشاء ونجلس حول المدفئة وهذان الشيخان يقصان علينا قصص الرومان واليونان وفتح القسطنطينية وحروب الاندلس — تلك القصص التي كانت تبعث في قلوبنا الرعب والرهبة فيأخذ كل منا مضجعه وينام في فراشه يحلم بهؤلاء الفاتحين الى أن تحققت يوماً تلك الاحلام الصبيانية وصارت حقيقة مؤلمة. وآهاً لك ايتها الايام الحلوة — ايام النعيم والرخاء — ايام كنا زهرتين زاهيتين في حقول الطبيعة يهب علينا نسيم الحب الصادق فينعش نفسينا الهادئتين وتسقينا السماء كؤوس الاخلاص فتسكرنا بعذوبتها

مالك ايها النسيم وقد انقلبت ريح سموم عاتية كأنها خارجة من ابواب الجحيم. هلا رفقت برفيقي صباك التاعسين اللذين عاشراك دهراً كنتَ لهما خير عون وكانا لك خير الشاكرين. وانت ايتها السماء المقطبة مالك قد خلعت رداءك البهج ولبست ذلك الثوب المعتم المقبض. أتراك غاضبة علينا ونحن لم نسيء اليك أم على هؤلاء العصاة الذين عاثوا في الارض فساداً فرموك بشهبهم النارية وأقلقوا راحة ساكنيك باصواتهم المزعجة. أم انت تبكين رحمة على البائسين

الى هنا خفت صوته واحتبست كلماته في فمه لانه شعر بالدموع تنفجر من عينيه الذابلتين تفجر المياه من عيون الارض وكأن في رأسه أتوناً متسعراً من النار يلتهب التهاب البركان الثائر. فنظر الى البحر فرأى موجة من امواجه الهائلة فاغرة فاها تنتظر فريستها فرمى بنفسه فيها فما هي الا لحظة حتى كان جثة هامدة في جوفها شهيد الواجب والاخلاص

محمود تيمور

المناظرة والمراسلة

اللغة العربية واللغة الفارسية

حضرة محرر الهلال

رأيت في باب المناظرة والمراسلة من الهلال الماضي مقالة عنوانها « اللغة الفارسية واللغة العربية » اودع فيها حضرة كاتبها الفاضل رأيه في جزء من مقالتي « تأثير اللغة العربية في لغات الشرق » وهو الخاص بتأثيرها في اللغة الفارسية ولما كان في مقالته الثمينة التي استفدت منها كثيراً بعض هنات آخذه عليها لمخالفتها الحقيقة اردت ان ابسطها للقراء خدمة للتاريخ ولا غرض لي الا تقرير الحقيقة فاقول :

افتتح الكاتب مقالته بنقل اول كلامي عن اللغة الفارسية فنقله للقراء نقلاً مشوهاً فقد جاء به هكذا : « اللغة الفارسية الحديثة التي يتكلم بها الفرس الان هي اللغة الفارسية التي كانت شائعة في ايران قبل الاسلام فان هذه وتسمى البهلوية قد انقرضت امام اللغة العربية (كذا) » وهذا خطأ لم اقل به كما يتبينه القارئ من الرجوع الى مقالتي في الجزء الخامس ص ٣٧٣ بل قلت « ان اللغة الفارسية الحديثة التي يتكلم بها الفرس الان هي غير اللغة الفارسية التي كانت شائعة في ايران قبل الاسلام الخ » فاسقاط كلمة « غير » من الكلام كما فعل الكاتب يخل بالمعنى ويؤدي بالكلام الى غير المقصود منه

ثم تلى هذا النقل المشوه بقوله : « والكتابة في هذا الموضوع تتطلب من الكاتب شرحاً طويلا لان الايجاز لا يفي » فماذا كان يريد حضرته منا ان نتكلم به عن اللغة الفارسية في مقالة صغيرة باكثر من بضعة عشر سطراً ونحن نتكلم عن تأثير اللغة العربية في لغات الشرق جميعاً

لغة الفرس في العصر الساساني

هذا ما يخص موضوع مقالنا اما ما اراد شرحه في مقالته وعاب علينا ايجازه وقع فيه في تناقض عظيم وخالف رأي المحققين من كبار المؤرخين والعلماء المعاصرين فقد قال : « كان الفرس على عهد هذه الدولة (أي الساسانية) يتكلمون ويكتبون باربع لغات » اسهب في ذكرها وهي : لغة باستاني ، لغة دري ، اللغة البهلوية ، لغة دياري .

ثم قال في كلامه عن لغة دري : « ولبثت هذه اللغة مستعملة نحو ٥٥٠ سنة حتى تغلب اسكندر المقدوني سنة ٣٣١ ق م » وهذا يناقض كلامه السابق اذ كيف يعقل انها كانت شائعة في ايام الدولة الساسانية وبعدها من لغات هذه الدولة التي عهدها من سنة ٢٢٦ — ٦٥١ م مع انها ماتت كما ذكروقت تغلب اسكندر المقدوني سنة ٣٣١ ق م اي قبل عصر الدولة الساسانية بقرون ؟ ويساعد على اثبات هذا التناقض نص عبارته وتحديده مدة استعمال هذه اللغة وهي ٥٥٠ سنة قبل تغلب الاسكندر لا بعده ، والاسكندر كان قبل ظهور الدولة الساسانية باكثر من خمسة قرون ونصف ! فيظهر من ذلك ان هذه اللغة كانت شائعة في ايام الدولة الكيانية القديمة كما اشار الى ذلك من طرف خفي لا في ايام الدولة الساسانية كما عدها

اما مخالفته الرأي المعول عليه عند المؤرخين فهو في عده لغات العصر الساساني اربع وليس لغة واحدة كما هو معروف مشهور عند العلماء . ولقد رأينا من الكلام السابق ان لغة دري وهي احدى اللغات الثلاث التي ذكر انها كانت شائعة في العصر الساساني كانت سابقة لهذا العصر بكثير كما بينا من نص كلامه ومثل ذلك قل في اللغتين الاخريين اي لغة باستاني ولغة دياري فان الاولى كانت لغة الفرس في العصر الارامي القديم ويسميها بلاتس وغيره « اللغة الزندية » لتدوين كتاب « زند » و « اوستا » او « الزندفستة » بها ولم تكن تستعمل في العصر الساساني الا بشكل لغة دينية محصورة بين رجال الدين الزرادشتي ولا تستعمل الا في تدوين كتب ذلك الدين فقط فهي من هذه الوجهة تشابه اللغة القبطية في هذا العصر لاستعمالها في الكتب الدينية والكنائس القبطية ، وما يمثل من بعدها من لغات العصر الساساني الا كمثل من يعد اللغة اللاتينية من لغات اوربا الحية الآن

اللغة البهلوية

اما لغة الدولة الساسانية ولغة هذا العصر الحقيقية فهي البهلوية وهي اللغة الوحيدة التي كانت شائعة في ايران في عصر هذه الدولة الى ظهور الاسلام وكانت تدون بها كتب العلم والدين . وبها نقشت آثار هذه الدولة على انقاض مدائنهم وعلى نقودهم واختامهم ومجوهراتهم كما قال المرحوم مؤسس الهلال وبها نقلت كتب اليونان وغيرها وعنها نقل المسلمون في عصر العباسيين الكتب الفارسية المعروفة ككتاب كليلة ودمنة والادب الكبير والصغير وهزارافسانة الخ . فهي كانت لغة الدولة والعامة لغة الشعروالنثر ولم تر

مؤرخاً ذكر انه كان معها لغة اخرى تزاحمها في الشيوع والانتشار اللهم الا اذا كان هناك لهجة لها عامية بهلوية اخرى مشتقة منها فتكون الاولى لغة الخاصة وهي البهلوية الفصحى ، والاخرى لغة العامة وهي البهلوية العامية وهذه تختلف باختلاف المدن فلا تكون لهجة عامة المدن مثل لهجة سكان الجبال والقبائل الرحل كما هو الحال في اللغة العربية ولهجاتها العامية وفي كل اللغات الحية كالانكليزية والفرنسية وغيرها فان لهجة العامة هي غير لغة الخاصة في كل عصر وفي كل مصر ، ولا يصح ان تقول ان هناك اثنين بل لغة واحدة . ومما يدل على ان البهلوية كانت في هذا العصر لغة دينية ايضاً قوله بعد ان ذكر انهم عقدوا مجمعاً علمياً عهدوا اليه شرح كتاب الاوستا وكتاب الزند « ففعلوا ووضعوا كتاباً ضافياً باللغة الباستانية وكان ذلك الشرح الثالث المسمى (بازند) ولما انتهى العلماء من عملهم رأى الملوك ان لغة الشرح (اي الباستانية) غامضة يصعب فهمها على العامة فعهدوا الى العلماء في وضع شرح ضاف باللغة البهلوية عرف بكتاب دساتير» فقوله هذا اكبر دليل على ان العامة لم تكن تفهم غير البهلوية وان الباستانية كانت لغة ميتة يحافظ عليها ويقدسها رجال الدين الزرادشتي لانها لغة دينهم

هذا والمدهش في كلامه اشتقاق كلمة بهلوية من اسم رجل يدعى « بهله » ذكر انه كان عالماً شهيراً وحكيماً نابغة وضع اللغة البهلوية بعد ان قدح زناد الفكرة واستخرجها من اللغات الفارسية بعد عناء شديد وتعب طويل وبعد ان وضعها عرفت باسمه ونسبت اليه . ولم يعرف في التاريخ ان رجلاً مهما كان علمه وضع لغة او اشتق كلمة او اخترع لساناً ثم شاعت لغته هذه حتى صارت لغة لمملكة عظيمة كالمملكة الفارسية ! ان اللغات ليست من وضع العالم الكبير او الفيلسوف الشهير بل هي اذا صح انها من وضع البشر فهي من وضع العامة لا من وضع العلماء ولم تخلق وتعرف الا على ألسنة العوام في اظلم عصورها واقدم تاريخها

فاللغة كما هو معروف اصطلاحية حاصلة بلا نظر واكتساب وهي مثل كل كائن حي عرضة للتغيير وتجددها ضروري لحياتها فهي لا تحيا الا بدثور القديم وتولد الجديد فتصير اللغة الواحدة لغات عديدة يتفاوت البعد بينها بتفاوت الازمان والاحوال وكل ذلك يجري بموجب نواميس عامة هي النشوء والارتقاء وليس بموجب استنباط العلماء او اختراع الحكماء . فاللغة البهلوية او الفهلوية عُرفت بهذا الاسم نسبة الى بَهلو (فهلا) وهي البقعة التي فيها همذان واصفهان وآذربيجان والري وماه نهاوند وغيرها ، فهي كانت في الاصل لهجة فارسية صغيرة نشأت في هذا الاقليم ثم شاعت فيه وعُرفت باسمه

حينما انتشرت في كل المملكة الفارسية وهضبة ايران في عصر بني ساسان فكما شاعت لهجة اقليم توسكانيا وصارت لغة لايطاليا عامة ، وشاعت لغة سكسونيا فتغلبت على لهجات المانيا وصارت هي اللغة الالمانية ، كذلك شاعت لهجة اقليم پهلو وتغلبت على كل اللهجات الفارسية وصارت هي اللغة البهلوية الرسمية للمملكة الفارسية

اللغة العربية واللغة البهلوية

ذكرت في مقالتي السالفة أن البهلوية انقرضت امام اللغة العربية بسبب الفتح العربي أي انها اخذت بالزوال شيئاً فشيئاً امام العربية حتى ذهبت عن الالسنة وحل محلها اللغة الفارسية الحديثة التي نشأت في الاسلام وسرت اليها التأثيرات اللغوية العربية : فكأن حضرته اراد أن يرد على هذا بقوله : « ثم اخذ الشعراء ينظمون اشعارهم باللغة البهلوية واشعارهم هذه التي نظموها قبل الاسلام بمائتي عام ما زالت موجودة الى يومنا هذا . وهذا دليل واضح على عدم انقراض اللغة البهلوية » ! ! فهل مجرد وجود اشعار باللغة البهلوية من العصر الساساني دليل على بقائها الى الآن ؟ وهل مجرد وجود آثار شعرية او نثرية للغة ميتة دليل واضح على حياتها وعدم انقراضها ؟ اذا كان ذلك فقد اخطأ العلماء في عدهم اللغة اليونانيـة القديمة واللغة الحبشية القديمة الفصحى (اي لغة جعز) واللغة السريانية القديمة من اللغات المنقرضة الميتة مع ان لها من الآثار الشعرية والنثرية الكثيرة ما نظمت قبل الاسلام بمئات من الاعوام وما زالت موجودة الى الآن ! هذا ومن جهة اخرى فانني لم اقل ان البهلوية ذهبت من الكتب بل قلت انها ذهبت عن الالسنة فاذا كان حضرته ينكر ذلك فليرشدني الى بلدة او بلاد في فارس يتكلم اهلها الآن باللغة البهلوية القديمة . ومن اكبر الدلائل على انقراض البهلوية انه لم يبقَ منها الا الفاظ دخلت الفارسية الحديثة قوله : « واوضح منه ان من كل عشر كلمات من اللغة الفارسية المستعملة الآن اربع كلمات او خمس باللغة البهلوية » فهذا دليل على ما أريد أثباته وقد اثبته في مقالتي . وهو انقراض البهلوية امام اللغة العربية بسبب الفتح الاسلامي وحلول اللغة الفارسية الحديثة محلها ثم قلت « والفرق بين اللغتين اي البهلوية والفارسية الحديثة كثرة الالفاظ العربية التي دخلت اللغة الفارسية الحديثة بعد الاسلام » ، أعني ان الفارسية الحديثة نشأت من ادغام الالفاظ العربية بالالفاظ البهلوية والالفاظ الفارسية المولدة وغيرها

عبد الفتاح عباده

تاريخ الشهر

اهم وقائع الحرب

(تابع لما في الاجزاء الماضية)

في ١٦ مايو — استولى الانكليز على بعض الخنادق الالمانية في فستوبر وتقدموا من خطوط الالمان واستولى الفرنسويون على بعض البيوت في نوفيل شمالي اراس

في ١٧ منه — استمرت معركة فستوبر فاستولى الانكليز على ميلين من خنادق الالمان والقى بلون الماني من طرز تسبلن ستين قنبلة على « كنت » فهاجمته الطيارات الانكليزية والحقت به ضرراً

في ١٨ منه — عاقت الامطار سير القتال في فرنسا واعلن اللورد كتشنر ان الحلفاء سيستعملون الغازات السامة وطلب ثلاث مئة الف متطوع آخر

في ١٩ منه — حالت الامطار دون استئناف القتال في فرنسا واعلن الالمان انهم اجتازوا نهر السان في غليسيا وبدأوا بضرب حصون برزميسل . واعلن المستر اسكويث تعديل الوزارة البريطانية

في ٢٠ منه — كانت نتيجة الاقتراعات في مجلس النواب الايطالي الميل الى شهر الحرب على النمسا . وتقدم النمسويون شرقي نهر السان والتحم الاوستراليون والنيوزيلنديون بالاتراك فبلغت خسارة هؤلاء سبعة الاف قتيل وجريح واسير

في ٢١ منه — استولى البريطانيون على مواقع حصينة في لاباسه واستولى الفرنسويون على مرتفعات لوريت

في ٢٢ منه — تقدم الانكليز جنوبي كونك رو واصدرت الحكومة الايطالية امرها بتعبئة الجيش والاسطول تعبئة عامة وحصن الروس مواقعهم غربي السان

في ٢٣ منه — شهرت ايطاليا الحرب على النمسا واستولى الفرنسويون على خنادق الالمان في نوفيل سان فاست شمالي اراس واخذوا بعض الاسرى

في ٢٤ منه — اطلق الالمان الغازات السامة على الانكليز شرقي ايبر فاخترقوا

صفوفهم ولكن عاد هؤلاء فاستردوا جانباً من الارض التي خسروها واطلق الفرنسويون مدافعهم البعيدة المرمى على اوستند وبدأت ايطاليا الحرب بهجوم نسافاتها على جزيرة نمسوية . واطلق النمسويون مدافعهم على انكونا والقت طياراتهم القنابل على البندقية وتقدم الحلفاء في الدردنيل

في ٢٥ منه — نسفت البارجة ترايمف الانكليزية في الدردنيل ولكن نجا معظم بحارتها واجتاز الجيش الايطالي الحدود النمسوية الى الشمال الشرقي من البندقية وجدد الالمان هجومهم في غليسيا وادعوا انهم اسروا واحداً وعشرين الفاً من الروس وتسعة وثلاثين مدفعاً وتقدم الفرنسويون جنوبي اراس

في ٢٦ منه — تقدم الانكليز في فستوبر واخترقوا صفوف الالمان الى مسافة ثلاثة اميال وهجم الالمان هجوماً شديداً على الفرنسويين شمالي اراس فاستولوا على بعض الاراضي ولكن خسروا اراضي في مواقع اخرى

في ٢٧ منه — نسفت البارجة « ماجستك » بقرب شبه جزيرة غاليبولي فنجا معظم بحارتها

في ٢٨ منه — احتل الايطاليون جراديسكا على نهر الاسونزو وحدثت موقعة هائلة في سوشه فهجم الالمان سبع هجمات متوالية في مدة اربع وعشرين ساعة ولكنهم دحروا في جميعها . واسترد الروس سينيڤا واسروا ستة آلاف من الالمان

في ٢٩ منه — استولى الفرنسويون على كل الاراضي المجاورة لابلين

في ٣٠ منه — احتل الايطاليون محطة آلا النمسوية واستولى الفرنسويون على التل رقم ١٧ في مقاطعة بلكن على مسافة ثلاثة اميال الى الشمال الشرقي من ابير . وتقدم الانكليز في فستوبر

في ٣١ منه — اغار بلون من طرز تسبلن على ضواحي لندن فالقى تسعين قنبلة قتل بها اربعة اشخاص . وقذف الطيارون الايطاليون القنابل على بولا فاحرق مستودع الذخائر وضربت النسافات الايطالية حوض بناء السفن في مونفالكون وخسر الاتراك خسائر جسيمة في غاليبولي ونسفت غواصة المانية سفينة اميركية تدعى ديكسيانا واجابت المانيا على المذكرة الاميركية بان الباخرة لوزيتانا كانت تحمل سلاحاً وجنوداً بريطانيين

في اول يونيو — ضرب الايطاليون حصون غوريتسيا وحدث قتال شديد بين الالمان والفرنسويين في التيه شمالي اراس فاستولى هؤلاء على معمل تكرير السكر وادعى الالمان انهم استولوا على ثلاثة من حصون برزميسل الشمالية واغرقت غواصة بريطانية

باخرتين في بحر مرمرا محملتين جنوداً

في ٢ منه — احتل البريطانيون موقعاً شرقي ايبر بعد معركة هائلة بالسلاح الابيض واستولى الايطاليون على حصن بلتيدير النمسوي الى الشمال الشرقي من روفريتو وتقدم الالمان في الميدان الشرقي فاستولوا على حصون جديدة من حصون برزميسل

في ٣ منه — لم يطرأ تغيير على الحالة في الميدان الغربي

في ٤ منه — خسر البريطانيون قصر هوج ثم استردوه . واعلن المستر لويد جورج انه لا يجب ان تحول قوانين نقابات المعامل ضد صنع الذخيرة اللازمة

في ٥ منه — هاجمت بلونات تسبلن الالمانية سواحل انكلترا الشرقية والجنوبية فلم تحدث اضراراً

في ٦ منه - استمر الالمان والنمسويون يتقدمون في الميدان الشرقي

في ٧ منه — تقدم الحلفاء في الدردنيل بعد معركة هائلة بالسلاح الابيض وحدثت معارك شديدة في الالب وهاجمت طيارة انكليزية بلوناً المانياً من طراز تسبلن بين غنت وباريس فدمرته وقتلت ركابه وقذف طياران آخران من طياري الحلفاء القنابل على مستودع الطيارات بقرب بروكسل

في ٨ منه — اجتاز الايطاليون نهر الاسونزو جنوباً وتقدم الفرنسويون في اراس واستعفى المستر بريان من نظارة الخارجية الاميركية

في ١٠ منه — استولى الايطاليون على مونفالكون وغرقت نسافتان انكليزيتان شرقي سواحل انكلترا فغرق معهما نحو اربعين شخصاً

في ١١ منه — زحفت السرب على البانيا متجهة نحو دراج وارسلت اميركا مذكرتها الثانية الى المانيا بخصوص السفينة لوزيتانيا

في ١٢ منه — اسر الروس ستة عشر الف من الالمان والنمسويين في غليسيا في خلال الاسبوع الماضي

في ١٣ منه — اسفرت الانتخابات اليونانية عن فوز حزب فنزيلوس

في ١٤ منه — عبرت فصائل من الجيش البلجيكي نهر الايزر وتقدم الايطاليون حتى اصبحوا على بعد تسعة اميال من تريستة

في ١٥ منه — استولى الانكليز على خنادق جديدة للاتراك في الدردنيل وهجم الطيارون الفرنسويون على كارلسروه وظلوا ٤٥ دقيقة يقذفون عليها القنابل

الى صاحب ديوان الخليل

عرفت شعرك شعر الخلد من صغري فكنت أحفظه حفظي القرآن
والآن بتّ وقد ابعدت عن نظري ظمآن اشكو تباريحي اظمآن
وكنت لي الانس في صفوي وفي كدري فكيف سوّغت تعذيبي وحرماني
البدر حين اناجيه يكلمني وأنت تتبع تحناني بهجراني
أأشتكي منك حرماناً بلا سبب وانت صفوة احبابي وخلاني
وتشمت الدهر في نسيان مغترب وأنت مطلع عرفان واحسان
آمنت عمراً بوحي منك منبعث فاعطف عليّ وباركني كاطراني
وابعث اليّ بازهار الربيع حلت فان نشرك أعلى زهر نيسان
نظم يبوح بآيات لو انكشفت للانبياء لما احتاجوا لبرهان
اني الاحق به من كل مبتهج ولي التشفيع بحبي قبل ايماني
يا من تملّك وجداني برقته بالله جدّد وانعش بعض وجداني
من فات قربك فات الحسن في ادب ومن يغب عنك في تذكاره فان

احمد زكي ابو شادي

مطبوعات جديده

﴿ انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي ﴾ يعرف قراء الهلال حضرة الكاتب الاديب عبد الفتاح افندي عباده بما ينشره في الهلال من المقالات المفيدة الدالة على سعة اطلاعه وقد نشرنا في احد الاجزاء الماضية فصلاً من كتابه الذي نحن بصدده اليوم انموذجاً لما فيه من المباحث الممتعة وقد كان بودنا ان نتوسع في وصفه وايراد مختارات منه لكن ضيق المقام يمنعنا من ذلك . وهو يبحث في تاريخ الخط العربي قبل الاسلام وبعده وانتشاره في انحاء العالم وذكر اللغات التي تكتب به والكلام على الممالك والاقطار التي انتشر فيها بالتفصيل وأسباب الانتشار وعلاقة الاديان بمحافظة الامم على الخطوط وما ورثه الخط العربي منها وتأثير الحضارة الاسلامية في كل ذلك . وقد قدر عظمة مولانا السلطان قيمة هذه المباحث وما عاناه مؤلفها في خوضها فامر بطبع الكتاب على نفقة الديوان السلطاني وهي عناية بالآداب العربية تقابل بالشكر الفائق من كل محب لهذه اللغة . والكتاب مزين بالرسوم الكثيرة ومطبوع طبعاً متقناً